پی ڈی ایف میں پیش خدمت ہے

«:» از «:»

محمد عبد الرحمن مسعود اسعدی عفی عنہ

استاد

مدرسہ عربیہ اشاعت الحق مؤمن نگر

کیمپ بیل روڈ بالاگنج لکھنؤ / ۳

۹۷۲۱۹۹۵۸۵۴

* تالیف *
محمدعبيدالله الاسعدی القاسمي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية
هتورا بانده يوفى الهند
دار العلوم ديوبند
مَدرَسَةٌ فِكرِيَّةٌ تَوجِيهِيَّةٌ، حَرَكَةٌ إصلاحِيَّةٌ دَعوِيَّةٌ
مُؤَسَّسَةٌ تَعلِيمِيَّةٌ تَربَوِيَّةٌ
پی ڈی ایف میں پیش خدمت ھے
«٭»از«٭»
محمدعبدالرحمن مسعوداسعدی عفی عنہ
استاد
مدرسہ عربیہ اشاعت الحق مؤمن نگر
کیمپ بیل روڈ بالاگنج لکھنؤ/۳
۹۷۲۱۹۹۵۸۵۴
نشر
أكاديمية شيخ الهند
الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند
الهند

هذا الكتاب ......

فقد تكفّل حركة نشر العقيدة الصحيحة في التوحيد واتباع السنة والتجنب عن الأعمال الشركية، والغلو والمبالغة في التعظيم مدرسة عقائدية، تعليمية، تربوية، قيادية، تعرف – بشكلٍ عامٍ وإطارٍ واسعٍ – بمدرسة ديوبند، قد قاد هذه الحركة الإيجابية، والإصلاحية، والبنائية، والتربوية، والنشرية، على مستوى شعبي، توجيهي، واستدلالي، علمي، قوي وواسع "معهد ديوبند" مؤسسوه ومنشئوه والمتخرجون منه، والمنتمون إليه، وقد امدّتهم – في الانتصار والانتماء اليهم والاعتزار بهم قيادةُ المنتمين إلى ديوبند وقادة حركتها و دارتها لحركة تحرير البلاد، ومحاربة السلطة الإنجليزية والاستعمار، ثم استقامتهم في الدين، وتجرُّدهم عن المطامع والشهوات بصفة غالبة، وصلاحهم واستقامتهم على السنّة، ونفورهم عن البدعِ والمحدثات، وإبكارُهم الصريحُ القويُّ على ماشاع في شبه القارة الهندية من تقليدِ غير المسلمين في إطار المهرجانات، والاعياد والمواسمِ وزيارةِ المشاهد وتقديسها، ولقبوا – "الوهابية" وقوطع كثيرٌ منهم، وحورب حرباً شعواء، ولكن لم يُضعف كلَّ ذلك من صمودهم، واستقامتهم وصراحتهم، واعتزازِهم بعقيدتهم، والثبات على موقفهم.

...... والمتوقع المرجوُّ والمطلوب أن يطالع هذا الكتاب الذى أصبح موسوعةً في هذا الباب بتوسُّعٍ فكريٍّ، واتزانٍ هدفيٍّ ......

ابو الحسن علي الحسني الندوي

محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هتورا
باندہ یوفی الهند

دار العلوم دیوبند

مَدْرَسَةٌ فِكْرِيَّةٌ تَوْجِيْهِيَّةٌ، حَرَكَةٌ إِصْلَاحِيَّةٌ دَعوِيَّةٌ

مُؤَسَّسَةٌ تَعْلِيْمِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ

پی ڈی ایف میں پیش خدمت ہے

«؛»از«؛»

محمد عبدالرحمن مسعود اسعدی عفی عنہ

استاد

مدرسہ عربیہ اشاعت الحق مؤمن نگر
کیمپ بیل روڈ بالا گنج لکھنؤ /۳
۹۷۲۱۹۹۵۸۵۴

أكاديمية شيخ الهند

دار العلوم - ديوبنـــــــد (الهند)

سلسلة المطبوعات: ٢٨

الكتاب: دار العلوم ديوبند (مدرسة فكرية توجيهية حركة اصلاحية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية)

تاليف : محمد عبيد الله الاسعدى القاسمى

الثمن:

الطبعة الأُولى: شهر ذى الحجه عام ١٤٢٠ هـ. مارس عام ٢٠٠٠ م

نشر : أكاديمية شيخ الهند دار العلوم ديوبند، الهند

م.ك. برنتر

دار العلوم ديوبند

مَدْرَسَةٌ فِكْرِيَّةٌ تَوْجِيهِيَّةٌ، حَرَكَةٌ جِهَادِيَّةٌ دَعَوِيَّةٌ،
مُؤَسَّسَةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ

بسم الله الرحمن الرحیم

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

الإهداء

الى روح والدي الشيخ / محمد مرتضى بن محمد مصطفى الحسيني المظاهري رحمه الله تعالى، الذي له الفضل - بعد فضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه - فيما نشأتُ عليه وتربّيت، من صحة العقيدة، وسلامة الفكر، والاعتدال في الرأي، والبحث عن الحق والحرص على اتباعه أينما كان،وحسن الظن في المؤمنين عامة وفي علمائهم خاصة، وحب الصالحين من أهل السنة والجماعة، والدعاء لهم بالخير.

والذي تألم كثيرا لِما بدرمن أناس من الطعن في علماء ديوبند السالفين منهم والمعاصرين، وكم كان يتمنى أن يُؤلَّفَ كتاب بالعربية يتناول بيانَ مذهبهم والإشادةَ بجهودهم العلمية والدعوية، وتسجيلَ كفاحهم في محاربة البدع والخرافات، والدعوة إلى المحجة البيضاء .

وقد استأثرت به رحمة الله تعالى في العاشر من جمادى الأخرى عام ١٤١٦هـ فإلى روحه الطاهرة أتشرف بإهداء هذا الجهد المتواضع سائلا المولى الكريم أن يجعل هذاالعمل خالصا لوجهه الكريم، ويُثقِل به ميزان حسناته ، ويتغمّده بواسع رحمته، ويُسْكِنه فسيحَ جناته، إنه تعالى سميع قريب مجيب .

محمد عبيد الله الاسعدى القاسمي

مؤلف الكتاب محمد عبيد الله الأسعدي

- ولد بمدينة لكهنؤ عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م
- تلقى الدراسة الابتدائية في البيت، ثم في كُتّاب تابع لدارالعلوم لندوة العلماء بلكهنؤ.
- حفظ القرآن الكريم وتلقى التجويد - برواية حفص-في مدرسة التحفيظ بدار العلوم لندوة العلماء
- درس اللغة العربية والعلوم الشرعية في دارالعلوم لندوة العلماء.
- تخرج من دار العلوم ديوبند،حاصلا فيها على شهادة الفضيلةعام١٣٩٠هـ، ثم على شهادة تكميل دينيات(أصول الدين) عام١٣٩١هـ،والتخصص في الفقه والإفتاء عام ١٣٩٢هـ.

حياته العملية

- بدأ حياته العملية مدرّساً للعلوم الشرعية بمدرسة جامع العلوم بمدينة كانبور، وبقي بها من عام١٣٩٣هـ إلى عام ١٣٩٧هـ
- انتقل إلى مدرسة الجامعة العربية في هتهورا ببلدة بانده — التي درس فيها فترة من الزمن قبل التوجه إلى دارالعلوم ديوبند — عام١٣٩٧هـ.، ولم يزل بها - ولله الحمد - يدرس ويربي، ويؤلف ويفتي، ويدعو ويرشد .(من مواد تدريسه بالجامعة: صحيح البخاري- المجلد الثاني- الترمذي،مشكوة المصابيح، موطأ الإمام محمد، وشرح معاني الآثار).

رحلاته:

- سافر للحج عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- حضر دورة تدريب معلمي اللغة العربية بجامعة الملك سعود عام١٤٠٧هـ،
- سافر إلى باكستان،والإمارات العربية المتحدة،والقاهرة، والسعودية عام ١٤٠٩هـ (تعرف فيها على المراكز العلمية والدعوية والتقى بعلمائها)
- له رحلات دعوية — فصلية — إلى بلاد نيبال حيث يشرف على مدرسة دينية.

جهوده الدعوية والتعليمية:

- عضو في المجمع الفقهي الإسلامي بدلهي.
- يشرف على بعض المدارس الإسلامية في الهند ونيبال.
- له رحلات دعوية ومشاركات علميةفي الندوات الفقهية، داخل الهند،وبالأخص في ندوات المجمع الفقهي الإسلامي بدلهي التي تعالج أهم المسائل الفقهية، والمشاكل المعاصرة، وتعقد سنويا في ولايات مختلفة من الهند، ويحضرها كبار الباحثين الشرعيين من داخل الهندومن خارجهامن العالم العربي والإسلامي.

أ- العربية

١-"**الموجز في أصول الفقه**": قدم له: سماحة الشيخ الندوي، فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة، وفضيلة الشيخ محمد الرابع النَدْوي، تولت طبعه دارالسلام بالقاهرة، وصدرت الطبعة الثانية للكتاب

٢-" **دارالعلوم ديوبند" مدرسة فكرية توجيهية، حركة جهادية دعوية، ومؤسسة تعليمية تربوية**، قدم له: سماحة الشيخ الندوي، و فضيلة العلامة محمد تقي العثماني، و فضيلة الشيخ المفتي سعيدأحمد البالنبوري (تحت الطبع)

٣-" **بين الضعيف والموضوع من الحديث**": سلسلة مقالات نُشرت في مجلة البعث الإسلامي في عدة حلقات (والكتاب تحت الطبع)

ب- بالأردية:

١-"**علوم الحديث**" ،قدم له: محدث الهند العلامة حبيب الرحمن الأعظمي،(طبع في الهند وباكستان)

٢-"**أصول الفقه**"، قدم له العلامة محمد تقي العثماني.

(أصل كتاب الموجز في أصول الفقه) طبع في الهند وباكستان.

٣-"**اسلام مكمل دين مستقل تهذيب**"، قدم له سماحة الشيخ النَدْوي.

٤-"**الربا**"، قدم له: فضيلة الشيخ المحدث الفقيه محمد إسحق السنديلوي رحمه الله

طبعه المجمع الفقهي الإسلامي بدلهي.

٥-"**العشر والخراج في بلدان غير إسلامية**" طبعه مجلس التحقيقات الشرعية في بريطانيا.

٦-"**تحديد النسل**"، قدم له فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي

٧-"**تسهيل البلاغة**"، طبع في الهند وباكستان.

٨-"**إسعاد النحو**"، طبع في الهند وباكستان.

٩-"**علوم القرآن الكريم**" (تحت الطبع)

١٠-"**خدمات علماء الهند في الفقه الإسلامي**" سلسلة مقالات نشرت في مجلة البلاغ بكراتشي.

❑ **عدا رسائل صغيرة وبحوث ومقالات فقهية ودعوية نشرت في مجلات الهند وباكستان**

ترجمة المؤلف

بقلم المعتني، معروف مجيب

اسمه ونسبه:

هو العلامة الجليل، الفقيه النبيل، المحدث المتفنِّن، الشيخ أبو سعود محمد عُبيد الله الأسعدي بن محمَّد مرتضى بن محمد مصطفى بن محمد زكريا الحُسيني نسباً، والحنفي مذهباً، واللَّكْنَوِي مولداً وموطناً.

فهو كريم الأُبوّة والأُمومة: فإن نسبه من جهة أبيه ينتهي إلى سيدنا إسماعيل بن جعفر الثاني بن علي نقي بن علي رضا بن موسى كاظم بن جعفر الصادق بن محمد باقر بن علي زين العابدين بن حسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ.

وأمه السيِّدة الشريفة فاطمة بنت خليل الرحمن بن جلال الدين العباسي، من أولاد عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ.

و«عُبيد الله» سمّاه به شيخ أبيه ومربيه الجليل الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبو الحسن علي الندوي، المتوفى ١٤٢٠ هـ -رحمهما الله تعالى-.

و«الأسعدي» نسبة إلى مربّيه الأول الشيخ الكامل أسعد الله الرامفوري -مدير مظاهر علوم/ سهارنفور-، من أجل خلفاء حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي -رحمهم الله تعالى-.

قال شيخنا الأسعدي: قد أحببتُ مادة (س ع د)، فكنيتُ نفسي «أبو مسعود الأسعدي»، وسمّيتُ ولدي الأكبر «عبد الرحمن مسعود»، والآخر «عبد العزيز سعود».

ولادته:

وُلِد -حفظه الله تعالى- بيوم الاثنين، ٢٧ جمادي الأخرى سنة ١٣٧١هـ، الموافق ٢/ مارس ١٩٥٢م، في الساعة الثامنة والنصف بعد صلاة العشاء بيوم الاثنين في مدينة «لَكْناؤ»: في بيئة دينية علمية، تقية نقية، صالحة كريمة.

أسرته:

كانت أسرته معدودة من أهل علم وسِتْر ودين، ومن السادات الشريفة، فقد كان والده محمد مرتضى، المتوفى ١٩٩٥م -رحمه الله تعالى- من العلماء المبرزين، ومن أهل الصلاح والتقوى، والتمسك بالدين وشعائره، وكان جليس العلماء، ونديم الأكابر، من الشيوخ الساسة، ومشرفاً على المكتبة العامة لدار العلوم ندوة العلماء/ لكناؤ.

وجدّ جدّه الشيخ المجاهد الكبير الداعية المصلح السيد جعفر علي البستوي، المتوفى ١٢٨٨هـ، كان من رفقاء الإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد، المتوفى ١٨٣١هـ، وأجل خلفائه وكُتّابه، الذين يُجاهِدون لإعلاء كلمة اللّه في الهند، ويُحيُوْن فريضة الجهاد، ويَحفظون مُعتقَدات مسلمي الهند من الشرك والبدع.

نشأته، وحبه للعلم وطلبه:

نشأ شيخنا الأسعدي في بيئة علمية صالحة تحت رعاية أبويه، فبدأ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم ومباديات العلوم الإسلامية في بيته على والدته الكريمة، ورُبِّي برعايتها تربية حسنة.

فلما دخل في السنة الثامنة من عمره سنة ١٩٦٠م التحق بقسم تحفيظ القرآن الكريم بدار العلوم ندوة العلماء، وحفظ القرآن الكريم وتلقى التجويد برواية الإمام حفص -رحمه الله تعالى-، وقرأ القرآن الكريم في صلاة التراويح أوّل مرّةٍ عام ١٩٦٥م، ثم التحق بها بالصف الثالث من الثانوية، ومكث هنا أربع سنوات، من الصف الثالث من الثانوية إلى الصف الثالث من العالية، وأخذ عن أبيه الكريم وأساتذتها البارعين، والتحق بالجامعة العربية/ هتورا، باندا، ومكث هناك عدة شهورٍ.

ثم التحق بأواخر سنة ١٩٧٠م وبداية سنة ١٣٩٠هـ بأزهر الهند دار العلوم/ ديوبند، وقرأ على الشيخ فخر الدين المرادآبادي - تلميذ شيخ الهند محمود حسن الديوبندي-، المتوفى ١٣٩٢هـ، وعلى حكيم الإسلام المقرئ طيب القاسمي، رئيس دار العلوم/ ديوبند سابقاً، المتوفى ١٤٠٣هـ، وغيرهم من تلاميذ إمام العصر أنور شاه الكشميري، المتوفى ١٣٥٢هـ، وتلاميذ شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، المتوفى ١٣٧٧هـ، -رحمهم الله تعالى-، وحصل على شهادة الفضيلة عام ١٣٩١هـ، ثم على شهادة «تكميل دينيات» (أصول الدين) عام ١٣٩٢هـ، ثم التحق في نفس الجامعة بقسم التخصص في الفقه والإفتاء، تحت إشراف العلامة المفتي الأعظم بالديار الهندية الشيخ محمود حسن الكنكنوهي، المتوفى سنة ١٩٩٦م -رحمه الله تعالى-.

حياته العملية:

بدأ حياته العملية مدرساً للعُلوم الشرعية بمدرسة جامع العلوم، بمدينة كانبور، وبقي بها من عام ١٣٩٣هـ إلى عام ١٣٩٧هـ، ثم انتقل إلى الجامعة العربية/ هتورا، باندا -التي درس فيها فترة من

الزمن قبل الالتحاق بـ«دار العلوم/ ديوبند» - عام ١٣٩٧هـ تحت رعاية مؤسسها الفاضل العلامة الربّاني الكامل، الشيخ المقرئ السيد الشريف صديق أحمد الباندوي، المتوفى ١٩٩٧م، رحمه الله تعالى، ولم يزل بها -ولله الحمد- يدرّس ويربّي، ويؤلّف ويفتي، ويدعو ويصلح ويرشد.

من مواد تدريسه بالجامعة: المجلد الأول من الجامع الصحيح للإمام البخاري، و المجلد الأول من الجامع السنن للإمام الترمذي في الصف النهائي (دورة الحديث الشريف)، وفي قسم التخصص في الفقه والإفتاء: تمرين الفتاوى، وأصول الإفتاء، والموجز في أصول الفقه، والوجيز في قواعد الفقه (كلاهما للشيخ نفسه)، وقواعد الفقه للشيخ عميم الإحسان البركتي، وغيرها من كتب الأصول والقواعد، وهو يرأس ذلك القسم.

وكذا له خدمات جليلة من مِنَصّة «مجمع الفقه الإسلامي» بالهند، وهو السكرتير لمؤتمرات المجمع، وبتلك المناسبة له رحلات دعوية ومشاركات علمية في الندوات الفقهية التي تعالج أهم المسائل الفقهية والمشاكل المعاصرة، وتعقد سنويًا في ولايات مختلفة

من الهند، ويحضرها كبار الباحثين الإسلاميين من داخل الهند وخارجها من العالم العربي والإسلامي.

وكذا يشرف على كثيرٍ من المدارس الإسلامية، والكتاتيب الدينية، والمراكز العلمية في «الهند» و«نِيْبَال».

وأَضِفْ إلى ذلك أنه وُلّي منصب قاضي القضاة في «بُنْدِيْلْ كَنْدْ، يوبي» من «مؤسسة الأحوال الشخصية لعموم الهند»، التي تَسعَى لمعالجة قضايا المسلمين المشكلة، وتجري أحكامهم العالية والقضائية في بلاد الهند.

كما أنه يقوم برحلات علمية إلى شتى البلاد، مثل تركيا، وباكستان، ونيبال، والإمارات العربية المتحدة، ومصر، والسعودية، كما حضر دورة تدريب معلمي اللغة العربية بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٧هـ.

مكانته العلمية والدينية لدى الكبار من العلماء:

يسّر الله تعالى لشيخنا الأسعدي –حفظه الله تعالى– الأخذَ عن جماعة مختارة من العلماء العاملين المحققين المخلصين، وكان منهم –على الأغلب– من تقدمت به السن، فازداد نضجاً في العلم

والعمل، والخير والصلاح، وهؤلاء يورّثون في نفوس تلاميذهم ما وصلوا إليه من العلم والعمل، ومن أمانة العلماء وإخلاص الصلحاء.

فكان شيخنا الأسعدي -حفظه الله تعالى- أكرمه الله تعالى بصفات العلماء الراسخين، وخصال المحققين المتقنين، وآداب الصلحاء العابدين، وورع الزهّاد المتّقين، مشاركاً في العلوم النقلية والعقلية، جامعاً بين رواية علم الحديث ودرايته، وتأصيلِ علم الفقه وتفريعه، بارعاً في الموازنة بين أدلة المسائل الخلافية عند فقهاء الأمصار، واسع الاطلاع على مذاهب سلف الأمة وآراء الأئمة: مشاهيرها وشواذها.

وأثنى عليه شيخُه ومحبّه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، المتوفى ١٤١٧هـ، في مقدمة «المُوْجَز في أصول الفقه» (ص٥) وقال: «فقد نظرتُ في كتاب «الموجز في أصول الفقه» تأليف الأخ الفاضل، والعالم الثبت المتقن، فضيلة الشيخ مولانا محمد عبيد الله الأسعدي، أحد نابغي إخواننا علماء الديار الهندية، زان الله بهم البلاد، وهدى بهم العباد...».

وقال الداعية الإسلامي الكبير الشيخ السيّد أبو الحسن علي الندوي، المتوفى ١٤٢٠هـ، في مقدمة «دار العُلوم ديوبند» (ص٣٤-٣٥): «وفّق اللَّهُ الأستاذَ محمَّد عبيد اللَّـه الأسعدي، عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية/ هتورا، وابنَ أسرةٍ عريقةٍ في العقيدة الصحيحة ونشرِها، والجهادِ في سبيلها، تنتمي إلى المجاهد الكبير، والداعية المصلح السيّد جعفر علي البستوي، صاحب كتاب «منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء»، مرافق المجاهد الكبير، والمصلح الشهير، الداعي الأشهر الأقوى إلى تصحيح العقيدة ومحاربة الشرك والبدع، وإعلاء كلمة اللَّه والجهاد في سبيل الله، الإمام السيد أحمد بن عرفان - الشهيد في «بالاكوت» عام ١٢٤٦هـ -رحمه الله تعالى-، وقد ورثت هذه الأسرة الشريفة هذه العقيدةَ ومنهجَ الدعوة، والحماسةَ الدينية كابرًا عن كابر، حتى وصل إلى هذا الجيل، والشيء من معدنه لا يستغرب».

وقال الشيخ السيّد محمد رابع الحسني الندوي -رئيس الجامعة ندوة العلماء/ لكناؤ- في مقدمة «الموجز في أصول الفقه» (ص١٢):

«وهو مدرس فيه -الجامعة العربية/ باندا- للعلوم الشرعية، ولقد

قويت معرفته العلمية، وازدادت خبرته التعليمية في هذا الاختصاص لممارسته للموضوع، وقد تلقى المؤلف دراسته في جامعة ندوة العلماء أوّلاً، ثم في جامعة ديوبند، وعنده ذكاء ونباهة علمية، وشغف وذوق بالعلوم الإسلامية».

وقال العلامة بحر العلوم نعمة الله الأعظمي -رئيس قسم الحديث الشريف وعلومه بالجامعة دار العلوم/ ديوبند، ورئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند- في مقدمة «مقالات الأسعدي» (١/ ١٥): «إن شخصيّته لا تحتاج إلى تعريف، وهو من جِيَاد علماء العصر الراهن، وأمين مجمع الفقه الإسلامي بالهند».

قلتُ: وقد رأيتُ الشيخ بحر العُلوم أنه يراجع الشيخ الأسعدي في بعض المسائل الفقهية مما أشكل عليه.

وقال أمير الملة المفتي أبو القاسم النعماني -رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم/ ديوبند- في مقدمة «مقالات الأسعدي» (١/ ١٣): «عدادُه في العلماء البصراء، لم يختر لنفسه الطريقةَ السهلة، طريقةَ الصحافة وغيرها، بل اختار لنفسه طريقةَ التحقيق، طريقةَ الاستنباط وتطبيقِ الحكم الشرعي، وتتبُّعِ أحكامِ النوازل».

وقال لي حين بعثني إلى الشيخ الأسعدي لتدريب الفتاوى بعد تخرّجي من «قسم الإفتاء»: «اغتَنِمْ صحبتَه وشاوِرْه في أمرك كله، وهو مشفق عليك ومحبٌّ لك، وهو فقيهٌ فَطِنٌ يَقِظٌ، ذو علمٍ وورَعٍ وفِراسةٍ».

وقال شيخنا العلامة سعيد أحمد البالنبوري -شيخ الحديث النبويّ ورئيس هيئة التدريس بالجامعة دار العلوم/ ديوبند- في مقدمة «دار العلوم ديوبند» (ص٣٧): «وهذا الكتاب لأخينا الفاضل العلامة المحدث محمد عبيد الله الأسعدي المحترم، وقد تجشّم المتاعب في هذا العمل المبارك، وقام بجهد جهيد».

وقد سمعتُه -الشيخ البالنبوري- مرارًا يقول: «العلماء هؤلاء (وأشار إلى الشيخ الأسعدي)، لا يتعلّم أحدٌ حتى يتفرغ للعلم، كما يتفرغ فضيلة المفتي، وقد علمتُه أن جلَّ همّه مطالعةُ الكتب والتحقيق والتأليف، لا يضيع وقتاً من أوقاته، ولا يشتغل نفسه بما لا يعنيه».

قلتُ: نعم! وقد مكثتُ عنده نحو ثلاث سنوات فما رأيتُه جالسًا بدون عمل علمي من تأليف و تحقيق، أو تعليم وإفتاء، أو

تسبيح وتذكير، لا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يستمع إليه، حريصٌ على الوقت أشد من حرص الناس على المال، لا يغادر القلمَ والقِرْطاس في حَلِّه وسَفره، وصحته ومرضه، وقد رأيتُه في السفر والقطار والمحطة يطالع ويكتب ويصحح، يكون وقتُه مملوءًا بإفادة الطلبة، وتحقيق المسائل العَوِيصة، وإلقاءِ الدروس ونشر العلم.

ويوماً قال طالب بحضرة الشيخ البالنبوري: هكذا يقول مولانا الأسعدي، فردّه الشيخ البالنبوري وقال: هو لن يقول كذلك، بل لم تفهم كلامه، وقد علمتُه، وهو من العلماء المحققين المبرزين، لا يقول قولاً بلا تحقيق.

وقال شيخ الإسلام المفتي محمد تقي العثماني -شيخ الحديث ونائب رئيس الجامعة دار العلوم/ كراتشي- في مقدمة «دار العلوم ديوبند» (ص٣٩): «وإن أخانا في الله العالم الجليل والشاب النبيل الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي ألّف هذا الكتاب لتعريف هؤلاء العلماء وبيانِ تاريخهم ومآثرهم وإنجازاتهم العلمية والعملية...».

وقال الشيخ خالد سيف الله الرحماني -مؤسِّسُ ورئيس المعهد العلمي بحيدرآباد، والأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بالهند-:

«أتاح الله له فرصةَ الارتواء من كلا المركزَين العلميّين في الهند: دار العلوم ندوة العلماء، ودار العلوم/ ديوبند، بالإضافة إلى أنّه حظي بصحبة العالم الزاهد الشيخ المقرئ صديق أحمد الباندوي -رحمه الله تعالى- الذي كانت تذكّر نفسُه الكريمة أصحابَ رسول الله ﷺ، تَدرَّسَ عليه، ثم تُولِّي منصبَ التدريس تحت إشرافه وعنايته الخاصة مدة طويلة، حتى صار من أحبّ وأقرب الناس إليه، ولا يزال يَسقي حديقة شيخه (الشيخ الباندوي)، رزقه الله مواهب متنوّعة، فهو يَتولّى منصب التدريس بأحسن وجهٍ، وهو في مديرية «باندا»، وله مكانة رفيعة في الإفتاء، ونظرٌ عميق في التحقيق، وهو مكثر في التصنيف، قلّ ما يوجد من موضوعٍ هامٍّ إلا وله فيه تأليف.

وتزداد هذه المزايا العلميّة الظاهرة نوراً وجلاءً إذا قارنتها المكارم الباطنة من الإحسان والتزكية، التي جُبل عليه أخونا المحترم، فلم يكتف بصحبة «الصديق» رغم كفايتها، بل قصد بعد وفاته الشيخَ المفتي مظفر حسين -رئيس مظاهر علوم وقف سهارنفور، رحمه الله تعالى- وبايعه، وحصل منه على إجازة البيعة، وبعد وفاة الشيخ المظفر تزوّد بصحبة الشيخ المحدث يونس

الجونفوري، وأصلُ التصوّف إنما هو اتباع الشريعة والتمسك بالسنّة والتحلّي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ولا أرى هذه المحاسن اجتمعت في أحدٍ من أصدقائي، أكثر مما اجتمعت فيه؛ بالإضافة إلى التفوّق العلميّ وكرامة النسب».

كتبه وتآليفه :

ألّف شيخنا الأسعدي مؤلفات قيمة نافعة في موضوعات مختلفة، كلها تتسم بالإتقان والتحقيق، وسعة المطالعة والمعلومات، ويبلغ مجموع ما ألّفه أو حقّقه من الكتب والمؤلفات أكثر من خمسين ما بين كبير وصغير، وإليكم أسماء بعضها:

(الف) العربية :

(١) سبق الغايات في نسخ الآيات، لحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي. (تحقيق وتعليق).

(٢) العرف الشذي على الترمذي، للعلامة جراغ محمد. (تحقيق وتنقيح).

(٣) الموجز في أصول الفقه، قدم له الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وأبو الحسن علي الندوي –رحمهما الله تعالى–.

(٤٠)الوجيز: في قواعد الفقه، قدم له المفتي أحمد الخانفوري والشيخ خالد سيف الله الرحماني.

(٥) بين الضعيف والموضوع من الحديث، سلسلة مقالات نشرت في مجلة «البعث الإسلامي» في عدة حلقات، والآن قد طبعت من مكتبة اتحاد ديوبند.

(٦) دار العلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية جهادية دعوية، ومؤسسة تعليمية تربوية، طبع من مكتبة دار العلوم/ ديوبند. قدم له الشيخ أبو الحسن علي الندوي، والمفتي تقي العثماني.

(ب) الأردية:

(١) علوم القرآن.

(٢) علوم الحديث (في علم مصطلح الحديث)، قدم له محدث الهند حبيب الرحمن الأعظمي، والعلامة عبد الرشيد النعماني.

(٣) أحكام نماز أحاديث وآثار.

(٤) أصول الفقه، قدم له المفتي تقي العثماني.

(٥) اسلام مكمل دين مكمل تهذيب.

(٦) العشر والخراج في بلاد غير إسلامية، طبعه مجلس التحقيقات الشرعية في بريطانيا.

(٧) تحديد النسل، طبع من مكتبة إحسان «لكناؤ».

(٨) تسهيل البلاغة، طبع في الهند وباكستان.

(٩) إسعاد النحو، طبع في الهند وباكستان.

(١٠) خدمات علماء الهند في الفقه الإسلامي، سلسلة مقالات نشرت في مجلة «البلاغ» من دار العلوم/ الكراتشي.

(١١) تذكرة الصديق، (ترجمة العالم الرباني الشيخ الكامل صديق أحمد الباندوي -رحمه الله تعالى-.

(١٢) حياتِ جعفر، (ترجمة جدّ جده المجاهد الكبير الداعية المصلح جعفر علي البستوي الحسيني).

(١٣) مجموعة مقالات الأسعدي، المعروف بـ«جديد فقهي مباحث»، وهو في تسع مجلدات. قدم له العلامة بحر العلوم نعمة الله الأعظمي، وقدوة العلماء الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني.

❖ هذه كلماتٌ رتّبتُها على طلب بعض إخواننا من تلاميذ الشيخ ومُحبِّه ومعتقده من داخل الهند وخارجها من العالم الإسلامي، وفّقنا الله تعالى جميعاً لما يحب ويرضى.

وأدعو الله تعالى وأتضرّع إليه أن يُطيل علينا ظلال شيخنا بصحة وعافية، وأن يمتعنا بعلومه وفيوضه وبركاته دائماً أبداً.

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد،

فإنَّ الله تعالى أكرم علماء ديوبند - من علماء القرون المتأخرة - بما أكرمهم به، ومن ذلك أنه اختارهم من بين مسلمي شبه القارة الهندية وعلمائها، فجعلهم من طائفة جاء في وصفها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١)، وجاء من قول نبيه الكريم ﷺ : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" وفي رواية: " قائمة بأمر الله". (٢)

فحملوا راية الإسلام، ورفعوا كلمة الحق، وسعوا في إحياء السنة السنية، وشمروا عن ساق الجدِّ في إمحاء البدعة الشنيعة، لكن الشيطن لم يعجبه كل ذلك، فأغرى عليهم جماعة بعد جماعة ،

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢

(٢) رواه البخاري

وأثار فتنة بعد فتنة، بعناوين شتى، ومسائل مختلفة، تنتهي بهم إلى الحكم بالتكفير والشرك - لابالتفسيق والتضليل فقط- فحرّفوا كلامهم، وبهتوهم بماهم عنه برآء، وافتروا عليهم الافتراءات.

ومن ذلك مانرى من جماعة - ظهرت في شبه القارة الهندية - وانتحلت نسبة السلفية والانتماء إلى الأئمة الأعلام -محمد بن عبد الوهاب، وابن القيم، وابن تيمية شيخ الإسلام عليهم الرحمة والرضوان - وتوافقت معهم أقلام من لامعرفة لهم بعلماء ديوبند من قريب.

فجعلت هذه الجماعة تعمل -كهدفٍ أسمى لهم- في تشنيع أمر علماء ديوبند، وتوهين ما قاموا به من خدمات جليلة، في سبيل نشر العلم والدين وإصلاح العقيدة - وقد اعترف بها فحول علماء هذه الجماعة وكبارها - وذلك بتأليف كتب ورسائل تارةً باسم وأخرى بعنوان آخر، واستمدُّوا بكلٍّ إمكانياتهم لنشر مؤلفاتهم وكتاباتهم إلى أنحاء العالم.

ولمّا كان هذا مما يشوش خاطر العوام، ويشوّه وجوه علماء ديوبند عند الأعلام، وقد انتشر وانتهى - بفضل من الله ومنّه - اسمهم وعلمهم، وما قاموا به من الخدمات العلمية والدينية في النواحي المختلفة، إلى جميع أنحاء العالم، فلايوجد بقعة من الأرض إلاَّ كأنّك تجد فيها مدرسة تنتمي إليهم، أو كتاباً ينسب إليهم يتدارسونه ويتداولونه. كان من الضروري كشف الستار عن الحقائق، والسعي في تمييز الحق عما هو الباطل، فقام البعض وألّفوا رداً على هؤلاء المفترين؛ ليروهم وجوههم في ضوء ذلك، وقام الآخرون فكتبوا إيضاحاً وتبييناً لما هو الحق من مذهب علماء ديوبند وعقائدهم وأفكارهم.

ومن جملة ذلك هذا الكتاب -الذي هو بأيدي القراء- وهو لأخينا في الله الشيخ الفاضل المحدّث الفقيه **محمد عبيد الله الأسعدي** - عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية - هتورا- باندة (الهند)- وهو من أبناء هذه الجامعة - **الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند** - وقد نحا في إعداد هذا الكتاب منهجاً خاصاً يستدعي القارئ للخوض في الموضوع ويستهويه، فإنّه بدأ بتاريخ جامعة ديوبند وعلمائها، وزيّنه بنصوصٍ ومقتبساتٍ من كلام كبار العلماء والدعاة وكتاباتهم في الاعتراف بجهود **علماء ديوبند** - ومكانتهم - في المجالات العلمية والدعوية، ثم استعرض بعض المبادئ المهمة في العقيدة، ونقلها عن بعض الأعلام، وانتهى إلى بيان مذهب علماء ديوبند ومنهجهم في الفكر والعمل، فها هو الكتاب بين يديكم.

و يسرُّ **أكاديمية شيخ الهند** - بدارالعلوم ديوبند أن يقدّم هذا الكتاب إلى القراء الأفاضل الذي جاء - كما وصفه العلامة النَّدْوي حفظه الله - موسوعةً في تاريخ دارالعلوم ديوبند وحركتها، أعمالها ورجالها.

و أشكر- أولاً- المؤلّف الفاضل علىجهده العلميِّ القيِّم ، وقد تولى بنفسه -مشكوراً- مسئولية إخراج الكتاب على الحاسب الآلي بالشكل الأنيق الذي يجده عليه القارئ، ثم قدّمه إلى **أكاديمية شيخ الهند** لتتولى بدورها طبع الكتاب ونشره وتوزيعه. فجزاه الله عنا الخير ، وأجزل مثوبته.

ثم أشكر أصحاب الفضيلة العلماء الأعلام الذين تكرّموا بالنظر في الكتاب، فاستحسنوه وقدّموا له بما رفع من قيمة الكتاب العلمية والدعوية والتاريخية، فلهم -جميعاً - منا الشكر والامتنان.

ثم أرفع اسمى معالى الشكر و التقدير الىٰ صاحب السعادة الشيخ "مرغوب الرحمٰن "الموقر رئيس الجامعة وسماحة الشيخ "السيد اسعد المدنى"المحترم رئيس جمعية علماء الهند و فضيلة الشيخ "غلام رسول خاموش"الغجراتى وفضيلة الشيخ "ابى القاسم النعمانى" و الآخرين من اعضاء المجلس الاستشارى للجامعة على اذنهم بطبع هذا الكتاب من الاكاديمية

واشكر الاخ الكريم مزمل على الآسامى حفظه اللّٰه الذى تيسر لنا بمعونته وعنايته اخراج هذاالكتاب وتقديمه الى القراء .وبالمناسبة ارفع الشكر البالغ الى الاخ الفاضل محمد نسيم الباره بنكوى والاخ الفاضل عبد الخالق السنبهلى من اساتذة الجامعة ــ على اعادة النظر فى الكتاب واصلاح ما كان من الاخطاء المطبعية.

وإلى الله تعالى أتضرع أن يتقبل منا جميعاً هذا العمل ، ويجعله في موازين حسنات كل من سعى في إنجازه ثم في إخراجه. إنه تعالى سميع قريب مجيب .

بدر الدين أجمل القاسمى

عضوالمجلس الاستشارى للجامعة الاسلاميةدارالعلوم ديوبند
ومدير أكاديمية شيخ الهند

٥/ذى الحجه عام ١٤٢٠ه‍ـ ١٢/مارس عام ٢٠٠٠م

النسب العلمي

تنتمي هذه الجامعة الى الامام الحكيم ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي صاحب مدرسة فكرية معروفة الذي قام بدور عظيم في حفظ الكيان الاسلامي في الهند ' وامتاز في عرض الشريعة الاسلامية عرضا يتطابق مع مقتضيات عصره' واليه يرجع الفضل في نشر السنة في ربوع الهند' له مؤلفات تتدفق حكمة وعلما' وتدل على امامته و سمو مكانته بين الائمة و الاعلام .

انتقلت روح تلك الامانة العلمية بواسطة احفاده الاجلاء الى الامام الحكيم الشيخ محمد قاسم النانوتوي المعروف بشدة ذكائه وعلو كعبه في شرح العقائد الاسلامية في اسلوب كلامي رصين' والى الفقيه العلامة رشيد احمد الكنكوهي' ومنهما ورث علماء دار العلوم منهج الامام ولي الله الدهلوي في عرض الاسلام وشرح تعاليم الكتاب و السنة .

رضينا بالله رباً وبمحمدٍ نبياً وبالإسلام ديناً

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين والمعصومين، وعلى أئمة الهدى والدين، الذين تمسكوا بالكتاب وسنة الرسول الأمين، واستنبطوا منها الشرائع الفرعية ببذل الصدق واليقين، وصدّقوا صحف الأولين، وجعلوا الكعبة المقدسة قبلةً لقرباتهم وهي مركزٌ للعالمين، فرضينا بالله رباً وإلهاً، وبمحمد - ﷺ - رسولاً ونبياً، و بالإسلام ديناً وشريعةً، وبالإيمان محبةً واعتقاداً، وبالإحسان تزكيةً ومعرفةً، وبدفاع الفتن إعلاءً وإظهاراً، وبتداول الأيام عبرةً ونصيحةً، وبالقرآن حجةً وإماماً، وبالحديث شرحاً وبياناً، وبالفقه تفريعاً وتفصيلاً، وبالكلام تعقلاً وتدليلاً، وبالرسل تصديقاً وإقراراً، وبالكتب المنزّلة إيقاناً وشهادةً، وبالملائكة عصمةً وتدبيراً، وبالشخصيات المقدّسة حباً وانقياداً، وبتربيتهم سمعاً وطاعةً، وبالكلمة الطيبة جمعاً واجتماعاً، وبالكعبة المعظّمة قبلةً وجهةً، وبجميع شرائع الله تعظيماً وتبجيلاً، وبالقضاء والقدر رضاءً وتسليماً، وباليوم الآخر حشراً ونشراً، وبالبعث والوقوف صدقاً وعدلاً، وبجميع هذه الأمور مسلكًا (مذهبا) ومشرباً، وكفانا هذا الرضاء سرّاً وعلانيةً.

وبعدُ فإنّ هذا بيانٌ لمسلك (مذهب) أهل الحق و الإتقان، وشرحٌ لمشرب أهل الصدق والإيقان، وإيضاحٌ لذوق أهل المحبة والعرفان، فنسأل الله التوفيقَ والسدادَ، والعدلَ والاقتصادَ، وبه الثقةُ وعليه الاعتمادُ.

العلامة المقرئ محمد طيب رحمه الله

رئيس دار العلوم ديوبند السابق في أول كتابه:
"علماء ديوبند واتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي"

ما قرّت عيني بشيءٍ في الهند
كما قرت برؤية مدرسة ديوبند

"..على أنني رأيت في **مدرسة ديوبند** التي تُلقّب بـ **"أزهر الهند"** نهضةً علميةً جديدةً، أرجو أن يكون لها نفعٌ عظيم،..ما قرّت عيني بشيءٍ في الهند كما قرت برؤية **مدرسة ديوبند**، ولا سُرِرتُ بشيءٍ هناك كسرورها؛ بما لاح لها من الغيرة و الإخلاص في علماء هذه المدرسة، وكان كثيرٌ من إخواني المسلمين في بلادٍ مختلفةٍ يذكرون لي هذه المدرسة، ويصف رجالُ الدنيا منهم علماءَها بالجمود والتعصب، ويظهرون رغبتهم في إصلاح وتعميم نفعها وقد رأيتُهم - ولله الحمد- فوقَ جميع ما سمعتُ عنهم من ثناءٍ و انتقادٍ،

..وجملة القول إنّ التعليم الديني كان قد ضعف في الهند كما ضعف في سائر الأقطار، وقد طفق يجدّدُ قوته، ويعيد ما فقد من استقلاله، ويُصلح ما فسد من طرقه وأساليبه، ويوشك أن يظهر أثر الإصلاح و نتيجته في "ديوبند" قبل ظهورهما في " **الأزهر**."

العلامة السيد رشيد رضا

دار العلوم ديوبند كمايراها شيخ ألازهر

زرت دار العلوم بديوبند وسعدت بأن قضيت فيها ساعات، فرأيت طلبة مجدين صادقين فى تعلم العلم ورأيت اساتذة اخلصوا لله قلوبهم، امّا شيخ الدار ووكيله فانهما على تقوى وعلى علم جم.وهى هذه المجموعة الكبيرة من الخريجين الذين ينتشرون فى طول البلاد وعرضها مبشرين بالهداية و العلم .

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الازهر

" الجامعة الإسلامية **دار العلوم ديوبند** كالشمس في رابعة النهار شهرةً، وعَلَمٌ شامخ بين المدارس والجامعات ، وعلماؤها أعلام شامخة بين العلماء."

سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل

"...شاءت إرادة الله سبحانه و تعالى أن يكرمني بزيارة هذه الجامعة العريقة التي أُسِّسَت على التقوى، لتحافظ على حفظ القرآن و فقه السنة، والتخاطب و الكتابة باللسان العربي، و ذلك في مواجهة ما خطَّط له الإنجليز من تغريب المسلمين و علمنتهم في شبه القارة الهندية، و قد قامت الجامعة بدورٍ رائدٍ منذ أُسِّست قبل أكثرَ من قرنٍ و ربع قرنٍ من الزمان، وخرَّجت للمسلمين علماءَ أجلاء، وفقهاءَ، ودعاةً، ومفتين لا يُحصون عدداً، فأسهمت أيّما إسهامٍ في الحفاظ على الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند"

معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي

سنة الأنبياء والرسل

"ولما كان مشايخنا رضي الله تعالى عنهم يسعون في إحياء السنة ويشمرون في إخماد نيران البدعة غضب جند إبليس عليهم وحرّفوا كلامهم، وبهتوهم، وافتروا عليهم الافتراءات، رموهم بالوهابية (أي بمعناها المقصود عندهم، المشوّهة صورةً المقبحة طريقة) وحاشاهم عن ذلك. (١)

بل تلك سنة الله التي سنّها في خواص أوليائه كما قال الله تعالى في كتابه:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

فلما كان ذلك في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وجب أن يكون في خلفائهم ومن يقوم مقامهم، كما قال رسول الله ﷺ: "نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل"؛ ليتوفر حظهم ويكمل أجرهم.

فالذين ابتدعوا البدعات، ومالوا إلى الشهوات، واتخذوا إلههم هوىً، وألقوا أنفسهم في هاوية الردي، يفترون علينا الأكاذيب والأباطيل، وينسبون إلينا الأضاليل.

العلامة المحدث خليل أحمد السهارنفوري

(المهنّد على المفنّد ص: ٤و٥)

---

(١) لتصور الخلفية عن كلمة "الوهابية" في ذلك العصر، ومعرفة الموقف الأخير للعلامة السهارنفوري في الموضوع، انظر كتاب: "دعايات مكثّفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب" لفضيلة الشيخ محمد منظور النعماني رحمه الله، وص:٥٧-٥٩ و ص: ٧٤٥-٧٥٤ من هذا الكتاب.

أهم سمات دار العلوم ديوبند وخصائصها

الخصيصة الأولى :

أهم ما تتّسم به حركة ديوبند الإصلاحية والتجديدية والفكرية والعلمية أنهم - بإلهام من الله تعالى وبتوفيق منه -ركّزوا عنايتهم على حماية التوحيد والسنة المطهرة،مع الابتعاد عن إثارة الخلافات الفقهية الجزئية.

فقد ركّزوا -بتوفيق من الله سبحانه وتعالى- **على عقيدة التوحيد النقية الصافية، العقيدة التي تجلت في رسالة تقوية الإيمان للعلامة الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي** -رحمه الله- **وقد كانت هذه الرسالة ضربة قاصمة قاضية، وكانت حجة على الشعب المسلم الهندي في لغته وفي أسلوب عصره.** (١)

فاستطاع **علماء ديوبند** - بتوفيق من الله وتيسير منه - التركيز على عقيدة التوحيد، واتباع السنة، من غير أن يثيروا الخلافات الفقهية الجزئية، فإنهم عرفوا أنهم إذا تشاغلوا بإثارة هذه المسائل الجزئية - التي هي أليق بالعلماء وبحلقات الدرس في المدارس والجامعات الدينية - **فإنهم يجاهدون في غير عدو، وإنهم يبذلون طاقتهم وما يملكونه من قوة في غير محله.**

---

(١) وقد نقله إلى العربية سماحة الشيخ النّدْوي بعنوان: رسالة التوحيد

وهو إرث ورثته هذه الدار عــن الإمــام ولي الله الدهلــوي ، والسيد أحمد بن عرفان الشهيد والعلامة إسماعيل الشهيد - رحمهم الله تعالى- وكان ذلك بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، ومن ثَمّ كـان تأثيرُ علماء ديوبند في الجماهير المسلمة الهندية كبيراً.

الخصيصة الثانية :

الاهتمامُ بإصلاح الباطن، وتقويةُ الصلــة بـالله، والإيمـانُ، والاحتسابُ، والعنايةُ بذكر لله تعالى واستحضاره .

الخصيصة الثالثة :

عاطفةُ الجهاد لإعلاء كلمة الله تعـــالى، والحميــةُ الدينيــة، وإنَّ الديوبندي لايكون ديوبنديا إلا إذا اكتملت فيه هذه الخصائص والعناصر السابقة . (١)

سماحة الداعية الشيخ

أبوالحسن علي الحسني النّدوي

---

(١) في كلمته في الاحتفال المئوي لدار العلوم ديوبند (نقلا عن الشريط الســمعي وعــن كتابــه: في مسيرة الحياة ١/٢/٤٠)

هذا الكتاب

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى..أما بعد،

فقد ظهرت في شبه القارة الهندية – جماعة لقّبوا أنفسهم بـ"**السلفية**"، وبدأوا يتظاهرون – في الآونة الأخيرة – الانتماءَ إلى **شيخ الإسلام ابن تيمية**، وتلميذه **ابن القيم**، و**الشيخ محمد بن عبدالوهاب** رحمهم الله تعالى – والحق أنّ هذا الانتماء انتحالٌ محض (١).

وقد عُرِفَ أوائلُهم بـ"**غير المقلدين**" أو بـ"**أهل الحديث**" (٢) و لم يزالوا كذلك في البلاد، فتعرف جمعياتهم ومنظّماتهم الدعويةُ ومؤسّساتهم التعليميةُ بـ"**أهل الحديث**" .

وقد تخرج – واستفاد – أعلام هذه الجماعة في **مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي**- العلمية والدعوية – نفسها، التي تنتمي إليها **مدرسةُ *ديوبند***- ومثيلاتها وشقيقاتها- والتي كانت أخيراً مركزًا لتعليم السنة و علومها .

---

(١) فقد أنكر أكابرهم وأوائلهم على **شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** لكونه مقلّداً حنبليَّ المذهب -كما سيأتي – وذلك مالايستطيعون إنكاره بحجة عدم تبين الحق، أو وصول المعلومات الخاطئة في أول الأمر.

(٢) وعُرِفوا قبلها بـ"**الموحدين**" و"**المحمديين**"وانظر لمزيد من التفصيل عن تقلبهم في اختيار الألقاب "**وقفة مع اللامذهبية**" للأستاذ أبي بكرالغازيفوري ص: ٢٧-٣٠

وإنما اختلفوا مع الجماهير من تلاميذ هذا البيت العلمي بل مع أنجال الإمام الدهلوي الأربعة - المعروفين بالعلم والعدالة - بل و مع الإمام الدهلوي نفسه، وحفيده الشهيد الذي ينتمون إليه خاصة ويدعون أنه كان أول إمام ورائدلهم - في مسائل فرعية -فقهية وغير فقهيه - وفي زيادة الاعتماد على الأحاديث في العمل بالفروع - مع عدم إيفاء الشروط المعتبرة لذلك- وفي تحريم التقليد (التقيُّد) بمذهب فقهيٍّ معيَّنٍ من المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة (١)، وقد جاءوا في هذا الخلاف بعجب وعجاب من مسائل الفقه (٢). وقد عُرِف بعضهم بشدة الإنكار على التقليد واتباع المذهب الفقهيّ أيّاً كان ، وسيما التشنيع على العمل بالمذهب الحنفي، السائد الشائع في أكثر بلاد شبه القارة الهندية.

وقد استهوت الشياطين بالمتأخرين منهم، فألهتهم عن خدمة الدين والدفاع عن حوزته ، ومقاومة الغزو الفكري الهاجم على الأمة الإسلامية من أطراف شتى، بأكل لحوم العلماء، والنيل من مكانتهم، والخوض في أعراضهم، فانشغلوا بالطعن في علماء عُرِفوا - كما نحسبهم والله حسيبهم، ولا نُزكّيهم عليه - بصحة العقيدة واستقامة الفكر، والإخلاص في العمل، والاعتماد على الله والتوجه إليه، وكانت لهم جهود مشكورة في إصلاح العقيدة، وتصحيح المسار الفكري في البلاد، وخدمة العلوم الإسلامية والسنة النبوية على الأخص ونشرها.

---

(١) انظر لمزيد من التفصيل عن نشأة جماعة أهل الحديث في شبه القارة الهندية كتاب:" الثقافة الإسلامية في الهند" للعالم المؤرخ الأديب عبدالحي بن فخرالدين الحسني ص: ١٠٢- ١٠٤، و"تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" للأستاذ مسعودعالم النَّدْوي ص: ١٩٠-١٩٣، و: أضواء على الحركات والدعوات الدينية..."لسماحة الشيخ النَّدْوي.

(٢) راجع كتاب "مسائل غير المقلّدين" للأستاذ أبي بكر الغازيفوري وهو بالأردية وله كتب اخرى بالعربية أيضاً .

وقد بذلوا في ذلك النفس والنفيس، وتحمّلوا في سبيله أشد العذاب، وأقسى الإيذاء، وقد اعترف بذلك وأقرّ - بخدماتهم الجليلة المشكورة - علماء هذه الجماعة أيضاً طوعاً أو كرهاً (١).

وبدأت هذه الجماعة تتهمهم بما تبرأ عنه هؤلاء على ملأ الشهود، وشنّعوهم بما امتلأت به مصنّفاتُ أكابرهم أنفسهم (٢)، وبذلوا في ذلك كل ما وسعهم من الجهد والوقت، واستفادوا من جميع ما تمكنوا من الوسائل .

والمؤسف أنه تضامنت معهم أقلام عربية وألسُنٌ، فقالوا مثل قولتهم وردّدوا ما تناقلوه لهم من الكذب والافتراء، ففقدوا المنهج العلمي السليم في نقد الرجال ، والحكم عليهم ، ونسوا أو تناسوا مبدأ العدل الشامل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣)

فتسرّعوا في الحكم بالكفر والشرك على علماءَ شهدلهم التاريخ الإسلامي بالدعوة إلى التوحيد الخالص ، ومحاربة الكفر والشرك بجميع أنواعه ، وتصحيح العقيدة، وإزالة البدع والخرافات على تنوعها وانتشارها في البلاد، والعمل المخلص الجادّ الدؤوب في مختلف مجالات الحياة ، ولولا فضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بعباده، ثم جهود هؤلاء العلماء الغيورين على دينهم لاندثر الإسلام - لاقدر الله - في المنطقة ، واختفت آثاره(٤). فالله المستعان على ما يصفون.

---

(١) انظر "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" للدكتور عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي

(٢) راجع كتاب "وقفة مع اللامذهبية في شبه القارة الهندية"

(٣) سورة المائدة : ٨

(٤) راجع تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند و أضواء على الحركات الدينية ....

وتنبيهاً لهولاء وأولئك ، وبياناً للحق و إظهاراً للصواب ، و وفاءً بالمعهد العلمي الإسلامي الذي درست فيه أنا وأساتذتي ومشايخي، وأداءً لحق الجماعة التي أنتسب إليها ، و إليها تنتسب وتنتمي أسرتي، ونعتز بهذه النسبة الكريمة الحبيبة، بدون فخر، **أقدّم هذا الجهد المتواضع إلى العالم العربي الإسلامي** سائلاً المولى الكريم سبحانه وتعالى أن يرشدناجميعًا إلى الحق والصواب، ويرزقنا اتباعه، فهو ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

وهذا الكتاب إنما هدفه – أولاً وأساساً – هو التعريف بـ **علماء ديوبند عقيدتهم و منهجهم** – والتصوير عن تفكيرهم، وبحثهم في مسائل الدين. واخترت فيه الإيجاز، قصدًا للتوصُّل إلى المطلوب في قليل من الكلمات، وإعراضاً عن التفصيل والتعليل ، من غير أن يعوزه استناد وتعويل .

كما أنّي لم أتعرض فيه إلا لمسائل وأمور كثُر عنها القيل والقال، أو بدا ذلك لكاتب هذا المقال، وأيضاً لم أقصد فيه الاستيعاب فالكتاب خالٍ عن الإسهاب والإطناب.

وإنّما كبر حجمه و كثرت أوراقه لأجل بيان المعتقد و المنهج من عدة جهات أو في شتى عبارات، قصدًا لنقلها من الأشخاص المختلفين أو زيادة الإيضاح حسب الاحتياج، أو تائيد المأثور عن *علماء ديوبند* بما جاء في كتب أئمة السلفية ، وكل ذلك ليتضح لنا جليا منهج هذه الجماعة وعلمائها، ومذهبهم في باب العقيدة : الإيمان والتوحيد ونحوها.

= و "المسلمون في الهند" و "الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية" وغيرها.

. وهذا بالنسبة إلى أصل الكتاب وهدفه، ثم الذي زاده ضعفين وجعله مثليه ،ذكرُ ***جامعة ديوبند وعلمائها***، تأسيسها وحركتها، أعمالها ومآثرها، بنوعٍ من التفصيل.

والدافع لهذا العمل كتابٌ طُبع حديثًا – وهو ليس بوحيد في موضوعه، ولافريد من نوعه، بل له سوابق ولواحق -- أراد به مؤلفه تشويه صورة جماعة **علماء ديوبند** وتقبيح وجوههم، وتقليل أعمال هذه الجماعة ، وتحقير خدماتهم، بذكر ما هو الباطل مع الحق، ويخلط ما هو الحق مع الباطل، والكتاب بمضمونه شاهد على أنه لم يقُصد بالكتاب المذكور إظهار الحق وبيانه، ***وإنّما المقصود التفريق بين الأمة وتشتيت أمرها، بتشويه سمعة جماعة العلماء الذين لهم كبير تأثير في الأمة الإسلامية في المنطقة، وبتضعيفهم يتم إضعاف المسلمين، وقطع صلتهم عن علمائهم ثم عن دينهم، خضعوا لكيد الشيطان وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.***

ألا وهو كتاب **"الديوبندية – تعريفها وعقائدها"** لصاحبه السيد طالب الرحمن – *تهذيب أبي المكرم عبد الجليل المكتي بأبي حسان الأنصاري*- (١) (طبع دارالكتاب والسنة بباكستان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ) كتابٌ ما أحسن صورته وما أقبح سيرته ؛ لأنّه بمجموعه ليس إلا من تلبيس إبليس أعاذنا الله تعالى من مثل هذه الأعمال.

وهذا الكتاب لا يعني بما فيه هذه الجماعةَ وعلماءَها فقط، وإنّما يشين سواد أهل السنة والجماعة في هذه البلاد ومسلميها ، لأن *الديوبندي – في شبه القارة* – أصبح لقباً لكل مسلمٍ ، مستقيم العقيدة متبعٍ للسنة. (٢)

---

(١) وبتأييد من كبار علماء هذه الجماعة المعاصرين بدليل وجود إعلان كتاب "الرحيق المختوم" على ظهر الغلاف، ومما يؤسفنا جميعاًتداول هذا الكتاب-المفرِّق بين الأمة-في أسواق العالم العربي، وبالأخص في دول الخليج والجزيرة العربية، فإلى الله المشتكى.

(٢) انظر ص: ٥٤، و كتاب: **دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.**

هذا وإنّ تجدّد النسبة لتغير الزمان والمكان، والحسد والبغضاء من الإخوان، أنشأ توهمات، وأثار ما يتكدّر به الجو من تغيّمات، كل ذلك دعانا وأفضى بنا - جماعتنا علماءها (١) وطلابها، ومنهم هذا الطالب الكاتب - إلى وضع رسائل وكتب تتضمن بيان عقائد هذه الجماعة، مسلكها ومذهبها، وخدماتها وتأثيرها في الشعب، ونجاحها في مهمتها (٢)، وإلا فلم تكن هناك أية حاجة في الواقع إلى كتاب مستقلٍ في هذا الموضوع، لأن *علماء ديوبند* - أو *الديوبنديين*، ليسوا فرقة من الفرق المستحدثة، شقت طريقًا فكريًا أو عملياً يختلف عن طريق جمهور الأمة المسلمة بل إنهم يتبعون في تفسير الإسلام وعرضه نفس المسلك الذي سلكه جمهور علماء الأمة عبر أربعة عشر قرنا - فإنهم حقاً- من أهل السنة والجماعة بل أحق بهذا الاسم من كل من يدعي هذه النسبة في المنطقة.

وهذا الكتاب - " كتاب الديوبندية "- كان استولى على فكري منذ أن وقفت عليه وقرأت فذكرت لبعض العلماء من الأساتذة وغيرهم أن يلفتوا أنظارهم ويصرفوا جهودهم إلى القيام بأعمال مناسبة في تعريف عقائد هذه الجماعة وأفكارهم ونشرها، وكشف القناع عن مثل هذه الجهود المنكوسة .

---

(١) وعلى رأسهم سماحة شيخنا أبي الحسن النّدْوي الذي ألّف - *بأسلوبه العلمي الدعوي النزيه*- رسالته القيمة - الصغيرة في الحجم والعظيمة في مضمونها العلمي وقيمتها المعنوية- "*أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ، ومدارسها الفكرية، ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند، ودورها ونجاحها في إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية والخرافية، والدعوة إلى الدين الحنيف الخالص والانتفاضة الإسلامية*" ط المجمع الإسلامي العلمي- ندوة العلماء، الهند

(٢) وكردة فعل على كتاب الديوبندية المذكور ظهرت كتب الأستاذين *أبي بكر الغازي فوري وبدر الحسن القاسمي*.

ومازال الموضوع يشغل ذهني وفكري حتى ألجأني إلى أن أخوض أنا بنفسي في هذا الميدان، وأنتصب لهذا العمل الجليل – مع علمي القليل والمستوى الضئيل– فاستعنت بالله تعالى وبذلت جهدي في عمله بصدد تحقيق الموضوع حسب مستطاعي ووفق مستوى علمي، وعاقتني عوائق ، وعطلتني مشاكل في هذه الفترة – أهمُّها وأصعبُها عليَّ وأحزنها، حادثة وفاة أبي ومربي الجليل الشيخ محمد مرتضى المظاهري رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

لكن بعون الله تعالى وفضله لم أترك العمل و لم يزل يشغلني حتى استطعت أن أقدِّم جهدي المتواضع – في صورة هذا الكتاب– إلى القراء الكرام ، ولا أدري مبلغ جهودي ومنتهى مساعي بل الأمر موكول ومفوَّض إلى القراء .

والَّذي يسرُّني ويُسعدني هنا – هو أنَّ من وقف على عملي هذا– من العلماء الأجلاَّء منهم والأصدقاء – ابتهج بهذا الخبر و أعجبه في الكتاب النظرُ.

وإنَّما قمت بهذا العمل الجليل – مع قلة بضاعتي في العلم والمعرفة ، وضآلة الممارسة بالعربية – معتقداً بأنَّ هذا واجب كفائي يتوجه إلى جماعتنا من الذين ينتمون إلى *جامعة ديوبند* وإلى علمائها، ويتشبثون بعقيدتهم وفكرتهم ، فأنا أيضاً من آحاد هذه الجماعة التي ترجع إليهم مسئولية الكشف عن الحق من الباطل، وقد قضيت في رحاب هذه الجامعة – وتربيت بلبانها– ثلاث سنوات.

و لم يكن جهدي ، وعملي ، في غالب هذا الكتاب وترتيبه ، إلا النقل – لا سيما عن نشأة الدار وأهدافها– عن العلماء الأوائل ، والأفاضل الأماثل من هذه الجماعة، الذين علمهم ومعرفتهم وتقواهم وهداهم هي الثروة الغالية والبضاعة العالية التي تفتخر بها هذه الجماعة وتعتزُّبها .

والكتاب جعلته في ثلاثة أقسام أساسية :

القسم الأول: جامعة دار العلوم ديوبند، تأسيسها، أعمالها ، رجالها وحركتها.

القسم الثاني: بعض المبادئ من عقائد أهل السنة والجماعة وأفكارهم.

القسم الثالث: مذهب علماء ديوبند - عقيدتهم ومنهجهم.

فالقسم الأول: بذلت فيه اهتمامي بتعريف جامعة دار العلوم ديوبند بجميع أحوالها ، والتعريف بعلمائها، من تأسيس هذه الجامعة، وميزاتها وخصائصها، وأهدافها وأصولها ، وعدد طلابها وخريجيها وميزانيتها ومواردها المالية .

ثم الحديث عن خدمات وأعمال قام بها علماء هذه الجامعة، مؤسسوها، وأساتذتها وخرّيجوها والمنتمون إليها، في مجالات علمية وعملية، خَدَمَت الإسلام وقوّت شوكة المسلمين ، بما فيه صيانة الدين وحمايتهُ ، ونشره والدفاع عنه .

والقسم الثالث: جعلته في ستة أبواب مع مقدمة،

فالمقدمة في بيان مجمل ما عليه هذه الجماعة عقيدةً وفكراً .

والباب الأول :في مسائل الإيمان، والباب الثاني: في مسائل التوحيد، والباب الثالث: في مسائل النبوة، والباب الرابع: في الولاية والأولياء، والباب الخامس: في المشاهير ورجال الأمة ، والباب السادس: كأنه تتمة ، وفيه عدة أبحاث: أهمُّها العمل بالسنة ، والسنة والبدعة ، وتقليد الأئمة الأربعة ، والتقيُّد بأحد المذاهب الفقهية المعروفة .

أمّا القسم الثاني فمحتوياته كالتمهيد والتأييد لما جاء في القسم الثالث، فإنّه قُصد به بيان وإيضاح أنّ معتقدات علماء ديوبند وأفكارهم التي يطّلِع عليها القارئ من خلال الأبحاث المقدمة في القسم الثالث من هذا الكتاب -وفي غيره من المصادر الموثوقة أيضًا -هي- بالجملة- ماكان ولا يزال عليه سوادالأمّة من علمائهم وعامتهم.

ويشتمل هذا القسم على خمسة مباحث، أعددت الأول والثالث - منها - تلخيصًا -واقتباساً- من بعض الكتب والأبحاث، والبقية بنصّها من كلامِ مَنْ أحيل إليه آخر كل مبحث أو اقتباس، وهي كالآتي:

المبحث الأول : أهل السنة والجماعة، والأشعرية والماتريدية ودورُهم في الدفاع عن أهل السنة.

المبحث الثاني : السلوك والتصوف بين الواقع والتعبير .

المبحث الثالث : موقف الأئمة السلفية من الإحسان والتزكية، والتصوف والصوفية.

المبحث الرابع : كلمة في التصوف والصوفية .

المبحث الخامس : قاعدة شريفة في المعجزة والكرامات .

وعمادتي في تأليف هذا الكتاب وبيان المذهب كتب المتقدمين من علماء هذه الجماعة وكتاباتهم - لا المتأخرين- ولا سيما كتاب " **المهنّد على المفنّد** " *للشيخ المحدث خليل أحمد السهارنبوري* رحمه الله ، وكتاب " **علماء ديوبند: اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي**" *للشيخ محمد طيب القاسمي* رحمه الله رئيس الجامعة سابقاً، ثم ماأخذت مما تفرق وانتثر في الكتب من كلام *الشيخ الإمام محمد قاسم النانوتوي* رحمه الله، *والشيخ الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي، إلى تلاميذ تلميذهما* - *شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي* - من *الشيخ أشرف علي التهانوي والعلامة أنورشاه الكشميري*، والشيخ *شبير أحمد العثماني*، وقلما راجعت طبقة من دونهم. والذين أخذت منهم من هذه الطبقة -طبقة تلاميذ العلامة التهانوي والعلامة أنورالكشميري- المفتي محمد شفيع الديوبندي، والشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ ظفر أحمد التهانوي رحمهم الله، فإنهم وإن كانوا من طبقة تلاميذ التهانوي والكشميري

والعثماني، لكنهم في العلم والمعرفة بحيث إنهم كانوا يزاحمونهم في البحث والتحقيق، فكأنهم كانوا من طبقتهم، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.(١)

وإنما أكثرتُ النقل من الشيخين *ابن تيمية وابن القيم* - عليهما الرحمة والرضوان - لما جاء في كلامهما مما يؤيّد موقف ***علماء ديوبند*** - في عدة مسائل بل في معظمها وغالبها - وليس ذلك من أجل الاستدلال والتدليل - ولكن بصدد التأييد وقصد التوضيح، لجلالة شأنهما ومكانتهما العلمية - واعتماد إخواننا العرب على كلامهما، وارتياحهم لرأيهما أكثر- وهذا هو العامل والمؤثر في وضع القسم الثاني من الكتاب، وفي زيادة الاعتناء فيه بآراء **شيخ الإسلام ابن تيمية** - رحمه الله تعالى - وبالأخص في قضية التصوف والخوارق.

كما أنني أطلت في ذكرهما - شيخ *الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم*- وذكر **الشيخ محمدبن عبدالوهاب** رحمهم الله تعالى في باب : **"المشاهير ورجال الأمة"** لإيضاح موقف ***علماء ديوبند*** - خصوصاً وعلماء الأمة عمومًا - من هؤلاء وآرائهم.

وقد طوّلت ذكر حفيد الإمام الدهلوي - ***الإمام محمد إسماعيل الشهيد***، وموقفه من تكفير المسلمين بارتكاب الشنائع من البدع والخرافات ، وكذا ذكرموقف هذا البيت الكريم- بيت الإمام الدهلوي - من الاجتهاد والتقليد؛ لأنَّ صاحب كتاب "الديوبندية" - وكل من هو على دينه وديدنه - يثيرون شبهات حول هذا الجانب، مع أن كل ذلك توهمات وخزعبلات، حفظنا الله تعالى وجميع المسلمين من جميع أنواع السوء والمعاصي .

---

(١) راجع للوقوف على تراجم هؤلاء الأعلام : **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** (نزهة الخواطروبهجة المسامع والنواظر) للعلامة الشيخ عبدالحي الحسني رحمه الله [والد الشيخ النّدْوي حفظه الله تعالى]

والقسم الأول من الكتاب استفدت في إعداده وترتيبه بأعدادٍ من مجلة *"الداعي"* سيما العدد الخاص *بدارالعلوم* الذي أصدرتها *دارالعلوم* بمناسبة مهرجانها المئوي ، ثم بكتاب: *"تاريخ دارالعلوم ديوبند"* للشيخ محبوب أحمد الرضوي، ومقدمة كتاب *"لآلي منثورة"* ، ولاسيما كتاب *"العناقيد الغالية في الأسانيد العالية"* ، للشيخ محمد عاشق إلهي البرني المدني، كما استفدت من غيرها أيضًا كمؤلفات سماحة الشيخ **أبي الحسن علي الحسني النّدْوي** وغيره من العلماء، ومعظم هذه الكتب بالعربية ولم آخذ منها المعلومات فحسب بل العبارات والقطع أيضًا - مع تصرفٍ يسيرٍ أحياناً حذفاً وزيادةً حسب مقتضى السياق - فأحياناً ذكرتُ المرجع وأحلت إليه، وأخرى أعرضت عن ذلك، ولكن لم أغفل عن الشكر والامتنان لأصحابها.

فأولاً : أحمده سبحانه وتعالى على أن وفّقني لهذا العمل ، فما كان فيه من المحاسن فكل ذلك منه تعالى ومن كرمه وفضله، وأمّا الأخطاء والمساوي فكل ذلك مني - ومن الشيطان - ومن قلة بضاعتي ، كيف وأني لست من رجال الكلام ، ولا لي معرفة خاصة بأبحاثه ، فضلاً عن الممارسة بها والنظرفيها، وإنّما تشجعت لهذا العمل لماشعرت من حاجة ماسة إليه.

ثانياً: من أعماق قلبي -أقدّمُ الشكر الجزيل لكل من له مساهمة ومشاركة في إعداد هذا العمل ثم في ظهوره، سواءً كان ذلك بالتشجيع والتحسين، أو بالإشارة والإرشاد إلى السداد ، أو بالاستفاضة منه والاستفادة من كتبه وكتاباته، أحياءً كانوا أم أمواتاً .

ولا سيّما أشكر بعض أفاضل العلماء الذين تكرموا بالاطلاع على المسودة، ثم أبدوا رأيهم وملاحظاتهم فيها، مما استفدتُ بها في آخر أشكال

هذا الكتاب الذي هو بأيدي القراء ، منهم : *الشيخ العلامة المحدث محمد تقي العثماني* - *نجل الشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي مؤسس جامعة دارالعلوم كراتشي* - والشيخ **محمد تقي** هو صاحب **تكملة فتح الملهم**، ونائب عميد دارالعلوم بكراتشي حالياً، والقاضي بمحكمة التميز في دولة باكستان ، ويُعَدُّ من أعلام علماء شبه القارة و *علماء ديوبند* ، بل من علماء الإسلام المعروفين بالعلم والعدالة ، ومنهم: **الشيخ سعيد أحمد البالنبوري** أحد الأساتذة البارعين، والعلماء الأفاضل في **جامعة دارالعلوم *ديوبند***، فإني قدمت صورة من المسودة إلى **جامعة دارالعلوم *ديوبند*** لينظرفيها أساتذتها، وينبّهوني على ملاحظاتهم على الكتاب، **فالشيخ سعيد** اعتنى بذلك اعتناءً خاصاً ونبّهني على أمور مهمة استفدت منها.

وأجزل الشكر منّي لمربينا الجليل *سماحة الشيخ الداعية أبي الحسن علي الحسني النّدْوي* حفظه الله تعالى على تقديمه للكتاب بعدما تكرم بالنظرفيه، والاطلاع على محتوياته.

*وهنا لابد لي أن أذكر وأشكر **جامعتي** [الجامعة العربية بهتورا] وأدعو لها، التي قمت بهذا العمل في رحابها، فإن جوّها كان خير مساعد لي- ولاتزال بحمدالله تعالى- تهيئ لي فرصاً لمثل هذه الأعمال، صانها الله من كل سوء وأدامها.*

وجزيل شكري وعظيم امتناني لـ **أكاديمية شيخ الهند** وأصحاب **الفضيلة أعضاء مجلس الشورى لدارالعلوم** على ارتضائهم هذا الجهد المتواضع - *الذي لأعتبره إلا نواة لمشروع كبير، ومحرضا لأصحاب العلم والفضل من أبناء الدار- الأدباء المؤرخين- ليتناولوا هذا المشروع العلمي التاريخي العظيم بأحسن وجه وأكمل أسلوب* - وعلى موافقتهم الكريمة لطبعه من **الأكاديمية**، *وهذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر.*

وأخيراً فأحسن الأدعية وأطيبها لوالدي وأستاذي الأول ومربي الشيخ **محمد مرتضى المظاهري**، ولشيخي وسندي الشيخ **صديق أحمد الباندوي** اللّذَيْنِ انتقلا إلى رحمة الله تعالى -قبل ظهور العمل- متعاقِبَيْنِ خلال سنتين، فإنهما لو كانا على قيد الحياة في هذه الدنيا لكانا أكثر سروراً - بعملي *هذا*- من كل من سواهما ، تغمدهما الله تعالى برحمته الواسعة، وأسكنهما الفردوس الأعلى.والحمدلله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

العبد

محمد عبيد الله الاسعدى القاسمى

١٤١٩/٤/١١هـ

خادم التدريس بالجامعة العربية

هتهورا - بلدة باندة (الهند)

على مذهب أهل السنة والجماعة

" إنه تكثر اللقاءات والمحادثات، وتبادل الآراء والأفكار فيما يتصل بالمسائل الدينية، بيني وبين الشيخ عبد الله بن بلهيد رئيس القضاء الذي يجاور بيته بيتي، والرجل عالم ديني كبير، على مذهب أهل السنة والجماعة، يعمل بظاهر الحديث، ذاهبا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، مشغوفٌ بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، كثير الرجوع إليها -وكلا الإمامين من أجلة العلماء عند علمائنا أيضاً- شديد الكراهية للبدع والمحدثات، قد جعل عقيدة التوحيد والنبوة أساس إيمانه وأصل عقيدته، وبالجملة فإني لم ألمس -إلى حد تتبعي- أي شذوذ عن عقائد أهل السنة، ومعظم أهل نجد يعرفون تلاوة القرآن، ويكثر فيهم عدد حفاظ القرآن الكريم،[1] يحافظون على الصلاة بالجماعة، وهذه الأيام أيام برد قارس في المدينة المنورة، ولكنهم يواظبون على الحضور حتى في صلاة الفجر مع الجماعة... وعلى كل فإنّ وضعهم الديني جيد جدا فيما رأيت وعلمت."[2]

العلامة خليل أحمد السهارنفوري

صاحب كتاب: بذل المجهود في شرح سنن أبي داود

---

(١) ينبئ هذا التعبير من الشيخ رحمه الله إلى ما أذيع من الشائعات المكذوبة ضد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وجماعته في الهند، وانظر للتفصيل: "دعايات مكثفة ضد السيخ محمد بن عبدالوهاب"

(٢) في رسالة له- من المدينة المنورة - إلى الأستاذ ظفر علي خان منشئ صحيفة زميندار اليومية، انظر " دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص: ٦٢-٦٣

تقديم

بقلم سماحة الداعية المجاهد الإمام

أبي الحسن علي الحسني النّدوي

حفظه الله تعالى

أمين ندوة العلماء العام،

وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة،

وعضو المجلس الاستشاري لدار العلوم ديوبند

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تكفّل حركةَ نشر العقيدة الصحيحة في التوحيد واتباع السنّة والتجنّب عن الأعمال الشركية، والغلووالمبالغة في التعظيم، مدرسةٌ عقائدية، تعليميّةٌ، تربويةٌ ، قياديّةٌ، تُعرف -بشكلٍ عامٍ وإطارٍ واسعٍ- بـ "مدرسة ديوبند" ، قد قاد هذه الحركةَ الإيجابيةَ، الإصلاحيةَ، والبنّائيةَ، والتربويةَ ، والنشريةَ، على مستوىً شعبيٍّ، توجيهيٍّ، واستدلاليٍّ، علميٍّ، قويٍّ وواسعٍ "معهدُ ديوبند" ،مؤسّسوه و منشئوه والمتخرّجون منه، والمنتمون إليه ، وقد أمدّتهم - في الانتصار والانتماء إليهم و الاعتزاز بهم - قيادةُ المنتمين إلى

ديوبند وقادة حركتها وإدارتها، لحركة تحرير البلاد، ومحاربة السلطة الإنجليزية والاستعمار، ثم استقامتهم في الدين، وتجرّدهم عن المطامع والشهوات بصفة غالبة ، وصلاحهم واستقامتهم على السّنة، ونفورهم عن البدع والمحدثات، وإنكارهم الصريح القويّ على ما شاع في شبه القارة الهندية من تقليد غير المسلمين في إطار المهرجانات، والأعياد والمواسم، وزيارة المشاهد وتقديسها، ولُقبوا بـ "الوهابية"، وقوطع كثير منهم، وحورب حرباً شعواء، ولكن لم يُضعف كلُّ ذلك من صمودهم، واستقامتهم وصراحتهم، واعتزازهم بعقيدتهم، والثبات على موقفهم.

وقد كان هذا الواقعُ التاريخيُّ وكانت هذه الجبهةُ العقائديةُ الداعيةُ، التربويةُ، النضاليةُ، الإيجابيةُ في حاجة إلى استعراض تاريخيّ، واقعيّ، مقارن، وعرض أمين احتسابيّ، مؤسّس على دراسة أمينة دقيقة واسعة، حتى يتّضح الحقّ، ويتأتّى الإنصافُ مع العاملين المحتسبين، وخدمة الدين، والمجاهدين المخلصين، وقد كانت هذه الموادُّ التاريخيّةُ والبيانيّةُ منثورةً مبعثرةً في كتب تاريخية وتعريفية، وسِيَرٍ شخصية زمنية ومحلّية، وفّق الله الأستاذ محمد عبيدالله الأسعدي عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هتوره، وابن أسرة عريقة في العقيدة الصحيحة ونشرها، والجهاد في سبيلها، تنتمي إلى المجاهد الكبير، والداعية المصلح السيد جعفر علي البستوي صاحب كتاب "منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء" (١) مرافق المجاهد الكبير،

---

(١) انظر ترجمته في الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ١٣٥/٧

والمصلح الشهير، الداعي الأشهر الأقوى إلى تصحيح العقيدة ومحاربة الشرك والبدع، وإعلاء كلمة الله، والجهاد في سبيل الله، الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد في بالاكوت عام ١٢٤٦هـ رحمه الله-(١) وقد ورثت هذه الأسرة الشريفةُ هذه العقيدةَ ومنهجَ الدعوة، والحماسَ الديني كابراً عن كابر، حتى وصل إلى هذاالجيل **"والشيء من معدنه لايستغرب"**.

والمتوقّع المرجوُّ والمطلوب أن يطالَع هذا الكتاب الذي أصبح موسوعةً في هذا الباب بتوسُّعٍ فكريّ، واتّزان هَدَفيّ، وإن كان هناك بعض نقاطٍ أوتعبيرات لاتجب الموافقةُ عليها مائة في المائة،فإنّ العلمَ المحيط البريء من كل زللٍ أو خطلٍ لله وحده، والعصمة للرسول ﷺ -والأجرعلى قدرالنية والجهد البريء النـزيه.

أبو الحسن علي الحسني النّدْوي

دار العلوم ندوة العلماء ٤/من ربيع الأول ١٤١٩هـ

لكهنؤ ١٩٩٨/٦/٣٠م

---

(١) انظر للتعرف على حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجهوده وجهود خلفائه العظام في تصحيح العقائد، وإصلاح المجتمع والدعوة والإرشاد "سيرت سيد أحمد شهيد"[بالأردية] و"الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف به" و "إذا هبت ريح الإيمان" ثلاثتها للشيخ النّدْوي، و الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٣٢/٧-٣٧ لوالد سماحته، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد للأستاذ علي الطنطاوي.

"فمن جعل طريقَ أحدٍ من العلماء والفقهاء، أو طريقَ أحدٍ من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئٌ ضالٌ مبتدعٌ، ومن جعل كلّ مجتهد في طاعة - أخطأ في بعض الأمور - مذموماً معيباً ممقوتاً، فهو مخطئٌ ضالٌ مبتدعٌ.

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى ١١/١٥

" ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم أيضاً مجتهدون، يصيبون تارةً، ويُخطئون تارةً، وكثير من الناس إذا علم من الرجل ما يحبه، أحب الرجلَ مطلقاً، وأعرض عن سيئاته، وإذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً، وأعرض عن حسناته، محاط (؟) وحال من يقول بالتحافظ (؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة."

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى: ١١/١٦

تصدير

بقلم فضيلة الشيخ الفقيه المحدث القاضي

محمد تقي العثماني

حفظه الله

نائب رئيس دارالعلوم كراتشي،

ونائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بجدة،

قاضي محكمة التمييز بدولة باكستان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم و على آله وأصحابه أجمعين ، وعلى كل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد !

فإنَّ الله سبحانه وتعالى أقام في كل عصر ومصر رجالاً لحماية حوزة الدين ونشررسالته، وإعلاء كلمته، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين حسبما أخبر به رسوله الكريم ﷺ.

ومن جملة هؤلاء الرجال – الذين يزخر بهم التاريخ الإسلامي عبر القرون – العلماء الذين قاموا في شبه القارة (الهند وباكستان) بتبليغ الدين الحنيف ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله من خلال **جامعة دارالعلوم بديوبند** ، التي تعتبر في هذه الدّيار أكبر جامعة

للعلوم الإسلامية والعربية ، أقيمت في عهد الاستعمار الإنكليزي الغاشم لمواجهة مكايده في مجال التربية والتعليم، التي أرادت أن تطمس عن هذه البلاد مآثر الدين الحنيف ، وتحرم مواطنيها من تعاليم الإسلام النيّرة،وإرشاداته الخالدة.

وإنَّ العلماء الذين تخرَّجوا من هذه الجامعة يُسَمَّون "علماء ديوبند" وهم الذين صمدوا - في جانب - في مواجهة المؤامرات الإنكليزية المشار إليها ، وقاموا في جانب آخر بمكافحة الشرك والبدع والخرافات التي تطرَّقتْ إلى المسلمين بسببِ طول صحبتهم مع الهنود وعبدة الأصنام .

وإنَّ هؤلاء العلماء أناروا في أنحاء البلاد معالم السنَّة وحاربوا الفتن الزائغة، والأفكار المنحرفة شفاها ، وكتابة وتعليما ، وتبليغًا ، وتثقيفًا ، كما أنهم أثْرَوا المكتبةَ الإسلاميةَ بمؤلَّفاتِهم القَيِّمة على كلِّ موضوعٍ يحتاج إليه المسلم المعاصر ، في اللغات: الأردية والعربية ، والفارسية وغيرها .

وإنَّ بعض الناس - هداهم الله تعالى - يغضّون أنظارهم عن الخدمات الجليلة التي تقدَّم بها هؤلاء العلماء ، ويعترضون عليهم في أشياء فرعية بسيطة، ويرمونهم بالزَّيغ والضّلال ، مرَّةً بتهويل

بعض الأمور البسيطة، وأخرى بما ينسبون إليهم من أقوال وأفكارٍ هُمْ عنها برآءُ، وهذا شيءٌ قلَّما سلم منه العلماء المخلصون والمصلحون الناصحون فِي كلِّ زمان ومكان.

وإن أخانا في الله العالم الجليل والشاب النبيل الشيخ **محمد عبيدالله الأسعدي** ألّف هذا الكتاب لتعريف هؤلاءِ العلماء وبيانِ تاريخهم ومآثرهم وإنجازاتهم العلميةِ والعمليةِ ، ثمّ تعرَّض لبيان معتقداتهم وأفكارهم المنبثقة من القرآن والسنّة وأقوال السَّلف الصالحين، وذلك بالاقتباس من مؤلَّفاتهم أنفسهم ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الكتاب عونًا لإخواننا المسلمين في معرفة هذه الصفوة من العلماء ، وفي الاطلاع على أفكارِهم ومناهجهم، التي لا تحيد عن جادّة الكتاب والسُّنّة في نقير ولا قطمير، فجزى الله تعالى مؤلف هذا الكتاب، وأجزل له الثواب يوم الحساب، وينفع بكتابه هذا العباد والبلاد، والله سبحانه هو الموفّق .

محمد تقي العثماني

دارالعلوم ، كراتشي – ١٤ / ١٠ شوال المكرم ١٤١٧هـ

".. لايجوز التبديع والتفسيق للمسلمين لقول النبي ﷺ : "من قال لأخيه يا عدوالله وليس كذلك إلا حار عليه." وفي الحديث: "أنّ من كفّر مسلماً فقد باء بها أحدهما." وفي الحديث: "أنّ رجلاً مرّ برجلٍ وهو يعمل ذنباً فقال والله لايغفرالله لك، فقال: من ذا الذي يتألى عليّ أنّي لا أغفر لفلان، إنّي غفرت له وأحبطت عملك."

من فتوى

فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين

حول سّيد قطب وحسن البنا

في آخر خطاب الدكتور أبوزيد حول كتاب المدخلي،

ص:١٥

تعريف

بقلم فضيلة الشيخ الفقيه المفتي

سعيد أحمد البالن بوري

حفظه الله

أستاذ دار العلوم ديوبند وعضو هيئة الإفتاء بها

الحمد لله الذي رفع كلمة الإسلام ببعثة الأنبياء والمرسلين ، وأعلى أعلام الدين بجهود العلماء الربانيين ، وأنار سُبل السلام بهِمَم الأولياء الصالحين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(١) أي الباعث لهم على الاختلاف هو البغي والحسد، لا الشبهةُ وخَفاء الأمر، كما كان ذلك في اليهود، لما وقعت الفرقة بينهم أهرقوا الدماء، ووقع الشر طلباً لسلطان الدنيا ومُلكها وخزائنها وزُخْرُفها ، حتى لم يبق في أيديهم من الدين شيء ، والقرآن الكريم يبيّن دائماً في مثل هذه المواضع أمثال أهل الكتاب ليحترز عنها المسلمون .

---

(١) سورة آل عمران: ١٩

وقد بيّن النبي ﷺ هذا الأمر بأوضح بيان فقال: "لَيَأْتِيَنَّ على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أُمَّه علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرّقت ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث و سبعين ملةً، كلُّهم في النار إلا ملةً واحدةً" قالوا من هي يارسول الله؟ قال: "ماأنا عليه وأصحابي" [1] وفي رواية: "ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عِرْق ولا مَفْصِل إلاَّ دخله". [2]

ولكن لما كانت المِلَّة المصطفوية آخرَ ملةٍ تكفَّل الله بحفظها وحفظ أهلها إلى اليوم الموعود، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]

وقال النبي ﷺ: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضرُّهم من خَذَلَهم حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك" وفي رواية: "قائمة بأمر الله". [4]

---

[1] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب معنى، لانعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه، هكذا في النسخ الهندية، فعُلِم أن غرابته لأجل التفرد في الإسناد، والحديث في نفسه حسن، وضعفُ عبد الرحمن بن زياد الإفريقي محتمل، لأن من جرّحه إنما جرّحه خطأً.

[2] رواه أحمد وأبوداود عن معاوية رضي الله عنه، وإسنادهما صحيح.

[3] سورة الحجر ٩

[4] رواهما الإمام البخاري رحمه الله

وكانت الصحابة بأسرهم قائمين بأمر الله ، ظاهرين على الحق ، وكانوا على ملة واحدة عن آخرهم في الأصول الكلامية والعقائد الدينّية ، لم يفترقوا في ذلك أبداً، وإنّما اختلفوا في المسائل العملية الفرعية ، فكان ذلك رحمةً للأمة ، كما قال النبي ﷺ : "اختلاف أصحابي رحمة لأمتي" (١)

وبعد عصر الصحابة تفرّقت الأمة في الأصول كذلك، فكان من أهل الحق: الأشاعرة والماتريدية وأصحاب الحديث مثل مالك وأحمدوالثوري وغيرهم، وأهل السنة والجماعة من المختلفين في الفروع : هم الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة.(٢)

والاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ضئيل ، والنزاع بينهم زهيد، لم يختلفوا إلا في اثنتي عشرة مسئلة خفيفة ، جمعها ابن كمال باشا – في رسالة – وكذا الاختلاف بينهما وبين أصحاب الحديث بسيط؛ لأنهم عن آخرهم مُتّفِقُونَ على أنّ الأصل في الصفات المتشابهات هو التنزيه مع التفويض ، ثم اختلفوا فيما بينهم في جواز التأويل لضعفاء الإسلام فحسب ، كما أنهم اختلفوا في ماهية الإيمان هل هو بسيط أم مركب.

وكذلك المذاهب الأربعة متّفِقة في أصول الشرائع المأخوذة منها الأحكام الشرعية، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وكذلك اتفق أصحابها على المسائل المنصوصة ، ثم اختلفوا في المسائل المستنبطة من النصوص الشرعية حسب أصولهم الموضوعة .

---

(١) رواه البيهقي في المدخل والطبراني والديلمي بسند فيه ضعف ، وأما الحديث المشهور على الألسنة بلفظ : "اختلاف أمتي رحمة " فلم يوجد له أصل.

(٢) صرح بذلك الشيخ التهانوي رحمه الله في "مائة دروس".

أصحاب الظواهر

وأما أصحاب الظواهر الذين يسمّون أنفسهم بأهل الحديث في بلاد الهند، -ويتسمون بالسلفية في بلاد العرب- فليسوا من أهل الحديث في شيء، وإنمايتسلفون إما لأسباب ترجع إلى المال والمادة ،(١) أو يستعملون الكلمة في غير ما وُضِعَتْ له.

قال الإمام أحمد رحمه الله في شرح حديث : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" : إن لم يكونوا أهل حديث فلا أدري من هم؟! قال القاضي عياض المالكي رحمه الله : أراد أحمد أهل السنة ، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. (٢)

ومرادهما بأهل الحديث : أهل الرواية من الفقهاء وغيرهم ، الّذين طافوا بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر واليمن وخراسان، وجمعوا الكتب الحديثية ، وأمعنوافي الفحص عن غريب الحديث ونوادر الأثر ، فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث والآثار ما لم يجتمع لأحد قبلهم ، وتيسّر لهم مالم يتيسّر لأحدٍ قبلهم .

وكان رؤوس هؤلاء : عبد الرحمن بن مهدي ، ويحي بن سعيد القطّان ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، ومُسدّد ، وهنّاد، وأحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه ، والفضل بن دكين ، وعلي المديني ، وأقرانهم ، وهذه الطبقة هي الطراز الأول من طبقات المحدثين.(٣)

---

(١) ينظر للتفصيل عن هذا الإجمال وقفة مع اللامذهبية للاستاذ أبي بكر الغازي فوري .

(٢) فتح الباري ١/ ١٦٤

(٣)حجة الله البالغة ١٤٩/١

وكيف يكون أهل حديث من يُنكر الإجماع والقياس وآثارالصحابة والتابعين؟ وقد نص في النامي في شرح الحسامي في مبدأ باب الإجماع على أنّ أصحاب الظواهر ينكرون الإجماع ، وكذلك صرّح الشيخ أبو منصور عبدالقاهر البغدادي [المتوفى سنة ٤٢٩ هـ] في كتابه : أصول الدين. (١)

وأما إنكارهم القياسَ وآثارَ السلف في الصحابة والتابعين ، فقد صرّح الشيخ الإمام أحمد ولي الله الدهلوي في كتابه الماتع الفريد : حجة الله البالغة بذلك حيث قال : إنّي وجدتُ بعضهم يزعم أنّ هنالك فرقتين لاثالث لهما : أهل الظاهر وأهل الرأي ، وأنّ كل من قاس واستنبط فهو من أهل الرأي ،كلاّ والله! بل ليس المراد بالرأي نفس الفهم والعقل، فإن ذلك لا ينفكُّ من أحد من العلماء ، ولا الرأي الذي لا يعتمد على سنة أصلاً، فإنه لاينتحله مسلم ألبتة، ولاالقدرة على الاستنباط والقياس، فإن أحمد بن حنبل وإسحاق،بل الشافعي أيضاً ليسوا من أهل الرأي بالاتفاق ، وهم يستنبطون ويقيسون [حتى قال] والظاهري : من لا يقول بالقياس ولا بآثار الصحابة والتابعين ، كداود وابن حزم. (٢) وكيف يكون من أهل الحديث من ينكر جواز التقليد، والمحدّثون عن آخرهم مقلّدون ؟ وقد ردّ عليهم الإمام أحمد ولي الله في الحجة. (٣)

"ومما يناسبُ هذا المقام، التنبيهُ على مسائلَ ضلّت في بواديها الأفهام، وزلّت الأقدام ، وطغت الأقلام، منها : أن هذه المذاهب الأربعة المدوّنة المحرّرة،

---

(١) أصول الدين ص: ٢٠

(٢)حجة الله البالغة ١/ ١٦١

(٣) حجة الله البالغة ١ / ١٥٤

قد اجتمعت الأمة - أو من يعتد به منها - على جواز تقليدها إلى يومنا هذا ، وفي ذلك من المصالح مالا يخفى، لاسيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهِمَمُ جداً ، وأشربت النفوس الهوى ، وأعجب كل ذي رأي برأيه ، فما ذهب إليه ابن حزم حيث قال : التقليد حرام ، ولا يحل لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله ﷺ بلا برهان [ثم ذكر دلائله ، فقال] ليس محلُّه فيمن لا يدين إلا بقول النبي ﷺ، ولا يعتقد حلالاً إلا ما أحلّه الله ورسوله ، ولا حراما إلا ما حرّم الله ورسوله ، لكنْ لَمّا لم يكن له علمٌ بما قاله النبي ﷺ، ولا بطريق الجمع بين المختلفات من كلامه ، ولا بطريق الاستنباط من كلامه ، اتبع عالما راشداً على أنه مصيب فيما يقول ، ويفتي ظاهرا متّبعَ سنة رسول الله ﷺ، فإن خالف ما يظُنُّه أقلع من ساعته من غير جدال ولا إصرار ، فهذا كيف ينكره أحد ؟ مع أن الاستفتاء والإفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي ﷺ، ولا فرق بين أن يستفتي هذا دائماً، أو يستفتي هذا حيناً وذلك حيناً ، بعد أن يكون مُجمعاً على ما ذكرنا .

كيف لا ، ولم نؤمن بفقيه - أيًّا كان - أنه أوحى الله إليه الفقه ، وفَرَضَ علينا طاعته ، وأنه معصوم ، فإن اقتدينا بواحدٍ منهم فذلك لعلمنا بأنّه عالم بكتاب الله وسنة رسوله ، فلا يخْلُو قولُه : إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة ، أو مستنبطاً عنهما بنحو من الاستنباط ، أو عُرِف بالقرائن أنّ الحكم في صورةٍ مّا منوطةٌ بعلة كذا واطْمَأنّ قلبُه بتلك المعرفة ، فقاس غيرَ المنصوص على المنصوص ، فكأنّه يقول : ظننتُ أنّ رسول الله ﷺ قال: " كلما وجدتَ هذه العلة فالحكم ثَمّةَ هكذا " والمقيسُ مندرجٌ في هذا العموم، فهذا أيضاً مُعْزىً إلى النبي ﷺ، ولكن في طريقه ظنون ، ولولا ذلك لما قلّد مؤمن بمجتهد .

هل هم غير مقلدين لأحد مّا ؟

ولُيعلم هنا أيضاً أنّ أصحاب الظواهر يتظاهرون بـأنّهم لايقلّـدون أحداً سوى المعصوم، ولكن هذا فَخْفَخْة لا حقيقة وراءها ، بل هم يقلّدون مدرستهم الظاهرية بكل معنى التقليد ، لا يخرجون منها قيدَ شبر ، والدليل على ذلك : أنهم إذا حزّبهم أمر أو عرض لهم عـارض ، ويحتـاجون أن يسألوا أهل الذكر ، فلا يسألون عالما شـافعيًّا ولا مالكيًّـا ولا حنبليًّـا ولاحنفيًا أبداً ، بل يرجعون إلى أئمتهم وإلى كتبهم ، فكيـف يكونـون غيرَ مقلّدْينَ ؟

فإن قيل: هم يُنكرون التقليد الشخصي ، فلا يقلّدون شخصا معّينا ، وإنّما يُقلّدون المدرسةَ الفكريةَ الظاهريةَ فَبَيْنَ التقليدَيْنِ فرقٌ واضح !

قلنا: لا فرق بينهما ، لأنّ أصحاب المذاهب الأربعة المدوّنة المحـرّرة أيضـاً لا يُقلّدون معّيناً في كل مسألة، كما لا يخفى ذلك على من طالع مذاهبهم والأقوال المفتى بها منها ، وكيف يكون لإمام من الأئمة – أيًّا كان – قول في كل مسـئلة ، والحوادث غير محصورة ولا منتهية ؟ بل هم أيضاً يُقلّدون مدارسـهم الخاصـة ، ويتقيّدون بها فلا يخرجون منها بغير ضرورةٍ داعيةٍ إلى الخروج ، فالأمران سيّان ، لا فرق بينهما.

وبعدُ : فقد يستفسر بعض الناس : ما هي الديوبندية ؟ ومـن هـم علماء ديوبند؟ وما هي ديوبند (DEOBAND) ؟ ولماذا هـذه النسـبة ؟ وما هو دستورها الأساسي ؟ وما مـيزة علمائهـا ؟ ومـا عقيدتهـم

واتجاههم الفكري ؟ ولماذا يطعن فيهم أصحاب الظواهر [أهل الحديث] ويكيلون عليهم السّباب؟ وبأي سبب ينبزهم السبريلويون -المبتدعة- "بالوهابيّة" ؟ و..و.. ؟؟؟ ... كل هذه أسئلة نواجهها بين آونة وأخرى.

والجواب الإجمالي:

أن ديوبند قرية جامعة في ولاية أترابراديش (U.P) في الهند، وبها جامعة إسلامية أُسّسَتْ سنة ١٢٨٣هـ وهي الآن أم المدارس العربية الإسلامية في الهند وباكستان،وبنغله ديش، وانكلترا،وأفريقا،وأمريكا، فالّذين يتخرّجون منها ومن فروعها يُسَمّون "علماء ديوبند".

والديوبندية ليست شيئاً وراء الإسلام ، بل هي تعبير عام-في شبه القارة الهندية- عن عقيدة التوحيد النقية الصافية، واتباع السنة النبوية ، واحيائها ، واجتناب البدع والرسوم ومحانها، والاهتمام بإصلاح الباطن مع التمسك بظاهر الشريعة ، والعناية بتقوية الصلة بالله ، والتأدب مع العلماء الربانيين والأولياء الصالحين، واحتساب النفس ، والجهاد لإعلاء كلمة الله ، والحمية الدينية ، والاحتفاظ بحوزة الإسلام، ودعوة الناس إلى الدين القويم ، وتعليم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالحين .... و .... و ....

وليس لها دستور أساسي، إنما دستورها القرآن الكريم ، والسنة النبوية الطاهرة، وما جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من أئمة الاجتهاد والعلماء الرّبانّيينَ والأولياء المقرّبِينَ.

. فمن يتمسّك بالكتاب والسنة الصحيحة الثابتة، ويتجنب البدع والخرافات، ويعمل بظاهر الشريعة تماما، ويهتم بتزكية الباطن خصوصاً، فهو ديوبندي حقاً، ولو لم يعرف قرية ديوبند، ولم يسمع عنها شيئاً، ومن كان على خلاف ذلك فهو ليس بديوبندي، ولو كان مسقط رأسه في ديوبند اللهم إلا النسبة إلى الوطن .

وأما قصة الطعن والسّباب فطويلة، لو أعرضنا عنها لكان أجدربنا ، لأنّ هذه شنشنة تعوّدنا أن نسمعها من أفواه أناسٍ يضمرون البغض والشحناء، والصّراع بين الحق والباطل دائم مستمر، وقد ضرب الله تعالى مثلاً ، فما أحسن مثلا حيث قال :

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (١) وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، ومن تعامى فإنما يتعامى على نفسه .

---

(١) سورة الرعد : ١٧

وأما الجواب التفصيلي :

فيحتاج القارئ إلى تكبّد العَناء في مطالعة هذا الكتاب الرائع الماتع المسمى " دارالعلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية، حركة جهادية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية " فإنه يبحث عن جميع النواحي عن جامعة دارالعلوم ديوبند: تأسيسها ، وأهدافها ، وأعمالها ، ورجالها ، وحركتها، وتأثيرها،وعن انطباعات كبار الزائرين عنها، وعن علمائها: عن عقيدتهم ومنهجهم واتجاههم الفكري ، ومذهبهم الكلامي والفقهي والإحساني ، ودورهم في نشر الإسلام ومحاربة الكفر والضلال، وجهودهم في تصحيح العقيدة ، وإزالة البدع، والمنكرات، وخدمتهم للعلوم الإسلامية ونشرها في البلاد وعن كثير غير ذلك .

وهذا الكتاب لأخينا الفاضل العلامة المحدث محمد عبيد الله الأسعدي المحترم، وقد تجشّم المتاعب في هذا العمل المبارك، وقام بجهد جهيد فتصفح الكتب وجمع الشّتات ، وقَرّبَ البعيد ، ورتّب المواد المنتشرة في بطون الأوراق ، فجاء بحمد الله تعالى بما يسُرّ الناظرين ، ويفيد المسلمين ويكبح المعاندين .

وأرجو من الله تعالى أن يكون هذا العمل باراً نافعاً على مَرّ الأيام ، والله يجزيه عن جميع المسلمين خير الجزاء ، و تقبّل الله هذا الكتاب ، و نفع به المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

سعيد أحمد البالنبوري

مفتي دارالعلوم ديوبند

٢٥/ ٣/ ١٤١٩هـ

الديوبندية
تعريف وبيان

...

وهل عالِمٌ لايعرف

هذه الجامعة الإسلامية

في ديوبند،

كل الناس يعرفونها،

وهي لا تخفى على أحد،

لا تخفى على أحدٍ مكانتها المرموقة، ...

وهي علَم شامخ بين الجامعات،

علَم شامخ بين المدارس والحمد لله،

علماؤها أعلامٌ شامخة بين العلماء،

فجزاهم الله كل خير، وأثابهم وقوّاهم،

.. فجامعة ديوبند معروفة بين الناس،

مشهورة في العالم، لا يحتاج إلى بيان

ولا تحتاج إلى تعريفٍ.

سماحة الشيخ

محمد بن عبد الله السبيل

لاحاجة إلى تعريف بـ

"الديوبندية"

"...لم تكن هناك أية حاجة – في الواقع – إلى كتاب مستقل يتناول مذهب علماء ديوبند بشرح أو إبانة؛ لأنّهم ليسوا فرقةً أو جماعةً شقت طريقاً فكرياً أو عملياً يختلف عن طريق جمهور الأمة المسلمة، بل إنهم يتبعون في تفسير الإسلام وعرضه نفس المسلك الذي سلكه جمهور علماء الأمة عبر أربعة عشر قرناً ، إنّ الدين وتعاليمه الأساسية إنّما تنبع من الكتاب والسنة ، وإنّها – تعاليم الكتاب والسنة – في شكلها الشامل هي أساس مذهب علماء ديوبند."

فضيلة الشيخ القاضي محمد تقي العثماني

في تقديمه لكتاب:

" علماء ديوبند واتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي"

للعلامة المقرئ محمد طيب رحمه الله

الديوبندية

كما عرَّفها بعض كبار علماء الهند

الديوبندية : أهم ما تتّسِم به حركة *ديوبند* الإصلاحية ، والتجديدية ، والفكرية والعلمية ، التركيزُ على عقيدة التوحيد النقيةِ الصافيةِ، واتباع السنة واجتناب البدع، مع الابتعاد عن إثارة الخلافات الفقهية الجزئية." (١)

البريئة عن البدع: .. الحنفية الديوبنديةُ ينتسبون إلى الإمام ولي الله الدهلوي بطريق الشيخ محمد قاسم النانوتوي عن الشيخ عبد الغني المجددي، عن الشاه عبدالعزيز الدهلوي...فانقسمت تلاميذ هذا البيت الكريم – بيت ولي الله الدهلوي – إلى الحنفية البريئة عن البدع وأهل الحديث ...

قلنا : البرئية عن البدع لأنَّ في الهند فرقاً من الحنفية كثيرةً تنتمي [زوراً] إلى الإمام أبي حنيفة–رحمه الله–لكنها غارقةٌ في بحار البدع والمنكرات." (٢)

الديوبندي: هو كل (مسلم) متدين يحب الفطرة والعقل." (٣)

---

(١) سماحة الشيخ أبي الحسن النَدْوي ، في كلمته في الاحتفال المئوي *لدارالعلوم ديوبند*.

(٢) فضيلة الشيخ : مسعود عالم الندوي في كتابه : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٩٠ -١٩٢

(٣) شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال نقلاً عن كتاب: ***علماء ديوبند*** – لفضيلة الشيخ محمد طيب القاسمي.

منهج علماء ديوبند

"... إنَّهم – أي *علماء ديوبند* – يتَّبِعون في تفسير الإسلام وعرضه نفس المسلك الذي سلكه جمهور علماء الأمة عبر أربعة عشر قرناً، إنَّ الدين وتعاليمه الأساسية إنما تنبع من الكتاب والسنة، وإنَّها – تعاليم الكتاب والسنة – في شكلها الشامل هي أساس مذهب *علماء ديوبند* .

خذ أيَّ كتاب موثوقٍ به في عقائد أهل السنة والجماعة واقرأه ستجد أنَّ مذهب *علماء ديوبند* هو كل ما جاء فيه من العقائد .

واقرأ أيَّ كتابٍ موثوقٍ به في الفقه وأصول الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ستجد أنَّ ماجاء فيه من المسائل الفقهية والأصولية هو المذهبُ الفقهيُّ لدى *علماء ديوبند*.

وراجع أيَّ كتابٍ صحيحٍ في الأخلاق والإحسان ستجد أنَّه هو مرجع *علماء ديوبند* في الإحسان وتزكية الأخلاق .

إنهم إنّمايتخذون أولئك الأشخاصَ الذين أجمعت الأمةُ على جلالـــة قدرهم ومكانتهم العلمية والعملية، بدءاً بالأنبياء الكرام – عليهم السلام – ومروراً بالصحابة والتابعين ، وانتهاءً بأولياء الأمة وصلحائهـــا، نمــاذج جديرةً بالاتباع والتقليد .

وجملة القول : إنّه ليس هناك ناحيةٌ من نواحي الدين ينحـــرف فيهـا *علماء ديوبند* قيدَ شعرةٍ عن التفسير المأثور للإسلام ، وعن مزاجه وذوقه الأصليّيْنِ، ...

فلو شاء أحد أن يطّلِع على مذهبهم فعليه بمراجعة الموثوق به لـــدى جمهور علماء الأمة من تفاسير القرآن، وشروح الحديث، وكتـــب الفقـه الحنفي، والعقائد والكلام ، والإحسان والأخلاق التي تتحدث عن مذهبهم بالتفصيل .

العلامة محمد تقي العثماني

قاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان

وعضو المجمع الفقهي الإسلامي بجده

في تقديمه لكتاب :

علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي[1]

---

(1) مجلة الداعي الصادرة في *دار العلوم ديوبند* الهند عدد جمادى الأولى ١٤١٦هـ

الديوبنديون الوهابيون

...وتخرّجتُ في الكتاب، ودخلت في مدرسة إسلامية في مدينـــتي، كـــان مدرّسوها من خريجي دار العلوم ديوبند، وكان الناس يدعونهم "وهابيين".. غير أني مارأيت في هؤلاء المدرّسين شيئاً من الأوصاف الخسيسة أو التهم الشنيعة ، التي كان القوم يوجّهُها إليهم، بل رأيتُهم يؤكّدون على طاعة الله ورسوله، وعلـــى امتثال الشريعة الإسلامية و تطبيقها على الحياة والمجتمع، وبجانب ذلك كانوا يرفضون -بكل شدة- عبادةَ القبور والأولياء ، واتخاذَ الأضرحة ، والأعياد والمهرجانات التي يقيمها المبتدعة على القبور والأضرحة ، وما إلى ذلك من البدع والخرافات، وإني أحمد الله على أن عشرتي فيهم وجلوسي إليهم . ودراستي لحياتهم، واطّلاعي على أحوالهـــم، كل ذلك أكّد لي أن ما اشتهر في الناس عنهم من صفات السوء والنذالة، شيء لا يقوم على أساس. (١)

إن دراسة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء جماعته تجلى الحقيقة ولا تدع مجالاً للشك في أنّ دعوة الشيخ محمد كانت تهدف -أصلا إلى إخلاص التوحيد، والعض على السنة بالنواجذ، والجهاد بكل طريق ممكن ضد الشرك والبدع بأنواعهما، وعرض الإسلام في صورته الأصلية نقياً خالصاً صافياً.. *وبالجملة كانت رسالته مبدئياً هي نفس الرسالة التي تقدم بها الشيخ محمد إسماعيل إلى الطبقة المنحرفة من المسلمين الهنود من خلال كتابه "تقوية الإيمان" وقد حمل لواءها من بعده علماء ديوبند مـــن*

---

(١) "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص: ١٧

أمثال الشيخ الإمام محمد قاسم مؤسس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، وزميله العظيم العلامة الإمام رشيد أحمد الكنكوهي ، وتلاميذهما، ومن خلفهما في الدعوة والمهمة من ألوف العلماء والأفاضل.

ومن هنالك رماهم علماء "بدايون" و"بريلي" - من الدعاة المتحمسين إلى البدع والخرافات والواقفين من ورائها بكل وسائل وإمكانيات- "بالوهابية" ودعاهم "وهابيين" [1] ؛ لكي يثيروا سخط الجماهير الجهلاء ضدهم ويكسبوا ودهم وولاءهم -وذلك أنَّ دولاً عديدة كانت تستشعر من "حركة الوهابية" و"الوهابيين " -أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه - خطراً كبيراً على كيانها، إذا أنها رأت أنهم في ازدياد مستمر، وقوة نفوذ، وروح جهاد، وثقلاً سياسياً -وبجانبها طوابير أنصار البدع والخرافات وعباد القبور والأضرحة وأشياعهم من علماء السوء، قد ركزتْ كلَّ إمكانياتها ووسائلها المتاحة على القيام بالدعايات الكثيفة ضد "الوهابيين" "والحركة الوهابية" على حد تعبيرهم في العالم الإسلامي كله من شرقه إلى غربه، حتى صار المسلمون في كل مكان -بل وبعض الخواص من العلماء المخلصين أيضا الذين لم يكن لهم اطلاع على الموقف- يرون "الوهابيين" أسوأ من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس. [2]

العلامة الداعية المناظر محمد منظور النعماني

من أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي السابقين
وصاحب كتاب: الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام

---

(١) وإن كان هذا الانتماء الكريم لاغضاضة فيه، لكني إنما ذكرت دلالة على أن الخرافين اتخذوا كلمة "الوهابي" و"الوهابية" كلمة سبة وعار يرمون بها من يعارضونهم ويخالفونهم في الرأي والعقيدة.

(٢) " دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص : ١٠١-١٠٢

عزم أولي العلم والنظر

"...لقد عرفت فيما سبق أنّ الإمام ولي الله كان محقّقاً في الفقه لايتقيد بمذهب دون مذهب (١)، لكن نجله الكبير الشاه عبدالعزيز الدهلوي (م ١٢٣٩هـ) كان يميل إلى الحنفية، ولم يكن على غرار أبيه في التحقيق والاجتهاد، ***فانقسمت تلامذة هذا البيت الكريم إلى الحنفية- البريئة عن البدع- (٢) وأهل الحديث.***

فبينما ترى معظم تلامذة الشاه عبد العزيز مائلين إلى الحنفية، تجد فيهم حفيدَ الإمام ولي الله وابن شقيق الشاه - عبد العزيز- إمامَ أهلِ الحديث في الهند، وحامل لوائهم . ***فاتصلت الحنفية وأهل الحديث كلهم بهذا البيت العلمي***

---

(١)هذا محل نظر فالمعروف أن الإمام الدهلوي كان حنفي المذهب صاحب رأي وترجيح واختيارات، وقد نصَّ على ذلك الإمام الدهلوي رحمه الله في نسخته لصحيح البخاري المحفوظة في مكتبة خدابخش- بتنه(الهند) ، وهذا نصه: " **كتبه الفقير إلى رحمة الله الكريم ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم العمري نسباً،الدهلوي وطناً، الأشعري عقيدةً، الصوفي طريقةً، الحنفي عملاً، الشافعي تدريساً، خادم التفسير والحديث والفقه والكلام، وله في كل ذلك تصانيف، ولله الحمد أولا وآخراً، كان ذلك يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ١١٥٩هـ.**"

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند -للأستاذمسعود عالم الندوي صاحب كتاب **الإمام محمد بن عبدالوهاب المصلح المظلوم المفترى عليه**- ص ١٩٠-١٩٢:

قلنا - الكلام للأستاذ مسعود الندوي-: ***البريئة عن البدع ، لأنّ في الهند فرقاً من الحنفية كثيرة تنتمي إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، لكنها غارقة في بحار البدع والمنكرات، تعبد القبور والأولياء، ومعاذ الله أن تنسب أعمالهم المنكرة إلى أبي حنيفة وأصحابه الكرام***

الكريم، كان هذه كلها دوحات وأغصان تفرّعت من هذه الشجرة الزكيـــة الـــتي أصلها ثابت وفرعها في السماء. (١)

---

(١) إنّ هذا الواقع التاريخي قد يُنكره المتأخرون من جماعة أهل الحديث لكنه الحق الـــذي لامجال لإنكاره، فقد تفرعت الجماعتان: جماعة ديوبند و جماعة أهل الحديث – كمـــا سيأتي – عن مدرسة فكرية عقدية دعوية واحـــدة، هـــي مدرســـة الإمـــام ولي الله الدهلوي، والواقع أنّ أصل الخلاف بين الجماعتين كان في التقليد – التقيد بمذهـــب فقهي معين من المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة – إجازةً واستحباباً أو منعاً وتحريمـــاً ، (انظر الثقافة الإسلامية في الهند للعلامة عبد الحي الحسني ص: ١٠٣، ١٠٤)

وكانت معظم المناقشات تدور حول مسائل فرعية فقهية، مثل: القراءة خلـــف الإمام، والرفع باليدين عند التكبيرات، والجهر بالآمين وما إلى ذلك ، وكان المشاهد – ولم يزل– أنّ من رفع يديه عند التكبيرات وجهر بـــالآمين –مثـــلاً– عُـــدّ مـــن أهل الحديث، و من أسرّ بالآمين نُسب إلى الحنفية،

ومما يؤيد ذلك أيضاً أنّ ما أُثر عن قادة جماعة أهل الحديث في الرد علـــى الإمـــام محمد ابن عبدالوهاب والإنكار عليه تركّز على كونه مقلّداً حنبليّاً، مثل :

"والصحيح الحق أنّ كون الإنسان وهابياً معناه أن يقلّد مذهباً خاصـــاً، فـــإنّ إمـــام الوهابية كان محمد بن عبد الوهاب، وكان مقلّداً للفقه الحنبلـــي، وأمـــا المتّبعـــون للحديث فإنهم لا يقلّدون مذهبًا من المذاهب."

[انظر ترجمان الوهابية للقنوجي ص: ٢١، وهداية السائل له،]

ومنها: "ثم إنّ ابن عبدالوهاب النجديّ هذا – الذي كان هو مقتدى الوهابيين– كان نفسُه حنبليّ المذهب، وأما أهل الحديث فإنّهم ليسوا مقلّدين لأحد من مذاهب المقلّدين، فكيف يمكنهم أن يكونوا متبعين لابن عبدالوهاب النجدي، فالفرق بين أهل الحديث وبين الوهابيين فرق مابين السماء والأرض."[إبراء أهل الحديث والقرآن ممـــا في جامع الشواهد من التهمة والبهتان للعلامة المحدث عبدالله الغازيفوري ص: ٧]

ومنها: "المشهور في الجهلاء أنّ مؤسّسَ مذهب أهل الحديث هو عبدالوهـــاب النجدي، لا حاشا وكلا، ليس لنا أي انتساب إليه، وماهو من الأجلى والأظهـــر أنّ كل فرقة تنقـــل أقـــوال مؤســـس مذهبهـــا في فتاواهـــا كمـــا يفعـــل إخواننـــا –

الشوافع والإمامية (!!!) وغيرهم، وعملهم شاهدٌ على ذلك،ولكن لايكون أبـداً أن يرىأحد أنّ أهل الحديث نقلوا شيئاً من أقوال عبدالوهاب ولو نسياناً وقالوا هذا قول إمامنا عبد الوهاب النجدي وبه نأخذ، بل فوق ذلك أنّ كثيراً من أهـــل الحديـث لايدرون من كان عبد الوهاب؟ وكيف كانت نشأته وظهوره؟ نعم يثبت من *التاريخ أنّه أيضاكان مثل إخواننا الأحناف والشوافع والإمامية (!!!) مقلّداً*.. وأمـــا نحــن فعندنا التقليد فحاله كماذكرنا سابقاً. فعلى رغم أننا ليس لنا أي علاقة بالوهـــابيين عدُّنا نحن أهلَ الحديث من الوهابيين ، والقولُ فينا أننا متّبِعوه وأنّ ابن عبد الوهـــاب مؤسّسُ مذهبنا ليس إلا كذباً صريحاً وإيذاءً لنا."

[مذهب أهل الحديث للأمرتسري ص : ٧٨-٧٩]

وليلاحظ القارئ الفاضل أنّ العلامة الأمرتسري كيف يساوي بـــين الحنفيـــة والشوافع وبين الإمامية الروافض، مما يدل على رأي جماعة أهل الحديث في التقيـــد باحدالمذاهب الفقهية المعروفة، واعتباره نوعاً من الانحراف في الدين.

ولم تزل مصنّفاتهم ومجلاتهم- بالأردية- تتميز بإثارة المسائل الفقهية الخلافيـــة، والهجوم العنيف على المذاهب الفقهية بوجه عام وعلى المذهب الحنفـــي وأصحابـــه بصفة خاصة ، ويتبعون في ذلك نفس المنهج الذي اتّبعه العلامة الأمرتسري في اعتبار التقليد نوعاً من الانحراف في الدين، وخروجاً من مذهب أهل السنة والجماعة. بـــل وما قاموا به من ترجمة مؤلفات ورسائل علماء الحرمين المعـــاصرين - أو مصنفـــات غيرهم من السلف - إلى الأردية دنّسوها -بفساد رأيهم- بتعليقاتهم الحـــاقدة علـــى أصل الكتاب ، والتعريض بأتباع المذاهب الفقهية الأربعة، وبالأخص المذهب الحنفي.

ومن أراد التأكد مما نقول فما عليه إلا الاطلاع على منشوراتهم الأردية- الأساسية أوالمترجمة إليها- ومجلاتهم الأردية الصادرة في كل الهند وباكستان - تحـت إشـراف الجامعات ودور النشر السلفية: كالجامعة السلفية في بنارس، والجامعة المحمديـــة في ماليكـــاؤن، والدارالسلفية في بومباي، و دار السلام في باكستان[ولها فرع في الســـعودية وفي بريطانيـــا] - فيجد في كل عدد منها مايصدّق ما أشرنا إليه، وهذا هو ديدنُهم في الكتابات الأردية دائماً ، وقد تجرأ أحدهم فأفصح بالعربية أيضاً - بما امتلأت به مصنّفاتهم بالأردية -

في كتابه الذي نشره من الطائف، وسيأتي التعليق عليه في ص: ٣٨٧-٣٩٠، وهو ليس إلا نموذجاً مما تُكنّه صدور المنتمين إلى جماعة أهل الحديث من حقد على المذاهب الفقهية المعتبرة . أعاذنا الله منه ﴿ربنا لاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

أما المسائل المختلف فيها بين علماء الأمة مثل:مبحث الأسماء والصفات، والميل إلى التصوف والعمل بالمتبع لدى الصوفية فكانت مجمعاً عليها بين الفريقين -الحنفية الديوبندية وأهل الحديث - ومصنفات أكابر جماعة أهل الحديث خير دليل على ما أقول؛ ومن ثَمّ وجّه الشيخ حمد بن علي بن عتيق - أحد علماء نجد - خطاباً إلى العالم السلفي المحقق الأمير صديق حسن القنوجي رحمه الله، يُنبّهه فيه [مع احترامه للأمير القنوجي وتقديره لمكانته العلمية إذ بعث إليه ابنه سعد بن حمد للدراسة عليه والاستفادة منه ومن غيره من مشايخ الهند ، و قد سافر فعلاً وأخذ الحديث عن عدد من علماء أهل الحديث و أجازوه . انظر المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، ط: دار الهداية- الرياض ص: ١٢-١٣] إلى سلوكه في تفسيره مسلك أهل التأويل ، فقال:" ... وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل، مع أنّه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذمّ التأويل مختصرة.... وبعض المنصفين يذكر ماعليه السلف وما عليه المتكلّمون ، ويختاره ويقرّره ، فلما اعتبرنا هذا التفسير، وجدناك قد وافقتهم في ذكر المذهبين، وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف ونقرّره، وليتك اقتصرت على ذلك، ولم تكبّر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع، فإنّه لا خير في أكثره.." [انظر هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن علي بن عتيق ص: ١١٩-١٢٩الرسالة الأولى]

ومن ذلك أيضاً ماجرى من المناظرة بين العلامة ثناء الله الأمرتسري و بين علماء المملكة في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله حول تفسيره ومافيه من تأويل في مبحث الأسماء والصفات، وكذا الشأن في تفسير العلامة الجوناكدهي، بل وفي جميع مصنفاتهم، وكذا الأمر - أيضاً -في اعتنائهم بالتصوف، والاشتغال بأعمال المتصوفة.

وكان من بين تلاميذ الشاه عبد العزيز سبطه الشاه محمد إسحق (المتوفى بمكة المكرمة ١٢٦٣هـ) والشاه عبد الغني المجددي - من سلالة المجدد السرهندي- (المتوفى ١٢٩٧هـ)، استفاد منهما وانتفع بعلومهما خلق كثير. وممن تخرج على يديهما الشيخ *محمد قاسم النانوتوي*(ت ١٢٩٧هـ) والشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** اللذين قويت بهما شوكة الحنفية ، وأسس أولهما المعهدَ الديني الشهير في قرية **ديوبند** الذي نحن بصدد البحث في شأنه الآن والذي يُعَدُّ اليوم معقل الحنفية - وهم *الأغلبية الساحقة* - وموئلهم في الهند.

فالحنفية الديوبندية ينتسبون إلى الإمام ولي الله بطريق الشيخ محمد قاسم النانوتوي عن الشيخ عبد الغني المجددي عن الشاه عبد العزيز الدهلوي .

أما أهل الحديث فيتصل نسبهم العلمي بالبيت الدهلوي بطريق الشيخ نذير حسين البهاري الدهلوي عن الشاه محمد إسحاق عن الشاه عبد العزيز ...

*استقر رأي بعض أولي العلم والنظر منهم أن يؤسسوا معهداً دينيا في قرية تسمى "**ديوبند**" فبدأوا بالأمر في كوخ صغير بمدرس وطالب فقط وذلك سنة ١٢٨٣م ثم كان من فضل الله وصدق عزائم القائمين بها أن ازدهر المعهد وترقى رقيا باهراً."*

الكاتب الإسلامي الأستاذ مسعود عالم الندوي

صاحب كتاب:

"الإمام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترىً عليه"

وانظر لمزيد من التفصيل عن عقائد جماعة أهل الحديث وأفكارهم واتجاههم، والاطلاع على المقتبسات من كلامهم : **"وقفة مع اللامذهبية"**، و**"وقفة مع معارضي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"** كلاهما لأبي بكر الغازيفوري، ط: المكتبة الأثرية - الهند، و**"كشف اللثام عن مدعي مقتدي خير الأنام"** لأنوار خورشيد، ط: جمعية أهل السنة لاهور.

وإذا عرف أن منشأ "التصوف" كان من البصرة ، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد ، مما له فيه اجتهاد ، كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد ، وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم : "صوفي" وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علّقوا الأمر به ، لكن أُضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال .

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى ١١/١٦

"وقد انتسب إليه [أي إلى التصوف] طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحقّقين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلاً: فإنّ أكثر مشايخ الطريق أنكروه ، وأخرجوه عن الطريق ، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره ، كما ذكر ذلك الشيخ أبوعبدالرحمن السلمي في "طبقات الصوفية"، وذكره الحافظ أبوبكر الخطيب في "تاريخ بغداد" .

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى: ١١/١٨

ميّالة إلى الدين مخلصة..

"أعتقد أن هذه الحكومة "الحكومة السعودية" ميالة إلى الدين بالنسبة إلى هذا الزمان، وأنها مخلصة في منجزاتها وأعمالها، وما تم من المنجزات الكبيرة ليس فيه ما لايمتّ -فيما أرى- إلى الدين بصلة مّا، وماصدرمنها من بعض الزلات الصغيرة، فإنّ ذلك -فيما لمست- يرجع إلى أنّ الحكومة ينقصها رجال صالحون من أولي الكفاءات الإدارية، مما يسبّب تقصيراً في بعض الجوانب الإدارية والتنفيذية، أما السلطان ابن سعود فإنّه في ذاته رجل متدين، يتصف بغاية من الحكمة والحلم، ولكن الرجل الوحيدَ لا يستطيع أن يصنع شيئاً ما لم تكن عنده أيد عاملة ورجال وأعوان، وقد بلغ الأمن إلى أنّ راحلة أو راحلتين تختلف وحدها فيما بين مكة والمدينة المنورة والينبوع وجدة، ولا يشكو أحد خوفاً أو غائلة، أما الشكوى التي تدور فيما بين الجماهير فإنّ مثارها هو تحطيم القباب على القبور والضرائح التي جعلهاالجهال -بالإضافة إلى الروافض- أساس دينهم وعقيدتهم، ولكني أرى أنّ هدمها كان واجباً، ولم تقم الحكومة بهذه الخطوة الجريئة إلا بعد الاستفتاء من علماء المدينة المنورة، وإفتائهم بجواز هذه العملية...." (١)

المدينة المنورة — خليل أحمد [السهارنفوري]

تحريرا في ١٢/ ربيع الثاني ١٣٤٥هـ — (صاحب كتاب "بذل المجهود في حل أبي داود)

---

(١)دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ٦٤-٦٥

لايختلفون مع
أهل السنة والجماعة

"أريد أن أعلن صريحاً دون تلعثم أنّ الرأي الذي كنت قد أبديته ضد أهل نجد في [كتابي] "رجوم المذنبين" وفي " الشهاب الثاقب" لم يكن يستند إلى كتاباتهم ومؤلفاتهم، بل إنّما كان يستند إلى الشائعات وإلى أقوال مخالفيهم، لكنّ مؤلفاتهم الموثوق بها - وقد تناولتُها بالدراسة - تدل دلالةً صارخةً على أنهم لايختلفون مع أهل السنة والجماعة ذلك الاختلاف الكبير الذي يتحدث به الناس، بل الاختلاف يقتصر فيما يتعلق ببعض القضايا الفرعية، مما لا يُجيزُ أبداً تكفيرَهم، أوتضليلَهم، أوتفسيقَهم، والله أعلم" (١).

العلامة المحدث المجاهد الشيخ

حسين أحمد المدني

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام المدني، ص : ١٧٧و١٧٨. وانظر كتاب: "**دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب**" لمؤلفه: محمد منظورالنعماني، ص: ١٢٥ إحالة إلى "أكمل البيان" نقلا عن صحيفة: "**زميندار**" الأردية اليومية الصادرة من لاهور ١٧/ مايو١٩٢٥م

بقاء ملة الإسلام
ببقاء أصولها وعقائدها الحقة

من كلمة الترحيب بالعلامة رشيد رضا المصري صاحب "المنار"

بجامعة *دار العلوم ديوبند* عام ١٣٣٠هـ

... أسسوا هذه المدرسة سنة ثلاث وثمانين بعد ألف ومائتين من الهجرة النبوية على ذمة المسلمين، شرقيهم وغربيهم فيها سواء، ووضعوا لهانظاماًمرتّبا وقواعد ممهّدة، وكان من أصولها أن يحمى زمار الشرع، ويحامى عن الإسلام، ويُدعى إلى المحجة البيضاء من غير أن يتعرض لأحد بالسوء، أويعنت في الناس أو يجاهر بالخلاف، إلاما دعت إليه الضرورةمن إظهار الحق وتبليغ الدين ...

... ليس هذه الجماعة – التي تراهم متقشفين، ليس عليهم سيماء الارتقاء ولا أبهة الرفعة والعلاء – متعصبين يمنعهم ضيق الصدر عن كل ما تحتاج إليه الملة الإسلامية، ولا فيهم خبل عن مهمات الإسلام والمسلمين، ولا فيهم همجية كما يظنه العوام، والذين ليس لهم علم بحقيقة الحال. ولكنّهم يرون التصلب في الدين من أهم الفرائض،ويعلمون أنّ المداهنة في الدين يهدمه، وأنّ الاستهزاء والسخرية بركن من أركانه يزلزل بنيانه ويستأصل قواعده، ويرون أنّ من رعى حول الحمى يوشك أن ينتهك المحارم.

فهم يستيقنون أنّ بقاء ملة الإسلام ببقاء أصولها وعقائدها الحقة التي مضى عليه سلف الأمة وخلفها .

ومهما أحكم الناس هذه الأصول فهم في وسع من ذرائع كسب المعاش وتكميل العلوم العصرية والصناعية.

فالحاصل عندهم أنَّ الملة الإسلامية لابد لبقائها من أمرين :

الأمر الأول : أن تكون فيها جماعة هم حاملوا المذهب، ومبلّغوا الشريعة، شغلهم ليلاً ونهاراً المكابدةُ في التعليم والإرشاد، والسهر لمطالعة العلوم ، والقيام بحق الله تعالى " تلاوةً وصلاةً، وذكراً وفكراً " ***فهذه الجماعة هي عماد الإسلام، إن فُقِدت فُقِد الإسلامُ وان ضَعُفت ضَعُف الإسلامُ.***

والأمر الثاني : أن يكون طبقة العوام والمشتغلين بأمور المعاش عالمين بأصول دينهم، عاملين بأركان مذهبهم ، لايشغلهم طلب الدنيا والانهماك في العلوم العصرية عن الفرائض والحقوق .

فإن استقام الأمران استقام الإسلام، وزال ما به من عوج وضعف وكان الصدر الأوّل ومن بعدهم من القرون الصالحة على هذا المنوال.(١)

---

(١) حالات جامعة ديوبند ١٣٣٠هـ ص ٣٨ و ٣٩ ، ٤٠

على طريقة معتدلة مثلى

من كلمة العلامة المحدث الفقيه أنور شاه الكشميري

ترحيباً بالعلامة الشيخ رشيد رضا في دار العلوم

"... إنَّ عصا بتنا هذه عصابة على طريقة قديمة ليست بحديثة، وإسناده في الدين، متصل بالصدر الكبير والبدر المنير والإمام الشهير الشيخ الأجل **ولي الله بن عبد الرحيم** الفاروقي، وحالُ الشيخ أظهر من أن يُذكر، فقد شرَّقت تصانيفه وغرَّبت ... وقد حقق الشيخ أيضاً في كتابه "**الإنصاف في بيان سبب الاختلاف**" و"**عقد الجيد في مسائل الاجتهاد والتقليد**" أنَّ الحق في موضع الاجتهاد متعدِّد ، وحكاه عن الأئمة الأربعة وارتضاه، وأريد بموضع الاجتهاد أن لا يكون هناك كتابٌ ولا سنة متواترة، فالحق هناك متعدِّدٌ، وإذا كان هناك قاطع فليس بموضع اجتهادٍ والحق هناك واحد، وهو الموافق لذلك القاطع، فمن وافقه وافق الحقَّ ومن خالفه خالف الحقَّ .

... **وطريقة مشايخنا في الحديث وفقه الحديث طريقة معتدلة مثلى يتوسَّطون بين الأطراف** ، أريد بذلك أنَّ للأئمة الأربعة أصولاً أربعةً أكثريةً، وذلك أنَّ **الإمام مالك** يأتي بعمل أهل المدينة بل قد رجَّحه على الحديث المرفوع، و**الشافعي** يأخذ بأصح ما في الباب، و**أحمد** يأخذ بالأصح، والصحيح، والحسن ، والضعيف، إذا كان ضَعْفُه يسيراً ويجوز هذا وذلك، وعلى هذا وضع مسنده . و**أبوحنيفة** يأخذ بهذه الأقسام، وينزل الأحاديث على محمل، **فلذا كثُرت التأويلاتُ عند الحنفية وكثُرت الجروح عند الشافعية** ... فمشايخنا يتوسَّطون في مثل هذا، لايأخذون بالتشدُّد ولا بالتساهل، ويوجِّهون الأحاديث المتعارضةَ بتوجيهاتٍ يكاد يقبلها من يسمعها. (١)

---

(١) حالات جامعة **ديوبند** ١٣٣٠هـ ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣

لسنا مبرئين من الخطأ والنسيان

"ليعلم أولاً قبل أن نشرع في الجواب أنا بحمد الله ومشايخنا رضوان الله عليهم أجمعين وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلّدون لقدوة الإمام وذروة الإسلام الإمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان -رحمه الله- في الفروع، ومتّبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي -رضي الله تعالى عنهما- في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى النقشبندية، والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الجشتية، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السهروردية رضي الله عنهم أجمعين.

ثم ثانياً : أنّا لا نتكلم بكلام ولانقول قولاً في الدين إلا وعليه عندنا دليل من الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة، أو قولٌ من أئمة المذهب.

ومع ذلك لاندّعي أنا مبرّؤون من الخطأ والنسيان في ضلة العلم وزلة اللسان، فإن ظهر لنا أنا أقسطنا في قولٍ، سواء كان من الأصول أو الفروع فما يمنعنا الحياء أن نرجع عنه ونعلن بالرجوع، كيف لا وقد رجع أئمتنا - رضوان الله عليهم- في كثير من أقوالهم، فلو ادّعى أحد من العلماء أنا غلطنا في حكمٍ فإن كان من الاعتقاديات فعليه أن يُثبت دعواه بنصٍ من أئمة الكلام ، وإن كان من الفرعيات فيلزم أن يبني بنيانه على القول الراجح من أئمة المذهب، فإذا فعل ذلك فلا يكون منا إن شاء الله تعالى إلا الحسنى والقبول بالقلب واللسان، وزيادة الشكر بالجنان والأركان .

الشيخ المحدث خليل أحمد السهارنفوري

صاحب بذل المجهود

في مقدمة رسالته "المهنّد على المفنّد" (ص ٢ ، ٣)

القسم الأوّل

وليست مدرسة دار العلوم ديوبند مركزاً رئيسياً لتعليم المعارف الإسلامية فحسب، بل هي مركز عالمي تربوي لحضارة الإسلام وثقافته أيضاً، فخريجوها منتشرون في جميع أنحاء العالم، والناس يرتحلون إليها للارتواء من هذا المنهل العلمي الثقافي من كافة بلدان العالم.

محمد كامل بحر العلومي

مجلة المنهل السعودية

ربيع الثاني ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م

ديوبند

جامعة و جماعة

إنّ **"جامعة ديوبند"** و **"جماعة ديوبند"** - لكلٍ منهما خدمات جليلة ومآثر عظيمة في سبيل إقامة الدين و حفظه و نشره ، و حماية السنة وإحيائها وفي تحلية الجيل المسلم بالتربية الإسلامية السنية الحقة ، و في سبيل الدفاع عن الإسلام و المسلمين ، بجميع إمكانياتهم و أقصى جهودهم .

وإنّ العلماء الذين ينتسبون إلى **ديوبند** و يقال في حقهم إنهم **"ديوبنديون"** كانوا متضلعين بعلوم الكتاب و السنة ، ماهرين في فقه المذاهب الأربعة ، ذابين عن السنة ، ماحين للشرك ، قامعين للبدع والخرافات والأمور الجاهلية التي راجت بين المسلمين،معاندين للزيغ والإلحاد ، صادعين بالحق، مجاهرين بالصدق، لا يخشون إلا الله

ولا يخافون في الحق لومة لائم ، متوكّلين على الله ، واثقين به، مخلصين له في دينه، مجتنبين عن الرياء، مبتعدين عن السمعة، محترزين عن الشهرة.

وقد قاموا بخدمة الدين المتين ، و نهضوا بالجد و الاجتهاد لإعلاء كلمة الله تعالى في مجالاتٍ شتى بحيث لم ينافسهم في ذلك من سواهم من الجماعات والجامعات، وإن جهودهم في خدمة الإسلام والمسلمين معروفة ومشكورة، وفضلهم في ذلك لا يُنسى ، و لن يُنْسى .

ونحن الآن بصدد بيان مسلك هذه الجماعة ومعتقدها ، وبصدد ذكر عقائد هذه الجماعة وأفكارها، التي يتبين منها القارئُ ويتحقق أنهم - بحمد الله - من أهل السنة والجماعة تماماً وحقّاً ، تلواً بتلو ، لايحوم حول ذلك ريب ولا شك .

فلا بد لنا أن نعرِف - أوّلاً -و نُعَرِّف هذه الجامعة وهذه الجماعة، وأحوالهاوخدماتها ، قدر ما يوقف به على حقيقة الحال إلى حدٍّ مّا . فإليكم بضاعتنا هذه المزجاة، التي نرجو بها عند الله الفوز والنجاة.

جامعة ديوبند

المعروفة بـ

"دار العلوم ديوبند"

إنّ أكبر معهد ديني في الهند، و أكبر جامعة إسلامية، و أكثرها طلّابا و أقساماً، وأوسعها نطاقاً - إفادة و شهرةً - هي" **جامعة ديوبند**" التي تعرف في شبه القـــارة الهندية بـــ" **دارالعلوم ديوبند**" ، وهي التي تُلقّب - و توصف - بـــ"أزهر الهند". وجاز توصيفها وتسميتها بذلك من كل وجه، بل هي تفوق الجامع الأزهر بمصر مـــن بعض الوجوه و النواحي([1]).

" بدأ هذا المعهدُ - كماسبق - مدرسةً صغيرةً باسم **مدرسة إسلامي عربـــي**([2]) (المدرسة الإسلامية العربية) لا تسترعي الاهتمام، ثم لم تزل تتوسّع وتتضخّم - بعون الله سبحانه وتعالى ثُمّ - بفضل جهود أساتذتها والقـــائمين عليهـــا، وإخلاصهـــم، وزهدهم في حطام الدنيا، حتى تحوّلت جامعةً دينيةً كبيرةً، بل كبرى المدارس الدينية في شبه القارة الهندية، وأصبحت تُعرف و تُذكر بـــ" **دارالعلوم**" .

([1]) من كلمة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَدْوي في تقديمه لخطابه المطبوع بالمهرجـــان المئوي لجامعة ديوبند ص ٣

([2]) (تاريخ دارالعلوم ديوبند) ١/ص ١٨٧،١٨٨

وكان افتتاحها في قرية **ديوبند** من القرى التابعة لمدينة سهارنبور (على بعد مائة ميل تقريبا من دلهي) في مسجدصغير (بطالب وأستاذ) **سنة ١٢٨٣ هـ** [يوم الخميس الموافق الخامس والعشرين من محرم الحرام المصادف ٣٠ مايو ١٨٨٦م]

وكان الاعتماد فيها على الله، ثم على تبرعات عامة المسلمين . ورُزِقت من أوّل يومها رجالاً عاملين مخلصين، و أساتذةً خاشعين متقين- كذا نحسبهم ولانزكي على الله أحداً - فسرتْ فيها روحُ التقوى والاحتساب و التواضع والخدمة .ولم يزل نطاق المدرسة يّتسعِ، وصيتُها يذيع، و شهرةُ أساتذتها في الصلاحِ والتقوى و التبحّرِ في علم الحديث والفقه، تطيرُ في العالم حتى أمّها الطلَبَةُ من أنحاء الهند ومن الأقطار الإسلامية الأخرى" (١).

وقدجاوز عددُ طلابها - الآن - ثلاثة آلاف طالباً، و يتخرج منها أكثر من سبع مأة طالب سنوياً، و لذا يقدَّر عدد الذين نالوا شهادة الفراغ والفضيلة منها مايقارب ثلاثين ألفاً (٢)، من العلماء والدعاة المتخصّصين في التفسير والحديث والفقه وأصوله .

والذين ارتووا من مناهلها من خارج الهند **كباكستان، وأفغانستان وشيراز، وبخارى، و قازان، وروسيا، وأذربيجان، والمغرب الأقصى ، وآسيا الصغرى، وتبت، والصين، وجزائر بحر الهند، والحجاز، والأقطار العربية، وإفريقيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإستراليا** وغيرها من أرجاء العالم مايقدَّرُ عددهم بألوف.(٣)

ومن ثَمّ اشتهر هذا المعهد - بعد تأسيسه بأعوام عديدة - باسم "**دارالعلوم**" وأخيراً بـ" **جامعة ديوبند**".

---

(١) المسلمون في الهند : ص ١١٤ ، ١١٥ ، بتصرف يسير

(٢) مجلة الداعي المجلد:٢٢، العدد ٦-٧ عام ١٤١٩هـ

(٣) تاريخ دارالعلوم ديوبند

" وكان للمتخرجين في دارالعلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة، والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر.

وشعار دارالعلوم ديوبند هو التمسّك بالدين، و التصلُّب في المذهب الحنفي، والمحافظة على القديم، و الدفاع عن السنة " (١).

ومن أهم ميزاتها البارزة مع تصلُّبِها في المذهب الحنفي أنَّها فتحت بابَها – ورحَّبت بسعة صدرها – لكل من ورد إليها و قصدها من طلبة العلم المسلمين، على اختلاف مذاهبهم الفقهية. وقد حافظت دارالعلوم على هذه الميزة ولم تزل ولله الحمد.

ولذا نجد فيمن استفاد منها ونال شهادة الفراغ منها عدداً كبيراً من غير الحنفية (٢)، منهم الإخوة الشوافع من سكان جنوب الهند -كيرالا وماجاورها- من الداخل، ومن ماليزيا وإندونيسيا وغيرها من خارج البلاد ، بل تخرُج فيها عددٌ غير قليلٍ ممن يرفضون التقليدَ ولا يُحبونه ، (بل ولا يجوّزونه لأيٍّ من المذاهب الأربعة) وهم أهل الحديث.

---

(١) المسلمون في الهند ص ١١٥

(٢) ومن الطريف والجدير بالذكر أنه لشهرة دارالعلوم ومستواها العلمي، وإخلاص أساتذتها في التدريس، وتمكنهم من العلوم الإسلامية، يقصدها – أيضا – المبتدعون| البريلويون| المنتحلون نسبة أهل السنة في شبه القارة الهندية، (فيسمون أنفسه " سنّيّين، " مقابل الديوبنديين الذين يسمونهم وهابيين) فيهدي الله من يشاء منهم إلى الحق والصواب

وأشهر من تخرّج فيها من هؤلاء [من جماعة أهل الحديث] الشيخ **ثناء الله الأمرتسري** الذي يُعَدُّ من أفذاذ علمائهم، الذين جدّوا واجتهدوا لرفع شوكتهم وتقويتهم في هذه البلاد ، وقد خدم العلامة الأمرتسري الإسلام والمسلمين بخدماتٍ تُشكر، قال فيه الأستاذ الفريوائي :

" العلامة شيخ الإسلام أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري (١٢٨٧ - ١٣٦٧هـ) عبقريّ من عباقرة الإسلام، داعية كبير، وحامل لواء السنة، دافعَ عن الإسلام طول حياته، وأسّس جمعية أهل الحديث الهندية" .[١]

ويقول **الشيخ الأمرتسري** نفسُه - متحدثاً عن استفادته من دارالعلوم ديوبند - في سيرته الشخصية :

" ثم وصلتُ إلى [دار العلوم] ديوبند، ودرستُ فيها جميع الكتب الدراسية المعقولة والمنقولة[٢]، واشتركتُ في دورة الحديث[٣]، واستفدتُ من الاختلاف في طريقة تدريس الحديث لدى أساتذة بنجاب، عنها لدى أساتذة ديوبند، وشهادة ديوبند الجديرة بالاعتزاز لم أزل أحتفظ بها" اهـ[٤]

---

(١) جهود مخلصة في خدمة السنة المطهّرة : ١٥٣

(٢)يقصد بالكتب المعقولة كتب الفلسفة والمنطق، والكتب المنقولة تعني مصادر العلوم الإسلامية.

(٣)**سنةُ التخرج من المرحلة العالية في الدرس النظامي خاصةً بتدريس الصحاح الست**، ولاقتصار الدراسة في هذه السنة على دراسة الحديث فقط- روايةً ودرايةً- تُسمّى بـ "**سنة دورة الحديث**" ومع نهاية السنة الدراسية يتم ختم صحيح البخاري - الذي سيأتي ذكره في كلمة **سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل**- ويكون مناسبةً لاجتماعٍ عامٍ لطلبة العلم، والمنتمين إلى المدرسة ومحبيها والمتعاونين معها.

(٤)في أوّل كتابه: مذهب أهل الحديث ص:(و) طبعة جمعية أهل الحديث (المكتبة السلفية)لاهور.عام١٩٥٥م

بدأت **دارالعلوم** عملها - كما سبق - في مسجد صغير وبطالب وأستاذ - ومع نهاية سنتها الأولى بلغ عدد الطلاب ٧٨ طالباً، والمدرسون كانوا أكثر من ثلاثة، و لم تمض عليه أعوام حتى طار صيتُها إلى الآفاق - إلى أرجاء الهند وخارجها أيضاً - وأمّها الطلبةُ من قريب ومن بعيد، فاضطروا إلى نقلها من ذلك المسجد الصغير الذي يعرف بـ *"مسجد شته"* إلى مكانٍ أفسحَ وأوسع ، فنقلوها أولاً إلى جامع القرية وأروقته، ثم اشتروا لها قطعةً من الأرض مناسبةً لها خارج القرية، متصلةً بـ**"مسجد شته"** المذكور، فوضعوا فيها الحجر الأساسي لأول بناء لها، لا يزال يعرف بـ ***"نودره" وكان ذلك يوم الجمعة، الموافق الثاني من ذي الحجة سنة ١٢٩٤ هـ.***

وهكذا ابتدأت سلسلة المباني الخاصة لها، و لا تزال تتوسّعُ - بحمد الله وفضله - حتى أخذت من الأرض مساحة عشرات الآلاف متراً مربعاً - تتوسّطُها ثلاثة مساجد - منها: المبنى الرئيسي الذي يضم قاعات الدروسَ ومكاتبَ الجامعة المختلفة، ومبنى المكتبة العامة، و وحداتٌ سكنية للطلاب، وسكن أعضاء هيئة التدريس والموظّفين، وغيرها من المرافق المطلوبة للجامعة.

والمبنى الرئيسي - الذي يضم بجوانبه عدةَ مبانٍ مهمة **لدارالعلوم** - بمجموع ما اشتمل عليه، بناءٌ شامخ، تمتاز به **دارالعلوم** عن غيرها من الجامعات و المعاهد العلمية، يشعر الداخلُ فيه كأنه في قلعة حصينة و جميلة، أو أنه في قصر متين حصين.

خلاصة القول إنّ **دارالعلوم** ابتدأت أهلية ، تحصل على ميزانيتها بتبرعات المسلمين - من العامة و الخاصة - و لم تزل كذلك حتى الآن ، وتيسّر ذلك لأصحاب **دارالعلوم** لاعتمادهم - أوّلاً وأساساً - على الله تعالى ، ثم على تبرعات المحسنين من أهل الخير والصلاح من المسلمين. ***فبينما كانت ميزانية السنة الأولى ثلاثمائة وأربعا وتسعين (٣٩٤) روبيةً هندية، قدبلغت الآن مايقارب ثلاثين مليون روبية هندية.***

وهذا المبلغُ الهائل الذي تنفقه **دارالعلوم** اليوم لاتساهمهافيه أي دولة، ولاتتولاه مؤسّسةٌ تجارية، بل لايزال يتحصل لها، ويُجمع من المسلمين- من الهند وخارجها- فالمسلمون يرسلون النقود - وتبرعاتٍ عينيةً من الإنتاج الزراعي وغيره - إلى **دارالعلوم**، كما يسافر بعض سفراء **دارالعلوم** - وأساتذتها أيضا - لهذا الغرض داخل بلاد الهند، و إلى الخارج أحياناً، فيقابلون إخوانهم المسلمين ويجمعون منهم ما يتكرمون به بطيب أنفسهم.

والجدير بالذكر أن غالب الميزانية ل دارالعلوم يتحصل من بلاد الهند وأهلها، وليس ذلك إلاّ لأنّ الله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عونه وعون دينه، وقد وضعوا لها أصولاً أساسيةً يتّبِعونها ويلتزمون بها، والحمدلله على توفيقه وإحسانه..

...فجزاهم الله كل خير، ونرجوهم إن شاء الله التوسع في ذلك، وأن تكون هذه الجامعة منبراًعاليًا من منابر الإسلام، تنير العالم كلّه بحول الله وقوته، كما أنارت شبه القارة الهندية وما إليها من البلاد الإسلامية، فجزى الله القائمين عليها كل خير، ووفّقهم لما يقومون به من جهد وجهاد، وقد قاموا بذلك على أكتافهم وعلى هممهم العالية، وعلى نشاطهم المتواصل، من غير أن يكون هناك دعم من حكومات، أويكون دعم من مؤسّسات، وإنّما قاموا به بجهد منهم، والله سبحانه وتعالى أعانهم على حسب اجتهادهم وعلى حسب نيتهم، وعلى نيات مؤسّسي هذه الجامعة المباركة، فشكر الله لهم وبارك في جهودهم.

سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

الأصول الأساسية الثمانية لدارالعلوم

التي وضعها لها و قرّرها

مؤسِّسُها الإمامُ النانوتوي

إنّ الشيخ محمد قاسم النانوتوي الذي يرجع إليه فضل تأسيس دارالعلوم قدوضع لدارالعلوم أصولاً أساسيةً ثمانيةً ، أعملها في شؤونها و أجرى أمور دارالعلوم عليها منذ يومها الأوّل ، ثم جرى عليها من جاء بعدها من المشرفين عليها، ويرى من له معرفة تامة بها و بدارالعلوم وأحوالها، أنَّ سِرِّ نجاحها - بعد فضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه - هو في التزام العمل بهذه الأصول، و هي كما يلي :

١- ليواصل السعيَ رجال العمل والإدارة قدر المستطاع لتوفيرالعطايا والتبرعات وليستخدموا غيرهم لهذا العمل المثمر .

٢- ليبذل الناصحون للمدرسة المساعي الحثيثة لإبقاء طعام الطلاب وتكثير عددهم.

٣- على أعضاء المجلس الاستشاري أن يراعوا دائماً الأمور الصالحة للمدرسة ولا يصروا على آرائهم الخاصة ، ولوحان الوقت - و لا سمح الله - لأن يكرهوا مخالفة آرائهم ويستاؤوا منها ، لتزلزل كيان المدرسة و تزعزع أساسها، فعليهم أن يشيروا في شؤونها على مباشرة الأمور بكمال الخلوص و النصوح لها، مراعياً لصلاحها في سياق إظهار آرائهم و سباقها. و يقبلوا بسعة الصدر رأي غيرهم من المستشارين ولوكان رأيهم خلافاً ما يرون .

و على المدير أن يستشير أصحاب الرأي و أولي النظر في الأمور الهامة، سواء كانوا من أعضاء المجلس الاستشاري أو غيرهم من الزوّار الكرام

الناصحين للمدارس الإسلامية ذوي البصيرة و الرأي في الأمور . و قد يلزم هذا فإنه إذا ما أمكنه ولم يقدر أن يستشير أعضاء المجلس لسبب ما ، و قد استشار عدداً معتدّاً به من أصحاب البصيرة و الرأي ، فلا ينبغي لأحد أن يسخط عليه ويغضب على أنه لم يُستَشَر ، وإن لم يستشر - المدير- أحداً (و عمل برأيه فقط) فلأهل الشورى حق الانتقاد و الاعتراض .

٤- على الأساتذة أن يعتصموا بحبل الاتفاق و الوئام و لايتفرقوا فيما بينهم مشربا ومسلكا ، ولايهتكوا حرمة الآخرين ، فلو لم يعملوا به لتوقفت نشاطات المدرسة وغربت شمس رقيها .

٥- لا بد للأساتذة من إتمام المقررات الدراسية ، حسب النظام الذي قرّروه سابقاً - أو حسبما يبدو لهم فيما بعد - و إلا لم تعمر هذه المدرسة بالطلاب، و لوعمّرت لكانت غير نافعة لهم .

٦- ما دامت المدرسة لا تحظى بوسيلة مادية ثابتة قائمة، تجري نشاطاتها إن شاء الله كالمعتاد بشرط التوجه إلى الله تعالى. ولوحصلت لها أيّة وسيلة مؤكدة مثل العقار أوالمصنع أو وعد و عهد من ملك صادق الوعد محكم القول، لذهبت نعمة الرجوع إلى الله تعالى و التوجه إليه، و لتوقّف نزول عونه، وحدث ونشأ النزاع والجدال بين رجال العمل والإدارة ، فعليهم أن يراعوا و يهتمّوا في دخل المدرسة والميزانية أن تكون الحال في نوع من فقدان عدة وعتاد .

٧- إن مساهمة الحكومة أو الأمراء في أمور المدرسة الإدارية تلحق أشد الضرر بها.

٨- إن إعانات و مساعدات من لا يجري وراء السمعة الزائفة الكاذبة تعود بالبركة فإنّ إخلاص نية المساعدين وحسنها يؤثّر في ترقيتها وتدعيم كيانها. [1]

---

[1] مائة و سبعة عشر عاما لدار العلوم ص: ١٢، ١٣ و (تاريخ دارالعلوم) ١/١٥٣ و ١٥٤

تأسيس دار العلوم

لم تتأسَّس **دار العلوم** صدفة و بدون قصد واهتمام ، و لا نتيجةً عن رغبة في إنشاء معهد كبير والإشراف عليه، ولا بناءً على نزعة عصبية مذهبية أو لسانية ونحوها - ولله الحمد - بل كانت أهدافها أعلى و أسمى من كل ذلك، ولتأسيسها قصة معروفة الشأن، ذكرها كل من أنصف ممن تكلم ، وكتب وألّف في تاريخ الإسلام والمسلمين، و تاريخ الدعوة الإسلامية بالهند(١)، و شهدت لهم بذلك أحوالها وخدماتها .

واليكم بيان ذلك نقلاً مماكتبه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النّدْوي في كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربيةفي الأقطار الإسلامية"، يقول حفظه الله:

---

(١) (سوانح قاسمي) الجزء الأوّل و (تاريخ دارالعلوم ديوبند) الجزء الأوّل و كلاهما بالأردية، وتاريخ الدعوة الإسلامية في الهند للشيخ مسعود عالم النّدْوي ،و (الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها) ص ٣١ و (أضواء على الحركات الدينية..) و (المسلمون في الهند) ثلاثتها للعلامة النّدْوي، و غير ذلك مما أُلّف في الموضوع.

"الصراع بين الشرق و الغرب في الهند :

"وكان المجال الثاني الذي ظهر فيه -لعوامل سياسية و ثقافية - الصراع بين الشرق و الغرب واضحاً قوياً، وكان مكلّفاً باختيار أحد الطريقين : الحياة الإسلامية على أساس العقيدة والإيمان ، أوالحياة الغربية على أساس القوة والتقدم ، هو **الهند** التي توطّدت فيها الحكومة البريطانية الزعيمةُ للحضارة الغربية في الشرق، وزحفت إليها العلوم الحديثة و التنظيمات الجديدة ، و ما تستتبعها من آلات ومصنوعات وآراء و فلسفات، وكان الشعب الإسلامي الهندي منهوك القوى، مثخنا بالجراح ، مجروح الكرامة ، يعاني دهشة الفتح وعار الهزيمة، وجيشاً من التُهم و الظنون، و يواجه فاتحاً ممتلئاً بالقوة و الشباب و الثقة، وحضارة زاخرة بالجدة و النشاط و الإنتاج، وقضايا كثيرة ومشكلات، تتطلب الحل السريع الجازم، و الموقف الواضح الحاسم .

القيادة الدينية و المدرسة القديمة :

في هذه الساعة العصيبة الدقيقة ، وفي هذه الحالة النفسية المحرجة برز في الميدان نوعان من القيادة :

أولهما القيادة الدينية ، التي يتزعمها علماء الدين، والقيادة الثانية: يتزعمها **سيد أحمد خان** و تلاميذه و أنصاره من أهل المدرسة الجديدة .

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الإسلامي شخصية دينية، ومن أكثرهم رسوخاً في الدين، وزهداً في الدنيا، و إيثاراً للآخرة، وغيرةً على الإسلام، وجهاداً في سبيله بالنفس و النفيس ، و لكن جوهم الخاص الذي عاشوا فيه، وثقافتهم القديمة ، لم تمكّنهم من السيطرة على هذه الحضارة الغربية و الثقافة

الجديدة و قيادتها إلى ناحية جدية بجدية تعود على الإسلام والمسلمين بالنفع والقوة .

ثم إنّ الهمجية التي ظهرت من الحكومة الإنجليزية ، والقسوةَ النادرة التي عاملت بها المسلمين الذين اعتبرتْهم أصحابَ الفكرة في الثورة المُخْفِقة سنة ١٨٥٧م وقادتَها (١)، وتحمُّسَ الحكام و الولاة الإنجليز لنشر المسيحية في طبقات الشعب الهندي ، والسرعةَ الزائدة التي كانت الحضارة الغربية تنتشر بها في الجمهور و تأثيرها في عقيدة المسلمين وأخلاقهم، كل ذلك وضَعَهم في مركز الدفاع عوضاً عن الهجوم ، وجعلهم يفكرون في الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية والروح الإسلامية ومظاهر الحياة الإسلامية ، والدعوة إلى التجنب عن هذه الحضارة و الابتعاد عنها ما أمكن ، **وجعلهم يفكرون في بناء معاقل الحضارة الإسلامية و الثقافة الإسلامية ، و العلوم الشرعية، وتخريج العلماء والدعاة والمرشدين من هذه المعاقل التي سميت بعدُ بالمدارس العربية .**

وكان على رأس هذه الحركة الإصلاحية والتعليمية المنتجة الإمام ***محمد قاسم النانوتوي*** مؤسس ***معهد ديوبند*** الكبير، **وكان لاينظر إلى المؤسسة التي ساهم في تأسيسها وقادها في حياته ، كمعهد يقوم بتدريس العلوم و المواد الدراسية ويخرج الفقهاء والمعلمين فحسب، بل ينظر إليه كمركز و"ثكنة" تخرّج المكافحين والدعاة الذين يفتحون جبهة جديدة للكفاح بعد ما لقي المسلمون الهزيمة المنكرة من الإنجليز المحتلين، وانقرضت الدولة الإسلامية من الهند.**

---

(١) اقرأ فصل "الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند" في كتاب "المسلمون في الهند" ص ٨٥-٩٤ طبعة المجمع الإسلامي العلمي -ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

يقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني في **"سيرة مولانا محمد قاسم النانوتوي"** مؤسس **دار العلوم ديوبند** :

"قد اشتغل عقله الكبير في فتح الجبهات الجديدة و تهيئة مجـــالات الكفـــاح بعد ما أخفقت ثورة عام ١٨٥٧م ، وكان نظام التعليـــم و التربيـــة السائد في **دار العلوم ديوبند** عاملا أساسيا لتحقيق هذا المنهج الذي آثره الشيخ[النانوتوي].

إن الذين تراجعوا من ساحة شاملي(١) لم ينقطعوا عن التفكير ، و لم يضعـــوا أوزارهم، بل بقي هؤلاء يكافحون لبقاء الدين و العلم الديني ، واشـــتغلت بـــه عقولهم وقلوبهم ، ينتظرون من الله النصر . وكان ضمن هذه الجهود هذه المدرسة التي لم تكن غايتها التدريس و التعليم فحسب ، وإنما كان من غايتها الأساســـية تربية رجال يتداركون الهزيمة التي لحقت المسلمين في عام ١٨٥٧م." (٢)

وسواء تحقّق هذا الغرض النبيل أم لم يتحقق ، ولكن مما لا شك فيه أن لهذه الحركة وقادتها فضلاً كبيراً في تمسك الشعب الهندي الإسلامي بالدين وشـــريعة الإسلام، وتفانيه في سبيله ، والتماسك أمام الحضارة الغربية الماديـــة الإلحاديـــة تماسكاً لم يشاهد في بلد إسلامي آخر تعرّف بهذه الحضارة و وقع تحت حكـــم أجنبي، وكانت **ديوبند** زعيمة هذا الاتجاه ، والمركز الثقافي الديـــني و التوجيهـــي الإسلامي الأكبر في الهند." (٣)

---

(١) قرية بين دهلي وسهارنبوروقد كانت فيها في عام ١٨٥٧م معركةحربية ضد الإنجليز قاتل فيها الشيخ إمداد الله المهاجر المكي والشيخ محمد قاسم وزملاؤهمار استشهدفيهاالشيخ محمدضامن.

(٢) سوانح قاسمي الجزء الثاني ص ٢٢٣-٢٢٤-٢٢٦ .

(٣) انظر فصل **"مراكز العلم و الثقافة الإسلامية"** في كتاب "المسلمون في الهند".

مثل حي في
المحافظة على كيان المسلمين

وهؤلاء المجاهدونهم الذين قاموا بإنشاء
دارالعلوم ديوبند التي صارت أكبر معهدٍ
دينيٍ عربيٍ في الهند والبلاد الأسيوية الشرقية.
وقد واصلوا جهادهم في سبيل حماية المسلمين،
وأخلاقهم وعقيدتهم من شرور المستعمرين،
وتشددوا في ذلك حتى خاصموا كل ثقافةٍ
إنجليزيةٍ، بل كل ملبسٍ ومظهرٍ إنجليزي،
ولازال هذا المبدأُ سائداً في هذه المدرسة وأمثالها
للآن، ويعتبر ذلك مثلاًحياً في المحافظة
على كيان المسلمين."

معالي الدكتور

عبد المنعم النمر

وزير الأوقاف الأسبق بجمهورية
مصر العربية

دار العلوم دعوة و حركة

وهكذا فإنّ **دار العلوم** ليست بجامعة ومدرسة دينية ومعهد علميٍ فقط بل إنّما هي دعوةٌ وحركةٌ، دعوةٌ لإصلاح العقائد و نشر الكتاب والسنة، وحركةٌ لصيانة البقية من ثروة الإسلام والمسلمين في هذه البلاد بعد تغلُّب الإنكليز عليها وتسلُّطها، وإنّما اختاروا لهذه الدعوة و الحركة صورةَ المدرسة وإقامةَ معهدٍ علميٍ، لخصوص ظروف البلاد و أحوال المسلمين فيها . والحق أنّ هذه الصورة للدعوة الإسلامية و الحركة الإصلاحية، قد ورثوها من أسلاف سلسلتهم العلمية أي **الإمام ولي الله الدهلوي** وأسرته الكريمة، فإنهم أوّل من توسّلوا المدارس الدينية لحركة الدعوة والإصلاح في هذه البلاد. وقد نوّه بكونها حركةً، المؤرخون المسلمون للهند الإسلامية .

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني :

"اتصلت مدرسة **ديوبند** الشهيرة بحركةٍ إصلاحيةٍ كبيرةٍ في ذلك العصر وكان مؤسّسُها الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** ومربيها الآخر الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** من كبار مسترشدي الحاج **إمداد الله** (المتوفى ١٣١٧هـ) المهاجر إلى مكة المكرمة ...... و قد شملت هذه الحركة الممتزجة بالحركة الإصلاحية والتربويةِ سائرَ أنحاء البلاد."(١)

---

(١) (المسلمون في الهند) ص ١١٠ و ١١١

أزهر الهند جامعة ديوبند

ليست بجامعة دينية فقط

وإنّما هي دعوة تاريخية وحركة متواصلة

ويقول العلامة **النَّدْوي** أيضاً :

"إنَّ **جامعة ديوبند** إنّما هي ليست بجامعة دينية فقط، وجاز تسميتها بـ *"أزهر الهند"* من كل وجه ، بل هي تفوق الجامع الأزهر بمصر من بعض الوجوه والنواحي.

وإنّما هي دعوة تاريخية لإصلاح العقائد و نشر الكتاب و السنة، وهي في الحقيقة تواصلٌ للمأثرة التجديدية لأسرة **الإمام ولي الله** وتسلسلُها.

اختيرت لها هذه الصورةُ في الوقت الراهن دفاعاً ، ألجأهم إليها تغيُّرُ الزمن و تبدلُ الظروف وتحوُّلُ الحكومة و السلطنة، وذلك لأجل ضيق النطاق وعجز الوسع عن جهودٍ إقدامية بتأسيس مركزٍ عظيمٍ وترقيته لصيانة البقية من ثروة الملة الدينية." [١]

---

(١) من تقديم الشيخ الداعية أبي الحسن علي الحسني النُدْوي -على خطابه المطبوع بالمهرجان المئوي لجامعة ديوبند ص ٣

الانتماء إلى ديوبند

لا يختص بالتعلم و التخرج في جامعة ديوبند

ولما كانت جامعة "**دارالعلوم ديوبند**" -دعوة وحركة ، فالانتساب والانتماء إلى "**ديوبند**" و التلقيب **بالديوبندي** لا يختص بالتعلم و التخرج في جامعة **دارالعلوم ديوبند**، كماأنه لا يختص بالتوطن و السكنى بها.

فلذا لا يعنى بـ "**علماء ديوبند**" ، ولا بـ "**الديوبندي والديوبندية**" الجماعة التي تقيم في الجامعة الإسلامية **دارالعلوم ديوبند**، و تقوم فيها بخدمة التدريس والتعليم، أو الإفتاء و القضاء، أو التبليغ والوعظ، أوالتأليف والكتابة ، وما إلى ذلك فقط.

وإنما المراد بذلك جميع العلماء الذين ينبع فكرهم من فكر الشيخ ***مجدد الألف الثاني أحمد بن عبد الأحد السرهندي*** (المتوفى ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)، فمن فكر ***الإمام الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم*** (المتوفى ١١٧٦هـ/١٧٦٢م) ويتصل بفكر مؤسسي جامعة **دارالعلوم ديوبند** : الإمام ***محمد قاسم النانوتوي*** (المتوفى ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) والشيخ الفقيه **رشيد *أحمد الكنكوهي*** (المتوفى ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) والشيخ ***محمد يعقوب النانوتوي*** (المتوفى١٣٠٤هـ/١٨٨٤م) ، سواء أكانوا من خريجي جامعة **دارالعلوم ديوبند**، أم من خريجي ***مظاهر علوم*** بسهارنفور، أم من غيرهما من المدارس الكثيرة المنتشرة في البلاد الهندية -بل في شبه القارة الهندية وفي غيرها أيضاً من بلاد الغرب و الشرق- من المدارس التي تحتضن مسلكها ومذهبها، وتتبع منهجها.

وسواء أكانوا مشتغلين بالتعليم، أو بعمل من الأعمال المدنية والسياسية والاجتماعية ، أو كانوا منصرفين إلى التأليف ، وسواء أكانوا في أوربا وآسيا ، أوافريقيا و أمريكا ، كل هؤلاء ينضمون إلى "علماء ديوبند" - و جميعهم علماء ديوبند في الواقع .

وبالجملة فإنّ لفظ "الديوبندي" أوّل الأمر كان يطلق على من كان من سكان قرية ديوبند، ثم أطلق على خريجي جامعة دارالعلوم ديوبند، ثم اتّسع فيه فصار لقباً لكل من كان من أهل السنة و الجماعة ، سواءً كان حنفياً أو شافعياً، عالماً أم عامياً، وأصبح نظيراً لكلمة "الوهابي". وهكذا صارا [الديوبندي والوهابي] في عرف شبه القارّة من المترادفات، فكل من "الديوبندي" و"الوهابي" يطلق أحدهما مكان الآخر، فيعني كل منهما: **العامل بالسنة السنية و المجتنب عن البدعة الشنيعة** .

"...وتخرجت في الكتّاب، ودخلت في مدرسة إسلامية في مدينتي، كان مدرسوها من خريجي **دارالعلوم ديوبند**، وكان الناس يدعونهم "وهابيين".. غير أني ما رأيت في هؤلاء المدرسين شيئاً من الأوصاف الخسيسة أو التهم الشنيعة التي كان القوم يوجّهونها إليهم، بل رأيتهم يؤكّدون على طاعة الله ورسوله، وعلى امتثال الشريعة الإسلامية، وتطبيقها على الحياة والمجتمع ، وبجانب ذلك كانوا يرفضون - بكل شدة- عبادة القبور والأولياء، واتخاذ الأضرحة، والأعياد والمهرجانات التي يقيمها المبتدعة على القبور والأضرحة، وما إلى ذلك من البدع والخرافات..."

العلامة محمد منظور النعماني

(دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب:١٧)

الميزة الفارقة الفاصلة

بين علماء ديوبند و غيرهم من أهل الزمن

الميزة التي تميز هذه الجماعة – التي عُرفت بـ "الديوبنديين" – هي أنها لم تخترع و لم تُحدث أموراً في الدين لم تكن تعرف في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالحين .

و لم تحتضن و لم تقبل كل ما جاء ذكره في كتب الفقه و التصوف و نحوها مع ضعف الدليل وسخافة الاستدلال .

و لم تخالف السلف الصالحين ولا الخلف المقبولين في تفسير القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية ، وبيان العقائد الإسلامية والأخلاق السليمة.

قدوتُهم في الدين – العقيدة و الفقه و السلوك و الإحسان – السلف الصالح ولو كان مع خلاف إذا كان مما ساغ فيه الاجتهاد والخلاف، و إلا فهم مع جماهير أهل السنة والجماعة من جميع الأزمان وسائر البلاد.

وعمدتُهم في التفسير و الحديث كتب المتقدمين والمتأخرين المقبولين، لا كتب المُحدثِين المبتدعين من هذه العهود أو من الماضين.

وفي الجملة فإنَّ عقيدتهم عقيدة أهل السنة و الجماعة ، و تفسيرهم تفسير الصحابة و التابعين، و أحاديثهم ما جاء في الكتب الستة -وما يماثلها – وما في شروحها، وفقههم فقه الأئمة الأربعة و أصحابهم المعتبرين.

فلا مجال عندهم – ولله الحمد- للتحريف في الدين ، تفسيراً لآية أو شرحاً لحديث ، ولا امتياز لهم باختصاص فقه جديد ، واختيار تفسير حديث، أواعتناق فكر خبيث، **فليسوا بحاجة إلى عنوان جديد، أو لقب حديث، وإنَّما هم من أهل السنة والجماعة ، فهو العنوان لهم و التعريف بهم ، والتسمية به ونسبتهم إليه، شرفٌ لهم وفضل لا يدانيه شيء آخر ، ولا يحبون الانتساب إلى غيره.**

أهداف دار العلوم

" نظراً إلى الظروف التي تأسّست فيها جامعة "دار العلـــوم" تتمثـــل أهدافها في المحاولة لإبقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار عن طريق التعليم والتربية والتوجيه الإسلامي والتوعية الدينية، ولذلـــك كـــان هدفها منذ اليوم الأول:

١- تعليم الكتاب و السنة على المستوى العالي بجميع ما يتعلـــق بهمـــا وينبثق منهما من العلوم و الفنون .

٢- تخريج علماء متضلّعين في العلوم ، حريصين على خدمـــة الإســـلام، تعلماوتعليما، وعملاًبه ودعوةً إليه، وتطبيقا له في المجتمـــع ، أكفيـــاء لخدمة الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية على نهج يتطلبه العصر.

٣- مكافحة البدع و الخرافات ، و العقلانية الجامحة ، و الحداثية المتحررة من كل قيد من الدين و العقيدة ، و مقاومة جميـــع القـــوى المعاديـــة للإسلام ، و ملاحقة الحركات والدعوات الهدامة.

٤- عرض الإسلام عرضاً عصريا، يسيغه العوام والخواص، ويُحبّبه إلى كل قطاعات من الجنس البشري ، ويجعله يتأكّد من أنه رسالة الله الخـــالدة الباقية بقاء السماوات والأرض ، الصالحة لكـــل زمـــان ومكـــان ، و أنّ البشرية تحتاج إليها احتياجَها إلى الماء والهواء، والغذاء و الدواء.

٥ - تدريس جميع العلوم والفنون باللغة العربية؛ لكونهـــا لغـــةً رسميـــة للإسلام،ولكونهاوعاء علوم الكتاب والسنة، ولكون الشريعة قد نزلت بها، ولكونها لغة كتاب الله الأخير، المهيمن على كتبـــه وصحائفـــه كلها، وبالتالي لكونها مفتاحاً للعلوم الإسلامية كلها، لايمكن فهمهـــا، وإدراكُ أغوارها، والتشرُّبُ لروحها، والخوضُ في أعماقِها إلّابعد العلم بها. (١)

" ... وعلى أثر تلك الدائرة على المسلمين تفرّس الشيخ العارف النانوتوي الديوبندي فيما يؤول إليه أمر المسلمين علماً وديناً وسياسةً، وما تنتهـــي إليه عاقبتهم حين عجزوا عن مدافعة الاستعمار بما في أيديهم مـــن عـــدة القتال ، فقام موفّقاً وسعى لتأسيس معهد ديني ؛تدبيراً لحفظ دين المسلمين، وصيانة لعلوم الإسلام، وتربية للسياسة الإسلامية والجهاد الديني في أفكار أبناء الأمة المسلمة، وهذه الأمور الثلاثة هي روح مقاصد تأسيس هـــذا المعهد، ومن أهم أصوله الأساسية، وعليها مناطه ومداره." (٢)

العلامة محمد يوسف البنوري

---

(١) لآلي منثورة: ٤١-٤٣

(٢)مجلة الإسلام المصرية ٧/ رجب ١٣٥٧هـ - ٢/سبتمبر ١٩٣٨م

خصائص دار العلوم

١- **أهمها** أنها أوّل مدرسة إسلامية أهلية في تاريخ المسلمين في الهند، قامت بتبرعات شعبية وسارت ولا تزال -وستظل تسير بإذن الله- بتبرعات الشعب المسلم وحده.

٢- **تدريس** الحديث الشريف على المستوى الشامل روايةً ودرايةً.

٣- **تجنيد** جميع طاقاتها للعمل على الحفاظ على الدين.

٤- **الاعتدال** والتوازن في اتباع المذهب، واحترامُ جميع المذاهب الفقهية المعروفة لدى أهل السنة والجماعة ومدارس الفكر الإسلامية المختلفة، وعدم إثارة الخلافات الفرعية، إلاّ إذا مسّت الحاجة إلى ذلك بشكل مُلِحّ لإيضاح حقيقة من الحقائق.

٥- **مكافحة البدع والخرافات**، حتى سُمّي ***علماء* ديوبند** - كما سبق وسيأتي أيضاً - بـ **"الوهابيين"** من قِبَل أولي الأهواء و عُبّاد الأضرحة والمعتقدين في الأولياء و الصلحاء و الأنبياء اعتقاداً مُحرّما في الشرع الإسلامي المطهر.

٦- نشر العقيدة الصحيحة المتوارثة عن النبيﷺعن طريق الرعيل الإسلامي الأوّل من الصحابة والتابعين، ومن اتّبعهم بإحسانٍ من بعد.

٧- **التوكل** على الله ، و البساطة في العيش ، و الجهاد للحـــق ، والتقيُّدُ بآداب الشرع الإسلامي ، والتقاليدِ الإسلامية الحقة ، والـــتزيُّ بـــزيٍّ العلماء، والاتسام بسمة الصلحاء.

٨- **المحافظة** الكاملة الدقيقة على الشرائع الإسلامية ، ولا سيما الصلاة مع الجماعة في مواقيتها ، فالجامعة تُقيِّد طلابها والعاملين فيها بذلـــك أولاً وقبل كل شيء.

٩- **إنها** لاتهتم بالشكل والمظهر اهتمامَهـــا بالحقيقـــة والمخـــبر، وتحـــترز عن الدعاية، وإطـــلاق الدعـــاوي العريضـــة، والأقـــاويل الفارغـــة، وتؤثر العمل في صمت.

١٠-**إنَّ روح الإخلاص** والاحتساب هي التي تسري في جميع أعمالها؛ لأنَّها تعلم أنّه ما كان لله دام ، واتَّصل ، وما كان لغيره انقطع و انفصـــل ، وهذا شيء يلمسه كل زائر للجامعة. (١)

"*زرت دارالعلوم بديوبند وسعدت بـــأن قضيـــت فيهـــا ســـاعات، فرأيت طلبـــةً مجديـــن صـــادقين في تعلـــم العلـــم، ورأيـــت أســـاتذةً اخلصوا لله قلوبهم...*"

سماحة شيخ الأزهر الدكتور/ **عبدالحليم محمود**

---

(١) (لآلي منثورة) ص ٤٥-٤٧

أوّل مدرسة أهلية

و

أم المدارس – و الجامعات – الأهلية الإسلامية

إنّ من خصائص دارالعلوم – بل من أهم خصائصها – و ما امتازت به – عما سبقها من المدارس والجامعات وعما نشأت بعدها – ***"مجانية كاملة في الدراسة مع الإقامة والإعاشة"***.

فإنّ هذا الأمر مما يدهش له المرء – أنّ دارالعلوم، التي بلغ عدد طلبتها الآن ثلاثة آلاف، والتي تتضمن الدراسة من المرحلة الابتدائية إلى التعليم العالي ، كلها بدون إعانة من دولة البلاد – ولامن أية دولة أخرى – وإنّما تعتمد الجامعة – بعد الله تعالى – على التبرعات والمساعدات الأهلية . من المدهش حقا أنّ الدراسة فيها – مع الإقامة والإعاشة – مجانية .

وأهم من ذلك أنّ عدداً كبيراً من الطلبة المحتاجين يحصلون على مساعدات مالية شهرية ، بالإضافة إلى لوازم الدراسة وغيرها من الملابس والأحذية واللحف.

ولبيان قيمة هذه الناحية – في هذه الجامعة السعيدة – وأهميتها لابد من الإشارة إلى انّ المدارس المتواجدة في شتى الأمكنة في الهند – قبل استيلاء الاستعمار الإنجليزي على البلاد – إنّما كان عمادها ما كان يوقف لها – *من قِبَل الأمراء و الملوك و الحكام المسلمين أوالإقطاعيين الكبار من المسلمين* – من الأراضي و العقارات ، فكان ريعها وغلتها مصدراً فياضاً ثابتاً لدخلها، الذي كان يغطي جميع نفقات تلك المدارس وميزانياتها السنوية .

ولكنّ الحال تغيّرت كلياً في عهد الاستعمار الذي صادر هذه الأوقاف والأراضي وذلك بهدف تجفيف منابع الفكر الإسلامي والتعليم الديني للمسلمين في هذه البلاد.

وإذا كانت التبرعات الشعبية و الأهلية قد اعتمدت عليها **دارالعلوم** ؛ لأنه لم يكن لها بد من ذلك؛ لاستمراريتها في البقاء، وفي الإنجاز، والإنتاج ، فإنها في ناحية أخرى أفادتها إفادةً كبيرةً ربما كانت متوخاة في نية العلماء الغيارى – ولاسيما الإمام **محمد قاسم النانوتوي** رحمه الله – ذوي الفراسة الإيمانية والألمعية الدينية ،الذين ساهموا في تأسيسها ، ولكنها لم تكن في حسبان عامة العلماء، فضلاً عن عامة الشعب المسلم، وهي أنّ التبرعات الشعبية جعلتْها على اتصالٍ دائم بجميع قطاعات المسلمين في هذه البلاد، و تعلّقت بها قلوبهم ، لأنّ كل فرد من أفراد المسلمين الذين تبرّعوا لها – ولوببيسة واحدة أو روبية واحدة – كان يظن أنّ له يداً في مسيرة **دارالعلوم** – وأنْ **دارالعلوم** هي مدرسته وجامعته. الأمر الذي أكسبها من الشعبية ما لم تتمتع به أية مدرسة أو مؤسسة للمسلمين في هذه الديار. وذلك كما قال سماحة الشيخ **النَّدْوي** – حفظه الله – سرٌ من أسرار بقاء المدارس و نجاحها في هذه البلاد. (١)

ولا تزال **دارالعلوم** تسير بهذه التبرعات العامة التي عملت حقاً – بالإضافة خدمات **دارالعلوم** المخلصة في سبيل الدين والعقيدة، والتعليم والتربية ، ومشاركتها في تحقيق أحلام المسلمين – على تعميق جذورها في تربية المجتمع الإسلامي الهندي.

وإذا كانت هناك كثير من المدارس – التي أقيمت في العقود الأخيرة من هذا القرن الجاري – تعتمد على المعونات الخارجية ، وترتكز عليها ميزانياتها ونفقاتها فإذا حدث هناك – لا قدر الله – هزة حالت دون هذه المعونات الخارجية ، فإنّ تلك المدارس قد تتعرض لأزمة مالية قد تؤدّي – لا سمح الله بذلك – إلى توقفها عن أداء دورها أو إلى موتها تماماً. (٢)

---

(١) انظر أضواء على الحركات والدعوات الدينية... ص: ٣٨

(٢) (لآلي منثورة) ص ٤٣ و ٤٤ و مجلة الداعي العدد الخاص سنة ٤

وبجانب آخر فإنَّ كثيراً من المدارس تعتمد على المعونات الحكومية ومساعدات الدولة، بحيث إنَّ غالب نفقاتها تتكفلها هذه المساعدات، فمنها ما أقيمت بعد استقلال البلاد، ومنها ما تأسّست قبله اعتماداً على التبرعات الشعبية ، لكنّها قبلت هذه المساعدات فيما بعد حينما أتيحت لها الظروف لذلك، والحكومة الهندية - بعد الاستقلال - وضعت لذلك نظاماً وفرعاً من وزارة التعليم ، وهي ترغّب الشعب المسلم و تدعوه إلى ذلك ، لكنَّ هذا أيضاً لا يخلو من مضار بل أخطار بعضها أشد وأهم مما تقدم آنفاً، وتلك المضار والأخطار هي تحوُّل المدارس الإسلامية إلى مدارس وجامعات عصرية، أو شبهها ، كما حدث ذلك لبعض المدارس والمعاهد التي كانت قبل الإستقلال، وأقل مافيها أنَّ هذه المساعدات التي تمد بها يد الحكومة تسلب عنها حرية الفكر والعمل ، وعاطفة الدين والإخلاص، وهذا مما نشاهده عياناً، و لا ينكره أحدٌ من أصحاب البصيرة.

أما **دارالعلوم** فلم تزل - و سوف لن تزال بإذن الله تعالى - تتشبّث بموردها المالي التقليدي، المتمثل في التبرعات الشعبية والأهلية، وإنّها - ولله الحمد- رفضت وترفض - *بعد أن عرضت عليها الحكومةُ المساعداتِ الماليةَ مراراً ، وبذلت جهودها ومساعيها لترغيب **دارالعلوم** والقائمين عليها للإجابة إلى ذلك* - قبولَ أي معونة من الدولة ، وقد تقدّمت وصايا مؤسّسها الأوّل، وهي الأصول الثمانية التي سبق بيانها وذكرها، وقد بلغت ميزانيتها اليوم - بفضل الله و حمده تعالى - ٣٠ مليوناً روبية هندية.

وقد صدّق الله تعالى ما توصّل إليه الشيخ ورآه من نتائج العمل بهذه الأصول والوصايا، ولا سيما هذه الوصية - بفضل الفراسة المؤمنة -من ثمرات هذه المدرسة وآثارها، ومن أعمال علمائها ومآثرهم.

ومن المهم أنَّ **دارالعلوم** ليست بفذة فريدة ووحيدة في هذا الشأن، بل إنَّ قيامها وتأسيسها على هذا المنوال الجديد – الذي لم يكن يُعهد قبل ذلك ، والذي يحق لنا أن نقول فيه أنَّه كان بإلهام من الله تعالى على قلوب أصفياء عباده – أفصح للأمة الهندية المسلمة.و أنار لها سبيلاً وطريقاً قوياً و قويماً ، للقيام بمثل هذه الأعمال الجليلة، وسهَّل لهم الكثير مما لم يكن يُتصوَّر قطُّ، ولا يتصوره اليوم أيضاً كثير من الناس.

فبعد تأسيس هذه المدرسة – التي سميت و عرفت فيما بعد بـــ **"دارالعلـــوم"**، تتابع قيام المدارس على هذا المنوال و الأساس ، بل إنَّ مؤسسي **دارالعلوم** بأنفســهم توجَّهوا إلى ذلك، فأنشأوا عدة مدارس في مختلف أنحاء البلاد – التي لا تـــزال باقية وعاملة، وما زال هذا الأمر يتوسع، يزال هذا الجهد يمدُّ أطرافه وجوانبه حتى نـــرى اليوم شبكة عظيمةً ، وسلسلة واسعة لمثل هذه المدارس، لا في البلاد الهندية فقط بل في جميع شبه القارة، من الهند، وباكستان، وبنغله ديش، بـــل وخارجهـــا أيضـــاً مـــن بلاد الغرب والشرق. وسنشير في الصفحات القادمة إلى بعض هذه المدارس.

فإنَّ غيارى المسلمين من علمائهم وعامتهم اغتنموا هذا السبيل والطريق، فسلكوا هذا المسلك في تأسيس المدارس وإقامتها ؛ لما رأوا من **دارالعلوم** وشقيقاتها من أوائل هذه السلسلة الطيبة. وهكذا جاز لنا وصح أن نقول في **دارالعلوم** *إنَّها* **"أم المـــدارس والجامعات الأهلية الإسلامية في الهند"**.

وما ذكرت من ميزة **دارالعلوم** من هذه الناحية وهي أنَّها فتحت باباً – ودعـــت عموماً إلى سلوك هذا الطريق النافع الناجح ، وإلاَّ فإنَّ المدارس الأهلية – المعتمدة على التبرعات الشبيعة – قد وُجدت من قبل الثورة – ثـــورة عـــام ١٨٥٧م – أيضـــاً ، ومـــن أقـــدم المـــدارس الأهليـــة وأعظمهـــا نفعـــاً للأمـــة الإســـلامية الهنديـــة **"المدرسة الجعفرية هداية المسلمين** ببستي من ولاية أترابراديش – و **المدرسة القرآنيـــة** بسمرا – جمبارن، من ولاية بهار، أسَّسهما الشيخ الداعية **جعفـــر علـــي البستوي** أحد خلفاء ***الإمام أحمد بن عرفان الشهيد*** رحمة الله عليهم أجمعين.

الميزانية السنوية لدار العلوم

و مواردُها

ميزانية **دار العلوم**- جاوزت اليوم ثلاثين مليون روبية هندية، وأما الموارد - فقد تحدّثت عنها من قبل و ذكرت أنّ الموارد تنحصر كليا في التبرعات الشعبية وحدها - و إنها ولله الحمد تغطي الميزانية، وهناك أربعون موظفاً خصّصتهم **دار العلوم** لجمع التبرعات، ينتشرون في أرجاء البلاد و يقومون بمهمّتهم بجدّ وإخلاص، كما يقومون بدور نقطة اتصال بين **دار العلوم** وبين الشعب الإسلامي، ويعرّفونه دائماً بمسيرة **دار العلوم** ونشاطاتها و إنجازاتها وحاجاتها وبجميع أحوالها، وعلى ذلك فيظل المسلمون على اطلاع دائم على واقع **دار العلوم**. (١)

ومما تجدر الإشارة إليه و التنبيه هو أنّ هذا هو شأن ميزانيات غيرها من المدارس والجامعات الأهلية الشعبية ، فإنّ عددا منها ميزانيتها عشرون مليون روبية هندية أوقريباً منها مثل **جامعة ندوة العلماء** لكهنؤ، **وجامعة مظاهر علوم** بسهارنفور ، وغيرها من الجامعات الكبيرة الشهيرة، **ولاتسأل عن مدارس ميزانيتُها مابين مليون أونصفه، فإنّها لا تعد ولا تحصى**، ومعظمها على منهج **دار العلوم** ومسلكها، وتتبع منهجها في مواردها و تحصيل ميزانيتها، من تبرعات أهل الخير والمحسنين من داخل البلاد، ولله الحمد.

---

(١) (لآلي منثورة) ص ٥٥ و ٥٦

"وقد اتبع الإنجليز في الهند خطة تعليمية سهلت مهمة المنصّرين فيها، فقد استخلفت الكنيسةُ العلم والمدارس وسيلةً للتنصير الجماعي؛ لأنّ مناطق كثيرةً لايمكن أن يدخل إليها الإنجيل بغير المدارس التنصيرية، التي يبقى الطالب فيها تحت تأثير التعليم المسيحي مدةً طويلةً، وقد كان لجمعية التنصير الكنسية في الهند ألفُ مدرسةٍ يدرس فيها ٥٦ ألف طالب ، ويتبع لها عدة معاهد متخصّصة وكليات في: "هوجلي وكلكتا ولاهور وغازي بور وعلي كره،" وكانت هذه المدارس والكليات تُدار بأموال الوقف الإسلامي؛ لأنّ الإنجليز صادروا وسلبوا أوقاف المساجد التي كان ينفق من ريعها على الخدمات التعليمية لأبناء المسلمين، بل إنّ بعض المساجد حُوّلت إلى كنائس وبخاصة بعد اتخاذ الحاكم الإنجليزي قراراً بتنصيب بطريرك على النصارى في دلهي.

وقد اعترف قادة الإنجليز في الهند بأنّ من الحقائق التي لايمكن إنكارها القول بأنّ استيلاءهم على الأوقاف الإسلامية حرم المسلمين من معاهدهم العلمية المقامة بجانب المساجد."

د/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي

في مقدمة تحقيقه لكتاب: إظهار الحق

ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية- الرياض، ص: ١٣-١٥

أعضاء المجلس الاستشاري

لدار العلوم

١- سماحة الداعية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .

أمين ندوة العلماء العام ورئيس دار العلوم التابعة لها، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، ورئيس هيئة التعليم الديني لولاية أترابراديش (يوبي)

٢- صاحب الفضيلة الطبيب البارع الشيخ محمد زمان الحسيني - كلكتا .

٣- صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحليم الجونفوري.

رئيس جامعة رياض العلوم- جونفور (يوبي)

٤-صاحب الفضيلة الشيخ أسعد المدني (نجل المجاهد الجليل والمحدث النبيل العلامة حسين أحمد المدني رحمه الله). رئيس جمعية علماء الهند.

٥- صاحب الفضيلة الشيخ المفتي منظور أحمد المظاهري.

كبير المدرسين بمدرسة جامع العلوم - كانفور.

٦- صاحب الفضيلة الشيخ المحدث نصير أحمد

كبير المدرسين بجامعة دار العلوم ديوبند.

٧- صاحب الفضيلة الشيخ محمد يعقوب.

رئيس جامعة كاشف الهدى- مدراس.

٨- صاحب الفضيلة الشيخ غلام رسول خاموش.

رئيس الجامعة الإسلامية - كنتاريا (غجرات)

٩-صاحب الفضيلة الشيخ ناظر حسين.

رئيس جامعة خادم الإسلام - هابور (يو بي)

١٠- صاحب الفضيلة الشيخ محمد إسماعيل.

رئيس الجامعة الحسينية المحمدية - راندير (غجرات)

١١- صاحب الفضيلة الشيخ محمد أظهر.

رئيس الجامعة الحسينية - رانجي (بهار)

١٢- صاحب الفضيلة الشيخ المحدث محمد إسماعيل الكتكي.

من ولاية أريسه، (وله -حفظه الله - دور مشكور في مقاومة فتنة القاديانية خاصة)

١٣- صاحب الفضيلة الشيخ المحدث أبوالقاسم النعماني.

شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية - بنارس (يوبي)

١٤- صاحب الفضيلة الشيخ بدرالدين القاسمي.

رئيس مركز المعارف- هوجائ (آسام)

١٥- صاحب الفضيلة الشيخ غلام محمد الوستانوي.

رئيس جامعة إشاعة العلوم- أكل كوا (مهاراشترا)

١٦-صاحب الفضيلة الشيخ السيد نظام الدين.

رئيس منظمة الإمارة الشرعية لولايتي بهار وأريسة.

١٧- صاحب الفضيلة الشيخ عبد العليم الفاروقي.

رئيس مدرسة دارالمبلغين - لكهنو (يوبي)

١٨- صاحب الفضيلة الشيخ مرغوب الرحمن.

رئيس جامعة دارالعلوم ديوبند.

١٩- معالي الحافظ صديق أحمد المراد آبادي.

عضو البرلمان الهندي، وأحد الوزراء السابقين لولاية أترابراديش (يوبي)

٢٠-الفقيه الجليل المفتي احمد الخانفوري حفظه الله تعالي

شيخ الحديث بالجامعة الاسلاميه تعليم الدين - دابهيل سملك

سورت (غجرات)

عدد الطلاب و الخريجين

والمدرسين و العاملين

عدد الطلاب في هذه السنوات الجارية - المقيمين في الأروقة الجامعية هو ثلاثة آلاف (٣٠٠٠)، ما عدا الطلاب الدارسين في الجامعة - غير المقيمين في الحرم الجامعي - من أبناء أهالي المدينة.

وأما عدد الخريجين من دار العلوم منذ ١٢٨٣ هـ إلى هذه السنة، فقد بلغ نحواً من ثلاثين ألفاً، و عدد المتخرجين في المراحل الابتدائية والثانوية والمتوسطة، وأقسام تحفيظ القرآن و التجويد و القراءات، و تحسين الخط - وما إلى ذلك من شتى أقسام التخصصات - يقارب المليون ولله الحمد.

و أما المدرّسون فهم أكثر من سبعين، والموظّفون نحو مائتين.

أقسام دارالعلوم

إنّ دارالعلوم وأعمالها - تتوزع و تتكون من أقسام كثيرة ، وهـي علـى نوعـين أساسيّين، أقسام تعليمية ، وأقسام إدارية.

(ألف) فالأقسام التعليمة هي :

١- قسم تحفيظ القرآن.

٢- قسم التجويد و علوم القراءات [بالأردية و العربية]

٣- قسم العلوم العربية و الشرعية.

٤- قسم الأدب الفارسي.

٥- قسم التخصص في التفسير وعلوم القرآن.

٦- قسم التكميل والتخصص في الفقه والإفتاء.

٧- قسم تكميل العلوم.

٨- قسم التكميل و التخصص في الأدب العربي.

٩- قسم دراسة المعارف.

١٠- قسم تحسين الخط.

١١- قسم الصناعة.

١٢- قسم النشاط الثقافي، وهو يعنى بتدريب الطلاب على الخطابة والكتابة - بالأردية و العربية - ويشرف على إصدار الصحف الحائطية بكلتا اللغتين.

١٣- قسم صيانة ختم النبوة.

١٤- قسم الإرشاد الديني.

١٥- إدارة مجمع شيخ الهند.

١٦- قسم الإفتاء.

١٧- قسم الصحافة.

(ب) والأقسام الإدارية هي :

١- مكتب رئيس الجامعة.

٢- مكتب الحسابات.

٣- مكتب الأوقاف.

٤- مكتب التعليم (عمادة القبول والتسجيل وجميع شئون الطلبة)

٥- عمادة المكتبة المركزية.

٦- مكتب التنمية والتطوير للجامعة.

٧- مكتب الكهرباء و المياه.

٨- مكتب البناء و التعمير.

٩- إدارة المطبخ التي تتولى تنظيم إعداد الطعام للطلاب المقيمين في السكن الجامعي.

١٠- المكتبة التجارية للجامعة.

١١- قسم الوثائق الذي يحتفظ بجميع الوثائق و المستندات للجامعة منذ تأسيسها.

١٢- إدارة المطبعة الجامعية.

١٣- إدارة المضيفة الجامعية.

١٤- إدارة المستشفى الجامعي.

١٥- قسم رابطة المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية.

١٦- عمادة إسكان الطلاب.

١٧- إدارة الحدائق والمنتزهات والصيانة والنظافة.

مواد الدراسة و مراحلها

إنَّ الموادَّ التي يدرسها الطلاب إنّما ترمي من ورائها إلى تخريج علماء ومصلحين يقومون بتوجيه المسلمين في أمور دينهم خصوصاً، وفي أمور دنياهم عموماً، ويصلُحون -بأنفسهم- أوّلاً، ثم يُصلِحون غيرهم ثانياً ، وكل ذلك في ضوء الكتاب والسنة والعقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية من كل شائبة بدعة وضلالة .

و لذلك ركَّزت الجامعة على الموادّ الإسلامية والعلوم التي تتصل بالكتاب والسنة أو العلوم التي تُعين على فهم المراد منها، و لم تهتمّ كثيراً بالعلوم الآلية التجريبية -أو بلفظ آخر بالعلوم العصرية - لأنَّ لها - أي للعلوم العصرية - معاهدَ وجامعات لاتُحصى في شبه القارة الهندية، تُخرِّج أجيالاً تتهالك - إلاَّ من عصمه الله - على المادة والمعدة، وتتقاتل في سبيل المنصب والجاه والأغراض الدنيوية الخسيسة، لأنها تخرّج مثقّفين هنديين لوناً وشكلاً وهنداماً، وغربيين فكراً وعقلاً ومخبراً ، حسب الهدف الذي أشار إليه مفتّش التعليم على عهد الاستعمار الإنجليزي فقد صرّح بأنّ هدف حكومته: *تخريج مثقفين هندي اللون وإنجليزي الفكر.*

فكان رد الغيارى على الإسلام من العلماء والمشايخ في هذه البلاد من خلال تأسيس الجامعة بأنَّ هدفهم تخريج مثقّفين، هنديّي اللون والشكل، وحجازيّي الفكر والقلب ، محمّديّي الهدف والسلوك.

فعنيت الجامعة من العلوم العالية الأساسية - بتحفيظ القرآن وتجويده وتفسيره وأصول التفسير، والعقائد، والحديث وأصول الحديث، والفقه وأصول الفقه، واللغة العربية وآدابها، ومن النحو والصرف والمعاني والبيان، ومبادئ البلاغة و أسرار اللغة العربية ودقائقها، والعروض والقوافي والنثر والشعر، ومن العلوم الآلية التي تعين على الفهم وتُذَكّي الذهن وتهيّئه لفهم دقائق الكتاب والسنة من المنطق والفلسفة وعلم الهيئة والرياضة ، وعلم المناظرة و مقارعة الحجة بالحجة، مكتفيةً من العلوم العصرية بمبادئ العلم الجديد، والمعلومات العامة ، وتحسين الخطوط العربية والفارسية والأردية.

كما تهتم الجامعة بتنظيم محاضرات ثقافية لطلابها حول مواضيع الديانات المحرّفة، والفرق الباطلة، والحركات الهدامة المعاصرة، وطرقها في المكر والدهاء وتفننها في الإضرار بالإسلام من المسيحية ، واليهودية ، والهندوسية ، والبوذية ، والمجوسية، والقاديانية و البابية والبهائية، والتشيع وأهل البدع والأهواء وما إلى ذلك .

بالإضافة إلى النوادي الخطابية ، والكتابية ، والأدبية ، التي تنتشر في جنبات الجامعة والتي يبلغ عددها نحو مائة نادٍ على الأقل، وعلى رأسها "**النادي الأدبي**" التي تُشرف عليها الجامعة رأساً ، وباقي النوادي شبه جامعية، تشرف عليها الجامعة عن طريق مسئولين نائبين من الطلاب .

وأما المراحل الدراسية فهي تنقسم إلى : ابتدائية ، ومتوسطة ، وثانوية وعالية - جامعية - وعليا.

ففي الابتدائية: يدرس القرآن ومبادئ الكتابة والقراءة والخط والإملاء ومبادئ الدين باللغة الأردية المحلية في أسلوب بسيط مناسبٍ لعقلية الناشئ ، والحساب واللغة الأردية والهندية ، والجغرافيا ، وهذه المرحلة تستغرق ثلاث سنوات.

وفي **المتوسطة** : يُدرس الدين واللغة الأردية، واللغة الفارسيةوآدابُها، ومبادئ اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا، والإنشاء الفارسي، ونحوها، وتستغرق هذه المرحلة أربع سنوات.

وفي **الثانوية**:ومدتها أيضاً أربع سنوات، يدرُس الطالب قواعد اللغة العربية، والأدب العربي القصصيّ، والتفسير، والحديث والمنطق والفقه وأصول الفقه، والتجويد.

وأما في **مرحلة الدراسة العالية الجامعية** فيدرُس التفسيرَ وأصوله ، والحديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، وأصول الدين والأدب العربي ، والمنطق والفلسفة، والبلاغة وعلم الفلك ، وعلم المواريث ، وعلم المدنية، والجغرافيا، ومبادئ الطبيعة والكيمياء .

وبعد هذه المراحل اللازمة، أقسام – للدراسات العليا- **تكميلية اختيارية** ، تهدف التخصص في مختلف العلوم والفنون من التفسير، والفقه والأدب العربي، وأصول الدين.

وهكذا اتخذت **دارالعلوم** خطة تعليمية تحقق الأهداف التي تتوخاها في التعليم والتربية، فيمتاز منهجها الدراسي بقوة المادة حيث يتسلح الطالب بكثير من المعارف الإسلامية في مدة يسيرة – ولما كانت ظروف الهند تتطلب دعاة وعلماء مخلصين، أكفياء ، متضلّعين بأسلحة علمية، جامعين بين العلم و العمل ، فصرفت **دارالعلوم** عنايتها البالغة إلى التربية والتدريب العملي لحمل أعباء الدعوة الجسيمة ، ونفحت في المتخرجين روح الإخلاص ، والقناعة و التطوع .

ولذا فإنّها تمكّنت من تخريج آلافٍ من العلماء والدعاة الواعين الذين قاموا بخدمات مشكورة في مجالات دينية ودعوية مختلفة. (١)

---

(١) من (لآلي منثورة) ص ٥٠-٥٣ ومجلة الداعي العدد الخاص – سنة ٤ ص ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١

مكانة دار العلوم
في قلوب الشعب المسلم

وقد باركت المدرسةَ – منذ اليوم الأوَّل – يدُ الرحمن فشهدت خلال أعوامٍ قليلة ازدهاراً مثالياً لايعرفه التاريخ لأية مدرسة إسلامية في الهند، وأضْفت عليه من مسحة القبول والحب والشعبية ما لم تحظ به أية مؤسَّسة دينية في شبه القارة الهندية، وأكسبَتها من الاعتبار ما لم يكتب لأية حركة قامت لإنهاض المسلمين ثقافياً واجتماعياً وفكرياً ودينياً في هذه الديار، حتىأصبحت اليوم علامة بارزة لشخصية المسلمين الدينية، وهويتهم الإسلامية في هذه البلاد، ومنها تفجرت ينابيع الثقافة والإصلاح والدعوة، التي عمَّت الهند والبلاد المجاورة، ثم البلاد الدانية والقاصية، ومنها انتشرت شبكة المدارس والكتاتيب والجامعات في شبه القارة، وباسمها تسمَّيتْ، وإليها تنتسب، وبها تفتخر، وعلى فتاواها وتوجيهاتها الدينية والاجتماعية – وحتى السياسية – يعتمد الشعب المسلم، ومهما استنار بغيرها من المؤسَّسات فإنه لا يرتاح ما لم يستفتِ دارالعلوم هذه.

وإنَّ خريجها – أوالخريجين على المتخرجين منها – هم الذين يقودون منذ سنوات طويلة سفينة الشعب المسلم في هذه البلاد، التي تتصارع فيها أمواج الديانات والدعوات، والحركات والاتجاهات، والحضارات والثقافات، وتنمو فيها العصبيات الطائفية والتناحرات السياسية، والتصادمات الاجتماعية، بشكل لايوجد نظيره في أية دولة من دول العالم [1].

---

[1] (لآلي منثورة) ص ٤٠-٤١

رسالة دارالعلوم

يمكننا أن نلخّص رسالة دارالعلوم وأهدافها في جملتين بأن نقول : كـــان هدفها ورسالتها هواستعادة مجد المسلمين الغابر واسترجاع الحكم المغصـــوب، والمحافظة على التعاليم الإسلامية و العلوم النبوية بكل شعبها ونواحيها.

فإذا استعرضنا تاريخ هذه المدرسة، و تصفحنا أوراقه و فتحنا سـجل أعمالهـا، وفحصنا في ضوء أهدافها لوجدناه يستوقفنا للإعجاب والتقدير والشكر له حيث نجح المؤسسون وبخاصة مولانا الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** وتلامذته في كلا الهدفين.

أما الأوّل أي استرجاع الحكم الإسلامي من براثن الاستعمار، فقـد تحقـق في شكل استقلال الهند، وقيام دولة باكستان، وبالتالي استقلال جميع الـدول والأقطـار الإسلامية، بمواصلة علمائها جهادهم المثالي ضد الاستعمار، وتقديمهـم التضحيـات العظيمة في هذا السبيل، بحيث لا يستطيع غيرهم أن يجاريهم في تضحياتهم و بطولاتهم ومواقفهم الجريئة في محاكم الإنكليز وسجونهم.

وكان من أهم ما امتاز به هؤلاء الصفوة أنهم لم يبغوا من وراء كل ما قاموا بـه من جهود وتضحيات ، وتحملوا من عذابٍ وتنكيلٍ إلا الأجر عند الله، وهذا مثالٌ قلّما يوجد له نظير ، ومن أراد أن يعرف بطولات علماء **دارالعلوم** فليطالع سِيَرَهم وتراجم حياتهم، وإنه بذلك ليعرف أنّ هذه المدرسة تأسّست على يد رجل انقلابـي ، وهـو الشيخ مولانا **محمد قاسم النانوتوي** فرد إنقلابي شامل ، فتخـرج في مدرسـته وفي ظلال عطفه تلامذة أبرارٌ اتّبعوا أستاذهم ومرشدهم.

فهذا هو شيخ الهند **محمود الحسن** الديوبندي وتلميذه الشيخ **حسين أحمد المدني**، ثم آلافٌ من أتباعهما وتلامذتهما، الذين عُرفوا ببطولاتهم وطول جهادهم، لا لتحرير بلاد الهند فحسب، بل لتحرير بلاد الإسلام وتخليص المسلمين من ربقة الاستعمار، وليس هناك مدرسة تقدم للجيل الإسلامي أفواجاً من المجاهدين الغيورين الذين تنوّرت قلوبهم بنور من الإيمان، وتقوّت روحهم بالإنابة إلى الله، وانتشر رعبهم في قلوب الكفار، وعلا صوتهم على منبر المسجد ومنصة الخطابة ودكة التدريس، ولمع سيفهم في جبهة القتال، وتخشع صوتهم في الليل، ولانَ جانبهم للمؤمنين وصلُب على الكفار وأعداء الله، وفاض علمهم على الراغبين المنتهلين، كما كتب الله **لدارالعلوم ديوبند**، والحمدلله.

وأما **الهدف الثاني**، وهو المحافظة على التعاليم الإسلامية والعلوم النبوية، والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره، فقد تحقق هو أيضاً بشكل يدعو إلى استغراب، فإنَّ هذه الدار لم تغفل لحظة واحدة عما يقوم به الأعداء لتخديش وجه الإسلام وتشويه صورته وإضعاف تأثيره، فكان لزاماً عليهم - لأداء رسالتهم التي حملوا أعباءها على عواتقهم - أن يلتزموا جانب السلب والإيجاب، أو خطة الدفاع وخطة الإقدام، وكان من اللازم كذلك أن يكون المنهج الدراسي في هذه المدرسة جامعاً كفيلاً بتخريج علماء ورجالٍ مؤهّلين لحمل المسؤليات المتنوعة، من المستوى الأعلى إلى الأدنى لسد حاجات الأمة الإسلامية، في دينها وعقيدتها واجتماعها وسياستها، وصد الاعتداءات وكشف التيارات الجارفة، فتخرّج منها رجالٌ جامعون بين علوم وأوصاف، فقاموا في الوقت الواحد في كل مجال وحقل كإخصائي وخبير فيه، ولولا هذه الجامعية بين الأوصاف والعلوم - التي هي من مزية الإسلام الخالدة - لما صلح شأن الإسلام، وحفظت مساجد الله ومراكز الإشعاع، ولما أمكن صون الثقافة الإسلامية من العابثين.

فقد بذلت هذه المدرسة عنايتها نحو تخريج علماء ربانيين والمشايخ الذين تاب على أيديهم مئات ألوف من الناس، وصلحت حالهم بواسطتهم، واعتنق الكثيرون من غير المسلمين الإسلام متأثرين بسيرتهم وأخلاقهم، المطبوعة على سنة الرسول ﷺ، وكذلك تخرج منها عدد كبير من المدرّسين المؤهّلين الذين استفادت - وتستفيد منهم - أكثر المدارس الإسلامية في الهند و باكستان وماجاورهما.

ومن خصائص هذه المدرسة أنها لم تحتج إلى أن تتطلب من غيرها حاجتها في الرجال والمدرسين، بل كانت دائماً على استعدادٍ لإرسال مدرسين مؤهلين لتدريس المواد الإسلامية المختلفة في الوقت الواحد، فتزوّد كلَّ جهة ومدرسة بما تطلب من المدرسين حسب المواصفات المطلوبة ، فترى في أكثر المدارس الإسلامية الكبرى في الهند وباكستان عدداً كبيراً من المدرسين المتخرجين من هذه الدار، المتضلعين في العلوم العقلية والنقلية من التفسير والحديث والفقه والكلام والأصول واللغة.

وهكذا تخرّج منها علماء وخطباء عمرت بهم المساجد في المدن والأرياف، وفي السهول والجبال، وكذلك رجال الإفتاء البارعون الذين أصبحت فتاواهم سجلاً فقهياً عظيماً، ونُشِرت أكثر هذه الفتاوى في مجلدات يستفيد منها العامة والخاصة ، وقد أنجبت هذه الدار قادة الفكر وأئمة الدين ، وزعماء السياسة وروّاد الحركات، ووفرت الوعاظ والدعاة، إلى جانب عدد كبيرمن المؤلفين والكتاب، والصحفيين والمناظرين، الذين قاموا -ولم يزالوا يقومون - بخدمات ممتازة في مجالاتهم ، وليس معنى كون الرجل صحافياً مثلاً أنّه لا يعني بناحية أخرى ، بل لا بد أن يكون هو في وقت صحافياً، وفي وقت آخر رائداً أوزعيماً أوواعظاً أو مناظراً أوخطيباً.

وقد أحرزت دارالعلوم في الهدف الثاني نجاحاً عظيماً دفاعاً وإقداماً ، أما إقداماً فبالتدريس، والوعظ والإرشاد، والخطابة والكتابة، والتأليف والتوجيه العام، أما دفاعاً فبالمناظرة حيناً، وبالكتابة والتأليف حيناً آخر . وقد قدّر الله منذ يوم تأسيسها أن تؤدي واجبها، كما شاء أن يمتحن رجالها في إخلاصهم، وصدق عاطفتهم، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقد كانت **النصرانية** حينما تأسّست **دارالعلوم في *ديوبند*** تبث سمومها في الهند، وأرسلت الحكومة البريطانية كثيراً من الأساقفة والدعاة المسيحيين إلى الهند لتحريف المسلمين عن عقيدتهم، فطاردهم **مولانا الشيخ رحمت الله الكيرانوي ومولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوي** رحمهما الله وجماعة أخرى من هذه المدرسة مطاردة شديدة، وأجبروهم على الفرار. ثم قامت فتنة **القاديانية** تحت رعاية الإنجليز- أيضاً- الذين كانوا يوجدون لهم كل يوم نوعاً من المفدعين والخائنين، فهب علماء الدار لمقاومتها في المناظرات الشعبية، وعن طريق إخراج الكتب والمنثورات ، ويوجد عدد كبير من الرسائل والمؤلفات في الرد على المسيحية وعلى القاديانية، وبخاصة للشيخ العلامة **محمد أنور شاه الكشميري** و العلامة **حبيب الرحمن العثماني** .

وهكذا كل فتنة فكرية وعقائدية قامت تهدّد تعاليم الإسلام واجهت مقاومةً ناجحةً من خريجي هذه الجامعة على كل جهة وفي كل مكان.

وملخص القول أنّ هذه المدرسة التي أسّسها نخبة من عباد الله المخلصين لأهدافٍ وأغراضٍ معينة شاملة، تكفل - برعاية الله - حماية الدين ونصرته وتضمن نشر علوم الإسلام وازدهارها ، فقد أدت رسالتها كما كان المطلوب منها، وحقّقت أهدافها كما كان المتوقع منها ، بل فوق ما كان يرجى ويؤمل.

فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات. .

مدرسةٌ كانت بدايتها بتلميذٍ واحد وأستاذٍ واحد في مكانٍ متواضعٍ، اعتماداً على الله وثقةً بنصرته، ترقت وتقدّمت بسرعة مذهلة، وتحولت إلى جامعة إسلامية كبرى في شبه القارة الهندية ، بل في وسط آسيا بما حوته من دراسات شاملة لأصول الدين وفروعه بجميع العلوم المتعلقة، ولاقت إجلالاً وإحتراماً كبيراً في الشعب المسلم، فلا تعتمد ميزانيتها الضخمة إلا على التبرعات البسيطة الشعبية بعد التوكل على الله.

والشيء الذي يجب أن نذكره هنا أنّ هذه الدار العظيمة دأب رجالُها وعلماؤها في كل عصر على التواضع البالغ ، والتقشف في الحياة ، وإخفاء الذات ، والعمل الجاد، دون جري وراء الشهرة والصيت ، وبغير اهتمام لنشر أعداد وأرقام وإحصائيات للخدمات، ولذا فلا عجب إن لم يعرف كثيرٌ من إخواننا في العالم الإسلامي هذه الدار ، مع ضخامة مبانيها، وفخامة أعمالها، وتنوع خدماتها، وكثرة خريجيها المنتشرين في أنحاء الهند وباكستان وأفريقيا وماليزيا وغيرها من بلدان العالم، في حين أنهم يعرفون ويذكرون المعاهد والمدارس التي لم تزل صغيرة جداً بالنسبة لدارالعلوم من حيث المباني، والجهود التعليمية، والتربية الروحية، وعدد الطلاب، وسعة المكتبة، وخدمات أخرى متنوعة ، فلم تهتم هذه الجامعة بالظهور والادعاء وتركت الحكم بما هو الحق لذوي البصيرة والإنصاف، ولم تبتغ من وراء الخدمات إلا رضاء الله، وقد أعانها الله وعلماءَها ونصرَهم في مهماتهم وأداء رسالتهم، وقد وجه كثيرمن المعاندين الحاملين للعصبية الجاهلية أوالحاقدين على الجامعة تُهماً كثيرة إلى علمائها أحيانا بالقدامة، وأحيانا بالجمود والركود، وأحيانا بالتخلف والرجعية، ولكنهم واصلوا سيرهم دون التفات إلى ما يهال عليهم من تراب، و يثار من غبار ، في تسامحٍ وتواضعٍ وتواصٍ بالحق والصبر .

والحقيقة التي لا شك في سطوعها أن الذين وجّهوا إلى علماء الـدار التُّهَـم بالتعصب والجمود، نجدهم أكثر تعصباً وتحجراً، ومن رأى علماءنا مـن قريـب وجدهم كما وجدهم **العلامةُ رشيد رضا** على عكس ما وصفهم به الأعداء، وعلى عكس ذلك لو وقف المتهِمون - أنفسُهم- في معرض الاختبار لوُجـدوا مثـالاً للتعصب والجمود، وأن **علماء ديوبند** تمسكوا بالسنة النبوية الطاهرة، على طريقة أهل السنة والجماعة الحقيقية في شكلها الأصيل الثابت بالكتاب والسنة، وأدركوا كنه قوله ﷺ، **"ما أنا عليه و أصحابي"** وقوله: **"عليكم بسنتي و سنة الخلفـاء الراشدين"**. فلم تجعل هذه الجماعة كل اعتمادها على السلف والشخصيات دون الاستنارة بالكتاب والسنة، و لم تستبد برأيها في فهم الكتاب والسنة مستغنية عن مآثر السلف العلمية ومذاقهم وهديهم، بل كان شعارها -دائماً- اتباع السـلف الصالح في ضوء الكتاب والسنة ، وفهم المراد من الكتاب والسنة مع الاسـتنارة بآراء السلف الصالح ومذاقهم العلمي المتوارث، فلم يضلوا عملاً وفكراً.

ولذلك نرى عدداً من العلماء الأعلام الذين تخرجوا من هذه الجامعة قـد وهبهم الله علماً واسعاً، وفهماً سليماً، وذهناً وقّاداً، وأوتـوا قـوة الاسـتنباط والاجتهاد في المسائل والأحكام، فمازادهم الرسوخُ في العلم إلا تواضعاً، واتّباعـاً للأئمة المهديين، والفقهاء والمحدثين، وإكراماً لهم، وما أحدث فيهم التضلع مـن العلوم والتفرد بها، إعجاباً بالنفس واستبداداً بالرأي، **وهذه هي الميزة الكبرى التي اتّسم بها علماء هذه المدرسة، واعترف بها الزائـرون والمجتمعـون معهـم، والمستفيدون منهم.**

ومن جملة هؤلاء الرجال

– الذين يزخر بهم التاريخ الإسلامي عبر القرون –

العلمـاء الذين قاموا في شبه القـارة (الهند وباكستان)

بتبليغ الدين الحنيف، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله من خلال **جامعة دار العلوم بديوبند**، التي تعتبر في هذه الدّيار أكبـر جامعة للعلوم الإسـلامية والعربيـة، أقيمت في عهد الاستعمار الإنكليزي الغاشم لمواجهة مكايده في مجال التربية والتعليم، التي أرادت أن تطمس عن هذه البلاد مآثر الدين الحنيف، وتحرم مواطنيها من تعاليم الإسـلام النّيـّرة، وإرشاداته الخالدة. وإنّ العلماء الذين تخرّجوا من هذه الجامعة يُسَمَّون "**علماء ديوبند**" وهم الذين صمدوا – في جانب – في مواجهـة المؤامرات الإنكليزية المشار إليهـا، وقاموا في جانب آخر بمكافحة الشرك والبدع والخرافات التي تطرّقتْ إلى المسلمين بسبب طول صحبتهم مع الهنود وعبدة الأصنام.

وإنّ هؤلاء العلماء أناروا في أنحاء البلاد معالم السنّة وحاربوا الفتـن الزائغـة، والأفكار المنحرفة شفاهاً، وكتابةً وتعليماً، وتبليغًا، وتثقيفًا، كما أنّهم أثْرَوا المكتبةَ الإسـلاميةَ بمؤلّفاتهم القيّمة على كلّ موضوعٍ يحتاج إليه المسلم المعاصر، في اللغات: الأردية والعربية، والفارسية وغيرها.

فضيلة الشيخ القاضي

محمد تقي العثماني

أعلام ديوبند

"الديوبنديون: عبارة عن أصحاب العقيدة السنية الصحيحة في التوحيد، واتباع السنة، والاجتناب عن البدع. [١]

قد تقدّم أنّ عدد الخريجين من **دار العلوم** بلغ ألوفا - و قد برز منهم عدد كبير في شتى مجالات العلم والتحقيق، وحفظ الدين وشرحه ونشره، وخدمة الملة والأمة، وسيأتي ذكر جماعة من هؤلاء البارزين البارعين في مبحث **"خدمات وأعمال قام بها علماء ديوبند، خريجوها وأبناؤها، أساتذتها والمنتمون إليها"**، ففي ذكرهم هناك كفاية وغناء من الإطناب هنا.

ويحسن بي أن أذكر هنا بعضاً من أبنائها الذين ارتووا من مناهلها، وبرزت أسماؤهم لامعةً في سماء العلم والتحقيق؛ لما لهم خدمات رائعة وأعمال خالدة تذكر وتشكر في تاريخ الإسلام و المسلمين، فمنهم:

---

(١) أضواء على الحركات الدينية للنَّدْوي، ص: ٣٧-٣٨

١- الشيخ الإمام العلامة **محمد قاسم الصديقي النانوتوي** (م ١٢٩٨هـ)مؤسّس دارالعلوم، الذي أسهم في ثورة سنة ١٨٥٧م على الحكومة الإنكليزية، فاضطر إلى الاختفاء مدةً من الزمان،وله مواقف عظيمة في مناظرة النصارى والآرية (فئة من الهندوس المتمسكين المتشددين)ظهرت فيها براعته وذكاؤه وإخلاصه، وله مؤلفات ذات شأن في علم الكلام وفضل الإسلام، وهوجديربأن يعتبر من أركان النهضة التعليمية الدينية، السنية الإصلاحية علىالطراز القديم. من آثاره : "**هدية الشيعة**" و"**آب حيات**" في الرد على الشيعة، و"**الحجة النهائية**" في الرد على البهائية.

٢- والعلامة الفقيه الإمام **رشيد أحمد الكنكوهي** (م١٣٢٣هـ) والذي كان آية باهرةً ونعمة ظاهرةً في التقوى، واتباع السنة النبوية، والعمل بالعزيمة ، والاستقامة على الشريعة، ورفض البدع ومحدثات الأمور، دائرامع الحق حيث مادار، يرجع عن قوله إذا تبين له الصواب. من آثاره : "**لامع الدراري**"(أماليه على الجامع الصحيح) و"**الحل المفهم**" أماليه على صحيح مسلم، و" **النفع الشذي**" أماليه على الترمذي، و"**الكوكب الدري**" (أماليه على سنن الترمذي أيضا) و"**الدر المنضود**" أماليه على أبي داؤد، و"**الفيض السمائي**" أماليه على سنن النسائي، وله أماليه على سنن ابن ماجة أيضاً، و"**الفتاوى الرشيدية**" و "**هداية الشيعة**" ومصنفات أخرى.

٣- ورئيس أساتذة دارالعلوم الشيخ **محمود حسن** الملقب بـ "**شيخ الهند**"،صاحب التفسيرالأردي المعروف، قائد "حركة المناديل الحريرية" المشهورة ضد الإنكليز، ومن كبار الدعاة إلى استقلال الهند، وقد أسرتْه حكومة الشريف حسين سنة١٩١٦م في المدينة المنورة ، وسلّمته إلى الحكومة الإنكليزية التي نفته وزملاءَه وتلاميذه إلى جزيرة مالطا سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م، توفي سنة ١٣٣٩هـ، وكان قليل الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه وكثرة درسه، من آثاره العلمية :

شرح الأبواب والتراجم للبخاري، وتعليقات على سنن أبي داود، و"النور الساري" أماليه على صحيح البخاري ، وتقرير الترمذي أماليه على الترمذي.. ومن أهم آثاره ترجمة معاني القرآن الكريم بالأردية التي نالت قبولاً رائعاً بين المسلمين عامتهم وطلبة العلم منهم ، *طبعت مع الفوائد التفسيرية للعلامة شبير أحمد العثماني، وهي التي وقع عليهاالاختيار الأول من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.وقد شهدت السفارات السعودية في كلٍّ من الهند وباكستان إقبالاً عظيماً منقطع النظير على هذه الترجمة الرائعة الفريدة، مما يدل على إخلاص صاحبها -كذا نحسبه - والاختيار الموفّق من المجمع والقائمين عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والحمدلله.*

٤- والعلامة الشيخ المصلح المربي الحكيم **أشرف علي التهانوي** (م ١٣٦٢هـ)
كان من كبار العلماء الربانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم في إصلاح العقيدة والعمل،واستفاد منه ألوف من المسلمين، ورفض عدد- لايحصيه إلاالله - العادات والتقاليد الجاهلية، والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين، وفي بيوتهم وأفراحهم وأحزانهم، بسبب الاختلاط الطويل بالكفار، وأهل البدع والأهواء، له مصنفات كثيرة ممتعة مابين صغيرٍ وكبيرٍ يبلغ عددها نحو ٨٠٠ كتاب. **منها:** "**بيان القرآن**" ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره بالأردية ،و "**المسك الذكي**" أماليه على الترمذي، و"**الثوب الحلي**"شرح وجيز على الترمذي، و"**جامع الآثار**" مجموعة حديثية، و"**بوادر النوادر**" مجموعة رسائل فقهية ، و"**كلام الملوك**" في مجلدين جمع فيه ما وقف عليه من أشعار الصحابة رضي الله عنهم متفرقة في الكتب - غير ما جاء في دواوين لبعضهم - مع تعليقات مفيدة.

٥- والمحدث الحافظ العلامة **محمدأنورشاه الكشميري** (م١٣٥٢هـ) أحد كبار الفقهاء الحنفية وعظام المحدثين، كان من نوادر العصر في قوة الحفظ وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين، والتضلع من الفقه والأصول، قال فيه العلامة **رشيد رضا**: **"مارأيت مثل هذا الأستاذ الجليل قط."** له **تعليقات على فتح القدير لابن الهمام**، وعلى **صحيح الإمام مسلم**، وجُمِعت إفاداته في دروس سنن الترمذي باسم **"العرف الشذي"**، وأخرى بعنوان**"معارف السنن"**، وإفاداتُه في دروس الجامع الصحيح للإمام البخاري جُمعت بعنوان: **"فيض الباري"**، وله: **"التصريح بماتواتر في نزول المسيح"**، و**"إكفار الملحدين"**، و**"عقيدة الإسلام"** وغيرها من الكتب النافعة المفيدة.

٦- و العلامة المحدث المجاهد**حسين أحمد المدني** (م ١٣٧٧هـ) أخذ الحديث عن العلامة محمود حسن وتفقّه عليه ولازمه مدة طويلة ، وسافر إلى المدينة المنورة وأقام بها وتصدّرللتدريس في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم محتسبا متطوعاً [١] ، ألقِيَ عليه القبضُ ونُفي إلى مالطا مع شيخه محمودحسن، ومكث بها ثلاث سنين.

ووقع عليه الاختيار رئيساً للمدرسين وشيخاً للحديث في **دارالعلوم**، فاستقل بتدريس الحديث الشريف ورئاسة المدرسة، فحافظ على شهرتها ومركزها، وثقة الناس بها، وشمر عن ساق الجدّ والاجتهاد في تدريس الحديث الشريف ، وفي بث روح النخوة والإباء في المسلمين ، وجمع بين التدريس والعمل في المجال السياسي بهمة نادرة، وقوة وإرادة، وصرف همته إلى تأييد القضية الوطنية ضد الإنكليز ، واعتقل من أجله، ولما أطلق عن سراحه بعد ثلاث سنين عاد إلى ما كان عليه من كفاحٍ وجهادٍ ، وبعد انقسام الهند عام ١٩٤٧م انفجرت الحروب الطائفية ووقعت مذابح عظيمة، وأصبحت المراكز الدينية والثقافية في الهند في خطر وزوال، فانقلب الشيخ واعظاً دينياً، يثير في

---

(١) درّس في المسجد النبوي الشريف سبع عشرة سنة، انظر ص: ٢٨٦ من الكتاب

المسلمين الإيمان والثقة بالله، والاعتزاز بالدين،، فقوّتْ مواعظُه وجولاتُه القلوب المنخلعة، وأرسخت الأقدام المتزلزلة،وبقيت المراكز الثقافيةُ والدينيةُ على حياتها الأولى، وبدأ المسلمون يزاولون حياتهم ونشاطهم باعتدال وثقة ، ولله الحمد.

من آثاره العلمية **"تقرير البخاري"** أماليه على صحيح البخاري، و**"معارف مدنية"** أماليه على سنن الترمذي.

٧- و العلامة المحدث الكبير **خليل أحمد السهارنبوري** (المتوفى بالمدينة المنورة عام١٣٤٦هـ) أحد العلماء الصالحين و كبار الفقهاء المحدثين، صاحب **"بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد"**. [1]

٨- ومن هذه الجماعة الربانية المجاهدة - أيضاً- العلامة المناظر المعروف الشيخ **رحمة الله الكيرانوي**، مؤسّس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة. مؤلف كتاب **"إظهار الحق"** وصاحب المناظرات المعروفة مع النصارى. ومن آثاره العلمية في هذا المجال أيضاً: **" البروق اللامعة"**، و**"تقليب المطاعن"**، و**"أحسن الأحاديث في إبطال التثليث"**،و**"إزالة الأوهام"**، و**"إزالة الشكوك"**.

٩- والشيخ المفتي **كفايت الله الدهلوي** (المتوفى ١٣٧٢هـ) صاحب فتاوى **"كفاية المفتي"**.

١٠- والشيخ المفتي **عزيز الرحمن الديوبندي** (المتوفى ١٣٤٧هـ)أول رئيس قسم الإفتاء بدارالعلوم وصاحب الفتاوى المبسوطة المطبوعة في عدة مجلدات.

---

[1] يقول الأستاذ عبد الحق النقشبندي في مجلة المنهل عدد ذوالقعدة ١٣٩١هـ ص: ١١٤٧: "لما قصد -الشيخ خليل أحمد السهارنفوري- الحج والزيارة أخذ عن كبير علماء المدينة يومئذ أحمد البرزنجي، والشيخ محمد عابد السندي.."

١١– و العلامة الشيخ **مناظر أحسن الكيلاني** (المتوفى ١٣٧٥هـ) صاحب القلم السيال والمؤلفات القيمة، رئيس قسم الشؤون الدينية بالجامعة العثمانية في حيدر آباد سابقاً ، صاحب " **الدين القيم**"، و"**تدوين الحديث**"، و"**نظام الإسلام الاقتصادي**" و"**نظام التربية والتعليم**".

١٢– والخطيب المصقع حكيم الإسلام المقرئ **محمد طيب** (م١٤٠٣هـ) – مدير دارالعلوم الأسبق والرئيس الأول لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند – صاحب المواعظ النافعة والمصنفات المفيدة ، من آثاره العلمية : "**الإسلام والعلوم الطبيعية**"، و"**حجية الحديث**"، و"**المعيار القرآني لحديث الرسول ﷺ**"، و"**شرح العقيدة الطحاوية**،" و"**النظام الأخلاقي للإسلام**".

١٣– والعلامة المحدث الشيخ **محمد زكريا الكاندهلوي** (المتوفى بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢هـ) صاحب"**أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك**"، و"**حجة النبي وعمراته**"، و"**الأبواب والتراجم للبخاري**"، و"**لامع الدراري في تقريرات البخاري**".

١٤– والعلامة المفتي **محمود حسن الكنكوهي** (المتوفى١٤١٧هـ) –كبير المفتين بدارالعلوم سابقاً– صاحب الفتاوى المحمودية.

١٥– والعلامة المحقق المحدث الشهير **حبيب الرحمن الأعظمي** (المتوفى ١٤١٢هـ)، صاحب"**الحاوي في رجال الطحاوي**" ومحقق "**مصنف عبد الرزاق**"، و"**مسند الحميدي**"، و"**سنن سعيد بن منصور**"، و"**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**"،وغيرها من الكتب الكثيرة.

١٦– والعلامة الداعية الشيخ **محمد منظور النعماني** (م١٤١٨هـ) – عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة سابقا – صاحب "**معارف الحديث**"، و" **الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام**"، و"**الدين والشريعة**"، و"**دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب**" ومؤلفات دعوية كثيرة.

١٧- والشيخ منت الله الرحماني (المتوفى ١٤١١هـ) الأمير الرابع للإمارات الشرعية لولايتي بهار وأريسة - الهند - والأمين العام الأول لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند.

١٨- والكاتب الإسلامي المؤرخ الأديب سعيد أحمد الأكبر آبادي (المتوفى ١٤٠٠هـ) رئيس قسم الشؤون الدينية بجامعة عليكره السابق.

١٩- ومن المتخرجين في دارالعلوم ديوبند أيضاً الدكتور **مصطفى الأعظمي** الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية، صاحب"**دراسات في تاريخ السنة**"، ومحقق **صحيح ابن خزيمة**، وصاحب المشروع الكبير لإدخال كتب السنة في الحاسوب.

ومن علماء ديوبند في باكستان:

١- العلامة **ظفرأحمد التهانوي** صاحب"**إعلاء السنن**"، و"**قواعدالحديث**"، و"**تحفة القدوس في شرح بهجة النفوس لابن أبي جمرة**".

٢- والعلامة **شبيرأحمد العثماني** صاحب **الفوائد التفسيرية** المشهورة، - وقد نُقلت هذه الفوائد إلى اللغات الإنكليزية والبنغالية والفارسية - و"**فتح الملهم في شرح صحيح مسلم**"، و"**فضل الباري**" أماليه على صحيح البخاري، و"**إعجاز القرآن**"، و"**الكلام**"، و"**رسالة الإسلام**"، و"**العقل والنقل**".

٣- والعلامة **محمد يوسف البنوري** - مؤسس جامعة العلوم الإسلامية بكراتشي صاحب "**معارف السنن**" و"**يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن**" و"**بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب**".

٤- والعلامة المفتي **محمد شفيع العثماني** - مفتي عام باكستان الأسبق ومؤسس دارالعلوم كراتشي-صاحب تفسير"**معارف القرآن**"و"**جواهر الفقه**"، و"**نظام الأراضي**

في الإسلام"، و"الأحكام الشرعية للآلات الجديدة"، و"أصول التكفير" في الرد على بعض الفرق المنحرفة الحديثة.

٥- والعلامة محمد إدريس الكاندهلوي صاحب تفسير "معارف القرآن"، و"تحفة القاري بحل مشكلات البخاري"، و"التعليق الصبيح في شرح مشكاة المصابيح"، و"علم الكلام"، و"إبطال المادية"، و"إثبات الإله" في الرد على الملاحدة.

٦- والعلامة العبقري القاضي محمد تقي العثماني- الجامع بين الدراسة الشرعية والدراسة القانونية - قاضي محكمة التمييزالشرعي بالمحكمة العليا في باكستان، وعضو المجمع الفقهي بجدة ، صاحب المصنفات - والجهود الدعوية العظيمة - منها: "تكملة فتح الملهم" و"علوم القرآن الكريم" و"ماهي النصرانية"و"حجية الحديث".

٧- والشيخ غلام الله الهزاروي صاحب "جواهر القرآن الكريم".

٨- والشيخ شمس الحق الأفغاني - أحد الوزراء السابقين بدولة باكستان- صاحب "مفردات القرآن"، و"أحكام القرآن"، و"مشكلات القرآن"، و"تنقيح الشذي"أماليه على سنن الترمذي، و"معين القضاة والمفتين".

٩- والعلامة عبد الستار التونسوي صاحب"بطلان عقائد الشيعة"،رئيس منظمة أهل السنة بباكستان.

١٠- والشيخ غلام مصطفى السندي - الرئيس الأسبق لمجمع ولي الله في حيدرآباد السند - صاحب مصنفات وأعمال علمية تحقيقية، وله تفسير باللغة السندية.

ومنهم: الشيخ حبيب الله مختار صاحب "كشف النقاب عما يقوله الترمذي وفي الباب". ومنهم الشيخ فضل ودود والشيخ كل رحيم الأسماري والشيخ محمد طاهر، والشيخ محمد إدريس الطوري، والسيد أنوارالحق كاكاخيل، ولكل منهم ترجمة معاني القرآن الكريم بلغةبشتو ، وللسيد أنوارالحق كاكا خيل- أيضاً - "أنوارالنظر في شرح نخبة الفكر"، والشيخ حبيب الرحمن المرداني صاحب

ترجمة تفسير المنار إلى بشتو، والشيخ شير زمان الهزاروي صاحب"فرحة القاري عن صحيح البخاري".

ومن علماء ديوبند في بنغله ديش:

الشيخ أبوالحسن صاحب"تنظيم الأشتات لحل عويصات المشكاة"، والشيخ محمد الجاتكامي صاحب"مرآة الأماليح شرح مشكاة المصابيح"، والشيخ مجيب الرحمن صاحب "إزالة القساس عن وجه قال بعض الناس"، وهوشرح ماذكره الإمام البخاري في صحيحه بقوله: "وقال بعض الناس".

ومن علماء ديوبند في رنكون (بورما):

الشيخ شمس الضحى الرنكوني صاحب "تلخيص البخاري"، ومفتي عام بورما الشيخ محمود داود يوسف رئيس جمعية علماء الإسلام ومدير دارالعلوم رنكون، والشيخ بدر الزمان رئيس جماعة علماء المسلمين،والشيخ محمد سليمان مدير مدرسة تعليم القرآن الكريم ، والشيخ محمد هدايت الله، والشيخ عبد الوهاب، والشيخ أحمد حسن، والشيخ محمود يوسف مانسر، ومعظمهم متخرجون من مظاهر العلوم بسهارنفور.

ومن علماء ديوبند في إفريقيا الجنوبية:

الشيخ يونس بتيل، والشيخ عباس زبير علي، والشيخ بايزيد، والشيخ أيوب كاجوي، والشيخ هاشم النّدْوي والشيخ عباس جينا في جمعية ترانزوال، والمفتي بشير أحمد، والشيخ يويف تتلا، والشيخ عبد الحميد إسحاق، والشيخ فضل الرحمن، والشيخ محمد علي البهوبالي، والشيخ جليل، والشيخ شبير سالوجي، والشيخ إبراهيم ساليجي،

والمفتي إسماعيل عبدالرحيم، والشيخ قاسم سيما (وهو من زملاء العلامة البنـــوري في دابيل - الهند) والشيخ يوسف باندور، والشيخ إبراهيم باندور.

ومن علماء ديوبند في بريطانيا:

الشيخ يوسف متالا، والشيخ هاشم، والمفتي شبير أحمد في دارالعلوم بري، والشيخ رياض الحق في برمنكهم (Burmingham) والشيخ آدم والشيخ ســليم دوهــرات في ليستر (Lecister) ، والشيخ عباس خليفة في ني تن (Naneo Ton)، والشيخ موســى في باتلي (Batley). (١)

وإلى هذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ينتمــي

- على بصيرةٍ وبكل اعتزاز - **العلامة محمد علي المونكيري** - مؤسس ندوة العلماء - الذي تصدى للنصارى والقاديانية في الرد عليهم، وله مواقف محمــــودة في المنــاظرة معهم، من أهم مؤلفاته: **"آينةإسلام"**، و**"مـــرآة اليقــين"** و**"دفــع التلبيســات"**، و**"ساطع البرهان"**، و**"براهين قاطعة"**.

والكاتب الإسلامي الكبيرالعلامة المؤرخ الأديب الســيد **ســليمان النَّدْوي** صاحب مكتبة كبيرة قيمة من المؤلفات في السيرة النبويــــة، والشــريعة الإسـلامية، والتاريخ والأدب، من أهمها: **موسوعة الســيرة النبويــة**، و**"الرســالة المحمديــة"** و**"أرض القرآن"**و**"سيرة عائشة"**.

---

(١) أوردنا بعض هذه الأسماء لقصد التمثيل فقط للعاملين في مجال الدعــوة الإسـلامية والتربيـة والتعليم من العلماء الديوبنديين، وإعداد القائمة الكاملة لهؤلاء المجاهدين الدعاة إلى الله في كل مكان، وحصر أسمائهم وجهودهم يتطلب جهداً كبيراً وتفرغاً أكثر للعمل.

والمفكر الأديب الأردي البارع عبد الماجد الدريابادي صاحب التفسير الإنكليزي للقرآن الكريم، والعلامة عبد الباري النَّدْوي صاحب كتاب " الدين والعلوم العقلية".

وفي طليعة هؤلاء الأعلام سماحة الداعية المجاهد أبوالحسن علي الحسني النَّدْوي حفظه الله وأبقاه ونفع به العباد والبلاد- وهوأشهر من أن يعرف في مثل هذه العجالة - وغيره الكثيرون ممن أفادوا الأمة الإسلامية بجهودهم الدعوية ومؤلفاتهم القيمة، تقبل الله منهم وجزاهم عنا الخير. (١)

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا

(١) انظر" الأضواء" ٢٦-٤١، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" ص: ٥٨-٦٥، كلاهما للشيخ النَّدْوي، وراجع للتعرف - تفصيلاً - على أعمال علماء ديوبند المتنوعة في خدمة العلوم الإسلامية والأمة الإسلامية في كل من المجالات العلمية والدعوية والإصلاحية والاجتماعية والسياسية _ زمن الاستعمار الانكليزي على البلاد، وبعد استقلال البلاد وانقسامها إلى الهند وباكستان وبنغله ديش- وعن مؤلفاتهم في العلوم الإسلامية والثقافة الإسلامية في العربية ، والأردية وغيرها من اللغات المحلية في الهند وباكستان وبنغله ديش وأفغانستان . كتاب:"المسلمون في الهند"للشيخ النَّدْوي،

مثل حي في المحافظة على كيان المسلمين

وهؤلاء المجاهدونهم الذين قاموا بإنشاء دارالعلوم ديوبند التي صارت أكبر معهد ديني عربي في الهند والبلاد الأسيوية الشرقية، وقد واصلوا جهادهم في سبيل حماية المسلمين، وأخلاقهم وعقيدتهم من شرور المستعمرين، وتشددوا في ذلك حتى خاصموا كل ثقافة إنجليزية، بل كل ملبسٍ ومظهرٍ إنجليزي، ولازال هذا المبدأ سائداً في هذه المدرسة وأمثالها للآن، ويعتبر ذلك مثلاً حياً في المحافظة على كيان المسلمين."

معالي الدكتور

عبد المنعم النمر

وزير الأوقاف الأسبق بجمهورية مصر العربية

علماء ديوبند

جهودهم الدعوية ومآثرهم العلمية

- إنشاء المعاهد العلمية
- نشر كتاب الله وعلومه
- خدمة السنة المطهرة وعلومها
- العناية بالفقه الإسلامي
- المحافظة على اللغة العربية
- مواجهة التيارات المعادية والفرق المنحرفة

أ - مطاردة التنصير

ب- مواجهة التغريب

ج- دحض أباطيل القاديانية

د- محاربة الشرك والعادات الجاهلية

هـ- نشر الثقافة الإسلامية

و- إظهار كلمة الحق

ز- مقاومة الاستعمار

كالشمس في رابعة النهار

" ...ألا فهي كالشمس في رابعة النهار شهرةً ومعرفة، ومن لا يعرفها؟ وهل عالمٌ لا يعرف هذه الجامعة الإسلامية في ديوبند، كل الناس يعرفونها، وهي لا تخفى على أحد، لا تخفى على أحدٍ مكانتها المرموقةُ، والمتخرِّجون منها العلماء المشهورون الذين خدموا العلم، خدموا تفسير كتاب الله، خدموا حديث رسول الله، خدموا الفقه الإسلامي، خدموا اللغة العربية، خدموا الأدب العربي، خدموا كل العلوم الإسلامية، هذا الشيء لا يُنكر، وشيءٌ يعرفه كل أحد.

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

كلٌ يعرف هذا والحمدلله، وهي علَم شامخ بين الجامعات، علَم شامخ بين المدارس والحمدلله، علماؤها أعلامٌ شامخة بين العلماء، فجزاهم الله كل خير، وأثابهم وقوَّاهم، ...فجامعة ديوبند معروفة بين الناس، مشهورة في العالم، لا يحتاج إلى بيان ولا تحتاج إلى تعريف."

سماحة الشيخ

محمد بن عبد الله السبيل

خدمات جليلة و مآثر نبيلة

قام بها علماء ديوبند

وإنَّ هذه الحركة كما أنها شملت سائر أنحاء البلاد الهندية بل امتدت آثارها وثمارها إلى بلاد العالم، فكذلك عمت جميع نواحي الحياة، وشملت كثيراً من مجالات الخدمات العلمية والعملية، بحيث أن توجد لهم وتذكر آثار محمودة -بل مغبوطةٌ أيضاً- في أبواب ومجالات لا يتصور فيها مساهمتهم مع الآخرين أوفوق ما يُتصوّر من أمثالهم.

فكان لأبناء **دارالعلوم** تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية - العلمية والعملية - في الهند، بإنشاء المدارس والمعاهد ، والوعظ والتذكير ، والتصنيف والتأليف، ولهم فضل كبير في محو البدع والخرافات ، وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة، والدعوة الخالصة المخلصة إلى الدين ، كما أنه كان لهم اعتناء شديد بمناظرة أهل الضلال والرد عليهم . وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن وإخلائه من الإنكليز، ونال بعضهم سعادة الامتثال بقول النبي ﷺ :

"أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر".

فلذا إنَّ مجال خدماتهم واسع بحيث إنَّ ذكرها يتطلب طول الكلام ، وبياناً يستوعب مجلدات، وإن لم يكن لنا بد من ذكرها ليتعرف عليها إخواننا الذين ليس لهم بها معرفة، فأكتفي ببيان الضروري منها بالإيجاز والاختصار، والملحوظ أنَّ المذكور من

الخدمات قام بها علماء هذه الجماعة و أصحابها من أي مدرسة كانوا، بعد أن كانوا ينتمون إلى هذه الجماعة، إلا أنَّ معظمها من مجهودات علماء **دارالعلوم** أساتذتها وخرِّيجيها.

ويحسن بي أن أختم هذا التمهيد بذكرماعرف واشتهرمن خدمة رجلٍ واحدٍ – من أبناء **دارالعلوم** – المتنوعة المتعددة الجهات، وقد أشار إليه الشيخ أبو الحسن علي النَّدْوي في عدة كتبه فيقول :

"وكان لأحد أبناء دارالعلوم ديوبند وهو الشيخ أشرف علي التهانوي (م١٣٦٢هـ) سهم كبير، في نشر العقيدة الصحيحة، وإصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، والدعوة إلى الله، وقد عمل وحده عملَ مجمعٍ علمي كبيرٍ ، وألَّف كتباً، ورسائل تربو على ثمانمائة، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً، و أثَّرت في المجتمع الهندي الإسلامي تأثيراً عظيما." (١)

وقول الشيخ أبي الحسن هذا ذكَّرني قولَ الشيخ التهانوي في تقريظه على كتاب "إعلاء السنن" إذ قال :

"الحمد لله ، قد ظهر بالخانقاه الإمدادية (تهانه بهون) عملٌ عظيم، لم يوجد نظيره في أكبر مراكز العلم الدينية بالهند، وهوجمع الأحاديث المؤيِّدة للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله في مسائل الخلاف من كل باب ..... فبتأليف هذا الكتاب ظهر للناس عامة، و للعلماء خاصة

---

(١)(الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها) ص ٣٢

أن ليس مسألة من مسائل أبي حنيفة رحمه الله تعالى مخالفةً للكتاب والسنة. والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً.

...... لو لم يكن بالخانقاه الإمدادية (تهانه بهون) إلا تأليف "**إعلاء السنن**" لكفى به كرامةً وفضلاً، فإنه عديم النظير في بابه". ([1])

وبالجملة فإنَّ هذه حقيقة ساطعة - كما سيطِّلع القارئ عليها ويطمئن إليها - أنَّ خدمات **علماء دارالعلوم** بعد عام ١٨٥٧م في نواحي الحياة العلمية، والروحية، والفكرية، والعقلية، والاجتماعية، والسياسية، جديرة بأن تكتب بماء الذهب في تاريخ الهند الإسلامي، فإنَّ هذه الجامعة قلب المسلمين النابض في شبه القارة الهندية، وما زالت تحافظ على القيم الأخلاقية، والثقافة الإسلامية، و الغيرة الدينية، وتُربِّي المسلمين تربية دينية، وما زالت مركزاً عظيماً للعلوم الشرعية والمعارف الإسلامية، وقلعة منيعةً للذود عن معتقدات أهل السنة والجماعة، وللمحافظة على شعائر الإسلام. ([2])

([1]) إعلاء السنن ١١/١ و ١٢ (الجزء الأول من مقدمة الكتاب)

([2]) مائة و سبعة عشر عاما لدارالعلوم ص ٤٢

"من حوالي منتصف هذا القرن ، قامت في الهند نغمة من بعض الناس المسمّين أنفسهم "أهل الحديث" ، زعموا فيها أنّ مذهب السادة الحنفية – الذي هو مذهب جمهور المسلمين في تلك البلاد الواسعة العريضة – : يخالف الأحاديث النبوية في كثيرٍ من مسائله، كما زعموا أيضاً أنّ الحنفية يقدّمون القياس على الحديث، كما أنكروا أيضاً تقليد الأئمة المتبوعين، وأطالوا لسانهم في جنْبِ فقه الحنفية والإمام أبي حنيفة بوجه خاص.

فتصدّى لردّ هذه المزاعم الزائفة فُحول العلماء في تلك الديار، وأبطلوا هذه الدعوى بالتآليف الكثيرة المحقّقة، وبيّنوا فيها استناد الحنفية في فقههم إلى الأحاديث، وأنّهم يقدّمون الحديث – حتى الحديث الضعيف – على القياس، وأنّ القياس بشروطه : من الأدلة الشرعية التي يجب العمل بها، وأنّ الحنفية لاينقصون استدلالاً بالسنة وتمسكاً بها عن غيرهم من الأئمة ، إن لم يكونوا أقوى من سواهم.

وكان من خيار ما ألّفوه – شكر الله صنيعهم- لهذه الغاية: هذا الكتابُ، [قواعد في علوم الحديث] الذي ألّفه شيخنا [ظفر أحمد التهانوي] حفظه الله تعالى في سنة ١٣٤٤هـ ، أي من نحو نصف قرن... وجعله مقدّمة لكتابه النافع العجاب الكبير: " إعلاء السنن" ، البالغ بمقدمتيه عشرين جزءاً ، ... وقد رتّبه على أبواب الفقه، واستوفى فيه أدلة كل من الأبواب على مذهب السادة الحنفية، من باب الطهارة إلى ختام الأبواب" .

فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة

مقدمة التحقيق لكتاب: قواعد في علوم الحديث، ص: ٤

(١)

علماء ديوبند

وإنشاء المعاهد العلمية

أصلها ثابت وفرعها في السماء

"...ولقد طفتُ كثيراً من البلاد، وشاهدتُ ما شاهدت من المدارس التي هي ناشئة عنها، والتي هي من فروعها، والتي أنشاها رجال تخرّجوا منها، رجال تعلموا هنا وذهبوا يحملون مشعل النور إلى تلك البلاد، فهذه دار العلوم في بنجلة ديش، عددتها دُوراً كثيرةً وهي ناتجة من ههنا، وفي باكستان دور العلوم التي هي نابعة من ههنا، وفي ماليزيا وفي إندونيسيا، بل وفي بريطانيا بلاد الكفر هناك الجامعات الديوبندية التي حضرناها، وحضرنا ختم صحيح البخاريّ فيها، وحضرنا كثيراً من الجامعات فجامعة ديوبند معروفة بين الناس، مشهورة في العالم، لا تحتاج إلى بيان ولا تحتاج إلى تعريف.

سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

شبكة المدارس الدينية

وقد عُرف الشعب المسلم الهندي في تاريخه الطويل -ولا أزكّي على الله أحدا، إنّما هو تحديث بالنعمة، وتقرير للواقع التاريخي- بقوة عاطفته الدينية، وحبه العميق، المتغلغل في الأحشاء لرسول الله ﷺ، وارتباطه بمهد الإسلام ومركزه، وذلك الذي حماه من أن يذوب ويُفقد شخصيته، كما كان الشأن مع الشعوب التي دخلت في هذه البلاد في فترات مختلفة، وأبدى اهتمامه الشديد بقضايا الإسلام والمسلمين في الزمن الأخير... وكان مرهف الحس، رقيق الشعور، شديد الانفعالية في كل ما يقلق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد تجلّت قوة عاطفته الإسلامية، وشدةُ تمسكه بالدين، وتعاليمه وثقافته، في شبكة المدارس الدينية والكتاتيب الإسلامية، الدقيقة الواسعة، التي قلما خلت منها قرية كبيرة فضلاً عن المدن والأمصار، وقد أسّسها المسلمون في طول الهند وعرضها، بعد استقرار الحكم الإنجليزي، وتملّكه لزمام التربية والتعليم في القطر الهندي، وهي تتجاوز المئات، وتبلغ إلى الألوف، ومنها عدد كبير يُسمى "بالمدارس العربية" -لعنايتها الزائدة بالعلوم الإسلامية التي ألفت كتبها في اللغة العربية، وعنايتها بالقرآن والحديث اللذين هما بلغة العرب- وهي تعني غالبا بتدريس الجامع الصحيح للبخاري بصفة خاصة، وتدريس صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود بصفة عامة، وتكاد تكون هذه المدارس كلها شعبيةً يموّلها ويكفلها الشعب المسلم، ويعتبر ذلك سعادة وعبادة، ويتنافس فيه، وذلك سرُّ وجود هذا العدد الكبير من العلماء المحتسبين، والدعاة المتطوعين، والمعلمين المخلصين في كل زمان، الذين يعيشون على الكفاف، وبلغة من العيش يتبلغون بها في نشر العلم، والدعوة إلى الله، وتعليم الناس دينهم.

النّدوي

المسلمون في الهند، ص: ٢٢٣-٢٢٥

إنشاء المعاهد العلمية

أعظم خدمة – وأوسعها نطاقا وإفادة – قام بها **دارالعلوم**، مؤسسوها وعلماؤها ومتخرجوها والمنتمون إليها، وتحمسوا لها، هـي خدمـة إنشـاء المعـاهد العلميـة – التعليمية – من الكتاتيب والمدارس والجامعات في أرجاء الهند وأنحائها مـن المـدن والقرى والبوادي ، ولا تزال عنايتهم بها قائمة، وجهودهم في ذلك مبذولة.

وذلك لما تحقق لديهم واطمأنت به نفوسهم من أن هذه المعاهد هـي المعـاقل الدينية – في هذه الأيام – التي يمكن بها الاحتفاظ ببقايا الحياة الإسلامية، ومكافحـة تيار الغرب المدني والثقافي.

فما تأسست **دارالعلوم ديوبند** حتـى تواتـرت هـذه المعـاهد والمـدارس ، وأنشئ عدد منها في العام نفسه الذي أسسوا فيه **دارالعلوم** ، ثم في أعوام متتابعة لـه، مثـل **مظـاهرعلوم** بسـهارنفور، ومـدارس بتهانـه بهـون ومـيروت ودلهـي وبلند شهر وغيرها. (١)

تخرج من هذه المدارس والجامعات ألوف الآلاف من حفاظ القـرآن الكريـم، والمجودين، والنابغين في علوم الكتاب والسنة وعلوم العربية ، فكان منهـم المفسـرون والمحدثون، والفقهاء والمدرسون والمؤلفون والمناظرون المدافعون عن الإسلام ، القائمون ضد النصارى والهندوس ، وضد أهل الزندقة والإلحاد ، وضد أهل البدع.

---

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند ١/١٦٤ و٤٦٤-٤٧٦

"وكان لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب ، ومحاربة البدع والخرافات، وبث الروح الدينية في الجماهير، وقد نجحت هذه المدارس- بتوفيق الله سبحانه وتعالى- في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً ".(١)

يقول الشيخ مسعود عالم النَدْوي : "وافتتحت معاهد دينية أخرى في مختلف مدن الهند أصبحت حصوناً للدين منيعة في تلك الأيام التي اتسع فيها الخرق على الراتق، وأصبح القابض على الدين كالقابض على الجمر . وخدمت هذه المعاهدُ الدينَ في هذه البلاد خدمات تشكر وتؤثر، وبلسان الثناء يذكر." (٢)

وسر نجاح هذه المدارس -*كديوبند وشقيقاتها* - في أداء رسالتها ونشر الدين والعلم، أنها لم تكن تنال أيّة مساعدة من الحكومة، وإنما قامت على أساس الزهد والتضحية والجهاد ، فأثار ذلك فيها روح المقاومة والجهاد وقوة العمل والنشاط .

ثم إنَّ أبناءها المتخرجين لم يكن لهم أمل - بطبيعة الحال - في وظائف الحكومة والرواتب الضخمة ؛ لأنهم تخرجوا من مدارس أهلية لا صلة لها بالحكومة ، فألجأ ذلك أكثرَ المتخرجين إلى الانقطاع إلى الشعب دون الحكومة ، والتجرد للدعوة والخدمة دون المناصب والرواتب .

وهكذا وُجِد دعاة متجردون ، محتسبون ، متطوعون ، يقتنعون بالكفاف ويقطعون إلى الدعوة والرسالة، فقاموا بأعمالٍ إصلاحيةٍ لا تقوم بها أكبر دولة. (٣)

---

(١) (تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند) ص ١٩٢ و١٩٣.

(٢) الدعوة الإسلامية في الهند) ص ٣٢ و٣٣ .

(٣) انظر أضواء على الحركات الدينية.. للعلامة النَدْوي

وكانت **دارالعلوم ديوبند** هي المدرسة الأم، و لم تساهمها وتشاركها في هذه الصفة - قديما (١)- إلا **مدرسة مظاهرعلوم بسهارنفور** التي أسست بعدها بستة أشهر فقط في نفس سنة تأسيسها وبأيدي علماء كانوا من المؤسسين والمشيدين *لدارالعلوم ديوبند*، ولذا فكان -ولا تزال - عدد كبير من مدارس الهند ومعاهدها على غرار هاتين الجامعتين: **دارالعلوم ديوبند ومظاهر علوم بسهارنفور**، وتقوم علاقة علمية وثيقة بين هذه المدارس و**دارالعلوم بديوبند** . يتّبَعُ فيها المنهج النظامي للتعليم الذي كان منهاجاً رائداً في هذه البلاد حين تأسيسها فاختارته **دارالعلوم** ومظاهر علوم، ثم اقتفت آثارَهما غيرُهما من المدارس، ولذا فإنَّ المدارس المنتشرة في بلاد الهند تمد هاتين الجامعتين بعدد كبير من الطلاب ومن العاملين فيها.

ومن الجدير بالذكر أنّ **دارالعلوم** وشقيقاتها تأسّست قبل تحرير بلاد الهند وانقسامها إلى ثلاث دُوَل- الهند وباكستان وبنغلةديش- فالمدارس على غرار **دارالعلوم**، والمتبعةُ لها في المنهج والنظام أنشئت وتأسّست في شبه القارة الهندية - *الهند وباكستان وبنغله ديش*- بل في غيرها من البلاد أيضاً - *مثل أفغانستان وبورما*- التي وصل إليها متخرجوها، أوجاء طلابها وعلماؤها إلى **ديوبند** وسهارنفور، فاستفادوا بهما وارتووا من مناهلهما، ولا تزال هذه المدارس قائمة باقية في تلك البلاد، - *فلله الحمد* - بل هي في ازدياد وازدهار واتساع نطاق، مما يشاهد العالم آثارها، وثمارها -حتى- في بلاد الغرب من **بريطانيا وأمريكا وكندا، وفي إفريقيا**. فقد تأسّست الآن

---

(١) فقد تأسّست في السنوات الأخيرة (في أواخر القرن الماضي الهجري) عدد من المدارس في أرجاء البلاد تابعة لفكرة **ندوة العلماء** - ونظامها الدراسي- التي تتمثل في الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وزيادة الاعتناء بالكتاب والسنة ولغتهما العربية، والاكتفاء بالقدر اللازم فقط من العلوم الآلية (المنطق والفلسفة)، علماً بأنّ المدارس التابعة لمنهج دارالعلوم ديوبند ومناهجها لم تزل هي الأغلب والأكثر انتشاراً في البلاد.

في تلك البلاد *أيضاً* مدارس وجامعات تنتمي إلى ***دارالعلوم ديوبند*** وتتبع منهاجها العلمي التعليمي، وذلك غيرخاف على كل من له إلمام ومعرفة بأحوال المسلمين في تلك البلاد. (١)

وما لا بد من ذكره هنا من أمر هذه المدارس والمعاهد – أنه يوجد من بين هذه المدارس والمعاهد المنتشرة في أرجاء شبه القارة وأنحاء عدة من بلاد العالم عددكبير منها لها تاريخ مستنير، وخدمات وأعمال، تؤثر وتذكر وتشكر ، وطار صيتها إلى الآفاق فأمّها – ويؤمها – الطلبةُ من أنحاء العالم على أجنحة الأشواق ، وصارت مدارس وجامعات عالمية وشبه عالمية ، ونذكر فيما يلي أهم هذه المدارس من غير استقصاء.

ففي الهند – بعد **دارالعلوم بديوبند ومظاهر علوم بسهارنفور** – ومعهما ثالثتهما أيضاً وهي **جامعة دارالعلوم ندوة العلماء** بلكناؤ(٢)- مدرسة شاهي والمدرسة الإمدادية بمراد آباد، والمدرسة الأمينية بدلهي، ومدرسة أشرف المدارس بهردوئ، والجامعة العربية بانده ، ومدرسة رياض العلوم بجونفور، ومدرسة مفتاح العلوم

---

(١) انظر كلمة سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل في دارالعلوم ديوبند.

(٢) *مع اختلاف يسير في المنهج والاختيار والترجيح، ولكن مع الاتفاق على المبادئ والانتماء إلى مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي الفكرية والعلمية والدعوية*، فإنّ هذه المدارس الثلاثة كلها دوحات وأغصان من شجرة واحدة، وإنما تتميز فيما بينها بخصائصها وترجيحاتها ومجالات عملها، وانظر للتعرف – إجمالاً – على طبيعة هذه المدارس، واتجاهاتها وترجيحاتها، ومميزاتها ومجالات عملها ، ونجاحهافي تحقيق أهدافها ، كتاب: "المسلمون في الهند" و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" و "في مسيرة الحياة" و "الأضواء على الحركات والدعوات الدينية.." كلها لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَدْوِي، و"المراكز الإسلامية والمعاهد الدينية في الهند" للدكتور عبد الحليم النَدْوِي.

ودارالعلوم بمو (أعظم كره) ، والجامعة الإسلامية بنارس ، وكلها بولاية أترابراديش، والجامعة الرحمانية بمونغير والمدرسة الإمدادية بدربهنغا وهما بولاية بهار ، والجامعة المدنية بكلكتا- وفي بنغال وآسام عدة مدارس- وفي حيدرآباد جامعة دارالعلوم الحسامية ، وجامعة سبيل السلام ، وسبيل الرشاد ببنغلور، وجامعة الباقيات الصالحات في ويلور، ومظاهر علوم بتامل نادو، وفي ولاية غجرات عدد من المدارس - تمتاز بذكرها وبعملها مثل - مدرسة تعليم الدين بدابيل، والجامعة الحسينية والجامعة الأشرفية براندير ودارالعلوم كنتاريا، وبغيرها من الولايات أيضاً مدارس كثيرة وجامعات.

ويندرج تحتها أيضاً نظام شبكة الكتاتيب الابتدائية التي تعمل تحت إشراف هيئات علمية مثل: هيئة التعليم الديني لولاية أترابراديش برئاسة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي ، ومدارس دعوة الحق التي تعمل تحت إشراف ورئاسة فضيلة الشخ أبرارالحق حفظه الله أحد خلفاء حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وذلك عدا آلاف من المدارس الابتدائية التي أنشأها المسلمون -على مستوى الأحياء - في المساجد، داخل المدن، وهي تستقبل الأطفال المسلمين المنتظمين في المدارس الحكومية ؛ لتعليمهم القرآن الكريم والتعاليم الدينية - من التوحيد والفقه والسيرة النبوية وما إلى ذلك - وأخرى أنشئت في القرى والأرياف، وتعنى كذلك بالتعليم الديني، ولاتخضع لنظام كبير للمدارس، وإنما يتولى أمورها أصحاب الخير والصلاح من أهالي تلك البلد ، أوتتبع بعض المدارس الكبيرة في المنطقة أوالمدينة.

هذا في الهند وأما في باكستان فقد أسس المتخرجون من **دارالعلوم ديوبند** عدداً من المدارس والجامعات الإسلامية ، تعمل بنفس النظام والمنهج المعروف في **دارالعلوم ديوبند**. ومنها - على سبيل المثال وليس على الحصر-:

دارالعلوم بكراتشي (التي يشرف عليها الشيخ محمد تقي العثماني) والجامعة الإسلامية البنورية بكراتشي، والجامعة الفاروقية بكراتشي ، **ودارالعلوم** تندوا - الله يار ، **ودارالعلوم** أكوره ختك، والجامعة الأشرفية، والجامعة المدنية كلتاهما بلاهور .

وفي بنغله ديش : **دارالعلوم** هات هزاري ، **ودارالعلوم** جاتغام ،وعدد من المدارس والجامعات بدكّة وسلهت وغيرهما.

هذه المدارس والجامعات هي أشهر معاهد هذه السلسلة - *أي المعاهد المنتمية إلى جامعة ديوبند وحركتها* - وأعظمها في هذه الأيام، كما أنّ أكثر مدارس شبه القارة وجامعاتها الدينية الإسلامية - *اليوم أيضاً* -تتبع منهج **ديوبند** وتنتسب إلى حركة **ديوبند** العلمية والإصلاحية.

ففي بورما : دارالعلوم رنكون، ومدرسة تعليم القرآن الكريم، والمدرسة السورتية، كلها في رنكون، والمدرسة القاسمية في ماندلي، ومدرسة مظاهر العلوم في جوبوي ، إضافةً إلى جمعياتٍ تتولى الإشراف على عددٍ من المدارس والنشاط التعليمي والديني في البلاد، منها: جمعية علماء الإسلام، وجمعية العلماء المسلمين.

وفي نيبال شبكة من المدارس الدينية الإسلامية أسسها *العلماء الديوبنديون المتخرجون* من **دارالعلوم ديوبند** أو من **دارالعلوم ندوة العلماء**، *وبالأخص على حدود البلدين - الهند ونيبال- وفي كاتمندو وغيرها من المناطق.*

مدرسة في كل قرية

" زرت في رحلتي إلى الهند وباكستان نحو ثلاثين مدينة من كبار المدن وصغارها، كما زرت كثيراً من القرى التي جاءت في طريق الرحلة، فكانت كل بلدة –وأكاد أقول أيضاً: كل قرية – لاتخلو من مدرسة أو مدارس لتعليم الشريعة الغراء، وكانت كلُّها: مبانيها ، ومكتباتُها، ومساكن الطلبة ، ومساكن الأساتذة في بعضها، ونفقاتها الدائمة العاليةُ : تبرعاً من أهل الخير والإيمان، وأذكر على سبيل المثال بلدة" ملتان" من الباكستان الغربي، وهي بلدة صغيرة، فيها مدارس كثيرةٌ، زرت منها بحسب ما تيسّرت لي زيارته ثلاث مدارس : مدرسةَ أنوار العلوم، ومدرسةَ قاسم العلوم، ومدرسة خير المدارس، ورأيت في مدرسة "خير المدارس" مزايا لم أرها في سواها من مدارس الهند وباكستان، فهي ذات أقسامٍ خمسة: قسم لتعليم قراءة القرآن، وفيه ٨٣ قارئاً، وقسم لحفظ القرآن غيباً، وفيه ١٧٩ حافظاً، وقسم لتعليم الصغار من الطلبة، وفيه ٢٢٠ طالباً، وقسم لتعليم الكبار، وفيه ١٧٩ طالباً، وقسم خامسٌ مستقلّ في مكانه لتعليم البنات صغيرهن وكبيرهنّ، وعددهنّ ٢٩٠ طالبةً، وتقرأ هؤلاء الطالبات في السنة النهائية ما يقرأ الطلاب فيها، وهو

الكتب الستة من الحديث الشريف: "صحيح البخارى"، و" صحيح مسلم"،و"سنن الترمذى" و" سنن أبى داؤد"، و"سنن النسائى"، و"سنن ابن ماجه"، ويقرأن معها كتاب"مشكوة المصابيح"، وقد رغب مدير المدرسة شيخنا ومُجيزُنا الشيخ خير محمد . حفظه الله تعالى ونفع بأنفاسه المباركة. من إحدى الطالبات أن تقرأ حديثاً وتشرحه، فقرأت من وراء حجاب حديثاً من "صحيح البخارى" بسنده ومتنه قراءةً عربيةً صحيحةً فصيحةً ، ثم شرحته فدلّت على علمٍ وفهمٍ

وميزانية هذه المدرسة مئة ألف روبية،(١) كلّها من أهل الخير والإيمان، بارك الله فيهم. ولاتتناول كل تلك المدارس المنتشرة في طول الهند وباكستان وعرضهما درهماً واحداً من الحكومة، وإنّما تعيش وتزدهر، وتنمو وتتّسع على إمداد أصحاب الغيرة والثروة من المسلمين لاغير، أبقاهم الله وأجزل مثوبتهم.

فضيلة الشيخ

عبد الفتاح أبوغدة(٢)

---

(١) الحديث عن عام ١٣٨٥هـ، فقد ظهرت الطبعة الأولى للكتاب بتحقيق شيخنا أبوغدة في تلك السنة

(٢)تعليق أبوغدة على هامش كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح للعلامة الكشميري المطبوع من مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص: ١٦-١٧

جامعات ومدارس ديوبندية

خارج شبه القـــارة الهنديـــة

ومنذ أمد قريب نسمع دوياً لمثل هذه المدارس والجامعات في بلاد الغرب - بريطانيا وأمريكا وكندا، نذكر منها على سـبيل المثـال من غير استقصاء :

دارالعلوم بري (BURY) في بريطانيا، **والجامعة الإسلامية** بكنـــدا في مدينة مسي ساكا بتورنتو، **ومدرسة** في بفالو بنيويورك.

أما جنوب أفريقيا: ففيها عدد من المدارس أنشـأها المتخرجـون مـن **دارالعلوم ديوبند** أو مظاهر العلوم بسهارنفور أو دارالعلوم نـدوة العلمـاء، منها: **دارالعلوم زكريا** في لنسيا (Lanasia)، **ودارالعلـوم آزاد ول** (Aazad Ville)، **والجامعة المحمودية** في سبرنكس (Springs)، **ومدرسة تعليم الدين** في اسبنكو بيش (Ispingo Beach)، **ودارالعلوم نيـو كاسـيل** (New Castle)، وذلك عدا جمعيات تتولى الإشراف على الكتاتيب الإسلامية في أنحاء البـلاد، منها: جمعية ترانزوال (Trans vaal)، وجمعية كوازولو نتل (Kwa Zulu Natal).

هذا وقد كتب الله لبعضهم مزيداً من السعادة فوفّق بإنشاء مدارس في بلاد الحرمين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، منها : **المدرسة الصولتية بمكة المكرمة** أسّسها الشيخ رحمت الله الكيرانوي، و**مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة** أنشأها الشيخ أحمد الفيض آبادي (١)، (أخوالشيخ حسين أحمد المدني) و "**المدرسة الفخرية العثمانية**" بمكة المكرمة كان أسّسها أحد علماء الهند الشيخ عبدالحق، و"**دار الأيتام والصنائع الوطنية**" بالمدينة المنورة كان أنشأها - *بإشارة من بعض علماء الهند وأعيانها، منهم : الشيخ سيد محمد عبدالحي والمحامي سيد غلام بهيك نيرنك* - أحدُ التجار الهنود **الحاج عبد الغني دادا** عام ١٣٥٢هـ، واحتضنت الدار- *التي كانت تعنى بتعليم العلوم الإسلامية مع التدريب المهني* - وقتها مائة وثلاثة عشر طالباً.

---

(١) انظر ترجمة الشيخ أحمد الفيض آبادي في مجلة المنهل بقلم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، أعداد: ذوالحجة ١٣٥٨هـ ص: ٦-٩، و محرم ١٣٥٩هـ ص: ١١-١٢، و صفر ١٣٥٩هـ ص: ٨-٩، وربيع الأول ١٣٥٩هـ كلمة المحرر ص:١.

وقد سجّل المؤرّخون لحركة التعليم في الحجاز هذه الخطوة الموفّقة من **علماء الهند وأعيانها** واعترفوا بجهودهم في هذا المجال بصدرٍ رحب.

يقول الدكتور **عبدالرحمن صالح عبدالله** مدير مركز الدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك: في مقالٍ له بعنوان: "**التعليم في الحجاز في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة**"

"**أقدم المدارس الأهلية في الحجاز المدرسة الصولتية التي أسّسها الشيخ رحمت الله بن خليل الله العثماني...وكان بها عام ١٣٣٢هـ** الأعداد التالية من الطلاب :

الحجاز : ١٨٦، إندونيسيا : ١٥٦، الهند : ١٠٨ [١]

"**المدرسة الفخرية هي ثاني مدارس مكة المكرمة من حيث القدم**، ومؤسّسها هو الشيخ عبد الحق القاري، وهوهندي الأصل، كان تأسيسها عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م." [٢]

"**مدرسة دار الفائزين** هي المدرسة الأهلية الثالثة في مكة المكرمة، أسّست عام ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، مؤسّسها الشيخ عبد الخالق محمد حسين البنغالي أحد طلاب الشيخ رحمت الله." [٣]

---

(١) انظر التربية العربية الإسلامية: المؤسسات الممارسات، الجزء الرابع: (التعليم في الحجاز في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة بقلم: عبدالرحمن صالح عَبدالله، ص: ١٤٢١-١٤٢٣) الناشر: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية- عمان- الأردن

(٢) المصدر السابق، ص: ١٤٢٤

(٣) المصدر السابق، ص: ١٤٢٤

"وفي عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م أسّس الشيخ محمد حسين خياط مدرسة جديدة هي المدرسة الخيرية." (١)

ويقول الدكتور/محمد عبد الرحمن الشامخ في كتابه: "التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني" (ص: ٣٩-٤٩) :

المدرسة الصولتية الهندية

"يبدو أنّ منهج المدرسة الصولتية كان يتأثر بمناهج المدارس الإسلامية في الهند، إذ ذكر الشيخ بكر خوقير بأنّ مدير المدرسة الصولتية قد سافر إلى الهند في عام ١٣٣١هـ من أجل الوقوف على ما أدخل في نظام التعليم من الإصلاحات في المدارس الهندية، خصوصاً ما قرّرته **جمعية ندوة العلماء** التي كنا نعلّق عليها آمالاً كبيرة. (٢)

...وحيث إنّ المدرسة كانت تعتمد أساساً على المساعدات الخيرية التي يجود بها مسلموا الهند." (٣)

المدرسة الفخرية:

أسّسها الشيخ عبد الحق القاري، كانت تشبه المدرسة الصولتية كذلك من حيث اعتمادها على المساعدات الخيرية التي كان يقدّمها مسلموا الهند...

قد أشار الأستاذ إبراهيم أحمد إبراهيم الغزاوي إلى أنّ المدرسة الفخرية كانت موجودةً في عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) وأنّها كانت ذات نظام وتنظيمٍ ونهج عصريٍ قديمٍ، وكانت غاصة بالطلاب... (٤)

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٤٢٤

(٢) "التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني" للدكتور/محمد عبد الرحمن الشامخ، ص: ٤٤ ط دار العلوم- الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

(٣) المصدر السابق، ص: ٤٩

(٤) المصدر السابق، ص: ٥٠

ويقول الأستاذ عبد الله عُريف:

" ويومئذٍ لم يكن بمكة سوى مدرستين: المدرسة الصولتية التي أسَّسها الشيخ رحمت الله الهندي.. وكان يدرس فيها... ويصرف عليها من تبرعات أهل الهند، ثم مدرسة كان يقوم بها الشيخ يوسف محمد الخياط." (١)

ويقول الأستاذ **عبد القدوس الأنصاري عن دارالعلوم الشرعية:**

" هي إحدى دعائم نهضتنا العلمية الحديثة بما تضمُّه من مئات الطالبين، وبما خرَّجته وتخرجه من المتفقين والحافظين للقرآن المجيد بالإتقان والتجويد، فمعهدٌ كهذا يقوم بمهمة نشر الثقافة الإسلامية العربية في هذه البلاد المقدسة أراه جديراً بالتقوية والتدعيم، والمساعدة والعطف الكريم." (٢)

ويتحدث الأستاذ عبد الحق النقشبندي عن نشأة **"مدرسة العلوم الشرعية"** فيقول:

" السيد أحمد الفيض آبادي أسَّس مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٤١هـ زمن خلافة الأشراف فتصدى له الشيخ عبد القادر الشلبي مدير المعارف معترضاً بأنَّها مدرسة وهابية، فأُغلقت بأمر الحكومة، وبعد التحقيق ظهر أنَّ الدروس التي تُلقى فيها كلها هي كتب السنة والفقه على المذاهب الأربعة، وتحفيظ القرآن الكريم، فأذن له بفتحها ثانيةً.." (٣)

---

(١)مع الحاج محمد علي زينل، مجلة المنهل ذوالحجة ١٣٨٨هـ/ ص: ١٦٥٣- ١٦٥٤

(٢) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣٥٩هـ: ص:(١)

(٣)المنهل ص: ١١٤٨ ذوالقعدة ١٣٩١هـ وانظر مقال عبد الرحمن صالح عبد الله، ص: ١٤٢٨

ويذكر الأستاذ عبد الحميد عنبر هذه المدارس عند حديثه عن **مظاهر النهضة في المدينة المنورة**:

"كان من أثر هذه النهضة في دور العلم بالمدينة أن نشأت دار العلوم الشرعية ودار الأيتام ودار الصناعة والنسج ومدارس التهذيب والمحافظة على القرآن الكريم وغيرها من المنشآت العلمية الحديثة." (١)

"وظهرت للعيان المحاولات الجديدة **لمدرسة العلوم الشرعية** في ترقية شعبها العلمية والصناعية، وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات، وهذه مدرسة دار الصناعة والنسج قد أخذت تفكر تفكيراً جدياً في إنشاء أقسام جديدة في مؤسستها، وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات." (٢)

والحلقة الذهبية من هذه السلسلة التعليمية التربوية ومساهمة علماء ديوبند في نشر التعليم في بلاد الحرمين الشريفين – وفاءً بحقهما واعترافاً لفضلهما- **حلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في المملكة العربية السعودية**، فيعود الفضل في تنفيذ فكرة إنشاء الحلقات وتحقيقها – بعد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه – إلى التاجر الخيِّر الحريص على نشر كتاب الله الأستاذ **يوسف سيتهي**، الذي عرض الفكرة على الشيخ **صالح القزاز** (المشرف على توسعة المسجد الحرام في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود) **وسماحة الشيخ محمد** بن إبراهيم آل الشيخ مفتي عام المملكة،

(١) الأستاذ عبد الحميد عنبر- من مظاهر النهضة بالمدينة المنورة، المنهل محرم ١٣٦٦هـ، ص: ٣١

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٢

وبتأييدهما بدأ العمل بأوّل حلقة في مسجد بن لادن بمكة المكرمة عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ، ثم توسّعت وانتشرت في أطراف البلاد ومناطقها المختلفة، ومن المعلوم أنّ الأستاذ **سيتهي**- رحمه الله- كان يتولى جزءاً من نفقات هذه الحلقة - كما هو معروف عن نظامه الذي مشى عليه في باكستان- إلى عام ١٩٦٧م، وكلما توسّعت هذه الحلقات وانتشرت في أرجاء المملكة، ويعم نفعها على أبناء البلاد وأبناء الجاليات المسلمة المختلفة الجنسيات يكون للشيخ يوسف سيتهي وزملائه، ومن أيّدوه وساعدوه في هذا العمل الخيري التربوي العظيم من علماء المملكة نصيب في الأجر، تحقيقاً لقول النبيﷺ ***"من سنّ في الإسلام سنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعد، من غير أن ينقص من أجورهم شيء..."*** أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

"... وفي مواجهة الاستعمار الإنكليزي

نجحت الأمة المسلمة في الهند، وهي أكبر أقلية في العالم في نشر شبكات المدارس الدينية والجامعات الإسلامية متحدّية جيوش التغريب الزاحفة، محاولة الجمع بين الأصالة والمعاصرة، مركّزة على العلوم الإسلامية التي حاول الاستعمار إزالتها."

د/عبد الحليم عويس

مجلة المجتمع محرم ١٤٠١هـ ص: ٢٩

المدرسة الصولتية

" اشترك الشيخ رحمت الله في الثورة على الاستعمار الإنجليزي في الهند سنة ١٨٥٧م، ولما فشلت الثورة وأخمدها الإنجليز بوحشية بالغة نصبوا أعواد المشانق للعلماء، وجعلوا مكافأة ألف روبية لمن يدلُّهم على الشيخ رحمت الله، وصادروا أملاكه وباعوها بـ(١٤٢٠) روبية، وحظروا بيع كتبه أو طبعها، فاضطر للهجرة من الهند متخفّياً حتى وصل إلى مكة سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م.

وفي مكة حصل على إجازة التدريس في المسجد الحرام وسجّل اسمه في السجل الرسمي لعلماء الحرم، وفي سنة ١٢٨٥هـ أسّس أول مدرسة في مكة والحجاز، والتي سُمّيت في سنة ١٢٩١هـ المدرسة الصولتية (نسبة إلى الامرأة الهندية المتبرعة ببنائها واسمها صولت النساء) وبقي الشيخ مديراً ومدرّساً فيها إلى وفاته في ٢٢/ من رمضان سنة ١٣٠٨هـ/ الموافق ١/٥/١٨٩١م، ودُفن في مقبرة مكة، رحمه الله.

وقد زار الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله هذه المدرسة في ٢٨/٦/ ١٣٤٤هـ، وتفقّد فصولها وبناياتها، وأثنى على القائمين عليها، وما زالت هذه المدرسة قائمةً بدورها العلمي في مكة إلى الآن.

د/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي

مقدمة التحقيق لكتاب: إظهار الحق، ص: ٢١

(ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية – الرياض)

دار العلوم بمكة المكرمة

"... وقد ذكرت جريدة الرياض المدرسة الصولتية التي تأسست في مكة المكرمة من نحو ربع قرن، وأنه انحط شأنها الآن بسببين، أحدهما: موت النواب محمود علي خان صاحب (رئيس جهتاري) رحمه الله، فإن ذلك الأمير كان ركن هذه المدرسة وعمادها، ومبالغًا في إرفادها وإمدادها، وثانيهما: انتشار الطاعون في بلاد الهند الذي حال بين مسلمي الهند وبين بلد الله الأمين، وقد كان للمدرسة في كل عام رفد عظيم من أغنيائهم، وحاصل القول إن المدرسة قد حيل بينها وبين موارد ثروتها، قال صاحب الرياض: **وأعضاء الشورى (أي في الهند) والمهتمون بالمدرسة الصولتية يبتغون إقامة "دار علوم" في مكة المكرمة** تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا حتى الحرف والصنائع، ثم قال: **"وكفى لمسلمي الهند فخراً يباهون به أن ينعقد بتوجههم دار العلوم في أم القرى.** وأنا أردت أن أدور في جميع أقطار الهند وبلادها وأمصارها؛ لأحشد لها نقوداً، وأرصن بها بناء **دار العلوم** لتعليمات الفنون الدنيوية والعلوم الدينية..."

اقتراح المنار: نشكر لإخواننا مسلمي الهند الساعين بهذا العمل المبرور غيرتهم الدينية، ونعترف لهم بفضل السبق إليه، ولكن نحب أن يشاركهم فيه سائر إخوانهم المسلمين في جميع أقطار الأرض، ونقترح على مسلمي كل قطر أن يؤلفوا لجنة للاكتتاب وجمع المال لهذا العمل الشريف يرأسه في كل مصر أحد أهل الفضل والوجاهة، وأن يحث عليه الخطباء وأصحاب الجرائد عموماً، وأن تكون اللجنة العليا في مكة المكرمة نفسها، وأن يكون بينها وبين سائر اللجان اتصال بالمكاتبة..."

العلامة رشيد رضا

(مجلة المنار ذو القعدة ١٣١٨هـ/ مارس ١٩٠٠م)

المجامع العلمية

ولم تقتصر جهودهم هذه التي كانت تبذل في سبيل إنشاء المعاهد العلمية - على إقامة المعاهد التعليمية ، والكتاتيب والمدارس والجامعات فقط ، بل إنهم اعتنوا في ذلك بمجالات علمية - أكاديمية - أخرى أيضاً ، فأنشأوا مجامع تحقيقية ومعاهد تأليفية في مختلف البلدان.

فمن **المجامع الفقهية** - مثلاً - لجنة المباحث الفقهية التي تعمل تحت إشراف جمعية علماء الهند، ولجنة التحقيقات الشرعية ترأسها جامعة ندوة العلماء، والمجمع الفقهي الإسلامي، الهند برئاسة الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي، ومجلس تحقيق حوادث الفتاوى ، بباكستان وغيرها .

ومنها مجامع ومعاهد تقوم بعمل التأليف وتحقيق التراث وإخراجه إلى منصة الظهور، منها المجلس العلمي بدابيل ولها فروع بباكستان وإفريقيا، ودار المصنفين بأعظم كره وندوة المصنفين بدلهي ، وأكادمية شيخ الهند ***بجامعة دارالعلوم ديوبند*** ، ودار المؤلفين بديوبند، ومركز المعارف بآسام -وله فروع في مختلف البلاد- وغيرها.

ومنها تعد دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد التي يعود إليها فضل كبير في إخراج عدد كبير جدا من كتب التراث في السنة والتاريخ الإسلامي - بصفة خاصة - مما صورت عليها مكتبات لبنان ومازالت النسخ المصورة هي المتداولة في الأسواق العربية،

وكذلك **"دائرة المعارف النعمانية"** بحيدر آباد أيضاً، فأكثر العاملين في الدائرتين ينتمون إلى **دارالعلوم ديوبند** دراسة أو- على الأقل - فكراً ومنهجاً.

وهناك عدد كبير من مثل هذه المعاهد في أرجاء شبه القارة - الهند وباكستان وبنغله ديش ، بل في غيرها أيضاً مثل مجلس التحقيقات الشرعية ببريطانيا.

وقد زادت هذه المجامع والمعاهد الثروةَ العلمية زيادة هائلة مدهشة ، أبحاثاً وكتباً ، ورسائل قيمة نافعة ممتعة ، بحيث لايستغني عنها طلبة العلم ولا المكتبات الإسلامية .

ومن **مجهوداتهم** أيضاً : مآت من اللجان ، ومجامع ، ومعاهد – في جميع أنحاء شبه القارة، وغيرها من البلاد أيضاً – تستهدف بث الوعي الإسلامي، ونشر العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، في الجيل المسلم، بالوعظ والإرشاد، وعقد الاجتماعات العامة ، وإنشاء المحاكم الشرعية ، وترغيب المجتمع الإسلامي المسلم لرفع النزاعات والخصومات إليها – المحاكم الشرعية الإسلامية – ليتوصلو إلى الحق في ضوء الشريعة الإسلامية المطهرة ، فنرى اليوم عدداً غير قليل من هذه المحاكم في بلادنا ، ولها قبول في المجتمع المسلم، وخدمات مشكورة وأعمال جليلة، ونسمع ونشاهد مئات من الحفلات الدينية والاجتماعات الإسلامية ، كل سنة في مختلف البلاد ، من المدن والقرى والبوادي ، يحضرها حشد كبير من عامة المسلمين، فيستفيدون بها في دينهم وعقيدتهم وصالح أعمالهم ومعائشهم ، وهذا من بركات *دارالعلوم ديوبند* وثمراتها ، ومن ميزات مسلمي شبه القارة فإن هذه الاجتماعات الدينية لا يوجد لها نظير ولا يسمع لها دوي ومثيل في العالم الإسلامي.

والحمد لله – على أن فضل كل ذلك يرجع إلى هذه الجماعة والجامعة في أغلب الأحوال وأكثر بلاد الهند.

"...وقد كان
لعلماء شبه القارة الهندية
– التي تشمل اليوم الهند وباكستان
وبنجلاديش – نصيب وافر من
خدمة السنة، تحقيقاً وتخريجاً، وتعليقاً
وشرحاً ونشراً.
ولازال العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه
ينتفع بالمصادر والكتب الحديثية التي نُشِرت
أول ما نُشِرت على يد علماء الهند في
حيدرآباد وغيرها، وقد صُوِّرت بعد ذلك
في بلاد شتى طبق الأصل الهندي."

القرضاوي

تصدير تكملة فتح الملهم

الجزء الأول:

ص(ج)

(٢)

علماء ديوبند والعناية بالقرآن الكريم وعلومه

تدريسا وتأليفا

"ولما بلغت إلى هذا المقام ناسب أن أبوح بما لعلماء الهند ولاسيما لعلماء ديوبند من المنزلة القاصية في خدمة القرآن والحديث، والذب عن حريم الشريعة الإسلامية، والجهاد العملي والعلمي في حرية الوطن واستخلاصه من إسارة الحكومة البريطانية، وبذر حمية الدين والغيرة الإسلامية ، ونفخ روح النهضة الإسلامية والحرية الوطنية في قلوب أهل الهند من العوام والخواص، وإنقاذها من مخالب الدولة الغادرة الخائنة الأجنبية، وإنها منن كبرى أبين من فلق الصبح لايكاد ينساها المؤرخ على تقادم الأعصار، وإنما أغراني على إبراز هذه الخدمات الجليلة خفاؤها على إخواننا القاطنين في البلاد العربية ، وظلم بعض أهل الصحف والأقلام في إخفائها، وتدسيسها من غير أن يؤدوا حق الجوار بنصفة وديانة ، ويا للأسف أين الإنصاف وأين الديانة ، طارت بها عنقاء مغرب، وخبالات الناس بالدهناء قليلة، غيرأن هذا الموضع ليس موضع استيفاء القول فيه؛ فنقتصر على إيماضات وبروق تنبئهم على غوادي هاطلة، والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل".

العلامة المحدث محمد يوسف البنوري

(يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن ص: ٤٨)

جامعة عريقة لها تاريخ مشرق

"..فلما رأيته وجدته – ولله الحمد – يجمع إلى فخامة المبنى، جزالة المعنى، فهو – ولله الحمد – جامعة عريقة ثبّت الله تعالى بها الإسلام، وجعل فيها من البركات مالايعلمه إلاهو، فإنّها جامعة مباركة، لها تاريخٌ مشرق في تخريج أفواجٍ من ورثة النبي ﷺ من أمته في تبليغ دينه ودعوته، أفواج نفع الله تعالى بهم، وانتشروا في شتى أقطار القارة الهندية وفي أقطار أخرى من الأرض، فكانوا ولله الحمد يدعون إلى الصراط المستقيم والنهج القويم، وكانوا سبباً في ثبات المسلمين على دينهم وردّ عاديات أعدائهم، وهذا – ولله الحمد – من توفيق الله وفضله، فإنه لاحول ولاقوة إلا بالله.

فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير

العناية بالقرآن الكريم وعلومه

تدريساً وتأليفاً

منذ أوّل يوم لتأسيس **دارالعلوم** كانت عناية هذه الجماعة مبذولة لخدمة القرآن الكريم تحفيظا وتجويداً ، وتدريساً لمعانيه ، وتصنيفاً في علومه من نواحٍ شتى.

ابتدأ فيها قسم تعليم القرآن وتحفيظه في السنة الثانية من تأسيسها ، وقسم علوم التجويد و القراءات سنة ١٣٢١ هـ بأستاذ وطالب ، فالأستاذ هوالمقرئ عبد الوحيد الإله آبادي من أرشد تلامذة المقرئ الكبير الشهير عبد الرحمان المكي ، والطالب هو الشيخ القاري محمد طيب القاسمي رحمه الله تعالى، (١) رئيس **دارالعلوم** السابق. وأصبح هذا القسم فيما بعد أحد مراكز علوم التجويد والقراءات بهذه البلاد.

أما تدريس ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة المحلية وتفسيره ، وتدريس كتب التفسير وعلوم القرآن، فكان كذلك من المقررات الدراسية الأساسية لمنهاج **دارالعلوم** التعليمي منذ عهدها الأول. وأخيراً أُنشئ في **دارالعلوم** قسم خاص بعلوم القرآن والتفسير، **فالكتب المقررة في التفسير**: تفسير الجلالين ، وتفسير البيضاوي، والكشاف للزمخشري، ومدارك التنزيل للنسفي ، وتفسير ابن كثير، **وفي علوم القرآن وأصوله**: كتاب "**الفوز الكبير**" للإمام ولي الله الدهلوي ، و"**الإتقان**" للسيوطي وتلخيصه للشيخ عبد الصمد الرحماني ، وغير ذلك. بل اهتم جماعة منهم بالدراسات العليا في التفسير وعلومه للمتخرجين من الجامعات الإسلامية، فأقاموا لذلك دورات تدريبية ومعاهد تدريسية ، سيما بباكستان ، ولا يزال العمل جاريا بحمد الله تعالى.

ومن المقررات الدراسية لنيل شهادة الفراغ والفضيلة من **دارالعلوم** أن يكون الطالب – على الأقل – مجازاً في رواية حفص عن الإمام عاصم رحمهما الله.

---

(١) (تاريخ دارالعلوم ديوبند) ١/١٦٤ و٢٠٨

جهود متنوّعة لخدمة كتاب الله:

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد اهتم **علماء ديوبند** - لتبليغ معارف القرآن وعلومه إلى عامة الناس ولتوقيفهم بها - بترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغات المحلية في المساجد والمجالس ، وبالتأليف في معاني القرآن وعلومه بالأردية والعربية أيضاً حسب الظروف والأوضاع. وهكذا فقد تنوّعت جهودهم في نشر كتاب الله وتعاليمه على النحو الآتي:

١- ترجمة معاني القرآن الكريم:

ومن تراجمهم لمعاني القرآن الكريم : ترجمة الشيخ **محمود الحسن الديوبندي** المعروف بـ" **شيخ الهند**" ، وترجمة الشيخ محمد أشرف علي التهانوي ، وترجمة الشيخ عاشق إلهي الميرتهي، وترجمة الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي ، وترجمة سحبان الهند الشيخ أحمد سعيد الدهلوي، وترجمة الشيخ أحمد علي اللاهوري.

٢- التفسير:

ومن تفاسيرهم : "**الفوائد التفسيرية**" للشيخ محمود الحسن والشيخ شبير أحمد العثماني في مجلد ضخم ، و"**الفوائد التفسيرية**" للشيخ محمد عاشق إلهي الميرتهي ، و"**بيان القرآن**" للشيخ أشرف علي التهانوي في مجلدين ضخمين و"**جواهر القرآن**" للشيخ حسين علي الفنجابي ، و"**حلّ القرآن**" للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي، و"**كشف الرحمان**" للشيخ أحمد سعيد الدهلوي ، و"**معارف القرآن**" للشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي في ثمانية مجلدات ضخمة، و"**معارف القرآن**" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، في عدة مجلدات ضخمة ، و"**تفسير معالم التنزيل**" لمحمد علي الصديقي، و"**هدايت القرآن**" لمحمد عثمان الكاشفي والمفتي سعيد أحمد البالنبوري ، و"**أنوار القرآن** " للشيخ محمد نعيم الديوبندي ، و"**أنوار القلوب**" الفوائد التفسيرية

للشيخ حيات أحمد المرادآبادي، و"الفوائد التفسيرية" للشيخ المفسر أحمد علي اللاهوري، وتفسير "إلهام الرحمن" وهو من أمالي الشيخ عبيد الله السندي، (وهو بالعربية) وللشيخ عبدالماجد الدريابادي - وهو من العلماء المنتمين إلى هذه الجماعة وفكرتها - تفسيران : أحدهما بالأردية والآخر بالإنجليزية ، ميزتهما الاستفادة من المصادر الغربية والنقد عليها. (١)

ولهم رسائل في تفسير بعض السور وبعض الآيات، منها : تفسير المعوذتين للشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس الجامعة، وهو مطبوع بالعربية، وللشيخ التهانوي عدة رسائل، أهمها: "تمهيد الفرش في تحديد العرش" في تفسير آية الاستواء ، و"إلقاء السكينة في تحقيق إبداء الزينة" في تفسير آية ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، ولغيرهما أيضاً تفاسير جزئية، منهم : الشيخ عبيد الله السندي ، والشيخ عبد الحي الفاروقي، والشيخ محمد طيب القاسمي.

٣- تراجم لتفاسير قديمة والتعليق عليها:

مع ما ترجموه وشرحوه بالأردية من كتب التفسير وعلوم القرآن ، أو كتبوا تعليقات وتحشية على المقررات الدراسية مثل تفسير الجلالين، وتفسير البيضاوي، وممن قام بالتعليق أوالتحشية : المفتي عزيز الرحمان العثماني، والشيخ حبيب الرحمان العثماني، والشيخ محمد أحسن النانوتوي ، وللشيخ أشرف علي التهانوي

---

(١) يقول فيه الشيخ أبوالحسن النّدْوي في كتابه المسلمون في الهند ص: ٤٣:" التفسير الماجدي للشيخ عبد الماجد الدريابادي يمتاز بالدراسات المقارنة العقائدية والتاريخية والعلمية، والاستفادة من المصادر الأجنبية، وماكتب عما تشترك فيه الصحف السابقة والقرآن من أمكنة وأعلام وحقائق تاريخية، ومادلت عليه الآثار والحفريات، والاحتجاج بكل ذلك على إعجاز القرآن".

"تصوير القطعات لتيسير بعض العبارات" رسالة بالعربية شرح فيها ما جاء في تفسير البيضاوي من كلامه العجيب في تفسير المقطعات.

وللشيخ أشرف علي أيضاً "مسائل السلوك من كلام ملك الملوك" في التفسير الإشاريّ الصوفي المعتبر عند المحققين وهوبالعربية ، وقد ترجمه إلى الأردية أيضاً.

٤- أحكام القرآن الكريم :

"أحكام القرآن" ألّفه لفيف من علماء *ديوبند* بتوجيهٍ من العلامة التهانوي، و"أحكام القرآن" للشيخ شمس الحق الأفغاني.

٤- ربط الآيات والسور:

"سبق الغايات في ربط الآيات" في بيان ربط الآيات والسور للشيخ التهانوي، و"سمط الدرر في ربط الآيات والسور" للشيخ محمد طاهر المرداني (البنج بيري).

٥- متابعة التفاسير الحديثة :

وقد تناولوا بالرد والنقد بعض التفاسير الحديثة - *لمافيها من مخالفات لأهل السنة والجماعة، وأصولهم ومختاراتهم في التفسير* - وهي تنسب إلى شخصيات ذات مكانة وإكرام في أعين كثيرٍ من الناس ، مثل تفسير السيد أحمد خان مؤسّس جامعة عليكره ، وتفسير الشيخ أبي الكلام آزاد - وزير المعارف الأسبق في الهند-المعروف بترجمان القرآن، وتفسير المشرقي عنايت الله، وكذا تراجم بعض الرجال بالأردية. [1]

---

[1] راجع "يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن" ص ٥٤-٦٨ و٧٠-٨٠ و(إمداد الفتاوى) الجزء السادس ، وفيه جدول طويل لبيان مخالفات السيد أحمد عن تفاسير أهل الحق . ومن هذه التفاسير أيضاً "تفهيم القرآن" للشيخ أبي الأعلى المودودي، كما أنه يوجد انتقادات على التفسير الثنائي لثناءالله الأمرتسري، و ملاحظات علىتفسير عبد الماجد الدريابادي أيضاً.

٦- القراءات والتجويد:

ولهم آثار قيِّمة في علوم التجويد والقراءات تأليفاً وتعليقاً ، وتحشية وشرحاً، وللشيخ التهانوي عدة كتبٍ في الموضوع، منها: "**وجوه المثاني مع توجيه الكلمات والمعاني**" و"**زيادات على كتب الروايات**" كلاهما بالعربية جمع في الأول القراءات المشهورة وفي الثاني غيرها، وقدطُبِعا ملحقَيْنِ بتفسيره، وله "**جمال القرآن**" و"**تنشيط الطبع في إجراء السبع**" كلاهما متداولان، وهما بالأردية ، وله "**رفع الخلاف في حكم الأوقاف**".

وللشيخ المقرئ - الشيخ فتح محمد - الضرير- الباني بتي ثم المدني- الذي كان يُعَدُّ "**سند القراء وحجة القراءات**" في الآونة الأخيرة - عشر مصنفات فيما يتعلق بالتجويد والقراءات، أشهرُها وأجلُّها "**عنايات رحماني في شرح حرز الآماني**" في ثلاثة مجلدات ضخمة ، وهذا الشرح يُعَدُّ من أعاجيب الزمن ، وهوبالأردية ويقوم بعض تلاميذه بنقله إلى العربية.

وقد تكوَّنت من جهود ومؤلفات بعض أبناء **دارالعلوم** في هذه العلوم مكتبة صغيرة ، قيمة مفيدة ، منهم : **المقرئ رحيم بخش الباني بتي الباكستاني** فله ٢٣ مؤلفاً في هذه العلوم، ومنهم **المقرئ أبوالحسن الأعظمي** رئيس قسم التجويد والقراءات **بدارالعلوم** حالياً، فإنه فريد عصره في كثرة التأليفات في هذه العلوم بهذه البلاد وله كتاب بالعربية أيضاً بعنوان : "**تحصيل الأجر في القراءات العشر**"، وهو الآن تحت الطبع، كما أنّه اهتم بطبع مصحفٍ يحمل- في الهوامش- بيان القرءات المختلفة و توجيه اختلافها.

ومنهم الشيخ المقرئ **محمد طاهر الرحيمي**- نزيل المدينة المنورة - من علماء باكستان ومن المتخرجين في مدرسة الشيخ **فتح محمد** المتقدم ذكره .

٧- علوم القرآن الكريم:

ولهم كتب ومؤلفات بالعربية والأردية في علوم القرآن ، منها: "**يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن**" للشيخ محمد يوسف البنوري، و"**علوم القرآن**" للشيخ محمد تقي العثماني، و"**أشرف البيان في علوم القرآن**" للمفتي عبد الشكور الترمذي، و"**أحسن البيان فيما يتعلق بالقرآن**" للشيخ أشفاق الرحمان الكاندهلوي، و"**منازل العرفان في علوم القرآن**" للشيخ محمد مالك بن محمد إدريس الكاندهلوي (وهو الذي أكمل تفسير والده المسمى معارف القرآن) ، و"**جواهر القرآن**" للشيخ غلام الله الهزاروي ، و"علوم القرآن" للشيخ شمس الحق الأفغاني - ولبعضهم "**جواهر المعارف**".

إضافةً إلى مؤلفات تتناول جانباً معيّناً من علوم القرآن الكريم ، مثل:

أ - إعجاز القرآن الكريم:

"إعجاز القرآن" للشيخ شبير أحمد العثماني، وللشيخ أنور شاه الكشميري كلام لطيف ونفيس بالعربية في بيان إعجاز القرآن ووجوهه. و"إعجاز القرآن" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي،

ب - مشكلات القرآن الكريم وأسراره:

كتاب"أسرار القرآن" للشيخ محمد قاسم النانوتوي،و"**مشكلات القرآن**" للشيخ أنور شاه الكشميري، و"**مشكلات القرآن**" للشيخ شمس الحق الأفغاني، و"فقه القرآن" لعمر أحمد التهانوي.

ج - قصص القرآن الكريم:

"**قصص القرآن**" للشيخ حفظ الرحمان السيوهاروي في أربع مجلدات ضخمة، كتاب في غاية التحقيق والإفادة، وهو مقبول متداول، و"**قصص القرآن**" للقاضي رين العابدين الميرتهي في مجلد

د – المفردات القرآنية:

"**قاموس القرآن**" للقاضي زين العابدين الميرتهي ، و"**لغات القرآن**" للقاضي محمد زاهد الحسيني، و"**مفردات القرآن**" للشيخ شمس الحق الأفغاني، و"**لغات القرآن**" للشيخ محمد أجمل خان، وهوبالعربية. و"**تفصيل البيان في علوم القرآن**" للسيد ممتازعلي الديوبندي، وهو معجم قرآني، ولعله أوسع كتاب في الموضوع فإنه في ست مجلدات ضخمة.

هـ –كتابة المصحف وتاريخها:

"**تدوين قرآن**" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، "**تاريخ القرآن**" للشيخ عبد الصمد الصارم –وهوبالعربية – وقد نال القبول بين علماء البلاد العربية أيضاً.

و – أصول التفسير:

" **مرآة التفاسير**" للشيخ أشفاق الرحمان الكاندهلوي، و"**العون الكبير في شرح الفوز الكبير**" للشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري، "**التحرير في أصول التفسير**" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي،

ز – تاريخ التفسير والمفسرين:

"**الإسرائيليات في التفاسير**" للشيخ أسير الأدروي، ولغيره أيضاً مؤلفات حول الإسرائيليات، "**تذكرة المفسرين**" للقاضي محمد زاهد الحسيني، و"**نيل السائرين في طبقات المفسرين**" لمحمد طاهر المرداني(البنجبيريّ).

ومن تأليفهم في علوم القرآن – أيضاً– ما كتبوه تقديماً للتراجم والتفاسير المؤلّفة، من أهمها: "**مقدمة القرآن**" للشيخ محمد طيب القاسمي طُبِع مع ترجمة الشيخ أحمد سعيد الدهلوي وتفسيره.

ولهم غير ذلك كتب ورسائل تتعلق بالموضوعات القرآنية ، من أهمها: "الأصول القرآنية للدعوة الدينية" للشيخ محمد طيب القاسمي، ولنجله الشيخ محمد سالم القاسمي: "جائزة تراجم قرآني" (استعراض للتراجم القرآنية)، وللشيخ أخلاق حسين القاسمي الدهلوي أعمال قيّمة في التفسير إلا أنّها بالأردية.

ولعلماء ديوبند غير ذلك من المؤلفات المختصرة الكثيرة مما لم أطّلع عليه أو لم أذكره خشية الإطناب .(١)

٨-جهودهم في التفسير وعلوم القرآن الكريم بلغات محلية:

أ- ولجماعة منهم أعمال جليلة في ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره والتأليف في علوم القرآن بلغات أخرى غير الأردية والعربية - *محلّية وعالمية أوشبه عالمية* - منها مانقل من الكتب المؤلّفة بالأردية إلى لغة أخرى ، مثل: "**الفوائد التفسيرية**" للشيخ شبير أحمد العثماني نُقل إلى الإنجليزية والبنغالية والفارسية وبشتو وغيرها.

وأخيراً بدأ بعض الباحثين - تحت إشراف بعض العلماء من بنغلا ديش - بترجمة تفسير "**بيان القرآن الكريم**" للشيخ أشرف علي التهانوي إلى العربية.

ب- *ومنها ماأُلّف - مستقلاً- في لغات محلية أخرى، فمن ذلك:*

الترجمة مع الفوائد **بالكشميرية** للشيخ محمد يوسف شاه الكشميري، والترجمة **بالهندية** - لغة الهند الرسمية - للشيخ محمد أرشد المدني ، وللشيخ غلام مصطفى تفسيرٌ **بالسندية**.

---

(١) راجع لذلك (مجلة الرشيد) عددها الخاص بدارالعلوم ، فإنّ فيه تفصيلاً قد لا يوجد في غيرها من المجلات والكتب

ولعلّ لغة أفغانستان المحلية التي تعرف بـ "بشتو" لها نصيب أكبر وحظ أوفر من ذلك، فللشيخ فضل ودود والشيخ كل رحيم الأسماري "الترجمة مع الفوائد" بهذه اللغة، **وترجمةٌ** للشيخ محمد طاهر، **وتفسيرٌ** للشيخ محمد إدريس الطوروي، **وتفسيرٌ** للسيد أنوار الحق كاكاخيل، و"**كتاب قصص القرآن**" للقاضي عبد الرب البشاوري، **وتفسيرٌ** للشيخ حبيب الرحمان المرداني، وهو ترجمة تفسير "**المنار**" للعلامة رشيد رضا المصري.

٩- ومن الأعمال والكتب التي تفتخر بها هذه الجماعة، كتاب "**تاريخ أرض القرآن**" للعلامة السيد سليمان النَّدْوِي، و"**لغات القرآن**" لكل من الشيخ عبد الدائم الجلالي وعبد الرشيد النعماني، و"**أرض القرآن**" و"**أعلام القرآن**" للشيخ عبد الماجد الدريابادي، فإنَّ هؤلاء العلماء يُعدّون من هذه الجماعة - مع أنهم لم يتخرجوا من **دارالعلوم** أو **مظاهر علوم** - لكونهم على فكرة **دارالعلوم** وجماعتها، وعلى مذهب هذه الطائفة ومسلكها.

١٠- وقد نال بعض تفاسيرهم القبول بنظر الإعجاب والاستحسان، والتداول بكثرة الطباعة والقراءة، ومنها :

أ - تفسير الشيخ محمود الحسن الديوبندي والشيخ شبير أحمد العثماني، الذي يعرف في الهند بـ "**ترجمة شيخ الهند**"، فإنَّ الشيخ محمود الحسن كان يلقب بشيخ الهند وهو شيخ كثيرٍ من أعلام **علماء ديوبند** - منهم الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ المحدث أنور شاه الكشميري، والشيخ شبير أحمد العثماني، والشيخ حسين أحمد المدني - وقد نُقل هذا التفسير إلى عدة لغاتٍ أخرى -من الفارسية والبنغالية والإنجليزية ونحوها - فطُبع بها.

وهي التي وقع عليها الاختيار الأوّل لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة فطُبعت ووُزّعت بالملايين، وقد شهدت السفارات السعودية في الهند وباكستان إقبالاً عظيماً على هذه الترجمة، مما لم تحظ به الترجمة الثانية المطبوعة من المجمع أيضاً .

٢- "بيان القرآن" تفسير الشيخ أشرف علي التهانوي الذي هومن نوابغ علماء ديوبند بل من نوابغ علماء الهند وأفذاذ هذا القرن. وهو أصل تفسير الشيخ محمد شفيع الآتي ذكره ، يقول فيه الشيخ محمد يوسف البنوري :

"كابد فيه لمطالعة كتب المفسّرين، ولخص فيها أموراً مفيدة . وحل مواضع مشكلة غامضة بوجهٍ أنيقٍ، وزاد نفعها بفوائد بالعربية (١)".

والحق أنه تفسير يستفيد به الطلبة والعلماء أولوا الفضل وسعة النظر معاً، فإنّه أشار الشيخ شبير أحمد العثماني على الشيخ أنور شاه الكشميري-وكان من عادته أنه لم يكن يراجع الكتب المؤلفة بالأردية -بمراجعة هذا التفسير لحلِ عويصات ومعضلات تفسيرية لم يكن يجد لها حلاً، ففرح الشيخ الكشميري به وأعجبه هذا التفسير.(٢)

٣- تفسير "معارف القرآن" للشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي رئيس قسم الإفتاء بدارالعلوم ديوبند سابقاً ، والمفتي الأعظم بباكستان. وهوفي ثمانية مجلدات كبار، جاء بأسلوب العصر بياناً ولساناً، يقول فيه الشيخ البنوري:

---

(١) (يتيمة البيان) ص ٥١ و٥٢

(٢) (تأليفات أشرفية) ص: ٦ وانظر مقالي في التعريف بهذا التفسير وبمؤلفات صاحبه في التفسير وعلوم القرآن ، المنشور في مجلة "صفا" الفصلية الصادرة من حيدرآباد

"مأخذه بيان القرآن لحكيم الأمة الشيخ التهانوي، فلخصه في عبارات واضحة، وزاد عليها مسائل وأبحاثاً يحتاج إليها العصر الحاضر، ولسنا نحتاج إلى الثناء على الكتاب، فأصبح خيرَ تفسيرٍ يستفيد منه عالم وغير عالم. (١)

ونال هذا التفسير – بعد تفسير التهانوي وتفسير العثماني – ما لم ينله غيره من تفاسير علماء **دارالعلوم**، ولعله يفوقهما لسعة مباحثه وحسن بيانه، ويفوق أيضاً تفاسير بعض المعاصرين من غير هذه الجماعة – لثقة صاحبه بين الأوساط العلمية في شبه القارة – وقد لخّصه البعضُ في ثلاث مجلدات ضخمة، كما جمع آخرون ما جاء فيها من المسائل الفقهية والأحكام أومن مباحث علمية ومن التفسير الموضوعي، في كتب مستقلة تطبع وتنشر.وقد نال الباحث **محمد أياز عبد الحميد** – الأفغاني – شهادة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه – من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – بتقديم دراسة مفصّلة لهذا التفسير الرائع المقبول. كما حصل على الدكتوراة – من الجامعة نفسها – بدراسة عددٍ من تفاسير الجماعة المذكورة.

وأوسع ما وقفتُ عليه من تفاسير **علماء دارالعلوم ديوبند "تفسير معالم التنزيل"** للشيخ محمد علي الصديقي، فإنه في ثلاثين مجلداً ، قصد المؤلف فيه جمع نخب من أقوال المفسرين القدماء منهم والمتأخرين والمعاصرين ، وهوأيضاً بالأردية. (٢)

---

(١) (يتيمة البيان) ص ٦٩

(٢) (مجلة الرشيد) العدد الخاص بدارالعلوم ص ٢-٦ ، وانظر أيضاً "عناية علماء الجامعة بعلوم القرآن"، جريدة الداعي عدد خاص، ص: ٢٦-٢٧

"إنّ التقليد الشخصي وغيره كلّ منهما مأمور من الله تعالى، فما عمل به المرء منهما يخرج به عن عهدة الامتثال، وهذا هو الحكم الصحيح ، ولاعيب - أصلاً - فيمن يعمل بأحدهما دون الآخر،ويجوز العمل بأحدهماتعيينا لمصلحة،وهوالحكم في الواقع.

فمن يقول: إنّ التقليد الشخصي كفرفهوآثم؛ لأنه يحرم ماهو مأمور به من الله تعالى، وكذا على العكس من يحرم التقليد غير الشخصي- من دون حكم من الشرع - فهو أيضاً آثم؛ لأنه يحرم المأمور، فكل منهما بمرتبة واحدة في أصل الحكم."

العلامة المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي

الفتاوى الرشيدية ص :١٨٦

" كل ما لايجوز في الشرع فهو خطأ عند الصوفية أيضاً فإنّ الصوفية لايخرجون عن جادة الشريعة وحدودها ، ومن خرج منهم من حدود الشريعة يفوته التصوف."

العلامة المصلح أشرف علي التهانوي

إمداد الفتاوى: ١٥٠/٥

(٣)

علماء ديوبند

والعناية بالحديث الشريف وبعلومه

تدريسا وتأليفا وحفظا ونشراً

الجديد المفيد والنادر الفريد

"...فقد ألف العلماء كتبا كثيرةً في علـــوم الحديــث الشريف وقواعده، وتفننوا فيها غاية التفنن،حتـــى كـــاد الواقف عليها يقول: إنهم استوفوا فيها كل شـــيء، فلـــم يتركوا زيادة للمستزيد، أو ثغرةً لمستدرك أو متعقِّب، ولكن سرعان ما يتبدد هذا ، عندما نقف بين حين وآخرمن هـــذا العصر على آثار إخواننا علماء الهند وباكستان في هذا العلم الشريف، فنجد لديهم الجديد المفيد، والنـــادر الفريـــد، ويتبدى لنا صدق كلمة الإمام ابن مالك النحوي ، في فاتحة كتابه"التسهيل" ، إذ يقول رحمه الله تعالى: "وإذا كـــانت العلوم منحاً إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يُدَّخر لبعض المتأخرين، ما عسُر على كثـــير مـــن المتقدمين،"

فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة

نصيب الهند

من الحديث النبوي الشريف

" وقد عُرف علماء الهند بشغفهم بالعلوم الدينية، وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وشرح متونه ومجاميعه، وسلمت زعامتهم في هذا الموضوع في العهد الأخير...

ولعلماء الهند في هذا العصر مؤلفات جليلة في فنون الحديث وشروح لأمهات كتبه تلقاها العلماء بالقبول ، منها : "عون المعبود في شرح سنن أبي داود"، للشيخ محمد أشرف الديانوي ، و"بذل المجهود في شرح سنن أبي داود" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، و"تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي" للعلامة عبد الرحمن المباركفوري ، و" فتح الملهم في شرح صحيح مسلم" للشيخ شبير أحمد الديوبندي ، - ولم يكمل - و" أوجز المسالك إلى شرح موطأ الإمام مالك" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و" فيض الباري" إفادات للعلامة أنور شاه الكشميري على صحيح البخاري، لاتزال عمدةً ومرجعاً لطلبة هذا الفن الشريف وعلمائه، و"مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح" لشيخ الحديث مولانا عبيد الله المباركفوري ، قد ظهرت منه أربعة أجزاء بعد.

ويُعدُّ كتاب " آثار السنن" للعلامة ظهير احسن النيموي في تأييد المذهب الحنفي، والنقد في الحديث كتاباً عالياً وزيادةً عظيمةً وافية بين مؤلفات الهنود في علم الحديث..."

العلامة النّدْوي

(المسلمون في الهند ص: ٤٠-٤٢)

علماء ديوبند

والعناية بالحديث الشريف وعلومه

العناية بالحديث الشريف وبعلومه ، وبتعبير آخر بالسنة وبعلومها ، هو الجانب المميِّز **لدارالعلوم** عن غيرها من الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية، ولجماعتها عمن سواهم ، ولخدماتها عن غيرها من الخدمات العلمية ، فإن عنايتها بالسنة وعلومها تفوقها بما سواها ، ولايستطيع أن يغفل عنها من تكلم في **دارالعلوم** وخدماتها، ولايكاد ينكرها من يؤلف أو يكتب في تاريخ الإسلام والمسلمين وتاريخ الدعوة الإسلامية والعلوم الإسلامية بالهند ، بل ويتناولها ببالغ اهتمامٍ ، ولائق تنويهٍ بشأنها ، وقد اعترف بذلك علماء الحديث في البلاد الإسلامية .

فلمازار العلامة السيد *رشيد رضا* صاحب مجلة المنار الصادرة من القاهرة **دارالعلوم** وحضر درس العلامة السيد أنور شاه الكشميري شيخ الحديث **بدارالعلوم** - قال : **"ما رأيت مثل هذا الأستاذ الجليل قط".**[1]

---

[1] من كتاب أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند) - للشيخ الداعية أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي ص٢٢-٢٥)وانظر للتعرف على جهود *علماء الهند في خدمة السنة المطهرة وعلومها، والعناية بها والتأليف فيها:* "*الثقافة الإسلامية في الهند*" للعلامة عبد الحي الحسني،ط: مجمع اللغة العربية بدمشق، و"*جهود علماء الحديث في بلاد الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر*" للدكتور محمد ولي الله النَّدْوِي(رسالة دكتوراة) و"*استعراض موجز لمساهمة الهند في علوم الحديث النبوي الشريف*" للدكتور خالد الحامدي (ملخص رسالة الدكتوراة)ط: مكتبة دعوة الإسلام دلهي، ومقال الأستاذ بدر الحسن القاسمي في جريدة الداعي بعنوان:" علماء دارالعلوم وعلم الحديث النبوي"، و"جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" للدكتور عبد الرحمن الفريوائي ط: الجامعة السلفية بنارس.

وقد قال في تقديمه لكتاب "مفتاح كنوز السنة" :

"لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقُضيَ عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل القرن الرابع عشر". (١)

ويقول العلامة زاهد الكوثري في مقاله عن أحاديث الأحكام وأهم الكتب المؤلّفة فيها:

"...ثم توزعت الأقطار النشاط العلمي، وكان حظ إقليم الهند من هذا الميراث - منذ منتصف القرن العاشر - هوالنشاط في علوم الحديث، فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كلياً، بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد والعلوم النظرية، ولواستعرضنا ما لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذاك الحين - مدة ركودسائر الأقاليم - لوقع ذلك موقع الإعجاب الكلي والشكر العميق، وكم لعلمائهم من شروح ممتعة وتعليقات نافعة على الأصول الستة وغيرها، وكم لهم من مؤلفات واسعة في أحاديث الأحكام، وكم لهم من أياد بيضاء في نقد الرجال، وعلل الحديث، وشرح الآثار، وتآليف مؤلفات في شتى الموضوعات،

...ثم ياتي دور إخواننا الهنود - من أهل السنة - فمآثرهم في السنة في القرون الأخيرة فوق كل تقدير، وشروحهم في الأصول الستة تزخر بالتوسع في أحاديث الأحكام، فدونك "فتح الملهم في شرح صحيح مسلم"، و"بذل المجهود في شرح سنن أبي داود"، و"العرف الشذي في سنن الترمذي"، إلى غير ذلك ممالايحصى ....." (٢)

---

(١) مقدمة مفتاح كنوز السنة ص:(ق) ط إدارة ترجمان السنة لاهور

(٢) مجلة الإسلام المصرية ٦/ من شعبان ١٣٥٧هـ (٣٠/سبتمبر ١٩٣٨م)

ويقول فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة في تقديمه لكتاب:" قواعد في علوم الحديث" للعلامة ظفر أحمد التهانوي:

" ...فقد ألّف العلماء كتباً كثيرةً في علوم الحديث الشريف وقواعده، وتفنّنوا فيها غاية التفنن،حتى كاد الواقف عليها يقول: إنهم استوفوا فيها كل شيء، فلم يتركوا زيادة للمستزيد ، أوثغرةً لمستدرك أومتعقِّب، ولكن سرعان ما يتبدد هذا ، عندما نقف بين حين وآخرمن هذا العصر على آثار إخواننا علماء الهند وباكستان في هذا العلم الشريف، فنجد لديهم الجديد والمفيد، والنادر الفريد، ويتبدى لنا صدق كلمة الإمام ابن مالك النحوي، في فاتحة كتابه"التسهيل" ، إذ يقول رحمه الله تعالى: " وإذا كانت العلوم منحاً إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يُدّخر لبعض المتأخرين، ما عسُر على كثير من المتقدمين،" (١)

ويقول العلامة يوسف القرضاوي في تصديره لكتاب: "تكملة فتح الملهم" للعلامة محمد تقي العثماني:

" ...وقد كان لعلماء شبه القارة الهندية- التي تشمل اليوم الهند وباكستان وبنجلاديش- نصيب وافر من خدمة السنة، تحقيقاً وتخريجاً، وتعليقاً وشرحاً ونشراً. ولازال العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه ينتفع بالمصادر والكتب الحديثية التي نُشرت أول ما نُشرت على يد علماء الهند في حيدرآباد وغيرها، وقد صورت بعد ذلك في بلاد شتى طبق الأصل الهندي." (٢)

---

(١) قواعد في علوم الحديث مقدمة التحقيق ص:١

(٢) القرضاوي تصدير تكملة فتح الملهم الجزء الأول، ص :(ج)

ويقول الأستاذ عبد العزيز الخولي:

" لا يوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها من ولي الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند." (١)

وقد خصّ الأستاذ عبد الرحمان الفريوائي في كتابه "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" باباً لبيان خدمات دارالعلوم وجماعتها للسنة وعلومها ، ومع أنــــه وضـــع عنوان الباب "مدرسة الأحناف ودورها في خدمة السنة" لكنه أراد بذلـــك علماء ديوبند سواءً كانوا من دارالعلوم ديوبند أو من مظاهر علوم بسهارنفور، وفي خاتمـة الباب ذكر العلامة عبد الحي اللكنوي وتلامذته . (٢)

إنّ دارالعلوم منذ بدايتها تعير اهتماماً بالغاً بالحديث، وقد امتـــازت في دراســة الحديث من بين الجامعات الدينية لا في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي كله ، إنها تعتني بدراسة الحديث اعتناءً كبيراً ؛ لما له من أهمية في التشريع الإســلامي، ولكونــه أصلاً من أصول الأحكام الشرعية ، ولأنّه لا يمكن الاطلاع علـــى أســرار القــرآن، ولا تنكشف دقائقه من غير أن تتوفر في الإنسان دقة نظر بالغةٌ واطلاعٌ واسع علــــى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وتوجيهاته ، ولأنه يأتي مفسّراً للقرآن ، يشـــرح إجماله ويبين خفاياه ، فهو الأصل الثاني الشافي من أصول الإسلام الأربعة.

---

(١) جريدة الداعي عدد خاص بالاحتفال المئوي لدارالعلوم ديوبند، ص: ٢٢

(٢) وأقول مع الأسف : إن الأخ الفاضل لم ينصف من هذه الجماعة حق الإنصاف حينمـــا ذكــر واصرّ بأنّ جامعة ديوبند إنّما أسّسوها لتأييد الحنفية وإشاعة التصوف فقط ، وهذا ما يمتاز بــــه خدماتهم وما قاموا به من شرح كتب الحديث وتأليفها . وذلك بناءً على بعض ما وقف عليـه من أقوال علماء هذه الجامعة وهذه الجماعة فأقول للأخ : حفظت شيئا وغابت عنك أشياء .

وأخيراً فإنّه - أي الحديث الشريف- أكثر عرضة لتلاعب الجهلة الناقمين من الإسلام ، الثائرين عليه، المتربصين به الكائدين له ، فلا بدّ أن يكون الاهتمام بالحديث زائداً والعناية به كبيرة ، فعنيت **دارالعلوم** بالحديث الشريف وعلومه اعتناءً يليق بشأنه.

ومما يجب أن يذكر أنّ **دارالعلوم** كانت سعيدة منذ أول يومها بأن كان على مشيخة الحديث فيها رجالٌ من أبرز الشخصيات الإسلامية والعلمية، فكل من شغل هذا المنصب كان إماماً في الحديث، ونابغة من نوابغه، ممتازاً بين العلماء المعاصرين، لا في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي كله .

وهناك أمر خاص دعاهم وحملهم إلى شدة عنايتهم بالسنة وعلومها، وهو إثارة شكوك وشبهات من الملحدين والمثقفين بالثقافة العصرية حول السنة ، ثبوتها والاحتجاج بها ، ومن غلاة جماعة أهل الحديث ، المنابذين لتقليد الأئمة الأربعة ، حول كثيرٍ من المسائل الفقهية والفرعية سيما من مذهب الإمام أبي حنيفة ، ومعلوم أنّ الغالبية الساحقة لمسلمي الهند من أتباع هذا الإمام الجليل وفقهه ومذهبه، وكثرت الفوضى والغوغاء بكل ذلك في أوائل أيام قيام هذه الجامعة إلى سنين طويلة، فاقتضى خصوص أحوال هذه البلاد وظروفها أن يتوجهوا إلى ذلك بكل إمكانياتهم ، وأقصى وسائلهم العلمية والمادية.

والكلام في خدمة علماء ديوبند للسنة المطهّرة وعلومها من نواح عديدة وكلها مهمة، نجملها في الآتي:

١- *المقررات الدراسية.*

٢- *دراسة الحديث وطريقة التدريس.*

٣- *مزايا دراسة الحديث في* دارالعلوم .

٤- *التأليف في الحديث وعلومه.*

١ – المقررات الدراسية :

المقرَّر الدراسي في السنة وعلومها – عندهم أوسع المقررات الرائجة في الجامعات الإسلامية في شبه القارة التي لا تتبع منهج **دارالعلوم ديوبند** ومقرّراتها الدراسية .

فمنها **الصحاح الستة** ، و**الموطأ** بكلتا الروايتين (رواية يحيى بن يحيى المصمودي ورواية محمد بن الحسن الشيباني) و**شرح معاني الآثار** للإمام الطحاوي ، و**كتاب الشمائل** للإمام أبي عيسى الترمذي، و**مشكاة المصابيح** للخطيب التبريزي ، و"**ألفية الحديث**" للشيخ محمد منظور النعماني ، و"**مشكاة الآثار**" للشيخ محمد ميان الدهلوي، و"**زاد الطالبين**" للشيخ محمد عاشق إلهي البرني المدني– *والثلاثة الأخيرة من مؤلفات علماء دارالعلوم* – وغيرها أيضاً .

هذه الكتب من متون الحديث ، وأما من علومها فـ"**المقدمة**" لابن الصلاح ، و"**نزهة النظر شرح نخبة الفكر**" للحافظ ابن حجر ، و"**المقدمة**" للشيخ عبد الحق الدهلوي .

ولهم اهتمام بالغ بأن لايفوت حديث من أمهات الصحاح الستة ، ولا يرضون باختيار أبواب معيَّنة منها فقط ، فالتلاميذ يقرؤون على الشيوخ وهم يسمعون – وقد يقرأ الشيخ والطلاب يسمعون – جميع الكتب الستة من أولها إلى آخرها.

ولا يعطون شهادة الفراغ للطلاب والمتخرّجين إلاّ بنهاية دراسة الصحاح الستة مع كتب أخرى من الحديث ، ***علماً بأنّ سنة التخرج من الدراسة العالية في دارالعلوم – والمدارس التابعة لمنهجها –خاصة بدراسة الصحاح الست رواية ودراية.***

٢- دراسة الحديث وطريقة التدريس:

إنَّ دراسة الحديث وعلومه في دارالعلوم - أصبحت الميزة الأولى الرئيسية - من بين مزاياها الكثيرة - يقول الشيخ أبوالحسن علي النَّدْوِي :

"*وقدظهرت* **لدارالعلوم** *ميزة خاصة وهي العناية بتدريس الحديث الشريف بتعمق واهتمام. لذلك* لما زار العلامة **السيد رشيد رضا** (١) صاحب مجلـــة المنـــار الغـــراء، الصادرة من القاهرة (وهوتلميذ *العلامة* الشيخ محمد عبده المصري) **دارالعلوم ديوبند** وحضر دروس العلامة السيد **أنور شاه الكشميري شيخ الحديث** بدارالعلوم قال :

"ما رأيت مثل هذا الأستاذ الجليل قط" .

ولما زار **دارالعلوم** واطَّلع على حلقات تدريسها قال:

"لولا رأيتُها لرجعتُ من الهند حزيناً". (٢)

وقال الشيخ النَّدْوِي أيضاً وهويتكلم عن منهج **دارالعلوم** التعليمي :

"وهذا مع عناية زائدة في **دارالعلوم ديوبند** بتدريس الحديث الشريف مـــع أدبٍ وإحترامٍ، ودراسة مقارنة، ومحاكمة استدلالية ، وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه. (٣)

---

(١) وقد زارالهند، على دعوة من المشرفين على منظمة ندوة العلماء، لحضور حفلتها السنوية الثالثة عشـــرة سنة ١٢٣٠هـ / ١٩١٢م.

(٢) من كتاب أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزهـــا التعليميـــة والتربوية في الهند) - للشيخ الداعية أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي ص٢٢-٢٥)

(٣) أضواء على الحركات الديينية، ص: ٢٤ و٢٥

وبيان ذلك - باختصار - هوأن الدروس تُلقـى في غايـة التدقيـق والتحقيق مع الاهتمام الزائد ببيان أسماء الرجال، وتحديد درجـة الـرواة، والبحث عن متون الأحاديث وأسانيدها، وبيان المذاهب الأربعة المُتّبَعة مـع أدلتها في غاية التحقيق والتفصيل من غير تعسُّف وتعصُّب، ترى في حلقـة الحديث طلاباً تختلف مذاهبهم وآراؤهم إلاّ أنه لا يجرح شعورهم في بيـان الأدلة وعرض المذاهب والمناقشة فيها.

ومما يذكر لصاحب التكملة هنا بالثناء والتقدير:

حرصه على نقل المذاهب والأقوال بأمانة، وعرضها بأدلتها بإنصاف، وترجيحه مايوجبه الدليل منها وإن كان غير المذهب الحنفي الـذي هـو مذهبه ومذهب أسرته وأهل بلده، والذي نشأ عليه وتعمق في الاطـلاع عليه أصولاً وفروعاً...

القرضاوي

تكملة فتح الملهم الجزء الأول ص: هـ

"...وإذا كانت العناية في هذا الشرح النفيس بالمذهب الحنفي تبيانـاً وتأصيلاً واستنباطاً، لأنه مذهب أهل الهند والباكستان والأتراك، فإنه لاأثر فيه لتعصب مقيت، ولاتعسف في التأويل، ولاتكلف في المناصرة والتأييد".

د/ وهبة الزحيلي

تكملة فتح الملهم- الجزء الرابع،

مزايا دراسة الحديث في دار العلوم:

ومن أجلّ الخصائص التي عرفت بها دار العلوم في دراسة الحديث ما يلي:

١- إلقاء الضوء أولاً على غرض الشارع من النصوص التي يعتصم بعراها أهل كل مذهب من المذاهب الأربعة ، وإن كان هناك فيه شيء من الغموض فيشرحونه شرحا يرتاح له القلب.

٢- إنهم لا يُنيطون شرح الأحاديث المشكلة و المتعارضة بلفظ واحد أو طريق واحد بل يتفقدون جميع الألفاظ المروية - عن طرق مختلفة للحديث - ويتوخّون فيها لفظ الشارع .

٣- إنهم يعتنون أشد اعتناء في إفصاح منشأ ما وقع بين الأمة من الاختلاف البّين في الأعمال التي جرى التعامل بها -مأثوراً- في الأمة كرفع اليدين ، وتعيين مواضعه، والوتر و تعيين ركعاته، وصلاة الجمعة وشروط أدائها ، وما شاكلها من المسائل الأخرى التي تباينت فيها الأقوال فهم يعتنون -في الدرس- كثيراً بهذه الناحية ويقربون هذا الاختلاف إلى أذهان الطلبة، حتى يعرفوا أنه لم يكن بد من هذا الاختلاف، وأنّ أصحاب المذاهب معذورون فيه، وهذا أمر مهم جدّاً، وأنّ الإهمال لهذا الجانب يفضي إلى سوء الظن بالتعامل والنقل ، وإنه أقوى حجة في الباب.

٤-إنّهم لا يتعصّبون لأقوال الأحناف بل يحرصون دائما علـــى الأخـذ بالكتاب والسنة، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة، وإن كان يخالف ذلك آراء الأحناف، عملاً بما روي عن الإمام الأعظم من أنه ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مذهبي .

٥- إنّهم يوجهون الطلاب إلى ما في الأحاديث من نواحي خُلقية ؛ لتكون حياتهم طاهرة نقية متحلية بالأسوة النبوية .

٦- وذلك مع كمال التأدب مع الأئمة الأعلام والاحترام لآرائهم فـــلا يصدر من أحد - من قول أو فعل - ما يمس كرامة الائمـــة وعلمــاء الأمة السابقين، بل جميع الطلبة والأساتذة يخضعون لمكانتهم العلميـــة الكبيرة السامية، ويشكرون لجهودهم الجميلة المشكورة ، وأعمالهم الرائعة في نشر الدين وحفظه، ويعترفون بجميلهم الـــذي أسـدوه إلى الأمة الإسلامية وأبقوا به الدين في صورته الأصلية النقلية .

٧-وإنهم يفضّلون الجمع بين ما تعارض من الروايات قدرَ مـــا أمكـــن، وإذا رجّحوا مذهباً ومالوا إلى العمل بحديث لم يهجروا مـــا عارضـــه أيضاً ولا التجأوا إلى تضعيفه، بل جعلوا له محملا يرتاح لــــه القلـــب وتطمئن به النفس.

" وقد كان الشيخ الإمام المحدث عبد الغني المجددي والشيخ محمد إسحاق سبط الإمام عبد العزيز الدهلوي مداراً للحديث في منتصف القرن الرابع عشر في بلاد الهند، وقد نفع الله بهما كثيراً، وازدادت علوم السنة ازدهاراً بفضل جهودهما، ولما هاجر أحدهما إلى مكة وثانيهما إلى المدينة المنورة، فشغل مكانهما العلماء النوابغ من تلامذتهما، وفي طليعة من تلمّذ على الشيخ عبد الغني المجددي الإمام المحدّث أحمد علي السهارنفوري (م ١٢٩٧هـ) والإمام الكبير الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس جامعة ديوبند (م ١٢٩٧هـ) والعلامة المحدث رشيد أحمد الكنكوهي(م ١٣٢٣هـ) ولكل واحد منهم دورٌ رائع في نشر علوم الكتاب والسنة، وعرض المجتهدات الفقهية على مصادر التشريع الأصلية.

" **فقام الشيخ أحمد علي (م١٢٩٧هـ) بنشر صحيح البخاري لأول مرة في بلاد الهند بعد التصحيح والتعليق عليه، والتحشية والتصحيح والطبع لكل من سنن الإمام الترمذي ومشكوة المصابيح ، ولاتزال تلك النسخ متداولةً بين العلماء إلى هذا اليوم.**

أما الإمام الكبير **محمد قاسم النانوتوي** رحمه الله فقد ساعد أستاذه **الشيخ أحمد علي** في التعليق على صحيح البخاري ، حيث وكّل إليه الشيخ التعليقَ على الأجزاء الخمسة الأخيرة، كما قام بإنشاء أكبر مصادر إشعاع دينيٌ ومركز لنشر علوم الكتاب والسنة، **وهي جامعة ديوبند الإسلامية الشهيرة.**" [1]

---

(١) الأستاذ بدر الحسن القاسمي :جريدة الداعي الصادرة في دارالعلوم ديوبند العدد الخاص ص: ٢٢

٣- نشر الحديث وعلومه :

شرحاً وتحشية ، تحقيقاً وتعليقاً ، وتأليفاً وتصنيفاً

وهكذا فقد كان **لعلماء ديوبند** خدمات مشكورة في نشر الحديث بطبع كتب الحديث وعلومه، وبالتأليف فيه ، فقد اعتنوا بذلك- أيضاً - عناية كبيرةً ، فألفوا وكتبوا في مجالات متنوعة من السنة وعلومها، كما أنهم اهتموا بنشر التراث القديم القيم وإخراجه من خزائن المكتبات ودفائن البيوت - و الجدير بالذكر أن نصفها بل أكثرها بالعربية - ونشير فيما يلي إلى أهم أعمالهم العلمية في هذا المجال:

أ - الشروح :

قد شرح جماعة منهم الصحاح الستة وغيرها من الكتب المتداولة أو من المقررات الدراسية عندهم ، وألفوا في بعض ما يتعلق بها من النواحي العلمية، أوالأبحاث الجزئية، وكل ذلك بكلتا اللغتين العربية والأردية، بل في غيرهما أيضاً من اللغات المحلية لولايات وبلدان مختلفة، وبيانها - بالاختصار كالآتي:

١ - *صحيح البخاري* : شرحه بالعربية الشيخ عبد الرؤوف الهزاروي بعنوان: "**فضل الباري في فقه البخاري**" ، وبالأردية توجد شروح ، منها: "**تحفة القاري بحل مشكلات البخاري**" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ، و"**فرحة القاري عن صحيح البخاري**" للشيخ شير زمان الهزاروي ، و"**الكوثر الجاري في شرح البخاري**" للشيخ عبد الرحمن المرداني، و"**تلخيص البخاري**" للشيخ شمس الضحى الرنكوني ، وللشيخ أحمد رضا البجنوري "**أنوار الباري**"، وشرحه الشيخ عبدالجبار الأعظمي بعنوان: "**إمداد الباري**" ولشيخنا صديق أحمد الباندوي شرحه بالأردية بعنوان: "**إسعاد الباري**"، ولبعضهم "**تفهيم البخاري**" .

وأما المتعلقات فللشيخ عبد العزيز "**نبراس الساري في أطراف البخاري**"، و"**إزالة القساس عن وجه قال بعض الناس**" للشيخ مجيب الرحمان من بنغله ديش، و"**ما ينفع الناس في شرح قال بعض الناس**" للشيخ محمد طاهر الرحيمي ، كلاهما في شرح وتوضيح ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه بقوله : "**قال بعض الناس**"، وهما بالأردية . و"**إنعام الباري في شرح أشعار البخاري**" للشيخ محمد عاشق إلهي الميرتهي المدني . وهوأيضاً بالأردية ، و"**كتاب المعجم لرجال البخاري**" للشيخ محمد أسير الأدروي وهوبالعربية .

ولهم عدة مؤلفات تخص شرح تراجم صحيح البخاري وتوضيحها، منها: "**الأبواب والتراجم**" لكل من: الشيخ محمود الحسن الشهير بشيخ الهند، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ ماجد علي المانوي، والشيخ فخر الدين المرادآبادي، والشيخ سيد بادشاه كل، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المدني المعروف بـ "**شيخ الحديث**" - وهذا الأخير هوأوسع هذه الكتب فإنه في ست مجلدات وهوبالعربية - وللشيخ **تقي الدين النَّدْوِي** أيضاً مؤلَّف في ذلك .

٢- صحيح الإمام مسلم : شرحه العلامة شبير أحمد العثماني بعنوان: "**فتح الملهم**" لكنه وافته المنية قبل إتمامه، وأخيراً قام الشيخ محمد تقي العثماني أحد العلماء البارزين بباكستان فأتمّه بحمد الله ومنّه، وهوالآن في تسع مجلدات ضخمة، ثلاث مجلدات منها بقلم الشيخ شبير أحمد العثماني، والبقية أي التكملة بيد الشيخ محمد تقي العثماني.

وقد شرح عددٌ منهم **مقدمة صحيح مسلم** خاصةً ، لغاية أهميتها وعظم إفادتها، أهمُّها للشيخ علي أحمد الأعظمي ، وهوبالعربية في مجلد ضخم - ومع الأسف أن شرح الشيخ الأعظمي لم يحل بالطبع إلى الآن - وما سواه فهو بالأردية .

٣- الجامع للإمام الترمذي : شرحه الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي بعنوان: "**الطيب الشذي**"، والشيخ إبراهيم البلياوي بعنوان: "**هدية الأحوذي**"، والشيخ شمس الحق الأفغاني بعنوان: "**تنقيح الشذي**"، والشيخ أشرف علي التهانوي شرحاً وجيزاً مختصراً وقد طبع مع أماليه على الترمذي بعنوان: "**الثوب الحلي**"، وقد شرحه الشيخ السيد بادشاه كل والشيخ محمد موسى الروحاني أيضاً.

وشرح الشيخ فضل الله الرحماني "**علل الترمذي**" والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي "**شمائله**". وكل ذلك بالعربية، إلاّ أن الشيخ زكريا له شرحٌ لشمائل الترمذي بالأردية أيضاً، وهومطبوع وشرحه العربي طبع بذيله .

وللشيخ الدكتور حبيب الله مختار كتاب "**كشف النقاب عمّا يقوله الترمذي وفي الباب**" لتخريج ما أشار اليه الإمام الترمذي من الروايات بقوله : "**وفي الباب عن فلان وفلان**"، طبع منه عدة مجلدات ضخمة، وهذا عمل عظيم قام به وحده رحمه الله.

٤- السنن للإمام أبي داود : شرحه الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بعنوان: "**بذل المجهود**" وهو معروف متداول في عشرين مجلدا متوسط الحجم، وشرحه الشيخ شير زمان الهزاروي بعنوان: "**انتباه الرقود في حل سنن أبي داود**"، إلاّ أنه لم يكتمل.

وللشيخ محمد طاهر الرحيمي "**زبدة المقصود في حل قال أبوداود**" وهوبالأردية، ولغيره أيضاً مؤلفات في شرح قول الإمام أبي داود في كتابه: "**قال أبوداود**".

٥- موطأ الإمام مالك (برواية يحيى بن يحيى) : شرحه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بعنوان: "**أوجز المسالك**" وهومعروف، طبع في عشرين مجلداً كبيراً. وللشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي : كتاب "**كشف المُغَطّا في رجال الموطأ**" في ذكر رواة الكتاب.

٦- *شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي:*

شرحه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي بعنوان: "**أماني الأحبار**" لكنه وافته المنية ولم يفرغ من شرح ربع الكتاب، وما تمكن من إنجازه - قبل الوفاة رحمه الله - مطبوع متداول في أربع مجلدات ضخمة. وشرحه الشيخ محمد عاشق البرني المدني بعنوان: "**مجاني الأثمار**"

وللشيخ محمد أيوب المظاهري "**تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار**" وهو في أربع مجلدات ضخمة. وفي رجاله كتاب للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي أيضاً بعنوان: "**الحاوي في رجال الطحاوي**" وللشيخ محمد عاشق المذكور "**تبهيج الراوي بتخريج أحاديث الطحاوي**" وللشيخ حسين علي البنجابي "**تلخيص الطحاوي**".

وللشيخ سرفراز خان صفدر كتاب "**الكلام الحاوي في عبارة الطحاوي**" وللشيخ شبير أحمد الميرتهي "**إيضاح الطحاوي**" كلاهما في شرح الكتاب وهما بالأردية، وطبع بالأردية - من الشروح المختصرة - غيرهما، أهمها "**مصباح الطحاوي**" للشيخ أسعد الله الرامفوري.

وقد ألف الشيخ محمد أيوب - صاحب "تراجم الأحبار" المذكور - كتاباً في مجلدين بعنوان: "**تصحيح الأغلاط الكتابية الواقعة في النسخ الطحاوية**"، وهو مطبوع.

٧- *مشكاة المصابيح:* هذا الكتاب من أعم الكتب المتداولة والكتب الدراسية بهذه البلاد، ولعدد من **علماء ديوبند** تعليقات عليه وشروح بالعربية والأردية، فبالعربية: "**التعليق الصبيح**" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، وهو في خمس مجلدات ضخمة.

" وكتاب "**مظاهر حق**" للنواب **قطب الدين الدهلوي** في شرح مشكاة المصابيح، كان يحتاج إلى تنقيح وتهذيب وشرح وإيضاح فقام الأخ الفاضل الأستاذ **عبد الله جاويد** بهذا العمل بجد ونشاط، وأخرجه في سبعين جزءاً، ونال الكتاب إقبالاً عظيماً من طلبة العلم.

وبالأردية عدة شروح أهمها "**تنظيم الأشتات لحل عويصات المشكاة**" للشيخ أبي الحسن من بنغله ديش ، ومنها "**مرآة الأماليح شرح مشكوة المصابيح**" للشيخ محمد الجاتغامي.

٨- ***مؤلفات متنوعة:*** ولهم غير ذلك من الشروح لكتب الحديث، منها: شرح كتاب الآثار للإمام محمد بن حسن الشيباني المسمى بـ "**قلائد الأزهار**" للشيخ المفتي مهدي حسن، طبع منه ثلاث مجلدات ضخمة لم يبلغ فيها الشارح إلاّ إلى ثلث الكتاب ، وهوبالعربية .

ومنها : كتاب "**فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد**" للعلامة المحدث فضل الله الجيلاني، وله كتاب في شرح علل الترمذي لأستاذه العلامة المفتي عبد اللطيف. والشرح غير مطبوع.

ومنها "**تعطير الأنام شرح بلوغ المرام - للحافظ ابن حجر**" للشيخ محمد حيات السنبهلي، و"**الفوائد السنية في شرح الأربعين النووية**" للشيخ عاشق إلهي البرني ، و"**تحفة القدوس في شرح بهجة النفوس - لابن أبي جمرة**" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، و"**شرح شعب الإيمان**" للشيخ عبد الله قطب شاه المرداني، وهذه كلها بالأردية.

ب - الأمالي والشروح الدراسية :

وقد طبعت لهم أماليهم والمحاضرات الدراسية المتعلقة بكتب الحديث، فإنهم يهتمون في دروسهم بشرح الحديث بما سبق تفصيله، والتلاميذ يقيّدون ما يسمعون من شيوخهم وأساتذتهم، هكذا الحال منذ بداية **دارالعلوم** وبداية دراسة الحديث فيها، ولا تزال كذلك. فلذا وجدت ثروة كبيرة ، قيمة ومفيدة ، من أماليهم ودروسهم لدى المتخرجين في **دارالعلوم** ، ثم اهتم كثير منهم بطبع ما كان لديهم من هذا التراث العلمي القيم ونشره حتى تكوّنت منها مكتبة مفيدة ذات قيمة علمية كبيرة.

وهذه الأمالي تقوم مقام الشروح للكتب المتعلقة ، وتفيد الطلاب والباحثين، والعلماء والمدرّسين معاً ؛ لما تشتمل عليه من علوم ومعارف توصّلوا إليها من خلال خبرتهم الطويلة في تدريس الحديث الشريف والاشتغال به مع ما يوجد فيها من بعض الخلل أوالخلط أحياناً ، وذلك من أجل أن تقييدها تمّ بيد الطلاب والتلاميذ الذين كانوا وقت التقييد في مرحلة الجمع والتعلم ، و لم يبلغوا -في الغالب - مقام الأساتذة والعلماء المتقنين، إلاّ إذا قام بعمل التحقيق والطبع رجل له معرفة تامة بهذا العلم الشريف وقدم راسخة في علوم الشريعة وعلوم السنة ، أوقدّم بعض ذلك للطبع بعد المقابلة والعرض على صاحب الأمالي وإعادة نظره فيها.

وبالجملة إنّ جمع هذه الأمالي والمحاضرات ثم الاهتمام بطبعها عمل جليل ، مفيد ممتع ، مقبول مشكور-إن شاء الله - قلما يوجد له نظير في الحاضر وفي الغابر.

وهذه الأمالي على الصحاح الستة ، - وهي بالعربية وبعضها بالأردية أيضاً - وأهمها: أمالي الشيخ رشيد **أحمد الكنكوهي**، وبعض أمالي الشيخ أنور شاه **الكشميري** لأنّ الذين قاموا بالجمع والترتيب ثم بالنظرفيها ونشرها كانوا من رجال هذا الفن الشريف وأئمته، وجميع أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي لم يطبع إلاّ بعد

التحقيق والتعليق من الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أوبعض أفاضل أصحابه وتلاميذه، ونورد هنا عناوين بعض هذه الأمالي.

١- *صحيح البخاري* : عليه "**عدد من الأمالي للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي**" جمعها الشيخ ماجد علي المانوي والشيخ حسين علي البنجابي والشيخ محمد يحيى الكاندهلوي ، وأشهرها بهذه البلاد وأعظمها إفادة ، أماليه التي جمعها الشيخ محمد يحيى (والد الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي)، ثم اهتم بطبعه - بعد النظر والتحقيق والتعليق - الشيخ محمد زكريا بعنوان: "**لامع الدراري**"، وهي في ثلاث مجلدات ضخمة بطبع الحجر - وعشر مجلدات بطبع الحروف الحديدية . وهذه الأمالي بالعربية وما سواها فبالأردية.

و"**أمالي الشيخ محمود حسن الديوبندي**" طبع بالحروف الحديدية بعنوان: "**النور الساري**" في مجلد متوسط .

و"**أمالي الشيخ محمد أنور شاه الكشميري**" جمعها تلميذه البارع المحدث النابغ الشيخ بدر عالم الميرتهي المدني، وهي معروفة متداولة طار صيتها وعم نفعها في الآفاق، وهي في أربع مجلدات ضخمة - بطبع الحروف الحديدية - بعنوان: "**فيض الباري**" وقد زينه الجامع بتعليقاته النافعة، وقد جمع أماليه على صحيح البخاري عددٌ من الأفاضل منهم الشيخ مناظر أحسن الكيلاني والشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي لكنها لم تطبع .

وبالأردية طبعت عدد من الأمالي، منها:

"**أمالي الشيخ شبير أحمد العثماني**" طبعت بعنوان: "**درس بخاري**" وبعنوان: "**فضل الباري**" و"**أمالي الشيخ فخر الدين المرادآبادي**" طبعت بعنوان:

"إيضاح البخاري" ، و"أمالي الشيخ حسين أحمد المدني" و"أمالي الشيخ محمد زكريا" كل منهما طبع بعنوان: " تقرير البخاري" وغير ذلك أيضاً .

٢- *صحيح مسلم :* عليه - أيضاً - عدد من الأمالي، منها: "أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" طبعت بعنوان: "الحل المفهم" في مجلدين بتحقيق الشيخ محمد عاقل السهارنفوري ، ومنها : "أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري" جمعها الشيخ الدكتور عبدالعلي الحسني (أخوالشيخ أبي الحسن علي الحسني النّدْوِي الأكبر) والشيخ علي أحمد الأعظمي لكنها لم تطبع .

٣- *الجامع للإمام الترمذي :* عليه عدة أمالي لهم وطبعت بالعربية والأردية. منها: "أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" طبعت بعنوان: "الكوكب الدري" في أربع مجلدات بتحقيق الشيخ محمد زكريا وتعليقه، و"أمالي الشيخ محمود الحسن الديوبندي" طبعت بعنوان : "تقرير الترمذي"، ولا تزال تطبع مع النسخ المتداولة بهذه البلاد، و"أمالي الشيخ محمد أنور شاه الكشميري" بعنوان: "العرف الشذي" وبعنوان: "معارف السنن" وهي إلى كتاب الحج فقط ، طبعت في ست مجلدات ضخمة بالحروف الحديدية، وهي معروفة متداولة ، جمعها ورتبها مع زيادات - من كلام الشيخ الكشميري ثم من تعليقات من عنده - أحد تلاميذه النبغاء وهوالشيخ محمد يوسف البنوري.

أهم هذه الأمالي وأعظمها فائدةً ، وأكثرها تداولاً ، "الكوكب الدري" و"معارف السنن" .

وبالأردية طبعت "أمالي الشيخ محمود الحسن الديوبندي" بعنوان: "الورد الشذي" و"أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" بعنوان: "النفع الشذي"، وأمالي الشيخ عبد الرحمن الكاملبوري، وقد طبعت "أمالي الشيخ حسين أحمد المدني"

بعدة أسماء ، أهمها وأكثرها تداولاً : "**معارف مدنية**" رتبها مع زيادات الشيخ طاهر حسن الأمروهوي. وأخيراً طبع "**أمالي الشيخ محمد تقي العثماني**" بعنوان: "**درس ترمذي**" وقد نال القبول العام بين الطلبة والعلماء ما لم يفز به غيرها من الأمالي. وعليه أمالي للشيخ أشرف علي التهانوي أيضاً طبع بعنوان: "**المسك الذكي**".

٤- ***السنن للإمام أبي داود:*** لم تطبع من أماليهم عليه إلاّ ما جمعه ورتّبه الشيخ أبوالعتيق محمد صديق النجيب آبادي - طبع بعنوان: "**أنوار المحمود**" وهو بالعربية وفي مجلدين، ولم يكتف الجامع فيه بأمالي أحد منهم بل استفاد فيه بأمالي ثلاثةٍ من أساتذته ومشايخه ، الشيخ محمود الحسن الديوبندي والشيخ أنور شاه الكشميري والشيخ شبير أحمد العثماني، كما استفاد فيه بـ "**بذل المجهود**" شرح الشيخ خليل أحمد السهارنفوري. ولذا فلم يأت الكتاب على منوال غيره من الأمالي بل جاء على غرار الشروح المؤلفة مثل "بذل المجهود" ونحوه .

وأخيراً طبعت "أمالي الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي**" مع تحقيق الشيخ محمد عاقل وتعليقه - بعنوان: "**الدر المنضود**" .

٥- ***السنن للإمام النسائي:*** وعليه "**أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي**" طبعت بعنوان: "**الفيض السمائي**" بتحقيق الشيخ محمد عاقل وتعليقه.

٦- وتوجد لهم الأمالي على غير هذه الكتب أيضاً، سيما "**أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي**" على سنن ابن ماجة ، لكنها لم تطبع إلى الآن .

وقد طبعت بعض الأمالي على سنن ابن ماجة وعلى شرح معاني الآثار وغيرهما بالأردية .

ج - التحقيق والتعليق :

وَقد قام جماعة منهم بعمل التحقيق والتعليق على كثيرٍ من الكتب الحديثية - المطبوعة المتداولة منها أو المخطوطة المحفوظة في خزائن الكتب - وقد تمّ هذا العمل على نوعين: **أحدهما:** التحقيق يتبعه التعليق ، **والثاني:** التعليق يتبعه التحقيق .

ففي **الأول** الاهتمام بتحقيق النص أصلاً والتعليق يأتي جزئياً وموجزاً في أغلب المواضع، وفي **الثاني** يكون الأمر على العكس فالتحقيق يكون جزئياً، لبعض المواضع، والتعليق يطول لأنه يُقْصد به توضيح الكتاب وشرحه مع الإيجاز ، وهذه التعليقات تُعرف بالحواشي ، وربما يبلغ طولها الشروح المتوسطة بل أطول من ذلك فيصير الكتاب مع تعليقاته شرحاً كاملاً نافعاً، بحيث إنه ربما يُغْني عن مراجعة غيره من الكتب والشروح الطويلة المعروفة ، ومثل هذه التعليقات تتحلى به معظم الكتب الدراسية - المطبوعة في شبه القارة الهندية - في العلوم المختلفة، وإنّما اعتنوا بذلك أشد اعتناء لأنّ الاستفادة من الشروح لا تتهيأ لكل أحد - لأسباب مختلفة - وأيضاً مراجعة الشروح تأخذ نصيبا وافراً من الوقت ، فهذه التعليقات - لاشتمالها على فوائد علمية متنوعة منتشرة في عدد من الشروح - تُغني المرء عن ذلك فيصرف ذلك الوقت إلى أمرٍ أهمّ من ذلك.

أما عمل التحقيق فنصيبه الوافرُ صرفوه لإخراج كتب التراث التي كانت مخطوطةً و لم تتداولها أيد طلبة العلم والباحثين عامة .

فمن إنجازهم من هذا النوع كان طبع كتاب **"جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد"** لمحمد بن محمد بن سليمان المغربي، وذلك بجهد الشيخ عاشق إلهي الميرتهي أحد التلامذة البارعين للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي . وطُبع كتاب

"**تاريخ الأسماء والثقات لابن شاهين**" بتحقيق القاضي محمد أطهر المباركفوري، وكتاب "**الزهد الكبير**" للإمام البيهقي بتحقيق الدكتور تقي الدين النّدْوي.

وأجلى اسم في ذلك، ومن سبقت له السوابق، رجلان وكلاهما "أعظميان" أي من كورة واحدة من ولاية أترابرديش بالهند، أولهما وهو أفضلهما وأكثرهما عملاً أيضاً - **الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي**- رحمه الله - فإنّ اسمه وعمله في ذلك مشتهر ومنتشر، فيعرفه كل باحث وطالب ومشتغل بعلوم الحديث وكتبها، فقد ظهر بتحقيقه وتعليقه: "**المسند للإمام الحميدي**" و"**السنن لسعيد بن منصور**" و"**كتاب الزهد والرقاق لابن المبارك**"، و"**المصنف لعبد الرزاق**"، و"**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**"، و"**مختصر الترغيب والترهيب**" كلاهما للحافظ ابن حجر، و"**كشف الأستار عن زوائد البزار**" للحافظ الهيثمي، وفي آخر أيام حياته كان منشغلاً في العمل على كتاب "**مصنّف ابن أبي شيبة**".

وثانيهما **الدكتور مصطفى الأعظمي** الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض، طُبع بتحقيقه وتعليقه "**صحيح ابن خزيمة**" - وظهر بالكمبيوتر "**كتاب السنن لابن ماجة**" وهو الآن مشتغل بمشروعه العلمي الكبير عن إدخال أهم المصادر الحديثية في الحاسوب (الكومبيوتر).

ومما ظهر من كتب التراث مع التحقيق والتعليق من علماء هذه الطائفة كتاب "**نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية**" للإمام الزيلعي، و"**بغية الألمعي**" لابن قطلوبغا الحنفي، حققه وعلق عليه الشيخ عبد العزيز البنجابي، والشيخ محمد يوسف الكاملفوري، والشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ أحمد رضا البجنوري.

وأما التعليقات بصورة الحواشي والشروح فكثيرة، ومنها :

١- **الحواشي على صحيح البخاري** : للشيخ أحمد علي السهارنفوري، والشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ محمد طاهر المرداني (البنج بيري) .

٢- **الحواشي على جامع الترمذي**: للشيخ أحمد علي السهارنفوري ، والشيخ ماجد علي المانوي .

٣- **الحواشي على سنن أبي داود** : للشيخ فخر الحسن الكنكوهي ، والشيخ محمد حيات السنبهلي، والشيخ ماجد علي المانوي، والشيخ محمد يوسف البنوري.

٤- **الحواشي على سنن النسائي**: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

٥- **الحواشي على سنن ابن ماجة** : للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمد أنور الكشميري .

٦- **الحاشية على موطأ الإمام مالك** : للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

٧- **الحاشية على شرح معاني الآثار**: للشيخ محمد أيوب السهارنفوري .

٨- **الحاشية على مشكاة المصابيح** : للشيخ أحمد علي السهارنفوري .

والنسخ المتداولة لكل من صحيح البخاري وجامع الترمذي ومشكاة المصابيح كلها محلاّة بحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري ، أما غير هذه الكتب فحواشيها مختلفة .

٩- **ولهم تعليقات نافعة وحواشٍ مفيدة على غير هذه الكتب** مثل: تعليقات الشيخ أنور الكشميري على كتاب **"آثار السنن"** للعلامة ظهير حسن شوق النيموي . وتعليقات الشيخ محمد زكريا على كل من **"اللامع الدراري"**، و**"الكوكب الدري"**، و**"بذل المجهود"** المتقدم ذكرها . وتعليقات الشيخ تقي الدين النَّدْوِي على **"أوجز المسالك"** و**"بذل المجهود"** المتقدم ذكرهما، وعلى **"التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد"** للشيخ عبد الحي اللكنوي.

د- المؤلفات المستقلة :

إنّ العلم والعلماء دائما في حركة ، وانتقال من حال إلى حال، وتقدم إلى أعلى فأعلى ، وإلى جديد ومزيد ، ولذا فإن علماء ديوبند - كذلك - اعتنوا بالكتابة والتأليف في السنة وعلومها حسب مقتضى الظروف والأحوال التي شاهدوها ووفق حاجات ودواع بانت لهم وشعروا بها، فألفوا في متون الحديث الجديد، وفي علومه المزيد، ونشير إلى بعضها في السطور الآتية.

١- المؤلفات في متون الحديث:

لهم عدة مؤلفات في متون الحديث وهي على نوعين: بالعربية فحسب، وبالأردية مع المتون العربية شرحاً وتوضيحاً.

أ- المؤلفات العربية :

من المؤلفات في متون الحديث باللغة العربية ، "جامع الآثار" للشيخ أشرف علي التهانوي، و"إحياء السنن" لبعض أصحابه، و"إعلاء السنن" أيضاً لبعض أصحاب الشيخ التهانوي، أبرزهم والذي ظهر بيده هذا العمل الجليل هوالشيخ ظفر أحمد التهانوي . وقد تمّ تأليفه تحت إشراف الشيخ التهانوي وفي ضوء إفاداته كما وقع التصريح بذلك على وجه الكتاب - وفي داخل الكتاب أيضاً في عدة مواضع - *والجدير بالذكر أنّ هذه الكتب الثلاثة موضوعُها: تتبع الأحاديث والروايات التي استدل بها الحنفية في الأحكام وجمعُها ، وغالبها لا توجد في الصحاح الستة، أوأنها لا يعرفها صغار طلبة العلم.*

وطُبِع كتاب "**إعلاء السنن**" في أحد وعشرين مجلداً ضخماً ، أصل الكتـــاب في ثمانية عشر مجلداً ، والثلاثة البقية وهي الأول والثاني والثالث ، جاءت مقدمةً للكتاب،

الأول: في بيان قواعد الحديث وأصوله ، وفيه الاهتمام لبيان وإيضاح ما انفـــرد بــه الحنفية من الأصول والقواعد.(نشره الشيخ عبد الفتاح أبوغدة بتحقيقه وتعليقه)

والثاني: في جمع قواعد الفقه وأصوله سيما من باب القياس .

والثالث: في ذكر الإمام أبي حنيفة وأصحابه المحدثين .

وهكذا كل جزء منه كتاب مستقل ، ومؤلَّف خاص . طُبع أولاً بـــالحجر ثـــم بالحروف الحديدية قبل سنين.

وللشيخ التهانوي كتاب "**التشرّف بمعرفة أحاديث التصوّف**"، وللشيخ أنور شاه الكشميري "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**"، وللشيخ فخر الديـــن المرادآبـــادي "**الأربعين**"، وللشيخ محمد ميان الدهلوي "**مشكاة الآثار**"، وللشـــيخ محمـــد زكريـــا الكاندهلوي "**جزء حجة الوداع وعمرات النبي**"، وللشيخ محمد منظـــور النعمـــاني "**ألفية الحديث**"، وللشيخ محمد عاشق إلهي البرني "**زاد الطالبين**" .

وللشيخ المفتي مهدي حسن الشاهجهانبوري كتاب "**السيف المجلّى على المحلّى**" في الرد والتعقب على ما جاء من آراء ابن حزم - تفرداته وشذوذه - في كتابه المحلّى ، طبع في أربع مجلدات .

وللشيخ محمد أيوب السهارنفوري "**تعقيب التقليب الواقع في تهذيب التهذيب**" في بيان الأخطاء الواقعة في كتاب تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر .

وللشيخ الداعية مؤسّس جماعـــة التبليـــغ الشـــيخ محمـــد إليـــاس كتـــاب : "**انتخاب مشكوة المصابيح**"، ولنجله وخلفه الصدق الشيخ محمد يوســـف كتـــاب: "**حياة الصحابة**" في عدة مجلدات ضخمة، وهو معروف متداول في الأسواق العربية.

ب- المؤلفات بالأردية :

ومن أعمالهم الجليلة في هذا الشأن أنهم ألفوا كتباً بالأردية فقد ترجم عدد منهم عدة كتب معروفة إلى الأردية ولغاتهم المحلية ، كما قام بعضهم بتأليف مختارات لأهم المصادر الحديثية مع الترجمة والتوضيح بالأردية .

منها: **"ترجمان السنة"** للشيخ بدر عالم الميرتهي المدني في أربع مجلدات ضخمة، و**"جواهر الحكم"** له، و**"معارف السنة"** للشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي، و**"تجريد البخاري"** للشيخ محمد حيات السنبلي، و**"انتخاب الصحاح الستة"** للقاضي زين العابدين الميرتهي، و**"انتخاب الترغيب"** للشيخ عبد الله طارق، و**"معارف الحديث"** للشيخ محمد منظور النعماني في نحو عشر مجلدات. ومنها **"كتب الفضائل"** للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٢- المؤلفات في علوم الحديث :

ولعلماء **ديوبند** كتب قيمة ومؤلفات نافعة في علوم الحديث ، أصوله وقواعده وغيرها من العلوم أيضاً، وهي الأخرى على أنواع :

١ - شروح وتحشية:

بعض ذلك شرح وتحشية على بعض الكتب الدراسية، مثل **"نزهة النظر في شرح نخبة الفكر"** للحافظ ابن حجر فقد شرحه غير واحد بالأردية ، منها: **"عقد الدُرر"** للمفتي عبد الله التونكي، و**"تحفة الدرر"** للشيخ سعيد أحمد البالنبوري، و**"أنوار النظر عن شرح نخبة الفكر"** للشيخ أنوار الحق كاكا خيل.

٢- أصول الحديث وقواعده:

ومعظم الكتب من هذا القبيل تأليف من جهودهم ، جمعهم وترتيبهم . فمن تأليفهم في أصول الحديث وقواعده **"قواعد في علوم الحديث"** للشيخ ظفر أحمد التهانوي ، و**"علم الحديث"** للشيخ أشفاق الرحمان الكاندهلوي، و**"جواهر الأصول في أصول الحديث"** للشيخ عبد الرحمان المرداني، و**"أصول الحديث على مذهب الحنفية"** للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و**"أحسن الخبر في مبادئ علم الأثر"** للشيخ محمد حسن البشاوري، بعضها بالأردية وأكثرها بالعربية. ومنها: **"علوم الحديث"** لمحمد عبيد الله الأسعدي و **"مفتاح الحديث"** لعبد الجليل القاسمي، و**"بصائر السنة"** في مجلدين للشيخ أمين الحق المرداني.

٣- حجية الحديث :

ومن تأليفهم في بيان حجية الحديث ومكانتها في التشريع الإسلامي، **"الفوائد الملكوتية في أنَّ الأحاديث حجة"** للشيخ محمد موسى الروحاني الباري وهو بالعربية، و**"حجية الحديث"** لكلٍ من الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي والشيخ محمد طيب القاسمي وللشيخ محمد تقي العثماني، و**"نصرة الحديث"** للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، و**"الانتصار لسنة سيد الأبرار"** للشيخ محمد طاهر المرداني (البنج بيري). وهوأيضاً بالعربية ، و**"نتائج إنكار الحديث"** للشيخ سرفراز خان صفدر، ومنها الرسالة القيمة للشيخ أبي الحسن النّدْوي بعنوان: : **"المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف"**، وله أيضاً **"دورالحديث في تكوين المناخ الإسلامي"**

٤- كتابة الحديث وتدوينه:

ومن تأليفهم في كتابة الحديث وتدوينه "**دراســـــات في الأحـــاديث النبويـــة**" للدكتور مصطفى الأعظمي وهي رسالة الدكتوراة، و"**كتـــابت حديـــث**" للشـــيخ منت الله الرحماني، و"**كتابت حديث**" للمفتي محمد رفيع العثماني، و"**تدوين حديث**" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني.

٥- علم الرجال :

ومن تأليفهم في علم الرجال "**فن أسماء الرجـــال**" للشـــيخ أســـير الأدروى ، و"**علم أسماء الرجال**" للشيخ تقي الدين المظاهري وهوبالعربية والأردية أيضاً.

٦- موضوعات متنوعة:

ومنها كتاب "**المعيار القرآني لحديث الرسول**" للشيخ محمد طيـــب القـــاسمي وهوبالأردية ، و"**بين الضعيف والموضوع من الأحاديث**" لمحمد عبيد الله الأســـعدي بالعربية (وقد نشر في حلقات في مجلة البعث الإسلامي الصادرة في ندوة العلماء) .

٧- مقدمات على الكتب الحديثية:

ومن تأليفهم في علوم الحديث ما كتبوه تقديماً لبعض الأمالي المطبوعة أوالشروح، سواء كانت الأمالي والشروح لأصحاب المقدمات أم لغيرهم ، وقد جاءت بعضهـــا مبسوطة ومفصلة بحيث إنَّ طبعها استقلالاً عن الكتاب يتم في مجلد متوسط أوضخم مثل مقدمات إعلاء السنن الثلاثة .

ومنها المقدمات على أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي التي تقـــدم ذكرهـــا ، فمقدمات "**اللامع الدراري**" و "**الكوكب الدري**" بقلـــم الشـــيخ محمـــد زكريـــا

الكاندهلوي، ومقدمات ما سواهما بقلم الشيخ محمد عاقل السهارنفوري.
وللشيخ محمدزكريا مقدمة مبسوطة لشرحه "**أوجز المسالك**".

ومنها: تقديم الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي على "**الكوكب الدري**" للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و"**بذل المجهود**" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"**أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك**"، و"**الأبواب والتراجم للبخاري**"، و"**لامع الدراري**"، و"**حجة النبي ﷺ وعمراته**" أربعتها للشيخ محمد زكريا، و"**تهذيب الأخلاق**" لوالده العلامة عبد الحي الحسني، و"**روائع الأعلاق شرح تهذيب الأخلاق**" لأبي سحبان النَّدْوِي.

ومنها: "**مقدمة الشيخ أحمد علي السهارنفوري**" لتعليقاته وحواشيه على مشكاة المصابيح . ومقدمة الشيخ **محمد إدريس الكاندهلوي** على شرحه للبخاري. ومقدمة الشيخ **عبد الجبار الأعظمي** على أماليه للبخاري وهوفي مجلدين ضخمين . و"**مقدمة تجريد البخاري**" للشيخ **محمد حيات السنبهلي** .

ومنها "**مقدمة الشيخ شبير أحمد العثماني**" لشرحه **فتح الملهم** . و"**مقدمة الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي**" لحواشيه على كتاب السنن للإمام النسائي، و"**مقدمة الشيخ عبد الرشيد النعماني**" للحواشي على كتاب السنن لابن ماجه" وطبعت تلك المقدمة بالعربية بعنوان : "**ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه**" كما طُبعت بالأردية أيضاً.

ووجدت مثل هذه المقدمات على الأمالي المطبوعة بالأردية أيضاً ، مختصرةً ومبسوطةً مثل "**مقدمة أمالي الشيخ محمد تقي العثماني**" وهذه المقدمة من تأليفه وإفاداته ، وبعض هذه المقدمات من تأليف جامع الأمالي .

٨- تراجم أئمة الحديث:

وأيضاً من تأليفهم في علوم الحديث ما كتبوه في تراجم بعض أئمة الحديث، وفي ذكر بعض كتب الحديث وتعريفها، منها: كتب الشيخ تقي الدين المظاهري في تراجم بعض أصحاب الصحاح الستة، وتعريف كتبهم، ومن كتبه في ذلك كتاب "**محدثين عظام اور أن كى علمي كارنامى**"(المحدثون العظام ومآثرهم العلمية).

ولهم - عدا ذلك - أبحاث ومقالات ومحاضرات حول مواضيع مختلفة من علوم الحديث ، وقد طبعت في مجلات ومجموعات، واستقلالاً أيضاً .

هذه هي الثروة العالية الغالية في الحديث وعلومه - التي ظهرت وحصلت لأولي العلم من الطلاب والأساتذة والباحثين والمحققين ، من ثمرات جهود **علماء ديوبند** التي بذلوها وصرفوها في خدمة السنة المطهّرة ، في حفظها وصيانتها، والدفاع عنها، وإحيائها ونشرها، وشرحها وبيانها للناس .

وقد نال القبولَ منها والإعجابَ ، والاستحسانَ من أولي الألباب، وطار صيتها وعمّ نفعها في البلاد ، "**فيض الباري**" للشيخ أنور شاه الكشميري و"**بذل المجهود**" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"**أوجز المسالك**" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي و"**فتح الملهم**" للشيخ شبير أحمد العثماني، و"**إعلاء السنن**" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، ، و"**التصريع بما تواتر في نزول المسيح**" للشيخ محمد أنور الكشميري، و"**قواعد في علوم الحديث**" للشيخ ظفر أحمد التهانوي.

وقد طبع هذان الأخيران بتعليقات نافعة من فضيلة الشيخ المحدث الفقيه عبدالفتاح أبوغدة ، فازداد نفعهما وإفادتهما، وصارا من المراجع المعتمدة في الموضوع.

ويحسن بي أن أختم هذا المبحث بتقاريظ للعلماء العرب على كتاب: "**تكملة فتح الملهم**" للعلامة الشيخ القاضي **محمد تقي العثماني** حفظه الله، والكتاب يمثّل طريقة **علماء ديوبند** ومنهجهم في تدريس الحديث الشريف والتأليف فيه:

يقول العلامة الداعية الفقيه يوسف القرضاوي:

"...لقد رأيت شروحاً عدةً لصحيح مسلم، قديمةً وحديثةً، ولكنّ هذا الشرح للعلامة محمد تقي هو أولاها بالتقوية ، وأوفاها بالفوائد والفرائد،وأحقها بأن يكون هو (شرح العصر) للصحيح الثاني.

فهو موسوعة بحق، تتضمن بحوثاً وتحقيقات حديثيةً، وفقهيةً، ودعويةً وتربويةً، وقدهيأت له معرفته بأكثر من لغة – ومنها الإنجليزية – وكذلك قراءتُه لثقافة العصر ، واطّلاعُه على كثير من تياراته الفكرية ، أن يعقد مقارنات شتى بين أحكام الإسلام وتعاليمه من ناحية، وبين الديانات والفلسفات والنظريات المخالفة من ناحية أخرى، وأن يبين هنا أصالة الإسلام وتميُّزه ...

وبما يذكر لصاحب التكملة هنا بالثناء والتقدير: حرصُه على نقلِ المذاهب والأقوال بأمانة ، وعرضِها بأدلتها بإنصاف ، وترجيحُه مايوجبه الدليلُ منها ، وإن كان غير المذهب الحنفي الذي هو مذهبُه ومذهبُ أسرته وأهل بلده ، والذي نشأ عليه وتعمّق في الاطلاع عليه أصولا وفروعاً..." (١)

ويقول فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي مفتي الجمهورية التونسية:

"...وإنَّ منهجه في الشرح لمنهج العالم الفقيه، والمحدث الحافظ، والبصير النافذ، الواسع الاطلاع ، تحمل في عزم ما يغني الدارسَ لشرحه عن الرجوع للأسفار، أو تحمل مشاق الرحلة والأسفار، وهيأ قطوف لباب المعرفة الحديثية دانيةً، في حلة المليحة الغائية، وذلك بتدقيق السند والتعريف بالرجال، وضبط أسمائهم، ثم التعمق في

(١) تكملة فتح الملهم الجزء الأول ص: هـ

الحديث شرحاً واستنباطاً، وتحقيقاً لآراء الفقهاء ، وضبطها، وإنك لواجد من تضلعه بمذهب الإمام أبي حنيفة ما يضيء مغالق بقيت مقفلة دهراً، فيفتض جواهر كمنت في أصدافها بكراً.

ويتميز عن غيره من الشروح بأنه الكتاب الذي يخترق الأزمان فيعيش معك في هذا العصر، بما يضطرب فيه من قضايا فتجد من شجاعته المستنيرة بورع العالم المؤمن، مايضع أمام عقلك وقلبك وجهة نظر جامعة بين التعليل والتأصيل كالاقتصاد في الإسلام، والأوراق النقدية والضمان،وتعدد القضاة ونقض الأحكام..

ويضاف لذلك قوته في الرد على مايلبسه المبطلون من مطاعن، فيكشف عن جرثومة انحرافهم وتهافت آرائهم ، ويحرص كلما ظفر بفائدة مهمة في بطون الكتب التي فترت العزائم عن مخالطتها، وضعفت الهمم عنها يحرص على تخصيصها بالذكر والتنبيه." (١)

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي:

"...هذا بالإضافة إلى جانب المعاصرة أو الحداثة في بيان أحكام المسائل المستجدة ورفع الشبهات والشكوك ، والرد على المزاعم في معارضة الأدلة لبعضها، مع توثيق أحاديث الشيخين ، ويزدان كل ذلك بسهولة الأسلوب وجاذبيته ، وبساطة العبارة ووضوحها، وحسن اختيار الكلمات المعبّرة والرصينة.

وإذا كانت العناية في هذا الشرح النفيس بالمذهب الحنفي تبياناً وتأصيلاً واستنباطاً ؛ لأنه مذهب أهل الهند والباكستان والأتراك، فإنه لاأثر فيه لتعصب مقيت، ولاتعسف في التأويل، ولاتكلف في المناصرة والتأييد." (٢)

---

(١) تكملة فتح الملهم، الجزء الأول ص: ٢ ، طبعة ذوالحجة ١٤١٤هـ

(٢) تكملة فتح الملهم- الجزء الرابع، ط:دارالعلوم كرتشي ١٤١٦هـ

(٤)

علماء ديوبند وخدماتهم الفقهية

وأما
أهل الهند فإنّهم
أكثر تصنيفاً في الفقه
منهم في غيره، فمنها ماهو
شروح وحواش على تلك الكتب
المعتبرة، ومنها ماهو الفتاوى.

العلامة عبد الحي الحسني

[الثقافة الإسلامية في الهند]
ص: ١٠٥

وكتاب الثقافة الإسلامية في الهند للعلامة السيد عبدالحي الحسني في ما يتصل بمؤلفات علماء الهند في أصول الفقه، كفيلة بالاقتناع بأهمية هذا الموضوع، واتساع المكتبة المكوّنة فيه، وقد عدّ منها المؤلف العلامة ٥٢ كتاباً ألّف في هذا الموضوع في الهند.

العلامة أبوالحسن علي الحسني الندوي

[مقدمة الوجيز في أصول الفقه للأسعدي]

تراث العلماء المسلمين العلمي

في الهند

"كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم، لايتشاغلون عن خدمته، والتقدم به في ميادين العلم والصناعة والمدنية، أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية، لايتخلفون عن ركبها ولاينقطعون عنها، وقد نراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة ومأخذ الزمام.

إنّ الجمع بين الثقافتين اللتين تتناقضان كثيراً وتلتقيان قليلاً، وإنّ الوفاء لوطنين - مادي وروحي - مهمة عسيرة، لانعرف شعباً من شعوب الإسلام كلّف نفسه بها ثم نجح نجاح مسلمي الهند.

إنّ مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الإسلامية لاتحصى كثرة، وذلك موضوع كتاب كبير، ككتاب الفهرست لابن النديم، أو كشف الظنون للجلبي، وجولة في كتاب: " الثقافة الإسلامية في الهند" تدل على مركز الهند العلمي وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر..."

العلامة النّدوي

المسلمون في الهند، ص: ٣٢-٣٣

علماء ديوبند

وخدمتهم للفقه الإسلامي

إنّ الفقه جزء – لازمٌ – موسّع من المقررات الدراسية في **دارالعلوم** والمدارس والجامعات التابعة لها، وفي كثير من هذه المدارس يوجد قسم خاص يصدرالفتاوى ويعتني بتدريب الطلاب للإفتاء، وتبصيرهم في الفقه وأصوله وفروعه، ودراساتهم للحديث جامعة بين الرواية والدراية، فيدرسون الحديث مع ما يتعلق به من جميع الأحكام الفقهية وذكر مذاهب المجتهدين كما تقدم، وهكذا فقد تنوعت جهودهم في المجال الفقهي تدريساً وتأليفاً وإفتاءً .

ومعلوم أنّ بلاد الهند عهدها بفقه الإمام أبي حنيفة قديم – قِدَم الإسلام في الهند وما جاورها من البلاد[1]– ولذا فإنّ **علماء ديوبند** يقلّدون الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله تعالى، ويفتون بمذهبه متصلبين له لامتعصبين، ومحقّقين فيه لا بتقليد الأعمى مقلّدين، فإنّهم يستدلون في فتاواهم وفي أبحاثهم الفقهية طبقاً لمذهبه، بآيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أوالحسنة، أوبالآثار الموقوفة – بل إنهم شيّدوا مذهبه وأيّدوه بما لم يسبقهم إليه أحد، فإنّ كثيراً من جزئيات الفقه الحنفي يرى الناس فيها

---

(١) انظر لتاريخ الفقه الإسلامي في الهند *"الثقافة الإسلامية في الهند"* للعلامة المؤرخ الأديب عبدالحي الحسني، ص: ١٠٢-١٠٤ [ط : مجمع اللغة العربية –دمشق، الطبعة الثانية: عام١٤٠٣هـ] وفيه يقول: *"...فكان أهل الهند من سالف الزمان على مذهب أبي حنيفة، غير السواحل من بلاد مدراس ومليبار والكوكن، فإنّها كانت مورداً ومشرباً لأهل اليمن والحجاز، وأنّهم كانوا على مذهب الشافعيّ، فبقوا على ذلك المذهب إلى اليوم، وأما المالكية والحنابلة فليس لهم عين ولا أثر في أرض الهند إلا من جاء منهم على سبيل التجارة أولغرض آخر.."*

- بل وبعض المنتسبين إلى العلم أيضاً - أنه لا يوجد لها أدلةٌ علمية قويّةٌ يُعتَدُّ بها من الكتاب أوالسنة، فقاموا لذلك وأزاحوا بجهودهم المشكورة هذه الشبهة التي يثيرها المبطلون حيناً لآخر. راجع لذلك - خاصة - شروحهم وتعليقاتهم وأماليهم على كتب الحديث، وكثير من آثارهم في هذا المجال - ولله الحمد - مطبوعٌ بالعربية، متداولٌ في الأسواق العربية.

فلهم في هذا الموضوع مؤلفاتٌ خاصة، أهمها: كتاب **"أحكام القرآن"** الذي ألّفه جماعة من *أعلام علماء ديوبند* من المحدثين والفقهاء تحت إشراف **الشيخ أشرف علي التهانوي** وفي ضوء إفاداته ، وثاني اثنين كتاب **"إعلاء السنن"** وهو الآخر كذلك إلاّ أن الفضل في تأليفه يرجع - في الأغلب - إلى الشيخ **ظفر أحمد التهانوي** ولذا ينسب إليه.

الطريقة الأنيقة في المنهج الفقهي:

ولما كان *علماء ديوبند* ينتمون إلى الإمام **ولي الله الدهلوي** فعملهم في ذلك طبق منهاجه الذي سلكه، ولاسيما وفق الطريقة الأنيقة التي ذكرها **الإمام الدهلوي** في قوله : "إنّ في المذهب الحنفي طريقة أنيقة هي أوفق الطرق بالسنة المعروفة التي جُمِعت ونُقّحتْ في زمان البخاري وأصحابه. . وذلك أن يوخذ من أقوال الثلاثة (يقصدالإمام أبا حنيفة وصاحبيه) قول أقربهم بها (أي بالأحاديث) في المسألة ، ثم بعد ذلك يتبع اختيارات الفقهاء الذين كانوا من علماء الحديث - كالحافظ أبي جعفر الطحاوي - فرُبّ شيء سكت عنه الثلاثة في الأصول وما تعرضوا لنفيه ودلت الأحاديث عليه فليس بدٌ من إثباته ، والكل مذهب حنفي [١].

---

[١](فيوض الحرمين) ص ٤٩

وهذه الطريقة الأنيقة التي وضع أساسها **الإمام ولي الله الدهلوي** - أضاف إليها نجله الأكبر الشيخ **عبد العزيز الدهلوي** - ثم قام بإنجازها وإكمالها مؤسسوا **دارالعلوم** وعلماؤها وأعلامها، وهذا ما يتجلى لنا في كتبهم وفتاواهم ولا سيما في الكتب التي سبق ذكرها .

وقلت : إنهم متصلبون لا متعصبون ، ولذا فإنهم لا يتعصبون لأقوال أبي حنيفة ولا للعلماء الحنفية ، بل يحرصون دائما على الأخذ بالكتاب والسنة ، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة وإن كان يخالف ذاك آراء الأحناف ، وهوالثابت من صنيع مؤلفي أحكام القرآن وإعلاء السنن ، وقد عُرف من صنيع الشيخ أنور شاه الكشميري ، والحق أنّه ليس ذلك من صنيعه فقط بل ذلك صنيع الجماعة كما ذكرت : أنّه إذا صح حديث والرواية المشهورة عن أبي حنيفة كانت مخالفة له - غير أنه يوجد في الباب رواية عن الإمام- فكان المذهب عنده ما دل عليه الحديث ووافقته رواية عن الإمام[1].

وكذلك كان الأمر عنده إذا جاءت عن الإمام روايات ، منها ما يوافق بعض الأئمة من الشافعي وغيره، ومنها ما يخالفهم فالمذهب عنده ما جاء في الرواية الموافقة لا المخالفة. [2]

فهذا هوفقههم الذي قال فيه العلامة رشيد رضا صاحب المنار:

"ما ذكره الشيخ أنور من الأصول ومن مسلك مشايخه فأنا أرتضيه وأوافقه ، فإنّ الفقه الحنفي كافٍ ووافٍ بلا شبهة. [3]

---

[1](معارف السنن) ٣/٤٦٠.

[2](معارف السنن) ٤/١٢١.

[3](حالات جامعة ديوبند) سنة ١٣٣٠هـ .

علماء ديوبند وتدريس الفقه والإفتاء:

ولعلماء ديوبند خدمات جليلة عظيمة في الفقه من تدريس الفقه بدراسة عميقة مع المقارنة بين المذاهب الفقهية الأربعة ، والإفتاء ، والتدريب للإفتاء وإعداد الرجال المتخصصين في الفقه ، وتأليف ما يحتاج إليه في ذلك على أساليب مختلفة ونواحي عديدة .

فإنّ دراسة الفقه في **دارالعلوم** معروفة بأنّ متخرجيها البارزين دائما يكون فيهم إلمام خاص بالمسائل الفقهية والأحكام الشرعية .

وقسم الإفتاء في **دارالعلوم** هوأكبر مركز للفتيا في شبه القارة ، والفتاوى الصادرة منه تعد حجة وسنداً .

وقد أنجبت **دارالعلوم** بفضل مالها من الميزات في التدريس والتدريب ، فقهاء بارزين في الفقه والتحقيق ، والاستنباط والتخريج ، فإنّ كلامهم في الفقهيات أصولاً وفروعاً يذكّرنا المتقدمين من الفقهاء المحقّقين المقلدين، والمنتسبين والمتأخرين ، وامتاز – منهم – بذلك الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** والشيخ **أشرف علي التهانوي** فإنّ آراءهما وفتاويهما كانت – ولا تزال – تعد سكة رائجة الوقت. و لم ينته الأمر بهما ولا إليهما فقط، بل لا يزال يحمل هذا العلم خلفهم عن سلفهم بهذا الشأن .

وأمّا مؤلفاتهم في الفقه فهي أكثر من أن تحصى من أبحاث ومقالات ، ورسائل وكتب ، وتعليقات وتحقيقات ، وحواش وشروح ، ومجاميع الفتاوى.(١)

فمما طبع بتحقيقهم وتعليقهم من التراث كتاب "**الحجة على أهل المدينة**" للإمام محمد بن حسن الشيباني بتحقيق المفتي مهدي حسن الشاهجهانفوري، وكتاب "**مستزاد الحقير على زاد الفقير لابن الهمام**" بتحقيق الشيخ بدر عالم الميرتهي،

---

(١)وللمؤلف مقال طويل حول الموضوع نشر في مجلة" البلاغ" بباكستان

وكتاب "**مختارات النوازل**" و"**كتاب التجنيس والمزيد**" كلاهما لصاحب "**الهداية**" الإمام المرغيناني – وهما تحت الطبع بعد أن تم عمل التحقيق والتعليق تحت إشراف الأستاذ الفاضل خالد سيف الله الرحماني وبيده وقلمه .

ومما طُبع مزيّناً بتعليقاتهم "**شرح النقاية للملا علي قاري**" و"**مختصر القدوري**" و"**نور الإيضاح**" و"**كنز الدقائق**" و"**الدر المختار**" وغيرها .

مؤلفاتهم الفقهية:

ومن أهم مؤلفاتهم وأحسنها وأفودها "**أحكام القرآن**" و"**إعلاء السنن**" وقد تقدم ذكرهما، وكتاب "**غنية الناسك في بغية المناسك**" للشيخ محمد حسن السواتي المكي، وهوفي بيان أحكام الحج والعمرة ، و"**بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب**" للشيخ محمد يوسف البنوري، و"**نيل الفرقدين في رفع اليدين**" للشيخ محمد أنور الكشميري، وله ولغيره من مشايخه وتلاميذه وتلاميذ تلامذته عدة كتب في مسئلة القراءة خلف الإمام – نهايتها وهوأجمعها: كتاب "**أحسن الكلام**" للشيخ سرفراز خان صفدر، ومنها كتاب "**الحيلة الناجزة للحليلة العاجزة**" ألّفه وأعمله الشيخ التهانوي وفق ما جاء في الفقه المالكي من الرخصة للمرأة التي تعاني من زوجها مشكلات من فقدانه وتعنته ونحوه من الأمور.

و"**معين القضاة والمفتيين**" للشيخ شمس الحق الأفغاني أحد الوزراء السابقين بحكومة باكستان،

ومن مؤلفاتهم في الفقه ، "**زيارة القبور**" للشيخ بادشاه كل، ولعدد منهم عدة رسائل في مختلف الموضوعات من باب العبادات وغيرها مثل الشيخ حبيب الرحمن الخيرابادي والأستاذ محمد رفعت الديوبندي – وللشيخ المفتي محمد سعيد السهارنفوري "**معلم الحجاج**" كتاب حافل جامع .

مجاميع الرسائل الفقهية:

ومنها بعض مجاميع رسائلهم الفقهية : منها "**بوادر النوادر**" للشيخ أشرف علي التهانوي، و"**جواهر الفقه**" للشيخ محمد شفيع *الديوبندي* صاحب معارف القرآن. ولكلٍ منهما وللشيخ رشيد أحمد اللّديانوي رسائل كثيرة في عدة مسائل فقهية .

الفتاوى:

وقد طبعت وظهرت عدة مجاميع لفتاواهم الصادرة من قسم الإفتاء لدارالعلوم أولغيرها من المدارس والجامعات التي على شاكلتها ، أومن مستقر بعض أفاضلهم ، فمنها "**فتاوى دارالعلوم**" مجموع الفتاوى الصادرة من **دارالعلوم** بقلم المفتي عزيز الرحمن أول رئيس للقسم ، والمفتي محمد شفيع الديوبندي الذي خلفه في منصبه . و"**الفتاوى الرشيدية**" مجموع فتاوى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و"**الفتاوى الإمدادية**" للشيخ أشرف علي التهانوي ، طبعت بست مجلدات ضخمة و"**كفايت المفتي**" مجموع فتاوى المفتي كفايت الله الدهلوي، و"**إمداد المفتين**" للشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي، و"**إمداد الأحكام**" للشيخ ظفر أحمد التهانوي وزميله عبد الكريم، و"**أحسن الفتاوى**" للشيخ رشيد أحمد اللدهيانوي، و"**الفتاوى المحمودية**" للشيخ المفتي محمود الحسن الكنكوهي، و"**الفتاوى الخليلية**" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري صاحب بذل المجهود ، وأوسع هذه المجاميع "**فتاوى دارالعلوم**" و"**الفتاوى المحمودية**" – ومنها "**الفتاوى الرحيمية**" لصاحبها المفتي عبد الرحيم الغجراتي ، و"**نظام الفتاوى**" للشيخ نظام الدين الأعظمي وله ثلاثة مجاميع من منتخب فتاواه . [1]

---

[1] انظر "علماء الجامعة وفقه الكتاب والسنة" بقلم الأستاذ بدرالحسن القاسمي، جريدة الداعي العدد الخاص، ص: ٢٨-٣٠

القضايا المعاصرة والمشكلات الحديثة:

و"**العدل الإسلامي**" للشيخ القاضي مجاهد الإسلام ، وله "**فقه المشكلات**"، ولغيره أيضاً كتب ورسائل تتناول القضايا المعاصرة بالأردية والعربية منهم الشيخ محمد تقي العثماني، والشيخ برهان الدين السنبهلي والأستاذ خالد سيف الله الرحماني . وقد تم الآن طبع عشرة مجلدات من "**مجلة الفقه الإسلامي**" تحت إشراف "**المجمع الفقهي الإسلامي الهند**" وبرئاسة الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي، وهذه المجلات مجموع أبحاث قدمت للمؤتمرات الفقهية التي يقيمها المجمع الفقهي بالهند كل سنة .

وللشيخ المفتي محمد شفيع "**نظام الأراضي في الإسلام**" وللشيخ حامد الأنصاري "**نظام الحكم الإسلامي**"، وللأستاذ خالد سيف الله "**قاموس الفقه**" في عدة مجلدات و"**حلال وحرام**" و"**العشر والزكاة في الإسلام**"، وللأستاذ عتيق أحمد القاسمي "**مصارف الزكاة**" و"**الزكاة ومسئلة التمليك**"، ولكاتب هذه السطور - "**الربا**" و"**العشر والخراج في بلاد الأقليات**"، وللشيخ المفتي محمد شفيع "**الأحكام الشرعية للآلات الجديدة**" كتاب قيم نافع .

أصول الفقه:

ولهم أعمال جليلة في علم الفرائض، من ترجمة بعض الكتب وتحشيتها مثل "**السراجي**" والتأليف أيضاً ، وأكثر منها في علم أصول الفقه، ترجمةً وتحشيةً وتعليقاً وشرحاً ، بالأردية والعربية وبغيرهما أيضاً ، مثل: "**أصول الشاشي**" و"**نور الأنوار**" و"**الحسامي**" و"**مسلم الثبوت**".

ولهم فيه مؤلفات أيضاً وجيزة ومبسوطة ، مثل "**تدوين الفقه الإسلامي**" و"**تدوين أصول الفقه**" كلاهما للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، وإحدى المقدمات الثلاث لكتاب إعلاء السنن مختص بذلك ، ومنها كتاب "**إمداد الأصول**" للشيخ

مهربان علي، وكتاب "**تسهيل أصول الفقه**" و"**أصول الفقه**" بالأردية لكاتب هـذه السطور، وله كتاب "**الموجز في أصول الفقه**" بالعربية ، كتاب سهل المنوال، وعلى أسلوب بديع يختلف عن أسلوب الكتب القديمة . فلله الحمد.(١) ومن مؤلفاتهم في الأصول "إجماع" للشيخ محمد رفيع العثماني،وعدة كتب ورسائل في موضوع الاجتهاد والتقليد – للأكابر منهم والأصاغر – وللشيخ التهانوي كتاب "**تلخيص المنار**"، وكتاب "**المدار**" كلاهما بالعربية، وله "**تلخيص الشريفية**" وهوفي علم الفرائض .

الفقه الأكبر:

وكان الإمام أبوحنيفة يعرف الفقه بما هوأعم من الفقه المعروف المتبادر اليوم، وهوأن الفقه "*معرفة النفس مالها وما عليها*" - لا "معرفة الأحكام الشرعية الفرعية" فقط، وعلى هذا فإنّ له ثلاث شعب وهي شعب الأحكام الشرعية الثلاثة التي جاء بها القرآن والسنة .

الأولى: معرفة أفعال الجوارح ، أوأفعال الظاهر.

والثانية: معرفة أفعال الباطن أوأحوال الباطن.

والثالثة: معرفة فعل القلب .

والأولى هي التي اشتهرت بما هوالمعروف والمتبادر اليوم من مفهوم "**الفقه**" ومعناه . ***والثانية*** هي التي يسمونها بـ"**السلوك والتزكية والإحسان والتصوف**" أيضاً . والثالثة هي المعروفة بـ "**علم التوحيد وعلم الصفات وعلم الكلام والعقائد**"(٢) .

---

(١) قدّم له سماحة الشيخ الندوي وفضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة، ظهرت الطبعة الثانية للكتاب من دار السلام – القاهرة عام ١٤١٩هـ

(٢) (إمداد الأحكام) المقدمة ٢٩/١-٣٢

فلذا استحسنت أن أعقب بيان خدماتهم الفقهية بذكر ما قاموا به من الخدمات في الشعبتين البقيتين وهما السلوك والكلام .

أمّا خدماتهم في علم التوحيد والكلام فسيأتي له تتمة وذكرٌ بنوع من التفصيل في ذكر دفاعهم عن الدين ومقاومتهم للفتن، والذي يناسب ذكره هنا هو أن لهم مصنفات قيمة وكتبا ذات أهمية في هذا الفن الشريف ومسائله أيضاً– بالعربية وبالأردية – فللشيخ أشرف علي التهانوي (**الانتباهات المفيدة عن الإشكالات الجديدة**) وله "**أشرف الجواب**"، وله غير ذلك من الرسائل والكتب التي تصدى فيها لبيان المعتقدات، وكتبه هذه طبعت بعدة لغات ، منها الإنجليزية أيضاً ، وأكثر مؤلفات الإمام النانوتوي محمد قاسم ، مؤسس *دارالعلوم* يخص هذا الجانب، منها "**آب حيات**" و"**هدية الشيعة**" و"**تصفية العقائد**" و"**حجة الإسلام**" و"**قبله نما**"، ومؤلفاته كلها بالأردية أوالفارسية، وقد نقلوا بعضها إلى العربية، منها: "**عقيدة التوحيد في الإسلام**" . وللشيخ التهانوي كتاب "**تذييل شرح العقائد في تفصيل أهواء أهل المفاسد**" بالعربية .

ومنها "**إكفار الملحدين**" و"**عقيدة الإسلام**" للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، و"**الكلام**" للشيخ شبير أحمد العثماني وله "**رسالة الإسلام**" و"**العقل والنقل**"، وللشيخ محمد إدريس الكاندهلوي "**علم الكلام**" و"**إثبات وجود الإله**" و"**إبطال المادية**" و"**عقائد الإسلام**" – وللشيخ مناظر أحسن الكيلاني الكاتب النابغ : "**الدين القيّم**" وللشيخ سعيد أحمد الأكبرابادي "**الوحي في ضوء العلوم الطبيعية**" وللشيخ محمد طيب القاسمي "**الإسلام والعلوم الطبيعية**"، ومنها تقديم الشيخ محمد تقي العثماني لكتاب "**إظهار الحق**"، وسيأتي ذكره . و"**تحقيق الكفر والإيمان**" للشيخ مرتضى حسن الجاند بوري . و"**أصول التكفير**" للمفتي محمد شفيع .

ولهم غير ذلك من آثار كتبوها وألفوها في الرد على الفرق وأهل المذاهب المنحرفة -سيأتي ذكر شيء منها في موضعها- منها "**تهديد المنكرين لقدرة رب العالمين**" - و"**إثبات القدرة الإلهية بإقامة الحجة الإلهامية**" للشيخ رحيم الله البجنوري، و"**مذهب منصور**" في مجلدين للشيخ منصور علي المرادآبادي ، وللشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي كتاب "**إشاعة الإسلام**"[أي نشره] وهوكتاب جميل جليل في نحوخمسمائة صفحة تصدى المؤلف فيه لبيان وإثبات أنَّ انتشار الإسلام في الأقاصي والأداني إنَّما كان لأجل محاسنه لا لأجل مهاجمته . والشيخ محمد طيب قد شرح "**العقيدة الطحاوية**" شرحاً وجيزاً ووضع لشرحه تتمةً استدرك بها ما فاته وتركه في الشرح من مسائل .

التصوف والسلوك:

وأمَّا **السلوك والتصوف** فكان من علومهم الخاصة ومما ميَّزهم الله به في هذا الزمن، وليس المراد به التصوف الادعائي والذي يعرف بين الناس بأزياء مخصوصة وهيئات معينة ، والذي باطله أكثر من حقه وصوابه ، والذي هوعبارة عن أباطيل وخرافات ، وإنما المراد به الثابت بالكتاب والسنة وما اعترف به الأئمة و لم يكونوا فيه متبعين ومقتفين بمن مضى قبلهم من الصوفية فقط، بل أكرمهم الله أيضاً - بل الأحسن أن نقول : فيه خصوصاً بهذا الزمن- بالإمامة والقيادة .

وهذا ما تشهد به أحوالهم ، وتتزين به أقوالهم ، وتمتلئ به مؤلفاتهم ، سيما الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي**، والشيخ **أشرف علي التهانوي** الذي لقب واشتهر بـ "**حكيم الأمة**" فله يد طولى في ذلك وكلامه من هذا الشأن، في الردّ والنقد على ما هوالباطل فيه ومنه، وتأييد ما هوالحق، وتحقيقه وتثبيته، لا يخلومنه كتابٌ له ولا مؤلَّف، وله في ذلك كتب ورسائل، وقدألَّف بالعربية "**مسائل السلوك من كلام**

ملك الملوك" وهو في التفسير الإشاري الصوفي ، قصد فيه جمع ما يدل عليه الآيات القرآنية من مسائل السلوك ، و"التشرّف بمعرفة أحاديث التصوف" جمع فيه الروايات التي يستدل بها القوم على مسائل التصوف ، وله "تلخيص البداية" أيضاً، وما سواهما فبالأردية ، ومنها: " التكشف عن مهمات التصوف" و"أنفاس عيسى" و"أبواب تربية السالك" و"إصلاح انقلاب أمت".

ومن مؤلفاتهم فيه "إتمام النعم على تبويب الحكم" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري – ولثاني الشيخين الجليلين – الشيخ رشيد أحمد – "تصفية القلوب"، و"إمداد السلوك" ولعدد منهم مجاميع أقوال وأمالي ، ومجاميع رسائل كتبت إلى أصحابهم و تلاميذهم ومسترشديهم .

وقد رتّب بعض العلماء مؤلفاتٍ جمع فيها نخب أقوالهم وصفوة آرائهم في السلوك والتصوف، من أهمها: كتاب الشيخ عبد الباري النَّدْوِي "تجديد تصوف وسلوك" ألّفه انتخابا وانتقاءاً من أقوال شيخه وآرائه الشيخ أشرف علي التهانوي، وهوبالأردية وقد قام بترجمته ونقله إلى العربية الشيخ محمد الرابع النَّدْوِي (ابن اخت الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي) فطُبع – وهومتداول- باسم "المنهج الإسلامي لتربية النفس"، *والشيخ التهانوي يقول فيه الشيخ أبوالحسن في تقديمه للكتاب المذكور* :

"وقد شرح الله صدره لتيسير هذه الطريقة – التي كانت قد الْتوتْ وتعقدت – وتقريبها وتنقيح الغايات من الوسائل واللباب من القشور والزوائد ، وبلغ فيها درجة الإمامة والاجتهاد ، حتى أقرّ له كبار العلماء والمشايخ والمربّين بالتفرد في هذا الباب والتجديد لهذا الفن" [1].

---

[1](المنهج الإسلامي لتربية النفس) ص ١٣ . وقد ظهرت الطبعة الأولى للكتاب باسم: "بين التصوف والحياة"

...
و هل عالِمٌ لايعرف
هذه الجامعة الإسلامية
في ديوبند،
كل الناس يعرفونها،
وهي لا تخفى على أحد،
لا تخفى على أحد مكانتها المرموقة، ..
وهي علم شامخ بين الجامعات،
علم شامخ بين المدارس و الحمد لله،
علماؤها أعلامٌ شامخة بين العلماء،
فجزاهم الله كل خير و اثابهم و قوّاهم،
..فجامعة ديوبند معروفة بين الناس،
مشهورة في العالم، لا يحتاج إلى بيان
ولا تحتاج إلى تعريف.
سماحة الشيخ
محمد بن عبد الله السبيل

...
وهل عالِمٌ لا يعرف
هذه الجامعة الإسلامية
في ديوبند،
كل الناس يعرفونها،
وهي لا تخفى على أحد،
لا تخفى على أحد مكانتها المرموقة..
وهي علَم شامخ بين الجامعات،
علم شامخ بين المدارس والحمد لله
علماؤها أعلامٌ شامخة بين العلماء،
فجزاهم الله كل خير وأثابهم وقوّاهم.
..فجامعة ديوبند معروفة بين الناس،
مشهورة في العالم، لا يحتاج إلى بيان
ولا تحتاج إلى تعريف.
سماحة الشيخ
محمد بن عبد الله السبيل

(٥)

علماء ديوبند وعنايتهم باللغة العربية

" ولم يزل
شعار المسلمين في الهند منذ العهد
الأول الاعتناء الكامل باللغة العربية،
والتعصب لها، وقد حافظوا عليها كلغة
التأليف والعلم، وكان فيها شعراء مفلقون،
كالقاضي عبد المقتدر الكندي الدهلوي، والشيخ
احمد بن محمد التهانيسري، والشيخ غلام علي آزاد
البلكرامي، صاحب" السبع السيارة" والمفتي صدر الدين
الدهلوي والشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والشيخ
ذوالفقار علي الديوبندي، وأدباء محققون كا لعلامة
عبد العزيز الميمني، والشيخ أبي عبد الله محمد السورتي.
ولايزال المسلمون متمسكين باللغة العربية، يدرسون
امهات كتبها في مدارسهم التي يسمونها "المدارس
العربية"، ويؤلفون ويكتبون فيها، وقد أصدروا في
فترات مجلات وصحفاً عربية تدل على عنايتهم
بهذه اللغة، ونشرها وإحيائها..."

النّدوي

المسلمون في الهند
[ص: ٤٥-٤٦]

"...

بالرغم من أن اللغة العربية
لم تكن في يوم من الأيام لغة النطق والتفاهم
على مستوى الشعب والجمهور، فإن صلة هذه
القارة باللغة العربية وحركة التأليف والتدوين عميقة
وقديمة، وقد قدر الله أن تظل هذه البلاد متمسكةً- عبر
القرون والأجيال- بعلوم الكتاب والسنة، مسايرةً لركب التأليف،
والإنتاج العلميّ السيّار...

ولم تكن عناية هذه البلاد وأبنائها مقتصرةً على علوم الكتاب والسنة التي توافرت لها الدواعي القوية، من إيمان وعقيدة، وحب وعاطفة، وحاجة وضرورة، بل تخطت ذلك إلى اللغة العربية وآدابها، وتاريخ هذه البلاد في خدمة اللغة العربية والعناية بها، والاتصال بأئمة اللغة وأقطابها، واحتضانهم وإيوائهم، قديم...

وقد ظلت عناية علماء الهند باللغة العربية وآدابها مستمرةً على مر العصور والأجيال، ولم تكن هذه العناية تقليدية -سائرةً على خط واحد من وضع المعاجم الكبيرة، وتلخيصها- بل كانت لهم فتوح وابتكارات، وزيادات تكاد تكون فريدةً في المكتبة العربية العالمية الواسعة...

العلامة النّدْوي

[نظرات في الأدب، ص: ٦٨-٧٠]

علماء ديوبند

والعناية باللغة العربية

منذ بداية عهد الإسلام بربوع الهند وجدت اللغة العربية أرضا خصبة وتربة صالحة لنموها وازدهارها ، وافقا جديدا لتطورها وانتشارها فنبغ في أرض الهند أئمة اللغة وأعلامها الذين أثبتوا كفاءتهم في التضلع من اللغة وآدابها، ومعرفة مفرداتها وأضدادها، وإتقان قواعدها وأسرارها .

وقد سارت الركبان بمؤلفات هؤلاء الأئمة وازدانت بها المكتبة الأدبية واعترف الناطقون بالضاد بسبقهم وإمامتهم وشهدوا لهم بالبراعة والنبوغ .

و لم يزل الحال كذلك ، فلم ينقطع سلك هذا النظام إلى القرون المتأخرة وإلى الأيام الحاضرة ، أيام الجامعات والمعاهد وأعمالها وخدماتها ، فلم يكن نصيب جامعة **دارالعلوم ديوبند** وعلمائها - مؤسسيها ومتخرجيها - من ذلك بحيث أن يجوز صرف النظر عنه ويمكن للمؤرخ في هذا المجال وللباحث أن يستغني عن ذكر أعمالها وخدماتها، بل كان لها في هذا المجال نصيب أوفر صحّ لها وحق أن تفتخر بها على الجامعات المعاصرة .

ولواستعرض أحد جهود **الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند** وحدها في خدمة اللغة العربية وأعمالها المجيدة في نشر تلك اللغة، وخدمات الكليات والمعاهد التي تنتمي إلى **جامعة ديوبند** في النسب العلمي وتوافقها تماما في خطة التعليم ومناهج الدراسة، وهي منتشرة في سائر أقطار **"الهند"** و**"بنجله ديش"** و**"باكستان"** لاندهش وتحير .

ركّزت الجامعة في منهجها الدراسي على تدريس **مادة اللغة العربية** كوسيلة أساسية للاستفادة من منابع الشريعة الإسلامية الأصيلة ومصادرها الصافية، لأنها لاتتأتى إلا بالتضلع من اللغة العربية والتمهر فيها ، واتخذت منذ نشأتها أساليب أخرى متنوعة لنشر اللغة العربية ، فأنجبت رجالاً أكفياء وكتابا نابغين قاموا بدور عظيم في إعداد البحوث والمؤلّفات النادرة باللغة العربية.

وقد كان الشيخ **ذوالفقار علي** من مشيخة الجامعة وعلمائها من عباقرة الأدب وأفذاذه، يستحق أن يُعَدَّ في طليعة الشعراء المفلقين المجيدين وكتاب اللغة العربية القديرين، قلما أنجبت الهند مثله في سعة الاطلاع على شعر العرب والأنساب، والعروض وقواعد اللغة العربية ، وله قصائد بديعة رنانة ، ومؤلفات أدبية قيمة ، من أهمها "**تسهيل الدراسة في شرح ديوان الحماسة**" وشرح وجيز على "**المعلقات السبع**" و"**عطر الوردة في شرح قصيدة كعب بن زهير**" و"**الهدية السنية**" .

كما أن الشيخ **فيض الحسن السهارنفوري** كان من الشعراء البارعين ، له مجموعة شعرية بالعربية ، وشروح على كل من "**الحماسة**" و"**المعلقات السبع**" وكتاب في أنساب العرب **وشرح بديع لحديث أم زرع** .

وقد تلمذ عليهما **علماء الجامعة** ومشيختها ، فسرت سليقتهما اللغوية وذوقهما الأدبي في سائر أبناء الجامعة .

وإنّ كلا من إمام العصر الشيخ **محمد أنور شاه الكشميري** والشيخ العلامة **شبير أحمد العثماني** والشيخ **إعزاز علي** والشيخ **حبيب الرحمن العثماني** كانوا إلى جانب تفوّقهم في المعارف الإسلامية المتنوعة أدباء متذوقين، وكتّابا قديرين تشهد على براعتهم في الأدب مؤلفاتهم وبحوثهم العلمية .

وقد كانت للشيخ **حبيب الرحمن العثماني** مقدرة فائقة على قرض الشعر، له قصيدة بديعة في نعت النبي ﷺ تعرف بـ "**لامية المعجزات**" .

وأمّا الشيخ **إعزاز علي** فقد انتهت إليه الرئاسة في الأدب في عصره فكان يلقب بـ "**شيخ الأدب**" وانه قد قام بمجهود ضخم في خدمة اللغة العربية تدريساً وتأليفاً ، علق على كل من "**الحماسة**" و"**ديوان المتنبي**"، وكتب أخرى باللغة العربية الفصحى العذبة .

وقد نال كتابه "**نفحة العرب**" تقديراً في الأوساط العلمية والأدبية وأدخله عديد من الجامعات في المقررات الدراسية .

وأمّا مؤلفات العلامة المحدث **محمد يوسف البنوري** والشيخ **محمد إدريس الكاندهلوي** ، والشيخ **بدر عالم الميرتهي** ، والعلامة **حبيب الرحمن الأعظمي** في علم الحديث وموضوعات أخرى فتدل على نبوغهم وبراعتهم في الأدب وقدرتهم الفائقة على الكتابة في أسلوب علمي رصين .

وقد أعدَّ **علماء الجامعة** معاجم عربية جديدة ، من أهمها : "**بيان اللسان**" و"**قاموس القرآن**" كلاهما للشيخ القاضي **زين العابدين الميرتهي**، وهما يشهدان لبراعة المؤلف ونبوغه .

وقامت "**ندوة المصنفين**" (المجمع العلمي المعروف) بنشر "**لغات القرآن**" في مجلدات ضخمة، ساهم في إعدادها الشيخ **عبد الرشيد النعماني** والشيخ **عبد الدائم الجلالي** .

وقد لقي "**مصباح اللغات**" للأستاذ عبد الحفيظ البلياوي - من ***علماء الجامعة*** - تقديراً واعجاباً في جميع الأوساط ، ظل رحمه الله مدة أستاذاً للأدب العربي في "**دارالعلوم ديوبند**" و" **دارالعلوم ندوة العلماء**" بلكهنؤ ، وله تعليقات وجيزة على **مختارات الشيخ أبي الحسن النّدْوي** ، **وقاموس أردو- عربي** وجيز ، وأعمال أخرى أدبية ولغوية .

أمّا قواميس اللغة العربية المعاصرة ومعاجم لغوية جديدة ، فلفضيلة الشيخ الفقيد **وحيد الزمان الكيرانوي** كانت مقدرة فائقة وولع خاص بإعدادها، فقـام فضيلته بتأليف عدة قواميس نالت قبولاً وإعجاباً ؛ لما فيها من مادة لغوية غزيرة ومصطلحات عصرية يحتاج إليها كل باحث ودارس ، بل عمله هذا يحيط بحياته بحيث أنه طيل حياته لم يزل يبذل جهوده في تأليف هذه القواميس وتحسينها ، وتهذيبها ، وإلحاق زيـادات مفيدة بها وإخراج الطبعات المتكررة لها .

وله كتاب بديع ألّفه على منهج جديد مبتكر لتعليم اللغة العربية للجيل الناشئ ، كما أنه له مؤلفات بالعربية صارت من المقررات الدراسية في **دارالعلـوم** والمدارس التابعة لها .

وإليه -خصوصاً- يرجع الفضل في ترويج هذه اللغة الكريمة في رحاب الجامعـة وبين طلابها ومتخرجيها عموماً ، بإقامة نواد أدبية عربية ، ومحافل شعرية ، وإجـراء مجلات خطية ونحوها من الجهود المشكورة المقبولة .

وكان يتولى رئاسة التحرير لمجلة "**دعوة الحق**" الفصلية الصادرة من **دارالعلوم** بل إنه كان مُنْشِئُها ، وكان مشرفاً على جريدة "**الكفاح**" الصادرة من جمعية علماء الهند، وجريدة "**الداعي**" الشهرية التي لا تزال تصدر من **دارالعلوم**، وهي حلقة من الأعمال المجيدة التي قامت بها **دارالعلوم** في هذا المجال ، وتقوم هذه الجريدة بنشر اللغة العربيـة عن شتى الأساليب - فهي أيضاً من ثمراته وجهوده المبذولة بصدد ذلك .

ولعلماء دارالعلوم مؤلفات في قواعد اللغة العربية في اللغات المختلفة ، فليس في وسع أحد أن يقوم بإحصائها من كتب ورسائل ، وتعليقات وحواش وشروح .

أمّا مجال الشعر العربي فنجد **علماء الجامعة** ومشيختها منذ بداية العهد يحملـون ذوقاً أدبياً رفيعاً يقرضون الشعر بالعربية ، ويتجاذبون أطراف الأناشيد في المناسـبات

التي تجمع أمثالهم من العلماء والأدباء المحتشمين ، ومع أنهم يتمثلون بقول **الإمام الشافعي** رحمه الله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ويتجنبون ما يمس كرامتهم ، غير أن أشعارهم تفيض رقة وعذوبة وبلاغة ، فكم لهم من قصائد رنانة ، ومراثي مفتتة للقلوب، المدمعة للعيون جادت بها قرائحهم، لوجمعت في ديوان لكانت زاداً كريماً للأدب العربي، وتحفةً نادرة للشعراء ورواد الأدب.

نجد لمؤسس الجامعة الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** رحمه الله قصائد عربية، ولتلميذه النابغ حكيم **رحيم الله البجنوري** قصائد عديدة في الوصف والمديح والرثاء والحنين ، ولإمام العصر الشيخ **محمد أنور شاه الكشميري** كتاب بديع في إثبات حدوث الكون يشتمل على أربعمائة بيت باللغة العربية، وهي تدل على مقدرته الفائقة في قرض الشعر، وكيف لا ، وهوالذي قد شم في أشعاره بعضُ الأدباء العرب النابغين رائحةَ أدب العصور الأولى .

وقد عرف الشيخ **محمد يوسف البنوري** والعلامة الفقيه الأديب **محمد شفيع العثماني**، والشيخ العلامة **محمد إدريس الكاندهلوي** بقرض الشعر العربي، ولهم قصائد طويلة مع اشتغالهم ليل نهار في خدمة الحديث والفقه، وقيامهم بالتأليفات النادرة في موضوعات علمية .

ولواستعرضنا أشعار الشيخ الأديب العلامة **إعزاز علي** ، والأديب البارع الشيخ **عبد الحق المدني** ، والشيخ العلامة **ظفر أحمد العثماني** ، والشيخ العلامة **حبيب الرحمن العثماني** صاحب لامية المعجزات، والشيخ المفتي **كفاية الله الدهلوي**، والشيخ **عزيز الحق الجاتكامي** ، وسماحة رئيس الجامعة السابق الشيخ **محمد طيب القاسمي** صاحب "**نونية الآحاد**، والشيخ المفتي **جميل أحمد التهانوي** -

لنجد أنهم قد سبقوا كثيراً من الشعراء المولدين ، وبعض قصائدهم تحمل صبغة فنيـــة ربما لا نجدها عند كثير من المنقطعين لقرض الشعر .

ومن أهم مؤلفاتهم في الشعر العربي كتاب الشيخ **أشرف علي التهانوي** "كلام الملوك" في مجلدين ، جمع فيه ما وقف عليه من أشعار الصحابة رضي الله عنهم متفرقة في الكتب غير ما جاء في دواوين لبعضهم مع تعليقات مفيدة .

وهذه هي لمحات خاطفة وسريعة عن عناية **علماء الجامعـــة** باللغـة العربيـة، وخدماتهم اللغوية تشمل بعض النواحي الأخرى ، فالأديب البارع والمحدث الجليـــل الشيخ محمد **إدريس الكاندهلوي** قام بشرح **المقامات للحريري** باللغة العربية بطريقـة مبتكرة ، كما قام غيره من **علماء الجامعة** بخدمة بعض الكتـــب الأدبيـة بالشـرح والإيضاح ، أوالتعليق والتحشية ، وقد تقدم ذكر بعض ذلك.(١)

(١) انظر جريدة (الداعي) العدد الخاص ،ص: ٣١-٣٤

(٦)

علماء ديوبند

والتيارات المعادية والفرق المنحرفة

وقد كانت لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية، وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب، ومحاربة البدع والخرافات، وبث الروح الدينية في الجماهير، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً .وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع، وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة، والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر

العلامة النّدْوي

[أضواء على الحركات والدعوات الدينية...ص:٢٤]

فقد تكفّل حركةَ نشر العقيدة الصحيحة في التوحيد واتباع السنّة والتجنّب عن الأعمال الشركية، والغلو والمبالغة في التعظيم، مدرسةٌ عقائديةٌ، تعليميّةٌ، تربويةٌ، قياديّةٌ، تُعرف -بشكلٍ عام وإطارٍ واسعٍ- بـ "مدرسة ديوبند"، قد قاد هذه الحركةَ الإيجابيةَ، الإصلاحيةَ، والبنّائيةَ، والتربويةَ، والنشريةَ، على مستوىً شعبيٍّ، توجيهيٍّ، واستدلاليٍّ، علميٍّ، قويٍّ وواسع "معهدُ ديوبند" مؤسّسوه و منشئوه والمتخرّجون منه، والمنتمون إليه، وقد أملتهم - في الانتصار والانتماء إليهم و الاعتزاز بهم - قيادةُ المنتمين إلى ديوبند وقادة حركتها وإدارتها، لحركة تحرير البلاد، ومحاربة السلطة الإنجليزية والاستعمار، ثم استقامتُهم في الدين، وتجرُّدهم عن المطامع والشهوات بصفة غالبة، وصلاحُهم واستقامتهم على السنّة، ونفورُهم عن البدع والمحدثات، وإنكارُهم الصريحُ القويُّ على ما شاع في شبه القارة الهندية من تقليد غير المسلمين في إطار المهرجانات، والأعياد والمواسم، وزيارة المشاهد وتقديسها، ولُقّبوا بـ "الوهابية"، وقوطع كثيرٌ منهم، وحوربَ حرباً شعواء، ولكن لم يُضعف كلُّ ذلك من صمودهم، واستقامتهم وصراحتهم واعتزازهم بعقيدتهم، والثبات على موقفهم.

العلامة الندوي

من مقدمة الكتاب

مقاومة الفتن - ومواجهة المحن

دفاعاً عن الدين وصيانة للمسلمين

لقد وفّق الله تعالى - بل الحق أنه أكرم - هذه الجماعة بـالتوفيق لـلرد على جميع الفتن- القديمة والحديثة - التي تعلقت بأذيال الإسـلام كالشيعة الشنيعة والمعتزلة وكالقاديانية والنياجرة ونحوها ، فإنهم ردّوا عليهم بجميع إمكانياتهم ووسائلهم من غير مبالاة بالعوائق بل كـابدوا في سـبيل ذلـك الشدائد ، وواجهوا المصائب بطلاقة الوجوه وطراوة القلوب ، اعتقادا منهم بما ورد عن النبي ﷺ :

"هل أنت إلا إصبع دميت - وفي سبيل الله ما لقيت"

فإنّ ***لعلماء ديوبند*** جهوداً مشكورةً ومساعي حميدة في نشر عقيـدة التوحيد، والدفاع عن الدين، وإصلاح المجتمع، ومحوالبدع وآثار الشرك، ولهم مواقف نبيلة في مواجهة الفتن، والرد على التيـارات المعاديـة ، والفـرق المنحرفة - القديمة منها والحديثة - وإزالة الشبه المثـارة حـول الإسـلام، وتصحيح المسار الفكري للأمة. وكل عنوان من هذه العنـاوين بحاجـة إلى استعراض مفصل، ودراسة متأنية لتقدير جهودهم في هـذا المجـال ومـدى نجاحهم وتأثيرهم في الأمة الإسلامية في الهند . ونكتفي هنا بإشارة موجزة إلى هذه الجهود المتنوعة.

موقفهم من الفرق المنحرفة

أ- الشيعة:

أخص بالذكر هنا مآثرهم وأعمالهم ضد الفتن الحديثة . أمّا الفتن القديمة والفرقُ المعروفة ، فقد وُجد فيها كلام كثير قديماً وحديثاً ، ولا يخلو كتاباتهم - أي **علماء ديوبند** - ومحاوراتهم أيضاً عن الردِ عليها ، لاسيما الشيعة والروافض الذين توجد منهم كثرة كثيرة في هذه البلاد، وهم لم يزالوا لايألون جهدا في إثارة الفتن، والسعي للفساد ، فلذا توجّه علماؤنا إلى هذه الفرقة خاصة فذكروا مفاسدهم ومكائدهم وخبث عقائدهم ، وجادلوهم بالحق.

ومن أهم مؤلفاتهم في الكلام حول هذه الفرقة - والرد عليها - "**هدية الشيعة**" و" **آب حيات**" للشيخ النانوتوي ، وقد تاب على يديه - رحمه الله - عدد كثير من الشيعة من مذهبهم .

ومنها: "***هداية الشيعة*** " للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و" ***إبطال أصول الشيعة بالدلائل العقلية والنقلية*** " للشيخ رحيم الله البجنوري و"***مطرقة الكرامة على مرآة الإمامة*** " و"***هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد***" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"***حقيقة الشيعة***" للشيخ رشيد أحمد اللديانوي .

ومن الذين سبقت لهم السوابق في هذا المجال من ***علماء ديوبند*** الشيخ **عبدالشكور الفاروقي اللكنوي** وأولاده وأنجاله وأحفاده ، أنقذ الله بهم كثيراً من أهل

السنة – من سكان لكهنؤ ونواحيها – الذين كانوا لا يتميزون عنهم– عن الشـيعة – في بدعهم وخرافاتهم ، فأخرجهم الله بجهود الإمام الفاروقي من الغي والضـلال ولله الحمد. (١)

ومن أهم مؤلفاتهم في بيان مذهب الشيعة والرد عليهم:

"*بطلان عقائد الشيعة*" للعلامة عبد الستار التونسوي، و"**الثورة الإيرانيـة في ميزان الإسلام**"للعلامة محمد منظور النعماني، و"**صورتان متضادتان لنتائج جهـود الرسول الأعظم ﷺ** " لسماحة الإمام النّدْوي، وقد ترجمت الكتب الثلاثة إلى عـدد من اللغات الأجنبية والمحلية .

الآرية:

وهي "فتنة الهنادكة المعروفين بـ "آرية" فإنه لما قام دعاة التنصير وأقاموا أسواقهم في أنحاء البلاد الهندية ، طمعت جماعة من الهنادكة – وهم من غلاتهم – في إيمان عامة المسلمين الغرّ الغافلين ، فوقفوا ضد الإسلام ، وتحدوا أهل الإيمان ، اقتداءً بالنصـارى حذوالنعل بالنعل.

---

(١) يقول **الشيخ النّدْوي** في سيرته الذاتية: "في مسيرة الحياة" متحدثاً عن تأثر الجوالعام في مدينـة لكهنؤ وضواحيها بالتشيع: " كان ممنوعاً قانونياً أن يهتف باسم الخلفاء الراشدين علنـاً، أو أن ينشد قصيدة في مدح الصحابة في احتفال شعبي أو مظاهرة عامة، مراعاةً لعواطف الشيعة الذين يعتبرون ذلك جرحاً لشعورهم وتحدياً لعقيدتهم، وكان لايزال لهم نفوذ في البلد الذي حكمـود قرناً ونصف قرن تقريباً، وقد تحدّى هذا القانون العالم الكبير مولانا **عبد الشـكور الفـاروقي** وحدث بعض تعديل في القانون..." [في مسيرة الحياة١/ ١٥٣]

وتصدى لهم علماء الإسلام ، وناظروهم وأظهروا صدق الإسلام ، وكـــان في طليعة هؤلاء العلماء الشيخ الإمام **محمد قاسم النانوتوي**، [١] ومن أشهر المنـــاظرات معهم مناظرة الشيخ النانوتوي مع رئيس صناديدهم ، فقد ناظرهم وقاومهم بقلمـــه ولسانه ، وكان من مآثره في ذلك قيامه في الجمع العظيم في بلدة شاهجهانبور وإظهار حقانية الإسلام على رؤوس الأشهاد ، وإقامة الحجة عليهم ، ودفع الباطل، وله قصص معروفة مع صناديدهم.

ومازال ***علماء ديوبند***- ولله الحمد- متحمسين ومتيقّظـــين لـــلرد عليهـــم ولمقاومتهم، فإنّ الهنادك-منذ ذلك الزمن-لا تزال تتربص فرصاً، تصيد بها عامـــة المسلمين ، الغرّ البله، البعيدين عن مراكز العلم والإسلام، المحرومين عن مصاحبـــة العلماء الأعلام.

وأمّا الفتن الحديثة فمنها ما سيذكر - في الصفحات القادمة - بنوع تفصيل تقتضيه خطورة الموضوع وخصوص الظروف، و منها ما يذكر فيما يأتي بإيجـــاز واختصار:

---

(١)ومن الأمانة العلمية هنا لابد من تسجيل مواقف **الشيخ ثناء الله الأمرتسري** من كبـــار علمـــاء جماعة أهل الحديث - **وهو الآخر من المتخرجين في دارالعلوم ديوبند كما ذكر ذلك بـــاعتزاز في سيرته الذاتية في أول رسالته المسماة" مذهب أهل الحديث" وانظـــر ص(٧٨) مـــن هـــذا الكتاب**- في الرد على " الآرية " والدفاع عن الإسلام والمسلمين، كما كـــانت لـــه جهـــود مشكورة في الرد على الفرق المنحرفة المنتسبة إلى الإسلام من **الشيعة والقاديانية** وغيرهم، ومـــن أهم مؤلفاته -رحمه الله - في الموضوع كتاب: "تقابل ثلاثة" فإنّه قارن فيه بين ما جاء في القرآن الكريم من التعاليم والمعالم وبين ما جاء في كل من الإنجيل والويد| أوفيدا - وهو كتاب الهنادك المقدسة| .

النياجرة:

"النياجرة" (١) كانوا ينكرون المعجزات ويحرفون القرآن ويعبرون عن الإسلام حسب ما تهوي أنفسهم ، فرد عليهم العلماء والمشايخ،وألفوا في ذلك كتبا أظهروا فيها أباطيلهم .

ومن الكتب التي ألفت في الردعليهم رسالة **"نموذج من معتقدات أهل العوج"** ألّفها الشيخ أشرف علي **التهانوي**،وهي منشورة في المجلد السادس من فتاواه، ورسالة أخرى **"البرهان على تجهيل من قال بغير علم في القرآن"** للشيخ محمد علي البجرايوني.

البهائية:

"البهائية" ينتسبون إلى باب الله وبهاء الله، وإنهم أبطلوا بقاء الشريعة المحمدية والعمل بالقرآن الكريم، وجاءوا بدين جديد وادَّعوا نبوة مستقلة ، فقام بالرد عليهم الشيخ **التهانوي** السالف ذكره وكتب رسالة أبطل فيها دلائلهم وسمّاها بـ **"الحجة النهائية على المحجة البهائية"**، وكتب الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي رسالة **"رفع الحجاب عن كيد البها والباب"** .

جماعة خاكسار:

وهي **"فتنة عناية الله المشرقي"** الذي أسّس جماعة وسمّاها **"خاكسار تحريك"**، [وهي حركة كانت تقوم على المناورات العسكرية، كان شعارها"المسحاة" وقائدها

---

(١)"النياجرة" جمع نيجري ، وهومنسوب إلى نيجر (NATURE) - أي الطبيعة - وهؤلاء كانوا يقدمون الطبيعة على أحكام الإسلام، وكانوا يعرضونها على طباعهم وعقولهم وهم كانوا أقرب إلى المعتزلة (هامش العناقيد الغالية ص ٢٨٧).

العلامة عنايت الله المشرقي، الذي تثقف بالثقافة الغربية، وتخرج في جامعات باريس ولندن المشهورة، وكان صاحب اختصاص في العلوم الرياضية، وتأثر بالنفوذ الغربي، وسيادته في العصر الحاضر تاثراً عميقاً، واقتنع بأنّ القوة والنظام هما المقياس الحقيقي للحق والمكانة عند الله، ودرس الحركة النازية بصفة خاصة، وأراد أن يقلدها في الهند في إعادة مجد المسلمين ، وكانت حركة متطرفةً تنتقد العلماء ، وتعتبر كثيراً من الشعائر الإسلامية والأفكار الدينية "**رجعية**"(١)] وألّف كتابا باسم "**التذكرة**" وملأه بالإلحاد والزندقة، فقام ***مشايخ ديوبند*** بالرد عليه، وألفوا في ذلك كتبا ورسائل ، ومقالات وبحوثاً في الجرائد، ودعوه إلى البحث والمناظرة، وممن رد عليه الشيخ محمد منظور النعماني في كتابه: "**حركة خاكسار في ضوء الكتاب والسنة**" .

إنكار الحديث:

"**فتنة إنكار الحديث وحجّيته**" ليست في الحقيقة فتنة حديثة العهد،لكنها ظهرت في أساليب جديدة مع دعاوي قديمة ، فنشأ في شبه القارة رجال أنكروا حجية الحديث وجاءوا بحجج سخيفة يغرّون بها الرجال ، وتسمى بعضهم - كذباً وزوراً - بلقب "**أهل القرآن**"، فقام ***علماء ديوبند*** بالرد عليهم، وأبطلوا دعاويهم، وشنوا الغارة على حججهم ومزعوماتهم، ومن مؤلفاتهم في الموضوع "**نصرة الحديث**" للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي،و"**حجية حديث**" للشيخ محمد تقي العثماني، و"**كتابة حديث**" للشيخ محمد رفيع العثماني،و"**تدوين حديث**" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني و"**الدراسات في الأحاديث النبوية**" للدكتور مصطفى الأعظمي . و"**فتنة إنكار الحديث**" للشيخ رشيد أحمد اللديانوي (٢).

---

(١) في مسيرة الحياة للإمام النّدْوي ١/ ١٥٥

(٢) تناول هذه الفرقة - وغيرها من منكري الحديث في شبه القارة الهندية- الباحث خادم حسين في =

الجكرالوية:

"*الجكرالوية*" فرقة تنسب إلى عبد الله الجكرالوي –من سكان بنجاب إحدى ولايات الهند – وله كتاب "**برهان الفرقان على صلوة القرآن**" تصدّى فيه لبيان معتقداته – منها إنكار الحديث وحجيته، ومنها إنكارَ صلوة العصر، وإنكار صورتها المعهودة المأثورة المتواترة – رد عليهم الشيخ المفتي **محمد شفيع العثماني** في رسالته "**أصول التكفير**" .

الآغاخانيون:

"**الآغاخانيون**" – ينتسبون إلى آغا خان، ويعبدون صورته ويعتقدون فيه الحلول، وينكرون الصلاة المعهودة، وللشيخ **التهانوي** رسالة في الرد عليهم بعنوان: "**الحكم الحقّاني في الحزب الآغاخاني**".

وهناك فرق أخرى لا تزال تظهر للناس ، وتفشوهفواتهم وضلالاتهم بينهم ، فلا يغفل عنهم هؤلاء العلماء ، بل حالهم في ذلك كما ورد في المأثور عنهﷺ : "**مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ**..."(١).

فهم بعد علمهم ومعرفتهم بمثل هذه الأمور – ووقوفهم بهده الفتن لا يَقِرّ لهم قرار، ولايسكن لهم جأش ما لم يبذلوا أقصى جهودهم وإمكانياتهم في دمغها وقمعها ، سواء في ذلك كبيرهم وصغيرهم ، شرخهم وشيخهم، بل إنهم بفضل الله تعالى – دائماً– يكونون في طليعة من يتصدّى للرد على كل فتنة حديثة العهد كانت، أم حديثة الصورة والأساليب وإن كانت قديمة الأصل.

= رسالته لنيل درجة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١)أخرجه مسلم (٣/١٥٠٣)عن أبي هريرة في كتاب الإمارة باب: فضل الجهاد والرباط

وسنتناول في الصفحات القادمة جوانب من جهودهم المتواصلة في التصدي للتيارات المعادية والفرق المنحرفة، والرد عليهم بشيء من التفصيل

وستناول في الصفحات القادمة
جوانب من جهودهم المتواصلة في التصدي للتيارات
المعادية والفرق المنحرفة، والرد عليهم
بشيء من التفصيل

أ

علماء ديوبند

ومواجهة التنصير والتبشير

وكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول تحديات التبشير -وبالأصح التنصير- التي وجهت إلى شبه القارة الهندية، بعد قيام الحكم الإنجليزي المسيحي، المنتصر الثائر الموتور، أن وضعت أفضل الكتب وأقواها في الرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد "التوراة والإنجيل" في الهند، فقد واجه الشعب المسلم الهندي الدعوة المسيحية وجهاً لوجه، وخاض هذه المعركة قبل أن يواجه هذه الدعوة ويخوض هذه المعركة شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي.

وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية -لا الدفاعية- خيرة رجال هيأوا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق الذي تشاغل المسلمون عنه "العلماء والمؤلفون" قروناً لعدم توفر الدواعي وما يضطر إلى ذلك، في مقدمتهم وعلى رأسهم العلامة

المجاهد الشيخ رحمت الله الكيرانوي

وقد تهيأت عنده جميع المؤهلات العلمية والجدلية والوهبية لإنجاز هذا العمل..

العلامة الندوي

علماء ديوبند

ومواجهة التنصير والتبشير

نقد النصرانية على الأسس العلمية

وكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول تحديات التبشير -وبالأصح التصيير- التي وجهت إلى شبه القارة الهندية، بعد قيام الحكم الإنجليزي المسيحي، المنتصر الثائر الموتور، أن وضعت أفضل الكتب وأقواها في الرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد "التوراة والإنجيل" في الهند، فقد واجه الشعب المسلم الهندي الدعوة المسيحية وجهاً لوجه، وخاض هذه المعركة قبل أن يواجه هذه الدعوة ويخوض هذه المعركة شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي.

وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية -لا الدفاعية- خيرة رجال هيأوا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق الذي تشاغل المسلمون عنه "العلماء والمؤلفون" قروناً لعدم توفر الدواعي وما يضطر إلى ذلك، في مقدمتهم وعلى رأسهم العلامة

المجاهد الشيخ رحمت الله الكيرانوي

وقد تهيأت عنده جميع المؤهلات العلمية والجدلية، والوهبية لإنجاز هذا العمل..

العلامة الندوي

الإسلاميات، ص ٣٢٧

وقد كانت وفود المنصّرين تتوالى على البلاد الإسلامية، خاصة التي كانت السلطة السياسية فيها للمستعمرين، وأخذ المنصّرون في تنفيذ مخطّطاتهم وراحوا يرتعون في البلاد، ويعقدون المحاضرات والندوات، ويؤلّفون الكتب التي يبثون عن طريقها أفكارهم ومعتقداتهم، وأخذوا يشكّكون المسلمين في إسلامهم وقرآنهم، ويسبون رسولهم محمداً ﷺ.

وكان من أكابرهم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري في الهند شخص يدعى "فندر" تزعّم النشاط التنصيري في شبه القارة الهندية فترة من الزمن. ونال من المسلمين ومعتقداتهم ما لايعلمه إلا الله.

فانبرى للتصدي له ولأمثاله كبار علماء المسلمين في ذلك الوقت، ومنهم الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، الذي نذر نفسه للدفاع عن الإسلام لما رأى تطاول المنصّرين وتماديهم في سب الإسلام ورسوله - ﷺ - والطعن في القرآن الكريم، فأخذ يدرس الديانة النصرانية دراسة فاحصة، حتى بلغ مرتبة عالية جعلته في طليعة المجاهدين في ميدان الرد على النصارى ودحض مخطّطاتهم.

وطلب مناظرة زعيم المنصّرين " فندر" المذكور مراراً وألزمه الاعتراف والتسليم له في كل مناظراته، وقد طُبعت مناظرته الكبرى للمذكور بتحقيق فضيلة الدكتور محمد عبد القادر ملكاوي.

ثم توّج فضيلة الشيخ رحمت الله أعماله بتأليف هذا الكتاب " إظهار الحق" الذي جاء برهاناً على سعة اطّلاعه على كتب القوم، ومقدرته المتميزة على تفنيد مزاعمهم، وإبطال معتقداتهم من واقع كتبهم.

د/ عبد الله بن أحمد الزيد

الوكيل المساعد للطباعة والترجمة

بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

في التقديم لكتاب إظهار الحق المنشور من الرئاسة. الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

علماء ديوبند
في مواجهة التنصير والتبشير

"في سنة ١٨٥٧م ثار مسلمو الهند ثورة عظيمة للتخلص من الإنجليز لكن أخفقت هذه الثورة ، وحلّت الحكومة الإنجليزية محلّ شركة الهند الشرقية ، فكان الأمر أشد ، وأصبحت الهند تحت حكم بريطانيا المباشر ، وكُوّنت الإمبراطورية الإنجليزية، وتسرّب اليأس إلى نفوس المسلمين، وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم ، وضعفت روح المقاومة ، وهاجر كثير من العلماء ورجال الدين إلى الحجاز ، وأصبحوا يعتقدون أن الحكم الأجنبي في الهند ضربة لازب، وانبث دعاة المسيحية والقسيسين في القرى والمدن يدعون إلى المسيحية علناً ، ويُشنّعون على العقيدة الإسلامية والشريعة المحمدية، ويعلنون أن دولة الإسلام قد زالت ، وأن عهده قد انقضى، ودخلت الهند في الحكم المسيحي ، فليتهيأ المسلمون لاستقبال هذا الحكم ، وليَقبلوا على دين الحكومة ، وطبقت الحكومة نظام التعليم المدني ، وهويهدف إلى تخريج طراز من الناشئة لايصلح إلاّ لإدارة جهاز الحكومة الإنجليزية وتنفيذ برامجها، وكثيراً ما كان أفراد الجيل الجديد ينسلخون عن الإسلام انسلاخاً كليا - ويثورون على الحضارة الإسلامية والديانة الإسلامية بتأثير التعليم والتربية في مدارس الحكومة التي كان يديرها الإنجليز أوأشباه الإنجليز" (١).

---

(١) "الدعوة الإسلامية في الهند" ص ٣٠ و٣١

فبرز ***علماء ديوبند*** – أوائلهم وطليعتهم – لكل ذلك بكل بسالةٍ وجرأة، فناظروا هؤلاء الدعاة والقسوس وأظهروا لهم صدق الإسلام، وأجابوا عن جميع مطاعنهم على الإسلام والقرآن، فبكّتوهم وأفحموهم بل ألجأوهم إلى الإقرار والاعتراف بأنهم على الباطل.

ومن أشهر مناظراتهم مناظرة الشيخ ***محمد رحمت الله الكيرانوي*** المهاجر، ومناظرة ***الشيخ النانوتوي محمد قاسم***، مؤسس ***جامعة ديوبند***، والأول هوالذي أسّس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ، وكان لغير هذين الشيخين من العلماء أيضاً مناظرات ومعارك مع النصارى .

وحرّض الشيخ **النانوتوي** تلامذته على ذلك، وأمرهم أن يخرجوا إلى الأسواق والمجامع يعظون الناس، ويردون على دعاة النصرانية الذين كانوا من كل جانب ينسلون وكلّ نادٍ يقصدون.

وأمر الشيخ محمد رحمت الله أظهر وأشهر من أن يذكر فإنّه صاحب كتاب "إظهار الحق" الذي لا يزال يطبع منذ قرن ونصف قرن تقريبا وهوبالعربية(١)،

يقول فيه الشيخ أبوالحسن النّدْوي :

"لقي خصومه على يده من الهزيمة والانتكاص ما لم يلقوه من قبل، وانتهت إليه الرئاسة في هذا الفن في القرن الرابع عشر الهجري، وطبقت شهرته الآفاق وسلّم له معاصروه وأقرانه وعلماء العالم الإسلامي بالإمامة والزعامة في هذا الموضوع" (٢).

---

(١) قد تكررت طبعات هذا الكتاب من جهات إسلامية مختلفة، وقد تولّت طبعَها- محققّة ومع تعليقات نافعة في أربع مجلدات – وتوزيعَها في الفترة الأخيرة **الرئاسةُ العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية**، كما نشرت اختصاراً للكتاب أيضاً في مجلد واحد.

(٢)تقديم الشيخ أبي الحسن النّدْوي لكتاب **"إظهار الحق"** طبعة قطر، ص: ٥م و١٦م و١٧م

ويقول عن كتابه :

"أثنى على الكتاب وعلو مكانته كبار العلماء في الشرق العربي منهم الشيخ **عبدالرحمن بك** باجه جي زاده في كتابه **"الفارق بين المخلوق والخالق"**، ومنهم الشيخ **عبد الرحمن الجزيري** عضوهيئة كبار العلماء في مصر في كتابه **"أدلة اليقين"**، والعلامة **السيد رشيد** رضا منشئ مجلة "المنار" في تقديمه **لإنجيل برناباس** ترجمة الدكتور خليل سعادة المسيحي، والأستاذ **عمر الدسوقي** – في مقدمة كتاب **"إظهار الحق"** .

أمّا الأوساط النصرانية الأوربية فناهيك بما كتبته كبرى صحف إنجلترا تعليقا على هذا الكتاب:

" ولودام الناس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم." (١)

واشتهر من مناظرات الشيخ **رحمت الله** – مناظرته مع فندر بـ" **مدينة آكره"** الهند، وقد انسحب فندر أخيراً عن ميدان المناظرة .

كما اشتهر من مناظرات النانوتوي مناظرته مع القس تاراجند – بدلهي ، ومع القس نولس ببلدة شاهجهانبور مرتين فغلب الشيخ وانتصر على خصومه .

وللشيخ الكيرانوي عدة كتب في الموضوع فمنها بالعربية **"إظهار الحق"** و**"البروق اللامعة"**، و**"تقليب المطاعن"** ، وبالفارسية **"إزالة الأوهام"** ، وبالأردية **"إزالة الشكوك"** في مجلدين، و**"أحسن الأحاديث في إبطال التثليث"**، و"الإعجاز العيسوي"، و **"معدل اعوجاج الميزان"** و**"معيار التحقيق"**.

يقول الدكتور محمد أحمد عبد القادر ملكاوي محقق كتاب إظهار الحق:

"تنبّه الشيخ **رحمت الله** لأخطار التنصير المحدقة بمسلمي الهند، ولضخامة الجهود التي يبذلها المنصّرون بمساعدة الاستعمار الإنجليزي، فترك وظيفته في التدريس وتفرّغ

---

(١)تقديم الشيخ أبي الحسن النّدْوي لكتاب "إظهار الحق"

لمقارعة المنصّرين والرد عليهم بالقلم واللسان، فدرس النصرانية في مصادرها الأصلية حتى فاق علماءها المتخصّصين فيها، ثمّ بدأ يؤلف كتبه للردّ على المنصّرين، ولذلك تركّزت معظم مؤلّفاته في هذا المجال، ولما تمتاز به مؤلفاته من تحقيق علميّ وتدقيق لم يُسبق إليه، كان الشيخ رحمت الله في عصره أستاذ الهند - بلا منازع - في علم مقارنة الأديان والرد على النصارى.

ولم يقتصر على التأليف، بل أسّس مراكز لتدريب الدعاة المسلمين على مقاومة التنصير، وكان لهذه المراكز الأثر الكبير في نفوس المسلمين وتبصيرهم بأهداف التنصير، وقد سجّل التاريخ ماكان لهؤلاء الدعاة من مواقف حاسمة في وجه افتراءات المنصّرين على الإسلام ، فكانت هذه المراكز هي البذرة الصالحة والقاعدة الصلبة لجميع جمعيات حماية الإسلام في الهند فيما بعد.

ثمّ سلك أسلوب المناظرات مع كبار المنصّرين الوافدين إلى الهند، وذلك لأنّ المنصّرين فيها كانوا قد بلغوا في هجومهم على الإسلام وتبجّحهم بدينهم مبلغاً عظيماً، حتى تجرّؤوا على مطالبة المسلمين علناً بنبذ دينهم ، وزعموا أنّ علماء المسلمين لايستطيعون الوقوف في وجههم والرد عليهم، فرأى الشيخ رحمت الله أنّ أسلوب المناظرات التقريرية يكون نافعاً في كبح جماحهم وإبطال أثر ادّعاءاتهم..." (١)

ومن الذين تصدّوا لذلك من العلماء فيما بعد الشيخين الجليلين الشيخ **محمد علي المونكيري** مؤسس **ندوة العلماء** ، وكان من الذين تلمذوا على الشيخ أحمد علي السهارنفوري - أحد مشايخ الشيخ النانوتوي وغيره، ومن مؤسّسي ***جامعة دارالعلوم وجامعة مظاهر علوم*** - ومن الذين ارتووا من مناهل الشيخ النانوتوي أيضاً.

---

(١)مقدمة المحقق لكتاب إظهار الحق - المنشور من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية- الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص: ١٦-١٧

فقد ألّف الشيخ **محمد علي المونكيري** في ذلك عدة كتب ، إلا أنها كلها بالأردية منها **"آئينة إسلام"** ، و**"مرآة اليقين"** ، و**"ترانه حجازى"** ، و**"دفـع التلبيسـات"** ، و**"ساطع البرهان"**، و**"براهين قاطعة"**، وأشهر مؤلفاته في الموضوع **"بغـام محمـدي"** [الرسالة المحمدية]وهو في مجلدين ، ولأحد أصحابه ومساعديه في هـذا السبيل ، وهوالشيخ "مولا بخش" - كتاب **"مراسلات مذهبي"**، ***وقدقيل في العلامة المونكيري أنه لم يكن له نظير - بعد العلامة الكيرانوي - في الموضوع.***

ومما ألّفه علماء ديوبند في الموضوع أيضاً كتاب" **ماهي النصرانيـة**" للعلامـة العبقري القاضي **محمد تقي العثماني** ، وهو في الأصل مقدمة للترجمة الأردية لكتاب إظهار الحق، ثم نشره المؤلِّف مفرداً تحقيقاً لرغبة العلماء والمحققين ، وعلى رأسهم العلامة الداعية الإمام أبوالحسن علي النَّدْوي، **يقـول - النَّـدْوي - حفظـه الله في تقديمه للكتاب المذكور:**

" ولمّا اطّلع كاتب هذه السطور على هذه المقدّمة العلمية المستفيضة التي تقـوم مقام كتاب، كتب إلى صاحبها الأستاذ(محمد تقي العثماني)، يبدي إعجابـه بهـا، ويقترح عليه الإسراع في نقلها إلى اللغتين الإنجليزية والعربية لقيمتها العلمية والدعوية ، ولأنها منيرة للعقول والأذهان، كاشفة لحقيقة الديانة المسيحية ، قد تكون وسيلة - إذا حالف التوفيق الإلهي وزال غطاء العصبية - للتفكير الجاد العميق ، والاهتداء إلى الدين القويم والصراط المستقيم." (١)

وأستحسن أن أختم هذا المبحث باقتباسٍ طويلٍ من كلام شيخنا أبي الحسن النَّدْوي في كتابه الرائع: **الإسلاميات** [أو "الإسلام والمستشرقون"] يقول سماحته:

---

(١) النُّدْوي شخصيات وكتب طبعة دارالقلم دمشق ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص: ٢٢٦

ميزة الهند من بين الأقطار المواجهة

وكانت الهند في طليعة دول المواجهة الإسلامية والغربية، حيث تمكّنت بريطانيا -أقوى ممثل للحضارة الغربية ، والعلوم والثقافة الغربية، وأشد تحمّساً لها- من بسط سيطرتها السياسية الكاملة على الهند منذ وقت مبكر على حين كانت بلاد أخرى تتأثر بالحضارة والثقافة الغربية عن طريق غير مباشر عن وكالاتها الأدبية والثقافية، إضافةً إلى ذلك أسّس السيد أحمد خان المرحوم -الشخصية القوية المؤثرة- فعلاً بعد عام ١٨٥٧م مؤسسة ثقافية في "علي جراه" [Aligarh] باسم "مدرسة العلوم" - كان الإشراف عليها -عقلياً وثقافياً وخلقياً- بأيدي الأفاضل الإنجليز المحنكين، أمثال المستر بيك، [Mr Beek] والمستر موريسون [Mr Morison] والمستر آرجبولد [Mr Archibold]- تحوّلتْ في ١٩٢١م إلى جامعة، وقد جذبت إليها الشباب الذكي في شبه القارة الهندية -من خليج بنغال إلى مضيق خيبر- جذبَ المغناطيس للقطع الحديدية.

رغم ذلك كله كان الشعب الإسلامي الهندي أرهف شعوراً دينياً (١)،

---

(١) ومما يدل على ذلك أنه لما ألف حاكم الولاية الشمالية في الهند -وهي كبرى الولايات وأرقاها- السير وليم فيمور "Sir william muir" كتابه الشهير بالإنجليزية "Life of Mohamed" "حياة محمد" وكان فيه تحامل على السيرة النبوية ومسخ لبعض الحقائق، لم يتمالك السيد أحمد خان الذي كان من أكبر الدعاة إلى التعليم الحديث الغربي، والاقتباس من الحضارة الغربية، وكانت بينه وبين الحكم الإنجليزي ورجاله صداقة وثقة متبادلة، فنهض للرد عليه، وسافر سنة ١٢٨٦هـ، ١٨٦٩م إلى لندن لجمع المواد، وباع لذلك بعض أثاثه ومتاعه، وألف كتابه المشهور

وأرق وعياً إسلامياً، وأشد غيرة على الإسلام من البلاد الإسلامية الأخرى، لأسباب لاتعنينا بهذه المناسبة، يدل على ذلك مساهمتهم القوية بعد حركة الخلافة، وحرصهم الشديد على التمسك بحضارتهم الإسلامية العريقة وبشعائرهم الدينية ، فكان إنتاجُها في هذا المجال أكثر من الإنتاج -في اللغات الأجنبية- في أقطار إسلامية أخرى، وإن كان أقلّ من الواجب المطلوب.

في مجال نقد النصرانية على الأسس العلمية:

وكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول تحديات التبشير -وبالأصح التنصير- التي وُجِّهت إلى شبه القارة الهندية، بعد قيام الحكم الإنجليزي المسيحي، المنتصر الثائر الموتور، أن **وُضعت أفضل الكتب وأقواها في الرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد "التوراة والإنجيل" في الهند، فقد واجه الشعب المسلم الهندي الدعوة المسيحية وجها لوجه، وخاض هذه المعركة قبل أن يواجه هذه الدعوة ويخوض هذه المعركة شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي.**

وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية -لا الدفاعية- خيرة رجال هيأوا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق الذي تشاغل المسلمون عنه "العلماء والمؤلفون" قروناً لعدم توفر الدواعي وما يضطر إلى ذلك، في مقدمتهم وعلى رأسهم **العلامة المجاهد الشيخ رحمة الله الكيرانوي**

"**خطبات أحمدية**" الذي هو من أحسن كتبه، ولعلها كانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في العالم الإسلامي، وإن كانت خطوة بدائية تتصف بكل ما تتسم به المحاولات الأولى في البحث العلمي.

(١٢٣٣-١٣٠٨هـ) وقد تهيأت عنده جميع المؤهلات العلمية والجدلية، والوهبية، لإنجاز هذا العمل، إلا معرفة اللغة الإنجليزية، والإطلاع على المصادر الأجنبية بطريق مباشر، هنالك ساق الله إليه مسلماً غيوراً هو الدكتور **محمد وزيرخان** الأكبر آبادي الذي سافر إلى لندن سنة ١٨٣٢م يدرس الطب الجديد ، وقد نال فيه شهادة عالية ، وأتقن اللغة الإنجليزية، ودرس اللغة اليونانية ، **وعني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية واقتناء كتبها، واستصحب هذه المكتبة الثمينة إلى الهند فاستفاد بها الشيخ كل الاستفادة،** وهنالك قرر مناظرة القس فندر [Dr C G Pfander] الذي تحدى علماء المسلمين في العالم الإسلامي، وألف كتابه "ميزان الحق" وظن أن لا قبل للمسلمين به (١)، وقامت هذه المناظرة التاريخية في ١١/ من رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٠/من إبريل ١٨٥٤) في أكبر آباد- آكره، إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية، وأحد مجالات النشاط التبشيري في الهند، وفي حي من أحيائها المعروف بحارة " عبد المسيح" (٢) وحضرها ولاة المديرية، وموظّفوا الثكنة الإنجليزية من الإنجليز ، وعددٌ كبير من أعيان البلد ووجهائه، أسفرت هذه المناظرة عن اعتراف "القس فندر" بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل، وتزايد عدد الحاضرين في الغد، وازداد عدد الحكام

(١) صدرت للكتاب الطبعة الثامنة باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩م من آكره، والطبعة الثالثة باللغة الأردية سنة ١٨٥٠م، والترجمة الإنجليزية سنة ١٩١٠م

(٢)لعلها باسم متنصرٍ تسمى بهذا الاسم النصراني

الإنجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ، وظهر ضعف "فنـــدر" في المنـاظرة وتعنته، ولم يرجع القس إلى المناظرة في اليوم الثالث وأصبح شعاراً لـه أنـه إذا علم بوجود **الشيخ** في مكان غادره. (١)

وقد ألف الشيخ رحمة الله كتابه **"إظهار الحق"** (٢) على اقتراح الخليفة العثماني السلطان عبدالعزيز والصدر الأعظم خير الدين باشا ، وكان الشيخ قد هاجر إلى مكة المكرمة عقب ثورة ١٨٥٧م، وزار القسـطنطينية سنة ١٨٦٤م على طلب من خليفة المسلمين، فألفه -أي الكتاب إظهار الحـق- في الآستانه سنة ١٢٨٠هـ، **وقد آثر في هذا الكتاب خطة الهجوم كمـا فعل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بـدل ديـن المسيح"، واعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة والبديهات الجليـة من الأخطاء.** (٣)

---

(١) انظر قصة تأليف الكتاب في مقدمة المحقق للكتاب المذكور المطبوع من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ص: ١٦-٤٥ وانظر ص: ٣١٠، من هذا الكتاب

(٢) انظر تفاصيل المناظرة وقصة ملاحقة الشيخ للقس في مقدمة المحقق لكتاب إظهارالحق، المطبوع من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ص: ١٦-١٧ و٣٤-٤٤

(٣) الإسلاميات لأبي الحسن الندوي ص:٢٦-٢٩

هذا عدا حركة "التنصير" التي يسميها أصحابها حركة "التبشير" التي واجهها المسلمون في الهند على إثر استقرار الحكم الإنجليزي، وقد كادت تكتسح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكانت مسلحة بأقوى الأسلحة وأشدها تأثيراً في الشعب المفتوح المهان ، وتتمتع بحماية الدولة التي تعتبر هذه البلاد منحةً من السيد المسيح /على نبينا وعليه الصلاة والسلام/ والسيطرة على البلاد فرصة سانحة للدعوة إلى الدين المسيحي، ترافق حركة التنصير حملةً تشكيكيةً قوية، تشكيك في كل ما يتصل بالدين الإسلامي من شريعة وحضارة وثقافة وتاريخ، وقد قاوم علماء المسلمين كلتا الحركتين بقوة زائدة، وقدرة فائقة، وآثروا سياسة الهجوم والنقد العلمي على سياسة الدفاع والتماس العذر، فانحسرت موجات الدعوة التبشيرية، والحركة التشكيكية، وتراجعت إلى الوراء، وازداد المسلمون إيماناً وثقةً بدينهم، واعتزازاً بحضارتهم وثقافتهم، واعتداداً بشخصيتهم وتاريخهم.

وأمّ عددٌ كبير من الشباب المسلمين مراكزَ الثقافة الغربية في كبرى العواصم الأوربية، وتخصصوا في علومها العصرية، وحذقوا اللغة الإنجليزية كأبنائها، وكان منهم أدباء ، وكتاب، ومؤلفون ومعلمون وإداريون شهد ببراعتهم وتفوقهم علماء الغرب، ولكن كان منهم أكبر نقدة، وأقوى ثائرين على الفلسفة الغربية المادية، والفكرة الغربية المتطرفة المتعصبة للمسيحية أحياناً، والمتحللة الملحدة أحياناً كثيرة، وتناولوا الحضارة الغربية، والفلسفات الحديثة، بنقد علمي عميق، وتشريح جريء دقيق، وتهكم لاذع رشيق، كلٌّ على حسب أسلوبه الخاص، وظروفه الخاصة، وصدرت من أقلامهم أقوى كتابات في عرض الإسلام كدين كامل شامل، ومهاجمة الحضارة الغربية في أسلوب مليء بالثقة والاعتزاز، بعيد عن كل تأويل واعتذار، وأنشأوا جبهة علمية قوية أمام دعوة الفكر الغربية والحضارية ، شعارها إنكار إمامة الغرب ، وعصمته من كل خطأ، وبراءته من كل ضعف، والافتخار بالإسلام كرسالة إنسانية عالمية خالدة والإيمان بمحمد ﷺ كخاتم الرسل، ومنير السبل وإمام الكل.

العلامة الندوي

[المسلمون في الهند، ص: ٢٢٠-٢٢١]

ب

علماء ديوبند

ومواجهة التغريب

جامعة

أسست على التقوى

"...شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكرمني بزيارة هذه الجامعة العريقة التي أُسِّسَت على التقوى لتحافظ على حفظ القرآن وفقه السنة والتخاطب والكتابة باللسان العربي، وذلك في مواجهة ما خطط له الإنجليز من تغريب المسلمين وعلمنتهم في شبه القارة الهندية، وقد قامت الجامعة بدور رائد منذ أُسِّست قبل أكثر من قرن وربع قرن من الزمان، وخرّجت للمسلمين علماء أجلاء، وفقهاء، ودعاة، ومفتين لا يُحصون عددا، فأسهمت أيّما إسهام في الحفاظ على الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند"

معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الحركة الإصلاحية التعليمية

وكان على رأس هذه الحركة الإصلاحية والتعليمية المنتجة الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس معهد ديوبند الكبير، وكان لا ينظر إلى المؤسسة التي ساهم في تأسيسها وقادها في حياته، كمعهد يقوم بتدريس العلوم والمواد الدراسية، ويخرج الفقهاء والمعلمين فحسب، بل ينظر إليه كمركز و"ثكنة" تخرج المكافحين والدعاة الذين يفتحون جبهة جديدة للكفاح، بعد ما لقي المسلمون الهزيمة المنكرة من الإنجليز المحتلين، وانقرضت الدولة الإسلامية من الهند.

وسواء تحقق هذا الغرض النبيل أم لم يتحقق، ولكن مما لا شك فيه أن لهذه الحركة وقادتها فضلاً كبيراً في تمسك الشعب الهندي الإسلامي بالدين وشريعة الإسلام، وتفانيه في سبيله، والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكاً لم يشاهد في بلد إسلامي آخر تعرّف بهذه الحضارة ووقع تحت حكم أجنبي، وكانت ديوبند زعيمة هذه الاتجاه، والمركز الثقافي الديني والتوجيهي الإسلامي الأكبر في الهند.

العلامة النّدوي

الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية

ص: ٦٠-٦١

دور علماء ديوبند

في مواجهة التغريب

أسست الجامعة الإسلامية *دار العلوم* – بديوبند على رسوخ العقيدة والإيمان، والنشو المتوازن العادل للعلم والروحانية، وعلى أساس الجمع بين مُقتضيات القلب والعقل، ومن هنا برزت روح المحافظة على الشعائر الإسلامية، وعاطفة الكفاح المستميت لحفظ كيان الإسلام وشوكته في جميع المنتمين إلى هذه الجامعة والمنتسبين إلى هذه المدرسة الفكرية الشاملة.

ومن أوائل من برز من علماء الإسلام في هذه البلاد للذود عن العقيدة الإسلامية الصافية، ودحض أباطيل الزيغ *هو الشيخ الأكبر الإمام محمد قاسم النانوتوي*.

كان رحمه الله متكلما بارعاً، فابتكر منهجاً بديعاً لعرض العقيدة الإسلامية على العالم، واتخذ أسلوباً كلامياً لم يسبق له نظير، ووضع مبادئ وأصولاً لعلم الكلام الجديد الذي يتطابق كل التطابق مع مقتضيات هذا العصر. ويشهد على براعته في هذا الخصوص كل من لديه معرفة بمؤلفاته التي تحمل مادة غزيرة لإقناع كل معاند عن المبادئ الإسلامية من وجهة العقل، نعم نظراً إلى التطورات التي حدثت مؤخرا في دنيا العلم والصناعة، إنما نحتاج تلك المؤلفات إلى عرض عصري جديد، وليس إلا – لكي تبقى نضرة الدوحة التي غرسها الإمام وسقاها، ولا يزال يفوح عبقها ويتطاير شذاها وينتشر في الآفاق مهما تقادم العهد وتغيرت الأزمان.

والواقع أن الدور الذي أدته مؤلفات الشيخ محمد قاسم النانوتوي وخطبه ومقالاته ، التي صدرت في ذلك الوقت وأصابت هدفها، لم تكن تقل في إنجازاتها عن الجيش الظافر المنصور ، فإنها قد قضت على جميع السموم والميكروبات التي كانت توجد حينذاك في كتب الحاقدين على الإسلام، سواءً كانوا من الدهريين أوالهندوكيين أوالمبشرين المسيحيين ، وحقاً لا تستطيع اليوم بعد ما مضي قرنٍ كاملٍ أن تقدر مدى الأهمية التي تملكها هذه الخدمات الفكرية والعلمية .

و لم ينقطع عمل الشيخ الإمام بانقطاع حياته، بل ورثه منه جيل متضلع من العلوم الإسلامية ، مطلع على المعارف العصرية المتنوعة ، وهم رجال أمناء ، أكفياء من *علماء الجامعة* الذين نبغوا وقاموا بجهود ضخمة في مواجهة التحدي الكبير، الذي نتج عن الحضارة الغربية وجاء بسيل عرم من الأفكار اللادينية .

فنهض هؤلاء العلماء لمقاومة تلك الأفكار، واتخذوا خطوات جديدة للقضاء على المؤامرات التي دأب المستشرقون وأعداء المسلمين وأذنابهم على دسها في الأذهان، والتي قد بدأت تفعل فعلها في العقول الضعيفة الناقصة .

فأوجدت مساعي أولئك العلماء المخلصين الواعين مكتبة غنية زاخرة في رد مزاعم المستشرقين وأذنابهم، ودحض شبهاتهم حول العقيدة الإسلامية والفقه الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي والتاريخ الإسلامي الحافل بالبطولات والأمجاد.

والشيخ العلامة مناظر أحسن الكيلاني وحده -مثلاً- من *علماء الجامعة* ومشيختها قد ألّف في علم الكلام الجديد "الدين القيم" وهو خير ما ألّف في هذا الزمن لعرض العقيدة الإسلامية وإثباتها على منهج عصري مبتكر ، وألّف "تدوين الحديث" و"تدوين القرآن الحكيم" و"تدوين أصول الفقه" و"تدوين الفقه الإسلامي"، تناول في جميعها القضايا التي أثارها المستشرقون لتشويه الوجه الإسلامي النير ، ورد عليهم

بأبلغ الحجج وأوضح الأساليب ، وألّف كتاباً حافلاً عـــن "**الاقتصـــاد الإســـلامي**" وكتاباً وجيزا عن "**السيرة النبوية**" .

وقد نالت كتاباته ومؤلفاته تقديراً وإعجاباً في أوساط العلماء والمثقفين بالثقافـــة العصرية علىوجه سواء ، وردت ثقة المثقفين - بالعلوم العصرية - بدينهم وعقيدتهم ، وقد شهد له بالبراعة والنبوغ أمثالُ الكاتب الإسلامي المعروف **السيد سليمان النَّدْوي** والبروفيسور **عبد الباري النَّدْوي** رئيس قسم الفلسفة الحديثة في الجامعـــة العثمانيـــة بحيدرآباد سابقاً.

وأمّا **العلامة شبير أحمد العثماني** من مشيخة الجامعة فقد ألّف "**رسالة الإسلام**" و"**العقل والنقل**" و"**إعجاز القرآن**" في أسلوب كلامي رصين، ولمؤلفاته كلها روعـــة وتأثير في النفوس .

والشيخ **حفظ الرحمن السيوهاروي** ألّف "**قصص القرآن**" في مجلدات ضخمـــة، وكتاباً عن"**نظام الاقتصاد الإسلامي**" استعرض فيه آراء الشيوعيين والرأسماليين، وأثبت تفوق النظام الإسلامي على جميع الأنظمة الوضعية، وله كتاب عن فلسفة الأخلاق.

وكانت لفضيلة رئيس الجامعة السابق **العلامة المقرئ محمد طيب** مقدرة فائقـــة على إثبات العقائد الإسلامية في أسلوب كلامي رصين، وله مؤلفات نـــادرة، تزخـــر بالحجج العقلية الدامغة والبراهين الناصعة ، وإنّ عشرات من مؤلفاته تشـــتمل علـــى القضايا التي تتصل بالعقيدة الإسلامية أوالثقافة الإسلامية، ومن أهم مؤلفاته في علـــم الكلام : "**الإسلام والعلوم الطبيعية**" و"فلسفة النعمة والمصيبة" و"**النظام الأخلاقـــي للإسلام**" وتمتاز خطبه ومقالاته بصبغة كلامية .

وللشيخ **محمد شفيع العثماني الديوبندي** كتاب بديع عن نظام توزيع الثروة في الإسلام، ولنجله البار العلامة الأستاذ **محمد تقي العثماني** مساع مشكورة في تحقيق كتاب **"إظهار الحق"** للشيخ **رحمت الله الكيرانوي** وتقديم موسّع له ، طبع مستقلا بعنوان: **"ما هي النصرانية ؟"** في العربية والأردية.

وللشيخ **محمد إدريس الكاندهلوي** **"سيرة المصطفى"** في مجلدات ضخمة ، ومن أهم ميزات الكتاب أن المؤلف قد نبّه على مواضع الضعف في كتاب **"سيرة النبي"** للمؤرخ الهندي المعروف شبلي النعماني، وللمؤلف نفسه **"علم الكلام"** و**"إثبات وجود الإله"** و**"إبطال المادية"** و**"تائيد القضاء والقدر"** إلى غيرذلك من المؤلفات القيمة النادرة.

وللبحاثة الإسلامي المعروف الشيخ **سعيد أحمد الأكبرآبادي** من *علماء الجامعة* مساهمة ملموسة في مواجهة الشبهات التي أثارها المستشرقون حول تعاليم الشريعة الإسلامية ، ومن أهم مؤلفاته : **"الرق في الإسلام"** في مجلدين ضخمين استوعب فيه جميع نواحي القضية في أسلوب عصري بارع ، وطابع علمي أصيل.

وله كتاب في إثبات **"الوحي في ضوء العلوم الطبيعية"** وكتاب يبحث عن طريق **"فهم القرآن"**، ويفوق جميعَ مؤلفاته كتابُه الرائع عن **"الصديق أبي بكر"** ولم ينسج على منواله في أية لغة من لغات العالم ..

وللشيخ منة الله الرحماني أمير الشريعة في ولاية بيهار وأريسا كتاب طريف حول "كتابة الحديث وتدوينه"، ورسائل عديدة حول موضوعات متنوعة، منها: **"مصادر التشريع الإسلامي"** و**"قضية الأحوال الشخصية للمسلمين"** و**"خطة التعقيم من وجهة العقل والشرع"** فنّد فيها أراء ومزعومات المؤيدين لتلك الخطة ، وقد نالت

تلك الرسالة إقبالاً عظيما فترة حالة الطوارئ (١٩٧٥م-١٩٧٧م)في الهند، إذ كـانت الحكومة مصرةً على تنفيذ التعقيم الإجباري على المسلمين خاصة.

كما أن للشيخ **محمد منظور النعماني** مجهودات معروفةً في إعداد الكتـب الـتي تشرح العقيدة الإسلامية وتعاليمه في أسلوب بسيط ساذج يستفيد منه كـل عـامي ومثقف ، من أهمها : "**ماهو الإسلام**"، و"**الإسلام عقيدة وحياة**"، و"**القرآن يتحدث إليكم**" (وقد نقله إلى العربية الأستاذ سعيد الأعظمي النَّدْوي) "**الديـن والشـريعة**"، وقد نقلت بعض مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية أيضاً.

وللشيخ **حامد الأنصاري غازي** كتاب بديع عن "**نظام الحكم الإسلامي**"يحتوي على أكثر من خمسمائة صفحة، استوعب فيه المؤلف جميع القضايا التي يحتاج إليهـا الباحث، وأثبت براعة النظام الإسلامي على سائر الأنظمة الأخرى .

وللشيخ المغفور له **محمد ميان** مؤلفات نادرة فيها القضايا المستجدة، ومن أهـم مؤلفاته : "**محمد رسول الله**" و"**القضايا الاقتصادية والاجتماعية**" كمـا أن للشـيخ القاضي **زين العابدين** كتاباً حول السيرة النبوية، عدا ما ألَّفه من معاجم لغوية وقرآنية، وللشيخ المفتي **محمد ظفير الدين** "**نظام الأمن الإسلامي**" ورسائل أخرى قيمة .

وقد قامت المجامع العلمية مثل: "**ندوة المصنفين**" بدلهي ، و"**المجلـس العلمـي**" بدابهيـل وكراتشـي، و"**دار المعـارف**" بلاهـور، و"**إدارة الفرقـان**" بلكنـاؤ، و"**معارف القـرآن** " بديوبنـد تحـت إشـراف ***علمـاء الجامعـة الإسـلامية دارالعلوم بديوبند***، بإعداد كتب وبحوث ذات أهمية وقيمة كبيرة، في السيرة والتاريخ والعلوم الإسلامية يمكن أن يدرج كثير منها في نطاق علم الكلام الجديد، ولا يمكـن للأوساط العلمية أن تستغني عنها.

وقد ألقيت هنا نظرة سريعة عاجلة على ما أعده *علماء هذه الجامعة* الأفذاذ من البحوث والمؤلفات في موضوع علم الكلام الجديد ، ويعرف كل باحث أن نطاق علم الكلام قد اتسع اليوم إلى كل القضايا التي لها صلة بالعقيدة أوالتاريخ أوالثقافة الإسلامية، وما توخيت الإستقصاء في العرض؛ إذ لا يمكن ذلك، وإنما قصدت الاستعراض السريع لبعض الكتب، التي تبحث في أسلوب علمي ناصع عن الأسئلة التي تثار حينا بعد حين . (١)

ومن هذه المجامع "**المجمع العلمي الإسلامي**" تحت إشراف ندوة العلماء بلكهنؤ الذي تولّى طبع أكثر مؤلفات الداعية الكبير **الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي**، ونشرها في عدة لغات ، وكذا "**دار المصنفين**" بأعظم كره قامت - سابقاً تحت رئاسة العلامة سليمان النّدْوي والشيخ معين الدين النّدْوي ، ويقوم حالياً تحت إشراف الداعية الشيخ النّدْوي - بأعمالٍ جليلة قيّمة سيما في التاريخ الإسلامي بأسلوب بليغ ممتع. (٢)

ويحسن بي أن أختم هذا المبحث أيضاً على اقتباسٍ من كتاب **الإمام النّدْوي** - حفظه الله - "**المسلمون في الهند**"، يقول:

" ***ثم أراد الله أن تخوض هذه البلاد أكبر معركة حضارية، ثقافية فكرية، شهدها التاريخ المعاصر، وأن تواجه أعنف صراع بين المبادىء والعقائد، والقيم والمفاهيم، والمعايير والموازين، معركة قامت بين الحضارة الغربية والفلسفة الغربية، وبين الحضارة الإسلامية والفلسفة الإسلامية، وصراع بين الفكرة الإسلامية،***

---

(١) انظر" دور دارالعلوم في مواجهة التنصير والتغريب "جريدة الداعي العدد الخاص : ص: ٣٧-٣٩

(٢)هذا مع نقد المحققين على ما يحق الانتقاد عليه من منشورات دارالمصنفين - أوغيرها- مثلاً.

والفكرة الغربية، بأوسع معانيهما وأدقهما، فكانت معركة حامية دامية، وصراعا عنيفًا قاسيًا، فقد واجه الشعب الهندي المسلم المثخن بالجراح، المصاب بدهشة الفتح، الحضارة الغربية الفتية الدافقة الحيوية والنشاط وجهًا لوجه، لاحاجز بينهما ولا فجوة، ودام في ربوع الهند الحكم الإنجليزي الثائر الموتور الحانق على هذا الشعب الذي تسلم منه مفاتيح البلاد، وذاق من جرائه الثورة العارمة، والحرب المسعورة قرنًا كاملاً، يحمل الروح الصليبية مع الروح الإستعمارية، يرى في الشعب المسلم منافسه الحقيقي الدائم كل زمان ومكان ، ويرى في الإسلام معسكراً يوازى معسكره على طول الخط ، وكل يدعى أنه يقود الحياة ويصوغ المجتمع، ويشرع ويسن القوانين، ويملأ الفراغ الذي لابد أن يملأ، فكان نصيب الشعب المسلم من لهيب هذه المعركة خسائرها وغراماتها أكثر من نصيب أي شعب آخر، وكان أكثر حساسية وأكثر حساباً لهذه المعركة من جميع الشعوب بطبيعة الحال، وقد سجل التاريخ الأمين المنصف، أنه كان أكثر صموداً، وأكثر احتفاظاً بشخصيته ومعنوياته، وأكثر تمرداً واستعصاءاً على حركة الإبادة الدقيقة الشاملة من أكثر الشعوب الإسلامية التي اكتوت بنار الاستعمار الأجنبي، ووقعت تحت نيره.

هذا عدا حركة "التنصير" التي يسميها أصحابها حركة "التبشير" التي واجهها المسلمون في الهند على إثر استقرار الحكم الإنجليزي، وقد كادت تكتسح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكانت مسلحة بأقوى الأسلحة وأشدها تأثيراً في الشعب المفتوح المهان ، وتتمتع بحماية الدولة التي تعتبر هذه البلاد منحةً من السيد المسيح [على نبينا وعليه الصلاة والسلام] والسيطرة على البلاد فرصة سانحة للدعوة إلى الدين المسيحي، ترافق حركة التنصير حملةٌ تشكيكيةٌ قويةٌ، تشكيك في كل ما يتصل بالدين الإسلامي من شريعة وحضارة وثقافة وتاريخ، وقد قاوم علماء المسلمين كلتا الحركتين بقوة زائدة، وقدرة فائقة، وآثروا سياسة الهجوم والنقد العلمي على

سياسة الدفاع والتماس العذر، فانحسرت موجات الدعوة التبشيرية، والحركة التشكيكية، وتراجعت إلى الوراء، وازداد المسلمون إيماناً وثقةً بدينهم، واعتزازاً بحضارتهم وثقافتهم، واعتداداً بشخصيتهم وتاريخهم.

وأمّ عددٌ كبير من الشباب المسلمين مراكزَ الثقافة الغربية في كبرى العواصم الأوربية، وتخصصوا في علومها العصرية، وحذقوا اللغة الإنجليزية كأبنائها، وكان منهم أدباء ، وكتاب ، ومؤلفون ومعلمون وإداريون شهد ببراعتهم وتفوقهم علماء الغرب، ولكن كان منهم أكبر نقدة، وأقوى ثائرين على الفلسفة الغربية المادية ، والفكرة الغربية المتطرفة المتعصبة للمسيحية أحياناً، والمتحللة الملحدة أحياناً كثيرة، وتناولوا الحضارة الغربية ، والفلسفات الحديثة ، بنقد علمي عميق، وتشريح جريء دقيق، وتهكم لاذع رشيق، كلّ على حسب أسلوبه الخاص، وظروفه الخاصة، وصدرت من أقلامهم أقوى كتابات في عرض الإسلام كدين كامل شامل، ومهاجمة الحضارة الغربية في أسلوب مليء بالثقة والاعتزاز، بعيد عن كل تأويل واعتذار، وأنشأوا جبهة علمية قوية أمام دعوة الفكر الغربية والحضارية ، شعارها إنكار إمامة الغرب ، وعصمته من كل خطأ،وبراءته من كل ضعف،والافتخار بالإسلام كرسالة إنسانية عالمية خالدة والإيمان بمحمد ﷺ كخاتم الرسل، ومنير السبل وإمام الكل. (١)

العلامة النّدوي

(١) المسلمون في الهند للندوي ص: ٢١٨-٢٢١

ح

علماء ديوبند

و دحض أباطيل القاديانية

"...وإنَّ إخواننا علماء الهند وباكستان الذين نشأ فيهم المرزا غلام أحمد القادياني ونجم قرنه بين أظهرهم قد أبلوا بلاءً حسناً، ولم يدّخروا وسعاً في الرد عليه وعلى أتباعه، بلغة أهل الهند وباللغة العربية وغيرها مما لامزيد عليه، ولاقوا في سبيله كل عنت وأذى، ولايزال الربانيون قائمين على دفع هذه الفتنة التي قدر الله أن تكون ابتلاءً وامتحاناً للمسلمين، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً".

سماحة الشيخ

محمد بن عبد الله السبيل

في كلمته في المؤتمر العالمي للنظر في قضايا الدعوة الإسلامية

الحارس من الفوضى الفكرية

"لقد بقيت هذه العقيدة تحرس هذا الدينَ من غائلة المبتدعين وفتنة المتنبئين والمتزعِّمين، وتحرس هذه الأمة من الفوضى الفكرية والدينية التي كانت الأمم السابقة والديانات السالفة فريستها. واستطاع هذا الدين واستطاعت هذه الأمة - بفضل هذه العقيدة - أن تقاوم المؤامرات الدقيقة وتحتمل الصدمات العنيفة، وبقيت وحدة في الدين والعقيدة لم تواجه ثورةً داخلية اواضطراباً فكرياً. إلاّ ماكان من الباطنية في العهد القديم. ولا تنقسم هذه الأمة في امم، لكلٍ وجهتُها ولكلٍ مركزُها الروحيُ، ومصدرها العلميُ والثقافيُ، ولكلٍ تاريخٌ منفردٌ وماضٍ مختلفٌ.

ولقد كانت عقيدة ختم النبوة تمجيداً للنوع الإنساني كذلك وإعلاما بأنّ النوع البشري قد بلغ سن الرشد والنبوغ، وجاءت الرسالة الأخيرة، وأصبح المجتمعُ البشري في غنى عن وحيٍ جديد ورسالةٍ سماوية جديدة، فبعث ذلك في الإنسان الثقة ببلوغه وكان ذلك حافزا للإنسان على التقدم في المدنية والاعتماد على العلم والتجربة في الحياة اليومية.

ليست حاجة العالم اليوم أن ينتظر وحياً جديداً من السماء فيرفع بصره إليها، وإنّما حاجته اليوم أن يفكّر في مواهب هذا الكون وطاقاته التي خلقها الله تعالى ليستغلها الإنسان في مصالحه ويستخدمها لحوائجه، كما أنّ حاجته اليوم أن يفكر في نفسه وينظر إلى الأرض لبناء حياة افضل تقوم على اساس من الدين والأخلاق، إنّ الاعتقاد بانتهاء النبوءة يبعث في الإنسان روح الطموح والتقدم، ويحثه على بذل مواهبه، ويعيِّن له الحقل الصحيح والمجال السليم لكفاحه وجهوده.

لولا عقيدة ختم النبوءة لفقد الإنسان ثقته بنفسه وبقي في ريب دائمٍ، وظل شاخصاً ببصره إلى السماء بدلًا من أن ينظر إلى الأرض، وفقد ثقته بمستقبله، وثارت شبهاتٌ وشكوكٌ حوله ووقع فريسة المتنبئين على الدوام، ولا يظهر متنبئٌ يؤكد له أن الروضة الإنسانية كانت ناقصة فجئتُ وبلغتُ كمالها، إلا انه يضطر إلى اعتقاد أن هذه الروضة إذا كانت ناقصةً إلى الآن فأي ضمان لكمالها في مستقبل الحياة الإنسانية.

وهكذا يستمر انتظار لمن يبلغ بهذه الروضة إلى حد الكمال، دون أن يتمتع بأزهارها واثمارها، ودون أن يهمه سقيُها وريُّها.

العلامة الندوي

(القادياني والقاديانية، ص: ١٢٨-١٣٠)

دور علماء ديوبند

في دحض أباطيل القاديانية

رغم أن الدين الإسلامي لم يزل يواجه تيارات جارفة ، وتحديات عنيفة، ومؤامرات مخططة ، تهدف إلى تشويه وجهه النير وتغيير ملامحه الأصلية ، لم يفقد شيئاً من شوكته وحيويته ، بل إنه خرج من كل فتنة ابتلي به واضح المعالم، موفور السلامة، وكلما هبت عليه أعاصير المكائد والمخططات زادت تعاليمه رونقاً وبهاءً واكتسبت معالمه نوراً وهيبةً .

فلو لم تكن تعاليمه النيرة مستمدة من ينابيع الكتاب والسنة ، ومعالمُه مبنيَّةً على العقيدة الراسخة لانهار بناؤه وتهدم كيانه، وذهبت ريحه وغالته يد الدهر ، ولم يبق إلا كأسطورة تتداولها ألْسِنةٌ.

وإنّ الفتن التي واجهتها الأمة الإسلامية وابتليت بها الشريعة الإسلامية لا تكاد تحصى، غيرأنّ الفتنة التي أثيرت في الهند - قبل انقسام البلاد- في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت من أبشعها صورة وأخطرها على كيان الإسلام، وأنفذها في قمع شوكة الإسلام ، وطمس وجهه المشرق، وتشويه معالمه وتغيير ملامحه ، وهي فتنة عرفت "بالقاديانية"، وليست هي كالفتن العادية بل إنّها تمتاز من بينها بكونها خروجاً على العقيدة الإسلامية ، وثورة على نبوة محمد ﷺ ، إنها فتنة تبغي القضاء على الدين باسم الدين.

وقد ظهرت هذه الفتنة في الهند حينما كانت نار الحرب مستعرة في ربوعها بين الإسلام والمسيحية ، وبين المشرق والمغرب ، وذلك بعد ما احتل الإنكليزُ الهندَ وقامت دولة الاستعمار على أنقاض الحكومة المغولية الإسلامية .

وأخذ المستعمرون يبذلون أقصى جهودهم لدعم كل حركة معادية للإسلام، تعمل للقضاء على الدين وإضعاف قوة المسلمين وإبعادهم عن الدين.

فانتهز غلام أحمد القادياني الفرصةَ للحصول على ولاء الإنجليز ، وأخذ يشتغل عميلاً للحكومة الاستعمارية .

قام أولا كداع إلى الإسلام ، لكنه سرعان ما كشف اللثام عن وجهه ، وأخذ يدعي ادعاءات لا تتطابق مع الإسلام في شيء.

فأنكر عقيدة ختم النبوة، وادَّعى أنه المسيح الموعود، وأثبت لنفسه النبوة والوحي، وأنكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وأبطل الجهاد ، وامتدت الفتنة وظهرت القاديانية كحركة معادية للدين، تهدف القضاء على الإسلام ، والحكومة البريطانية كانت تقدم إليها كل نوع من الدعم والمساندة .

واستفحل الأمر وتفاقم الشر وباضت الحركة وفرخت ، ورغم كون غلام أحمد مصاباً بنوع من الجنون ، ورغم كل ما صدر منه من دعاو مضحكة مبكية، متهافتة، متضادة ، وقع في شبكته كثير من الأغرار وكادت حركته تمتد إلى سائر أقطار شبه القارة الهندية.

وقد أحس علماء الهند البواسل خطورة هذه الفتنة العمياء ، فقاموا بصيانة العقيدة التي هي ركيزة أساسية لكل أمة تريد لها البقاء، ولا بد من الاحتفاظ بها من غوائل الدهر ومكائد الحاقدين عليها.

وكان في طليعة من قام بمقاومة "القاديانية" ودحض أباطيلها **علماء الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند** ومشيختها ، واستخدموا لردّ تياراتها الجارفة، المنابر والمنصات ومجالس المناظرات العامة، وأجهزة النشر والإعلام ، فتتابعت النشرات وأقيمت المناظرات ، وألقيت الخطب في سائر أقطار "الهند" و"باكستان" و"**بنجلاديش**" (أي شبه القارة الهندية) .

وأبرز أسمائهم في هذا المجال اسم الشيخ **محمد علي المونكيري** (*الذي تقدم ذكره في مقاومة التنصير*) فإنه وقف نفسه وجهوده لذلك ، وحرّض عليه ورغّب فيه أصحابه وتلامذته ، فناظر وألّف، ناظر رؤساء **القاديانية** سنة ١٩١١م وكان معه أربعون عالماً، وألّف في ردهم أكثر من مائة كتب ورسائل ، أولها وأحسنها كتاب "**فيصله آسماني**" [الحكم السماوي]وهوفي ثلاث مجلدات ، وتلو هذا الكتاب "**شهادت آسماني**" [الشهادة السماوية].

والذي قام بأكبر نصيب في هذا المضمار من خريجي دار العلوم هو إمام العصر العلامة **أنور شاه الكشميري** الذي كان إلى جانب تضلعه من العلوم الإسلامية وتدفقه بالمعارف المتنوعة ، يضطرم غيظا على كل ما يمس كرامة الشريعة الإسلامية ، وكان شديدة الغيرة على عقيدة ختم النبوة بصفة خاصة ، فقام - رحمه الله- واستنهض الهمم وأيقظ الرقود ، وأعدّ فوجاً من أصحابه الغيورين الذين قاوموا فتنة "**القاديانية**" وطاردوها مطاردة مريرة في جميع أنحاء الهند حتى أخمدوا نارها، وردوا كيد الأعداء إلى نحورهم .

وقد ألّف إمام العصر كتبا عديدة نافعة - مع ما يُعرف عنه من عدم انقطاعه للتأليف إلا بدافع من الضرورة - من أهمها: "**إكفار الملحدين في تأويل شيء من ضروريات الدين**"، و"**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**"، و"**عقيدة الإسلام في**

حياة عيسى عليه السلام"، و " تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام"، و"خاتم النبيين"، و"صدع النقاب عن جسّاسة الفنجاب"، و"الفتنة المرزائية" .

تمتاز هذه الكتب بغزارة المادة ورصانة الأسلوب وكلها بالعربية سوى "خاتم النبيين" فإنّه قد ألّفه – لإنقاذ مسلمي كشمير من شبكة القاديانيين– باللغة المحلية (الفارسية) و الفتنة المرزائية ألّفه بالأردية.

كما صنف من أصحابه المفتي الكبير الشيخ محمد شفيع والعلامة محمد يوسف البنوري والشيخ المحدث بدر عالم الميرتهي والعلامة محمد إدريس الكاندهلوي ، والشيخ محمد منظور النعماني كتبا مماثلةً بكلتا اللغتين العربية والأردية ، وفي تعليق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة على "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" قائمة بأسماء بعض الكتب التي أُلِّفتْ في هذا الموضوع في الهند وباكستان، منها:

"هدية المهديين في آية خاتم النبيين"، و"ختم نبوت" * كلاهما للعلامة المفتي محمد شفيع العثماني، و"الجواب الفصيح لمنكر حياة المسيح" * للعلامة بدر عالم الميرتهي،– وقد ترجم إلى الإنكليزية_ و"كلمة الله في حياة روح الله"* للعلامة محمد إدريس الكاندهلوي، "لماذا نكفر القاديانيين"*، و"القول الصحيح في نزول النبي المسيح"*، و"الطريقة السليمة لدراسة القاديانية والحكم عليها"* ثلاثتها للشيخ محمد منظور النعماني.

ومن أهم مؤلفاتهم في الموضوع كتاب " *القادياني والقاديانية*" للشيخ أبي الحسن علي النَّدْوي ألّفه بالعربية وقد نُقل إلى عدد من اللغات العالمية والمحلية، وله أيضاً

---

* تعني أن الكتاب المذكور بالأردية وليس بالعربية.

"القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام"، ومنها أيضاً "قادياني مذهب"* للشيخ محمد إلياس برني.

ولا تنكر جهود حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي– ومن مؤلفاته في الموضوع: " *الخطاب المليح في تحقيق المهدي والمسيح*" * –والعلامة شبير أحمد العثماني –وله: " *الشهاب لرجم الخاطف المرتاب*" *– والعلامة خليل أحمد السهارنفوري –وله: "*عشرة كاملة في إبطال الفتنة المرزائية والنبوة الباطلة*" *– والشيخ مرتضى حسن – وله: "*فتح قاديان*"*– في مقاومة تلك الفتنة ، وكلهم من مشيخة الجامعة وعلمائها الأفذاذ . (١)

وحينما أصدرت الحكومة الباكستانية في عام ١٣٩٤ هـ قراراً تاريخياً حاسماً في مجلس الأمة [البرلمان]بكون "القاديانية" مارقة عن الدين غير مسلمة بتوجيه من جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود كان في داخل باكستان العلامة محمد يوسف البنوري رئيس "مجلس حفظ ختم النبوة" والمفتي الأكبر محمد شفيع العثماني في طليعة العلماء الذين طالبوا الحكومة باتخاذ هذا القرار الذي لقي ترحيباً حاراً في جميع أنحاء العالم الإسلامي (٢).

---

(١) وللعلامة أبي الوفاء ثناء الله الأمرتسري – وهو أيضاً من المتخرجين في دارالعلوم ديوبند– "تقابل ثلاثة" قارن فيه بين القرآن الكريم والإنجيل والويد(كتاب الهنادك) و" فصل قضية القادياني".

(٢) انظر "دور علماء دارالعلوم في دحض أباطيل القاديانية" بقلم الأستاذ بدرالحسن القاسمي جريدة (الداعي) العدد الخاص ، ص: ٤٠-٤١ . وكتاب "سيرت محمد علي المونكيري" للأستاذ محمد الحسني

وإنّ جامعة **دار العلوم** وجماعتها لم تغفل – ولو لطرفة عين – عن هذا الموضوع، بل لا تزال تحمل لواء الرد والهجوم على هذه الطائفة الضالة المضلة وتبذل أقصى جهودها في دمغ هذه الفتنة وقمع هذه الطائفة .

وأخيراً قد أنشئَ قسمٌ خاص في الجامعة لصيانة ختم النبوة ، فيقيم المخيّمات والاجتماعات العامة في مختلف أنحاء البلاد الهندية . ويهتم بطبع وتوزيع ما يتعلق بهذا الموضوع – من كتب ورسائل ومطويات – ويساعد بجميع إمكانياته كل من يتصدى ويقوم لهذا .

يرأس هذا القسم فضيلة الشيخ **محمد عثمان المنصورفوري** ، ونائبه هو فضيلة الشيخ المفتي **سعيد أحمد البالنبوري**.

وقد عقد هذا القسم مؤتمراً عالميا سنة ١٤٠٨ هـ في رحاب الجامعة . حضره مئاتٌ من علماء البلاد ، وشرّفه بالحضور والخطاب كلٌّ من سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل إمام الحرم المكي – ومعالي الدكتور عبد الله بن عمر نصيف– الأمين العام الأسبق– لرابطة العالم الإسلامي.

كما عقدت ندوة العلماء بلكهنؤ مؤتمراً عالمياً للعلماء المسلمين للنظر في قضايا الدعوة الإسلامية عام ١٤١٨هـ، وكان من أهم موضوعات المؤتمر القاديانية وتنشط أصحابها في الفترة الأخيرة من جديد، وقد حضر المؤتمر سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام ورئيس شؤون الحرمين الشريفين، مع وفد من وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية برئاسة الدكتور/ عدنان الوزان وكيل الوزارة لشؤون الأوقاف، وكان للمؤتمر صدى في الأوساط العلمية ووسائل الإعلام المحلية والدولية.

وقد أشاد سماحة الشيخ ابن السبيل في كلمته بجهود علماء الهند في مقاومة هذه الفتنة ، يقول حفظه الله :

" فلما رفعت الفتنة رأسها قام العلماء الربانيون من أهل الهند بالرد عليها، ورموا القادياني عن قوس واحدة، ولهم في دفعه والدفاع عن الدين الحنيف وحماية المسلمين من شره جهد مشهور وعمل مشكور وجهاد مبرور، حتى إن منهم من باهل المدعي الكذاب مباهلة الموت على أن يموت الكاذب في حياة الصادق، فهلك القادياني الكذاب شر هلكة، في ٢٦/ مايو سنة ١٩٠٨م، وبقي العالم المسلم حيا بعد هلاك القادياني قريباً من اربعين سنة يهدم بنيان القاديانية ويقمع جذورها.

وقد استفدنا مما كتبه الأفاضل من علماء الهند وباكستان في الرد على القادياني وعلى نحلته النخيلة الباطلة..."

... وكان لعلماء الهند وباكستان سعي مشكور في محاربة هذه النحلة بأقلامهم وأنفسهم، ولايزالون، ففضحوا أمرها وكشفوا زيفها بما لايترك مجالاً للشك في أن هذه النحلة مكذّبة لكتاب الله، كافرة بالاسلام ، خارجة على أمة محمد ﷺ بإنكارها ختم النبوة ...

هذا وإنّ إخواننا علماء الهند وباكستان الذين نشأ فيهم المرزا غلام أحمد القادياني ونجم قرنه بين أظهرهم قد أبلوا بلاءً حسناً، و لم يدّخروا وسعاً في الرد عليه وعلى أتباعه، بلغة أهل الهند وباللغة العربية وغيرها مما لامزيد عليه، ولاقوا في سبيله كل عنت وأذى، ولايزال الربانيون قائمين على دفع هذه الفتنة التي قدر الله أن تكون ابتلاءً وامتحاناً للمسلمين، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً..." (١)

---

(١) مأخوذ من خطاب سماحته في مؤتمر ندوة العلماء- بالهند،المنعقد في الفترة مابين ١٢-١٣ / من رجب عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) نشره- بالعربية والأردية- مكتب مؤتمر العلماء المسلمين للنظر في قضايا الدعوة الإسلامية

فضل

عقيدة ختم النبوة

"لقد بقيت هذه العقيدة تحرس
هذا الدينَ من غائلة المبتدعين وفتنة
المتنبِّئين والمتزعِّمين، وتحرس هذه الأمة
من الفوضى الفكرية والدينية التي كانت الأمم
السابقة والديانات السالفة فريستها. واستطاع
هذا الدين واستطاعت هذه الأمة. بفضل هذه العقيدة.
أن تقاوم المؤامرات الدقيقة وتحتمل الصدمات العنيفة،
وبقيت وحدة في الدين والعقيدة لم تواجه ثورة داخلية
أو اضطراباً فكرياً. إلا ما كان من الباطنية في العهد القديم،
ولا تنقسم هذه الأمة في امم، لكلٍ وجهتها ولكلٍ مركزها
الروحي، ومصدرها العلمي والثقافي، ولكلٍ تاريخ منفرد
وماضٍ مختلف.
ولقد كانت عقيدة ختم النبوة تمجيداً للنوع الإنساني
كذلك وإعلاما بأنَّ النوع البشري قد بلغ سن الرشد
والنبوغ، وجاءت الرسالة الأخيرة، وأصبح المجتمع
البشري في غنى عن وحيٍ جديدٍ ورسالةٍ سماوية
جديدة، فبعث ذلك في الإنسان الثقة ببلوغه
وكان ذلك حافزاً للإنسان على التقدم في
المدنية والاعتماد على العلم والتجربة
في الحياة اليومية.

العلامة الندوي
القادياني والقاديانية،
ص: ۱۲۸-۱۳۰

علماء ديوبند

ومحاربة الشرك والبدع

ومحو العادات الجاهلية

إنني أحمد الله عزوجل حمداً كثيراً طيبا مباركا على ما منّ به عليّ من نعمٍ عظيمة، وإني أعتبر هـذه الساعة المباركة وهذه الفرصة المتاحة، أعتبرُها من أسرّ الساعات وأشرف الأوقات ، التي أجتمع فيها بـإخواني في الله، في هذه الجامعة الإسلامية المباركة : دارالعلوم ديوبند، هـذه الجامعة الشهيرة، وأجتمع مع هؤلاء العلمـاء الأفـاضل الذين منّ الله عليهم بالعلم، ومنّ الله عليهم برفع رايـة الإسلام، وبرفع راية التوحيد خفّاقـةً في أرجـاء العـالم والحمد لله. إنّ هذه فرصةٌ عظيمةٌ امتنّ الله بها علـيّ في هذا اليوم المبارك، وطالما انتظرتُها، وقد هيـأتُ نفسـي مراراً لزيارتها، ولكل أجلٍ كتـاب، فهـذه الفرصـة أتيحت لي هذا اليوم المبارك الذي أرجـوالله أن ينفعنـا وإياكم بما سمعنا وبما ينفعنا، من تعليم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

سماحة الشيخ

محمد بن عبد الله السبيل

" ...هذا وقد نشط دعاة البدع والخرافات، والمحترفون الذين انتشروا في القرى والمدن يدعون إلى رسوم الجاهلية والمحدثات، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدّون عن سبيل الله، ويُضلّلون العلماء الأخيار، ويُكفّرونهم.

خاف علماء الحق على الدين وعلى علوم الدين، وخافوا على مستقبل الإسلام في بلاد الهند بعد زوال دولته وحلول دولة الكفار، ورأوا أنهم لاتنجدهم دولة ولاتحميهم قوة، ولايملكون أموالاً ينفقونها، ولا مناصب ووظائف يجذبون إليها، وإنما هم مستضعفون في الأرض ، فقراء، ثروتهم العلمُ، ورأسُ مالهم الدينُ، وزادُهم التوكلُ، وسلاحُهم الإخلاصُ، فقاموا وقالوا نبني معقلاً للدين تأوي إليه الشريعة الإسلامية، وتلجأ إليها العلوم الدينية.

ولم ير العلماء أمامهم طريقاً إلا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية، فانشأوا هذه المعاقل ليحفظوا ببقايا الحياة الإسلامية، وليكافحوا تيار الغرب المدني والثقافي، ويخرجوا منها دعاة الإسلام والوعاظ، والمرشدين وعلماء الدين، ليحفظوا على المسلمين دينهم، ويعيدو الثقة إلى نفوسهم، فأسّس الشيخ محمد قاسم النانوتوي(م١٢٩٧هـ) "مدرسة ديوبند" سنة ١٢٨٢هـ وأسّس الشيخ سعادة علي "مدرسة مظاهر العلوم" في سهارنفور في نفس ذلك العام.

ثم تواترت المدارسُ الدينيةُ في أنحاء الهند، وقد كانت لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية، وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب، ومحاربة البدع والخرافات، وبثّ الروح الدينية في الجماهير، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً، وكان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محوالبدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين،واتباع السنة، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر.

الندوي

أضواء على الحركات الدينية ... ص: ٢٢-٢٤

دور علماء ديوبند

في محو الشرك وقمع البدع وإبطال التقاليد الجاهلية

كانت الهند بلاد الكفر والشرك، فلما وصل إليها المجاهدون المسلمون أسلم أقوام وقبائل، لكن بقيت فيهم العادات الجاهلية وطقوس الشرك؛ لكونهم حديثي عهد بالإسلام،ولم تحصل لبعض القبائل التربية الإسلامية الكاملة، فبقوا يمارسون تلك التقاليد والطقوس مع ادّعاء الإسلام ، وكانت تلك العادات والتقاليد مرتبطةً بمناسبات الأفراح والأحزان، وكان منها ما ابتدعه القبوريون وكانوا يرون أنّ فيها أجراً وثواباً، مع أنّ بعضها كان مشتملاً على الشرك الخفي بل على الشرك الجلي أحياناً .

ولما كانت الجامعة الإسلامية **دارالعلوم بديوبند** قد أُنشئت لنشر السنة، وإزالة البدع فقام علماؤها منذ أول يوم بدحض التقاليد الخرافية، بإلقاء الخطب والمواعظ وإعداد النشرات والكتب ، وإقامة المناظرات الشعبية.

وقد نشأت في ثلاثينات هذا القرن طائفة متطرّفة من المبتدعين القبوريين، وكان إمامهم المدعو أحمد رضا خان البريلوي (١)، الذي لم يترك عالماً من علماء عصره إلاّ وقد رماه بالكفر ، وكان رجلاً نابغاً لبقاً سريع الكتابة ، فألّف مئات من الكتب في تكفيرعلماء الحق أمثال: **العلامة الشهيد إسماعيل بن عبد الغني** حفيد الإمام

---

(١) أحمد رضاخان البريلوي(م ١٣٤٠هـ) حامل لواء التكفير في شبه القارة الهندية، وأشهر داعٍ إلى التمسك بالتقاليد البدعية والخرافية المنتشرة في الهند حول الأعراس والضرائح والأعياد والمواسم ، وإثبات علم الغيب للنبي ﷺ والتصرف العام للأولياء والمشايخ، وهوالذي أذاع لقب "**الوهابي**" في شبه القارة الهندية. (أضواء على الحركات .. للشيخ النّدْوي ص : ٣٨)

ولي الله الدهلوي ، ومشيخة دارالعلوم بديوبند وعلماء ندوة العلمـــاء وغـيرهم ، ولقّبهم بالوهابيين لمشابهة جهودهم بحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب في المحافظـــة على عقيدة التوحيد ومحاربة البدع ، ولا تزال الكثرة الكاثرة من أولئك المبتدعين الذين يعقدون مواسم حول الضرائح وقبور الأولياء ، ويمارسون الأعمال الشركية.(١)

فكان للعلامة الفقيه **رشيد أحمد الكنكوهي** موقف رائع في دحض أباطيلهم، ثم قام حكيم الأمة الشيخ **أشرف علي التهانوي** بإعداد مؤلفاتٍ إصلاحية ، وإلقاء خطب ومواعظ ؛ لإرشاد الناس إلى اتباع السنة والتجنب عن البدع ، فانتفعت به الأمة كثيراً، وتخلصت من أدران الشرك - بفضل الله سبحاه وتعالى- آلافٌ مؤلفة مـــن جماهـير الناس وعامتهم . (٢)

وقد نبغ كثير من **علماء الجامعة** واشتهروا بالمناظرة مع أهل البـــدع لإقنـاعهم بالأدلة من القرآن والسنة من بينهم الشيخ **مرتضى حسن الشـــاندفوري** ، والشـيخ **محمد منظور النعماني**، وللشيخ النعماني مواقف رائعة في نقض أباطيلهم، وله وحده - رحمه الله -حوالي خمسين كتابا في الردّ على المبتدعين - منها:**"بوارق الغيب لمن يدعي لغيرالله علم الغيب"** و **"مناقشة حاسمة مع المبتدعين"** و**"السيف اليماني على فرقـــة رضاخاني"** .

---

(١) انظر للتعرف على هذه الفرقة المبتدعة عقائدها ونشاتها وتاريخها" البريلوية" رسـالة ماجستير للباحث نظام الدين عبد الرحمن النَّدْوي، أجيزت في جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية بالرياض، ودعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) يقول فيه الشيخ الندوي: "كان من كبار العلماء الربانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم في إصلاح العقيدة والعمل، وقدكان نفع كتبه ومجالس وعظه، عظيماً في إصلاح العقيدة والعمـل، واستفاد منها ألوف من المسلمين، ورفض عدد- لايحصيه إلاالله - العادات والتقاليد الجاهليـة، والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين، وفي بيوتهم وأفراحهـم وأحزانهـم، بسـبب الاختلاط الطويل بالكفار، وأهل البدع والأهواء..." [أضواءعلى الحركات الدينية... ص:٢٨-٢٩]

ولكلٍ من العلامة المفتي **محمد شفيع العثماني** والشيخ المحدث **محمد إدريس الكاندهلوي** ، وفضيلة العلامة المقرئ **محمد طيب** بحوث ومؤلفات في الردّ على البدع والخرافات، وقد أصبح الانتماء إلى الجامعة شعاراً لكون الإنسان مخالفا للبدع ، متبعا للسنة، وأهل البدع حينما يرون عالما من **علماء الجامعة** فلا يجتمعون حوله لأنهم يعدُّونهم من "**الوهابيين**" للقيام بنفس المهمة في رد التقاليد الشركية . (١)

ولذا فقد ظل **علماء ديوبند** من أول يوم إلى يومنا هذا - أكبر هدف لأتباع أحمد رضا البريلوي، فإنَّهم يخرجون "الديوبنديين الوهابيين" من مساجدهم، ويطاردونهم ويقاطعونهم في القضايا العائلية والمناسبات الدينية والاجتماعية.

يقول الشيخ **خليل أحمد السهارنفوري** :

ولما كان مشايخنا رضي الله تعالى عنهم يسعون في إحياء السنة، ويشمرون في إخماد نيران البدعة، غضب جند إبليس عليهم ، وحرّفوا كلامهم ، وبهتّوهم ، وافتروا عليهم الافتراءات ، رموهم بالوهابية (أي بمعناها المعروف المشوّهة صورةً المقبّحة طريقة) وحاشاهم عن ذلك . (٢)

بل تلك سنة الله التي سنّها في خواص أوليائه، كما قال الله تعالى في كتابه:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (٣).

---

(١) انظر " دور علماء الجامعة في دحض اباطيل المبتدعين والخرافيين" جريدة الداعي، العدد الخاص، ص: ٤٢

(٢) انظر لمعرفة موقف الشيخ عن علماء نجد كتاب: "**دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب**"، وص: ٣٢، و٦٥، و٧١٦-٧١٤ من هذا الكتاب.

(٣) سورة الأنعام: ١١٢

فلما كان ذلك في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ،وجب أن يكون في خلفائهم ومن يقوم مقامهم كما قال رسول الله ﷺ : "**نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل**" – ليتوفّر حظهم ويكمل أجرهم .

فالذين ابتدعوا البدعات، ومالوا إلى الشهوات، واتخذوا إلههم هوىً، وألقوا أنفسهم في هاوية الردي، يفترون علينا الأكاذيب والأباطيل، وينسبون إلينا الأضاليل (١).

و لم يمنعهم كل ذلك عن الدعوة إلى الصراط المستقيم ، وعن إرشاد الناس إلى الدين القويم ، فبيّنوا لهم ما هوالحق من الباطل ، وميّزوا لهم السنن من البدع، ونقّحوا ما هوالمشروع من الممنوع من العادات والتقاليد في جميع مجالات الحياة من الأفراح والأحزان، والحمد لله قد نجحت جهودهم وأثمرت مساعيهم .

وكان من العادات الجاهلية أنّ المرأة إذا مات زوجها لم يكونوا يزوّجونها ثانيةً، ولا كانت هي تتزوج بل ترغب عن ذلك، فكانوا يعتبرون النكاح الثاني للمرأة عاراً ووقاحةً ، فقام **مشايخ *ديوبند*** لإبطال هذه الجاهلية بجد تام وجهد كامل . وقدكان سبقهم في ذلك الداعية الشهيد **إسماعيل الدهلوي** وشيخه السيد **أحمد الشهيد**، فألفوا كتباً ورسائل ، وعقدوا الحفلات في المدن والقرى، ووعظوا الناس وبينوا لهم سيرة النبي ﷺ وسيرة الصحابة، وبيّنوا أنّ التجنّب والتحرز مما أحل الله تعالى ليس من شأن المسلم، فقبل الناس ما دعوهم إليه، وانقادوا لمواعظهم، حتى أنّ العجائز قد نكحن أنفسهن حرصاً على إحياء ما اندرس من دين الله وشريعته ، فبفضل الله وبفضل جهودهم انقمعت هذه الجاهلية العمياء عن مجتمعنا الإسلامي المسلم بالهند .

---

(١) المهنّد على المفنّد ص ٤ و٥

وكان الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** ومشايخه ورفقاؤه من أحمس الدعاة لذلـــك، ولم يكتفوا في ذلك بالدعوة والوعظ فحسب، بل أجروا ذلك وأحيوا هـــذه السـنة عملياً، فإنّ الشيخ النانوتوي كانت له شقيقة أسنُّ منه ، وكان زوجُها قد توفي عنهـــا منذ أمد بعيد فأنكحها ثانيةً في ذاك العمر بعد أن تكلم معها وأرضاها لذلك.

ولهم - في قمع البدع وإحياء السنن- مؤلفات كثيرة نافعة قيمة ، فقد ألّفوا كتباً ذات أهمية في الردع عن التقاليد الباطلة والأمور الجاهلية ، منهـــا كتـــاب الشـيخ **أشرف علي التهانوي** - كتاب صغير في حجمه - نافع ونادر في محتواه وهو كتـــاب "**إصلاح الرسوم**"[إصلاح التقاليد] فقد جمع واستوعب فيه الشيخُ مثل هذه الأمـــور وأرشد الناس فيها إلى ما هو المحبوب المرضي عند الله تعالى ورسوله.

ولعل من أجمع مؤلفاتهم في بيان البدع - مـــع الإيجـــاز والإحكـــام كتـــاب "**الجنة لأهل السنة**" للشيخ عبد الغني الدهلوي، وكتاب "**المنهاج الواضـــح**" للشـيخ سرفراز خان صفدر ، وله عدة كتب قيمة في الردّ على مثل هذه الأمور والعادات.

وأستحسن أن أختم هذا المبحث بعبارةٍ من كتاب: "**دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب**" للعلامة الراحل محمد منظور النعماني رحمه الله، يقول: [١]

"..وأكدت لي دراستي هذه أنّ الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** النجـــدي رحمه الله قد واجهَ نفس الموقف -من الافتراء واختلاق أنـــواع الأكـــاذيب والأراجيف- الذي واجهه الشيخ **إسماعيل** الشهيد من المبتدعين والخرافيـــين والقبوريين ومقدّسي الأضرحة. [٢]

---

[١] دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ٢٤-٢٥

[٢] الأضرحة - ويسمونها بالأردية "تعزية"- هي التي يتخذها الشيعة من القصب ومـــن الأوراق في ذكرى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما".

إنّ دراسة مؤلفات الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** وعلماء جماعته تجلي الحقيقة ولا تدع مجالاً للشك في أنّ دعوة **الشيخ محمد** كانت تهدف - أصلاً إلى إخلاص التوحيد، والعض على السنة بالنواجذ، والجهاد بكل طريق ممكن ضد الشرك والبدع بأنواعهما، وعرض الإسلام في صورته الأصلية نقياً خالصاً صافياً... وبالجملة كانت رسالته مبدئيا هي نفس الرسالة التي تقدم بها الشيخ **محمد إسماعيل** إلى الطبقة المنحرفة من المسلمين الهنود من خلال **كتابه "تقوية الإيمان"**، وقد حمل لواءها من بعده **علماء ديوبند** من أمثال الشيخ **الإمام محمد قاسم** مؤسس الجامعة الإسلامية ***دار العلوم ديوبند***، وزميله العظيم العلامة **الإمام رشيد أحمد الكنكوهي** ، وتلاميذهما ومن خلفهما في الدعوة والمهمة من ألوف العلماء والأفاضل.

ومن هنالك رماهم علماء "بدايون" و"بريلي" من الدعاة المتحمسين إلى البدع والخرافات والواقفين من ورائها، بكل وسائل وإمكانيات **"بالوهابية"** ودعاهم **"وهابيين"** (١) لكي يثيروا سخط الجماهير الجهلاء ضدهم ويكسبوا ودهم وولاءهم- ذلك أنّ دولاً عديدة كانت تستشعر من **"حركة الوهابية"** و**"الوهابيين" - أي** الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** وأتباعه - خطراً كبيراً على كيانها، إذا أنها رأت أنهم في ازدياد مستمر، قوة نفوذ،

---

(١)وإن كان هذا الانتماء الكريم لاغضاضة فيه، لكني إنما ذكرت دلالة على أن الخرافيين اتخذوا كلمة "الوهابي" و"**الوهابية**" كلمة سبة وعار يرمون بها من يعارضونهم ويخالفونهم في الرأي والعقيدة

وروح جهاد، وثقلاً سياسياً -وبجانبها طوابير أنصار البدع والخرافات وعباد القبور والأضرحة وأشياعهم من علماء السوء، قد ركزتْ كلَّ إمكانياتها ووسائلها المتاحة على القيام بالدعايات الكثيفة ضد "**الوهابيين**" و "**الحركة الوهابية**"- على حد تعبيرهم- في العالم الإسلامي كله من شرقه إلى غربه، حتى صار المسلمون في كل مكان - بل وبعض الخواص من العلماء المخلصين أيضا الذين لم يكن لهم اطلاع على الموقف- يرون "**الوهابيين**" أسوأ من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس.

وكل ذلك جعل المخلصين من المسلمين من أولى العقيدة الصحيحة أيضاً يقعون فريسة سوء الفهم ويتبرأون من الشيخ محمد وأتباعه بل ويبدون الكراهية والتقزز منهم، ظناً منهم أنَّ ذلك من متطلبات الإيمان والإسلام والحب لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام . (١).

وبالجملة فإنَّ الدعاية الشيطانية العالمية التي قام بها أعداء الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** في مجال السياسة والدين والعقيدة والفكر والرأي، قد أثَّرت تأثيرها المطلوب على القطاعات الدينية والأوساط الإسلامية التي احتضنت دعوة الشيخ **إسماعيل** الشهيد -من خلال كتابه "**تقوية الإيمان**"- إلى التوحيد الخالص النقي، واتباع السنة المحضة. (٢).

---

(١) دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ١٠١-١٠٣

(٢) دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ١٠٥-١٠٧

الاعتزاز بالعقيدة والثبات على الموقف

وقد أملّتهم – في الانتصار والانتماء إليهم والاعتزاز بهم – قيادةُ المنتمين إلى ديوبند، وقيادة حركتها وإدارتها، لحركة تحرير البلاد، ومحاربة السلطة الإنجليزية والاستعمار، ثم استقامتهم في الدين، وتجرُّدهم عن المطامع والشهوات بصفة غالية، وصلاحُهم واستقامتُهم على السُّنّة، ونفورُهم عن البدع والمحدثات، وإنكارُهم الصريحَ القويُّ على ما شاع في شبه القارة الهندية من تقليد غير المسلمين في إطار المهرجانات، والأعياد والمواسم، وزيارة المشاهد وتقاديسها، ولُقّبوا بـ"الوهابية"، وقوطع كثيرٌ منهم، وحورب حربًا شعواء، ولكن لم يُضعِف كلُّ ذلك من صمودهم، واستقامتهم وصراحتهم، واعتزازهم بعقيدتهم، والثبات على موقفهم.

العلامة النّدوي

من مقدمة الكتاب

علماء ديوبند

ونشر الثقافة الإسلامية

فلما رأيته وجدته - ولله الحمد - يجمع إلى فخامة المبنى، جزالة المعنى، فهو- ولله الحمد - جامعةٌ عريقة ثبّت الله تعالى بها الإسلام، وجعل فيها من البركات مالايعلمه إلاهو، فإنها جامعة مباركة، لها تاريخٌ مشرق في تخريج أفواج من ورثة النبي صلى الله عليه وسلم من أمته في تبليغ دينه ودعوته ، أفواج نفع الله تعالى بهم، وانتشروا في شتى أقطار القارة الهندية وفي أقطار أخرى من الأرض ، فكانوا ولله الحمد يدعون إلى الصراط المستقيم والنهج القويم، وكانوا سبباً في ثبات المسلمين على دينهم وردّ عاديات أعدائهم ..

فضيلة الشيخ

عبد الله بن صالح الصغير

في كلمته التي ألقاها في

دارالعلوم ديوبند

"... وقد كان لكتاباتهم فضل كبير في إعادة الثقة إلى الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية العصرية من أبناء الإسلام بالعقائد والمقررات الدينية ، وبالحضارة والثقافة الإسلامية، وبتاريخهم الزاهر، وبلغتهم وآدابهم، وفي إحياء الاعتداد بالنفس والثقة بالذات، وإزالة "مركب النقص" الذي أحدثته الهزيمة في الصراع مع الاستعمار الإنجليزي في ١٨٥٧م، وأصلته الثقافة الغربية، والغزو الفكري الأوربي

ثم إن كتاباتهم تتميز بالأصالة "Originality" والنزاهة والتجرد -إلى حد كبير- من "التطرف" وسوء الفهم ذلك الذي ينشأ طبيعيا من الدراسة غير المباشرة ، ومن المعلومات الحاصلة بالوساطة وبطريق غير مباشر. والذي وقع -ولا يزال يقع- فريسته المستشرقون ورجالات العلم والبحث في أوربا ، وتلاميذهم في الشرق والغرب.. وذلك بفضل تعمق هؤلاء العلماء والمؤلفين في اللغتين العربية والفارسية، وتحصيلهم للعلوم الإسلامية، وتخرجهم فيها بطريق منظم، واطلاعهم المباشر على المصادر والمراجع الإسلامية الأصلية، واقتدارهم على الاستفادة منها، والرجوع إليها متى شاؤوا

العلامة الندوي

[الإسلاميات، ص: ٤٨-٤٩]

دور علماء ديوبند

في نشر الثقافة الإسلامية

الظروف التي افتتحت فيها "*دارالعلوم*" كانت ظروفاً شديدة قاسية ليس للهند فحسب بل للعالم الإسلامي كله، وكانت البلاد الإسلامية تمر بأحوال متشابهة وأوضاع متماثلة، فكان أغلب البلدان الإسلامية يرضخ تحت وطأة الاستعمار الغربي، ويعاني الذل والمهانة والاستعباد، ما كان يهدد شخصيتها الإسلامية وروحها الدافقة بالحب والولاء للدين الحنيف الذي أتى به نبينا محمد العربي ﷺ؛ لإنقاذ البشرية التائهة من متاهات الظلمات الكثيفة من الشرك والكفر ، وكانت الدول المستعمرة قدتكاتفت وتضافرت على محوالإسلام وإقصائه عن المجال الحيوي والعملي، هادفةً إلى إطفاء النور الإسلامي، وطمس معالمه وبصماته من العالم أجمع بحيث لا يبقى له أثر ولارسمٌ ، نتيجةً للبغض الذي ورثه الغرب جيلاً بعد جيل منذ عصور الحروب الباردة بين المسيحية والإسلام، والتي مازالت مستمرة منذ ذلك الوقت و لم تقف للحظة واحدة سواء شعرنا بها أو لم نشعر .

ومن المؤسف أنه لم يكن هناك أي بلد إسلامي يواجه الاستعمار وأهدافه المدمرة بخطط دقيقة وبسلاح قوى رادع ، وبأساليب جادة هادفة ، بل كانت أغلب الدول المسلمة ابتليت بالصراع الداخلي، والاحتكاك المحلي، والتصارع الشديد الإقليمي والعرقي الذى كان يسبب ذهاب قوتها وأموالها وأرواحها في باطل لا يعود عليها بفائدة، بل إنّ هذا الصراع الداخلي كان قد أصبح دافعاً قوياً لغلبة الاستعمار واستعباد الأمة الإسلامية في العالم .

وقد نشأ بذلك فساد منتشر في الأمة، وانحطت الأخلاق وذهبت القيم، واضمحلت الروح الدينية ، وعمت ظواهر البعد عن روح الكتاب والسنة ، وفشت الرذائل ، وشُغل المسلمون بأمور تافهة باطلة، بعيدة عن المبادئ والعقيدة الإسلامية، وساد الجهلُ عامةَ الأقطارِ الإسلامية .

في هذه الظروف العصيبة كان افتتاح *دارالعلوم* في أرض بعيدة عن مهد الإسلام ومحط النور الإسلامي، فكان تجاوباً لما كانت تتطلع إليه النفوس، واستجابة للوضع الخطير الذي نكب به المسلمون عامة في أرجاء العالم الإسلامي، وهم كانوا في أمس حاجة إلى أن تجدد فيهم الروح الإسلامية وتوقظ العاطفة الدينية ، وتوجد فيهم قيم سامية ، ومثل عليا نبيلة ، وكانوا في حاجة ملحة إلى الوعي الصحيح ، والفهم السليم لمبادئ الإسلام وأسس العقيدة التي يقوم عليها بناء الإسلام الشامخ الرصين .

و لم تمض على *دارالعلوم* برهة من الزمان إلاّ قد امتدت شهرتها وطار صيتها فتجاوز الآفاق ، فتهافتت عليها قوافل طلبة العلوم الإسلامية ورواد المعارف النبوية من أطراف العالم، تختلف أجناسهم وألوانهم، ولغاتهم وملابسهم، وهيآتهم وأزياءهم، ترد جماعاتهم متحملين عناء السفر، صابرين على وعثاء الرحلة، مستلذين ما يعتريهم من مصائب الزمن ونكبات الدهر، ومستعذبين في طريق الهدف النبيل والمطلب السامي مضايق الحياة ومتاعب الغربة ، ***مما يدل على أنّ أبناء تلك البلاد كانوا في أمس حاجة إلى مثل هذه الجامعة المستقلة، القائمة على أسس سليمة للدين والعقيدة؛ ليستمدوا منها معنويتهم وحيويتهم، ويشفوا غلتهم، ويشبعوا أنفسهم .***

ومن هنا قدقامت دارالعلوم بدورٍ هامٍ في نشر الثقافة الإسلامية في الهند وفي خارجها من البلدان الإسلامية وغيرها، وانتشر علماؤها ومتخرجوها في أغلب أقطار العالم، وهذا شيء لم يتهيأ لأحد من المعاهد الدينية على كثرتها في الهند، وإنّ تقاريردارالعلوم السنوية تفيد بأنّ الذين ارتووا من هذا المنهل العذب من

أبناء مختلف البلاد والأقطار يبلغ عددهم ألف نسمة ، ينتمون إلى أقاليم شتى، فمن البلاد العربية "الحجاز" و"اليمن"و"فلسطين" و"حلب" و"الجزائر"و"تونس" و"سودان" ومن غير العربية "بورما" و"التبت" و"إندونيسيا" و"ماليزيا" و"أفغانستان" و"آذربيجان" و"إفريقيا الجنوبية والوسطى" و"بخارى" و"قازان" و"الاتحاد السوفيتي" و"الصين" و"فرنسا"، وأمّا باكستان وبنغلة ديش ونيبال وبورما وأفغانستان ففيها عدد هائل من علماء *دارالعلوم* الذين التهلوا من هذا المورد العلمي الفائض مباشرة، وهم الذين تدور حولهم رحى المسائل الشرعية والقضايا الدينية على وجه العموم ، ولهم مكانة بارزة في مصاف أهل العلم، ينظر إليهم بنظرة الإجلال والإكرام، وتسمع كلمتهم، ويعتمد الشعب على ما يصدر منهم من الفتاوى العلمية في المسائل الشرعية.

وإن هذا العدد – البالغ ألف نسمة – للذين استفادوا من هذا المعهد الكبير مباشرة ومن غير واسطة، وأمّا الذين استفادوا ولا يزالون يستفيدون من *علماء الدار* الذين قد انتشروا في هذه البلاد المختلفة ، وسعوا في نشر الثقافة الدينية على وجه الأرض تدريساً وإفادةً، وتبليغاً وإرشاداً ، تأليفاً وتصنيفاً ، فلا يأتي عددهم في حصر وإحصاء، فكم منهم من مدرسٍ قد تولى منصب التدريس، وكم منهم من ألف وصنف فأثرى المكتبة الإسلامية وأغنى الآداب الدينية ، وكم من مرشد وهاد اهتدى به خلق كثير،وكم من خطيب مفلق قرع بكلامه الرنّان وخطابه الفصل آذان الناس، وكم من مبلغٍ وداعٍ إلى الله حمل لواء الدعوة الإسلامية وجال في الأرض وقطع من المسافات البعيدة والهضبات الوعرة أميالًا وأميالاً .

وهذا هوشيخ الإسلام حسين أحمد المدني صاحب مشيخة *دارالعلوم* ورئيس هيئة التدريس فيها سابقاً قد جلس في الحرم النبوي مدة سبع عشرة سنة يدرس العلوم الدينية، ويتهافت عليه الطلبة من البلاد العربية – المجاورة للحجاز وغيرها من أقاليم

شاسعة – فيتنافسون في التلمذ عليه، ويأخذون منه من العلوم الإسلامية ما يشفي صدورهم ويروي غلتهم (١)، وإنَّ أسرته التي قد هاجرت إلى المدينة من الهند في أيام القلاقل والاضطرابات والاستيلاء الاستعماري تفتح **مدرسةً شرعيةً** في جوار الحرم النبوي على غرار ***دارالعلوم***؛ لتتولى نشر الدعوة الإسلامية والعلوم الدينية، ولا تزال هذه المدرسة تؤدّي وظيفتها إلى اليوم باستمرار .

وهذه **المدرسة الصولتية** في مكة المكرمة التي قد تجاوزت شهرتها الآفاق، واعترف أقطاب العلم والفكر في العالم بخدماتها المشكورة في نشر العلم والثقافة الدينية، والآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة، وبث الوعي الديني الصحيح السليم، وتخريج الحفظة لكتاب الله العزيز ، يقوم عليها من ينتسب إلى ***دارالعلوم*** وشيوخها، ولاتزال هذه المدرسة جاهدة في أداء واجبها نحوالجيل المسلم والنشء الإسلامي الناهض.

---

(١)يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في مجلة المنهل عدد صفر ١٣٥٩هـ(ص: ٩) في ترجمة الشيخ المدني رحمه الله : "وقدم إلى المدينة المنورة في سن الشباب، وطلب عليه العلم كثير من أهلها، وانتفع بتدريسه في المسجد النبوي خلق كثير ، ونذكر في طليعتهم **الشيخ أحمد بساطي** نائب قاضي المدينة المنورة سابقاً، والعالم الجزائري **البشير الإبراهيمي**..."

ويقول الأستاذ محمد مهداوي مؤلف كتاب: "**البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه**": "فبعد أن طاف على حلقات العلم بالحرم النبوي الشريف اختار من بين العلماء، اثنين، وجد عنهما العلم الصحيح، هما: الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي والشيخ حسين أحمد الفيض آبادي الهندي ، وقد هداه إلى ذلك الاختيار كثرة محفوظه وتمكنه من العلوم الدينية، فلازم الأول في دروس الفقه حتى أخذ عنه الموطأ روايةً ودرايةً ، وكذلك شرح سيرة ابن هشام،، كما لازم الثاني في دروسه لصحيح مسلم، حيث يقول عنهما: " ..وأشهد أني لم أر لهذين الشخصين نظيراً من علماء الإسلام وإلى الآن، ولم أر مثل الشيخين في فصاحة التعبير ودقة الملاحظة والغوص عن المعاني، واستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض ، والتقريب للمعاني القصية.."

[البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، (ط دارالفكر سورية ١٩٨٨م) ص: ٤٤،]

وقد انبث علماء *دارالعلوم* في أقطار القارة الإفريقية العظيمة يوالون عمل التدريس للعلوم الإسلامية في المعاهد والمدارس، وطلبة أفريقيا الجنوبية لا يزال عدد كبير منهم في *دارالعلوم* يتعلمون الآداب الإسلامية ، ويبرعون في العلوم الدينية ويتخرجون فيها.

وهذه **جماعة التبليغ** أكبر حركة إسلامية للدعوة والإرشاد في العالم، قد انتشر دعاتها ورجالها في معظم الأقطار من العالم ، وقد بلغ دعاتها منذ سنوات إلى أمريكا والاتحاد السوفيتي والصين واليابان وألمانيا وغيرها من البلاد الأوروبية، وقد أثمر الله جهودهم، فقد نشروا كلمة الإسلام وبلغوا رسالته إلى من لم يكن من السهل والميسور الوصول إليهم ، وكم من منحرفي الأخلاق استقاموا، وكم من المبتدعة تابوا ، وكم من جاهلٍ بالشريعة عرفوها، وكم من مستهزئٍ بالإسلام خشعوا له، وكم من كافر وغير مسلم قدأسلموا وتابوا ، فإنّ هذه الجماعة -حقا- قامت - بفضل الله - بدورٍ كبيرٍ في مجال الدعوة والتبليغ، وبث الوعي الديني والثقافة الإسلامية، بحيث لايوجدله نظير-في تاريخ الإسلام الممتد - منذ أيام طويلة وقرون بعيدة.

وإنّ هذه الجماعة غالب علمائها والعاملين فيها والمبرزين من رجالها قدتعلموا في *دارالعلوم ومظاهر العلوم بسهارنفور*، وتخرجوا على أساتذتهما وشيوخهما، ومؤسس جماعة التبليغ العارف الزاهد الفاني في الله الداعية الكبير الشيخ **محمد إلياس**، وخلفه البار العلامة الشيخ **محمد يوسف** صاحب"**حياة الصحابة**" [في تراجم الصحابة وحياتهم] من علماء *دارالعلوم* المشهورين المجاهدين، فقد انتشر فيض *دارالعلوم* - عن طريق هذه الجماعة - في أكثر بقاع الأرض وتأثر أهل الأرض بعلماء *دارالعلوم* - مباشرة أو بواسطة - تأثراً قوياً بالغاً ، واستمدوا منها معنويتهم، واستوحوا منها الروح الأصيلة الدينية ، وعرفوا فضل الإسلام وتفوُّقه علىالأديان الأخرى.

ومن جال في الأرض وساح في هذه الأقطار الأجنبية شاهد آثاراً ملموسة من اليقظة الدينية والوعي الإسلامي، والعاطفة القوية المؤمنة، والفهم الصحيح للدين، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الدين، والميل القوي إلى الاستضاءة بنور الكتاب والسنة في شؤونهم المنزلية والاجتماعية، ما يقوم برهاناًساطعاًودليلاً واضحاً على جهود علماء *دارالعلوم* وفضلهم في إثارة العاطفة الدينية، ونشر الثقافة الإسلامية وتوعية الجيل وإيقاظه من غفلة وسبات في كافة أقطار العالم.(١)

وقد نشأ فيهم دعاة وواعظون يبينون للناس محاسن الإسلام وتعاليمه ومعالمه، واشتهر بذلك منهم عدد كبير ، من أبرزهم في الزمن القريب الشيخ المقرئ **محمد طيب** رئيس *جامعة دارالعلوم* الأسبق ، وقد طبعت محاضراته في عدة مجلدات وفي صورة رسائل مستقلة ومجموعات صغيرة ، وكان يلقب بـ **"حكيم الإسلام"**.

والذي سبقت له السوابق في هذا الباب، وطار صيته واسمه في الآفاق هوالشيخ **أشرف علي التهانوي** المعروف بـ **"حكيم الأمة"** فإنه كان يلقي الخطاب كل أسبوعٍ بعد صلاة الجمعة في مسجده ، وكذا إذا سافر في البلدان والقرى ، وخطبه تلك محفوظة في دفاتر ضخمة ، و منها ماطبعت باسم المواعظ ، وكل وعظ وخطاب موسوم بعنوانٍ مستقلٍ ، وبلغ عدد ما طبع منها إلى المئات، وهي مقبولة متداولة بين العوام والخواص ، وقد جعل الله تعالى فيها تأثيرا عظيما في إصلاح الناس وتبعيدهم عن التقاليد الجاهلية وطقوس الشرك ، وفي تزكية النفوس، وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالورع والتقوى وأنواع الفضائل .

ولا تزال تطبع مواعظه وخطبه ، وقد توجّه عدد من العلماء الكبار إلى إعادة نشرها منقّحة محقّقة . (٢)

---

(١) جريدة (الداعي) العدد الخاص (بتصرف)

(٢) انظر ص: ٢٧٤ لماأشار إليه العلامة الندوي من جهوده في إصلاح العقائد والأعمال.

٩

علماء ديوبند وإظهار كلمة الحق

وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر

العلامة الندوي

ولو نطقت حجارة جزيرة أندمان في خليج البنغال لسمعنا العجائب وألوان الفظائع، التي أُلحقت بالعلماء؛ لأنَّ هذه الجزيرة كانت تابعةً لبريطانيا وتستعملها كسجن ومنفى أبديّ لأمثال هؤلاء العلماء المحرّضين ضد الاستعمار والتنصير.

د/ محمد أحمد ملكاوي

"..وإنَّ إخواننا علماء الهند وباكستان الذين نشأ فيهم المرزا غلام أحمد القادياني قد أبلوا بلاءً حسناً، ولم يدّخروا وسعاً في الرد عليه وعلى أتباعه، ولاقوا في سبيله كل عنت وأذى،

سماحة الشيخ محمد السبيل

"وبما

أنَّ العلمــــاء هم

المحـــرِّك الأول للشعـــب

لمواجهـــة التنصيـــر والاستعمـــار،

وهم الذيـــن يصـــدرون الفتـــاوى

بتحريم التعـــاون معهمـــا، لذلك

نال علمـــاءَ المسلميـــن الحظُّ الوافرُ

من التضييق،وبمختلف ألوان العذاب

شنقاً ونفياً وسجناً بلا محاكمة،"

د/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي

مقدمة التحقيق لكتاب:
إظهار الحق، ص:١٤

Scanned with CamSc

علماء ديوبند

وجهودهم لإقامة الحق وجهادهم في إظهار كلمة الحق

ومما امتاز به - أيضاً - *علماء ديوبند* هو جهادهم لإظهار الحق وكلمته ؛ عملاً بالحديث "**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**"، وتضحياتهم لإقامة الحق ونشره ، والصراع مع الحكومات في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل، ترى كل ذلك منهم في شبه القارة - في الهند وباكستان وبنغلاديش - وكذلك كان حالهم قبل انقسام البلاد .

ففي الهند لو أصدرت الحكومة قانوناً يتعلق بأمور المسلمين وهومغاير لشريعة الإسلام قاموا ضد الحكومة ، وألجأوها إلى التراجع والاعتذار، ويستخدمون لذلك كل ما أمكنهم من الوسائل من محاضراتٍ ، وكتاباتٍ واجتماعاتٍ وتصريحاتٍ وبرقيات احتجاج واستنكار وما إلى ذلك.

وقدأسسوا في الهند - العلمانية - قبل خمس وعشرين سنة "**هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية**" لتتفق بها - وتتحد - كلمة المسلمين في مثل هذه الأمور فتكون لها قوة وتأثير على الدولة.

وقد قامت هذه المنظمة - برئاسة العلامة المقرئ **محمد طيب** رحمه الله أولاً، ثم برئاسة العلامة الإمام **أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي** حفظه الله - بدور مشكور في الحفاظ على الكيان الإسلامي في الهند ، والمحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية للمسلمين.

ومن ذلك قيامهم بالرد على القوانين العائلية - المشتملة على عدة قوانين متعارضة مع الشريعة الإسلامية - فانه لما صدر الأمر من رئيس الدولة بتنفيذها

عارضوه معارضةً شديدةً في المحاضرات وكتبوا المقالات في الصحف والمجلات ، وألفوا في ذلك كتبا ورسائل، وردوها بأدلة الكتاب والسنة والإجماع .

يعرف ذلك كله من له إلمام ووقوف تام بأحوال هذه البلاد، ومنذ قريب أصدرت المحكمة العليا حكماً في قضية الطلاق يتعارض مع صريح الكتاب الكريم وصحيح السنة النبوية، فعارضه المسلمون ممثلين في **هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية** معارضة قوية ، بحيث سمع صداها في جميع أرجاء العالم، حتى اضطرت الحكومة إلى اتخاذ قرارٍ في البرلمان يقضي بإلغاء الحكم الصادر من المحكمة العليا.

ومنذ أيامٍ قلائل أصدرت الحكومة المحلية المتطرفة - في ولاية أترابراديش - توجيهاتٍ إلى دوائر التعليم تنص على إلزام جميع الطلاب بالتغني بنشيدٍ وثني في المراحل الابتدائية والمتوسطة، فبادرت **دارالعلوم ديوبند** بإصدار الفتوى لعموم المسلمين بالامتناع عن ذلك وأنه حرامٌ لاشتماله على أمور شركية، وتلاها احتجاج قوي من هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية وهيئة التعليم الديني بقيادة **سماحة الشيخ النَدْوي** الرشيدة، الذي أمر المسلمين بسحب أبنائهم من المدارس الحكومية ، مماكان له أثر بالغ في المجتمع الهندي، وكان لها صدى في وسائل الإعلام الدولية مما جعلت الحكومة المتطرفة تنسحب، وتتراجع عن هذا الحكم ، بل وأدى احتجاج المسلمين إلى عزل وزير التعليم - الذي كان أصدر القرار - من منصبه، والاعتذار إلى المسلمين.

وفي باكستان لا يزال *علماء ديوبند* يطالبون الحكومة بتنفيذ الشريعة الإسلامية والتحاكم إليها ، وهذا صراعهم مع الحكومة منذ إنشاء دولة باكستان، ولايخفى ماكان *لعلماء ديوبند* من دور فعال في إنشاء دولة باكستان ، ثم إعداد القرارالجامع الذي يحدّد الهوية الإسلامية لدولة باكستان،وهو الجزء الأساسي من دستورها، ومع مطالبتهم هذه لتحكيم الشريعة الغراء في جميع شؤون الحياة الإنسانية - الفردية والاجتماعية - يقومون بكل تضحية ضد القوانين الصادرة خلاف الشريعة.

ز

علماء ديوبند ومقاومة الاستعمار

"وقصارى القول أن المعهد العظيم الديني" دار العلوم الديوبندية" كما أصبح سبباً وحيداً (!) وعاملاً قوياً بين المسلمين لحفظ علوم الكتاب والسنة، كذلك أصبح سبباً لنفخ روح الجهاد في نفوس الأمة، ولاسيما في طوائف العلماء وطلبة العلم، فانتبه لهذه الفكرة السياسية أكابر ديوبند والناس نيام، وخدموا الدين والوطن والمدّعون رقود، قاموا بمقاومات سلبية ضد الحكومة الحاضرة، إذ كان الناس يزعمون أن نجاتهم وسعادتهم في إرضائها ، ونهضوا يعملون على استئصال شأفتها إذ كان القوم يعيشون في ظلال سلطانها الوارف، وكل من يتخرج اليوم من هذا المعهد تشاهدُ هذه الروح سارية في عروقه وشرايينه.

العلامة المحدث محمد يوسف البنوري

(مجلة الإسلام المصرية رجب ١٣٥٧هـ)

ومن سمات العلماء والمتخرجين في هذه المدارس الدينية البارزة، أنَّهم كانوا في طليعة المناضلين لتحرير البلاد وإجلاء المستعمرين ، وفي مركز القيادة في هذه الحركة الشعبية القوية، ومنهم انبثقت فكرة النضال ضد الاحتلال في الحقيقة ، وقد قاد كثير منهم حركات المقاومة الفعالة، والثورات المسلَّحة بمقدرة وشجاعة، فمنهم من قُتل شهيداً ، ومنهم من شُنق ، ومنهم من نُفي إلى جزائر إندمان، أو إلى منفى جزيرة مالطه، ومنهم من قضى شطراً من حياته في السجون والمعتقلات في داخل البلاد ، وتاريخُ حركة التحرير والاستقلال مقترنٌ بتاريخ العلماء والشخصيات الدينية في الهند، متداخلٌ فيه، بحيث لايمكن فصلُ أحدهما عن الآخر.

العلامة النّدوي

[المسلمون في الهند: ٢٢٥]

علماء ديوبند

ومقاومة الاستعمار في البلاد

عند ما قامت في الهند الثورة ضد الإنجليز شارك العلماء فيها مشاركة فعليـــة في كل ناحية ، وحملوا السيف والبندقية مع إخوانهم ، ولكن هناك موقعة تستحق أن نفرد لها مكاناً خاصاً، وهذه هي الموقعة التي دارت رحاها - في المـــدن التابعــة لمديريــة **"مظفر نكر"** شمال **"ميرت"** - بين العلماء والإنكليز .

فعند ما قامت الثورة في دهلي كان تلامذة مدرسة **الإمـــام ولي الله الدهلـــوي** وأتباع **السيد أحمد الشهيد** المسترشدون بطريقته يفكرون في القيام بعمـــل إيجـابيٍ، وأتباع السيد الشهيد لم يكفوا عن الحرب والجهادحتى بعـــد استشـــهاد أمـــيرهم في بالاكوت، فلا عجب أن ينتهزوا هذه الثورة العامة ويخوضوا غمارها .

اجتمع من هؤلاء العلماء الربانيين الكبار : **الحافظ ضامن والحاج إمـــداد الله** ، **ومولانا محمد** .... وبحثوا في أمر قيامهم بثورة ضد الإنكليز ، ولكن **مولانا محمد** كان يرى الامتناع عن ذلك ، لعدم الاستعداد ، وعدم وجود أسلحة توازن مـــا في أيـــدي الإنجليز، وإزاء هذا الاختلاف استدعوا مولانا **محمد قاسم النانوتوي**، ومولانا **رشـــيد أحمد الكنكوهي**، وكان من تلامذة مدرسة **الإمام ولي الله أيضاً**، ومن كبار العلمـــاء الربانيين كذلك، ولما قال مولانا محمد: لا توجد عندنا أسلحة توازي ما عند الإنجلـــيز قال مولانا **محمدقاسم** : ألا توجد أسلحة مثل ما كانت في أيدي أهل بدر؟ قالوا : نعم قال : كفى ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، وشمّروا عن سواعدهم ودعـــوا النـــاس للجهاد واختاروا مولانا الحاج **إمداد الله** إمامهم، ومولانا **محمد قاسم** قـــائدا عامـــاً،

ومولانا رشيد أحمد قاضياً ، ومولانا محمد منير النانوتوي والحافظ ضامن قـــائدين على الميمنة والميسرة ، وكان هؤلاء جميعا محل ثقة من العامة ، فتجمّـــع المجـــاهدون حولهم من كل ناحية ، وأتوا بأسلحتهم ، وكانت كلها من الطراز القديم حتى البنادق وكانوا يعنون بالتدريب من قبل .

وبدأوا في "تهانه بهون" التابعة "لمظفر نكر" قريبا من "ديوبند" فاستولوا عليهـــا وعلى ما حولها، وأقاموا فيها الحكم الإسلامي، وأخرجوا منها الحكام الإنجليز، فلمـــا وصلت هذه الأنباء إلى الإنجليز تحركوا من "سهارنبور" ومعهم مدافعهم متجهـــين إلى بلدة "شاملي" وعلِم العلماء بذلك ، ففكروا كثيراً : كيف يقابلون المدافع بالسيوف والبنادق القديمة ؟ و لم يلبثوا كثيرا حتى رأى مولانا رشيد أحمد أن يغامر بخطوة جريئة ضد هذه القوة الزاحفة، فأسرع مع كتيبته المكونة من أربعين مجاهداً، وكمـــن بـــين الأشجار في طريق هذه القوة ، حتى إذا مرت بهم أطلقوا عليهم الرصـــاص ، ففـــر الإنجليز وتركوا مدافعهم وأسلحتهم واستولى عليها مولانا رشيد أحمـــد وحملهـــا إلى إمامهم "الحاج إمداد الله"، وقد ألقوها أمامهم في المسجد فأثار هذا الإقـــدام شـــعلة الحماس في نفوس المجاهدين .

ثم تقدّموا ففتحوا مدينة : "شاملي" بعد معركة حامية بينهـــم وبـــين الإنجلـــيز استشهد فيها الحافظ محمد ضامن قائد الميسرة ، وبرغم استشهاده فإن انتصارهم ومـــا كان يترامى إليهم من أنباء انتصارات إخوانهم في دهلي وغيرها شدّ من أزرهـــم وأُزر العوام، حتى كانوا يُطاردون الإنجليز بالعصي والحجارة، يشاركهم فيه جميع الأهـــالي حتى النساء والصبيان ، ولكن بعد فترة جاءت الأخبار المؤسفة من دهلي حين انهـــزم الثوار واستولى الإنجليز عليها ، وأخذوا يَنكلون بأهلها فكلّت عدد المحاربين ، وخمدت فيهم روح الحماس، فلم يجدوا بداً من إلقاء السلاح ، والتخلص من أيدي أعدائهـــم الذين أخذوا يطاردونهم لينتقموا منهم ، فهاجر مولانا إمداد الله – وكان من كبـــار

الربانيين - إلى مكة المكرمة وسطع نجمه هناك ، وأصبح يدعى "شيخ العرب والعجم"، وألقي القبض على مولانا رشيد أحمد وظل في السجن ستة أشهر إلى أن صدر قانون العفو العام فأفرج عنه، أمّا مولانا قاسم النانوتوي فقد اختفى حتى صدور قانون العفوالعام ، فسلم من السجن. (١)

وبعد فشل جهود العلماء في ميدان الحرب قام العلماء الغيورون بإنشاء *جامعة ديوبند* ومراكز علمية أخرى ليستخدموا أساليب جديدة لمطاردة الإنجليز، وقد قيّض الله العلامة المحدث **محمود** حسن المعروف **بشيخ الهند** ، للقيام بخطة سياسية شاملة، التي عرفت بخطة الرسائل الحريرية وكان أكثر الناس غيظا على الإنجليز، ولذا فلم يزل تلاميذه يساهمون في حركة التحرير ومطاردة الإنجليز في حياة شيخهم وحتى بعد وفاته .

وقد اشتهر من تلامذة شيخ الهند المفكر الإسلامي الكبير **عبيد الله السندهي** والشيخ **محمد منصور الأنصاري**، وكلاهما كانا قدهاجرا إلى كابول لتحقيق خطة شيخهما، وثالثهما هوشيخ العرب والعجم المجاهد الباسل الشيخ **حسين أحمد المدني**، وقد شارك في الحركة معهم أمثال الشيخ **عبد الباري اللكهنوي**، والشيخ **أحمد علي اللاهوري** وغيرهم واستمروا في جهودهم حتى استقلت الهند في عام ١٩٤٧م . (٢)

وجملة القول في "**خطة الرسائل الحريرية**" أن العلامة المحدث **محمود حسن** المعروف بشيخ الهند كان قد وضع خطة سياسية للقضاء على حكم الإنجليز بالقوة

---

(١) "**معركة شاملي النضالية**" بقلم معالي الدكتور عبد المنعم النمر - وزير الأوقاف الأسبق بدولة مصر- جريدة الداعي العدد الخاص، ص: ١٧-١٨

(٢) "**دور العلماء في مقاومة الاستعمار**" جريدة الداعي العدد الخاص، ص: ١٤

العسكرية، وربما يستغربه من يعرف أن الشيخ كان عاكفاً على التدريس والإفادة طول حياته سوى فترة إساره في مالطة .

غير أن المتحف البريطاني يحفظ الوثائق وتقارير مخابرات الحكومة البريطانية – بكامل تفاصيلها – عن هذه الخطة ، وقد نشرت تلك الوثائق باللغة الأردية.

وهذه الخطة عرفت "**بخطة الرسائل الحريرية**".وكانت تهدف القضاء على الحكم الإنجليزي في الهند ، وبالتالي في سائر المستعمرات البريطانية وذلك باستخدام القوة.

وقد كان الشيخ أنشأ **تسعة مراكز سرية في دلهي، وكراتشي، وإنسان زي، وراندير** والأماكن الأخرى **داخل شبه القارة** ، وذلك للتدريب العسكري وتحريض جنود الإنجليز على الثورة وتهيئة المناخ للانتفاضة الشاملة داخل البلاد .

كما أنشأ خمسةامراكز في كل من **تركيا** ، والمدينة **المنورة** ، وبرلن ، وقسطنطينية وأنقرة ، وذلك لتحريض بعض الدول على إشعال نار الحرب وللحصول على التأييد المعنوي والدعم العسكري من بعضها.

كما قام الشيخ بإرسال خمس بعثات إلى **اليابان** ، **والصين والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا** لحمل هذه الدول على تأييد الشعب الهندي، *وأنشأ* حكومة موقتة في **كابول** ، وكان فيها تلميذه النابغة **عبيد الله السندهي** والشيخ **محمد منصورالأنصاري غازي** .

وكانت تركيا هي معقد الآمال – بعد الله سبحانه وتعالى – في القيام بالحرب ضد الإنجليز، فأجرى الشيخ اتصالات مع جمال باشا وغالب باشا من رجال الحكومة التركية، وأقنعهم واتفق معهم على موعد بداية الحرب ضد الإنجليز ، ووضعت خطة شاملة للحرب، وتمّ كل ذلك في خلال خمسة عشر عاماً.

وكاد الأمل يتحقق، وظهرت بارقة نجاح المهمة إذ انكشفت الخطة، وكان الخطاب الذي عثر عليه رجال مخابرات الإنجليز مكتوبا على قماش من حرير- وفيه توقيع رجال حكومة أفغانستان وتركيا- ومن ثم عرفت الخطة بحركة المناديل الحريرية.

فأُسر شيخ الهند وأصحابه وأُعتقلوا في مالطة، وبقوا في السجن ثلاثة أعوام، ولم يقدر الله النجاح للخطة التي لوتحققت لتغيّر مجرى التاريخ في شبه القارة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

هذه هي الخطة التي تعرف بخطة الرسائل الحريرية ، ووثائقها تدل على حنكة شيخ الهند السياسية وبصيرته النافذة ، تغمده الله بواسع رحمته ، وأجزل له الثواب على جهاده من أجل استعادة مجد الإسلام . [١]

يقول فيه الشيخ أبو الحسن علي النّدْوي:

وكان رئيس أساتذة *دارالعوم ديوبند* مولانا محمود حسن الذي اشتهر بعدُ بلقب شيخ الهند من كبار الحاقدين على الحكومة الإنجليزية ، ولا نعرف أحدا بعد **السلطان تيبو**[٢] من يبلغ مبلغه في عداء الإنجليز والاهتمام بأمرهم ، ومن كبار أنصار الدولة العثمانية التي كانت – وقتها- زعيمة العالم الإسلامي ، وحاملة لواء الخلافة ، وكان من كبار الدعاة إلى استقلال الهند ، وتأسيس الحكومة الوطنية الحرة ، وكان من الذين ملكتهم هذه القضية وتفانى فيها [٣]. كما أنه كان يقول إنّ مدرستنا هذه

---

(١) "خطة الرسائل الحريرية" جريدة الداعي العدد الخاص، ص: ١٦

(٢) الأمير فتح علي المشهور بتيبو سلطان حاكم ميسور – في جنوب الهند – الأمير المسلم الغيور الذي لم يستسلم للإنكليز إلى آخر حياته، وقامت معارك عديدة بينه وبين الإنكليز، واستشهد في معركة حامية بينه وبين الإنكليز عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م، انظر ترجمته في كتاب مسيرة الحياة للندوي ١ /٣٦-٣٧

(٣)المسلمون في الهند ص ١٧٩

لم تؤسَّس للتعليم فقط، بل لمواجهة مثل هذه الأمور والأحوال بالأولى بل الدرجة الأولى. (١)

ومع أن خطته المعروفة التي ذكرتها لم تتحقق بالنجاح - لكن ذلك لايعني فشل حركته كليا وتماما، بل لم تزل جمراته باقية ومشتعلة ، ولم تبرح آثاره وثماره تظهر للناس إلاّ أن الظروف غيّرت وجهة الحركة وصورتها ، وبعد انتقال الشيخ إلى رحمة الله تعالى (١٣٣٩عام هـ) - كان تلاميذه وأصحابه دائبين، متواصلين في هذا الجهد المبارك، وعلى رأسهم العالم الجليل المجاهد النبيل الشيخ **حسين أحمد المدني** - رئيس المدرسين وشيخ الحديث بجامعة **دارالعلوم** - وكان خليفة شيخه في السعي لاستعادة مجدالإسلام في الهند ، والإخلاص لها والتفاني في سبيلها، و العداء الشديد للإنجليز والحماس للقضية الوطنية ، حتى أسعدهم الله تعالى بتحررهذه البلاد-وتخلّصها من أيدي أعدى أعدائهم - واستقلالها ، مع انقسامها إلى مملكتين - بل إلى ثلاث فيما بعد - ولله الأمر فيما قبل وفيما بعد .

فإنه لما اضطرت بعض الظروف والأحوال إلى أن قامت جماعة من قواد المسلمين - من المثقفين والعلماء - فنادت بتقسيم الهند، ساعدهم على ذلك ووافقهم، بل تقدّم بهم إلى نيل مرادهم وبُغيتهم - جماعة من ***علماء ديوبند*** وأبنائها؛ نظراً إلى تلك الظروف والأحوال وكان على رأسهم شيخ الإسلام شبير **أحمد العثماني** أحد تلاميذ الشيخ محمود حسن ورفقائه وأعوانه .

وهكذا فإن إخراج الإنكليز من الهند ، وتحريرها من أيديهم واستقلالها، وتأسيس دولة باكستان ، كل ذلك منوط - بفضل من الله وتوفيقه - بجهود علماء ديوبند ومساعيهم .

---

(١)انظر ترجمته في سوانح قاسمي ٢/٢٢٦

نبذة من سيرة

علماء ديوبند

- سلوكهم
- عاداتهم
- أخلاقهم
- شمائلهم

... ورزقت

من أول يومها

رجالاً عاملين مخلصين،

وأساتذة خاشعين متقين ،

فسرت فيهـا روح التقوى

والاحتساب ، والتواضع

والخدمة ....

العلامة الندوي

المسلمون في الهند:

١١٤

علماء ديوبند

سلوكهم، وعاداتهم، وأخلاقهم وشمائلهم

ومما خص الله تعالى به *علماء ديوبند* ومشائخهم أن لهم فضلا كبيراً بل تفوّقـا بارزاً ، في اتباع السنة السنية ، فإنّ لهم اهتماماً بالغاً في ذلك يتتبّعون السنن في كتب الحديث، ثم يتّبِعونها ، في اللباس والطعام والشراب ، والسفر والحضر ، والمجالس والاجتماعات، وفي جميع شؤون الحياة ، ومن صاحبَهم ولازَمَهم زمانا - رآهم من أكثر الناس اتّباعاً للسنن ، واقتفاءً لهديه وسلوكه ﷺ (١).

ومما أكرمهم الله تعالى به هو إخلاص النية في جميع الأحوال وجميع الخدمات، تراهم يُدرّسون ويُصنّفون ويدافعون عن الدين ، ويناظرون أهل الباطل، ولا يريدون بذلك إلاّ رضاء الله تعالى، ويتّعدون عن الرياء والسمعة وابتغاء الشهرة ، من كل وجه ، فلا يلتزمون بكيف وزيٍ يتسبّب لذلك .

ولم يكن خدماتهم الدينية الدراسية والتأليفية وغيرها لأجل جمع المال، ولذا لم يكونوا يأخذون من المدارس رواتب شهرية لهم ، إلاّ القليل الذي لا يكاد يكفي لحاجتهم ، وأنّهم لم يكونوا يرون شيئاً واجباً على المدرسة ولا على المجلس الاستشاري، فكانوا أوّلاً يشكرون الله تعالى على ما أولاهم من نعمة العلم ، ثم على

(١)(العناقيد الغالية) ص ٢٩٨

ما استعملهم في دراسته وتدريسه ونشره ، وثانياً كانوا يشكرون المشرفين على المدرسة لأنهم عيّنوهم مدرسين ليتشرفوا بخدمة الدين، وقد وقع في بعض السنين أنّ المشـــرفين على المدرسة نقصوا رواتبهم الشهرية المعينة – لأجل قلّة الغلة والدخل – فرضوا بذلك من غير اعتراض ، ومن غير خصام وجدال ، كما أنهم ربّما حط المشرفون مراتبهم في العمل ، أوحوّلوهم من عمل إلى آخر ، أدون مما سبق ، ومن العمــادة إلى التدريـــس ونحوذلك ، فلم تتمعر لذلك وجوههم ، و لم تضق بذلك صدورهم .

إنّهم صنفوا وألّفوا كتباً كثيرة ، بلغت الألوف بل عشرات الآلاف ، وقدموهـــا إلى أصحاب المكتبات ، ومن يقوم بطبعها ونشرها ، مجّاناً من غير عوضٍ ماليٍّ ، مع أن كثيراً منها يسير مسير الشمس في الآفاق ، وصار كثير من تجار الكتب أغنياء وأثريـــاء بنشر كتبهم وبيعها.

وبما أنهم لم يكونوا يحبون الشهرة ، ولا يرغبون في الرياء والسمعة، لم يكن مـــن ديدنهم حب الثناء على أنفسهم ، وإذا أثنى عليهم أحد قطعوا كلامه، فاذا خـــاطبوا المجامع الكبار وألقوا المحاضرات والخطب قاموا متواضعين غيرطامعين في الثناء والمـــدح لأنفسهم أوعلى خطاباتهم ، فإن قام أحد يمدحهم منعوه وصرفوه إلى غيره.

ولأجل أنهم كانوا بعيدين عن الشهرة ، وكانوا يلقون المحاضرات والخطب ابتغاء وجه الله تعالى ، كانوا يحاسبون أنفسهم أن هذا الوعظ والتذكير والمحاضرة لله تعـــالى أولترفع النفس ؟، فإن خطرت في نفس أحد خاطرة أن الناس يحسبونه عالمـــاً كبـــيراً أوخطيباً مصقعاً ، قطعوا الكلام وجلسوا ، ولهم في ذلك وقائع كثيرة مشهورة. (١)

---

(١) انظر لمثل هذه الوقائع كتاب الشيخ محمد تقي العثماني : " من هم أكابر علماء ديوبند؟"

ومن نعم الله تعالى عليهم أنهم كانوا ملتزمين بالورع والتقوى واجتناب الشبهات، ومتحلّين بحسن الخلق، لا إعجاب بالعلم ولا اغترار، لا افتخار ولا استكبار، لاتعسف ولا تكلف ، في لباسهم سذاجة يظن بها الجاهل أنهم من عامة الناس ، شعارهم لين الجانب والرفق بالناس، وخفض الجناح مع الطلبة، يقتنعون بالقليل، ويكتفون باليسير، فيهم تواضع مع عزة نفس ، واستغناء من غير كبر ، وسخاء من غير إسراف، وإنفاق من غير إقتار، فيهم دعابة مع مهابة ، ضاحكون متبسمون بالنهار، بكّاؤون بالليل، يحبون في الله ويبغضون له ، يخشون الله ويخافونه ، يحاسبون أنفسهم ويراقبون أعمالهم، يجاهدون في الله تعالى ويسعون في إعلاء كلمة الحق، قلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، لا نقول : إنهم ملائكة معصومون، ولانزكّيهم على الله سبحانه وتعالى، ولكن نشير إلى ماظهر لنا من أحوالهم ، وكما عهدناهم فنقول إنهم مخلصون، إلى الله منيبون، ولكل هذا وذلك - اختارهم الله في هذا العصر لإعلاء كلمته وخدمة دينه فكانوا مصداق قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أوخالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس [١]..

وعند البيهقي في الدلائل - مرفوعا -: " إنّه سيكون في آخر هذه الأمة قوم لهم مثل أجر أوّلهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقاتلون أهل الفتن[٢].

فبارك الله تعالى في علومهم وأعمالهم ، وتقبل جهودهم ومساعيهم ، اللهم أمطر عليهم شآبيب رحمتك ورضوانك بفضلك ومنّك يا أرحم الراحمين .

---

[١] متفق عليه وهذا لفظ مسلم انظرمشكاة المصابيح ص : ٥٨٣

[٢] المصدر السابق ص: ٥٨٤

" بدأ الشيخ - رحمت الله الكيرانوي - تأليف هذا الكتاب بمقدمته وأبوابه دون أن يسميه، ولما انتهى من تأليفه هداه الله لأن يسميه" إظهار الحق" ، وسلّم النسخة الأولى منه بخط يده العربي إلى رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي،فقرأ في المقدمة أنّ تأليفه كان استجابةً لرغبة الشيخ أحمد دحلان إمام المسجد الحرام بمكة، فراجعه رئيس الوزراء بهذا الخصوص وأنّه هو والسلطان طلبا منه ذلك ولم يذكرهما، لاللسمعة والرياء ولكن تقريراً للحق والواقع، وإكراماً لمركز الخلافة.

فأجابه الشيخ رحمت الله بأنّ هذا غرض دينيّ سام، يجب أن يكون خالصاً لوجه الله ولايشوبه أي غرض دنيويّ أو تزلف إلى سلطان ، وإنّ الشيخ دحلان هو أوّل من اقترح عليه ذلك، فكان جوابه مقبولاً، وارتفع في عين السلطان، وعرف أنّه من طلاب الآخرة."

د/محمد أحمد ملكاوي

في مقدمة تحقيقه لكتاب: "إظهار الحق"

طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.. الرياض، ص: ٤٥.

ومن خصائصهم بل من أهم خصائصهم ، وأجلى وأعلى سماتهم ، أنهم جمعوا بين الشريعة والطريقة – التي يعنون بها السلوك والتصوف – لكن جعلوا الطريقة خادمةً للشريعة، وطهّروا التصوف والسلوك من البدع والخرافات ورسوم المتصوّفة المُفْسقة الذين يجعلون قبور الصالحين مساجد ووسائل للأكل وجمع الأموال ، فلو صاحَبَ *مشايخ ديوبند* رجالٌ يُبغضون التصوف – لأجل الصوفية الذين لم يبق عندهم إلاّ اسم التصوف، والذين شانوه بالبدع والمنكرات، والغناء والرقص وأمور غير شرعية – لقالوا إنّ التصوف الذي اختاره *مشايخ ديوبند* هو عين الشريعة ، لأنّ فيه تربية النفوس وتزكيتها ، وتخليةً عن الرذائل ، وتحليةً بالفضائل التي أمِروا بها في الشريعة الغرّاء .

قال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

"علم الصوفية علم الدين ظاهراً وباطناً ، وقوة اليقين ، وهوالعلم الأعلى، حاصله إصلاح الأخلاق ودوام الافتقار إلى الله تعالى، والتخلّق بأخلاق الله تعالى، وسلب الإرادة وكون العبد في رضاء الله تعالى."

وقال الشيخ أشرف علي التهانوي :

"حاصله المداومة على طاعة الله تعالى وكثرة ذكره."

وقال شيخ كبارِ مشايخ *ديوبند* وأوائلِهم الشيخ إمداد الله المهاجر المكّي:

ابتداؤه "**إنّما الأعمال بالنيات**" وانتهاؤه "**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**" .

وقال الشيخ الكنكوهي لأحد مسترشديه – بعد أن ذكر له حصول مرتبة الإحسان :

"فلا تحتاج إلى شغل من أشغال الصوفية ، والاشتغالُ بها بعد حصول مرتبة الإحسان تضييع للأوقات ومعصية."

وبالجملة أنَّ مشايخ ديوبند - أخذوا من التصوف زبدته ولبابه وتركوا قشـــره، وفتحوا لكل شخص بابه ، وكانوا يجتهدون لنيل مرتبة الإحسان باتّباع السنن الســنية وخدمة الشريعة العلية ، ومجاهداتهم لتزكية النفوس وتربيتها مختلفة ومتنوعة، لايقلدون فيها تقاليد الصوفية ، ويُجوِّزون لكل طالب حسب حاله ما كان موافقـــا للشـــرع الشريف[١].

يقول الشيخ أبوالحسن علي الحسني النُدْوِي - هويتحدث عن صلة الهند وعلاقتها بالتصوف - بعد الكلام في حقيقته والتعبير عنه :

"وقد كانت الهند مركزاً لهذا الصنف من التزكية والدعوة والربانيـــة لأســباب تاريخية خاصة (راجع لشرحها كتاب "**رجال الفكـــر والدعـــوة في الإســلام**")[٢] ونشطت فيها حركة الإصلاح وقويت حتى وصلت إلى أقصى العـــالم الإســلامي في الغرب والشرق، ووجد فيها مجتهدون استقلوا في تفكيرهم، وجدَّدوا هذا الفن وسهّلوه لأهل العصر، ونقّحوه مما التصق به من البدع والزوائد، واستخلصوا منه خلاصةً توافق نفوس أهل العصر وطبائعَهم وتقرب الطريق وتيسر الوصول. [٣]

اشتهر منهم - خاصة بعد الألف الماضي من الهجرة - الشيخ **أحمد بن عبد الأحد السرهندي** (م ١٠٣٤هـ) وأنجاله وخلفاءه، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعـــروف **بالشيخ ولي الله الدهلوي** (م١١٧٦هـ) وأنجاله وأصحابه، والسيد الإمام **أحمد ابـــن عرفان الشهيد** (م١٢٤٦هـ) وخلفاؤه .

---

[١] (العناقيد الغالية) ص ٢٩٥-٢٩٧ مع التلخيص والاختصار

[٢] وراجع أيضاً كتاب (المسلمون في الهند) للشيخ النَدْوِي حفظه الله تعالى ص ١٢٣-١٥٣

[٣] (المنهج الإسلامي لتربية النفس) ص ١٢

وأخيراً الشيخ **إمداد الله المهاجر المكي** وخلفاؤه ، و امتاز منهم مؤسّس جامعة ***دارالعلوم ديوبند*** الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** ورفيقه وقرينه الشيخ **رشيد أحمد** الكنكوهي، بل المؤسسون لها ولجامعة **مظاهر علوم بسهارنفور** وشقيقاتها ، وأوائل أساتذة **جامعة دارالعلوم و جامعة مظاهر علوم** وأوائل أبنائهما المتخرجين.

وكان لهم اهتمام بذلك بأن يتوجّه العالم والطالب بشراشره مع التعليم والتعلم إلى حصول التربية والتزكية، التي لا تتأتى إلاّ بالزوايا وأصحابها – في أغلب الأحوال – فكانت لهم مدارس وزوايا جنباً إلى جنب كما نسمع فيما مضى من الزمن، بل الحق أن المدارس كانت تمثل الزوايا ، والزوايا كانت تعمل أعمال المدارس أيضا ، يقول الشيخ أبوالحسن علي الحسني النَّدْوِي في كتابه – "المسلمون في الهند" :

"نحن نرى المدرسة والزاوية جنباً إلى جنب في أكثر الأدوار ، فالزاوية الرشيدية في جونبور، ومدرسة الشيخ بير محمد في لكهنؤ، ومدرسة الشيخ ولي الله ابن عبدالرحيم في دهلي ، وزاوية الشيخ رشيد أحمد في كنكوه، أمثلة رائعة للجمع بين التثقيف العلمي والتربية الروحية والخلقية ."(١)

هكذا كانت زاوية الشيخ إمداد الله المهاجر المكي ثم الشيخ أشرف علي التهانوي أحد خلفائه بـ "تهانه بهون" ومدارس ديوبند وسهارنبور .

ويحلولي أن أذكر هنا ما كتبه وذكره الشيخ النَّدْوِي في أحد خلفاء الشيخ المهاجر المكّي ، وتلاميذ الشيخ النانوتوي والشيخ الكنكوهي ، وأحد أبناء دارالعلوم الأوائل الأفاضل من هذه الناحية :

"وقد كان من خلفائهم المصلح الكبير الشيخ أشرف علي التهانوي، الذي هومن كبار علماء هذا العصر الربانيين. وأعظم مؤلف في هذا العصر بالإطلاق، ومن أعظم من انتفعت بهم الهند في إصلاح العقيدة والعمل، والرجوع إلى الله،

---

(١) المسلمون في الهند ص ١٤٩

وإصلاح النفس، وانتفع الناس بكتبه انتفاعا لم يعرف لعالم آخر في هذا الزمان، وقد شرح الله صدره لتيسير هذه الطريقة – التي كانت قد التوت وتعقّدت – وتقريبها وتشريح الغايات من الوسائل واللباب من القشور والزوائد، وبلغ فيها درجة الإمامة والاجتهاد، حتى أقر له كبار العلماء والشيوخ والمربين بالتفرد في هذا الباب والتجديد لهذا الفن ، ووفّقه الله عن طريق التربية والتأليف والوعظ، لتجلية حقيقة التصوف وإقناع الناس بأهميته والحاجة إليه ، وتيسيره لكل فرد على حسب طبقته وأشغاله، وثقافته وعقليته، حتى سهل مناله ودنا جناه، وأقبل عليه العلماء والزعماء، والمؤلّفون والموظّفون، وكبار المثقفين والمعلمين في الجامعات، وممن تأثر بالحضارة الغربية والفلسفة الحديثة، وتعرّض للإلحاد والمروق من الدين ، والعاطلون والمشتغلون ، وأهل النبوغ والذكاء وأهل الحرف والصناعات، وأصحاب النفوس القوية وأهل الهمم الضعيفة على السواء، حتى كان للتصوف وإصلاح الباطن مكانة في الطبقة المثقفة ودولة في هذا العهد المادي.

وتخرج على مدرسته الصوفية زهاء مائة وأربعين مسترشداً من أشهرهم العلامة السيد سليمان النَّدْوِي، ومولانا شبير أحمد العثماني من كبار مؤسّسي باكستان، والمفتي محمد حسن الأمرتسري مؤسس الجامعة الأشرفية في لاهور، ومولانا خير محمد الجالندهري مؤسس مدرسة خير المدارس كبرى المدارس الدينية في باكستان، ومولانا ظفر أحمد التهانوي من كبار علماء باكستان، ومولانا وصي الله المربي الكبير في الهند، ومولانا عبد الباري النَّدْوِي من كبار الأساتذة المفكرين ،([1]) ومنهم المفتي محمد شفيع الديوبندي المفتي العام الأسبق بباكستان، والشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي رئيس جامعة دارالعلوم سابقاً.

([1])من تقديم سماحته لكتاب: "المنهج الإسلامي لتربية النفس" ص ١٣

أزهر الهند

دار العلوم ديوبند

أنني رأيت في

مدرسة ديوبند

التي تلقب بأزهر الهند

نهضةً علميةً جديدةً، أرجو

أن يكون لها نفعٌ عظيمٌ،

وهذه المدرسة لخلفاء

ولي الله الدهلوي

العلامة السيد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار المصرية

كلمة

العلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار

عن رحلته إلى الهند وزيارته لجامعة ديوبند

أمَّا المسلمون (أي في الهند) فكانت سوق العلوم الدينية ووسائلها من العلوم العربية نافقة في كثير من مدنهم، ثم كسدت مدةً طويلةً ماكان يظهر فيها إلا قليل من العلماء، ثم جددها "**ولي الله الدهلوي**" صاحب كتاب **حجة الله البالغة** بنزوعه إلى الاستقلال في الفهم، واجتناب التقليد الأعمى في كل علم، وكان خلائفه يسيرون على طريقته ثم انحرفوا عنها،[١] وزجوا أنفسهم في غمرة التقليد اتّباعا لجمهور الطلبة وابتغاء مرضاتهم ، والعلم الصحيح والتقليد المحض ضدان لا يجتمعان ، وإنَّما يجتمع مع التقليد ويحالفه الجدل والمراء ، فزال بذلك العلم الاستقلالي أوكاد ، وضعف ما يسمى بالعلم التقليدي أيضاً كما ضعف في سائر الأقطار والبلاد.

على أنني رأيت في **مدرسة ديوبند** التى تلقب **بأزهر الهند** نهضةً علمية جديدة أرجو أن يكون لها نفع عظيم ، **وهذه المدرسة لخلفاء ولي الله الدهلوي** ، وقد اقترحتُ على علماء هذه المدرسة الأخيار عدة اقتراحات، في إصلاح التعليم وزيادة بعض العلوم العصرية في برنامجها(وهم يطلقون كلمة نصاب في معنى البرنامج أوالبرغرام في عرف مصر) وأن يجعلوا دراسة الفلسفة اليونانية خاصةً بطائفةٍ من الطلبة وهم الذين يراد منهم الإخصاء في العلوم العقلية والفلسفة القديمة وتاريخ هذه العلوم ، وأن يخصِّصوا لكل نوع من العلوم طائفةً من طلبة القسم العالي؛ لأجل النبوغ فيها بعدالاكتفاء من

---

[١] هذا ما لا يوافَق عليه ويخالفه ويفنّده الواقع، فلايقوله إلا من لم يمعن النظر في آراء الإمام الدهلوي ومسلكه ومذهبه، ثم منهج أبنائه الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبدالقادر رحمهم الله.، وانظر كلمة الإمام الكشميري في الصفحات القادمة.

غيرها بالقدر اليسير، ويُعِدُّوا بعضَهم للدعوة إلى الإسلام ، وبعضَهم لإرشاد عامة المسلمين، على منهج مدرسة دار الدعوة والإرشاد، وأن يعلّموا المبتدئين اللغة العربية نفسها بالتكلم والترجمة قبل تعليمهم فنونها والفنون الشرعية المتوقفة عليها، وحينئذ يسهل عليهم اقتحام العقبة الكؤود في طريق التعليم عندهم وعند سائر الأعاجم، وهي قراءة الكتب العربية في جميع العلوم والفنون بالترجمة ،(١) وإنني بعد مذاكرة بعض أعلامهم في حال التعليم عندهم خطبت فيهم خطبةً طويلةً في احتفالٍ عام اجتمع فيه المدرِّسون والطلبة، أودعتُها هذه الاقتراحات وغيرَها من النصائح التي خطرت على بالي في ذلك الموقف ، فرأيتهم قد وافقوني في جميع ما قلته ، ***بل كانوا قد سبقوا إلى الفكر والعلم ببعضه من قبل***، وأسسوا جمعية دينية للمدرسة سموها جمعية الأنصار.

ما قرت عيني بشئ في الهند كما قرت برؤية مدرسة *ديوبند* ، ولا سررت بشيءٍ هناك كسرورها؛ بما لاح لها من الغيرة والإخلاص في علماء هذه المدرسة، وكانَ كثير من إخواني المسلمين في بلاد مختلفة يذكرون لي هذه المدرسة ويصف رجالُ الدنيا منهم علماءَها بالجمود والتعصب، ويُظهرون رغبتهم في إصلاح وتعميم نفعها، وقد رأيتهم – ولله الحمد- فوق جميع ما سمعت عنهم من ثناءٍ وانتقاد، وأرجوأن يصدق ظني فيهم بأنهم أبعد من جميع من عرفت من علماء الإسلام الدينيين عن الجمود والغرور، وستكون الصلة بين مدرستهم ومدرسة دارالدعوة والإرشاد وجماعتها دائمة إن شاء الله تعالى ، وسأذكر في الرحلة خبر زيارتي لهذه المدرسة بالتفصيل، ومنه ما دار من الخطب هنالك ولا سيما خطبة أحد العلماء في تاريخ المدرسة وسير العلم فيها.

---

(١) وهذه الملاحظة هي الأخرى محل نظر فمما امتاز به التعليم الإسلامي في الهند – عبر العصور والأجيال – هي الاعتماد على مصادر العلوم الإسلامية من الكتاب والسنة مباشرة من غير اللجوء إلى التراجم المحلية ، حتى كتب الفلسفة والمنطق أيضاً مؤلَّفة باللغة العربية، وانظر للتعرف – تفصيلاً- على المنهاج الدراسي في الهند عبر القرون كتاب: الثقافة الإسلامية في الهند، مقدمة المؤلف عن تاريخ نظام الدرس جيلاً بعد جيل، ص: ٩-٧ [طبعة ثانية بمجمع اللغة العربية بدمشق]

هذا وإنَّ للعلم الديني بقية في معاهد ومدارس أخرى من المدن الآهلة بالمسلمين كدهلي ولكهنؤ ولاهور ....

وجملة القول إنّ التعليم الديني كان قد ضعف في الهند كما ضعف في سائر الأقطار، وقد طفق يجدد قوته، ويعيد ما فقد من استقلاله، ويصلح ما فسد من طرقه وأساليبه، ويوشك أن يظهر أثر الإصلاح ونتيجته في (ديوبند) قبل ظهورهما في الأزهر.

مدرسة ديوبند:

قد بينتُ في العجالة التي كتبتُها عن رحلتي وأنا في العراق **ما كان من سروري وارتياحي في مدرسة ديوبند الدينية، وأنّ الخبر لها كان خيراً من الخبر عنها**، فأشكر لعلمائها الأعلام، وطلابها النجباء، تواضعهم وكرمهم بالحفاوة بي، والعناية باستقبالي وتوديعي، إذ خرج لهما رؤساؤهم وجمهورهم إلى محطة السكة الحديدية البعيدة عن البلد، وفي مقدمتهم مولانا العلامة الشيخ **محمود حسن** رئيس المدرسين، ومولانا الحافظ **محمد أحمد** ناظر المدرسة، ومولانا العلامة الشيخ **عبيد الله** رئيس جمعية الأنصار، ومولانا العلامة الشيخ **أنور شاه**، ومولانا العلامة الشيخ **محمدحبيب الرحمن** من كبار المدرسين، وكان من ذوقهم ولطفهم أن وقّعوا على باب المدرسة قطعة كبيرة من النسيج، مرسوماً عليها حديث " **إنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**" وقد حيوني بالخطب والشعر حياهم الله تعالى، وبالغوا في الاعتذار عن التقصير في الضيافة بأنّ حالهم وحال بلدهم الصغيرة لا يمكّنانهم من كل ما يرونه لائقاً من كثرة الألوان، وضروب الإتقان، وأقول إنّهم والله ما قصّروا ولقد كانت ضيافتهم أنهم زوّدونا بأطعمة نفيسة حملوها إلى القطار الحديدي عند توديعنا، فأكلنا منها في الطريق وأفضنا على الفقراء في بعض المحطات، وهذا من الكرم الذي انفردوا به دون سائر الكرماء. (١)

---

(١) بحذف واختصار من مجلة المنار الجزء الثامن من المجلد الخامس عشر ص (٦٢٠-٦٢٢ و٦٢٤

كلمة الترحيب

من جامعة دار العلوم وعلمائها

بمناسبة قدوم الشيخ السيد رشيد رضا بدار العلوم

سادات‍نا العظام وحضرة المولى السيد رشيد رضا حفكم الله بالتحية والسلام !

إكرام الضيف من واجبات الشرع، ومقتضيات المدنية والإنسانية وأخلاق النبوة، لا سيما إذا كان الضيف كريماً، عظيم الشأن، رفيع القدر والمكان، وأنّ المولى حين أكرمنا بالزيارة في أثلة دارنا وقعر بيتنا وشرّفنا بالقدوم أداءً لفريضة الأخلاق الإسلامية، وإحياءً لما مضى عليه السلف الصالح من رفع التكلفات، كان حقاً علينا أن نحتفل به احتفالاً رائقاً يليق بشأن ذلك السميدع البارع، لكن السذاجة التى جبلنا عليها من بدء فطرتنا، وفقدان المعاون التي لا بد منها، في هذه القرية التي لم تلمم بساحتها المدنية، ولا توجد فيها لوازم العمرانية، وأسباب الثروة والرفاهية، وما وقع بقلوبنا أن المولى على ما تنوّر به فيه من أنوار العلم ، وتهذبت به نفسه من أخلاق السلف الصالح لا يُعجبه ما أخذته الأمة الناشئة ديناً لها، من تلك الترهات والتكلفات التي يأباها الإسلام والمسلمون، دعتنا إلى الاقتصار على ما في قلوبنا من الإخلاص الصادق والحب الخالص الإيماني الذي ربطنا – أيتها الأمة الإسلامية – بعلاقة واحدة تبقى على بعد الديار ومرّ الدهور والأعصار :

وكل محبة في الله تبقى ... على الحالين من فرح وضيق

وكل محبة فيما سواه ... فكا لحلفاء في لهب الحريق

فتلك الرابطة الجامعة الإسلامية الخالصة التي لا يشوبها رياءٌ ، ولا كدّرها شوائب المطامع والأغراض، والتشبثُ بما جاء أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أعمقهم علماً، وأبرّهم قلباً، وأقلهم تكلفاً، حملتْنا على رفع التكلّف والعملِ بالاقتصاد :

عليك بالصدق فيما أنت فاعله   إن التخلّق يأتي دونه الخلق

فالمرجو من المولى الكريم الصفح والاغتفار، والنظر علينا بعين المودة والإخاء :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً   مــن التقصير عُذر أخ مقر

فصُنْه عن عتابك واعف عنه   فإنّ الصفح شيمة كل حرّ

ثم أيُّها المولى الكريم إذا نظرنا أن مصر قبّة الإسلام ومعدنها، وهي أرض خضراء رفيعة المباني، فسيحة المغاني، قام العلم فيها على قدم وساق، ونفق فيهـــا للشـــرف والفضائل أسواق، لم تزل ولا تزال محفوفا بأهل المعارف والحكم نشأ فيهـــا في كـــل عصر حاملوا العلم وحافظوا الملة .

وإنّ حضرتكم من بينهم العلم المشهور، الطائر صيته شرقاً وغرباً ، والباهر فضله عجماً وعرباً، وقد سعى في تقويم الأود وتسديد العِوج، وحمل الناس علـــى منهـــاج الفلاح والسداد، وتطهيرهم عن أوساخ الزيغ والفساد.

ورأينا أن أرض الهند على بعدها من هذه البلاد الإسلامية وقلة ما بها من الخضرة والنضارة هي ذات اختلاف وافتراق ، وقد حدثت فيها أهواء ونشـــأت فيهـــا آراء، تراهم أحزابا متحزبين وفِرَقاً متخالفين، يضرب بعضهم وجوه بعض قد نكبهم ذلـــك الداء العضال وأذاقهم طعم الذلة والخيبة والنكال.

وإنّ بلدتنا هذه شرّفها حضرتكم من بين بلاد الهند كزاوية مظلمة أو كأرض قفر ليس فيها رَواء ورُواء، ولا شئ يسرُ الناظر ، ويتفرّج به القادم، بَقينا حيارى لانستطيع حراكاً، ولا نرفع رؤوسنا حياءً ، فأي شيء نُتْحف به حضرتكم السامي ، ونكـــافئ تلك المنة التي قلّدتموها أعناقنا.

نعم عندنا بضاعة مزجاة من العلوم التي كسدت أسواقها، و لم تبق منها إلا الآثار الدارسة والمعاني الخالية الحاوية ، ليس فيها داع ولا مجيب ، ولا مونس يأنس به لبيب، نهديها إلى حضرتكم، راجين أن يقع منكم موقع الرضاء والقبول، ونحن بحمد الله موقنون أن الهديّة وقعت موقعها فهي ضالّة المولى السيد الجليل وهو أحق بها حيث وجدها.

أيُها السيد الجليل والمولى النبيل! قد كان أظل على الإسلام والمسلمين زمان كادت خيام العلوم الشرعية أن تتقوّض، ومياهها تغور ومبانيها الرفيعة السامية إلى عنان السماء أن تبور، وأعلامها تُنكس ، ورسومها تُطمس ، فقيّض الله جماعة من أوليائه ، وخُزان أسراره ، فأدركوا الأمة المرحومة قبل أن تستأصل أصولها ، وتضمحلّ فروعها، وعلموا بنور الفراسة واليقين أن شؤون العلوم الإسلامية إن لم تنتظم وتدخل تحت ضابطة وقوانين ممهّدة ، لا تكاد تستمر زمنا يسيراً ، بل يفنى بفناء العلماء الذين هم أخلاف السلف الزكية ، وكان كذلك لو لم يتدارك الله سبحانه هذه الأمة المرحومة بفضله .

فأسّسوا هذه المدرسة سنة ثلاث وثمانين بعد ألف ومأتين من الهجرة النبوية (١٢٨٣هـ) على ذمة المسلمين، شرقيهم وغربيّهم فيها سواءٌ ، ووضعوا لها نظاما مرتباً وقواعد ممّهدة، وكان من أصولها أن يُحمى زمار الشرع ويُحامى عن الإسلام، ويدعى الناس إلى المحجة البيضاء ، من غير أن يتعرض لأحد بالسوء ، أويُعنّت الناس، أويُجاهر بالخلاف، إلاّ ما دعت إليه الضرورة من إظهار الحق وتبليغ معالم الدين.

فانثال إليها الطلبة من كل صقع بعيد ، ومرمى سحيق ، وملأوا جيبهم من جواهر العلوم وتحلّوا بآداب الشرع والأخلاق الإسلامية، وانتشروا في أرض الله دعاةً إلى الحق ، وهداة للخلق .

ثم سلك الناسُ هذا السبيل فأسّسوا في أكثر البلاد والقرى مدارس إسلامية -كبيرة أو صغيرة - على منوالها فصار غصن العلم غضاً طرياً، بعد أن كادت أعاصير الجهل والأهواء والفتن الحادثة تقلعه ، وبلغ المدرسة منتهى الآمال، تُشدّ إليها الرحال وتحطُّ في ساحتها أماني الرجال، قد أعدّ في هذا المدة (١) ألفاً أو قريباً من الألف من كملاء الرجال، وأمناء الدين، وحاملي الشرع، وناشري السنة، ومُبلّغي الإسلام، تدريساً وتعليماً ، وإرشاداً وتلقيناً ، ووعظاً ومناظرةً ، وتصنيفاً وتأليفاً .

فالهند بأقطارها الواسعة وأرجائها البعيدة - بحمد الله تعالى - ملأى من تلاميذها، وحاملي لوائها ، وناشري رداءها ، الناس في ظل من فيوضها العلمية ظليل، وطرف المعاندين عن الطموح إلى حصن الشريعة كليل .

هذا وإنّ مؤسسها وبانيها حضرة الإمام مجدد الملة البيضاء ، وحامل لواء الشريعة الغرّاء ، مولانا **محمد قاسم** ، ومُربيها والحامي عن حوزتها حضرة الشيخ المحدث الناقد، الفقيه المجتهد، إمام الشريعة والطريقة ، مولانا رشيد أحمد قدس الله أسرارهما، كان من مقاصدها حماية الدين، وحفاظة الإسلام، بأي طريق دعت إليه الحاجة، لكن تقوية جناح العلم ، وإبقاء فئة العلماء الذين ببقائهم يبقى روح المذهب، كان أقدم وأهم .

فأفرغوا جهدهم أوّلا في تنظيم شؤونها، وتكميل نظامها، وإحكام أصولها، وترصيص قواعدها ،وحينما فازت المدرسة بمرادها توجّه أركانها إلى تكميل المدارج الأخرى ، ووضعوا درجة تسمى "**درجة التكميل**" يترقى فيه الطالب بعد تكميل النصاب الدرسي إلى أعلى الفنون الضرورية .

(١) ألقيت الكلمة عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م

وعقدوا جمعية تسمى "جمعية الأنصار" وهي جمعية للطلبة المتخرجين من هذه المدرسة ، من أهم أغراضها ومقاصدها تعميم فيوض المدرسة العالية ، ورسوخ الأحكام الشرعية في طبقة العوام ، والمدافعة عن حوزة الإسلام ، فوضعوالها شُعبا وإدارات ، منها التأليف والتصنيف، وإرشاد الخلق ، وصون المسلمين عن تطاول أيدي المضلين، ونشرُ الوُعّاظ والمناظرين ، وإشاعة الإسلام في البلاد الأجنبية ، وتعميم العلوم الدينية للذين أتَمُّوا العلوم العصرية الجديدة، بإعطائهم الوظائف الباهظة، وتعيين المدرّسين في مدارس الحكومة ليعلّموا المسلمين مناسكهم ومعالم دينهم، وتنظيم المكاتب والمدارس في القُرى والكور التي تحتاج إلى ذلك ، وغير ذلك من الأمور المهمة والمقاصد الرفيعة .

لكن هذه المقاصد العالية لا نبلغها في أسرع وقت ، وأيسر سعي ، فإنها لا بد لتكميلها من أموال طائلة ، ومساع جليلة ، والمسلمون في هذا الوقت غافلون عن مهمات دينهم، والله مُيَسِّر كل عسير.

أيُها السيد العظيم والمولى النبيل ، ليست هذه الجماعة التي تراهم متقشّفين ليس عليهم سمة الارتقاء، ولا أُبهة الرفعة ، متعصبين يمنعهم ضيق الصدر عن كل ما تحتاج إليه الملة الإسلامية ، ولا فيهم حبل عن مهمات الإسلام، ولا فيهم همجية كما يظنُه العوام والذين ليس عندهم علمٌ بحقيقة الحال.

ولكنّهم يرون التصلُب في الدين من أهم الفرائض، ويعلمون أن المداهنة في الدين يهدِمُه ، وأن الاستهزاء والسُخرية بركن من أركانه يُزَلْزِلُ بنيانَه ويستأصل قواعده، ويرون أنّ من رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وينتهك المحارم ، فهم يستيقنون أنّ بقاء ملة الإسلام ببقاء أصولها وعقائدها الحقّة التي مضى عليه سلف الأمة وخلفها، ومهما أحكم الناس هذه الأصول فهم في وُسْع من ذرائع كسب المعاش وتكميل العلوم العصرية والصناعية .

فالحاصل عندهم أن الملة الإسلامية لا بدُ لبقائها من أمرين :

الأمر الأول : أن تكون فيها جماعة هم حاملوا المذهب ومُبلّغوا الشريعة، شُغلهم ليلا ونهاراً ، المكابدة في التعليم والإرشاد ، والسهرُ لمطالعة العلوم ، والقيام لحق الله تعالى تلاوة وذكراً وفكراً ، فهذه الجماعة هي عماد الإسلام ، إن فُقِدت [لاقدر الله] فُقِد الإسلام ، و إن ضَعُفت ضعف الإسلام.

الأمر الثاني: أن يكون طبقة العوام والمشتغلين بأمور المعاش ، عالمين بأصول دينهم ، عاملين بأركان مذهبهم ، لا يَشغَلهم طلبُ الدنيا والانهماك في العلوم العصرية عن الفرائض والحقوق.

فإن استقام الأمران استقام الإسلام، وزال ما به من عوج وضعف، وقد كان الصدر الأول ومن بعدهم من القرون الصالحة على هذا المنوال.

فجمعية الأنصار – بحمد الله تعالى أرادت أن تتكفل جميع ما لا بد [منه] للمسلمين في أمر دينهم ، لكن ثبت لنا – من التجربة في بلاد الهند – أنَّ قلوب العامة فسدت بحب الزخارف المادية ، وطمعت أنظارهم إلى ما يرونه من الأضواء الحادثة، فهم يتأثرون بها سريعاً ، وتغلب الدنيا على الدين، لا ترى أحداً رجّح الدين على الدنيا إلاَّ الشاذ النادر.

فعلى هذا الأصل صمَّموا على أنَّ **دارالعلوم** مع تكميلها شعب التعليم ، وترتيب نصابها ، يبقى مصونا عن شوائب يكدرها أويجرها إلى ما هوليس من مقاصدها، أويبدل هيئتها ، فيكون الغالب فيها العلوم الأخر وتبقى العلوم الدينية مقهورة مغلوبة، وتعرى طلبتها عن حِلية الدين، وسمة التدين ، التي هي من امتيازات **دارالعلوم**.

هذا بيان الأحوال والمقاصد إجمالاً . وإن أراد السيد الجليل أوضح من ذلك فمطالعة القواعد والمقاصد "**لجمعية الأنصار**" ، وقواعد "**قاسم المعارف**" في سنده

وغير ذلك يكفي إن شاء الله تعالى ويبينها أوضح من ذلك المولوي عبيد الله ناظم جمعية الأنصار .

ولا يخفى على الشيخ الجليل أن أعظم مصيبة صُبت على الإسلام وأدهى داهية أدركت المسلمين هي آفة علماء السوء ، وآفة علماء الدنيا ، إنَّ العلماء في الإسلام كالقلب في الجسد ، إذا فسد القلب فسد الجسد كله ، [أصبحنا مع الأسف]لانطلب العلم للدين ، بل نطلبه للدنيا، ولا نجعله وسيلةً لهداية الحق وإرشاد العباد، بل ذريعةً إلى حطام الدنيا وجلب الدراهم والدنانير ، نختل الدنيا بالدين فكما أنَّ العلماء إن استقاموا هم أساطين الدين ونجوم الهداية ، كذلك إن زاغوا هم حبائل الشيطان وأعلام الغواية .

نشكو جور الإخوان، وتغير الأزمان ، وذلّة العلم وعزّة الجهل، لكن كل ذلك علينا من أنفسنا، لوكنا نقدر العلم حقَّ قدره، ونصون وجهه عن ذلة الطمع والسوال، لكنَّا ملوكا تُزفُّ إلينا الدنيا لكن غيّرنا فغيرنا فسبحان الذي لا يُغيِّر ولا يتغير .

ولنعم ما قال القائل ، ما أبره وما أصدقه :

و لم أقض حق العلم إن كنتُ كلما	بدا طمع صيرتُه لي سُلَّما
و لم أبتذل في خدمة العلم مُهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأسقى به غرسا وأجنيه ذلة	إذا فأتباع الجهل قد أسلما
فإن قلت زند العلم كابٍ فإنما	كباحين لم نحرس حماه وأظلما
ولوأن أهل العلم صانوه صانهم	ولوعظّموه في النفوس عظّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنّسوا	محياه بالأطماع حتى تجيّما

فالمرجومن حضرة الشيخ أن يدعولنا ولطلبة دارالعلوم، أن يجعلنا الله من المخلصين الطالبين لرضائه، الساعين في مرضاته، المجاهدين في خدمة دينه، الباذلين جهدهم في نفع المسلمين.

كلمة الترحيب

بالعلامة السيد رشيد رضا في دار العلوم ديوبند

ارتجلها

الشيخ الجليل والمحدث النبيل محمد أنور شاه الكشميري

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

يقدم الخويدم في الحضرة السامية تحية الإسلام ، حياكم الله تعالى، إنا آنسنا منكم مخائل للكرم ، والاعتناء بحالنا ، وأحسسنا بنهضة إسلامية عطفت عليكم وعلينا، وإنا أحوج إليكم منكم إلينا.

هؤلاء أساتذتي وأكابري وذخائري عند الله في يومي وغدي ، أمروني بأن أمثل لكم شكراً على إسداء الخير وتشريفكم إيانا بالقدوم المبارك أحسن الله إليكم وإلينا، ورفع درجاتكم في الدين والدنيا والآخرة ، آمين وبه نستعين .

النسب العلمي:

مولانا ! إنّ حديثنا حديثٌ ذوشجون، والشيء بالشيء يذكر، إن بلادنا هذه على شقة بعيدة ومسافة شاسعة من بلاد الإسلام ، مثل "**الحجاز**" و"**العراق**" و"**الشام**" و"**مصر**" فكانت شعائر الإسلام على وهن ، ومنار العلم على خفاء إلا ما شاء الله وقليل ماهم، وإنّ عصابتنا هذه عصابة على طريقة قديمة ليست بحديثة، إسنادنا في الدين متصل بالصدر الكبير، والبدر المنير ، والإمام الشهير ، الشيخ الأجل

ولي الله بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي (١)، وحال الشيخ أظهر من أن يذكر، فقد شرّقت تصانيفه وغرّبت، لكن بعض أحوال الشيخ يحتاج إلى أخبار شفاهية وواقعات تلقيتُها من مشايخنا.

كان من أمر الشيخ رحمه الله أنه أتقن العلوم الدينية ومبادئها أولا على والده العلامة الشيخ الهمام عبد الرحيم (٢)، ثم رحل إلى الحرمين -زادهما الله شرفا وتكريماً - واستفاد من علمائهما وفقهائهما ، ولازم الشيخ أبا طاهر الكردي (٣)، في الحديث واجتهد فيه حتى صار الطرد والعكس في الباب، وكان الشيخ أبوطاهر يقول:

---

(١) ولد عام ١١١٤هـ في قرية صغيرة من مديرية مظفر نغر بولاية الهند الشمالية ، تلقى الدروس الابتدائية من والده وعمه ، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة وتلمّذ على الأستاذ المحدث أبي طاهر الكردي، وعاد إلى الهند ليروى المتعطشين للعلم من نميره العلمي الفياض . وامتاز **الإمام الدهلوي** في عصره بعرض علوم الشريعة الإسلامية في أسلوب حكيم جامع بين العقل والنقل والرواية والدراسة ، وله خدمات ملموسة في دحض البدع والتقاليد الشركية ، ومقاومة الفرق المنحرفة الضالة ، فقدقام بدور عظيم في إصلاح المجتمع ، توفي عام ١١٧٦هـ .

وله مؤلفات كثيرة ، من أهمها **"حجة الله البالغة"** و**"البدور البازغة"** و**"فتح الرحمن في ترجمة القرآن"** و**"المسوى"** و**" المصفى"** و**"التفهيمات الإلهية"** و**"الفوز الكبير في أصول التفسير"** راجع لترجمته "نزهة الخواطر" ٢٢٨/٧ و"اليانع الجني" ٧٦ ، والجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف

(٢) ولد عام ١٠٥٦هـ في دلهي ، امتاز بورعه وتقواه ، وعرف بسعة دراسته وغزارة علمه ، وساهم في تدوين **"الفتاوى الهندية"** بأمر الملك أورنغزيب رحمه الله .

أسس في دلهي مدرسة كبيرة ، لها خدمات عالية في نشر العلوم الدينية في الهند ، توفي عام ١١٣١هـ - راجع لترجمته "القول الجميل" و"أنفاس العارفين" للإمام ولي الله الدهلوي

(٣) كان من كبار علماء المدينة المنورة مفطورا على الأخلاق الكريمة ، والزهد في الدنيا ، وحب الدراسة والبحث ، تلمذ لكبار رجال العلم أمثال الشيخ محمد بن سلیمان المغربي ، والشيخ عبد الله البصري ، والشيخ عبد الله الدهلوي .

"تلقّنَ الألفاظ مناونحن تلقّينا المعنى منه." يريد بذلك تبيين معنى الحديث وتعيين مراد الشارع، ثم رجع الشيخ ولي الله إلى بلاده، واشتغل بإصلاح ما أفسد الناس من سنة النبي الكريم ﷺ، وكان الله أودع في صدره نوراً ينظر به عواقب الأمور، فتفرّس أنه ستقومُ الحرب بين الحق والباطل ، فاستعد رحمه الله للدفاع عن الدين والذب عنه،

فممّا أعد لذلك أن ترجم [معاني] القرآن العزيز باللغة الفارسية سماه : **"فتح الرحمن"** جرّده عن الإسرائيليات بأسرها، أراد بذلك تمهيد التوحيد ، ثم شرح **"الموطأ"** لمالك رحمه الله وسماه : **"المسوّى"** على طريقة فقهاء الحديث مع تحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه – أريد بذلك ما اصطلح عليه علماء الأصول.

تحقيق المناط:

فتحقيق المناط أن يصدرحكم من الشارع في صورة جزئية ثم يُثبت ويُحقق ذلك في سائر الجزئيات من نوع تلك الصورة ، مثاله : تقويم جزاء الصيد، فتعرف القيمة في جزئي هوتحقيق المناط ، وليس ذلك بقياس ، فلذا يشترك فيه الخاص والعام ولا يحتاج إلى الاجتهاد .

تنقيح المناط:

وتنقيح المناط أن يصدر حكم من الشارع في صورة قد اجتمعت هناك أمور، واتفقت بعض تلك الأمور في مناط ذلك الحكم وبعضها لا دخل لها فيه ، فتعرف الأمر الذي هوالعلة تنقيح المناط ، مثاله: ما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل النبي ﷺ فقال : هلكت ! قال : **"ما شأنك؟"** قال : وقعت على امرأتي في رمضان، قال: **"فهل تجد ما تُعتق رقبة ؟"** قال : لا . قال: **"فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟"** قال : لا . قال : **"فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟"** قال... الحديث .

فنقح **أبو حنيفة ومالك** مناط ذلك الحكم لوجوب الكفارة كونَ ذلك الفعل مفطرا . كان جماعاً - كما في هذه الصورة - أو أكلا أو شربا بعد أن كان عمداً، فكونه جماعاً ، في هذه الصورة أمرٌ اتفاقيٌ كسائر الاتفاقات ، وذهب **أحمد والشافعي** إلى أن المناط هو كونه جماعاً، فلا يعدو الحكم إلى الأكل والشرب، واحتج بحديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"من أفطر يوما من رمضان في غير رخصة رخّصها الله لم يقض عنه صيام الدهر."** حمله على الأكل والشرب عامدا، وقال: لم يقض عنه صيام الدهر.

تخريج المناط:

وتخريج المناط أن يصدر حكم من الشارع في صورة تجتمع هناك أمور يصلح كل واحد منها للعلة ، فيرجح المجتهد أمراً من بين تلك الأمور ويجعله مناطاً، مثاله: حديث النهي عن الربا في الأشياء الستة، اجتمع هناك أمور : القدر، والجنسية ، والطعم، والثمنية والاقتيات ، والادخار، فذهب **أبو حنيفة** إلى أنّ مناط الحكم هو الوصف الأول، **والشافعي** إلى أنّه الثاني ومالك إلى أنّه الثالث ، على ما أدى إليه اجتهادهم .

فالفرق بين تحقيق المناط وتخريجه أنّ في الأول اجتمعت أمور لادخل لها مع المناط، فنقح المجتهد المناط ، وفي الثاني اجتمعت أمور كل منها صالح لأن يكون مناطاً، فرجّح المجتهد أحدَها لأن يكون مناطاً ، وتنقيح المناط وتخريجه وظيفة المجتهد يزاحم فيه بعضهم بعضا.

ومن الأمثلة فيه أيضاً حديث **"مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم."** فذهب أكثر الأئمة إلى ركنية صيغة التكبير والتسليم ، وخرّج **أبو حنيفة** المناط فيه كون الأول ذكرا مُشعِراً بالتعظيم، وكون الثاني خروجا بصنع المصلي،

وقال بفرضية هذين، لكن ثبت مواظبة النبي ﷺ على صيغة التكبير وصيغة التسليم فيكونان واجبين.

وقد التزم الشيخ **ابن الهمام** وجوب صيغة التكبير، والمشهور أنه سنة ، وقد تحقق فيهما الذكر المشعر بالتعظيم والخروج بصنع المصلي ، كتحقق الكلي في الجزئي فليكونا فرضين، وعلى هذا القياس أمثلة كثيرة ، فهذا ما راعاه الشيخ **ولي الله** في شرح "الموطأ" واختار فيه أيضاً فقها جامعاً.

الحق واحد أومتعدد:

وقد حقّق الشيخ أيضاً في كتابه **"الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف"** و**"عقد الجيد في مسائل الاجتهاد والتقليد"** أنّ الحق في موضع الاجتهاد متعدد ، وحكاه عن الأئمة الأربعة وارتضاه، وأريد بموضع الاجتهاد أن لا يكون هناك كتاب ولا سنة متواترة ، فالحق هناك متعدد ، وإذا كان هناك قاطع فليس بموضع اجتهاد ، والحق هناك واحد ، وهوالموافق لذلك القاطع ، فمن وافقه وافق الحق ، ومن خالفه خالف الحق .

الإمام ولي الله الدهلوي وأخلافه:

وصنف الشيخ رحمه الله في حكم التشريع والعقائد الحقة تصانيف صارت لكل آت نبراساً ومقياساً ، منها **"حجة الله البالغة"** و**"البدور البازغة"** و**"التفهيمات الإلهية"** و**"الخير الكثير"** وغير ذلك ، ثم تبعه على ذلك أولاده وأحفاده ، فمن أولاده : الشيخ الأجل والصدر الأكمل الشيخ **عبد العزيز**[١]، ثم الشيخ **رفيع الدين**[٢]، ثم الشيخ

---

[١] ولد الشيخ عبد العزيز الدهلوي عام ١١٥٩هـ وتوفي عام ١٢٣٩هـ ، من مؤلفاته "بستان المحدثين" و"تحفة اثنا عشرية" و"العجالة النافعة" و"فتح العزيز" و"سر الشهادتين" – راجع لترجمته

عبد القادر(١)، ثم خلف الشيخَ عبد العزيز حفيدُه مفيد العصر ومسنده المشتهر في الآفاق الشيخ **محمد إسحاق** (٢)، وابن أخيه محي السنة العلامة الجليل الشيخ **محمد إسماعيل**(٣) وكان الشيخ عبد العزيز يتلو: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ (٤).

= "أبجد العلوم" ص ٩١٤، و"إتحاف النبلاء" ص ٢٩٦ و"حدائق الحنفية" ص ٣٧٠ و"نزهة الخواطر" ٣٦٧/٧

(٢)كان مثالاً نادراً في قوة الحفظ والذكاء، وصفاء الذهن، له مصنفات عديدة أهمها "ترجمة معاني القرآن الكريم" وهي أول ترجمة بالأردية، نالت قبولا عاما في الأوساط العلمية الإسلامية - توفي عام ١٢٢٢هـ - راجع لترجمته "حدائق الحنفية" ص ٤٧٩ و"تراجم علماء الحديث" ص ٦٥-٦٦ و"أبجد العلوم" ص ١٩٥

(١)ولد عام ١١٦٧هـ، قام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية وتأليف تفسير وجيز، توفي عام ١٢٣٠هـ

(٢) كان سبط الشاه عبد العزيز الدهلوي، ونائبا عنه بعد وفاته، تضلع في علوم التفسير والحديث والفقه، وعمل لنشر العلوم الإسلامية طوال العمر.

وهاجر إلى البلاد المقدسة حينما ضاق بالحياة ذرعاً في الهند عام ١٢٥٧هـ وتوفي عام ١٢٦٢هـ.

راجع لترجمته "أبجد العلوم" ص ٩١٦ و"حدائق الحنفية" ص ٤٧٤ و"نزهة الخواطر" ٥١/٧، ٥٢

(٣) ولد عام ١١٩٣هـ، كان نظيرا لجده وأعمامه في العلم والفضل والتقوى، وعمل طول حياته لنشر السنة وقمع البدع والتقاليد الشركية، من مؤلفاته "**رسالة أصول الفقه**" و"**رسالة التوحيد**" و"**الصراط المستقيم**" و"**تنوير العينين**" و"**تقوية الإيمان**" و"**منصب الإمامة**" وغيرها، استشهد عام ١٢٤٦هـ في معركة بالاكوت المعروفة.

راجع لترجمته "أبجد العلوم" ص ٩١٦ و"اتحاف النبلاء" ص ٤١٦ و"نزهة الخواطر" ٥٦/٧

(٤) آية ٣٩ سورة إبراهيم

نفع الله بهما هذه البلاد، درس الشيخ محمد إسحاق حديث النبي ﷺ فصار رحلة الأقطار ، وصنف الشيخ **محمد إسماعيل** كتباً في الفرق بين السنة والبدعة الظلماء فأحيا السنة حين كانت أميتت ، ومات شهيدا رحمه الله ، وقد تلمذ على الشيخ **محمد إسحاق شيخُ مشايخنا عبدالغني** (١) صار مدار الرواية في عصره ، وارتحل آخراً إلى المدينة الطيبة ، وصار سند تلك البلاد وكثر الأخذ عنه هناك .

الشيخ النانوتوي والشيخ الكنكوهي:

وتلمّذ على الشيخ عبد الغني شمس الإسلام والمسلمين العارف الحافظ المحقق الشيخ **محمد قاسم النانوتوي**(٢)، مؤسس هذه المدرسة العالية وبانيها، والفقيه الحافظ المجتهد الولي الشيخ **رشيد أحمد** (٣).

صنف الشيخ محمد قاسم كتبا في الرد على المخالفين من الماديين والدهريين ، فنفع الله به كثيراً ، وقد كنت أنشأت في منقبته قصيدةً أولها :

قفا يا صاحبي على الديار فمن دأب الشجيِّ هوازديار

وكثرت الفتيا، وازدحمت المسائل على الشيخ **رشيد أحمد** حين التبس الحق بالباطل، فأجاب فيها بالصواب، كان فقيهاً مجتهداً، فأخذنا ذلك إماماً في الأصول، وهذا إماماً في الفروع وتنقح لنا منهما علم منقّح مبيّض .

---

(١) أحد العلماء الربانيين كان من سلالة أحمد بن عبد الأحد المجدد السرهندي رحمه الله ولد سنة ١٢٣٥هـ بدلهي حفظ القرآن ، وهاجر إلى المدينة المنورة لما وقعت الهند تحت احتلال الإنجليز عام ١٨٥٧م وله تعليق نفيس على سنن ابن ماجة "باسم إنجاح الحاجة" توفي سنة ١٢٩٦هـ راجع لترجمته "اليانع الجني" و"نزهة الخواطر" ٢٨٩/٧

(٢) مضت ترجمته في ص: ١٢٠

(٣) ثاني المشرفين على *دارالعلوم* بديوبند مضت ترجمته في ص: ١٢٠

تاسيس جامعة دارالعلوم:

ثم لما استولت الأجانب على هذه البلاد وقامت الحرب بين الحق والباطل، أسّس الشيخ **محمد قاسم** هذه المدرسة العالية ، فنفع الله بها كثيراً، جزاه الله خير الجزاء.

وغاية المدرسة درس الحديث وفقه الحديث، وكان يرى أن المبادئ ضرورية، والضرورة يتقدر بقدر الضرورة ، حتى أنّ الشيخ **رشيد أحمد** حظر الفلسفة وحجر عنها في بعض السنين هذه المدرسة .

فهذا إسنادنا، وطريقة مشايخنا في الحديث وفقه الحديث طريقة معتدلة ومُثلَى، يتوسّطون بين الأطراف .

أصول الأئمة:

أريد بذلك أنّ للأئمة الأربعة أصولاً أكثرية ، وذلك أنّ الإمام **مالكا** يأتي بعمل أهل المدينة ، بل قد يرجّحه على الحديث المرفوع، **والشافعي** بأصح ما في الباب، **وأحمد** يأخذ بالأصح والصحيح والحسن والضعيف إذا كان ضعفه يسيراً، ويجوز هذا وذلك، وعلى هذا وضع "**مسنده**" . **وأبوحنيفة** يأخذ بهذه الأقسام ويُنزل الأحاديث على محمل، فلذا كثرت التأويلات عند الحنيفة ، وكثرت الجروح على الرواة عند الشافعية .

والشافعي رحمه الله أول من أبطل الاحتجاج بالمرسل إلا إذا اعتضد ، وإمام هذه الصنعة الإمام الهمام **البخاري** رحمه الله قد أخذ أصل **مالك والشافعي** رحمهما الله وركب بينهما ، فيأتي بأصح ما في الباب، ويراعي مساعدة عمل السلف، فلذا لم يأت بحديث يعارض حديثاً في كتابه ، و لم يخرج في الكسوف إلا حديث الركوعين، تمشيا منه مع أصله ، واعتمد **مسلم** رحمه الله على ثقة الرواة ، فأخرج حديث ثلاث

ركوعات وحديث أربع ركوعات ، بل حديث خمس ركوعات أيضاً موقوفاً على أمير المؤمنين علي ، فالبخاري قد انتقى واتبع مسلم القاعدة .

موقف علماء الجامعة في المسائل الخلافية:

فمشايخنا يتوسطون في مثل هذا ، لا يأخذون بالتشدد ولا بالتساهل ، ويوجهون الأحاديث المتعارضة بتوجيهات يكاد يقبلها من يسمعها .

مثاله : حديث القلتين، فقد رواه يزيد بن هارون، وكامل بن طلحة وهدية بن خالد، وإبراهيم بن الحجاج عن حماد بن سلمة - وهؤلاء حفاظ أثبات رواة ثقات - بلفظ : "**إذا بلغ الماء القلتين أوثلاثا لم يحمل الخبث**" فيقال : إنّ هذا ليس بتحديد شرعي، فقد قال : "القلتين أوثلاثا" بالتنويع ، فهوتقريب وإحالة على خلوص أثر النجاسة من جانب إلى جانب، وذلك أصل مذهب أبي حنيفة وصاحبيه، صرّح به الشيخ **ابن الهمام** والشيخ **ابن نجيم** ، وقد سلمت الأحاديث المتعارضة لحديث القلتين، كحديث النهي عن البول في الماء الراكد ، وحديث النهي عن إدخال اليد في الإناء إذا استيقظ ، وحديث ولوغ الكلب في الإناء.

ومثاله أيضاً أحاديث القراءة خلف الإمام في الصلاة بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وبقوله ﷺ : "**وإذا قرأ فأنصتوا**" وبحديث "**لا تفعلوا إلا بأم القرآن ، فإنّه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**"، وذلك أنّه لم يصح في شأن نزول الآية شيء من الروايات ، فالعبرة بعموم اللفظ ، وأيضاً فقد روى البيهقي في كتاب القراءة عن **الإمام أحمد** أنّه أجمع العلماء على أنّ هذه الآية في القراءة في الصلاة، وحديث : "**إذا قرأ فأنصتوا**" حديث صحيح ، صحّحه **أحمد بن حنبل**، ثم صاحبه أبوبكر الأثرم ، ثم مسلم في باب التشهد من حديث **أبي موسى** الأشعري وأحال به على حديث أبي هريرة ، ثم صحّحه ابن خزيمة ، والحافظ أبوجعفر

ابن جرير الطبري ، والحافظ أبوعمر بن عبد البر ، والحافظ ابـــن حـــزم الأندلســـي الظاهري، ثم الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، ثم خاتم الحفاظ ابـــن حجـــر العسقلاني في "**الفتح**" وهذا من حيث الإسناد.

وأما من عمل السلف والأئمة فقد عمل به جماعات من الصحابـــة، ومـــالك وأحمد، وأبوحنيفة، والحديث إذا كان رواته ثقات ثم ساعده العمل عمـــل الســـلف فهوصحيح بلاريب، لا يقدح فيه ولا يُؤثّر فيه جرح .

وحديث : "**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة.**" حكاه الشيخ ابن الهمـــام عن "مسند أحمد بن منيع" وصحّحه ؛ فإنّ سنده على شرط الشيخين، و لم نقـــف إلى الآن على علة فيه ، وإسناده : أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق قال حدثنا ســـفيان وشريك عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن جابر بن عبد الله قـــال : قال رسول الله ﷺ ...الحديث ، وقد ساعده الموقوفُ عند الترمذي ، والمرسلُ عنـــد آخرين، فإذن هوصحيح، فوجّه شيخ مشايخنا الشيخ **رشيد أحمد** حديث عبـــادة مـــن طريق محمد بن إسحاق، وسياقه : "**لعلكم تقرأون خلف إمامكم ؟**" قالوا : نعم يـــا رسول الله، قال: "**لا تفعلوا**" الحديث، فقال هذا دليل الإباحة لا دليل الوجوب، وإنّهم كانوا يقرأون بغير أمر منه ﷺ ، ولذا سأل بقوله : "**لعلكم تقرأون خلف إمامكم**" ؟ فلما قالوا: نعم ، قال : "**فلا تفعلوا إلاّ بأم القرآن**" فإنّها سورةٌ متعينة من بين ســـائر القرآن لا غيرها من السور ، فعلّل النبي ﷺ إباحتها خلف الإمام بكونها متعينة من بين السور لا صلاة بدونه، وظهر عدم كون الصلاة بدونها في حق الإمام والمنفرد، وأثـــر ذلك الإباحة في حق المقتدي ، ومسألة الإباحة والكراهة مختلف فيها عند الحنفية ، وإن اتفقوا على عدم الوجوب.

وقالوا في مسألة رفع اليدين وجهر آمين : إنه قد صح الرفع والجهر عن النبي ﷺ وعن الصحابة ، وقد صحّ ترك الرفع بإسنادٍ صحيح عنـــد أبـــي داود، والإخفـــاء ،

وقد صحّ ترك الرفع عن أمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين علي - رضي الله عنهما - وكذا صح الإخفاء بآمين عن جماعة من الصحابة والسلف الصالح، فليكن كلا الأمرين سنة، وإنّما يبقى الشأن في الترجيح، هذا والله الموفق للسداد في المبدأ والمعاد.

الشيخ محمود الحسن الديوبندي :

ثم تلمذ على الشيخ **محمد قاسم** شيخنا العدلُ الحجة مسندُوقته الشيخ **محمود حسن** (١) متع الله المسلمين بطول بقائه، وهوشيخ المدرسة الآن، وعليه المدار في الإسناد في هذه البلاد، وهوعلى طريقة مشايخه، ساعده التوفيق الإلهي في التوفيق بين المتعارضات وحل المشكلات، مثاله ما قال مرة : إن تعدد الركوع في الكسوف قد ثبت عن النبي ﷺ لأمر اختص به ، ولكن أرشد الأمة إلى وحدة الركوع فقال: "**صلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة**" فراجعته وقلت: إن السادة الشافعية يحملون التشبيه على عدد الركعتين لا على وحدة الركوع، فقال : إنّ هذا هوجعل البديهي نظريا، فإنّه إذا كان النبي ﷺ قد صلى الكسوف بتعدد الركوع بنفسه على أعين الناس ورؤس الأشهاد وكان يشرع تعدد الركوع للأمة فلم ترك الإحالة على ما شاهدوه وعدل إلى التشبيه بالصبح ؟ وما ذلك إلا أن التعدد كان بعارض، وأرشد الأمة إلى المعروف في الصلاة ، والله الموفق المعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) شيخ الهند محمود الحسن مضت ترجمته في ص:١٢٠-١٢١

أزهر الهند

دار العلوم ديوبند

كما يراها

علماء الحرمين

وبقية

العالم الإسلامي

ويقصد

الجامعة دائما

رجال العلم والدين من أنحاء

العالم لزيارتها، واللقاء بطلبة العلم فيها،

والاطلاع على نشاطاتها، فيُعجبون بالجوّ الذي

يسود الجامعة من الصلاح العام، والحرص على

العلم، والتأدب مع أهله، ويتأثرون بنظامها الذي

تسوده البساطة والسهولة، ونشاطِها الذي تفورمنه

الصلابة والقوة، ونورد في الصفحات القادمة كلماتٍ

مختارةً من انطباعات كبار الزائرين العرب، وهذا

غيض من فيض مما سجّله كبار العلماء والمفكّرين

والزعماء لدى زيارتهم للجامعة، من كلمات ثناءٍ

وإعجابٍ وتقديرٍ في سجل الزيارات، أوتكلّموا بها

في الاجتماعات التي عُقدت على شرفهم،

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،

والله ذوالفضل العظيم.

التفاني في خدمة العلم وأهله

انطباعات

سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

رئيس شئون الحرمين الشريفين

وإمام وخطيب المسجد الحرام

"...لقد منّ الله عليّ بزيارة الجامعة المباركة ، الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند وحظيت بملاقاة علمائها ومشايخها ، والقائمين عليها، وعلى رأسهم سماحة العالم العلامة الشيخ مرغوب الرحمـــن ، وقد تجولتُ بأرجائها وأقسامها، وسُررتُ كثيراً بما شاهدتُه من عنايةٍ فائقةٍ وتنظيمٍ جميلٍ ، وأعجبني ما شاهدتُه من طلابها، من حرصهم على العلم ومثابرتهم عليه ، ولقد سرّني كثيراً ما شاهدتُه من هذه المكتبة النادرة التي تفخر بأنوا ع الكتـــب وبكـــثرة المخطوطـــات والمطبوعات النادرة.

وإن دلّ هذا على شيءٍ فإنّما يدلّ على نشاط القائمين عليها، وتفانيهم في خدمة العلم وأهله، فأسأل الله لهم التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذه الجامعة الإسلامَ والمسلمين، وأن يجعلها منبراً عالياً ومشعلاً، يُضيءُ على البلاد الإسلامية بالعلم النافع، وأن يوفّقها لنشر الإسلام في ربوع شبه القارة الهندية، والله الموفق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم [١].

محمد بن عبد الله السبيل

١٤٠٨/٣/١٦هـ

نائب رئيس شئون الحرمين

وإمام وخطيب المسجد الحرام

---

(١) سجلها سماحته –في سجل انطباعات الجامعة – لدى زيارته للجامعة يوم الاثنين الموافق ٩/ ١١/١٩٨٧م.

الجامعةُ العريقةُ
التي أسِّسَت على التقوى

انطباعات

معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

"..شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكرمني بزيارة هذه الجامعة العريقة التي أُسِّسَت على التقوى لتحافظ على حفظ القرآن وفقه السنة والتخاطب والكتابة باللسان العربي،وذلك في مواجهة ما خطَّط له الإنجليز من تغريب المسلمين وعلمنتهم في شبه القارة الهندية،

وقد قامت الجامعة بدورٍ رائدٍ منذ أُسِّست قبل أكثر من قرن وربع قرن من الزمان، وخرَّجت للمسلمين علماءَ أجلاء، وفقهاء، ودعاةً، ومفتين لا يُحصون عدداً، فأسهمت أيما إسهام في الحفاظ على الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند، ووثّقت علاقتهم بإخوانهم المسلمين، ونشرت بينهم الثقافة الإسلامية ، وإنّي لأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ هذه الجامعة ، وأن يوحّد الجامعات الإسلامية لخدمة دينه، وأن يحقّق لجامعة دارالعلوم خطوات أخرى من التقدم والتطور، وتوثيق العلاقات مع المسلمين، والله المأمول بحسن القبول، إنه سميع الدعاء [1]

د- عبد الله بن عبد المحسن التركي

١٤٠٨/٤/٢هـ

---

(١) سجلها معاليه مديراً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض-لدى زيارة معاليه للجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند يوم الثلاثاء الموافق ١٩٨٧/١١/٢٤م- في سجل انطباعات الجامعة

أزهر الهند
دار العلوم ديوبند

انطباعات

العلامة الشيخ رشيد رضا

صاحب مجلة "المنار"

ذكر في رحلته المنشورة في مجلته المشهورة "**المنار**":

"...على أنني رأيت في **مدرسة ديوبند** التي تُلقَّبُ بـ "**أزهر الهند**" نهضةً علميةً جديدةً، أرجوأن يكون لها نفع عظيم، وهذه المدرسة لخلفاء ولي الله الدهلوي ، ... وإنني بعد مذاكرة بعض أعلامهم في حال التعليم عندهم ، خطبتُ فيهم خطبةً طويلةً في احتفالٍ عام اجتمع فيه المدرّسون والطلبة، أودعتُها هذه الاقتراحات وغيرَها من النصائح التي خطرتْ على بالي في ذلك الموقف، فرأيتُهم قد وافقوني في جميع ما قلتُه، بل كانوا قد سبقوا إلى الفكر والعلم ببعضه من قبل، وأسّسوا جمعيةً دينيةً للمدرسة سموها "جمعية الأنصار" .

ما قرّت عيني بشيءٍ في الهند كما قرت برؤية **مدرسة ديوبند**، ولا سُرِرتُ بشيءٍ هناك كسرورها؛ بما لاح لها من الغيرة والإخلاص في علماء هذه المدرسة، وكان كثير من إخواني المسلمين في بلادٍ مختلفةٍ يذكرون لي هذه المدرسة ويصف رجالُ الدنيا منهم علماءَها بالجمود والتعصب، ويُظهرون رغبتهم في إصلاح وتعميم نفعها وقد رأيتهم - ولله الحمد- فوقَ جميع ما سمعتُ عنهم من ثناءٍ وانتقاد، وأرجو أن يصدق ظني فيهم بأنهم أبعد من جميع من عرفت من علماء الإسلام الدينيين عن الجمود والغرور، وستكون الصلة بين مدرستهم ومدرسة دار الدعوة والإرشاد وجماعتها دائمة إن شاء الله تعالى...

هذا وإنّ للعلم الديني بقيةً في معاهدَ ومدارسَ أخرى من المدن الآهلة بالمسلمين كدهلي ولكهنؤ ولاهور ....

وجملة القول إنّ التعليم الديني كان قد ضعف في الهند كما ضعف في سائر الأقطار، وقد طفق يجدّدُ قوته، ويعيد ما فقد من استقلاله، ويُصلح ما فسد من طرقه وأساليبه، ويوشك أن يظهر أثر الإصلاح ونتيجته في "**ديوبند**" قبل ظهورهما في "**الأزهر**" [1]

---

[1] انظر مجلة المنار الجزء الثامن من المجلد الخامس عشر ص: ٦٢٢-٢٤ ملخّصاً

علم شامخ
بين المدارس والجامعات

جزء من الكلمة القيمة المومنة التي ألقاها سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل الإمام والخطيب بالمسجد الحرام ونائب رئيس شئون الحرمين، في الاحتفال الذي أقامته الجامعة ترحيباً بسماحته لدى زيارته الكريمة لها في ١٦/٣/١٤٠٨هـ الموافق يوم الإثنين ٩/١١/١٩٨٧م.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون، أيها الإخوة في الله، أيها العلماء الأفاضل، أيها الطلاب الكرام، أحّييكم بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحّييكم أيها العلماء وأيها الطلاب! وأنقلُ لكم تحيات إخوانكم في المملكة العربية السعودية، أنقل لكم تحيات خادم الحرمين الشريفين، أنقلُ لكم تحيات علماء الحرمين الشريفين، فإنهم يبلّغونكم تحياتهم، ويدعون الله لكم بالتوفيق والتسديد، ويسألون الله سبحانه وتعالى أن تستمروا على هذه الدعوة المباركة، وعلى هذا التعليم النافع، الذي بان نفعه في كل قطرٍ من أقطار الدنيا، والحمد لله.

إنّي أحمد الله عزوجل حمداً كثيراً طيبا مباركا على ما منّ به عليّ من نعمٍ عظيمة، وإنّي أعتبر هذه الساعة المباركة وهذه الفرصة المتاحة أعتُبرها من أسرّ الساعات وأشرف الأوقات، التي أجتمع فيها بإخواني في الله، في هذه الجامعة الإسلامية المباركة : دارالعلوم ديوبند، هذه الجامعة الشهيرة، وأجتمع مع هؤلاء العلماء الأفاضل الذين منّ الله عليهم بـــالعلم، ومنّ الله عليهم برفع راية الإسلام، وبرفع راية التوحيد خفّاقـــةً في أرجاء العالم والحمد لله. إنّ هذه فرصةٌ عظيمةٌ امتنّ الله بها عليّ في هذا اليوم المبارك، وطالما انتظرتُها، وقد هيأتُ نفسي مراراً لزيارتها، ولكل أجلٍ كتاب، فهذه الفرصة أتيحت لي هذا اليوم المبارك الذي أرجوالله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وبما ينفعنا من تعليم كتـــاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وإني أشكرهم على تلك الكلمات الطيبة، وأشكر فضيلة الشـــيخ العـالم العلامـــة رئيـــس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، مرغوب الرحمن على هذه الكلمة القيمة، وعلى هذا التبصير، وعلى هـــذا الإفصاح، وعلى هذه الفوائد النادرة التي سمعتُها منه، وسمعتها من أخينـــا فضيلة الشيخ العلامة نورعالم الأميني، مابيّنه لنا من ابتداء هذه الجامعة ومن تأسيسها ومن تخرّج منها، ومن أعمالها الجليلة القيمـــة، وتلـــك ماسمعتُـــه عنها،وما سمعتُه منهم عن ابتدائها ومن تخرج منهـــا، ونشـــاطهاونتائجها،

لقد شرح صدري وازددتُ بذلك معرفةً على معرفتي بها، ألا فهي كالشمس في رابعة النهار شهرةً ومعرفة، ومن لا يعرفها؟ وهل عالم لا يعرف هذه الجامعة الإسلامية في ديوبند، كل الناس يعرفونها وهي لا تخفى على أحد، لا تخفى على أحدٍ مكانتها المرموقة، والمتخرجون منها العلماء المشهورون الذين خدموا العلم، خدموا تفسير كتاب الله، خدموا حديث رسول الله، خدموا الفقه الإسلامي، خدموا اللغة العربية، خدموا الأدب العربي، خدموا كل العلوم الإسلامية، هذا الشيء لا يُنكر، وشيءٌ يعرفه كل أحد.

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

فكلٌّ يعرف هذا والحمدلله، وهي علَم شامخ بين الجامعات، علَم شامخ بين المدارس والحمدلله، علماؤها أعلامٌ شامخة بين العلماء، فجزاهم الله كل خير، وأثابهم وقوّاهم، ولقد طفتُ كثيراً من البلاد، وشاهدتُ ما شاهدت من المدارس التي هي ناشئة عنها، والتي هي من فروعها، والتي أنشأها رجال تخرّجوا منها، رجال تعلّموا هنا وذهبوا يحملون مشعل النور إلى تلك البلاد، فهذه دارالعلوم في بنجلة ديش، عددُتها دُوراً كثيرةً وهي ناتجة من ههنا، وفي باكستان دور العلوم التي هي نابعة من ههنا، وفي ماليزيا وفي إندونيسيا، بل وفي بريطانيا بلاد الكفر هناك **الجامعات الديوبندية** التي حضرناها، وحضرنا ختم صحيح البخاريّ فيها، وحضرنا كثيراً

من الجامعات، فجامعة ديوبند معروفة بين الناس، مشهورة في العالم، لا تحتاج إلى بيان ولا تحتاج إلى تعريف ولكن ماسمعناه هومما يزيد معلوماتنا، ومما يؤكد معلوماتنا التي هي عندنا وما علمناه منها ، فجزاهم الله كل خير، ونرجوهم إن شاء الله التوسع في ذلك ، وأن تكون هذه الجامعة منبراً عالياً من منابر الإسلام ، تنير العالم كلّه بحول الله وقوته ، كما أنارت شبه القارة الهندية وما إليها من البلاد الإسلامية، فجزى الله القائمين عليها كل خير، ووفّقهم لما يقومون به من جهد وجهاد ، وقد قاموا بذلك على أكتافهم وعلى هممهم العالية ، وعلى نشاطهم المتواصل، من غير أن يكون هناك دعم من حكومات أويكون دعم من مؤسسات، وإنما قاموا به بجهد منهم، والله سبحانه وتعالى أعانهم على حسب اجتهادهم وعلى حسب نيتهم ، وعلى نيات مؤسسي هذه الجامعة المباركة ، فشكر الله لهم وبارك في جهودهم .

وإذا كان لي كلمة أتحدث فيها مع إخواني الطلاب واستميح عذراً العلماءَ الكرام الذين لايحسن مني أن أتكلم أمامهم فهؤلاء هم العلماء الأفاضل، ولستُ آتي إلا بشيء من المناصحة، وإلا فالعلماء الأفاضل لم يدّخروا وسعا، وعندهم من العلوم ما ليس عندنا، وإنا نتمثل بقول حسان ﷺ بهذه المناسبة :

وأنا ومن يهدي القصائد نحونا　　كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

جامعة عريقة
ثبت الله بها الإسلام

كلمة

فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح الصقير

وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
بالمملكة العربية السعودية

"... فإنه لمن دواعي سروري واغتباطي وجودي في هذه الجامعة المباركة، أمام تلك الوجوه النيرة التي طالما اشتقتُ إلى لقائها ، كلما مررت بمدرسة لأخواننا المسلمين من جالية العلم تسمى بـ" دار العلوم" فكنت أشتاق إلى هذا الاسم أن أرى المسمى به أصلا، فلما رأيته وجدته – ولله الحمد – يجمع إلى فخامة المبنى، جزالة المعنى، فهو – ولله الحمد – جامعة عريقة ثبت الله تعالى بها الإسلام، وجعل فيها من البركات مالايعلمه إلاهو، فإنها جامعة مباركة، لها تاريخ مشرق في تخريج أفواج من ورثة النبي صلى الله عليه وسلم من أمته في تبليغ دينه ودعوته، أفواج نفع الله تعالى بهم، وانتشروا في شتى أقطار القارة الهندية وفي أقطار أخرى من الأرض ، فكانوا ولله الحمد يدعون إلى الصراط المستقيم والنهج القويم، وكانوا سبباً في ثبات المسلمين على دينهم

وردّ عاديات أعدائهم ، وهذا – ولله الحمد – من توفيق الله وفضله، فإنه لاحول ولاقوة إلا بالله. مهما قلت عن هذه الجامعة وقال غيري، فحقُّها أكـبر ومهمتها أعظم؛ لأنها استمرت وستستمرإن شاء الله تعالى أعواما طويلةً في تخريج الأجيال المباركة، التي تحمل راية الدعوة، وتدعوإلى هدي النبيﷺ.

وهذا جهد عظيم، لايجزي عليه إلاالله سبحانه وتعالى، ولهذا فـإني أهنّئكم بانتسابكم إلى هذه الجامعة، وأسأل الله عزوجل أن يرزقكم العلم النـافع والعمل الصالح ، وأن ينفعكم وينفع بكم، ويجعلكم مباركين أينما كنتم، وأن يجزي القائمين على هذه الجامعة المؤسّسين السالفين، والمشايخ الحاضرين والقادمين في المستقبل من خريجيها، وأن يجزيهم خيرالجزاء، وأن يبارك في جهود هم وأعمالهم، وأن يجعل ذلك رفعة في درجاتهم وثقلا في موازينهم، وذخراً عنده يجدونه يوم يقدمون عليه، يـوم لاينفع مال ولا بنون.

مشايخي الأجلاء وإخوتي الأفاضل وأبنائي الكرام! لاأستطيع أن أعـبر عـن سروري واغتباطي بوجودي بين جنبات هذه الجامعة المباركة، وفيما ذكرت إشارة، والإشارة تُغني عن كثيرٍ من العبارة، واللبيب بالإشارة يفهم.

ومما أحب أن أوكد عليه:أن المملكة العربيـة السـعودية هـي شـقيقتكم، وأن خادم الحرمين الشريفين وأخاه ولي العهد، وبقية إخوانه وأهل حكومته هم منكم، ويحسون بأحاسيسكم ، ويهتمون بـأموركم، ويقـدرون ظروفكـم، ولايتأخرون إن شاء الله تعالى في أي شيء فيه صالح لكم وللإسلام وأهله، فلكـم سبق للخير، وهم أعوان لكم في هذه القارة...وحُكّامها وأمراؤها وأبناؤها ومشايخها مشاطرون لكم في العمل والعلم والتعليم والفتوى، ويعلـم الله كم يكنّ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبـد الله بـن بـاز المفـتي العـام

للمملكة العربية السعودية من الحب والتقدير **لعلماء ديوبند** ؛ لما لهم من الجهود المباركة، وكذلك معالي وزير الشئون الإسلامية الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي قد عبّر عن سروره وصلته واهتمامه بهذه الجامعة بمجيئه شخصيا إليها،وتمشّيه بين جنباتها، ولقائه بإخوانه المسئولين عنها، وهذا لاأستطيع أن أعبّر عنه، فنحن بين إخواننا، وأنتم تعرفون إخوانكم هناك، فحيّ الله الجميع وبارك فيهم.

والذي أحب أن أوكد عليه أن تدركوا المسئولية العظيمة التي تنتظركم، فأولاً احمدوا الله عز وجل على أنه وفّقكم لطلب العلم فإنه طريق الجنة، وفي الصحيح عن النبي صلى‌الله عليه وسلم قال: "من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين" . وقال عليه الصلاة والسلام: "من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة." فافرحوا بذلك واغتبطوا، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا، هوخير مما يجمعون ، وأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل في السر والعلن، وأن تبتغوا بطلبكم العلم وجه الله تعالى، وأن تعبدوه على بصيرة، وأن تهدوا عباده إليه...." [1]

---

[1] نقلا عن مجلة **الداعي** العددان ٦-٧،جمادى الثانية/رجب ١٤١٩هـ(أكتوبر/نوفمبر١٩٩٨م)

قلعة حصينة من قلاع الإسلام

"سمعت كثيرا عن دارالعلوم بديوبند وعلمت بجهاد أساتذتها في نشر اللغة العربية في أنحاء الهند فسرني هذا الخبر، وقد رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع، وزرتُ المكتبةَ القيمة التي فيها عددٌ لايحصى من كتب اللغة والدين والتاريخ، إني أرجو لدارالعلوم وعلمائها كل توفيق وازدهار، فهي قلعة حصينة من قلاع الإسلام".

سماحة الشيخ الدكتور/ محمد محمد الفحام

شيخ الأزهر

٢٦/٤/١٩٧٠م

المبشرون بالهداية والعلم

"زرت دارالعلوم بديوبند وسعدت بأنّ قضيت فيها ساعات، فرأيت طلبةً مجدين صادقين في تعلم العلم، ورأيت أساتذة أخلصوا لله قلوبهم، أما شيخ الدار ووكيله فإنهما على تقوىً وعلى علمٍ جمٍ، وهي هذه المجموعة الكبيرة من الخريجين الذين ينتشرون في طول البلاد وعرضها مبشّرين بالهداية والعلم".

سماحة الشيخ الدكتور/ عبد الحليم محمود

شيخ الأزهر

١٣/٤/ ١٣٩٥هـ

مثل حي في المحافظة على كيان المسلمين

وقال الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر بعد أن تحدث عن جهاد علماء الهند ضد الإنجليز، وما قدموا -في مقاومة الاستعمار- من التضحيات:

"وهؤلاء المجاهدون هم الذين قاموا بإنشاء دار العلوم ديوبند التي صارت أكبر معهد ديني عربي في الهند والبلاد الآسيوية الشرقية. وقد واصلوا جهادهم في سبيل حماية المسلمين، وأخلاقهم وعقيدتهم من شرور المستعمرين، وتشددوا في ذلك حتى خاصموا كل ثقافة إنجليزية، بل كل ملبس ومظهر إنجليزي، ولازال هذا المبدأ سائداً في هذه المدرسة وأمثالها للآن، ويعتبر ذلك مثالاً حياً في المحافظة على كيان المسلمين".

معالي الدكتور عبد المنعم النمر

وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية

فماذا يزور؟

" إنّ العلماء الذين زاروا الجامعة لانرى حاجة إلى أن نشكرهم، فذلك كان واجبهم؛ لأن العالم الذي يزور الهند من خارجها ولايزور هذه الجامعة فماذا يزور؟

فضيلة الشيخ محمد محمود الصيام

إمام وخطيب المسجد الأقصى السابق

(مجلة الداعي جمادى الأخرى/رجب ١٤١٩هـ)

الجهود العظيمة

"لقد يسّر الله عزوجل لنا زيارة الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، وشاهدنا منشأتها، ووقفنا على نتائج الجهود العظيمة التي يبذلها القائمون عليها، وسرّنا ماشاهدناه ورأيناه"

فضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد — الشيخ صالح عبدالله المحيصن

نائب رئيس — عميد كلية أصول الدين بالجامعة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة — ١٣٩٨/٥/١٨هـ

عمل عظيم

"أحيي دارالعلوم بديوبند كل التحية لما تقوم به من عملٍ جليلٍ عظيمٍ من خدمة الإسلام والمسلمين، وهذه الدراسات من الفقه والحديث والتفسير للطلاب الذين يدرسون هنا هومن الواقع الدراسات التي تخلق منهم علماءَ يخدمون الإسلام في بلادهم."

فضيلة الشيخ محمد توفيق عويضه — ٢٧/ربيع الثاني ١٣٩٣هـ

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

أركان العلم والصلاح

"قد منّ الله على مرة ثانية بزيارة جامعة ديوبند فنفحت بلقاء شيوخها أركان العلم والصلاح، وسعدت بوجوه طلبة أهل الرضاء والفلاح، وإن هذا المعهدَ العالي العظيم ما يزال بفضل الله تعالى مشعلاً إسلاميا منيراً، ومجمع بقية الشيوخ الصالحين العلماء."

فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

١٣٩٩/٧/١٧هـ

الصرح الإسلامي العملاق

لقد زرت دار العلوم - ديوبند لأول مرة في حياتي في ربيع الآخر من عام ١٤٠٨هـ مع أني زرت الهند قبل ذلك خمس مرات، وقد أسفتُ إذفاتني هذا الخير العظيم، وضاعت مني فرصةُ التعرُّفِ على هذا الصرح الإسلامي العملاق قبل ذلك. أسأل الله لهم الثبات والتقدم، وأن يوحّد المسلمين حولهم وبهم، وأن يجعلهم أئمةً للمتقين وأهلَ علمٍ وعملٍ في سياقٍ واحدٍ، والله ولي التوفيق.

د/عبد الحليم عويس

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

غرة ربيع الآخر ١٤٠٨هـ

جهودٌ مباركة

"فإنه يسرني ويسعدني نيابة عن وفد الجامعة الإسلامية ما تمَّ في هذا اللقاء الإسلامي الكريم، ولقد سُررنا كثيراً بما سمعناه من كلماتٍ طيبةٍ عن دار العلوم وما تقوم به من جهود مباركة".

١١/٣/١٣٩٨هـ . الشيخ محمد الوائلي

عميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

منارة للعلم

"سعدنا بزيارة هذا المعهد العتيد الذي يعتبر منارةً للعلم، وموئلاً للعرفان ، وملاذاً للمعرفة والهداية، والذي أنتج علماء شبه القارة الهندية ، ورجال الحديث النبوي الشريف ، والذين حفظ الله بهم الدين من تحريف الضالين واعتداء المبتدعين."

عبد المحسن بن علي بابصيل — مدير التوعية الإسلامية

محمد بن إبراهيم الصليفيعي — وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية

منابر العلم والعرفان

"كان لي شرف زيارة دارالعلوم ديوبند حيث طفتُ في مختلف مؤسّساتها العلمية والتعليمية، وقد وجدت فيها ما يشرح الصدور ويفرح القلوب، حيث تقوم في أرجاء الجامعة روح إسلامية وثّابة، وتُقام فيهامنابر العلم والعرفان، ومن هذه المنابر تنتشر دعوة العقيدة الإسلامية والسلفية الصالحة."

١٣٩٩/١٢/١٧هـ سعادة الأستاذ صالح عبد الله الصقير

سفير المملكة العربية السعودية بالهند

مائة وخمسة عشر عاما من الجهاد والكفاح

"إن هذه الجامعة التي مضى عليها مائة وخمسة عشر عاماً من حياة الجهاد والكفاح، وأنجبت أعلاماً أفذاذاً من شتى علوم الفقه والتاريخ الإسلامي حري بأن تحظى بإقبال الكثير من أبناء الهند وغيرها من الدول الإسلامية المجاورة لكي ينهلوا من معارفها."

سعادةالأستاذ عبد الله عبد المطلب بوقس

وكيل وزارة الحج
بالمملكة العربية السعودية

١٣٩٩/٣/١٣هـ

نشر علوم الإسلام

"فقد زرنا الهند بصحبة وزير الأوقاف للسورية العلامة الشيخ عبد الستار سعيد، وكان سرورنا عظيماً حينما قدمنا إلى ديوبند وحظينا بزيارة معهد العلوم العظيم الذي ينشر علوم الإسلام في بلاد الهند، وفي المشرق والمغرب."

المستشار محمد الحكيم

٢٨/ ٢/١٣٩٩هـ

مفتي محافظة حلب

التقدير والاعتزاز

" يسعدني أن أزور الجامعة والتقي بعلمائها وأساتذتها والعاملين على إدارتها والطلبة، وإنها لمناسبة أن أسجل باسم منظمة التحرير الفلسطينية وباسمي شخصياً تقديرنا واعتزازنا وفخرنا بالجامعة، بماضيها وحاضرها ومستقبلها."

فتحي عبد الحميد

١١/ ٧/ ١٩٧٦م

مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية باليابان

المكافحون المناضلون

" لقد سعدت بزيارة المعهد العظيم "دارالعلوم ديوبند" وقد اطمأنت نفسي إلى أن الإسلام لازال بخير طالما أنَّ هناك هؤلاء الرجال المكافحون والمناضلون القائمون على شؤون " دارالعلوم ديوبند" .

حسام الدين بن سويلم

الملحق العسكري المصري في دلهي

القوة والعزم

"إنَّه ليسعدني حقاً ان اسجّل إعجابي بقلعة من قلاع الإسلام تدافع عن الإسلام بقوة وعزم، وقد كان لما رأيناه ولما لمسناه اثر طيب."

عبد اللطيف لاشين

٢١/٣/١٩٧٦م

سفارة ج م ع - بنيو دلهي

أزهر الهند

" نحمد الله على أنه منّ علينا بزيارة هذه الدار العريقة الْمُنْجِبة التي لم نزل نسمع عنها ونحن في ديار مصر وأرض العرب، ونعلم أنها **أزهر الهند** الذي نذر للإسلام حياته وجهاده برفع لوائه، وبمد ضيائه، فقد رأينا والله خيراً مما سمعنا."

٧/١١/ ١٩٧٥م سعادة الأستاذ/ **عبد المعز عبد الستار**

دولة قطر

الإخلاص والعمل والنور

"إن هذا المعهد الديني الذي أُسّس على تقوى من الله ورضوانه سيبقى - إن شاء الله - القلعة الحصينة للحفاظ على العلوم الشرعية الدينية، ولقد اجتمعت بالسادة الأفاضل من المدرّسين فيه فوجدتُ فيهم الإخلاص والعمل والنور ينبع من قلوبهم."

٢٥/٤/١٣٨٤هـ **فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني**

كلية الشريعة بمكة المكرمة

الجهاد الأكبر

" اتسعت دار العلوم بفيض إيمان شيوخها الأجلاء هي شملت الهند على وسعها، فكانت نوراً لها وللعالم أجمع، وإنّ الجهاد الأكبر الذي يقوم به الشيوخ الأجلاء هو خير مثالٍ يشجّعني لمثل هذا الكفاح."

إسماعيل عبد الرزاق

٢٥/ ١١/ ١٣٧٣هـ

صحيفة اليوم – بغداد

الجهود الإيمانية البنّاءة

"إنّ وصف المشاعر التي انتابتني بعد جولتي في "جامعة ديوبند الإسلامية" فهو أكبر من أن يستطيعه لساني أو قلمي، ولكني أقول: إنّ الجهود الإيمانية البنّاءة التي تصنع الرجال في هذه الجامعة العريقة من جنود الدعوة الإسلامية لهي جهود تدعو إلى الفخر والاعتزاز."

الأستاذ عبد الفتاح سعيد

١٠/٣/١٩٧٨م

محرر بمجلة منار الإسلام – أبو ظبي

أكبر جامعة إسلامية

"...فقد تشرفت بزيارة أكبر جامعة إسلامية في الهند وهي دارالعلوم ديوبند، وقد سُررت جداً لما شاهدتُ فيها من نشاطات مباركة في نشر العلوم الإسلامية، وفيها مكتبةٌ ضخمة تضم مائة ألف كتب في فنون مختلفة."

١٨/٨/١٣٩٨هـ **عبد القادر حبيب الله السندي**

مندوب دارالإفتاء والدعوة والإرشاد

والمدرس بمعهد الحرم المكي الشريف،

عمل مجيد عظيم

"...قد أثلج صدري ما رأيتُ من عملٍ مجيدٍ عظيمٍ تقوم به هذه الجامعة لخدمة الإسلام والمسلمين، إنها بحق قلعة من قلاع الإسلام."

٨/٣/١٣٩٧هـ **الأستاذ مقبول عبد الكافي**

مدرسة تحفيظ القرآن -- مكة المكرمة

حسن الأداء

"قال المثل العربي : " ليس من رأى كمن سمع" فبعد أن زرت الدار وتحادثت بالأساتذة فقد اقتنعت أن "الدار" لها المهمات والمسؤوليات الكثيرة، وقد أدتها أحسن الأداء فيما مضى."

٢٤/ ٢/ ١٣٨٤هـ محي الدين يونس

حفظ السنة المحمدية

"زرت دارالعلوم بمدينة ديوبند واعجبني كل الإعجاب في نظامه الدراسي، وفي الإخلاص الذي يبذله المدرّسون والأساتذة الفضلاء.

والحق يقال إن السنة المحمدية قد حفظت في أجيال عدة ببركة علماء الهند المخلصين ودارالعلوم الآن يرجى لها مستقبل رائع."

٦٢/ ٦/ ١٣٩٠هـ الأستاذ محمد علي بن عبد الرحمن

مدرس العلوم الدينية– دبي

مكافحون في سبيل الدعوة

"زرت جامعة دارالعلوم ديوبند ولقد سررت سروراً عظيماً لهذا المركز الإسلامي الكبير، وما يقوم به من خدمات جليلة لخدمة العلم والدين الإسلامي الحنيف وما يبذله من جهد، كل هذا بفضل ما تحويه الجامعة من أساتذة كرام، وعلماء عاملين متخصصين في جميع الفنون، علماء مكافحين في سبيل الدعوة."

محمود محمد عبد الله

مبعوث الأزهر الشريف

بالجامعة الأشرفية – لاهور– باكستان

ماتعجز عنه الحكومات

" سعدت بزيارة هذه المؤسّسة الإسلامية الضخمة فرأيتُ عملاً عظيماً تعجز عنه الحكومات."

محمد عبد المعطي بهجت

نيجيريا

ظلمها من شبَّهها بالأزهر

"إنّ هذا اليوم بالنسبة لي يومٌ أعُدُّه من نوادر الأيام، ويوم لا يعدلها إلا يوم دخولي إلى الكعبة المشرّفة، فأنا دخلت في جوفها - الحمد لله - ثلاث مرات فتمكنني في المرة الأولى شعورٌ غريب لا يمكن لإنسان أن يصفه أو يترجمه

دخلت اليوم جامعتكم - ولولا قدسية بيت الله جلّ جلاله - وهواطهر بقعة في الأرض لقلت : فرحي كفرحي بذلك اليوم، ولكن له قدسيةً أخرى .

إن سمعة جامعتكم قد طبقت آفاق الأرضين، وقام ذكرها في العالمين. وقد ظلمها -والله- من شبّهها بأزهر الهند، بل أحرى أن تشبّه بها الأزهر ويقال "ديوبند عرب"، دَرستُ في الأزهر فلم ألق من ذلك الاسم الهائل سوى الكيان الكبير، أقول ذلك بمرارةٍ لا مجاملةً لكم، بل هوواقعٌ إسلاميّ ظاهرٌ علينا أن نتحرّاه [1]

الدكتور محمد محروس المدرس الأعظمي - بغداد

---

(١) (مجلة الداعي) السنة ٩ ، العدد ٩

جامعة طار صيتها وانتشر ذكرها

"إن مكان جامعتكم لا يخفى على احد من الذين ينتمون إلى العلوم الشرعية الإسلامية بصلة، لا في القديم ولا في الحديث، فهي جامعة طار صيتها وانتشرذكرها، وعم البلاد والعباد ....

والله - والله يشهد - الدمعة تُرَقرق في عيني حينما أراكم تجلسون على البسط بين ايدي العلماء والمشايخ كما كان السلف يجلس هذه الجلسة، هي التي أخرجت العلماءَ العظماءَ. لما جلسنا على الكراسي وعلى المنابر خرجنا من الجامعات جهلاء." (١).

الشيخ محمد حسن هيتو - الكويت

---

(١) مجلة الداعي السنة ٣، العدد ١٨-١٩-٢٠ ص ١٩ و ٢٠

القسم الثاني

بعض المبادئ

من

عقائد أهل السنة والجماعة

وأفكارهم

وبماكان
يقول به أحمد بن حنبل
نقـــول

"قولُنا الذي نقول به، وديانتُنا التي ندينُ بها: التمسكُ بكتــابِ الله ربنا عزَّ وجلَّ، وبسنةِ نبينا محمد ﷺ وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد ابن حنبل- نضَّر الله وجهَه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف مخالفون؛ لأنَّه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحقَّ، ودفع به الضلالَ، وأوضح به المنهاجَ، وقمع به بدعَ المبتدعين، وزيغَ الزائغين، وشكَّ الشاكين، فرحمةُ الله عليه من إمامٍ مقدَّمٍ، وجليلٍ معظَّمٍ، وكبيرٍ مفهَّمٍ."

الإمام أبوالحسن الأشعري

الإبانة عن أصول الديانة : ٢١

أهل السنة والجماعة فرقة
ولهم طوائف وطرائق

إنّ أهل السنة والجماعة فرقة واحدة تجاه فرق الإسلام، تشملهم وتجمعهم النسبة إلى السنة والجماعة والتمسك بهما ، ثم هم طوائف في الفقه والعقائد على رأي الجمهور، فكما أنهم في الفقه ليسوا على مذهب واحد ومنهاج واحد، بل لهم مذاهب عديدة ومناهج مختلفة، أشهرها – لاسيما في هذه القرون المتأخرة – خمسة مذاهب، **المذاهب الأربعة** ، ومعظم المسلمين معتنقون بأحد هذه المذاهب الأربعة، والمذهب الخامس **مذهب الظاهرية** أو**مذهب علماء الحديث** وأصحابه. فكذلك انهم في العقائد أيضاً طوائف : **الأشعرية والماتريدية** والطائفة الثالثة: **السلفية أو الأثرية أو أصحاب الحديث** أو **الحنابلة**. ومعظم علماء الأمة – وبواسطتهم عوامهم أيضاً – ينتسبون إلى إحدى الأوليَين. وجماعة غير قليلة – إلاّ أنها قليلة بالنسبة إلى الأولين – يُسَمَّون "**السلفية**" وهم الذين يُذكرون بالحنابلة وبأصحاب الحديث أيضاً.

ومعروف أنّ الاختلاف الأول لم يتسبب لهم أن يحكموا من أجل ذلك على أحد بالضلال والإضلال، فكذلك لا يجوز- و لم يسوّغه أحد من المتقدمين – أن ينسب أحد منهم إلى الضلال والإضلال أوالكفر والفسوق لأجل الخلاف العقائدي والكلامي على الوجه المعروف فيمابينهم، ***وعلماء ديوبند*** لايخرجون في مذهبهم الفقهي والكلامي عن

طوائف أهل السنة المذكورة فلمّا لم يوجب ذلك قدحاً فيمن مضى من علماء الأمة سلفاً وخلفاً وشرقاًوغرباً ، فكيف يُعدُّ قدحاً في حق *علماء ديوبند*؟ .

قال الشيخ **محمد أنور الكشميري** - محدث *علماء ديوبند* وحافظهم - وهويتكلّم عن قوله ﷺ "**ما أنا عليه وأصحابي**" : وبالجملة الآن مصداق الحديث أتباع المذاهب الأربعة والظاهريّ، وطريقُ معرفة ما أنا عليه وأصحابي توارث السلف وتعاملهم ، وإذا اختلفوا في شيء فالحق إلى الطرفين. " (١)

وقد ذكر الشيخ محمد أبوزهرة هذه الطوائف لأهل السنة في العقيدة والفقه تفصيلاً وتحقيقاً في كتابه " **تاريخ المذاهب الإسلامية** "، وكذا غيرُه -أيضاً - من علماء الهند وآخرين ذكروا الفرق الثلاث. (٢)

السلفية والأشعرية والماتريدية:

وقد أكثر **الإمام السفاريني** ذكر هذه الفرق الثلاث لأهل السنة والجماعة في كتابيه : "**لوامع الأنوار البهية**" و"**لوائح الأنوار السنية**" فمن ذلك قوله :

" ***أهل السنة والجماعة ثلاث فرق، الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية وإمامهم أبوالحسن الأشعري، والماتريدية وإمامهم أبومنصور الماتريدي*** (٣) ***رحمهم الله***.

وقال أيضاً :

الفرقة الناجية أهل الحديث - الأثرية -والأشعرية والماتريدية (٤).

---

(١) العرف الشذي على جامع الترمذي ٩٢/٢

(٢) تاريخ أهل الحديث ص: ٧٩-٨٥و٩٢

(٣) لوامع الأنوار البهية ٧٣/١

(٤) لوائح الأنوار السنية ١٤١/١ نقلا من جريدة المدينة الصادرة بالسعودية العدد ١١٩٥٤، ٦شعبان ١٤١٦هـ

الأشعرية والماتريدية

ودورهم في

الدفاع عن أهل السنة والجماعة

قال عبد القاهر البغدادي :

"قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصولٍ من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل وبالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن منها شعب، وفي شعبها مسائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد وضلّلوا من خالفهم فيها (١).

وبعد أن فصل تلك الأصول قال:

"فهذه أصول اتفق أهل السنة على قواعدها، وضلّلوا من خالفهم فيهـا ، وفي كل ركن منها أصولٌ ومسائل فروع ، وهم مجمعون على أصولها، وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافًا لايوجب تضليلاً وتفسيقاً (٢).

كلام لطيف للإمام الدهلوي:

ويقول الإمام ولي الله الدهلوي في كتابه الحجة الفذة "حجة الله البالغة" :

"وليست السنة اسمًا في الحقيقة لمذهب خاص من الكلام، ولكن المسـائل الـتي اختلف فيها أهل القبلة وصاروا لأجلها فرقًا متفرقة وأحزابًا متحزبة بعـد انقيـادهم لضروريات الدين على قسمين:

---

(١) الفرق بين الفرق ١/ ٣٢٣

(٢)المصدر السابق ص: ٣٢٤

١- قسم نطقت به الآيات ، وصرحت به السنة، وجرى عليه السلف من الصحابة والتابعين، فلما ظهر إعجاب كل ذى رأي برأيه، وتشعبت بهم السبل، اختار قوم ظاهرَ الكتاب والسنة، وعضوا بنواجذهم على عقائد السلف، ولم يبالوا بموافقتها للأصول العقلية ولامخالفتها، فإن تكلّموا بمعقول فلإلزام الخصوم والرد عليهم، أولزيادة الطمأنينة، لا لاستفادة العقائد منها وهم *أهل السنة*.

وذهب قوم إلى التأويل والصرف من الظاهر حيث خالفت الأصولَ العقليةَ -بزعمهم- فتكلّموا بالمعقول لتحقّق الأمر وتبيّنه على ما هوعليه.

فمن هذا القسم: سؤال القبر، ووزن الأعمال، والمرور على الصراط، والرؤية، وكرامات الأولياء، فهذا كله ظهر به الكتاب والسنة وجرى عليه السلف، ولكن ضاق نطاق المعقول عنها - بزعم قوم - فأنكروها أو أوّلوها. وقال قوم منهم : آمنّا بذلك وإن لم تدرِ حقيقته، ولم يشهد له المعقول عندنا. ونحن نقول: آمنّا بذلك كله على بيّنة من ربنا، وشهد له المعقول عندنا.

٢- وقسم لم ينطق به الكتاب ولم تستفض به السنة، ولم يتكلّم فيه الصحابة، فهومطويٌ على غرِّه ، فجاء ناسٌ من أهل العلم فتكلّموا فيه واختلفوا ، وكان خوضهم فيه :

أ- إمّا استنباطاً من الدلائل النقلية كفضل الأنبياء على الملائكة، وفضل عائشة على فاطمة رضي الله تعالى عنها.

ب- وإمّا لتوقف الأصول الموافقة للسنة عليه وتعلقها به - بزعمهم -كمسائل الأمور العامة، وشيء من مباحث الجواهر والأعراض. فإنّ القولَ بحدوث العالم يتوقف على إبطال الهيولى وإثبات الجزء الذي لايتجزى ، والقولَ بخلق الله تعالى العالَمَ بلاواسطة يتوقف على إبطال القضية القائلة بأن الواحد لايصدر عنه إلاّ الواحد،

والقولَ بالمعجزات يتوقف على إنكار اللزوم العقلي بين الأسباب ومسبباتها، والقـــولَ بالمعاد الجسماني يتوقف على إمكان إعادة المعدوم، إلى غير ذلك مما شحنوا به كتبهم.

ج- **وإمّا تفصيلاً وتفسيراً لما تلقوه من الكتاب والسنة** فاختلفوا في التفصيـــــل والتفسير بعد الاتفاق على الأصل، كما اتفقوا على إثبات صفتيَ السمع والبصـــر ثــم اختلفوا فقال قوم: هما صفتان راجعتان إلى العلم بالمسموعات والمبصـــرات، وقـــال آخرون: هما صفتان على حدتهما.

وكما اتفقوا على أنَّ الله تعالى حي، عليم، مريد، قدير، متكلِّم، ثم اختلفوا فقال قوم : إنَّما المقصود إثبات غايات هذه المعاني من الأثار والأفعال، وأن لا فرق بين هذه السبع وبين الرحمة والغضب والجود في هذا، وأنَّ الفرق لم تثبته السنة، وقال قوم هـــي أمورموجودة قائمة بذات الواجب.

واتفقوا على إثبات الاستواء على العرش، والوجه والضحك على الجملـــة، ثـــم اختلفوا فقال قوم : إنَّما المراد معانٍ مناسبةٌ فالاستواء هو الاستيلاء والوجـــه الـــذات. وطواها قوم على غرها وقالوا : لاندري ماذا أريد بهذه الكلمات.

وهذا القسم لست أستصح ترفع إحدى الفرقتين على صاحبتها بأنّهـــا علـــى السنة، كيف ؟ وإن أريد قح السنة فهوترك الخوض في هذه المسائل رأســـاً كمـــا لم يخض فيها السلف.

ولما أن مست الحاجة إلى زيادة البيان فليس كل ما استنبطوه مـــن الكتـــاب والسنة صحيحاً أوراجحاً ، ولا كل ما حسبه هؤلاء متوقّفاً علـــى شـــيء مســـلّم التوقف، ولاكل ما أوجبوا ردّه مسلّم الرد، ولا كل ما امتنعوا عن الخـــوض فيـــه استصعاباً له صعباً في الحقيقة، ولاكل ما جاؤا به من التفصيل والتفسير أحـــقُّ ممـــا جاءبه غيرهم.

ولما ذكرنا من أنّ كون الإنسان سنّياً معتبرٌ بالقسم الأول دون الثاني ترى علماء السنة يختلفون فيما بينهم في كثير من الثاني كالأشاعرة والماتريدية ، وترى الحذاقَ من العلماء في كل قرن لايحتجزون من كل دقيقة لاتخالفها السنة، وإن لم يقل بها المتقدّمون (١).

تميز أهل السنة والجماعة من الفرق المنحرفة:

ولذلك فإنّ أهل السنة والجماعة - بعد اتفاقهم على أصول وكليات تميّزهم عن غيرهم من الفرق، الخارجة عن جادة الحق، وتشهد لهم بأنّ جماعتهم هي الجماعة الناجية التي ذكرها رسول الله ﷺ بقوله : *"ما أنا عليه وأصحابي"* - اختلفوا في التفسير والتفصيل ، فصاروا - لاختلاف مناهجهم - في ثلاث طوائف، متحدة في الأصول والمباني، ومختلفة في بعض الفروع والنواحي، وهم السلفية والأشعرية والماتريدية ؛ والسلفية يقال لهم الحنابلة وأصحاب الحديث والأثرية أيضاً (٢).

ومعظم المسلمين انتسبوا، ولا يزالون ينتسبون إلى الأشعرية أوالماتريدية، عوامُهم وخواصُهم مع وجود الطائفة الثالثة في قلتها، ووجود من يخالف الطائفتين المعروفتين حتى جاء عصر إحياء علوم الشيخين ابن تيمية وابن القيم وآرائهما فاتّسع نطاق المنتسبين إلى الطائفة الثالثة ، وانتشر هذا المذهب أيضاً، فصار أتباعُه في كثرة بالنسبة إلى ماسبق، لكنّ النسبة إلى الطائفتين المعروفتين لم تزل باقيةً، وذكرهما لايزال جاريا وساريا عند المحقّقين من علماء الأمة من مختلف البلاد ومختلف المذاهب الفقهية.

---

(١) حجة الله البالغة ١/٩و١٠

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ١/٢١١ فيه ذكر الحنابلة والسلفية

فالأشعرية والماتريدية لم تكن أبداً من الفرق الضالة الزائغة، وأقوى الدليل على ذلك أن كلاً من الإمامين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي صرّحا بأنّهما متّبعان للسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم في الأصول والمناهج، وقد تحقّق المحقّقون والمتخصّصون، وتبيّن لهم ذلك بعد المقارنة بين المناهج والأصول.(١)

الأشعري الحنبلي والماتريدي الحنفي :

قد اشتهر نسبة أبي الحسن الأشعري إلى السلف وإلى الإمام أحمد ومذهبه في كتابه "الإبانة" (٢)، كما اشتهر وعرف ذلك من أمر الماتريدي بنسبته إلى الإمام أبي حنيفة ومذهبه ، فإنّه احتضن أصوله ومسائله في باب التوحيد والعقائد أيضاً، كما كان على ذلك من مسائل الفقه وأصوله (٣)، ومذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه - في التوحيد والعقيدة - معروف في كتبه، وسيما اشتهر وانتشر ذلك بكتاب الإمام الطحاوي الذي لم يزل متداولاً بين أهل السنة والجماعة منذ تأليفه وهو كتابه: "العقيدة الطحاوية"، وقد كثر الاعتناء به والاشتغال في الأيام الأخيرة.

وإنّما حصل لهما الامتياز والاختصاص بين المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، ففارقوا السلفية في بعض الفرعيات والتفصيلات لخصوص ظروف ألجاتهم ، وأمورٍ اضطرتهم إلى ذلك، كما وُجدمن بعض المنتسبين إلى السلفية والحنابلة بعض ما خالفه فيه بعضُ آخرمن السلفية أوذكروا فيه النظر(٤).

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ١/١٨٦و١٩٩

وقد فصلت في ذلك الدكتورة فوقية حسين محمود في مقدمة التحقيق والتعليق على كتاب الإبانةص: ٢٩-١٣٣) وكذا الشيخ محمد أبوزهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية)

(٢) (الإبانة) ص: ١٨٣

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ١/١٩٦و١٩٧

(٤) أمالي الشيخ محمد تقي على جامع الترمذي ٢/٢٠٠-٢٠٥و(تاريخ المذاهب الإسلامية) ٢/٢١١-٢١٨-٢١٩

عصر الإمامين الأشعري والماتريدي:

وحينئذ فلا بد هنا للوصول إلى حقيقة ما ذكرت والوقوف عليها - من ذكر تلك الظروف والبيئة التي كان يعيش فيها **الإمام أبوالحسن الأشعري و الإمام أبومنصور الماتريدي** ومن بيا ن ما قام به كل من الإمامين - **الأشعري** والماتريدي- ثم أتباعهما من الخدمات في الدفاع عن الإسلام والكتاب والسنة، والتمثيل عن أهل السنة والجماعة، والتأصيل لأهل السنة والجماعة، وتثبيت قواعدهم وتحقيق مسائلهم.

إنّ **الإمام الأشعري والإمام الماتريدي** عاشا في فترةٍ ذات خطورة من التاريخ الإسلامي وتاريخ المسلمين وهي فترة مابين ٢٥٠ - ٣٢٤هـ وما بعد، أي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري والربع الأول من القرن الرابع.

هذه الفترة كانت من أواخر أيام العباسيين التي كثر فيها توالي الخلفاء، وظهرت دُوَيلات تظهر الولاء للخليفة العباسى السُنّيّ- تثبيتا لاتجاهها السني من جهة ومن جهة أخرى خشية من سيطرة الفاطميين، ولايخفى ما يمكن من أثرٍ في العقائد لتزعزع السلطة الحاكمة، لما بين الحال السياسية والحال الدينية من صلة وثيقة، تختلف آثارها بالنسبة لسيادة آراء الفرق باختلاف قوتها.

فقد كان من أثر ضعف السلطة الحاكمة في ذلك الحين أن زاد تراشق الفرق بالألفاظ عن علم أوعن غير علم، واختفت سيطرة الفرقة الواحدة الغالبة، وكانت السيطرة - في الزمن الذي يسبق هذه الفترة - للفرقة المعتزلة، التي حظيت بتقدير كبار خلفاء العباسيين لفترة طويلة، من أبي جعفر المنصور (م ١٥٨هـ) إلى الواثق (م٢٣٤هـ).

حتى جاء المتوكّل فرُفع المحنة عن الأئمة، ورُدَّ لأهل السنة اعتبارُهم فقلّت سيطرة الاعتزال وإن بقى رجال منهم يواصلون مواقفهم في الموغلة في الجدل العقلي المفصل الصادر عن وقفة بعدت بهم عن التناول السليم للعقائد.

ولكن بجانب آخر – مع ضعف سيطرة المعتزلة وزيادة ثبات قدم أهل السنة زاد أيضاً ظهور الفرق المختلفة، واشتهرت مذاهب هذه الفرق من القدرية والجهمية والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية ، حتى ملأت الأرض وتسبب ذلك لضعف شأن المعتزلة أيضاً ؛ لأنهم كانوا متصدين للرد على أهل الأهواء زمن سيطرتهم على عموم بلاد الإسلام .

وأيضاً أنّ زيادة ثبات قدم أهل السنة لايعني أنّ المعتزلة تزعزعوا أوتراجعوا، بل صار الأمر بحيث أن هدأ بال أهل السنة من جهة نظرة السلطة الحاكمة إليهم التي واجهوها من قبل، فصاروا يخرّجون آراءهم دفاعاً عن الموقف السني من العقائد دون حرج البطش بهم أو إيقاعهم في المحن. فلم يألوا جهدا في الدفاع عن الموقف الصحيح للعقائد، فقد ظهرت لهم مصنفات عديدة حول السنة، أصدرها كبار رجال السنة والفقه والأصول وذوى المكانة من هذه العلوم، وذلك في ما بين النصف الثاني من القرن الثاني الهجرى حتى نهاية عصر أبي الحسن الأشعري، فظهرت كتب بعنوان "السنة" أو "رد على أهل البدع " من كتب الأئمة أحمد والبخاري وابن قتيبة والدارمي رحمهم الله .[1]

نشوء الفرق وموقف أهل السنة والجماعة:

فالفترة التي عاش فيها أبوالحسن الأشعري وأبومنصور الماتريدي تمثّل نتاج معترك قديم بين فِرَق زلّت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد ، إمّا لتأثرها ببعض آراء دخيلة من تراث شرقيٍّ أوغربيٍّ قديم ، أولرغبة في إخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل

---

(١) للإمام أحمد كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة) وللإمام البخاري كتابه (خلق أفعال العباد) وكتاب (الرد على الجهمية) ولابن قتيبة (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) وللدارمي (الرد على المريسى العنيد)-

البشري، وقد تصدّت لهم جماعة من أهل السنة الذين أرادوا مقابلة هــذا الانحـراف بالثبات على موقف السلف الصالح ، الذين لم يتكلّموا في المسائل التي طرحها المبتدعة وحذروا من الخوض فيها.

ومن يدرس أُسُسَ موقف كلٍ من الإمام أحمد والإمام البخاري وابــن قتيبـة والدارمي وغيرهم من السلف الصالح تبيّن أنهم كانوا يتّبعون أُسُســاً واحــدة في تفسير النصوص المنزّلة، وهي أسس التفسير الصحيح، كما أنهم تبيّنوا حقيقــةً لهـا أهميتُها وهي أنّ الأمور الغيبية الواردة في النصوص المنزّلة تفــوق مقــدرة العقــل البشري في استيعابها.

وبالتالي هناك موضوعات في مستوى العقل البشري، وموضوعات تفوق مستوى العقل البشري، وهذه الأخيرة هي الغيبيات كما أشرنا.

وهذا التميزُ الواضح بين موضوعات المعرفة هوالذي دعاهم إلى التوقف عــن الأمور الغيبية بالعقل، وإلى التصريح بضرورة قبولها على ما هي عليه دون إعمال الفكر فيها ، في الوقت الذي لم يتبين أهل البدع ذلك فخاضوا فيما يتعذّر الخوض فيه بالعقل، وانتهوا إلى الخروج عن أصول العقيدة .

ولا يعني ذلك أنّ العلماء من أهل السنة في ذلك الحين كانوا آخذين بمبدأ الجمود اللفظي تجاه موضوعات المعرفة، بل كانوا يتعرفون على طبيعة الحـال الموضوعـات، ويتقبلون المغيبات علىما هي عليه ، عاملين الفكر فقط في إثبات وجودها إن احتاجوا. أمّا ما لايتعلق بالمغيبات فهم كانوا يُعمِلون الفكر فيه على أوسع مدى كالفقهيات.

فالذين لم يتنبهوا إلى هذه القاعدة وبالتالي لم يعملوا بها من الفرق المناوئة لأهــل السنة انتهوا إلى أقوالٍ في العقائد خاصةً في ذات الله تعالىوصفاته، بعُدت بهــم عــن الصواب. وهؤلاء قد دعّموا موقفهم العقلي أصلاً بكثيرٍ من الأساليب المســتقاة مــن الثقافات الدخيلة مثل فكرة القسمة إلى جوهر وعرض مثلاً وغيرها من التقســيمات الذهنية.

وفي مقابل هؤلاء كان هناك **المجسّمة والمشبّهة** الذين وقعوا في شبهة التجسيم، ومن هؤلاء **الحشوية والكرامية**، وقد انتشروا انتشار الفرق الأخرى، وقامت بينهم وبين المعتزلة خاصةً مناظرات كثيرة ، فبدلاً من أن يسترشدوا بدلالة النص المنزّل لجأوا إلى العقل دون النقل، واعتمدوا على الحسّ خاصةً، وتناولوا العقائد على أسلوب الأمور العادية الجسمانية مشبّهين الخالق بمخلوقاته، تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

ولقد قاوم السلف هذا الاتجاه أيضاً ودحضوا آراء أصحابه، بحيث يُمْكننا أن نقول: إنّ الإمام **الأشعري** قد وجد نفسه – بعد تحوّله من الاعتزال ورجوعه إلى الحق – **بين نوعين من المغالاة في مجال العقائد، مغالاة المعتزلة ومغالاة الحشوية والكرامية**، ومن سار على منوالهم ممن لم يقدروا حدود استعمال العقل في الأمور العقائدية.

العلوم العقلية وتأثيرها في المجتمع:

ثم إلى جانب هذا التطاحن في مجال العقائد كانت الحياة الثقافيةُ تنطلق نحو البعث العقلي بسبب اهتمام الخلفاء بترجمة العلوم الذائعة في البلدان المجاورة، خاصة العلوم الحكمية.

هذه هي البيئة حينئذ في نواحيها السياسية والدينية والثقافية، وهي تحمل في طيّاتها ما يمكن أن تؤدي إلى تقدير ما كان عليه الحال من خطورة بالنسبة للعقائد وما كان يجب أن يتّخذه رجال الكلام من أمثال **أبي الحسن الأشعري** ومعاصره **الماتريدي**، من موقف تجاه طغيان العقليات من أجل توضيح الأسلوب الصحيح في تناول العقائد وهو أسلوب السلف.

كما كان من الضروري كسر شوكة الأساليب العقلية البراقة الخلابة، التي اتخذها المناوئون سلاحاً يجذبون به العقول ويستهوون به النفوس، وكان هذا عن طريق توكيد أصول أسلوب السلف الصالح، القائم على تقديم النص قرآناً كان أم سنة.

وخاصة كانت المعتزلة تمتاز بهذه الأساليب التي كانت - ولم تزل - لهم سيطرة وسلطة على البيئة، بل عادلهم بعضُ ما فقدوه من التأثير في القرن الثالث، ووجدت فيهم شخصيات قوية أعادت إليهم بعض الثقة والإجلال، وأصبح شبه المقرر عند الكثير أنّ المعتزلة يمتازون بدقة النظر واتساع الفكر والتحقيق، وأنّ آراءهم وما وصلوا إليه من نتائج علمية أقرب إلى العقل، **وقد صار كثير من طلبة العلم الشبان وممن يحبون التفوق على الأقران يظهرون الاعتزال تظرفاً.**

وأمر آخر - بالغٌ في الأهمية جداً - جديرٌ بالذكر، هوأنه لم يظهر بعد **الإمام أحمد** - في أهل السنة وعلمائهم المدافعين عنهم شخصية قوية جذابة ، **وأعرض المحدّثون ومن كان على شاكلتهم من العلماء عن العلوم العقلية**، وأساليب **البحث والاستدلال التي شاعت بتأثير المعتزلة ونحوها من الفرق**، فبدأ الناس يشعرون ويعتقدون أن المدافعين عن السنة وممثليها متخلفون عن ركب العلم السائر ، وأصبح الذين لم يتعمقوا في العلم ولم يرسخوا في الدين ما استطاعوا أن يعرفوا أن الذكاء الحاد والرأي السانح يؤيّدان المعتزلة ولكن العقل المتعمق والفكر الناضج يرجّحان مذهب المحدثين ويقبلان محكمات الشريعة، فأصبح كثيّر منهم يستخفون بظاهر الشريعة ويعتقدون أنّ مسلك السلف وما ذهبوا إليه من عقائدَ لا يستقيم على محك البحث العلمي والأساس العقلي، **وقد أصيب كثير**- ممن ينتسب إلى الحديث وكثير من تلاميذ المحدثين- **بمركب النقص مأخوذين بسحر المعتزلة وتفلسفهم.**

ووُجد في الأوساط العلمية اتجاهٌ جديد عنيف يدعو إلى تقديس العقل وتحكيمه في المسائل التي لا تقوم إلاّ على تعليمات النبوة والإيمان بالغيب، وقد عجز عن مقاومة هذا التيار العنيف وردّه المحدثون المتصلّبون، والحنابلة المتحمّسون، وعجز عنه كذلك الزهاد العابدون والفقهاء البارعون، أي كلُّ من كان ويُعدُّ من المدافعين عن السنة وممثليها، إذ لم يكن شيء مما يمتازون به يقوم في وجه هذا التيار العقلي ويرده على أعقابه .

تميز الإمامين الأشعري والماتريدي عن معاصريهما:

هكذا كانت الأحوال والظروف والبيئة حينذاك، فكان الإسلام والمسلمون عموماً، وأهل السنة وأهل الحق خصوصاً، في أمس حاجة إلى من يقوم منهم، فيقاوم ويدافع ويناضل، وينادي هل من مبارز، في جميع المجالات والنواحي، وسائر التحديات والدعايات التي كان الإسلام يواجهها، وإلى من يفوق المعتزلةَ وأمثالها من الفرق في المواهب العقلية والمستوى العلمي، ويتقدمها في العلوم العقلية والنقلية معاً، بحيث لايكاد يقف أحدٌ – من عباقرة الفرق – أمامه، بل يتضاءل أمامه راية العلم والعقل منهم في عصره كالتلاميذ الصغار أمام أستاذ نابغة وإمام كبير.

ففي ذلك الحين وفي تلك الأحوال نهض رجلان، وقيض الله للإسلام والمسلمين، ولأهل السنة والجماعة شخصين في عصرٍ واحد، مع اختلاف نواحيهما من بلاد الإسلام ، واختلاف أساليبهما أيضاً لاختلاف ظروفهما، لكن كلاهما وكل منهما كان يستهدف أمراً واحداً فكان موقفهما موقفاًواحداً ، ومقصدهما متحداً، هوالقضاء على سيطرة المعتزلة خاصة، وغيرها من الفرق عموماً، بإحياء معتقدات أهل السنة والجماعة ، ونشرها وإذ اعتها بين الناس، فأقاما سوق المجادلة والمناظرة مع الفرق حتى أفحموهم فصارت سيطرتهم على العقول والقلوب هباءً منثوراً، وذهب رعبهم وسحرهم جُفاءً.

فهذا ما كان من الأشعري والماتريدي، ولما لم يقم أحد من الحنابلة والمحدثين ونحوهم من علماء أهل السنة بهذا المقام من المعتزلة والفرق ، وذلك لعدم تضلعهم بعلوم المعتزلة وعدم تحليهم بمواهب المعتزلة وغيرها من الفرق، كان من الطبيعي والبديهي أن يستأنس المسلمون من العلماء والعوام إلى هذين الإمامين وأتباعهما وأخلافهما فيما بعد.

فانتسب إليهما واحتضن آراءهما عامة المسلمين وسوادهم بحيث أن اضمحلت النسبة إلى ثالثة أثافيها السلفية ، مع أنهم لم يزالوا كانوا إحدى الطوائف الثلاثة من أهل السنة والجماعة، ومع أنهم كانوا ينافسون هاتين الطائفتين ويتعقبونهما فيما كانوا يرون أنهما خالفتا فيه السنة والحق.

لكن بفضل ما ناláه من الاستيناس والانتساب والتأييد والنصرة، من الحكام والعلماء الأعلام لم يزل يزداد نفوذهما ويشتد ساعد أنصارهما، حتى نجد الحال كأنه طوي ذكرالسلفية لمدة قرون متطاولة فيما بين القرن الرابع إلى القريب من أيامنا هذه. وهذا ما أراد وأشار إليه بقوله من قال:

"ولا يزال المذهب **الأشعري** مع رفيقه **الماتريدي** صاحبَ الهيمنة على الأوساط العلمية في الجامعات الدينية السنية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، لولا منافسة الأفكار التي يشيعها أتباع ابن تيمية".(١)

ولذا نجد الطاش كبري زاده يقول في كتابه "مفتاح السعادة" :

"اعلم أنّ رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان أحدهما حنفي، والآخر شافعي. أمّا الحنفي فهو أبومنصورمحمد بن محمود الماتريدي إمام الهدى ... وأمّا الآخر فهوشيخ السنة .... أبوالحسن الأشعري". (٢)

---

(١)(المدخل إلى دراسة علم الكلام) ص: ٨٩

(٢)(مفتاح السعادة ومصباح السيادة) ص: ٢/١٣٣

ويقول أيضاً :

"ولورأت هذه الأئمة أبا الحسن **الأشعري** أوسمعوا مقالته لأنزلوه منزلة أحب أبنائهم و.....

ومما يدل على حقية مذهبه ارتضاء من يخلف بعده من العلماء والفضلاء وأساطين الحكمة ورؤساء الكلام بل المشايخ العارفون من أهل التصفية والذوق. ولم يُنقَل عن واحدٍ من هؤلاء من مبدأ ظهور **الأشعري** إلى زماننا هذا - وهوثمان وأربعون وتسعمائة من الهجرة - إنكار شيء من مذهبه ولوفي شيء قليل.

***ولاشك أن اتفاق الأمة - والمدة هذه - على الضلال من قبيح الممتنع المحال*".(١)**

وخلاصة ما قاما به من الجهود ، وحاصل مناهجهما التي امتازا بها عن غيرهما، في سبيل الدفاع عن الدين والكتاب والسنة:

أنهما لم يذهبا إلى تمجيد العقل، وإلى الإيمان بأنَّ له سلطة لا تحد، وأنَّ له الحكم على ما يتصل بالذات والصفات وما وراء الطبيعيات، وأنَّ له الكلمة الأخيرة النافذة في كل موضوع - كما ذهب إلى كل ذلك المعتزلة.

وبجانب آخر لم يريا أنَّ الانتصار للدين والدفاع عن العقيدة الإسلامية يستلزمان إنكار العقل وازدراءَه، وأن السكوت عن هذه المباحث - التي يثيرها المعتزلة وأضرابهم التي نشأت بحكم تطور العصر والاحتكاك والديانات- أولى وأفضل كما كان من رأي كثيرٍ من علماء عصرهما.

وكانا يعتقدان أنَّ المباحث التي تتصل بالعقليات والحسيات لا صلة لها في الحقيقة بالعقيدة والديانات، لكن المعتزلة والفلاسفة مزجوا البحث في العقيدة بهذه المباحث، بل جعلوها بذَلاقةِ لسانِهم مقدماتٍ للبحث في الدين ، فلذا أنَّ الفرار من البحث

---

(١)مفتاح السعادة ومصباح السيادة ١٤٩/٢

والخوضِ فيها - بحجة أنّها لا تتصل بالدين والعقيدة - ليس بصحيح بل من الواجب على من قام لنصرة السنة في هذه الأيام والآونة أن يواجههم فيها فيثبت مذهب الحق.

وأنّ النبي ﷺ وأصحابه لم يسكتوا عن هذه المسائل جهلاً، بل لأنّ هذه المباحث ما نشأت في عصرهم ، ولم تمس الحاجة إلى البحث فيها، شأن الفقه والجزئيات الكثيرة التي حدثت بعد عصرهم فتأمّلَ فيها الفقهاء والمجتهدون، وأبدوا رأيهم فيها، واستنبطوا وفرّعوا ، وحلوا المشاكل الجديدة، وبذلك عصموا الأمة والجيل الجديد عن الإلحاد والفوضى في العمل والتعطل.

فكذلك يجب على حُرّاس الشريعة ، ومتكلّمي أهل السنة، أن يواجهوا الأسئلة الجديدة التي أثارها المعتزلة والمتفلسفة وأمثالهم في موضوع الإلهيات، ويجيبوا عن الاعتراضات والمطاعن التي يوجّهها الفرقُ الضالة إلى أهل السنة، ويقيموا الدليل والبرهان العقلي على صحة عقائد أهل السنة على مطابقتها للعقل والمنطق.

فعبقرية الأشعري والماتريدي تتجلى في هذا، وفي أنهما أقاما البراهين والأدلة العقلية والكلامية على عقائد أهل السنة الحقة السنية، وناقشا المعتزلة وغيرها من الفرق عقيدة عقيدة، وذلك كله في لغة يفهمونها، وأسلوبٍ كانوا يألفونه، وبذلك أثبتا أنّ الدين وعقيدته الواضحة مؤيّدان بالعقل، وأنّ العقل الصحيح يؤيد الدين الصريح، ولا صراع بينهما ولا تناقض.

إنّهما لم يألوا جهداً، ولم يأليا أحداً، فيما اعتقداه للدفاع عن الدين واختاراه، فبارك الله في جهودهما بفضل إخلاصهما وبركة إحسانهما في كل ما ذهبا إليه، حتى ردّ الله بهما سيل الاعتزال والتفلسف الجارف الذي كان يتهدد الدين، وثبّت كثيراً من المسلمين الذين تزلزلت أقدامهم ، واضطربت عقولهم وعقيدتهم ، ونشأ في أهل السنة ثقةٌ جديدة بعقيدتهم ، ونشاط جديد في دعوتهم ، وزالت سطوة المعتزلة وسيطرة غيرها من الفرق على العقول والأفكار، بل تعرضت حركة الاعتزال ودعوتها للزوال ، فخمدت نارهم وانطفأ سراجهم.

وليلاحظ أنّ **الإمامين** لم يكتفيا في صرف جهودهما في سبيل مقصدهما ونيل هدفهما بالمناظرة والمعارضة ، والمحادثة والمشافهة ، بل اهتما لذلك باستعمال القلم أيضاً مع اللسان، فكتبا وألّفا حتى خلّف لنا كل واحد منهما مكتبة كبيرة قيمة في علوم التوحيد والكلام والعلوم العقلية ، وبجنبها في علوم أخرى من التفسير وأصول الفقه، إلاّ أن معظمها في التوحيد والكلام والردّ على الفرق.

فقد ذكروا أن مؤلفات **الإمام أبي الحسن الأشعري** بلغ عددها إلى ثلاثمائة [1] من بين رسائل في صفحات وكتيبات ، إلى مؤلفات ضخمة يشتمل بعضها على اثني عشر جزءاً، وبعضها ثلاثين مجلداً وهو تفسيره، وهذا أقل ما قيل فيه [2]، وقد ذكر هو بنفسه -في بعض كتبه - ثماناً وستين مؤلّفاً له [3].

وكذلك **الإمام الماتريدي** - ألّف وخلّف كتبا كثيرة قيمة ذات أهمية، بعضها في التفسير والفقه وأصوله - وإنّه كان أساساً من رجال - وغالبها في التوحيد والكلام والرد على الفرق، منها: **كتاب التوحيد وكتاب المقالات** ، وكتاب تأويلات القرآن، **وبيان وهم المعتزلة ، ورد تهذيب الجدل ، وردّ وعيد الفساق، والرد على القرامطة، ورد الإمامة** [4].

---

[1] (تبيين كذب المفتري) ص: ١٢٦ بل أكثر من ذلك أيضاً كما جاء في تقديم الدكتورة فوقية لكتاب الإبانة نقلاً عن الزركلي (ص: ٣٨)

[2] وأكثر ما قالوا : ٥٠٠ مجلدا . (الإبانة - ص: ٨٦ - تقديم الدكتورة فوقية)

[3] (رجال الفكر والدعوة) ١٢٦/١ نقلا من كتابه "العمد"

وقد سعى بعض المحققين قديما وحديثا لاستقصاء ما وقفوا عليه من مؤلفاته فأول من قام بهذا العمل الجليل- هو ابن فورك . ذكر في قائمته ٩٨ مؤلفا له ، وزاد عليه ابن عساكر اثنين.[تبيين كذب المفتري ص: ١٢٨-١٤٠]

والدكتورة فوقية - في تقديمها - توسعت في ذلك وتكلمت بالبسط ، جاء كلامها من ص: ٣٨ - إلى - ٩٢ ، فأولا ذكرت المؤلفات مع نبذ من أحوالها ، ثم فصلت المخطوط منها والمطبوع بعد ذلك ، ولا يوجد منها مطبوعا إلاّ سبعة كتب فقط والمجموع من مؤلفاته التي ذكرتها مائة وشيء

[4] (عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي)

أتباع الإمامين كبار العلماء :

هكذا كان الإمامان الجليلان، وخدماتهما للإسلام والكتاب والسنة، وفي سبيل الدفاع عن أهل السنة.

إلاّ أن الإمام أبا الحسن الأشعري كان له نفوذ أكبر في الأوساط العلمية،وشهرة أوسع، واسم ألمع في تاريخ الكلام والإسلام وفي الدفاع عن أهل السنة ونشر معتقداتهم وتثبيتها وتقويتها- بالنسبة إلى غيره حتى الإمام الماتريدي أيضاً الذي كان سهيمه وقرينه في الباب، ومذهبه كان السائد والرائج بين أولي الألباب بعد مذهب الأشعري، وتبنّاه - منذ عهده - كثير من العلماء الأفذاذ في القرون فيما بعد ومن مختلف البلاد ، فنصروه وانتصروا له ، ومهدوا له وشيدوا، حتى غلب وشاع الانتساب إليه - مع الانتساب إلى الأشعري - على أهل السنة والجماعة وفيهم.

واشتهر من العلماء الذين اتخذوا سبيله وانتهجوا طريقه، أبواليسر البزدوي، وأبوالمعين النسفي، ونور الدين الصابوني، ونجم الدين النسفي، وحافظ الدين النسفي، وسعد الدين التفتازاني ، وكمال الدين البياضي.

ومنهم علاء الدين السمرقندي صاحب" تحفة الفقهاء"، وكمال الدين ابن الهمام صاحب "فتح القدير"، والملا على القاري صاحب "مرقاة المفاتيح في شرح مشكوة المصابيح"، والسيد مرتضى الزبيدي صاحب "تاج العروس في شرح القاموس" و"إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين".

واشتهر في ذلك من تلاميذه والذين أخذوا عنه مشافهةً : القاضي أبوالقاسم الشهير بالحكيم السمرقندي، وأبوالحسن علي بن سعيد الرستغفني، وأبوعصمة بن أبي الليث البخاري، والإمام أبومحمد عبد الكريم البزدوي [1].

---

(1) عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي

ويبدولنا أنَّ من نصروه وآزروه من العلماء كان أكثرهم من رجال الفقه وأصوله، وقليل منهم من كان اشتغاله بالحديث وعلومه، وذلك لأجل صبغة فكرته التي امتاز بها عن **الإمام الأشعري**.

لكن كل ذلك لم يبلغه ما بلغه الأشعري ولا نال به مانال **الأشعري** من المكانة والكرامة في الأمة، عموماً وخصوصاً وذلك لأسباب:

أبرزها وأقواها إقامة **الإمام الأشعري** في العراق مركز العالم الإسلامي السياسي والثقافي، يصدر منها ويرد إليها الأمور من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان الإمام **الماتريدي** في ناحية من نواحي العالم الإسلامي، مع ما كان لها من ميزة وفضل في خدمة الإسلام وعلوم الكتاب والسنة.

وكان على علم تام بكل أساليب العقليات والعقلاء - بسبب انتمائه أوَّل الأمر إلى المعتزلة - فكان بيده سلاحهم الذي كانوا يستعملونه على أهل السنة والجماعة وبعض الفرق، فقاوم المعتزلةَ والفرقَ المنحرفة بسلاحهم.

مدرسة الإمام الأشعري:

ثم إنَّه نشأ في مدرسة **أبي الحسن الأشعري** الفكرية علماءُ فحول من المحدثين والمتكلمين عباقرة أئمة ، خضع لعلمهم ونفوذهم العالم الإسلاميُّ من أقصاه إلى أقصاه وظلوا مسيطرين على الحركة العلمية والفكرية لعدة قرون.

وقد نبغ في القرن الرابع علماء كبار طبقت شهرتهم الآفاقَ أمثال القاضي أبي بكر الباقلاني، والشيخ أبي إسحاق الأسفرائيني، وقد كان في القرن الخامس للعلامة أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني مهابةٌ ومحبة في النفوس لم تكن لأحد من الملوك والسلاطين ، ومنهم الإمام الغزالي الذي لا تخفى مكانته وخدماته، بل اسمه في ذلك أجلى وأعلى ممن سواه.

وقد تصدّى ابن عساكر في كتابه "**تبيين كذب المفتري**" لذكر العلماء الأشاعرة واستقصائهم طبقة فطبقة ، وقرناً فقرناً إلى زمنه في القرن السادس الهجري ، فذكر فيهم جماعةً من المحدثين البارزين بل من أئمة المحدثين في عصورهم وقرونهم ، منهم: أبوبكر المرجاني المعروف بالإسماعيلي صاحب المستخرج على صحيح البخاري، وكان من أصحاب الأشعري، وأبوالحسن عبد العزيز الطبري راوية تفسير ابن جرير الطبري عن مؤلفه، وهوأيضاً من تلاميذ الإمام الأشعري وأصحابه، والحاكم أبوعبد الله صاحب المستدرك .وأبوبكر بن فورك المعروف بالأستاذ، وأبونعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء، والحافظ أبوذر الهروي راوية الجامع الصحيح، وأبوبكر البيهقي صاحب السنن الكبرى، وأبوبكر الخطيب البغدادي صاحب التاريخ.

ومنهم صاحب كتاب تبيين كذب المفتري الإمام أبوالقاسم علي بن الحسن المعروف بـ ابن عساكر أيضاً، فإنّه من أئمة المحدثين في القرون المتأخرة ، وقد ألف كتابه المعروف – "التبيين" – دفاعا عن الإمام الأشعري وعقيدته وأصحابه؛ لما كان يشيع فيه مخالفوه من الفرق– ومن بعض أهل السنة أيضاً – تغاليا وتماديا.

وذكر فيمن ذكر من العلماء المناصرين للأشعري ، والمحقّقين البارزين من علماء الأمة الأستاذ أبومنصور الأسفرائيني، وأبوالحسن المعروف بالكياهراسي، والأستاذ أبوالقاسم القشيري، ووالد إمام الحرمين أبومحمد الجويني ، والأستاذ أبوالمظفر الأسفرائيني.

ومن أئمة المالكية الذين حملوا لواء فكرة الإمام الأشعري أبوالوليد الباجي، وأبوبكر ابن العربي ، وغيرهم .

وهكذا كانت الحال – ولا تزال ولوم تغير – فيما بعد الإمام ابن عساكر فإنّا نجد عامة علماء الأمة – من المحدّثين والمفسّرين والفقهاء ، والمؤلّفين والشراح،

كانوا ينتمون إلى الإمام الأشعري في الأغلب ، أوإلى الإمام الماتريدي – وثالثـاً إلى السلفية وأئمتهم – ولذا نجد معظم مشاهير المفسّرين على الانتساب إلى الأشعري –أوالماتريدي – والانتصار له، أمثال: الإمام الفخر الرازي ، والماوردي، وابن عطية ، والقرطبي، والنسفي، وأبي حيان الأندلسي، وأبي السعود ، والثعالبي، والجلال السيوطي، والآلوسي . وهكذا حال المحدثين والفقهاء أيضاً.

وأرى أنّ انتساب جمٍّ غفيرٍ من أئمة المحدثين وسوادٍ عظيم من العلماء المحقّقين إلى الإمام الأشعري وانتماءَهم إليه، وتصديقَهم لتائيد فكرته وعقيدته، وتشييد ما قام به نشراً وإذاعةً من أقصى العالم إلى أقصاه ، إنّما سرُّ ذلك أنّهم وجدوا مذهبه وعقيدته أقرب إلى مذهب المحدّثين وأصحاب الحديث الذين عُرِفوا بالسلفية والأثرية أيضاً مما اختار وذهب إليه الماتريدي، وأدعى للعقل أيضاً، مع مراعاة النص والنقل كماهوحقّه من الشرع .

أمّا خلاف الأشعري والماتريدي فيما بينهما – فليس ذلك في الأصول ولا في المناهج بل إنّما ذلك في التفسير والتفصيل مثل خلافهما مع السلفية والحنبلية، ومثل خلاف السلفية والحنبلية فيما بينهم أيضاً.

وأيضاً إنّما هويسيرٌ ليس بكثير(١) – كما استقصاه المحقّقون والمتخصّصون – تسبّب لذلك خصوص ظروفهما وأحوال بلادهما، التي كانوا يواجهونها في بيئة متحدة النزعات والخلافات في الجملة وإلى حد كبير.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ١٩٩/١ و(مقدمة تبيين كذب المفترى) ص: ١٩ **وعلماء ديوبند** – ص: ١٥١-١٧٣

وأمّا قول من قال : إنّ الإمام الماتريدي خالف أهل السنة في أصولهم بل خالف الإمام أبا حنيفة الذي يُعدُّ الماتريديُ ترجماناً عنه ، وشارحا لفكرته وعقيدته.(١) فذلك نشأ من قلة التتبعّ، وعدم دقة النظر، وإلاّ فالأمر أجلى وأظهر.(٢)

معنى الانتساب إلى أحد المذاهب الثلاثة:

وليلاحظ أن الانتساب إلى أحد المذاهب الثلاثة لا يعني اتباع المُنتَسَب إليه كلياً، كما نرى ذلك في اتباع المذاهب الفقهية والانتساب إليها، فإنّه ربما يذهب المنتسب إلى غير ما تقتضي نسبته وبيانُ مذهبه وعقيدته، ويُلْجئه إلى ذلك ما يبدوله وتطمئن به نفسه من المعلومات والحقائق، ولذا فقد نرى المنتسبين إلى السلفية – من قدمائهم وحداثهم أمثال الطبري ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والشوكاني ، ورشيدرضا المصري – يذهبون إلى التأويل، وعلى عكس ذلك نجد التفويض وترك الخوض والتأويل في كلام الأشعريين والماتريديين أيضاً، وذلك شأن المحققين دائماً.

وبالجملة فإنّه لا يسع أحداً ممن له معرفة بمكانة هذين الإمامين وأتباعهما من العلماء الأفاضل الأماثل ، أن يذهب إلى الحكم عليهم بالضلال والخروج من الاعتدال، ولم يرض – ولن يرضى بذلك عالم يخشى الله تعالى– وقد تقدّم كلام الإمام السفاريني وغيره فيهم . وهذا ما سلك عليه –ولا يزال يسلكه – العلماء المحقّقون قديماً وحديثاً.

---

(١)راجع لذلك كتاب أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة – وهوبحث أُعَدّ لنيل درجة الدكتوراة – ص: ٥٧١-٥٩١

(٢) في إعداد هذا البحث استمدت خصوصاً بما كتبه الشيخ أبوالحسن علي الحسني النّدْوي في تذكرة الإمام الأشعري – في كتابه (رجال الفكر والدعوة)، والدكتورة فوقية في تقديمها وتحقيقها لكتاب (الإبانة) أشهر كتب الإمام الأشعري ، وأبوعبد الله محمد الحمود النجدي في كتابه (القول المختصر المبين في مناهج المفسرين)

خبر من المدينة المنوّرة:

وهنا أستحسن أن ألفت الأنظار إلى خبرٍ نشرته جريدة "المدينة" الصادرة بالمدينة المنورة في عددها ١١٩٥٣ (٥/ شعبان ١٤١٦هـ) بلفظ:

" أعلنت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة براءتها من كتاب مطبوع تحت عنوان "عداء الماتريدية للعقيدة السلفية"، زعم مؤلّفه الشمس السلفي الأفغاني أنّه رسالة ماجستير حصل عليها من الجامعة الإسلامية ونشرته مكتبة "الصديق" بالطائف."

وفي العدد التالي من الجريدة -طبعوا النقد الشديد والرد الأكيد على الكتاب المذكور بقلم الكاتب الإسلامي **عمر كامل**، نذكر فيما يلي قطعتين- مما يخصُّ موضوعنا - من بيانه المطبوع والدراسة التي خص بها الجريدة.

١- وفي هذه الدراسة أوضح **عمر كامل** خطأ صاحب الكتاب حول اعتقاده وهجومه على الماتريدية فقال فيها:

"وشدني هذا العنوان لمخالفته لما لديَّ من معلومات سابقة استقيتُها من كتاب **الإمام السفاريني الحنبلي** في كتابه **"لوامع الأنوار البهية"** إذ قال -١-٧٣:

" أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية: وإمامهم أحمد ابن حنبل، والأشعرية: وإمامهم أبوالحسن الأشعري. والماتريدية: وإمامهم أبومنصور الماتريدي."

ويقول أيضاً في كتابه **"لوائح الأنوار السنية"** -١/١٤١ :

"**الفرقة الناجية: أهل الحديث** - الأثرية - **والأشعرية والماتريدية**".

ويقول أيضاً - ١/ ٢٦٠ :

"فالصفات الذاتية المتفق عليها عند أهل السنة من: الأثرية والأشعرية والماتريدية"...

ويقول أيضاً :

"عامة أهل السنة والجماعة من أهل الحديث والفقه والكلام من: الأثرية والأشعرية والماتريدية".

فهذا الإمام الحنبلي الأثري يقرّر في مواضع كثيرة أنّ هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، فأقبلت على قراءة هذا الكتاب لمخالفته لما هومقرّر عند أهل العلم، ومنهم الإمام الحنبلي السفاريني.

وقبل أن أبدأ في إيراد بعض نصوص من هذا الكتاب أوضّح أن عقيدتي هي عقيدة أهل الحديث، فأثبتُ لله ما أثبتَ لنفسه متمسكاً بالآية الجامعة للتنزيه الكلي في قوله تعال : ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقول الرسول ﷺ : "تفكروا في آلاء الله ولاتفكروا في ذاته"، فأثبت الصفات من غير تكييف أوتمثيل أوتشبيه أوتعطيل أوتجسيد. بل أرى أنّ الخوض في هذه الأمور بدعة كما رأى الإمامُ مالك وأنّ الأسلمَ إمرارُها كما جاءت".

٢- وقال الكاتب فيما نَقَدَ عليه الأفغانيُّ:

سابعاً: هذا الكتاب "**عداء الماتريدية**" يعبر عن ظاهرة جديدة وخطيرة تفشّت في مجتمعنا البريء من مظاهر التطرف و آفات التعصب، وهذه الظاهرة الخطيرة هي تصنيف الناس ، واتهام النوايا، وإلقاء التُّهَم، حيث قام هذا الطالب بتصنيف مئات من العلماء - الأحياء والأموات- وعشرات من المذاهب السنية والمدارسّ والجامعات العلمية، وهذه الظاهرة تبدأ بالعلماء بجرحهم والطعن في عقائدهم، وقد تنتهي إلى الحكام بتكفيرهم والخروج عليهم لا قدر الله.

وإن تحرك هؤلاء الذين يجولون في أعراض بعض العلماء اليوم قد يجرون -غداً- شباب الأمة إلى الوقيعة في أعراض الولاة من أهل السنة، وقد قيل: الحركة ولود، والسكون عاقر، وأسوء الشر يجره المنشقون، وهذا فرق آخر لجانب الاعتقاد الواجب في موالاة ولي أمر المسلمين منهم وسوف يحصد الزوبعة من حرك الريح".

وأضاف قائلاً:

ثامناً: قام الباحث الأفغاني بهجوم لا مبرر له على أهل المذهب الحنفي...... مع العلم أنهم يمثلون نصف أهل السنة والجماعة، فكل الهند وتركيا وبلاد الشام ونصف مصر ونصف الحجاز وألبانيا وشرق آسيا، وأفغانستان معظمهم من الأحناف، ومما قال: (٣٥/١)

"إنَّ الحنفية أشد الناس توغلاً في ترك كثير من الآثار والسنن".

وقال عن أهل الحديث: (٢٢/١)

"فهتكوا أستار القدرية والجهمية وقمعوا الروافض والحنفية الكرامية وكشفوا عن أسرار الحنفية الماتريدية".

فانظر كيف يقرن بين الروافض والكرامية والقدرية والجهمية...... يقرن بين كل هذه الفرق الضالة مع الحنفية الماتريدية ؟

.... وينسب إلى الإمام أبي حنيفة قوله بخلق القرآن، ويقول مقرراً ذلك

"أنّه استتيب من القول بخلق القرآن" (١٧١/١)

وهذا قول شنيع وخطأ جسيم.

ولو كلف هذا التلميذ نفسه بالتحقق من المصادر لعلم أن الأمة مجمعة على خلاف ما نسبه إلى أبي حنيفة بأنه قال بخلق القرآن.

....

تاسعاً: لم يسلم من الباحث بقية المذاهب الفقهية المتّبعة، فقال عن كتب المذاهب: (١/١١٨)

"كتب المتعصبة المذهبية ترى فيها تحليل الحرام وتحريم الكثير من الحلال".

ويسمّي التقليد: (١/١٢٠)

"التقليد الشركي الكفري"

ويقول أيضاً : (١/٦٧)

"وهذا التقليد الجامد ينقص التوحيد، وهوإفك وعبادة للرجال وكفر وشرك".

ويقول أيضاً: (١/٥٢)

"فهو-أي المقلّد المصرّ على التقليد لإمامه - من عُبادِ غير الله ومتخذي الأئمة أرباباً من دون الله".

وأقول: إنّه بهذه الأقوال يكون قد حكم على (٩٩٩) في الألف من المسلمين بالكفر والشرك ما خلا العلماء ؛ لأنّ كل العوام إمّا مقلّدون للمذاهب المعتبرة أومقلّدون لمفتيهم من العلماء ، فالله حسيبه مع أنّ المقلّدين ما اتبعوا العلماء إلاّ لعلمهم باتباعهم لسنة رسول الله ﷺ [١].

---

[١] جريدة المدينة العدد ١١٩٥٤ - ٦ شعبان ١٤١٦هـ

السلوك والتصوف

بين

الواقع والتعبير

وإذا عرف أن منشأ "التصوف" كان من البصرة ، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد ، مما له فيه اجتهاد ، كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد ، وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة ، وهي لباس الصوف ، فقيل في أحدهم : "صوفي" وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علّقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال .

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى ١١/١٦

"وقد انتسب إليه [أي إلى التصوف] طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحقّقين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلاً: فإنّ أكثر مشايخ الطريق أنكروه ، وأخرجوه عن الطريق ، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره ، كما ذكر ذلك الشيخ أبوعبدالرحمن السلمي في "طبقات الصوفية"، وذكره الحافظ أبوبكر الخطيب في "تاريخ بغداد" .

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى: ١١/١٨

السلوك والتصوف

بين
الواقع والتعبير

إنّ للمصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس للأشياء جناية على الحقائق، ولهذه الجناية قصة طويلة في كل فن ولغة وفي كل أدب ودين، فإنّها تولد كائنا آخر، تنشأ عنه الشبهات، وتشتد حوله الخصومات، وتتكون فيه المذاهب، وتستخدم لها الحجج والدلائل، ويحمى فيها وطيس الكلام والخصام، فلوعدلنا عن هذه المصطلحات المحدثة، وعن هذه الأسماء الحرفية ورجعنا إلى الماضي وإلى الكلمات التي كان يعبر بها الناس عن هذه الحقائق في سهولة وبساطة، وإلى ما كان ينطق به رجال العهد الأول والسلف والأقدمون، انحلت العقدة، وهان الخطب واصطلح الناس.

ومن هذه المصطلحات والأسماء العرفية التي شاعت بين الناس "التصوف" ومن هنا ثارت أسئلة وبحوث وتساءل الناس ما مدلول الكلمة وما مأخذها؟ هل هومن الصوف أومن الصفا أومن الصفوأومن الصفة؟ أوهي مأخوذة من الكلمة اليونانية (صوفيا) معناها "الحكمة" ([1]).

([1])كلها أقوال قيلت في معنى التصوف واشتقاقه (راجع دائرة المعارف للبستاني وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان.)

ومتى حدثت هذه الكلمة ؟ و لم نعرف لها أثراً في الكتاب والسنة ، وما جاءت في كلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وما عُرفت في خير القرون، وكل ما كان هذا شأنه ، فإنه من البدع المحدثة ، وحميت المعركة بين أصدقائه وخصومه، والموافقين والمعارضين حتى تكوّنت بذلك مكتبة كبيرة يصعب استعراضها.

أمّا إذا عدلنا عن هذا المصطلح الذي نشأ وشاع في القرن الثاني(١)، ورجعنا إلى الكتاب والسنة وعصر الصحابة والتابعين وتأملنا في القرآن والحديث، وجدنا القرآن ينوه بشعبة من شعب الدين ومهمة من مهمات النبوة يُعبّر عنها بلفظ **"التزكية"** ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بُعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ (٢)،وهي تزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل، التزكية التي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم وإخلاصهم وأخلاقهم ، والتي كانت نتيجتها هذا المجتمع الصالح الفاضل المثالي الذي ليس له نظيرٌ في التاريخ ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة التي لا مثيل لها في العالم .

ووجدنا لسان النبوة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام والإيمان ويعبر عنها بلفظ **"الإحسان"** ومعناها كيفية من اليقين والاستحضار يجب أن يعمل لها العاملون، ويتنافس فيها المتنافسون ، فيُسأل الرسول ﷺ ما الإحسان ؟ فيقول **" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"** (٣).

---

(١)كشف الظنون ج ١ ص: ٢٨٠ نقلا عن الإمام القشيري

(٢)(سورة الجمعة) : ٢

(٣)حديث متفق عليه

ووجدنا الشريعة وما أثر عن الرسول ﷺ من الأقوال والأحوال ، ودُوِّن في الكتب ينقسم بين قسمين، أقوال وهيئات وأمور محسوسة كقيام وقعود وركوع وسجود، وتلاوةٍ وتسبيح ، وأدعيةٍ وأذكار ، وأحكام ومناسك ، قد تكفل بها الحديث رواية وتدويناً ، والفقهُ استخراجاً واستنباطاً ، وقام بها المحدثون والفقهاء – جزاهم الله عن الأمة – فحفظوا للأمة ، دينها ، وسهلوا لها العمل به .

وقسمٌ آخر هوكيفيات باطنية كانت تصاحب هذه الأفعال والهيئات عند الأداء، وتلازم الرسول ﷺ قياما وقعودا وركوعا وسجودا ، وداعيا وذاكرا ، وآمرا وناهياً، وفي خلوة البيت وساحة الجهاد ، وهوالإخلاص ، والاحتساب والصبرُ ، والتوكل، والزهد ، وغنى القلب ، والإيثارُ ، والسخاءُ، والأدب والحياءُ ، والخشوع في الصلاة، والتضرعُ والابتهالُ في الدعاء، والزهدُ في زخارف الحياة، وإيثارُ الآخرة على العاجلة، والشوقُ إلى لقاء الله ، إلى غير ذلك من كيفيات باطنية وأخلاق إيمانية ، هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد ، والباطن من الظاهر ، وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيلُ وجزئيات وآدابٌ وأحكام تجعل منها علماً مستقلاً، وفقهاً منفرداً فإن سُمِّي العلم الذي تكفل بشرح الأول وإيضاحه وتفصيله والدلالة على طرق تحصيله **"فقه الظاهر"** سُمِّي هذا العلم الذي يتكفل بشرح هذه الكيفيات ، ويدل على طرق الوصول إليها **"فقه الباطن"** .

فكان الأجدر بنا أن نسمي العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية ، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية ، ويدعوإلى كمال الإيمان، والحصول على درجة الإحسان، والتخلق بالأخلاق النبوية ، واتّباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنية وكيفياته الإيمانية كان الأجدر بنا وبالمسلمين أن يسموه "التزكية" أو"**الإحسان**" أو"**فقه الباطن**"، ولوفعلوا ذلك لانْحسم الخلاف وزال الشقاق، وتصالح الفريقان اللذان فرّق بينهما المصطلحُ وباعد بينهما الاستعمالُ الشائع ، فالتزكية

والإحسان وفقه الباطن حقائقُ شرعيةٌ علمية ، ومفاهيم دينية ثابتة من الكتاب والسنة، يقرُّ بها المسلمون جميعا ، ولوترك "**المتصوّفون**" الإلحاحَ على منهاج عمليٍّ خاص للوصول إلى هذه الغاية التي تعبر عنها بالتزكية أوالإحسان أوفقه الباطن ، فالمناهج تتغير وتتطور بحسب الزمان والمكان وطبائع الأجيال والظروف المحيطة بها ، وركزوا على "**الغاية**" دون "**الوسائل**" لم يختلف في هذه القضية اثنان، و لم ينتطح فيها عنزان، وخضع الجميع وأقروا بوجود شعبةٍ من الدين وركن من أركان الإسلام ، يحسن أن نعبر عنه **بالتزكية أوالإحسان أوفقه الباطن** ، وأقروا بأنّه روح الشريعة، ولبُّ لباب الدين وحاجة الحياة ، فلا كمال للدين ولا صلاح للحياة الاجتماعية ، ولا لذة – بالمعنى الحقيقي – في الحياة الفردية إلاّ بتحقيق هذه الشعبة في الحياة .

ومن هنا كانت جناية هذا المصطلح والعرف الشائع "**التصوف**" على هذه الحقيقة الدينية الناصعة عظيمةً ، فقد حجبتها عن أنظار كثيرة ، وصدت فريقاً كبيراً من الناس عن سبيلها والحرص على تحصيلها، ولكن كان ذلك لأسباب تاريخية يطول ذكرها ، والأمور تجري كثيراً على غير الأهواء والمصالح ، وليس لنا الآن أن نقرر الحقيقة ونتحرر من القيود والمصطلحات ومن النزعات والتعصبات، ولا نفر من حقيقة دينية يقررها الشرع ويدعو إليها الكتاب والسنة ، وتشتد إليها حاجةُ المجتمع والفردِ ، لأجل مصطلحٍ مُحْدَثٍ أواسمٍ طارئٍ دخيلٍ.

ثم جنى على هذه الحقيقة الدينية شيء آخر وهوأنه دخل فيها دجّالون ومحترفون، وباطنيون وملحدون ، اتّخذوها وسيلة لتحريف الدين وإضلال المسلمين، وإفساد المجتمع ونشر الإباحية ، وتزعّموا هذا الفن وحملوا لواءه فكان ذلك ضغثا على إبالة، وزهّد فيه ونفّر منه أهل الغيرة الدينية والمحافظين على الشريعة الإسلامية، وطائفةٌ أخرى من غير المحققين لم يعرفوا روحَ هذه الشعبة وغايتها، و لم يميّزوا بين الغاية والوسائل فخلطوا بينها، وألحوا على الوسائل أحيانا وضيّعوا الغاية ، أوأدخلوا ما ليس

من هذا الفن في صميم هذا الفن وصلبه ، وعدّوه من الكمالات ومن الغايات المطلوبة، وعقّدوا المسألة وطوّلوها، وجعلوا الشيء الذي يُكلّف به كل مسلم، والذي هو لب الدين وحاجة الحياة ، لغزةً وفلسفةً ورهبانيةً، لا يجرُؤ عليها ولا يطمع فيها إلاّ من نفض يده من أسباب الحياة ورفض الدنيا وما إليها، ولا شك أنّ أولئك قليل من قليل في كل عصر وجيل ، وليست هذه دعوةُ الدين ولا أسوةُ الرسول ولاحكمة الخلق، ولكن الله قيّض للمسلمين في كل عصر وجيل من ينفون عن هذا الدين"**تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**"، ويدعون إلى التزكية الخالصة من شوائب العجمية والفلسفة، وإلى "**الإحسان**" و"**فقه الباطن**" من غير تحريف، وانتحال وتأويل، ويُجدّدون هذا الطب النبوي لكل عصر، ويَنفخون في الأمة روحاً جديدةً من الإيمان والإحسان، ويجددون صلة القلوب بالله ، والأجسام بالأرواح ، والمجتمع بالأخلاق، والعلماء بالربانية ، ويوجدون في الجمهور قوةَ مقاومةِ الشهوات وفتنةِ المال والولد، وزينةِ الحياة الدنيا ، وفي الخواص قوةَ مقاومةِ صلاتِ الملوك وسياطهم ووعدهم ووعيدهم ، والجرأة على الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر ، والاحتساب على الملوك والأمراءِ ، والاستهانةَ بالمظاهر والزخارف، والقناعة باليسير، فيستطيع أحدهم أن يقول – وقد طُلب منه أن يقبل يد المَلِك ليرضي عنه : " **يا مسكين والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا عن أن أقبّل يده، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد**"(١). ويقول بعضهم ، وقد عرض عليه ملك بلاده أن يقبل شيئاً مما آتاه الله من الخير الكثير: "**إن الله يصف هذه الدنيا بطولها وعرضها بالقلة والخسة فيقول:** ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (٢)

---

(١) قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام (م ٦٦٠هـ).
(٢) (سورة النساء) : ٧٧

وقد رزقك الله جزءاً صغيراً من قطعتها الصغيرة، **فلا أرزؤك فيه** (١). ويَمُدُّ أحدهم رجله إلى أمير جبار، ويُرسِل إليه هذا الأمير صرة من الذهب فيرفضها قائلاً "**إن من يمد رجله لا يمد يده**"(٢).

فلا شك أنه لولا هؤلاء - أصحاب النفوس المُزَكّاة ، الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن - لانهار المجتمع الإسلامي إيماناً وروحانيةً ، وابتلعت موجةُ "المادية" الطاغيةُ العاتيةُ البقيةَ الباقيةَ من إيمان الأمة وتماسكها، وضعفت صلةُ القلوب بالله ، والحياةِ بالروح ، والمجتمع بالأخلاق، وفُقِد الإخلاصُ والاحتساب، وانتشرت الأمراضُ الباطنية واعتلت القوالب والنفوس، وفقد الطبيب ، وتكالب الناس على حُطام الدنيا ، وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمناصب ، وغلب عليهم الطمعُ والطموح ، وتعطلت شعبة من أهم شعب النبوة ونيابتها وهي "**تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن**" .

انظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله والربانيةُ وتزكيةُ النفوس من زمان، وندُر فيها وجودُ الدعاة إلى الله وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن بنفوذ الحضارة الغربية أوللقرب من مركزها ، أوبفعل عوامل أخرى ، إنك تشعر فيها بفراغٍ هائلٍ لايملؤه التبحر في العلم ولا التعمق في التفكير، ولا فضلٌ من ذكاء ولاغنى من أدب ، ولا نسبٌ قريب بلُغَة الكتاب والسنة ولا نعمةٌ من استقلال ، إنها أزمة روحيةٌ وخلقية لا علاج لها ، ومشكلةٌ من أدق مشكلات المجتمع لاحلَّ لها ، فالزعماء والشعب فريسة المادية الرعناء ، ونهامةِ المال العمياء والأمراض الاجتماعية والخُلقية ، والمُثقفُون - الثقافة الدينية أوالمدنية - فريسة الحرص على الجاه والمنصب، والأمراض الباطنية من

---

(١) قالها الشيخ المرزا مظهر الدهلوي أحد كبار الشيوخ النقشبندية في القرن الثاني عشر الهجري

(٢)هوعالم دمشق الشيخ سعيد الحلي من رجال القرن الماضي

حسد ، وشُحّ ، ورياء ، وكبر ، وأنانية ، وحبّ الظهور ، ونفاق ومداهنة وخضوع للمادة والقوة ، والحركاتُ الاجتماعية والسياسية تُفسدها الأغراض ، وعدم تربية النفوس وضعف القادة، والمؤسساتُ يفسدها الخلافُ والشقاقُ وقلةُ الشعور بالمسئولية، والتفكيرُ الزائدُ في المادة وزيادة الرواتب ، والعلماءُ يضعف سلطانَهم اهتمامُهم الزائد بالمظاهر، وخوفهم الزائد من الفقر وسخط الخاصة والعامة ، واعتيادهم الزائدُ للحياة الرخية الناعمة ، ***ولا علاج لكل ذلك إلاّ في "التزكية النبوية" التي نطق بها القرآن وبُعث لها الرسول ، وفي "الربانية" التي طولب بها العلماء ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾*** (١).

إنني لا أُلح على منهاج خاص من التزكية درج عليه جيلٌ من أجيال المسلمين واشتهر في الزمن الأخير بالتصوف من غير حاجة إلى ذلك، فقد كان في كلمات الكتاب والسنة ومصطلحاتهما غنى عنه، ولا أبرّئُ طائفةً ممن تزعّم هذه الدعوة واضطلع بها من نقصٍ في العلم والتفكير ، أوخطأٍ في العمل والتطبيق ، ولا أعتقد عصمتها فكلٌّ يخطئ ويصيب ، ولكن لا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا ونسد هذا المكان الذي كان يشغله الدعاة إلى الله والربانية ، والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها، وتجديد إيمانها وصلتها بالله، والدعوة إلى إصلاح الباطن والعناية بالفرد قبل المجتمع، أقول للمتحمّسين في نقد هؤلاء الدعاة والمنكرين عليهم بلسان الشاعر العربي "الحطيئة":

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللّوم أوسدُّوا المكانَ الذي سدوا

وقد كانت الهند مركزاً لهذا الصنف من التزكية والدعوة والربانية لأسباب تاريخية خاصة،(راجع لشرحها كتاب: "رجال الفكر والدعوة

---

(١)(سورة آل عمران) : ٧٩

في الإسلام") ونشطت فيها حركة الإصلاح وقويت حتى وصلت إلى أقصى العالم الإسلامي في الغرب والشرق ، ووُجد فيهـــا مجتهـــدون استقلوا في تفكيرهم، وجدّدوا هذا الفن وسهّلوه لأهل العصر، ونقّحوه مما التصق بـــه من البدع والزوائد ، واستخلصوا منه خلاصة توافق نفـــوس أهـــل العصـــر وطبائعهم وتقرب الطريق وتيسر الوصول، نذكرمنهم الإمام الرباني الشـــيخ **أحمد السرهندي** (م ١٠٣٤هـــ) وشيخ الإسلام الشيخ **أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي**، والسيد الإمام **أحمد بن عرفان الشهيد** ، والعالم الرباني مولانا **رشيد أحمد الكنكوهي**[١]، وحجة الإســـلام الشـــيخ **محمد قاسم النانوتوي** مؤسس **جامعة دارالعلوم** وشيخه –وشيخ الكنكوهي– **الحاج إمداد الله المهاجر المكي**.

---

(١) الشيخ الداعية أبوالحسن علي الحسني النّدْوي – في تقديمه لكتاب (المنهج الإســـلامي لتربيـــة النفس) ، من تأليف الشيخ عبد الباري النّدْوي جمع فيه المؤلف ولخّص من صفوة كلام شـــيخه ونخبة درر كلماته ، في التصرف والإحسان ، وشيخه هوالشيخ أشرف علي التهانوي رحمـــه الله تعالى . أحد أعلام **علماء ديوبند**

موقف أئمة السلفية

من

الإحسان والتزكية

في هذا المقال يُقَدَّم نقولٌ وأقوالٌ من كلام ثلاثة من أئمة السلفية، وذلك ليتبين لنا موقفهم من هذا الموضوع الهام، وهم:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية

٢- تلميذه ابن قيم الجوزية

٣- الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وليلاحظ أنَّ الشيخين ابن تيمية وابن القيم -عليهما الرحمة- كانا من أئمة الإحسان والتزكية ومن قادة التصوف والصوفية، فلذا نجد في كلامهما -من المؤلفات والفتاوى والأجوبة عما ورد عليهما من الأسئلة- نصيباً كبيراً من هذا العلم الجليل، رداً وقدحاً - وتائيداً وتحقيقاً، فالمجلدان من فتاوى شيخ الإسلام قد خصَّصُوهما بذلك، المجلد العاشر باسم **"كتاب علم السلوك"**، والمجلد الحادي عشر باسم **"كتاب التصوف"**، وهما من أضخم مجلدات الفتاوى.

أمَّا الشيخ ابن القيم فله في ذلك عدة كتب، وتناوله في عدد من مؤلفاته.

والمقصود مما يُقدّم هنا من أقوالهم هوما جاء في تعبير بعض المحقّقين المعاصرين:

"إنّ الإمام ابن تيمية لم يكن يُعادي التصوف على إطلاقه، بل أنكر منه ما لايوافق الكتاب والسنة ، وما لم يكن مأثوراً عن أحد من الصحابة والتابعين([1]).

وقال بعض آخر :

مهما كان الأمر فإن الموقف الذي اتخذه ابن تيمية من الصوفية تميّز بأمرين:

الأول: أنه تعامل مع الصوفية بنفس الأسلوب الذي تعامل به مع الفقهاء والمذاهب الفقهية وعلماء الكلام ، فهويرى أن شيوخ التصوف الأوائل قيدوا علومهم وتربيتهم بالكتاب والسنة.

والثاني: أنّ ابن تيمية لم يرفض التصوف جملة وإنّما انتقد ما طرأ عليه من خروجٍ عن الأهداف الأولى ومناهج التربية والسلوك الأولى([2]).

فمن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في باب السلوك والتصوف قوله:

١ – وما وقع في هؤلاء (أي الصوفية) من فساد الاعتقاد والأعمال أوجب إنكار طوائفَ لأصلِ طريقة المتصوفة بالكلية حتى صار المنحرفون صنفين :

صنف : يقر بحقها وباطلها ، *وصنف :* يُنكر حقها وباطلها، كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقه .

والصواب : إنّما هوالإقرار بما فيها وفي غيرها من موافقة الكتاب والسنة، والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسنة ([3]).

([1]) (موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية) ص ١٩٣ ، نقلا من كتاب (موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية) لصاحبه الدكتور أحمد بن محمد بناني

([2])(موقف أئمة الحركة السلفية) ص ١٩٧، ١٩٨ نقلا من كتاب (الفكر التربوي عند ابن تيمية) للدكتور ماجد عرسان الكيلاني

٢ - أمّا لفظ الصوفية فإنّه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنّما اشتهر التكلُّم به بعد ذلك . وقد نقل التكلُّم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما، وقد رُوي عن سفيان الثوري أنه تكلّم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري.

وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفيُّ ،فإنّه من أسماء النسب - وقيل وهوالمعروف - إنّه نسبة إلى لبس الصوف(١)، وليس طريقهم مقيَّداً بلباس الصوف، ولا هُم أوجبوا ذلك، ولا علّقوا الأمر به لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال (٢).

٣- ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة ، قد تكلّموا في حدوده وسيرته وأخلاقه ....

ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم. فطائفة ذمّتْ "الصوفية والتصوف" وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هومعروف ......وطائفة غلت فيهم وادّعَوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء. وكلا طرفي هذه الأمور ذميم .

والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرّب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هومن أهل اليمين ،

= (٣)(مجموع الفتاوى) ٨٢/١٠

(١) مجموع الفتاوى١١/٥ و٦

(٢) المصدر السابق ١٦/١١

وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يُذنب فيتوب أولا يتــوب، ومن المنتسبين إليهم من هوظالم لنفسه عاص لربه (١).

٤- طريق الله لا تتم إلاّ بعلم وعمل، يكون كلاهما موافقا للشريعة:

فالسالك "طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة "، إن لم يســلك بعلم يوافق الشريعة وإلاّ كان ضالاً عن الطريق، وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

والسالك من "الفقه والعلم والنظر والكلام" إن لم يتــابع الشريعة ويعمــل بعلمه وإلاّ كان فاجراً ضالاً عن الطريق .

فهذا هوالأصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم(٢).

٥- وأمّا المتأخرون فـ "الفقير" في عرفهم عبارة عن السالك إلى الله تعالى كما هو"الصوفي" في عرفهم أيضاً .

ثم منهم من يرجّح مسمى "الصوفي" على مسمّى "الفقير" لأنّه عنده الذي قــام بالباطن والظاهر، ومنهم من يرجح مسمى "الفقير" لأنّه عنده الذي قطــع العلائــق ولم يشتغل في الظاهر بغير الأمور الواجبة . وهذه منازعات لفظية اصطلاحية.

والتحقيق أن المراد المحمود بهذين الاسمين داخل في مسمى "الصدّيق" و"الولي" و"الصالح" ونحوذلك من الأسماء التي جاء بها الكتاب والسنة ، فمن حيث دخل في الأسماء النبوية يترتّب عليه من الحكم ما جاءت به الرسالة (٣).

٦- وأمّا انتساب الطائفة إلى شيخ معيّن فلا ريب أن الناس يحتــاجون مــن يتلقّون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ وتلقــاه منهــم

---

(١) (مجموع الفتاوى) ١١/١٦-١٨ ملخصا .

(٢)المصدر السابق ١١/٢٦

(٣)المصدر السابق ١١/٧٠

التابعون ، وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان.فكما أنّ المرء له من يعلمه القرآن ونحوه، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخص معين، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شخص معين ، كل من أفاد غيره إفادة دينية هوشيخه فيها (١).

٧- يجب أن يعلم أن الشيوخ الصالحين الذين يقتدى بهم في الدين هم المتّبعون لطريق الأنبياء والمرسلين كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ، ومن له في الأمة لسان صدق.

وطريقة هؤلاء دعوة الخلق إلى الله، وإلى طاعته وطاعة رسوله، واتباع كتابه وسنة رسوله، والمقصود أن يكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا (٢).

٨- وقد جمع كلام المشايخ إمّا بلفظه أوبما فهمه هو و غيرُ واحد، فصنّف أبوبكر محمد بن إسحاق الكلاباذي كتاب "التعرّف لمذهب التصوف" وهو أجود مما ذكره أبوالقاسم ، وأصوب وأقرب إلى مذهب سلف الأمة وأئمتها وأكابر مشايخها.

وكذلك معمر بن زياد الأصبهاني شيخ الصوفية ، وأبوعبد الرحمن محمد بن حسن السُلمي جامع كلام الصوفية ، هما في ذلك أعلى درجة وأبعد عن البدعة والهوى من أبي القاسم (٣).

٩- والصوفية يوجد فيهم المصيب والمخطئ كما يوجد في غيرهم، وليسوا في ذلك بأجلّ من الصحابة والتابعين، وليس أحدٌ معصوما في كل ما يقوله إلاّ رسول الله ﷺ (٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١١/١١

(٢) المصدر السابق ٤٩٧/١١

(٣) (الاستقامة) ٨١/١

(٤) الاستقامة ١/ ١٦٣

١٠ – كان أئمة الهدى ممن يتكلم في العلم والكلام ، أو في العمل والهدى والتصوف يوصون باتباع الكتاب والسنة، وينهون عما خرج عن ذلك كما أمرهم الله ورسوله، وكلامهم في ذلك كثير منتشر مثل قول سهل بن عبد الله التستري **"كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهوباطل"** (١).

.... ولهذا تجد المشايخ الأصحاء من الصوفية يوصون بالعلم، ويأمرون باتباعه، كما تجد الأصحاء من أهل العلم يوصون بالعمل ويأمرون به؛ لما يخاف في كل طريقة من ترك ما يجب من الأخرى (٢).

قلت : "العلم" في لسان الصوفية ووصاياهم كثيراً ما يريدون به الشريعة كقول أبي يعقوب النهرجوري **"أفضل الأحوال ما قارن العلم"** (٣).

ومن كلام الشيخ العارف ابن القيم رحمة الله عليه :

١ – الدين كله خُلُق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وكذلك التصوف. قال الكتاني : التصوف هوالخلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف .... قال (أي شيخ الإسلام الهروي) : واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم : أن التصوف هوالخلق . وجميع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهوبذل المعروف وكف الأذى.

قلت: ومن الناس من يجعلها ثلاثة: كف الأذى ، واحتمال الأذى ، وإيجاد الراحة. ومنهم من يجعلها اثنين –كما قال الشيخ– بذل المعروف وكف الأذى. ومنهم من يردها إلى واحد: وهوبذل المعروف، والكل صحيح(٤).

---

(١)المصدر السابق ص ١٥٠

(٢)المصدر السابق ص ١٦١

(٣)المصدر السابق ص ٩٤

(٤) مدارج السالكين ٣٠٧/٢ و٣٠٨

٢- والتصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب(١).

٣- ومدار حسن الخُلق مع الحق ومع الخلق على حرفين ذكرهما عبد القادر الجيلاني فقال: كن مع الحق بلا خلق، ومع الخَلق بلا نفس.

فتأمل ما أجلُّ هاتين الكلمتين مع اختصارهما ، وما أجمعهما لقواعد السلوك ولكل خلق جميلٍ .

وفساد الخلق إنّما ينشأ من توسط الخَلق بينك وبين الله تعالى، وتوسط النفس بينك وبين خلقه، فمتى عزلتَ الخلق حال كونك مع الله تعالى، وعزلتَ النفسَ حال كونك مع الخَلق فقد فُزت بكل ما أشار إليه القوم .... ويذكر عن **سفيان الثوري** رحمه الله أنه قال : أعز الخَلق خمسة : عالم زاهد ، وفقيه صوفي ، وغني متواضع، وفقير شاكر ، وشريف سنّيٌّ (٢).

٤- والمقصود أن المراتب عندهم ثلاثة :

مرتبة "**التقوى**" وهي مرتبة التعبد والتنسّك ، ومرتبة "**التصوف**" وهي مرتبة التفتّي بكل خلق حسن ، والخروج من كل خلق ذميم، ومرتبة "**الفقر**" وهي مرتبة التجرد وقطعِ كل عِلاقة تحول بين القلب وبين الله تعالى ،فهذه مراتب طلاب الآخرة ، ومن عداهم فمع القاعدين المتخلفين.(٣)

---

(١) مدارج السالكين

(٢) (مدارج السالكين) ٢/٣١٠

(٣) مدارج السالكين ٢/٣٦٨

٥- قال (أي الشيخ الهروي) : الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته، وهي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعا أو كرهاً.

يريد : أن هذا العلم مبنيٌّ على الإرادة ، فهي أساسه ومجمع بنائه ، وهومشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة ، وهي حركة القلب ، ولهذا سُمّي "علم الباطن" كما أنَّ علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سموه "علم الظاهر" .

فهاتان حركتان اختياريتان، وللعبد حركة طبيعية اضطرارية ، فالعلم المشتمل على تفاصيلها وأحكامها هو "علم الطب" .

فهذه العلوم الثلاثة هي الكفيلة بمعرفة حركات النفس والقلب وحركات اللسان والجوارح وحركات الطبيعة .

فالطبيب ينظر في تلك الحركات من جهة تأثر البدن عنها صحةً واعتلالاً وفي لوازم ذلك ومتعلقاته .

والفقيه ينظر في تلك الحركات من جهة موافقتها لأمر الشرع ونهيه ، وإذنه وكراهته ومتعلقات ذلك .

والصوفي ينظر في تلك الحركات من جهة كونها موصِلةً له إلى مراده أوقاطعةً عنه، ومُفْسِدةً لقلبه أومُصَحّحةً له (١).

٦- (قال الهروي) الدرجة الثالثة (من درجات الفقر) الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوجداني أوالاحتباس في بيداء قيد التجرد وهذا فقر الصوفية .

قال ابن القيم : وهذا فقر الصوفية قد يُفهم منه أن التصوف أعلى عنده من الفقر، فإنَّ هذه الدرجة الثالثة التي هي أعلى درجات الفقر عنده هي من بعض مقامات الصوفية.

---

(١) المصدر السابق ٢/٣٧١

وطائفةٌ تُنازِعه في ذلك وتقول : التصوف دون هذا المقام بكثــير . والتصــوف وسيلة إلى هذا الفقر ، فإن التصوف خُلُق ، وهذا الفقر حقيقة وغاية لا غاية وراءها. وقد تقدم ذكر الخلاف بين القوم في هذه المسئلة وحكينـــا فيهـــا ثلاثــة أقــوال ؛ هذين والثالث أن لا يفضل أحدهما على الآخر، فإنَّ كل واحد منهما لاتتم حقيقته إلاَّ بالآخر، وهذا قول الشاميين (١).

٧- قال **الشافعي** رضي الله عنه: صَحِبــتُ الصوفيــة فمـــا انتفعــت منهــم إلاَّ بكلمتين: سمعتهم يقولون: "**الوقت سيف فإن قطعتـــه وإلاَّ قطعـــك ، ونفســك إن لم تشغلهـــا بالحق وإلاَّ شغلتك بالباطل**".

قلت: يا لهما من كلمتين ، ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علوِّ همة قائلهما ويقظته، ويكفي في هذا ثناءُ **الشافعي** على طائفة هذا قدر كلماتهم.

وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق وأصحاب العواقب، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق(٢).

٨- وهذه الشطحات (من الصوفية) أوجبت فتنةً على طائفتين من الناس:

إحداهما حُجِبَت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم ، وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقـــاً، وهذا عدوان وإسراف. **فلوكان كل من أخطأ أوغلط تُرِك جملةً وأهــدِرت محاســنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم ، وتعطلت معالمها.**

---

(١) (مدارج السالكين) ٢/٤٤١

(٢) المصدر السابق ٣/١٢٨

والطائفة الثانية حُجِبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول ، وهؤلاء أيضاً معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه وأنزلوا كل ذي منزلةٍ منزلتَه ، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولاللمعلول السقيم بحكم الصحيح ، بل قبلوا ما يقبل وردُّوا ما يُرد (١).

وقد جاء في كلام الشيخين - ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله - ذكر كثيرٍ من مصطلحات التصوف والصوفية ، وبيانها وشرحها ، كما أنَّه جاء ذكر جماعة من كبار المشايخ والصوفية، منذ زمن التابعين وأتباعهم إلى زمانهما، والاستدلال والاستشهاد بأقوالهم وآرائهم.

فمنهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأبوالقاسم القشيري، وأبوسليمان الداراني، وسيد الطائفة جنيد بن محمد، والسرّي السقطي، وأبويزيد ، وأبوحفص ، وسهل بن عبد الله ، وأبوعثمان النيسابوري ، وأبوالحسين النوري ، وعمروبن عثمان المكي، وأبوسعيد الخراز ، وأبوإسحاق الرقي ، وأبويعقوب، وأبوبكر الطمستاني ، وأبوجعفر الحداد، وأحمد بن عاصم الأنطاكي، وأبوعلي الدقاق ، والشبلي ، وذوالنون المصري، وأبوحمزة البغدادي ، وأبوعبد الرحمن السلمي.

---

(١) مدارج السالكين ٣٩/٢

ومن كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قوله :

١- اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى الذي هوالعلم النافع ودين الحق الذي هوالعمل الصالح .

إذا كان من ينتسب إلى الدين منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية.

فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين[١].

٢- اعلم رحمك الله أن أربع هذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين سواء كان المتكلّم يتكلّم في علم التفسير أوفي علم الأصول، أوفي علم أعمال القلوب الذي يسمّى **علم السلوك**، أوفي علم الحديث، أوفي علم الحلال والحرام والأحكام الذي يسمى علم الفقه، أوفي علم الوعد والوعيد، أوفي غير ذلك من أنواع علوم الدين[٢].

٣- لما كان صلاح القلب والاستقامة في طريق سيره إلى الله تعالى متوقّفاً على جمعيته على الله تعالى ولَمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله، فإن شعث القلب لا يلمه إلاّ الإقبال على الله، وكانت فضول الشراب والطعام ، وفضول مخالطة الأنام ، وفضول المنام، وفضول الكلام مما يزيد شعثاً، ويُشتّته في كل واد ، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى ويضعفه أويعوقه ويوقفه ، اقتضت حكمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة عن سيره إلى الله وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وآخرته ولا يضره .

---

[١](القسم الثالث من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جزء فتاوى ومسائل) ص ٣١

[٢](القسم الثاني من مؤلفات الشيخ الفقه) ٤/٢

وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله، والانقطاع عن الخلق ، والاشتغال به وحده ، فيصير أنسُه بالله سبحانه بدلا عن أنسه بالخلق فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبر. ولما كان هذا المقصود إنّما يتم مع الصوم شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم وهوالعشر الأخير من رمضان، و لم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلاّ مع الصوم ولا فعله رسول الله ﷺ ، إلاّ مع الصوم .

وأمّا الكلام فإنّه شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لاينفع في الآخرة .

وأمّا فضول المنام فإنّه شُرع لهم من قيام الليل ما هومن أفضل السهر وأحمده عاقبةً ، وهوالسهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن ، ولا يعوق العبد عن مصلحته.

ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الأركان الأربعة، وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج المحمدي فلم ينحرف انحراف الغالين، ولا قصّر تقصير المفرطين (١).

٤- ولنختم هذا المقال بما ختم به نجل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبدالله بن محمد رسالته التي ألّفها دفاعا عن المفتريات التي كانت تنسب إليهم ، فقال :

ولا ننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي والمنهج القويم المرعي، إلاّ أنا لا نتكلف له تأويلاً في كلامه ، ولا في أفعاله (٢).

---

(١) (القسم الرابع من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب -مختصر زاد المعاد) ص ٨٤

(٢) (الهدية السنية) ص ٥٠

أعددت هذا البحث ولخصته من كتاب (موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية) للشيخ عبد الحفيظ المكي

كلمة في التصوف والصوفية

سئل شيخ الإسلام قدس الله روحه عن "الصوفية" وأنهم أقسام ، "والفقـــراء" وأنهم أقسام ، فما صفة كل قسم ؟ وما يجب عليه ؟ ويستحب له أن يسلكه ؟

فأجاب: "الحمد لله ، أمَّا لفظ "الصوفية" فإنَّه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنَّما اشتهر التكلُّم به بعد ذلك ، وقد نُقل التكلُّمُ به عن غير واحـدٍ مـن الأئمـة والشيوخ: كالإمام أحمد بن حنبل ، وأبي سليمان الداراني ، وغيرهما ، وقـد روي عن سفيان الثوري أنه تكلَّم به ، وبعضهم يذكر ذلك عـن الحسـن البصـري، وتنازعوا في "المعنى" الذي أضيف إليه الصوفي - فإنَّه من أسماء النسب: كالقرشـي، والمدني، وأمثال ذلك.

فقيل : إنه نسبة إلى "أهل الصفة" وهوغلط ، لأنَّه لوكان كذلك لقيل: صُفِّـيٌّ، وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله، وهوأيضاً غلط ؛ لأنَّه لو كان كذلك لقيل: صفوي ، وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر بن أدّ بن طائحة، قبيلة من العـرب كـانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ، ينسب إليهم النساك ، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ ، فإنَّه ضعيف أيضاً ؛ لأنَّ هؤلاء غير مشهورين ، ولا معروفين عنـد أكثر النساك ، ولأنه لونُسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمـن الصحابـة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأنَّ غالب من تكلَّم باسم "الصوفي" لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام.

وقيل: - وهو المعروف - إنه نسبة إلى لبس الصوف ؛ فإنّه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرةَ الصوفية بعضُ أصحاب عبد الواحد بن يزيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك، مالم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا كان يقال: فقهٌ كوفيٌّ، وعبادة بصرية، وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أنَّ قوماً يُفَضّلون لباس الصوف ، فقال : إنَّ قوماً يتخيرون الصوف ، يقولون: إنهم متشبّهون بالمسيح بن مريم ، وهديُ نبيّنا أحبّ إلينا ، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره ، أو كلاماً نحواً من هذا.

ولهذا غالب ما يُحكى من المبالغة في هذا الباب إنّما هو عن عُبّاد أهل البصرة، مثل حكاية من مات أو غُشي عليه في سماع القرآن ونحوه، كقصة زرارة بن أوفى قاضي البصرة فإنّه قرأ في صلاة الفجر : ﴿فإذا نُقِرَ فِي النَّاقُوْرِ﴾ (١)فخرَّ ميتا ، وكقصة أبي جهير الأعمى الذي قرأ عليه صالح المري فمات ، وكذلك غيره ممن رُوِي أنهم ماتوا باستماع قراءته ، وكان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن، ولم يكن في الصحابة - رضي الله عنهم- من هذا حاله فلما ظهر ذلك أنكر ذلك طائفةٌ من الصحابة والتابعين: كأسماء بنت أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير ، ومحمد بن سيرين ، ونحوهم .

والمنكرون لهم مأخذان :

منهم من ظن ذلك تكلُّفا وتصنُّعاً، يُذكر عن محمد بن سيرين أنه قال : ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القرآن إلاّ أن يُقرأ على أحدهم وهو على حائط فإن خَرّ فهو صادق .

---

(١)(سورة المدثر) : ٨ وقد روى القصة الإمام الترمذي في جامعه

ومنهم من أنكر ذلك لأنه رآه بدعة مخالفاً لما عُرف من هدي الصحابة ، كما نقل عن أسماء ، وابنها عبد الله .

والذي عليه جمهور العلماء أنّ الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً عليه لم يُنْكر عليه ، وإن كان حال الثابت أكملَ منه، ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ، ولوقدر أحد أن يَدفع هذا عن نفسه لدَفَعه يحيى بن سعيد ، فما رأيتُ أعقل منه ، ونحوهذا . وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك ، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا كثيرٌ ممن لا يُستراب في صدقه.

لكن الأحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن ، وهي وجل القلوب ، ودموع العين ، واقشعرار الجلود ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾(٢)، وقال تعالى:﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(٣) وقال : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (٤)وقال : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾(٥)

---

(١) (سورة الأنفال) : ٢

(٢) (سورةالزمر) : ٢٣

(٣) (سورة مريم) : ٥٨

(٤) (سورة الأنعام) ٨٣

(٥)(سورة الإسراء) : ١٠٩

وقد يذم حالَ هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرين عليها، والجفاء عن الدين ما هومذموم ، وقد فعلوا ، ومنهم من يظن أنَّ حالهم هذا أكمل الأحوال وأتمها وأعلاها، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم .

بل المراتب ثلاث :

(أحدها) حال الظالم لنفسه الذي هوقاسي القلب ، لا يلين للسماع والذكر، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود ، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢).

و(الثانية) حال المؤمن التقي الذي فيه ضعفٌ عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا الذي يصعق صعق موتٍ، أوصعق غشيٍ، فإن ذلك إنَّما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله ، وقد يوجد مثل هذا في من يفرح أويخاف أويحزن أويحب أموراً دنيوية ، يقتله ذلك أويُمَرِّضه أويذهب بعقله ، ومن عباد الصور من أمرضه العشق أوقتله أوجنَّنه، وكذلك في غيره ، ولا يكون هذا إلاَّ لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه ، بمنزلة ما يرد على البدن من الأسباب التي تُمَرِّضه أوتقتله ، أوكان أحدهم مغلوباً على ذلك .

---

(١) سورة البقرة: ٧٤

(٢) سورة الحديد : ١٦

فإذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان ، لم يكن فيه ذنب فيما أصابه، فلا وجه للريبة، كمن سمع القرآن السماع الشرعي ، و لم يفرط بترك ما يوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفنا ، ونحوذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها. فإنه إذا لم يكن السبب محظوراً لم يكن السكران مذموماً؛ بل معذوراً فإن السكران بلا تميز ، وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فإنّه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ، ومن استحل السكر من هذه الأمور فهوكافر ، وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل:.

سكران: سكرهوى،وسكرمُدامة ومتى إفاقة من به سكران

وهذا مذموم ، لأنَّ سببه محظور، وقد يحصل بسبب سماع الأصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر، وهذا أيضاً مذموم ، فإنّه ليس للرجل أن يسمع من الأصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقلَه ، إذ إزالة العقل محرَّم ، ومتى أفضى إليه سبب غير شرعيٍّ كان محرَّماً ، وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أوروحية ، ولو بأمور فيها نوع من الإيمان، فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل . و لم يأذن لنا الله أن نمتع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الإيمان ولا غيرها بما يوجب زوال عقولنا ، بخلاف من زال عقله بسبب مشروع ، أوبأمرٍ صادفَه لا حيلة له في دفعه.

وقد يحصل السكر بسبب لا فعل للعبد فيه ، كسماع لم يقصده يهيج قاطنه ، ويحرك ساكنه، ونحوذلك، وهذا لاملام عليه فيه ، وما صدر عنه في حال زوال عقله فهوفيه معذور : لأن القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم ، كالمغمى عليه والمجنون ونحوهما .

ومن زال عقله بالخمر، فهل هومكلّف حال زوال عقله ؟ فيه قولان مشهوران، وفي طلاق من هذه حاله نزاعٌ مشهور ، ومن زال عقله بالبنج يلحق به ، كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي وأحمد، وقيل يفرّق بينه وبين الخمر: لأنَّ هذا يشتهي،

وهذا لا يشتهي ، ولهذا أوجب الحد في هذا دون هذا، وهذا هوالمنصوص عن أحمد ومذهب أبي حنيفة.

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنوناً، إمّا بسبب خلط يغلب عليه، وإمّا بغير ذلك، ومن هؤلاء عقلاءُ المجانين الذين يُعدّون في النساك، وقد يُسَمّون المولهين ، قال فيهم بعض العلماء : هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالاً فسلب عقولهم ، وأسقط ما فرض بما سلب.

فهذه الأحوال التي يقترن بها الغشي أوالموت أوالجنون أوالسكر أوالفناء حتى لايشعر بنفسه ونحوذلك ، إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزاً عن دفعها ، كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الإيمان ، معذوراً فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره، وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانهم وقسوة قلوبهم ونحوذلك من الأسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله أوفعل ما يكرهه الله .

ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الإيمان ماحصل لهم أومثله أوأكمل منه فهوأفضل منهم ، وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم، وهوحال نبينا ﷺ فإنه أسري به إلى السماء وأراه الله ما أراه وأصبح كبائتٍ لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى- عليه السلام- الذي خرّ صعقاً لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة: لكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلى وأفضل .

والمقصود : أن هذه الأمور التي فيها زيادة في العبادة والأحوال خرجت من البصرة ، وذلك لشدة الخوف ، فإنّ الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السليمي وأمثالهما أمر عظيم ، ولا ريب أنّ حالهم أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم أوتفضل عليهم ، ومن خاف الله خوفاً مقتصداً يدعوه إلى فعل مايحبه الله وترك ما يكرهه الله من غيرهذه الزيادة، فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء، وهوحال الصحابة رضي الله عنهم، وقد روي : أن عطاء – رضي الله عنه –

رئي بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لي : يا عطاء ! أما استحييت مني أن تخافني كل هذا ؟ ! أما بلغك أني غفور رحيم ؟!

وكذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الأحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة - رضي الله عنهم - وعلى ما سنّه الرسول - ﷺ - أمورٌ توجب أن يصير الناس طرفين .

قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك .

وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من أكمل صورة وأعلاها .

والتحقيق أنهم في هذه العبادات والأحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من أهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والإمارة ونحوذلك ، وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة ما أنكره جمهور الناس .

وخيار الناس من "أهل الفقه والرأي" في أولئك الكوفيين على طرفين .

قومٌ يذمونهم ويسرفون في ذمهم .

وقومٌ يغلون في تعظيمهم ويجعلونهم أعلم بالفقه من غيرهم ، وربما فضّلوهم على الصحابة ، كما أن الغلاة في أولئك العباد قد يفضّلونهم على الصحابة ، وهذا باب يفترق فيه الناس .

والصواب : للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وخير القرون القرن الذي بعث فيهم ، وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه ، ويعلم من ذلك أنّ على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم ، كما قال الله تعالى : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[1]، وقال : ﴿لا يكلف

---

[1](سورة التغابن) : ١٦

الله نفساً إلاّ وسعها﴾(١)، وقال ﷺ : "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"، وإنّ كثيراً من المؤمنين – المتقين أولياء الله – قد لا يحصل لهم من كمال العلم والإيمان ماحصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع، ويطيعه بحسب اجتهاده، فلا بد أن يصدر منه خطأٌ إمّا في علومه وأقواله وإمّا في أعماله وأحواله ، ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم: فإن الله تعالى قال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ – إلى قوله تعالى – رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(٢)، قال الله تعالى : قد فعلت .

فمن جعل طريقَ أحدٍ من العلماء والفقهاء ، أوطريقَ أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهومخطئٌ ، ضالٌّ مبتدعٌ ، ومن جعل كلَّ مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً ، فهومخطئٌ ضالٌّ مبتدعٌ .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم أيضاً مجتهدون ، يصيبون تارةً ، ويُخطئون تارةً ، وكثير من الناس إذا علم من الرجل ما يحبه ، أحب الرجلَ مطلقاً ، وأعرض عن سيئاته ، وإذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً، وأعرض عن حسناته ، محاط (؟) وحال من يقول بالتحافظ (؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة .

وأهل السنة والجماعة يقولون: ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وهو أنّ المؤمن يستحق وعد الله وفضله ، الثواب على حسناته، ويستحق العقاب على سيئاته،

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦

(٢) سورة البقرة: ٢٨٥-٢٨٦

وإنَّ الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه ، وما يعاقب عليه ، ومايحمد عليه ومـا يذم عليه ، وما يحب منه وما يبغض منه ، فهذا هذا.

وإذا عرف أن منشأ "**التصوف**" كان من البصرة ، وأنه كان فيها مـن يسـلك طريق العبادة والزهد ، مما له فيه اجتهاد ، كما كان في الكوفة من يسلك من طريـق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد ، وهؤلاء نُسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم : "**صوفي**" وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علّقوا الأمر به ، لكن أُضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال .

ثم "**التصوف**" عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلّموا في حدوده وسـيرته وأخلاقه ، كقول بعضهم : "**الصوفي**" من صفا من الكدر ، وامتـلأ مـن الفكـر ، واستوى عنده الذهب والحجر . التصوف كتمان المعاني ، وترك الدعاوي ، وأشـباه ذلك . وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق، وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون، كما قال الله تعالى: ﴿ ***فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا*** ﴾ (١) ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي . لكن هو في الحقيقة نوع من الصدّيقين . فهوالصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه، فكان الصديق من أهل هذه الطريق، كمـا يقال: صديقوا العلماء ، وصديقوا الأمراء ، فهوأخص من الصديـق المطلـق، ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين: أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضاً ، كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده، وقد يكونون من أجلّ الصديقين بحسب زمـانهم،

---

(١)(سورة النساء) : ٦٩

فهم من أكمل صديقي زمانهم ، والصديق في العصر الأول أكمل منهم ، والصديقون درجات وأنواع : ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات، حققه وأحكمه وغلب عليه، وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه.

ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه ، **تنازع الناس في طريقهم: فطائفة ذمت "الصوفية والتصوف"** ، وقالوا : إنهم مبتدعون ، خارجون عن السنة ، ونُقل عن طائفةٍ من الأئمة في ذلك من الكلام ما هومعروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام .

وطائفة غلت فيهم ، وادّعوا أنهم أفضل الخلق ، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم .

و"الصواب" أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هومن أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لايتوب.

ومن المنتسبين إليهم من هوظالم لنفسه ، عاصٍ لربه .

وقد انتسب إليه طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحقّقين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلاً : فإنّ أكثر مشايخ الطريق أنكروه، وأخرجوه عن الطريق، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره ، كما ذكر ذلك الشيخ أبوعبدالرحمن السلمي في "طبقات الصوفية"، وذكره الحافظ أبوبكر الخطيب في "تاريخ بغداد" .

فهذا أصل التصوف ، ثم إنّه بعد ذلك تشعّب وتنوّع ، وصارت الصوفية "ثلاثة أصناف" صوفية الحقائق وصوفية الأرزاق وصوفية الرسم.

فأمّا صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم .

وأمّا "**صوفية الأرزاق**" فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق، فإنّ هذا عزيز، وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك ؛ ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط:

(**أحدها**) العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم .

و(**الثاني**) التأدب بآداب أهل الطريق ، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأمّا الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها .

و(**الثالث**) أن لا يكون أحدهم متمسّكاً بفضول الدنيا ، فأمّا من كان جمّاعاً للمال ، أوكان غير متخلق بالأخلاق المحمودة ، ولا يتأدب بالآداب الشرعية ، أوكان فاسقاً فإنّه لا يستحق ذلك .

وأمّا "**صوفية الرسم**" فهم المقتصرون على النسبة ، فَهَمُّهم في اللباس والآداب الوضعية ، ونحوذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زِيِّ أهل العلم وأهل الجهاد ونوعٍ مّا من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنّه منهم وليس منهم .

وأمّا اسم "**الفقير**" فإنّه موجود في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لكن المراد به في الكتاب والسنة الفقير المضاد للغني، كما قال النبي ﷺ (؟) "**والفقراء والفقر**" أنواع: فمنه المسوغ لأخذ الزكاة . وضده الغني المانع لأخذ الزكاة ، كما قال النبي ﷺ : "**لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب**" والغنى الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء ، كمالك والشافعي وأحمد.

وهوملك النصاب وعندهم قد تجب على الرجل الزكاة ، ويباح له أخذ الزكاة خلافاً لأبي حنيفة [١].

---

[١](مجموع الفتاوى) ١١/٥-٢٠

تائبٌ مقلعٌ

..غاب الأشعري في داره خمسة عشر يوماً، خرج بعدها إلى الناس معلناً توبته عن الأخذ بالاعتزال على منبر الجامع قائلاً:

" أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأنّ الله تعالى لا يُرى بالأبصار، وأنّ أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب، مُقلعٌ، متصد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائحهم.

معاشر الناس! إنّما تغيّبتُ عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجّح عندي شيء، فاستهديتُ الله تعالى فهداني، إلى اعتقاد ما أودعتهُ كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقدهُ، كما انخلعتُ من ثوبي هذا" ... وانخلع من ثوب كان عليه، ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين." (١)

وكتب بعد ذلك أشهر كتبه وهو "الإبانة عن اصول الديانة" الذي يُعدُّ موسوعةً ضخمةً تضم خلاصة علم الأشعري، وردوده الدامغة على أهل الزيغ والضلال، وفي مقدمته يقول:

"قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عزّ وجلّ، وبسنة نبينا محمد ﷺ وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن حنبل- نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف مخالفون؛ لأنّه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظّم، وكبير مفهّم." (٢)

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للدكتورة فوقية حسين، ص: ١٧

(٢) الإبانة عن اصول الديانة : ٢١

قاعدة شريفة

في المعجزات والكرامات

وإن كان اسم المُعجزة يعمُّ كل خارق للعادة ، في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين - كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - ويسمونها "الآيات" - لكن كثيراً من المتأخرين يفرّق في اللفظ بينهما "فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي" جماعهما الأمر الخارق للعادة.

فنقول : صفاتُ الكمال ترجع إلى ثلاثة : العلم ، والقدرة ، والغنى ، وإن شئت أن تقول : العلم والقدرة، والقدرة إمّا على الفعل وهو التأثير وإمّا على الترك وهو الغنى، والأول أجود ، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلاّ لله وحده ، فإنّه الذي أحاط بكل شيء علماً ، وهو على كل شيء قدير ، وهو غنيّ عن العالمين ، وقد أمر الرسول ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾(١) وكذلك قال نوح عليه السلام ، فهذا أول أولي العزم(٢)، وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٠

(٢)قال ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف عند قوله تعالى : ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ قال : وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال واشهرها أنهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمدصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، انتهى من التفسير (٨٨/٧)

الأرض، وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم ، كلاهما يتبرأ من ذلك؛ وهــذا لأنهـم يطالبون الرسول ﷺ تارةً بعلم الغيب، كقوله : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّــي﴾(٢) وتارة بالتأثير كقوله : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًــا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّــمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، أَوْ يَكُونَ لَــكَ بَيْــتٌ مِــنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْــرَؤُهُ، قُــلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٣)، وتارة يعيبون عليه الحاجة والبشــرية ، كقوله : ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ (٤)، فــأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله ، ولا هوملَك غنيٌّ عن الأكل والمــال، إنْ هوإلا متَّبعٌ لما أوحي إليه، واتباعُ ما أوحي إليه هوالدين، وهوطاعة الله، وعبادتــه، علماً وعملاً بالباطن والظاهر ، وإنَّما تنال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعــالى فيعلم منه ما علَّمه إياه ، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه ، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور مخالفةً للعادة المطَّردة أولعادة غالب الناس .

فما كان من الخوارق من باب العلم ، فتارةً بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارةً بأن يرى ما لا يراه غيره يقظةً ومناماً ، وتارةً بأن يعلم ما لا يعلم غــيره وحيــاً

(١) سورة يونس الآية : ٤٨

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٧

(٣) سورة الإسراء الآية : ٩٠-٩٣

(٤) سورة الفرقان : ٧-٨

أوإلهاماً ، أوإنزال علم ضروريٌ ، أوفراسة صادق ، وسمي كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات ، فالسماع مخاطبات ، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة ، أي كشف له عنه .

وما كان من باب القدرة فهوالتأثير ، وقد يكون همةً وصدقاً ودعوةً مجابةً ، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحالٍ، مثل هلاك عدوه بغير أثر منه كقوله: "**من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة – وإني لأثار لأوليائي كما يثأر الليث المجرد**" (١)، ومثل تذليل النفوس له ومحبتها إياه ونحوذلك ، وكذلك ما كان من باب العلم والكشف قد يكشف لغيره من حاله بعض أمور، كما قال النبي ﷺ في المبشرات: "**هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أوترى له**" (٢)، وكما قال النبي ﷺ : "**أنتم شهداء الله في الأرض**" (٣) .

وكل واحدٍ من الكشف والتأثير قد يكون قائماً وقد لا يكون قائماً به بل يكشف الله حاله، ويصنع له من حيث لا يحتسب، كما قال يوسف بن أسباط : "**ما صدق الله– عبد إلاّ صنع له**" وقال أحمد بن حنبل : "**لووضع الصدق على جرح لبرأ**" لكن من قام بغيره له من الكشف والتاثير فهوسببه أيضاً، وإن كان خرق عادة في ذلك الغير ، فمعجزات الأنبياء وأعلامهم ودلائل نبوتهم تدخل في ذلك.

---

(١) حديث من عادى لي وليّاً ...) أخرجه البخاري عن أبي ميسرة ، كتاب الرقاق باب التواضع . وابن ماجه في الفتن

(٢) رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت ، ورواه أبوداؤد ، – وأخرجه الشيخان أيضاً ، الأول في كتاب بدء الوحي – والثاني في كتاب الرؤيا

(٣) أخرجه البخاري – في كتاب الجنائز ومسلم أيضاً في كتاب الجنائز

خوارق النبي ﷺ

وقد جُمع لنبينا ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق .

أمّا العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل إخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ، ومخاطباته لهم وأحواله معهم، وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أوبغيره من غير تعلم له منهم ، وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياءَ قبله من غير تعلم منهم. ويعلم أنّ ذلك موافق لنقول الأنبياء ، تارةً بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحوذلك من النقل المتواتر ، وتارةً بما يعلمه الخاصة من علمائهم ، وفي مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب وهومن حكمة إبقائهم بالجزية، وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه.

فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها ، هومن باب العلم الخارق، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم ، وقتال الترك (١)، وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها مذكورٌ بعضها في كتب دلائل النبوة وسيرة الرسول وفضائله وكتب التفسير والحديث والمغازي ، مثل **دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي وسيرة ابن إسحاق**، وكتب الأحاديث المسندة **كمسند الإمام أحمد** ، والمدوّنة **كصحيح البخاري** ، وغير ذلك مما هومذكورٌ أيضاً في كتب أهل الكلام والجدل **كأعلام النبوة للقاضي عبد الجبار وللماوردي، والرد على**

---

(١) حديث إخباره بمملكة أمته أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي ، وإخباره بزوال مملكة فارس والروم أخرجه الشيخان ، أمّا إخباره بقتال الترك فقد رواه البخاري وأحمد، وليراجع لمزيد من التفصيل في الموضوع أيضاً كتاب: " نبوءات الرسول ﷺ ما تحقق منها وما سيتحقق" للدكتور محمد ولي الله النَّدْوي ، طبعة دارالسلام – القاهرة.

النصارى للقرطبي، ومصنَّفات كثيرة جداً، وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وُجد في كتب الأنبياء المتقدمين، وهي في وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوةً بأيدي اليهود والنصارى كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وكتاب شعيا، وحبقوق، ودانيال، وأرميا، وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأحبار والرهبان، وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة، وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما، وكذلك المنامات وتعبيرها كمنام كسرى وتعبير الموبذان، وكذا أخبار الأنبياء المتقدمين بما مضى وما عبر هو من أعلامهم .

أنواع الخوارق بالقدرة والتأثير الرباني:

وأمَّا القدرة والتأثير فإمَّا أن يكون في العالم العلوي أوما دونه، وما دونه إمَّا بسيط أومركب، والبسيط إمَّا الجوُّ وإمَّا الأرض، والمركب إمَّا حيوان وإمَّا نبات وإمَّا معدن، والحيوان إمَّا ناطق وإمَّا بهيم، فالعلوي كانشقاق القمر(١)، وردُّ الشمس ليوشع بن نون(٢)، وكذلك ردها لما فاتت علياً الصلاةُ والنبي ﷺ نائم في حجره -إن صح الحديث- فمن الناس من صحَّحه كالطحاوي والقاضي عياض (٣)، ومنهم من جعله موقوفاً كأبي الفرج بن الجوزي وهذا أصح - وكذا معراجه إلى السماوات(٤).

---

(١) انشقاق القمر متواتر، منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة

(٢) انفرد به أحمد - من هذا الوجه وهوعلى شرط البخاري، وحبسها رواه الشيخان، البخاري في فرض الخمس، ومسلم في الجهاد والسير

(٣) وكفيا للتصحيح، وقد ذكر ذلك ونقل الإمام النووي أيضاً في شرحه على صحيح الإمام مسلم

(٤) قصة الإسراء والمعراج ثابتة بنص القرآن والسنة المتواترة

وأمّا الجوُّ فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مـــرة ، كحديـــث الأعرابـــي(١)،الـــذي في الصحيحين وغيرهما ، وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره (٢)، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى(٣).

وأمّا الأرض والماء فكاهتزاز الجبل تحته(٤)، وتكثير الماء في عين تبوك(٥)، وعـــين الحديبية (٦)، ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة(٧)، ومزادة الماء (٨).

وأمّا المركّبات فتكثيرُه للطعام غير مرة في قصة الخندق من حديـــث جـــابر(٩)، وحديث أبي طلحة (١٠)، وفي أسفاره(١١)، وجراب أبي هريرة(١٢)، ونخل جابر بـــن عبدالله(١٣)، وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعـــوده إلى مكانـــه(١٤)،

---

(١) أخرجه الستة إلاّ الترمذي

(٢) (البداية والنهاية) ٣:١٨ وابن هشام ١٨٩/١

(٣) متواتر قرآنا وسنة

(٤) متواتر كما أخبر القرطبي ، وراجع مشكاة المصابيح أبواب المناقب ، مناقب الخلفاء الأربعة

(٥) رواه مسلم

(٦) تفرد به البخاري اسناداً ومتناً

(٧) رواه البخاري ومسلم ومالك والنسائي والترمذي ، وقد بلغ حد التواتر كمـــا قـــال النـــووي والقرطبي وعياض

(٨) رواه البخاري ومسلم

(٩) أخرجه البخاري ومسلم

(١٠) أخرجه البخاري ومسلم

(١١) رواه مسلم والنسائي وغيرهما

(١٢) رواه الترمذي والبيهقي وأحمد

(١٣) أخرجه البخاري في دلائل النبوة

(١٤) حديث جابر رواه مسلم

وسقياه لغير واحدٍ من الأرض كعين أبي قتادة(١)، وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنَّما الغرض التمثيل.

وكذلك من باب القدرة عصا موسى عليه السلام، وفلق البحر، والقمل والضفادع، والدم، وناقة صالح ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى، كما أنَّ من باب العلم إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وفي الجملة لم يكن المقصود هنا ذكر المعجزات النبوية بخصوصها ، وإنَّما الغرض التمثيل بها.

بعض المعجزات لغير الأنبياء :

وأمَّا المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم فمثل قول عمر في قصة سارية(٢)، وإخبار أبي بكر بأنَّ ببطن زوجته أنثى(٣)، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً(٤)، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام(٥)، والقدرة مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب (٦)، وقصة أهل الكهف(٧)، وقصة مريم(٨)، وقصة خالد ابن الوليد (٩)، وسفينة مولى رسول الله ﷺ (١٠)، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها ، فإنَّ القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه .

---

(١) رواه مسلم في الصحيح

(٢) البداية والنهاية ١٤٣/٧ وقال اسناده جيد حسن

(٣) البداية والنهاية ٣٤٠/٦-٣٩٨

(٤) رواه البيهقي

(٥) سورة الكهف : ٧٤ و٨٠

(٦) كل ذلك في القرآن

(٧) كل ذلك في القرآن

(٨) كل ذلك في القرآن

(٩) البداية والنهاية ٣٩٠/٦

(١٠) رواه البغوي في شرح السنة

الخارق يكون نعمة من الله ، ويكون سبباً للعذاب :

الخارق -كشفاً كان أوتأثيراً - إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً ، إمّا واجب وإمّا مستحب ، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هومنهي عنه نهيَ تحريمٍ أونهيَ تنزيه كان سبباً للعذاب أوالبغض، كقصة الذي أوتي الآيات فانسلخ منها : بلعام بن باعوراء ، لكن قد يكون صاحبها معذوراً لاجتهاد أوتقليد، أونقص عقل أونقص علم ، أوغلبة حال ، أوعجز أوضرورة فيكون من جنس برح العابد .

والنهي قد يعود إلى سبب الخارق وقد يعود إلى مقصوده **فالأول** : مثل أن يدعوالله دعاءً منهياً عنه اعتداءً عليه ، وقد قال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١)، ومثل الأعمال المنهي عنها إذا أورثت كشفاً أوتأثيراً .

(والثاني) : أن يدعوعلى غيره بما لا يستحقه ، أويدعوللظالم بالإعانة ويعينه بهمته، كخفراء العدو وأعوان الظلمة من ذوي الأحوال. فإن كان صاحبه من عقلاء المجانين والمغلوبين غلبة بحيث يُعذَرون والناقصين نقصاً لا يُلامون عليه ، كانوا برحية(٢). وقد بينتُ (٣) في غير هذا الموضع ما يعذرون فيه وما لا يعذرون فيه ، وإن كانوا عالمين قادرين كانوا بلعامية(٤)، فإن من أتى بخارق على وجهٍ منهيٍ عنه أولمقصودٍ منهيٌ عنه ، فإمّا أن يكون معذوراً معفواً عنه كبرح، أويكون متعمداً للكذب كبلعام .

---

(١) سورة الأعراف :٥٥

(٢) برحية ، نسبة إلى برح العابد

(٣) الكلام

(٤) نسبة إلى بلعام بن باعوراء

أنواع الخوارق محمودة ومذمومة ومباحة :

فتلخّص أن الخارق ثلاثة أقسام : محمود في الدين ، ومذموم في الدين ، ومباح لا محمود ولا مذموم في الدين ، فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمةً وإن لم يكن فيه منفعةٌ كان كسائر المباحات التي لا منفعة فيها كاللعب والعبث .

اطلب الاستقامة لا الكرامة :

قال أبوعلي الجوزجاني : كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة ، فإنّ نفسك متجبلة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة .

قال الشيخ السهروردي في عوارفه: وهذا الذي ذكره أصلٌ عظيم كبير في الباب، وسرٌ غفل عن حقيقته كثيرٌ من أهل السلوك والطلاب ، وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين وما مُنحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبداً نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيءٍ من ذلك، ويحبون أن يُرزَقوا شيئاً من ذلك، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهماً لنفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك، ولوعلموا سرَّ ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً. والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة تفنناً ، فيقوى عزمه على هذا الزهد في الدنيا ، والخروج من دواعي الهوى ، وقد يكون بعض عباده يكاشف بصدق اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصدق اليقين أغني بذلك عن رؤية خرق العادات، لأنَّ المراد منها كان حصول اليقي ، وقد حصل اليقين فلوكوشف هذا المرزوق صدق اليقين بشيء من ذلك لازداد يقيناً ، فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغناءً به ، وتقتضي الحكمة كشف ذلك لآخر لموضع حاجته ، وكأنَّ هذا الثاني يكون أتم استعداداً وأهلية من الأول، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ، فهي

كل الكرامة . ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك ، وإنّما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة.

فتعلم هذا لأنّه أصل كبير للطالبين ، والعلماء الزاهدين ، ومشايخ الصوفية.

كلمات الله الكونية ، وكلماته الدينية :

كلمات الله تعالى نوعان : كلمات كونية ، وكلمات دينية . فكلماته الكونيـــة هي التيَ استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: " **أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر** " (١)، وقال سبحانه : ﴿ *إنما أَمْرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يَقُولَ لَــهُ كُـن فَيَكُونُ* ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ *وتَمّتْ كَلِمتُ رّبك صدْقًا وعَدْلاً* ﴾(٣)، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وسائر الخوارق الكشفية التأثيرية .

(والنوع الثاني) الكلمات الدينية وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رســوله وهي: أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلمُ بها والعمل، والأمر بما أمر الله بـــه، كما أنّ حظ العبد عموماً وخصوصاً من الأول العلم بالكونيـــات، والتأثـير فيهـا. أي بموجبها .

كلمات الله قدريّة كونيّة ومنها الخوارقُ وشرعيّة وأقسام الناس فيهما :

(فالأولى) قدرية كونية (والثانية) شرعية دينية ، وكشف الأولى العلم بــالحوادث الكونية ،وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية ، وقدرة الأولى التأثير في الكونيات،

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

(٢) سورة يس : ٨٢

(٣) سورة الأنعام : ١١٥

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات، وكما أنَّ الأولى ينقسم إلى تأثير في نفسه، كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء ، وجلوسه على النار، وإلى تأثير في غيره بإسقام وإصحاح، وإهلاك وإغناء وإفقار ، فكذلك الثانية تنقسم إلى تأثير في نفسه بطاعته لله ولرسوله ﷺ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً ، وإلى تأثير في غيره، بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعةً شرعيةً، بحيث تقبل النفوس ما يأمرها به من طاعة الله ورسوله في الكلمات الدينيات. كما قبلت من الأول ما أراد تكوينه فيها بالكلمات الكونيات.

وإذا تقرَّر ذلك فاعلم أنَّ عدم الخوارق علماً وقدرةً لا تضر المسلمَ في دينه ، فمن لم ينكشف له شيءٌ من المغيبات ، ولم يُسخَّر له شيء من الكونيات، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله . بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه إذا لم يكن وجود ذلك في حقه مأموراً به أمر إيجاب ولا استحباب، وأمَّا عدم الدين والعمل به فيصير الإنسان ناقصاً مذموماً، إمَّا أن يجعله مستحقاً للعقاب ، وإمَّا أن يجعله محروماً من الثواب، وذلك لأنَّ العلم بالدين وتعليمه والأمر به ينال به العبد رضوان الله وحده وصلاته وثوابه ، وأمَّا العلم بالكون والتأثير فيه فلا ينال به ذلك إلاَّ إذا كان داخلاً في الدين، بل قد يجب عليه شكره، وقد يناله به إثم .

إذا عُرِف هذا فالأقسام ثلاثة : إمَّا أن يتعلق بالعلم والقدرة ، أوبالدين فقط، أوبالكون فقط .

الأقسام الثلاثة في الخوارق العلمية والعملية والدين :

(فالأول) كما قال لنبيه ﷺ : ﴿ *وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا* ﴾[1]، فإن السلطان النصير يجمع

---

[1] سورة الإسراء: ٨٠

الحجة والمنزلة عند الله، وهو كلماته الدينية والقدرية الكونية عند الله بكلماته الكونيات، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام تجمع الأمرين ، فإنها حجة على النبوة من الله وهي قدرية. وأبلغ ذلك القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ، فإنه هو شرع الله وكلماته الدينيات، وهو حجة محمد ﷺ على نبوته ومجيئه من الخوارق للعادات. فهو الدعوة وهو الحجة والمعجزة .

(أمّا القسم الثاني) فمثل من يعلم بما جاء به الرسول ﷺ خبراً وأمراً ويعمل به ويأمر به الناس، ويعلم بوقت نزول المطر وتغير السعر، وشفاء المريض، وقدوم الغائب، ولقاء العدو، وله تأثير إمّا في الأناسي ، وإمّا في غيرهم بإصحاح وإسقام وإهلاك ، أوولادة أوولاية أوعزل، وجماع التأثيرإمّا جلب منفعة كالمال والرياسة أودفع مضرة كالعدو والمرض، أولا واحد منهما مثل ركوب أسد بلا فائدة، أوإطفاء نار ونحو ذلك.

(وأمّا الثالث) فمن يجتمع له الأمران ، بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكوني، ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي ، وهو علم الدين والعمل به، والأمر به ، ويؤتى من علم الدين والعمل به، ما يستعمل به الكشف والتأثير الكوني، بحيث تقع الخوارق الكونية تابعةً للأوامر الدينية ، أوأن تخرق له العادة في الأمور الدينية ، بحيث ينال من العلوم الدينية ، ومن العلم بها ، ومن الأمر بها، ومن طاعة الخلق فيها ، مالم ينله غيره في مطرد العادة ، فهذه أعظم الكرامات والمعجزات، وهو حال نبينا محمد ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر وكل المسلمين .

فهذا القسم الثالث هو مقتضى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾(١)، إذ الأول هو العبادة ، والثاني هو الاستعانة ، وهو حال نبينا محمد ﷺ والخواص من أمته، المتمسكين

---

(١) سورة الفاتحة : ٥

بشرعته ومنهاجه باطناً وظاهراً ، فإن كراماتهم كمعجزاتــه لم يخرجهـا إلاّ لحجــة أوحاجة، فالحجة ليظهر بها دين الله؛ ليؤمن الكافر، ويخلص المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، فكانت فائدتها اتباعُ دين الله علماً وعملاً كالمقصود بالجهاد ، والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليها، كالطعام والشراب وقت الحاجة إليه ، أودفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي رماهم به، فقيل له : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾(١)

وكل من هذين يعود إلى منفعة الدين كالأكل والشرب، وقتال العدو، والصدقة على المسلمين، فإن هذا من جملة الدين والأعمال الصالحة .

طرق العلم بالكائنات وكشفها والعلم بالدين بقسميه الخبر والإنشاء :

العلم بالكائنات وكشفها له طرق متعددة : حسية وعقلية، وكشفية وسمعيــة، ضرورية ونظرية وغير ذلك، وينقسم إلى قطعيٌ وظنّي وغير ذلك، وسنتكلّم إن شــاء الله تعالى على ما يتبع منها وما لا يتبع في الأحكام الشرعية ، أعني الأحكام الشــرعية على العلم بالكائنات من طريق الكشف يقظةً ومناماً كما كتبتُه في الجهاد .

أمّا العلم بالدين وكشفه، فالدين نوعان: أمور خبرية اعتقادية وأمــور طلبيــة عملية. *فالأول:* كالعلم بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، ويدخل في ذلك أخبار الأنبياء وأممهم ومراتبهم في الفضائل، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم، ويدخل في ذلك صفة الجنة والنار ، وما في الأعمال من الثواب والعقاب ، وأحــوال الأولياء والصحابة وفضائلهم ومراتبهم وغير ذلك.

---

(١)سورة الأنفال : ١٧

وقد يسمى هذا النوع أصول دين ، ويسمى الفقه الأكبر ، ويسمى الجدال فيه بالعقل كلاماً. ويسمى عقائد واعتقادات، ويسمى المسائل العلمية والمسائل الخبرية، ويسمى علم المكاشفة .

(والثاني) الأمور العلمية الطلبية من أعمال الجوارح والقلب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات ، فإنَّ الأمر والنهي قد يكون بالعلم والاعتقاد، فهومن جهة كونه علماً واعتقاداً أوخبراً صادقاً أوكاذباً يدخل في القسم الأول، ومن جهة كونه مأموراً به أومنهيّاً عنه يدخل في القسم الثاني ، مثل **شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله** ، فهذه الشهادة من جهة كونها صادقة مطابقة لمخبرها فهي من القسم الأول ، ومن جهة أنها فرض واجب وأنَّ صاحبَها بها يصير مؤمناً يستحق الثواب ، وبعدمها يصير كافراً يحل دمه وماله ، فهي من القسم الثاني .

المتفق عليه والمختلف فيه من طرق العلم بالدين :

وقد يتفق المسلمون على بعض الطرق الموصلة إلى القسمين كاتفاقهم على أنَّ القرآن دليل فيهما في الجملة ، وقد يتنازعون في بعض الطرق كتنازعهم في أنَّ الأحكام العلمية من الحسن والقبيح والوجوب والحظر هل تعلم بالعقل كما تعلم بالسمع أم لاتعلم إلاّ بالسمع ؟ وأنَّ السمع هل هومنشأ الأحكام أومظهر لها كما هومظهر للحقائق الثابتة بنفسها ؟

وكذلك الاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع على المسائل الكبار في القسم الأول ، مثل مسائل الصفات والقدر وغيرهما مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف، وأبى ذلك كثير من أهل البدع المتكلّمين بما عندهم على أنَّ السمع لا يثبت إلاّ بعد تلك المسائل فإثباتها بالسمع ..... حتى يزعم كثير من القدرية والمعتزلة أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن على حكمة الله وعدله، وأنه خالق كل شيء

وقادر على كل شيء ، وتزعم الجهمية من هؤلاء ومن اتبعهم من بعض الأشعرية وغيرهم أنه لا يصح الاستدلال بذلك على علم الله وقدرته وعبادته ، وأنه مستوٍ على العرش.

ويزعم قوم من غالية أهل البدع أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن والحديث على المسائل القطعية مطلقاً، بناء على أنَّ الدلالة اللفظيةَ لا تفيد اليقين بما زعموا .

ويزعم كثير من أهل البدع أنه لا يستدل بالأحاديث المتلقاة بالقبول على مسائل الصفات والقدر ونحوهما مما يطلب فيه القطع واليقين.

ويزعم قوم من غالية المتكلّمين أنه لا يستدل بالإجماع على شيء ، ومنهم من يقول لا يصح الاستدلال به على الأمور العلمية لأنّه ظني ، وأنواع من هذه المقالات التي ليس هذا موضعها .

فإنَّ طرق العلم والظن وما يتوصل به إليهما من دليل أومشاهدة ، باطنة أوظاهرة ، عام أوخاص ، فقد تنازع فيه آدم تنازعاً كثيراً .

الدلائل العقلية والنقلية والكشفية ونماء الفرق في كل منها :

وكذلك كثير من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحد بغير الطريق التي يعرفها ، حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غيرحجة على ذلك، وكذلك الأمور الكشفية التي للأولياء، من أهل الكلام من ينكرها، ومن أصحابنا من يغلو فيها، وخيار الأمور أوساطها.

فالطريق العقلية والنقلية والكشفية والخبرية والنظرية طريقة أهل الحديث وأهل الكلام وأهل التصوف قد تجاذبها الناس نفياً وإثباتاً ، فمن الناس من ينكر منها ما لايعرفه ، ومن الناس من يغلو فيما يعرفه ، فيرفعه فوق قدره وينفي ما سواه . فالمتكلّمة

والمتفلسفة تعظّم الطرقَ العقليةَ وكثير منها فاسدٌ متناقض وهم أكثر خلق الله تناقضاً واختلافاً ، وكل فريقٍ يرد على الآخر فيما يدّعيه قطعياً .

وطائفة ممن تدّعي السنة والحديث يحتجون فيها بأحاديثَ موضوعةٍ ، وحكاياتٍ مصنوعةٍ ، يعلم أنها كذب ، وقد يحتجون بالضعيف في مقابلة القوي.

وكثير من المتصوفة والفقراء يبني على منامات وأذواق وخيالات، يعتقدها كشفاً، وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام غير صادقة [1] ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[2]

---

(١) سورة النجم : ٢٨

(٢) (مجموع الفتاوى) ٣١١/١١-٣٣٩ و(المعجزة وكرامات الأولياء) ص٢٥-٥٨ و(المعجزة والكرامات وخوارق العادات) ص ٩-٣٤ - ومن الأخير استفدت العناوين - كما أني اعتمدت في التخريج على ما جاء في تحقيق (المعجزة والكرامات الأولياء) من محققه مصطفى عبد القادر عطاء مع زيادة أواختلاف في بعض المواضع ، مثل حديث رد الشمس له ﷺ.

القسم الثالث

مذهب علماء ديوبند

عقيدتهم

و

منهجهم

أما بعد : أيها الإخوة المؤمنون، أيهـــا الإخـــوة في الله، أيها العلماء الأفاضل، أيها الطلاب الكـــرام، أحّييكـــم بتحية الإسلام : السلام عليكم ورحمـــة الله وبركاتـــه ، أحّييكم أيها العلماء وأيهاالطلاب! وأنقلُ لكم تحيـــات إخوانكم في المملكة العربية السعودية ، أنقل لكم تحيات خادم الحرمين الشريفين، أنقلُ لكم تحيات علماء الحرمين الشريفين، فإنهم يبلّغونكم تحياتهم ، ويدعون الله لكـــم بالتوفيق والتسديد، ويسألون الله ســـبحانه وتعـــالى أن تستمروا على هذه الدعوة المباركة، وعلى هذا التعليـــم النافع، الذي بان نفعه في كل قطرٍ من أقطـــار الدنيـــا، والحمد لله.

سماحة الشيخ

محمد بن عبد الله السبيل

مقدمة في

مجمل بيان

معتقدات علماء ديوبند

مذهبهم

أشهدُ الله تعالى ومن حضر من الملائكة والجنّ والإنس اني أعتقد من صميم قلبي:

أن للعالم صانعاً، قديماً، لم يزل ولا يزال، واجباً وجوده، ممتنعاً عدمُه، وهو الكبير المتعال ، متصفاً بجميع صفات الكمال ، مُنَزّها عن جميع سمات النقص والزوال.

وهو خالق لجميع المخلوقات، عالم لجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات، مريدٌ لجميع الكائنات.

حيٌّ سميع ، بصير ، لاشبه له، ولاضدّله ولا ندّله ، ولا مثل له ، ولا شريك له في وجوب الوجود ، ولا في استحقاق العبادة ولا في الخلق والتدبير .

فلا يَستحق العبادة – أي أقصى غاية التعظيم – إلاّ هو، ولا يَشْفِي مريضاً، ولايرزق رزقاً ، ولا يكشف ضُرّا إلاّهو، بمعنى أن يقول لشيء : كن ، فيكون – لابمعنى السبب العادي الظاهري كما يقال: شفى الطبيب المريض، ورَزق الأمير الجُندَ، فهذا غيره وإن اشتبه في اللفظ.

ولا ظهير له ، ولا يحل في غيره ، ولا يتحد بغيره ، ولا يقوم بذاته حادثٌ فليس في ذاته ولا صفاته حدوث ، وإنّما الحدوث في تعلق الصفات بمتعلقاتها حتى يظهر الأفعال، وحقيقته أن التعلق أيضاً ليس بحادث ولكن الحادث هو المتعلق فيظهر أحكام التعلق متفاوتةً لتفاوت المتعلقات، وهو بريءٌ من الحدوث والتجدد من جميع الوجوه.

ليس بجوهر ، ولا عرضٍ ، ولا جسم ، ولا في حيّزٍ ، ولاجهةٍ ، ولا يشار إليه بهنا وهناك، ولا يصح عليه الحركة والانتقال والتبديل في ذاته ولا في صفاته.

عقائد علماء ديوبند - عقائد الجماعة

إنّما عقائد هذه الجماعة - عقائد العامة والجماعة من أهل السنة تماماً، فقدوتُهم في الدين الصحابةُ والتابعون، والذين اتبعوهم بإحسان ، منذ زمنهم إلى يومنا هــذا . وعمدتُهم في ذلك ما ألّفه العلماء الراسخون في العلم من كتب العلــوم الإســلامية - التفسير والحديث والفقه - و استنادهم في العقائد والمسائل إلى كتب أئمة أهل السنة من هذا الشأن من جميع الأزمان، منذ بداية عهد تدوين العلوم والفنــون إلى هــذه القرون ، لا سيما كتاب "**الفقه الأكبر**" مع شروحه المعروفة - المنسوب إلى إمامنــا **أبي حنيفة** رحمه الله، وكتاب " **العقيدة الطحاوية** " للإمام **أبي جعفــر الطحــاوي** المعروف بين الأقاصي والأداني، وأخيراً إلى كتب **الإمام ولي الله الدهلــوي** وكتــب أخلافه وأبنائه وأحفاده، ويستفيدون ويستمدون بكتب النسفي والتفتنــازاني وابــن الهمام، وبجانب آخر بكتب الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام، درسًا وتدريساً، ومطالعــة وتأليفاً، وهذه الكتب هي التي بعضها لم تزل من المقررات الدراسية في ***دارالعلــوم*** - والمدارس التابعة لها في المنهج والمنهاج ، وقد خدموا بعض هذه الكتب فقــد قــامت ***دارالعلوم*** بطبع كتاب "**العقيدة الطحاوية** " مع شرحٍ وجيز عليه للشيخ **محمد طيــب القاسمي** رئيس الجامعة سابقا.

فيكفي في تعريفهم القول بأنهم من أهل السنة والجماعة ، ولووُجد منهم خلاف واختلاف في بعض المسائل فذاك مثل خلاف الماضين من المتقدمين والمتــأخرين . **وإلاّ فهم لا يحيدون عن مذهب أهل السنة والجماعة وآرائهم في العقيدة والتوحيد** رأساً، **قَيدَ شِبرٍ ولا قدرَ شعرٍ ، ويُرجّحون ويقدمون رأي السلف ومذهبهم فيما اختلــف فيه علماء أهل السنة والجماعة فيما بينهم**، ولا يذهبون إلى ما سواه إلاّ بمرتبة ثانيــة، ولأجل ضرورة تقتضي **ذلك** مثل الضرورة التي اضطــرت **المــاتريدي والأشــعري** وأتباعهما - وغيرهم أيضاً من أئمة أهل السنة - إلى ما ذهبوا إليه في بعض المسائل.

ولمّا كان الأمر – كما قدّمتُ في القسم الثاني – أنّ معظم أهل السنة والجماعة لم يزالوا ينتسبون إلى الإمامين المعروفين الأشعري والماتريدي، بل بلغ الأمر إلى أن صار ذلك شعاراً وميزةً لأهل السنة ، فلم يكونوا يُعرفون إلاّ بها في أغلب الأحوال، فلـذا اضطروا هم أيضاً إلى هذا الانتساب.

لكن لا على طراز من سبق في الاكتفاء بالنسبة إلى أحدهما – بل بالجمع في الانتساب إليهما معاً، كما جاء في كلام **السهارنفوري والقاسمي** مصرّحاً (١). وذلك قصد الانتماء إلى أصل العنوان ونفس اللقب لأهل الحق مباشرة، وإظهاراً لأنّهم من أهل السنة والجماعة تماماً ومطابقة ، وذلك لأنّ هذا الانتساب – إلى أيّهما كان – يدل على أنّ صاحبه من أهل الحق وأهل السنة والجماعة ، واجتناباً عن أن يظن بهم التحيز والتميل إلى فئة منهما متعينة.

وأيضا اختاروا الجمع في النسبة والانتساب؛ لأنّهم لم يكونوا في ذلك على غرار السالفين والسابقين ، ملتزمين بآراء أحدهما ومذهبه ، مؤيدين له ومشيّدين، بل نصبوا أنفسهم في ذلك – متبعين لأصول أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أئمة الدين – شارحين وخادمين لآرائهم ومذهبهم ، غير ملتزمين كليّاً لأقوال إحدى الطائفتين المعروفتين – بل الطوائف الثلاث المعروفة من أهل السنة والجماعة ، مختارين منها مايكون أقرب إلى الكتاب والسنة ومنطوقاتهما وأقوال الصحابة والتابعين، وأصح وأرجح عند عامة علماء أهل السنة والجماعة أوأكثرهم ، وأوفق بالمقام والمكان، وبالظروف والعقول من الزمان ، وأحفظ لدين ضعيف البنيان من أهل الإيمان.

ولذا نراهم ينتسبون إليهما ثم يذهبون إلى ما هوخلاف المعروف عن الإمامين في بعض المسائل ، وينتمون إلى أحدهما ثم يختارون ما هوالراجح عند الآخر .

---

(١) المهند على المفند ص ٢، وكتابُ "علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي"

كلمة موجزة في

بيان مذهب علماء ديوبند ومنهجهم

مع النداء إلى التبين

والتحقّق مما التبس من ذلك على أحد

ليعلم أوّلاً قبل أن نشرع في الجواب أنّا بحمد الله ومشايخُنا ، رضوان الله عليهم أجمعين، وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلّدون لقُدوة الأنام وذِروة الإسلام الإمام الهمام الإمام الأعظم **أبي حنيفة النعمان** رضي الله عنه في الفـروع، ومتبعـون للإمام الهمام **أبي الحسن الأشعري** والإمام الهمام **أبي منصور الماتريدي** رضي الله تعالى عنهما في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طـرق الصوفيـة إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية، والطريقة الزكية المنسـوبة إلى السادة الجشتية، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السادة السهروردية رضي الله عنهم .

ثم ثانياً أنا لا نتكلم بكلام ، ولانقول قولاً في الدين إلاّ وعليه عندنا دليل من الكتاب أوالسنة أوإجماع الأمة أوقول من أئمة المذهب.

ومع ذلك لا ندّعي أنّا مبرّؤون من الخطأ والنسيان في ضلة القلم وزلة اللسان، فإن ظهر لنا أنا أخطأنا في قول، سواء كان من الأصول أوالفروع، فما يمنعنا الحياء أن نرجع عنه ونعلن بالرجوع. كيف ؟ وقد رجع أئمتنا رضوان الله عليهم في كثير من أقوالهم .. فلو ادّعى أحدٌ من العلماء أنّا غلطنا في حكم، فإن كان من الاعتقادات فعليه أن يثبت دعواه بنص من أئمة الكلام، وإن كان من الفرعيات فيلزم أن يبنى بنيانه على القول الراجح من أئمة المذهب، فاذا فعل ذلك فلا يكون منا إن شاء الله تعالى إلاّ الحسنى، القبول بالقلب واللسان وزيادة الشكر بالجنان والأركان (١).

فإذا نُسب إلينا في حضرتكم (٢) قولٌ يخالف المذهب فلا تلتفتوا إليه، ولا تظنوا بنا إلاّ خيرًا، وإن اختلج في صدوركم فاكتبوا إلينا فإنا نخبركم بحقيقة الحال والحق من المقال. (٣)

---

(١) المهند على المفند ص ٢ و٣ للعلامة المحدث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري- صاحب بذل المجهود- وكان ألّف هذا الكتاب إجابةً عن أسئلة وجهت إلى علماء ديوبند من علماء الحجاز والحرمين الشريفين.

(٢) يريد علماء الحرمين والبلاد العربية الذين أُلّف لهم الكتاب المذكور

(٣) المصدر السابق، ص: ٥

مذهب علماء ديوبند

أساسه تعاليم الكتاب والسنة في شكلها الشامل (١)

لم تكن هناك أية حاجة في الواقع إلى كتاب مستقل يتناول مذهب ***علماء ديوبند*** بشرح أوإبانة ، لأنهم ليسوا فرقة أوجماعة شقت طريقاً فكرياً أوعملياً يختلف عن طريق جمهور الأمة المسلمة، بل إنهم يتبعون في تفسير الإسلام وعرضه نفس المسلك الذي سلكه جمهور علماء الأمة عبر أربعة عشر قرناً ، إنّ الدين وتعاليمه الأساسية إنّما تنبع من الكتاب والسنة ، وإنها - تعاليم الكتاب والسنة - في شكلها الشامل هي أساس مذهب ***علماء ديوبند*** .

خذ أي كتاب موثوق به في عقائد أهل السنة والجماعة واقرأه ، ستجد أنّ مذهب ***علماء ديوبند*** هو كل ما جاء فيه من العقائد. واقرأ أي كتاب موثوق به في الفقه وأصول الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ، ستجد أن ما جاء فيه من المسائل الفقهية والأصولية هوالمذهب الفقهي لدى ***علماء ديوبند***، وراجع أي كتاب صحيح في الأخلاق والإحسان ، ستجدأنّه هومرجع ***علماء ديوبند*** في الإحسان وتزكية الأخلاق، إنهم إنّما يتخذون أولئك الأشخاص الذين أجمعت الأمة على جلالة قدرهم ومكانتهم

---

(١) هذه الكلمة تقديمٌ لكتاب "***علماء ديوبند*** ، اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي" ألّفه الشيخ محمد طيب القاسمي رئيس ***دارالعلوم ديوبند*** سابقا وقدّم له - في الطبعة الجديدة- فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني قاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان .

العلمية والعملية ، بدءًا بالأنبياء الكرام عليهم السلام ، ومرورًا بالصحابة والتابعين، وانتهاءً بأولياء الأمة وصلحائها ، نماذجَ جديرةً بالاتباع والتقليد.

وجملة القول : إنه ليس هناك ناحية من نواحي الدين ينحرف فيها *علماء ديوبند* قيد شعرة عن التفسير المتوارث للإسلام وعن مزاجه وذوقه الأصيلين. ولذلك كله لا نرى حاجة ما إلى كتاب مفرد لشرح مذهبهم ، فلوشاء أحدٌ أن يطلع على مذهبهم فعليه بمراجعة الموثوق به لدى جمهور علماء الأمة من تفاسير القرآن وشروح الحديث وكتب الفقه الحنفي، والعقائد والكلام، والإحسان والأخلاق ، التي تتحدَّث عنه - عن مذهبهم - في تفصيل .ولكنه استجدَّهناك أمران في العصر الأخير تسببا في شعورنا بالحاجة إلى إبانة مذهب *علماء ديوبند* ومزاجهم الديني وذوقهم الإسلامي في كتاب مستقل .

الأمر الأول: أنَّ الإسلام دين الاعتدال ، وحينما وصف القرآن الكريم هذه الأمة بـ "**أمة وسطاً**" أعلن أنَّ من مزاياها الأساسية هوالتوسط ولما كان *علماء ديوبند* معتنقين بهذا الدين فإنَّ مذهبهم ومزاجهم وذوقهم الديني معجونٌ بهذا الاعتدال ، وطريقهم يمرُّ بين الإفراط والتفريط، بشكل لا يتورَّط ذيلهم في أي من الطرفين المتقاصيين ، ومن خصائص الاعتدال أن الإفراط والتفريط كليهما يشكوانه ويتأذَّيان به ، فالإفراط يتهمَّده بالتفريط ، والتفريط يعيبه بالإفراط .

ومن ثَمَّ فإن التوجيهات المتطرفة قامت ضد *علماء ديوبند* بدعايات متضاربة، فمثلاً : من اعتدال *علماء ديوبند* أنهم بجانب إيمانهم الكامل بالكتاب والسنة ، يثقون بالسلف الصالحين ويتبعونهم ، وتُشكِّل لديهم بيانات السلف وتعبيراتهم وتعاملاتهم أهميةً أساسية في شرح وتفسير الكتاب والسنة ، كما أنهم يرون حبَّهم والإعجاب بهم عنصراً لمذهبهم، ولكنهم - إلى جانب ذلك - لا يَدْعون هذا الحبَّ والإعجاب

يصل إلى العبادة وتقديس الشخصية ، وإنّما يضعون أمامهم في اعتبارهم دائماً مبـــدأ إنزال كلّ حقيقة منزلها الصحيح .

فالسادة الذين يزعمون الإيمان والعمل بالكتاب والسنة ، ولكنهـــم لا يرضـــون بإعارة السلف الصالحين أيّة مكانة أساسية في شرحهما وتعبيرهما، وإنّما يقتنعون بأنّ عقلهم وفكرهم كافيان لفهمهما وتعبيرهما ، يتهمـــون *علمـــاء ديوبنـــد* بتقديـــس الشخصية والاعتقاد الزائد في أشخاص السلف ، ويقومون بالدّعاية ضدّهـــم بـــأنهم اتخذوا سلفهم آلهة ، ونعوذ بالله من ذلك !

وفي جانب آخر فإنّ السادة الذين ارتفعوا بحب السلف والإعجاب بهم إلى عبادة الأشخاص في الواقع ، يتهمون *علماء ديوبند* بأنهم لا يحملون أي حبٍّ وإعجـــاب في قلوبهم نحوالسلف أوأنهم يسيؤن الأدب -معاذ الله- مع هؤلاء العلماء الأجلـــة ذوي المكانة المحترمة في الإسلام .

ومن أجل هاتين الدّعايتين المتضاربتين ضد *علماء ديوبند* ، يعود الإنسان الـــذي لايعلم حقيقة الحال في نصابها الصحيح ، متورطاً في الشكوك في شأنهم . ولهذا كلّه كان هناك شعورٌ (في أوساط *ديوبند*) بضرورة بيان مذهب *علماء ديوبند* المعتـــدل في شكلٍ موضوعي إيجابيٍّ شامل يجعل رجلاً محايداً يفهم المذهب على حقيقته .

والأمر الثاني: أنّ مذهب *علماء ديوبند* عنوان للمنهاج العملي والفكري الـــذي تلقاه مؤسّسو (الجامعة الإسلامية) **دارالعلوم – ديوبند** وكبارُ مشيختنا المعْتـــبرين، مـــن مشايخهم بالسند المتصل الذي يرتفع ماراً بالتابعين والصحابة رضـــي الله عنهـــم إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك منهاجاً للفكر والاعتقاد جديراً بالاستناد، ونظاماً مثاليـــاً للأعمال والأخلاق، ومزاجاً وذوقاً دينياً معتدلاً ، لايتلقّاه المرأ بمجرد قـــراءة الكتـــب أوالحصول على الشهادة ، وإنّما يتلقّاه من صحبة الأشخاص المصوغين في قـــالب ذاك

المزاج والذوق ، كما تلقاه العلماء من التابعين والتابعون من الصحابة ، والصحابة من سيدنا محمد بن عبد الله ورسوله ﷺ .

وفي جانب آخر : أنّ (الجامعة الإسلامية) **دار العلوم ديوبند** -التي ينْسب إليها هذا المذهب في الأغلب ، مركز تعليميّ يعمل جاهداً منذ أكثر من قرنٍ وربع قرنٍ على تدريس العلوم الإسلامية ، وقد خرّج خلال هذه الفترة الطويلة من العلماء من قد يبلُغ عددهم مئات الآلاف، إلى جانب آلاف من المدارس المنتشرة في شبه القارة الهندية التي تنتسب إلى **دار العلوم ديوبند** باعتبارها منبعاً لها ، وخريجوها هم الآخرون يُسمون في المصطلح العام "*علماء ديوبند*".

ومن الواضح أنّ الخريجين من هذه المدارس والجامعات كلها البالغين عدد مئات الآلاف ، لا يصحُ أن يقال في كلٌ فرد منهم أنه ناطق صحيح بـ"**مذهب علماء ديوبند**" وذلك لأنّ أية مدرسة مستقلة متقيدة بنوعٍ خاص من المناهج الدراسية والنُظُم التعليمية واللوائح الإدارية، إنّما يتناول طلابها بالخدمة التعليمية والتربوية والرعاية الأخلاقية لحدٌ تسمح له به قواعدها وبرامجها، ولكنها لا تقدر في حال على أن تتابع الأفكار التي تولد وتشب في قلب وذهن كلٌ طالب من طلابها في الخلوة، والخطوط التي يرسمها لنفسه ليسير عليها في المستقبل ، ولا سيما فيما بعد انقطاع صلته الرسمية عنها حيث لا تعود هناك أيّة إمكانية لمثل هذه المتابعة والتعهُد .

فتخرّج من هذه المدارس عدّد من السادة يعملون في شتى مجالات الحياة، ينتسبون تعليمياً – بلاشك – إلى **دار العلوم ديوبند**، *ولكنه لم يُتح لهم أن يتلقوا بشكلٍ صحيح مذهب كبار علماء ديوبند ومزاجهم الديني وذوقهم الإسلامي المتوارَث الذي لا يمكن أن يُتلقى من مجرد الكتب ، وبهذه الحيثية فلم يكونوا هؤلاء ناطقين بمذهب علماء ديوبند ، ولكن الناس ظنوهم ناطقين به لكونهم متخرجين من*

(الجامعة الإسلامية) دارالعلوم ديوبند ، أومن مدرسة أوجامعة تابعة لها، فعزوا كــل فكرة من أفكارهم إلى علماء ديوبند .

وقد كان من بين هؤلاء من لم يَرُدوا فقط على بعض عقــائد وأفكــار *علمــاء ديوبند* و لم يُفَنّدوها فحسب، وإنّما اعتبروها ضلالاً صريحاً، ورغم ذلك ظلوا يعرِّفون أنفسهم بأنهم ناطقون بلسان حال *علماء ديوبند* . كما وُجِدَ هناك أنــاسٌ نسـبوا أفكارهم الشخصية إلى *علماء ديوبند* ،كما أخذ أناس جزءاً واحداً من الهيكل المتكامل المعتدل لمذهب *علماء ديوبند*، وعرضوه على أن ذلك هو" *الديوبندية* " ونبذوا عناصر أخرى للهيكل وراءهم ظهْرِيًّا (لغرض أومرض).

فمثلا : وَجَدَ بعضُ الناس مشايخ *علماء ديوبند* أدّوا مسؤليتهم كاملةً نحو مقاومةِ ومكافحة كل نظرية باطلة كلما مست الحاجة إلى ذلك ، فاعتبروا هــذه المكافحــةَ وحدها مذهب *علماء ديوبند* ، وأعطوا بموقفهم العملي انطباعاً بأنّ مذهب *علمــاء ديوبند* عبارةٌ عن حركة سلبية، لا تعيرُ في أهدافها أية قيمة للنواحي الإيجابية للديــن. ثم إن شتى الاتجاهات توزَّعت شتى مجالات العمل في خصوص مكافحة النظريــات الباطلة، وربما كانت هذه المجالات صحيحةً في إطار توزيع الأعمال والمســئوليات ، ولكن بعضهم قد غلا في ذلك وأعطى انطباعاً بأن مذهب *علماء ديوبند* ينحصــر في مجاله العملي.كما أن بعض الناس تَبَنّى مبدأ الرد على الأفكار الباطلة ،ولكنهم لم يتبنّوا كلياً تلك المبادئ التي تقيَّد بها *علماء ديوبند* في سبيل الرد والمكافحـــة ، وكذلــك أسلوب العمل الذي اختاره بعض الناس يَشِف عن أنّ مذهب *علماء ديوبند* هوجــزء من ذاك التحزُّب المستشري في العالم ، القاضي بأن رجال الحزب أخطــاؤه جديــرة بالعفووالدفاع ، والرجال المنتمين إلى غيره جميع حسناته جديرة بالإضاعة هدراً.

والحقيقة أنّ مذهب *علماء ديوبند* بريءٌ من هذه اللا اعتدالات كلهــا، وقــد صدرت من أولئك الأشخاص الذين مهمــا انتمــوا في تلقــي التعلُّــم الرســمي إلى

دار العلوم ديوبند، أو إلى أحدٍ من المعاهد التعليمية المنتسبة إليها، ولكنهم لم يكونـــوا في المذهب والمزاج والذوق ناطقين بلسان حال مشايخ *علماء ديوبند* ، حيث لم يتلقـــوه بالطريقة المتوارثة التي هي الطريقة الصحيحة لتلقيه.

ورغم أن متابعة تاريخ **دار العلوم ديوبند** منذ قيامها لحدّ اليوم تُؤكّد أن أمثال هذه اللا اعتدالات ليست بكثيرة ، ولكنها عادت تتزايد بمضيّ كبار العلمـــاء والمشـــايخ ، وعاد الجاهلون بحقيقة الأمر يعزونها إلى مذهب *علماء ديوبند* .

ولهذا السبب – هوالآخر– برز هناك شعور بشرح مذهـــب *علمـــاء ديوبـــند* ومزاجهم وذوقهم ، وتدوين ذلك بشكلٍ جامعٍ لا يدع مجالاً للالتباس.[1]

---

[1] (مجلة الداعي) السنة ١٩ ، العدد ٥ ص ١٨–٢١

علماء ديوبند

اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي(١)

اتجاه *علماء ديوبند* الديني ومزاجُهم المذهبيُّ أومنهجُهم الفكريُّ ، ووجهةُ نظرهم ومشربُهم وذوقُهم ، شيء ظلّ معروفاً لدى العامة والخاصة ، حيث ظلوا يُربُّون عليه المسلمين منذ أكثر من قرنٍ ، وكانت دعوتهم شاملةً وعالميةً عمّت الشرق والغرب، ولكنهم لم يعتمدوا في نشرها على الدعايات والإعلانات والنشرات ، ووسائل الإعلام المعروفة المُتّبعة ، وإنّما اعتمدوا في ذلك - ولا يزالون- على الدرس والتدريس ، والتعليم والتربية ، والدعوة والتوجيه، والإصلاح وتزكية الظاهر والباطن. إن هدفهم الوحيد هو إبقاء الأمة - في ضوء الكتاب والسنة - على ذلك المزاج الذي أنشأه النبي ﷺ بصحبته وتربيته في الصحابة ، والصحابةُ في التابعين ، والتابعون فيمن بعدهم من الأجيال المتلاحقة على اختلاف الأمكنة ومرور الأزمنة .

لكن التحرُّر الفكري والانطلاق العقلي في هذا العصر، قد أنشأ مدارس فكرية شتى ، وظهرت دعواتٌ متنوعة بل متضاربة ، وبدأت كل جماعة تدعو الناس باسم الإسلام إلى توجيهاتها ومزاياها ، هي الأمر الذي أدى طبيعياً إلى حدوث بلبلة فكرية وتَقَلْقُلٍ نفسيٌّ لدى الجمهور ، ونشأعن ذلك أنَّ مذهب *علماء ديوبند* ومشربهم اللذين كانا لديهم متوارثين من السلف ومعروفَين وممتازَين ، عادماً لحدَّهما مشتبَهاً فيهما لدى العامة ، وصارت بعض الأوساط تتساءل: ما هي "*الديوبندية*" ؟

(١) من كلمة الشيخ محمد طيب القاسمي - رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند الأسبق - في تقديمه لكتابه " علماء ديوبند- *اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي*" .

وأن جماعة ديوبند أهي فرقة حديثةٌ من فيض الساعة ، أم أنَّ لها سنداً من السلف ؟، وأنها من أهل السنة والجماعة أم أنها شيء آخر ؟ وإن كانت من أهل السنة والجماعة فما هي مركزها بين الحشد من المُدَّعين بالانتماء إلى أهل السنة الأحناف ، وماهوالخط الفاصل بينها وبينهم ، وماهي النقطة المميزة في معتقداتها ، التي تضع فرقاً واضحاً بينها - جماعة ديوبند - وبين من يختلف عنها ؟ وما إلى ذلك من التساؤلات التي عادت تطفح اليوم .

ولذلك كله شعُرت بالحاجة إلى تدوين اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي لحدٍّ مستطاع ، ولهذا الغرض أقدمتُ على كتابة السطور الآتية ، وإنها ليست قائمة بمعتقدات *علماء ديوبند* ، كما أنها ليست دراسةً للمسائل الفرعية الجزئية المتصلة بمذهبهم ، وإنَّما هدفتُ منها إلى الدلالة على المبادئ والكليات لمزاجهم الدينيّ وذوقهم المذهبي ، تلك التي تحتل مكانة الروح في عقائدهم وتوجيهاتهم العلمية ، التي تضع خطاً فاصلاً بينهم وبين من يخالفهم .

وقبل أن ندخل في صميم الموضوع ، يجب أن نضع في الاعتبار أموراً أساسية تُوَطِّئُ للتوصل إلى الغرض ولفهمه ، ولإدراك مبادئه الأساسية .

(١)

الأمر الأول: أن المراد من *علماء ديوبند* في هذه المقالة ، ليست فقط تلك الجماعة التي تقيم في *الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند* ، وتقوم فيها بخدمة التدريس والتعليم أوالإفتاء والقضاء ، أوالتبليغ والوعظ ، أوالتأليف والكتابة ، وما إلى ذلك ، وإنَّما المراد منهم جميع العلماء الذين ينبع فكرهم من فكر الشيخ مجدد الألف الثاني **أحمد بن عبد الأحد السرهندي**، فمن فكر الإمام الشاه ولي الله **أحمد بن عبدالرحيم**

الدهلوي، ويتصل بفكر مؤسسّي جامعة **دارالعلوم ديوبند** :الإمام مولانا **محمد قاسم النانوتوي** والشيخ الفقيه **رشيد أحمد الكنكوهي**، والشيخ مولانا **محمد يعقوب النانوتوي**،وسواءً أكانوا من خريجي جامعة **دارالعلوم ديوبند**، أم من خريجي **مظاهرعلوم** بسهارنفور ، أم خريجي **الجامعة القاسمية مدرسة شاهي، والمدرسة الإمدادية، وحياة العلوم، وجامع الهدى** بمدينة مرادآباد ، أم خريجي **مدرسة الجامع** بأمروهه ، أم خريجي **المدرسة الأمينية، ومدرسة عبد الرب، ومدرسة جامع فتحبوري، ومدرسة كاشف العلوم** في بستي نظام الدين بدهلي، أم خريجي **مدرسة مفتاح العلوم** بمدينة جلال آباد، أم خريجي **مدرسة نور الإسلام**، ومدرسة **دارالعلوم، والمدرسة الإمدادية** بمدينة ميروت ، أم **علماء مدارس مؤ**، أم **علماء الجامعة الرحمانية** بمدينة مونجير، أم **علماء مدارس بيهار**، أم **علماء الجامعة الأشرفية، والمدرسة الحسينية** بمدينة رانديـر، أم **علماء مدارس كجرات** ، أم علماء **مدارس بنغال وآسام** ، **أومآت العلماء في الولايات والمديريات الهندية**، وسواء أكانوا مشتغلين بالتعليم أوعمل الأعمال المدنية والسياسية والاجتماعية، أوكانوا منتشرين في العالم عن طريق الدعوة والتبليغ، أوكانوا منصرفين إلى التأليف، وسواء أكانوا في **أوربا وآسيا أوإفريقيا وأمريكا** ، كل هؤلاء يندمجون في " *علماء ديوبند*" وكلهم "*علماء ديوبند*" في الواقع .

((٢))

انتماء *علماء ديوبند* إلى **ديوبند** ، أوتسميتهم بـــ "**جماعة ديوبند**" ونسبتهم "*الديوبندية*" أو "*القاسمية*" ليست نسبةً وطنيةً أوقوميةً أوطائفيةً ، وإنّما هي نسبة تعليميّةٌ عرفت بمكان التعليم "**ديوبند**" أوشخصية محور الرواية : الإمام **محمد قاسم النانوتوي**، مما يؤكد ويبيّن انتماء الجماعة التعليمي وثقاهة روايتها ودرايتها الفكرية،

ولذلك فهي ليست عنوان فرقة أوطائفة أوحزب ، فلا يجوز أن يفهم هذا الانتماء إلاّ في هذا الإطار ، وأن يوضَعَ في الاعتبار أن **جماعة ديوبند** هي جماعة المشتغلين بالتدريس والتربية، والتوعية والتزكية، والدعوة والتبليغ ، كما يُعرف خريج جامعة علـى كـره بـ "عَلِيْك" وخريج الجامعة الملية الإسلامية بدهلي بـ "جَامِعِي" وخريج "مظـاهر علوم" بسهارنبور بـ "مَظَاهِرِي"،وخريج ندوة العلماء بلكناؤ بـ "نَدْوِي" وخريـج مدرسة الإصلاح بـ "إِصْلاحِي"، وخريج باقيات الصالحات بـ "بَاقْوِي" وكل هؤلاء ليسوا أحزاباً أوفِرَقاً أوطوائف وكذلك فـ *"الديوبندي"* أو *"القاسمي"* لا يشيـف عـن الطائفية أوالحزبية.

((٣))

إنّ *علماء ديوبند* بالنسبة إلى اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي من أهـل السـنة والجماعة تماماً ، وليسوا فرقة جديدة أوجماعة حديثة تحمل معتقدات من نوع جديـد أدت الظروف الراهنة إلى نشوتها ، إن **جماعة ديوبند** هذه سعِدتْ باتخاذ كـلّ مـا كانت تستطيعه للحفاظ على عقائد أهل السنة و الجماعة ، ومبادئها وأصولها في داخل الهند وخارجها ، ولقّنتها الجماهير ، مما ساعد على بقاء أهل السنة والجماعة بهويتهـا الصحيحة ، وقد جعل مؤسسو **جامعة ديوبند** هذه المهمة بصبغتها الأصلية عامة عالمية، عن طريق تلاميذهم وأتباعهم الذين تربوا عليهم مباشرة أو بواسطة.

((٤))

وبما أنَّ فضائل أهل السنة والجماعة ومزاياهم مستقاةٌ من النصوص الشرعية، كما ستعرفون من خلال السطور الآتية ، وبما أن *علماء ديوبند* انتهجوا طريقهم بشكل كامل ، فانعكست عليهم أنوارهم فثبت لهم من خلال تطبيق صفات أهل السنة والجماعة عليهم ، من الفضيلة والمزية ما هوخاص بأهل السنة والجماعة ، وما جاء ذكره في الحديث عنهم ، ولكن إثبات هذه الفضيلة **لجماعة ديوبند** إنّما جاء كبيانٍ للواقع ؛ لأن اتجاهها الديني ومزاجها المذهبي لم يكن ليتضح بدون ذلك ، ولذا فلا يجوز أن يوضع ذلك في إطار الفخر والمباهاة أو العصبية الجماعية، ولا يجوز الظن بأن **"المثني على الشمس راح يثْني على نفسه"** كما يقول المثل الفارسي ، فإنّما صنعنا ذلك كتحديث بالنعمة، وإيضاح للحقيقة، ولم يكن الغرض هوالتفاخر والتعصب أوالإعجاب بالذات .

((٥))

وما عرضناه في هذه المقالة إنّما جاء في إطار الأصول ، وتحدَّثنا عن القضية بشكل موضوعي ، وكميزان فقط ، يمكن أن نزن به أنفسنا نحن ، ويمكن أن تزن به الجماعات الأخرى أنفسها؛ لكي يستطيع كل منا أن يحاسب نفسه ويُقيمها تقييماً صحيحاً ، ولم نضع في الاعتبار في حديثنا هذا شخصيةً بعينها أوجماعة بعينها أوفرقة بعينها ، وما اعترض حديثَنا من كلمة سلبية أوشبه سلبية فإنّما جاء لتحقيق الجانب الإيجابي وإبانته، ولم يجئ للنيل من أحدٍ . على كلٍ فهذه المقالة إنّما وُضعت كميزانٍ مبدئي، فمن وزن به نفسه وجاءت كاملة غير منقوصة، لكان ذلك مكسباً لنا جميعاً

يجدُر بنا أن نشكر عليه ، وإن لم تجئ كاملة ، يجب أن تُبذَل المحاولة للإكمال ، ومن ثَمَّ فلا يجوز أن يُحسَبَ هذا الحديث ضد جماعة أوفرقة أوإساءة إليه لأن ضمير الكاتب خالٍ عن ذلك، وكفى بالله شهيدا .

((٦))

وفي مبادئ التربية والإعداد النفسي التي تحدَّثنا عنها في هذا الكتاب ، ركَّزنا على مثل التعليم والتدريس الذي قام به السلف ، باعتباره الآلة الوحيدة لتربية القلب والعقل، وقد صرح الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ بأن الغرض من بعثتهم هوتعليم الدين وتكميل مكارم الأخلاق ، واعتبر القرآن الكريم "التدريس" لازماً للعلماء الربَّانيِّين لكي يكونوا ربَّانيِّين في قوله : ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(١)، ولذلك على هذه الناحية ركَّزنا في هذه المقالة ، ولكن المقالة إذا كانت تتبنى "التدريس"، فإنها لا تتبنى "المدرسة" ، فلووُجِد هناك شخصٌ تلقَّى التعليم والتربية على "طريقة التدريس المنزلية" على شيخ في الأسرة على عالم رباني وبالشروط التي ذكرناها في هذه الرسالة، وتخرَّج عالما ضليعا ثقة ، فانه سيُعدُّ ثقة وإن لم يتعلم في "مدرسة" ولوليومٍ واحد.

ولكنه بما أن أداء هذه الفريضة إنَّما يتم في هذه الأيام عن طريق المدارس الدينية، حيث خلت البيوتات من النظام التعليمي – المتبع لديها في الماضي – في الأغلب ، فعاد " التدريس " و" المدرسة " شيئاً واحداً ، وبالتالي أصبح أمراً طبيعياً ومألوفاً أن يقال بوجوب المدارس الدينية وأن يُعد تعليمُها وتدريسُها محكا لقياس الشخصيات.

---

(١) سورة آل عمران :٧٩

((٧))

وكما أنّ الإسلام هوأعدل الأديان في العالم بالقياس إلى روايته ودرايته وأصوله وفروعه ، وكما أن الشريعة الإسلامية هي أعدل الشرائع بين شرائع الأديان بالنسبة إلى مسائلها الأصولية والفروعية، كذلك مذهب أهل السنة والجماعة بالنسبة إلى أساسه أعدل المذاهب بين المذاهب الشرعية الإسلامية ، وأتباع هذا المذهب ، سواءٌ أكانوا أحنافاً أوشوافع أومالكين أو حنابلة ، على اختلاف أصول تفقّهِهم ، من أهل السنة والجماعة ، حيث يمتازون بعدم الغلو والمبالغة ، واللاإفراط واللاتفريط ، ولا يوجد فيهم تشدد أوتقصير ، وإنّما يوجد فيهم كمال العدل والاعتدال ، ويتصلون في أصولهم وفروعهم، وكلياتهم وجزئياتهم بالكتاب والسنة، ويصح أن يوصفوا بـ " أمة وسط" وهم يشكلون حجة فيما بين جميع المذاهب .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١)-(٢).

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣

(٢) مجلة الداعي : السنة ١٩ العدد ٦ ص ١٢-١٤ والعدد ٧ ص ١١-١٢

مجمل
عقيدة علماء ديوبند

في السطور الآتية ، نصّ رسالة في العقيدة للإمام الدهلوي أحمد ابن عبد الرحيم المعروف بـ **ولي الله الدهلوي** - الذي هو السند المستند، العُمدة الحجة ، ينتمي إليه - خاصة من علماء الهند الأعلام - **علماء ديوبند**، وتنتهي إليه سلسلتهم ، لاعلمية فحسب ، بل الفكرية والعملية والتربوية ، وهم الذين حملوا راية الحركة العملية والإصلاحية، التي قام بها ذلك الإمام الهمام القمقام - بعد أخلافه الذين مكثوا ببلدته ، وعكفوا بمدرسته - فعقيدتهم عقيدته ، ومنهجهم منهجه ، فلذا أحببت أن أذكر نص هذه الرسالة هنا في بداية بيان مذهبهم ؛ ليكون دليلا واضحا على مجمل معتقدهم وما يدينون به في باب التوحيد وغيره. (١)

(١) هذه الرسالة للإمام الدهلوي عُرفت بـ **"العقيدة الحسنة"**، وقد شرحها شيخنا المفسِّر العلامة محمد أويس النجرامي النَدْوي - صاحب التفسير القيّم - بعنوان: **"العقيدة السنية"**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه أجمعين .

أمّا بعد - فيقول الفقير إلى رحمة الله الكريم أحمد المدعو بولي الله ابن عبدالرحيم أحسن الله تعالى إليهما :

أشهدُ الله تعالى ومن حضر من الملائكة والجنّ والإنس أني أعتقد من صميم قلبي:

أن للعالم صانعاً، قديماً، لم يزل ولا يزال، واجباً وجوده، ممتنعًا عدمُه، وهو الكبير المتعال ، متصفاً بجميع صفات الكمال ، مُنزّها عن جميع سمات النقص والزوال.

وهو خالق لجميع المخلوقات، عالم لجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات، مُريدٌ لجميع الكائنات.

حيٌ سميع ، بصير ، لاشبه له، ولاضدَّله ولا نِدّله ، ولا مثل له ، ولا شريك له في وجوب الوجود ، ولا في استحقاق العبادة ولا في الخلق والتدبير .

فلا يَستحق العبادة - أي أقصى غاية التعظيم - إلاّ هو، ولا يَشْفِي مريضاً، ولايرزق رزقاً ، ولا يكشف ضُرًّا إلاّهو، بمعنى أن يقول لشيء : كن ، فيكون - لابمعنى السبب العادي الظاهري كما يقال: شفى الطبيب المريض، ورَزق الأمير الجُندَ، فهذا غيره وإن اشتبه في اللفظ.

ولا ظهير له ، ولا يحل في غيره ، ولا يتحد بغيره ، ولا يقوم بذاته حادثٌ فليس في ذاته ولا صفاته حدوث ، وإنّما الحدوث في تعلق الصفات بمتعلقاتها حتى يظهر الأفعال، وحقيقته أن التعلق أيضاً ليس بحادث ولكن الحادث هوالمتعلق فيظهر أحكام التعلق متفاوتةً لتفاوت المتعلقات، وهوبريءٌ من الحدوث والتجدد من جميع الوجوه.

ليس بجوهر ، ولا عرضٍ ، ولا جسم ، ولا في حيّز ، ولاجهةٍ ، ولا يشار إليه بهنا وهناك، ولا يصح عليه الحركة والانتقال والتبديل في ذاته ولا في صفاته.

وهوفوق العرش كما وصف نفسه ، ولكن لا بمعنى التحيُّز والجهة ، بل لا يعلم كنه هذا التفوق والاستواء إلاّ هو والراسخون في العلم ممن أتاه الله من لدنه علماً.

هومرئيٌّ للمؤمنين يوم القيامة بوجهين:

أحدهما: أن ينكشف عليهم انكشافاً بليغاً أكثر من التصديق به عقلاً ، فكأنه رؤية بالبصر، إلاّ أنه من غير محاذاة ومقابلة وجهةٍ ولونٍ وشكلٍ ، وهذا الوجه قال به المعتزلة وغيرهم، وهوحقٌ، وإنما خطأهم في تأويلهم الرؤية بهذا المعنى ، أوحصرهم الرؤية في هذا المعنى .

وثانيهما أن يتمثل لهم بصور كثيرة كما هومذكور في السنّة فيرونه بأبصارهم بالشكل واللون والمواجهة، كما يقع في المنام كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال :"رأيت ربي في أحسن صورة "، فيرونه هناك عيانًا كما يرون في الدنيا مناماً.

وهذان الوجهان، نفهمهما ونعتقدهما ، وإن كان الله ورسوله أراد بالرؤية غيرهما فنحن آمنا بمراد الله تعالى ورسوله وإن لم نعلمْ بعينه ذلك.

ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فالكفر والمعاصي بخَلقه وإرادته لا برضاه،

وهوغنيٌّ لا يحتاج إلى شيء في ذاته وصفاته.

ولا يجب عليه شيء بإيجاب غيره ، نعم ، قد يعد شيئا فيَفي بالوعد كما ورد فهوضامن على الله.

وجميع أفعاله يتضمن الحكمةَ ، والمصلحة الكلية على ما يعلم ، ولا يجب عليه اللطف الجزئي الخاص ، أوالأصلح الخاص ، ولا قبيح منه ، ولا يُنسب في ما يفعل أويحكم إلى جور وظلم ، يُراعي الحكمة فيما خلق وأمر ، لا أنه يستكمل نفسه وصفاتَه بشيء ، وأن يكون له حاجة وغرض فإن ذلك ضعف وقبح .

لاحاكم سواه فليس للعقل حكمٌ في حسن الأشياء وقبحها ، وكون الفعل سبباً للثواب والعقاب ، وإنما حسن الأشياء وقبحها بقضاء الله تعالى وحُكمه وتكليفه

للناس ، فمنها ما يُدرِك العقلُ وجهَه ومصلحتَه ومناسبتَه للثواب والعقاب ، ومنها مالا يدرَكُ إلاّ بإخبار الرسل عن الله تعالى.

وكل صفة من صفاته واحدة بالذات ، غير متناهية بحسب التعلق والتجدد وإنّما هو في المتعلّق بالمعنى المذكور.

ولله تعالى ملائكة علويّون مقرّبون ، وملائكةٌ هم موكّلون على كتابة الأعمال، وحفظ العبد عن المهالك ، والدعوة إلى الخير ، ويلمُّون بالعبد لمة الخير، ولكل واحد مقام معلوم ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومن خَلْق الله تعالى الشياطين لهم لَمّةُ شرٍّ بابن آدم .

والقرآن كلام الله ، أوحى الله به إلى نبينا محمد ﷺ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [١] فهذه حقيقة الوحي .

ولا يجوز الإلحاد في أسماء الله وصفاته ، فيتوقف الإطلاق على الشرع .

والمعاد الجسماني بحشر الأجساد ، وتُعاد فيها الأرواح ، وتكون الأبدان تلك التي كانت شرعاً وعُرفاً، وإن طالت أوقصرت ،كما ورد أن ضرس الكافر مثل... الخ، أوكانت ألطف منها كما ورد في صفة أهل الجنة ، وذلك كما أن الصبي هوالذي يشِبُّ ويَشيبُ ، وإن تبدلت الأجزاء فيه ألف مرة.

والمجازاة ، والحساب ، والصراط ، والميزان حقٌّ ، والجنة حقٌّ ، والنار حقٌّ، وهما مخلوقتان اليوم .

---

(١) سورة الشورى :٥١

ولا يخلَّد المسلم صاحب الكبيرة في النار وهى التي قال الله تعالى ﴿*إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نُكفّر عنكم سيئاتكم*﴾ (١)يعني بالصلاة والكفارات .

والعفوعن الكبائر جائز غير أنّ أفعال الله تعالى في الدنيا والآخرة على وجهين، موافقةٌ لسنة الله تعالى، وكائنة على سبيل خرق العوائد، وعفو الكبائر عمن مات بلا توبة جائزمن باب خرق العوائد، وهذا وجه التطبيق بين النصوص المتعارضة باديَ الرأي.

والشفاعة حقٌ لمن أذن له الرحمن ، وشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته حق، وهومُشفَّعٌ ، وحيث وقع نفي الشفاعة فالمراد منها الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ورضائه.

وعذاب القبر للفاسق ، وتنعيمه لمؤمن حقٌ ، وسوال المنْكر والنكير حق .

وبعثة الرسل إلى الخلق حق ، وتكليف الله عباده بالأمر والنهي على ألسنة الرسل حق ، وهم متميّزون بأمور لا توجد في غيرهم على سبيل الاجتماع، تدل على كونهم أنبياء ، منها خرق العوائد لهم ، ومنها سلامة فطرتهم ، وكمالُ أخلاقهم وغير ذلك.

والأنبياء معصومون من الكفر وتعمد الكبائر والإصرار عليها ، يعصمهم الله تعالى عنها بوجوه ثلاثة :

أحدها: أن يخلقهم في سلامة الفطرة وكمال اعتدال الأخلاق ، فلا يرغبون في المعاصي ، بل يكونون متنفرين عنها .

وثانيها: أن يوحى إليهم أن المعاصي يعاقب عليها ، والطاعات يثاب عليها، فيكون ذلك رادعاً عن المعاصي .

---

(١) سورة النساء : ٣١

والثالث: أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي بإحداث لطيفة غيبية كظهور صورة يعقوب عليه السلام عاضاً على أصبعه في قصة يوسف عليه السلام .

ومحمد ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، ودعوته عامة لجميع الإنس والجن وهوأفضل الأنبياء بهذه الخاصة وبخواص أخرى نحوهذه .

وكرامات الأولياء - وهم المؤمنون العارفون بالله تعالى وصفاته ، المحسنون في إيمانهم- حقّ يكرم الله بها من يشاء ويختص برحمته من يريد .

ونشهد بالجنة والخير للعشرة المبشّرة ، وفاطمة وخديجة وعائشة والحسن والحسين ، ونوقرهم ونعترف بعظم محلّهم في الإسلام وكذلك أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم.

وأبوبكر الصديق إمام حق بعد رسول الله ﷺ ، ثم عمر ، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم- ثم تمّت الخلافة - وبعدها ملك عضوض .

وأبوبكر رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ثم عمررضي الله عنه ، ولا نعني الأفضلية من جميع الوجوه حتى تعم النسب والشجاعة والقوة والعلم وأمثالها - بل هي بمعنى عظم نفعه في الإسلام ، فأمير الأمة النبي ﷺ ووزيراه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، باعتبار الهمة البالغة في إشاعة الحق ، فإن للنبي ﷺ وجهين: وجه يأخذ عن الله تعالى، ووجه يُعطي الخلق ، ولهما في الإعطاء للخلق تأليفا للناس وجمعالهم ، وتدبيرا للحرب ، يدّ طولى .

ونكف ألسنتنا عن ذكر الصحابة إلاّ بخير وهم أمتنا وقادتنا في الدين وسبهم حرام، وتعظيمهم واجب .

ولانكفّرُ أحداً من أهل السنة إلاّ بما فيه نفي الصانع القادر المختار ، أوعبادة غير الله أوإنكار المعاد والنبي وسائر ضروريات الدين .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ بشرط أن لايؤدي إلى الفتنة وأن يظن قبوله.

فهذه عقيدتي أدين الله بها – ظاهراً وباطناً (١).

والقدر خيره، وشرّه من الله قد شمل علمه الأزليُّ الذاتيُّ كلما وُجد أوسيوجد من الحوادث، وهوالذي يوجب الحوادث قبل وجودها.

ولا يسقط التكليف عن أحدٍ مهما بلغ من الولاية والمجاهدة والجهاد، ولا يزال مكلّفا بالفرائض، ولا يحلُّ له شيءٌ من المحرمات والمعاصي، مادام صحيح الحواس واعياً.

والنبوة أفضل من الولاية إطلاقاً ولا يبلغ أحدٌ من الأولياء وإن كان أعظمهم درجةً صحابيٌ، وإن لم يكن من كبار الصحابة، وفضل الصحابة على الأولياء بكثرة الثواب وعظم القبول لا بكثرة العمل.

وأهل السنة يرون عدالة الصحابة ولايعتقدون عصمتهم، ويُمسكون عما شجر بينهم.

ونؤمن بجميع الرسل والأنبياء، والكتب المنزلة عليهم، ولانفرق بين أحدٍ من رسله، والإيمان هوالإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

وأفعال العباد هوخلق الله، وكسب من العباد، ونؤمن بأشراط الساعة كما جاءت في الحديث، ونرى الجمعة (أي الاجتماع) حقّاً وثواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً. (٢)

---

(١) **العقيدة السنية للإمام ولي الله الدهلوي**

(٢) هذه الزيادة زادها الشيخ أبوالحسن على الحسني النّدْوي – وهومن **علماء ديوبند** انتماءً واستفادةً من ***دارالعلوم*** – في كتابه (العقيدة والعبادة والسلوك) أخذاً من كتب العقائد وعلم التوحيد لبعض كبار علماء السنة (راجع الكتاب) ص ٧٧-٨٣، وهي زيادة غير مستنكرة من الجماعة

أهل السنة والجماعة

ومعنى ما أنا عليه وأصحابي

في رأي علماء ديوبند

قد قرّر النبي ﷺ في هذا الحديث (أي حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة) أن المعيار لمعرفة الحق والباطل من هذه الفرق الثلاث والسبعين مجموعُ أمرين، بيّنهما بكلمة "**ما**" وبكلمة "**أنا وأصحابي**" .

إن كلمة "**ما** " إشارة إلى الطريقة النبوية ، والدستورالنبوي ، والأسوة النبوية التي كانت عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وظاهرٌ أنّ هذه الطريقة والأسوة هي التي سُمّيت بالسنة، والتي سلك عليها هو بنفسه وبأصحابه فخرج من كلمة "**ما**" عنوان "**السنة**" الذي هوالجزء الأول من لقب الفرقة الحقة .

وأمّا كلمة "**أنا وأصحابي**" - فظاهر أن مصداقه إنّما هي الذوات القدسية وفي مقدمة هذه الذوات(وأوائل هذه السلسلة) ذات النبي ﷺ وذوات أصحابه القدسية، وفي القرون ما بعدهم - هي ذوات التابعين وأتباعهم والائمة المجتهدين ، والفقهاء المحترمين، والعلماء الراسخين ، والمشايخ المحقين .

فليس معنى كلمة "**أنا وأصحابي**" إلاَّ "**الجماعة**" الذي هو الجزء الثاني من لقب هذه الفرقة والملة ومجموع الجزئين هو" **أهل السنة والجماعة** " (١).

ويقول الشيخ أشرف على التهانوي :

"**ما أنا عليه وأصحابي**" – فكلمة "**ما**" يدخل تحتها نوعان من الأمور .

الأول: **فعلي** وهوما كان عليه تعامل النبي ﷺ وأصحابه .

والآخر: **قولي**: وهوما لم يثبت عليه عمله ، لكنه أذن به صراحةً، أوهوداخل تحت كلية بشرط أن لايوجد دليل شرعي على حرمته(٢).

ويقول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري :

وطريق معرفة "**ما أناعليه وأصحابي**" : توارث السلف وتعاملُهم وإذا اختلفوا في شيءٍ فالحق إلى الطرفين.(٣)

---

(١) من كلمة الشيخ محمد طيب القاسمي في كتاب "علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي"

(٢) أنفاس عيسى : ص ٣٦٥

(٣)العرف الشذى ٩٢/٢

الفرقة الناجية ومعتقداتها

كما حررها – أحد أعلام علماء ديوبند

إن الشيخ أشرف على التهانوي في كتاب "**تذييل شرح العقائد في أهواء أهل المفاسد**" يقول – بعد أن ذكر معتقدات الفرق الباطلة بنوع تفصيل:

"**الفرقة الناجية**"

المستثناة الذين قال النبي ﷺ فيهم : "**هم ما أنا عليه وأصحابي**" وهم الأشاعرة، والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة .

ومذهبهم خالٍ عن بدع هؤلاء ، وقد أجمعوا على حدوث العالم خلافاً لبعض الغلاة القائلين بقدمه، ووجود الباري خلافاً للباطنية حيث قالوا: لاموجود ولا معدوم. وأنه لاخالق سواه خلافاً للقدرية . وأنه قديم متصف بالعلم والقدرة وسائر صفاته خلافاً للمعتزلة ونُفاة الصفات . ولا شبيه له خلافاً للمشبّهة . ولا ضدَّ له ولاندَّ خلافاً للحابطية حيث أثبتوا إلهين .

ولا يحُل في شيء خلافاً لبعض الغلاة ، ولا يقوم بذاته حادث خلافاً للكرامية . وليس في حيّزٍ ولا جهة، ولا يصلح عليه الحركة والانتقال ، ولا الجهل ولا الكذب، ولا شيء من صفات النقص ، خلافاً لمن جوزها عليه كما تقدم .

مرئيٌّ للمؤمنين في الآخرة بلا انطباع ولا شعاع ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، غنيٌّ لا يحتاج في شيء إلى شيء ولا يجب عليه ، إن أثاب فبفضله ، وإن عاقب فبِعَدْلِه ، لا غرض لفعله .

لا حاكم سواه ، لايوصف فيما يفعل ويحكم بجورٍ ولاظلمٍ وهوغير متبعِّضٍ، ولا له حد ولا نهاية ، ولا زيادة ولا نقصان.

والمعاد الجسماني حق ، وكذا المجازاة والمحاسبة والصراط والميزان والجنة والنار والشفاعة حقٌّ .

وبعثة الرسول ﷺ بالمعجزات حقٌّ ، والإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ﷺ، والأفضلية بهذا الترتيب .

ولانكفّرُ أحداً من أهل القبلة إلاَّ بما فيه نفي الصانع القادر العالم ، أوشركٌ أوإنكار النبوة ، أوإنكار ما عُلِم بمجيئه عليه الصلاة والسلام به، وأمَّا ما عدا ه فالقائل به مبتدع، غير كافر[1] أقول : لما كان المذكور من معتقد أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية حسب تحرير الشيخ - فلا محالة ولا شبهة أنه من معتقد هذه الجماعة لأنهم من أهل السنة والجماعة تماماً ، وقد تقدَّم ، فهذا كالخلاصة لما سبق - أومثل المتن له، والمتقدم شرحٌ له يشتمل عليه من نوع تفصيل في المسائل المذكورة.

---

(١) التلخيصا ت العشر تذييل شرح العقائد ص ٦٤ و١٦٥

أهم الكتب

التي تعبر عن معتقدات علماء ديوبند

لعلَّ من أشهر الكتب - وأهمها وأمثلها - التي يحق لها أن تُعَدَّ نموذجاً صحيحاً وترجماناً حقيقياً عن معتقدات *علماء ديوبند* كتابان؛ وذلك لأنَّ تأليفهما جاء على هذا الأساس فهذه ميزة يمتازان بها .

الأول كتاب "**المهنّد على المُفنّد**" ألَّفه الشيخ خليل أحمد السهارنفوري صاحب بذل المجهود في شرح أبي داود، وشرحه هذا وشهرته تغنينا عن تعريف الشيخ، والكتاب مجموعة أسئلة مع أجوبتها ، والأسئلة وُجّهت إلى *علماء ديوبند* من علماء بلاد العرب حينما أثار أهل البدع من الهند فتنة التكفير خلاف هذه الجماعة فأجاب عنها الشيخ ، ثم نظر فيه العلماء البارزون من الجماعة وكانوا من أوائل المتخرجين من دارالعلوم وهم أربعة وعشرون من مدارس شتى، فوقَّعوا عليها بعد النظر تصديقاً وتصويباً، وهكذا صار الكتاب مجمَعاً عليه منهم في محتوياته ، ومعبّراً وترجماناً عن أفكارهم واتجاهاتهم ، ثم أرسلوا الكتاب إلى علماء البلاد العربية من الحجاز مكة والمدينة ، ومصر والشام ، من مختلف المذاهب فاستحسنوه وكتبوا عليه تقاريظ وتصديقات ، منهم الشيخ أحمد البرزنجي الشافعي ،والشيخ علي المالكي، والشيخ أحمد

ابن محمد خير الشنقيطي، والشيخ سليم البشري شيخ الأزهر حينذاك، والشيخ محمد أبوالخير من سلالة ابن عابدين الشامي ونحوهم ، والكتاب مطبوع متداول مع التقاريظ المذكورة.

والكتاب الثاني: كتاب الشيخ محمد طيب - رئيس جامعة **دارالعلوم ديوبند** الأسبق *"عقائد علماء ديوبند"*، - ومع الأسف أنه بالأردية- وله كتاب آخر مبسوط -بالنسبة إلى الأول- في الموضوع، وقد تمت ترجمته بعون الله تعالى وفضله إلى العربية ونُشرت - في عدة حلقات- في مجلة الداعي الصادرة من **دارالعلوم ديوبند**.

ثم بعد ذلك كثير من مؤلفاتهم في مختلف العلوم والفنون، والحجم والأسلوب، لا سيما ما ألّفوه وكتبوه في التفسير وفي شرح أمهات كتب الحديث، وكذا ما ألّفوه في أحكام الدين ومسائله عموماً، أوفي الكلام والتوحيد والمعتقدات خصوصاً.

باب

مسائل الإيمان

باب

مسائل الإيمان

- حقيقة الإيمان
- زيادة الإيمان ونقصه
- شعب الإيمان
- مسألة أنا مؤمن إن شاء الله

الإيمان
حقيقته وأجزاؤه

قال العلامة المحدث الشيخ شبير **أحمد العثماني** في بداية كتاب الإيمان من كتابه "**فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**" :

وللإسلام والإيمان حكمان ، أُخرويٌّ ودنيويٌّ ، أمَّا الأخرويُّ فهوالإخراج من النار ومنع التخليد، إذ قال رسول الله ﷺ : "**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**".

وقد اختلفوا في أنَّ هذا الحكم على ماذا يترتب ؟ وعبروا عنه بـ " **أن الإيمان ماذاهو؟**"

الإيمان ماذا هو؟

فمن قائلٍ: إنه مجرد العقد. ومن قائل يقول: إنه عقد بالقلب، وشهادة باللسان. ومن قائلٍ يزيد ثالثاً: وهوالعمل بالأركان ، ونحن نكشف الغطاءَ عنه ونقول : من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف أن مستقرَّه الجنةُ ، وهذه درجة .

والدرجة الثانية: أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهوالقول والعقد وبعض الأعمال، ولكن ارتكب صاحبه كبيرةً أوبعض الكبائر، فعند هذا قالت المعتزلة : خرج بهذا عن الإيمان ، و لم يدخل في الكفر ، بل اسمه فاسق ، وهوعلى منزلة بين المنزلتين وهومخلّدٌ في النار ، وقالت الخوارج : إنه خرج من الإيمان ودخل في الكفر فصار مخلَّدا في النار كسائر الكفار .

قال الحافظ ابن تيمية : مما ينبغي أن يعرف أنّ القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلةَ عليه أحدٌ من أهل السنة، هوالقول بتخليد أهل الكبائر في النار فإن هذا القول من البدع المشهورة ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحدٌ ممّن في قلبه مثقال ذرّة من إيمان، واتفقوا أيضاً على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته .

ومن بدع الخوارج تكفيرهم للمسلم بالذنب ، وسلب المعتزلة له اسم الإيمان فهوعندهم ليس بمسلم ولا كافر، كما تقدّم ، وكل هذه بدع قبيحة مخالفة للصحابة والتابعين ولأئمة السلف من أهل السنة والجماعة، والحق ما عند أهل الحق أنه مؤمن ناقص الإيمان فهومؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق من الإيمان ، ولا يسلب مطلق الاسم .

العمل جزء من الإيمان أم لا ؟

الدرجة الثالثة: أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان ، دون الأعمال بالجوارح ، وقد اختلفوا في حكمه فقال **أبوطالب المكي** : العمل بالجوارح من الإيمان، ولا يتم دونه ، وادّعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى ﴿*إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات*﴾[١] إذ هذا يدل على أنّ العمل وراء الإيمان لامن نفس الإيمان ، وإلاّ فيكون العمل في حكم المعاد ، والعجب أنه ادّعى الإجماع في هذا وهومع ذلك ينقل قوله ﷺ: **"لا يُكفر أحدٌ إلاّ بعد جحود ما أقرّ به"**، وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر ، والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له: من صدّق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هوفي الجنة ؟

---

(١) سورة الكهف: ١٠٧

فلا بد أن يقول : نعم . وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فنزيد ونقول : لوبقي حيّاً حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات، أوزنى ثم مات، فهل يخلّد في النار ؟ فإن قال : نعم . فهومراد المعتزلة ، وإن قال : لا بل يدخل الجنة أولاً أوثانياً، كما في حديث أبي ذر :"**وإن زنى وإن سرق**" مع أن النبي ﷺ أخبر في الأحاديث الصحيحة بأنّه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون، وإلاّ نفس مسلمة، فهوتصريح بأن العمل ليس ركناً من نفس الإيمان، ولا شرطاً في وجوده، ولا في استحقاق الجنة به ، وإن قال : أردت أن يعيش مدة طويلة ، ولا يصلي ولا يقوم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول: فما ضبط تلك المدة ؟ وما عدد تلك الطاعة التي بتركها يبطل الإيمان ؟ وماعدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الإيمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ، ولم يصر إليه صائر أصلاً.

واستدل العلامة العيني على عدم دخول الأعمال في نفس الإيمان بأمور، منها:

الوجه الأول: أن الخطاب الذي توجّه علينا بلفظ ﴿ *آمنوا بالله* ﴾ إنما هوبلسان العرب، ولم تكن العرب تعرف من لفظ الإيمان فيه إلاّ التصديق ، والنقل عن التصديق لم يثبت فيه، إذ لوثبت لنُقل إلينا تواتراً، واشتهر المعنى المنقول إليه ، لتوفُّر الدواعي على نقله ومعرفة ذلك المعنى ، لأنّه من أكثر الألفاظ دوراً على ألسنة المسلمين فلمّا لم يُنقل كذلك عرفنا أنه باق على معنى التصديق .

الوجه الثاني: الآيات الدالة على أن محل الإيمان هوالقلب مثل قوله تعالى : ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ **من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ (٢)، ويؤيده قوله ﷺ لأسامة حين قتل من قال لا إله إلاّ الله، واعتذر بأنّه لم يقل عن اعتقاد بل عن خوف القتل:"**هلا شققت عن قلبه**".

---

(١)سورة المجادلة: ٢٢

(٢) سورة المائدة : ٤١

فإن قلت: لا يلزم من كون محل الإيمان هوالقلب ،كون الإيمان عبارة عن التصديق ؛ لجواز كونه عبارة عن المعرفة كما ذهب إليه جهم بن صفوان قلت: لاسبيل إلى كونه عبارة عن المعرفة لوجهين:

الأول: أنّ لفظ الإيمان في خطاب آمنوا بالله مستعمل في لسان العرب في التصديق ، وأنه غير منقول عنه إلى معنى آخر ، فلوكان عبارة عن المعرفة للزم صرفه عما يفهم منه عند العرب إلى غيره من غير قرينة، وذلك باطل ، وإلاّ لجاز مثله في سائر الألفاظ وفيه إبطال اللغات، ولزوم تطرق الخلل إلى الدلائل السمعية، وارتفاع الوثوق عليها وهذا خلف.

الثاني: أنّ أهل الكتاب وفرعون كانوا عارفين بنبوة محمد وموسى عليهما السلام، و لم يكونوا مؤمنين لعدم التصديق، فتعيّن كونه عبارة عن التصديق إذ لا قائل بثالث.

الوجه الثالث: إنّ الكفر ضد الإيمان ، ولهذا استعمل في مقابلته قال الله تعالى : ﴿*فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله*﴾(١) والكفر هوالتكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب، فكذا مايضادهما ، إذ لاتضاد عند تغاير المحلين فثبت أن الإيمان فعل القلب، وأنه عبارة عن التصديق، لأنّ ضد التكذيب التصديق .

الوجه الرابع: أنه عطف العمل الصالح على الإيمان في قوله تعالى: ﴿*إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا*﴾(٢) وقوله : ﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾ الآية(٣)، وقوله : ﴿*إنما يعمر مساجد الله*﴾ الآية(٤)، فهذه كلها تدل على خروجه عنه إذ لودخل فيه يلزم من عطفه عليه التكرار من غير فائدة .

---

(١)(سورة البقرة)٢٥٦

(٢)(سورة الكهف) ١٠٧

(٣)(سورة البقرة) ٢

. *الوجه الخامس:* مقارنته بضد العمل الصالح كما في قوله تعالى ﴿ *وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا* ﴾الآية (١)، ووجه دلالته على المطلوب أنه لا يجوز مقارنة الشـــيء بضد جزئه وقد ترجم له البخاري في صحيحه فقال : بـــاب ﴿ *وإن طائفتـــان مـــن المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما* ﴾ فسماهم المؤمنين ، فنبّه على أنّ اسم المؤمن لا يزول بارتكاب بعض الذنوب.

الوجه السادس : قوله تعالى ﴿ *الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمـــانهم بظلـــم* ﴾(٢) أي لم يخلطوه بارتكاب المحرّمات ، ولو كانت الطاعة داخلةً في الإيمان لكان الظلم منفيًا عن الإيمان لأنّ ضد جزء الشيء يكون منفيًا عنه، وإلاّ يلزم اجتماع الضدّين فيكـــون عطف الاجتناب منها عليه تكراراً بلا فائدة .

ومنها أنّه تعالى جعل الإيمان شرطاً لصحة العمل قال الله تعالى ﴿**وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾ (٣)، وقال الله تعالى ﴿ *فمن يعمل من الصالحات وهومؤمن*﴾(٤)، وشرط الشيء يكون خارجاعن ماهيته، والآيات التي فيها ﴿ *وهومؤمن* ﴾ في سورة النساء (٥) وسورة بني إسرائيل (٦) وسورة طه (٧)وســـورة النحل(٨)، وفي سورة طه أيضاً ﴿ *من يأته مؤمنا قد عمل الصالحات* ﴾ (٩).

---

(٤)(سورة التوبة) ١٨

(١)(سورة الحجرات) ٩

(٢)(سورة الأنعام) ٨٢

(٣)(سورة الأنفال)١

(٤)(سورة الأنبياء) ٩٤

(٥)(سورة النساء) ١٢٤

(٦)(سورة بني إسرائيل) ١٩

(٧)(سورة طه) ١١٢

(٨) سورة النحل: ٩٧

الوجه السابع: أنه تعالى خاطب عباده باسم الإيمان ثم كلّفهم بالأعمال كما في آيات الصوم والصلاة والوضوء، وذلك يدل على خروج العمل من مفهوم الإيمـــان، وإلاّ يلزم التكليف بتحصيل الحاصل.

. *الوجه الثامن:* أنّ النبي ﷺ اقتصر عند سؤال جبريل عليه السلام عـــن الإيمـــان بذكر التصديق حيث قال: "**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمـــن بالبعث**"، - ثم قال في آخره : "**هذا جبريل جاء يعلّم الناس دينهم**"، ولوكان الإيمان اسماً للتصديق مع شيء آخر كان النبي ﷺ -والعياذ بالله - مقصراً في الجواب وكـــان جبريل عليه السلام آتياً لِيُلْبِسَ عليهم أمر دينهم لا ليعلمهم إياه.

الوجه التاسع : أنّه تعالى أمر المؤمنين بالتوبة في قوله تعالى ﴿ *يايها الذين آمنـــوا توبوا إلى الله توبة نصوحا* ﴾ (١)، وقوله تعالى ﴿ *توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون* ﴾(٢) وهذا يدل على صحة اجتماع الإيمان مع المعصية لأنّ التوبة لا تكون إلاّ من المعصيـــة، والشيء لا يجتمع مع ضدّ جزئه .

ويدل على أنّ الإيمان هوالتصديق القلبي مع الإقرار مع قطع النظر عن العمل، ما رُوِي عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال: يارسول الله ! إنّ علـــيّ رقبـــة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها ، فقال لها رسول الله ﷺ : "**أتشهدين أن لا إله إلاّ الله ؟**" قالت : نعم . قال: "**أتشهدين أني رسول الله ؟**"، قالت: نعم . قـــال: "**أتؤمنين بالبعث بعدالموت ؟**" قالت : نعم . قال: "**أعتقها**" . رواه أحمـــد ورجالـــه رجال الصحيح .

= (١) سورة طه: ٧٥

(١) سورة التحريم: ٨

(٢) (سورة النور) ٣١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية فقال : يارسول الله إن عليَّ رقبة مؤمنة . فقال لها رسول الله ﷺ " أين الله ؟" فأشارت برأسها إلى السماء بأصبعها السبّابة. فقال لها : "من أنا ؟" فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء – أي أنت رسول الله ، قال : "**أعتقها**". رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه أنّه قال لها : "**من ربُّك ؟**" فأشارت برأسها إلى السماء فقالت: الله. ورجاله موثقون .

وفي بعض طرق حديث جبريل بعد قوله عليه الصلاة والسلام :" **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والقدر خيره وشرّه وحلوه ومرّه من الله تعالى**"- فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟. قال:"**نعم**" . قال : **صدقت**. رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

وفي حديث أبي الدرداء قال : رسول الله ﷺ :" **خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة...** " الحديث، رواه الطبراني في الكبير وإسناده جيد .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : "**بحسب امرئ من الإيمان أن يقول:** "**رضيت بالله ربّا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا**" رواه الطبراني في الأوسط.

قال الغزالي : فإن قلت : فقد مال الاختيار إلى أنّ الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم : الإيمان عقدٌ وقولٌ وعملٌ فما معناه ؟ قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين وغيره : المشهور عن السلف وأهل الحديث أنّ الإيمان قول وعمل ونية ، وأنّ الأعمال كلها داخلة في مسمّى الإيمان. وحكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين – ومن بعدهم ممن أدركهم – على ذلك، قال الحافظ ابن رجب : أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديدًا ، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا مُحْدَثا ، سعيد بن جبير ،

وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني ، والنخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم، وقال الثوري: وهورأي محدثٌ، أدركنا الناس على غيره ، وقال الإمام الأوزاعي: كان من مضى من السلف لايفرّقون بين الإيمان والعمل ، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، ذكره الإمام البخاري في صحيحه .

قلنا : لايبعد أن يعدّ العمل من الإيمان؛ لأنه مكملٌ له ومتممٌ ،كما يقال : الرأس واليدان من الإنسان ، ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس ، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد، وكذلك يقال : التسبيحات والتكبيرات من الصلاة، وإن كانت لا تبطل بفقدها، فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان ، إذ ينعدم بعدمه ، وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض . وقد قال ﷺ : "لا يزني الزاني حين يزني وهومؤمن ". والصحابة لم يعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ، ولكن معناه غير مؤمن حقّا إيمانا تامًا كاملاً، كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية. اهـ

قال البخاري في صحيحه: "وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي : أنّ للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان .قال الحافظ : فالمراد أنها من المكملات؛ لأنّ الشارع أطلق على مكمّلات الإيمان إيماناً." اهـ

قلت : وبهذا يتضح مراد ما قاله السلف رحمهم الله كما نقلناه قريباً .

قال الإمام ولي الله الدهلوي في "حجة الله البالغة " : وللإيمان شعب كثيرةٌ ومثله كمثل الشجرة يقال للدوحة والأغصان والأوراق والثمار والأزهار جميعا ، أنها شجرة فإذا قُطع أغصانُها، وخبط أوراقها، وخرف ثمارُها، قيل شجرة ناقصة، فإذا قُلعت

الدوحة بطل الأصل، وهوقوله تعالى :﴿ *إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم*﴾ الآية (١) . ولما لم يكن جميع تلك الأشياء على حدٍّ واحد جعلها النبي ﷺ على مرتبتين، منها الأركان التي هي عمدة أجزائها وهوقوله ﷺ : " **بُنِيَ الإسلام على خمس ، شهادة أن لاإله إلاالله...**" الحديث . ومنها سائر الشعب وهوقوله ﷺ : "**الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**".اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : **كان مقصودهم الردّ على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا بل هوقول وعملٌ .**

قلت : وهكذا ينبغي أن يفهم أنّ القائلين بعدم جزئية الأعمال أيضاً لم يقصدوا موافقة المرجئة –خذلهم الله – بل إنّما أرادوا الردّ على إثبات الجزئية التي زعمتها الخوارج والمعتزلة بحيث يستلزم فوات الجزء فوات الكل رأساً فيصير الموحّد المصدّق بكل ما جاء به الرسول مسلوب الإيمان عندهم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر .

وقال الحافظ ابن تيمية – أيضاً– : إنّ الهيئة الاجتماعية ... لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، يعني كبدن الإنسان إذا ذهب منه إصبع أويد أورجل ونحوه لم يخرج عن كونه إنسانا بالاتفاق ، وإنّما يقال له : إنسان ناقص . والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون : إن الذنب يقدح في كمال الإيمان، ولهذا نفى الشارع الإيمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم ، فذلك المجموع الذي هوالإيمان، لم يبق مجموعاً مع الذنوب، لكن يقولون: بقي بعضه إمّا أصله ، وإمّا أكثره، وأمّا غيرذلك فيعود الكلام إلى أنّه يذهب بعضه ويبقى بعضه.

---

(١) سورة الأنفال:٢

.....فعلم أنّ النزاع بين القائلين بجزئية الأعمال من الإيمان وبين منكريها من أهل السنة والجماعة قريب من النزاع اللفظي، فأراد هؤلاء كمال الإيمان وقالوا بجزئية العمل للإيمان الكامل الذي به يحصل الدخول الأوّليُّ في الجنة، أوالإيمان الأكمل الذي يصل به المؤمن درجة السابقين المقربين. وهؤلاء أرادوا نفس الإيمان الموقوف عليه النجاة من التخليد الدائم بمعنى لولاه لامتنعت، وأنكروا الجزئية، أويقال : إن التصديق والأعمال أجزاء عرفية للإيمان بحيث لايلزم من فوات بعض الأجزاء فوات الكل، كاليد والرجل والرأس من الإنسان، على ما أشار إليه الغزالي. وعند الفريق الثاني الأعمال ليست من أجزاء الإيمان بل هي فروع ثابتة من أصل الإيمان الذي هوالتصديق والانقياد القلبي كما أشار إليه الشيخ ولي الله الدهلوي .

فنسبة الأعمال إلى الإيمان عندنا ليست نسبة الجزء إلى الكل بل نسبة الفرع إلى الأصل أونسبة البدن إلى الروح المدبر له ، فالبدن الخالي عن الروح شبه لا شيء، والروح الإنساني المجرّد عن البدن أيضاً قاصر عن بعض أعماله المطلوبة منه، وهكذا العمل من دون الإيمان لا يعتد به أصلاً عند الشارع ، والإيمان بدون العمل يُعتبر به في درجة ما . وهذا كلّه من قبيل اختلاف الأنظار لامن اختلاف الثمرات فالبيت واحد عند الكل والأبواب كثيرة يدخل السنّيّ من أيها شاء ......

وأمّا النزاع بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف المعتزلة والخوارج والمرجئة فهوحقيقي لا محيص عنه إلاّ بإبطال آرائهم الفاسدة الشنيعة ، وقد أبطلها علماؤنا المتكلمون ، ولله الحمد – فمنهم من توجّه للرد على المرجئة، فاهتمّ ببيان جزئية الأعمال ، ومنهم من اشتدت عنايته بالرد على المعتزلة والخوارج فبالغ في نفي الجزئية، وكلاهما بحمد الله على رشد وخير.

الإقرار باللسان شرطٌ للإيمان أم لا؟

الدرجة الرابعة: أن يوجد التصديق بالقلب - قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال- ومات، فهل يقال : مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى ؟ وهذا مما اختُلف فيه.

قال بعضهم : الإقرار باللسان شرطٌ للإيمان في حق إجراء الأحكام فقط حتى أنَّ من صدَّق الرسول ﷺ في جميع ما جاء به من عند الله تعالى فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى ، وإن لم يقرّ بلسانه .

وقال حافظ الدين النسفي : هوالمرويُّ عن أبي حنيفة ، وإليه ذهب الأشعري في أصح الروايتين . وهوقول أبي منصور الماتريدي .

وقال **بعضهم** : هوركن الإيمان لكنه ليس بأصليٍّ له ، كالتصديق بل هوركن زائد، ولهذا يسقط حالة الإكراه والعجز ، وقال **فخر الإسلام : إنَّ كونه ركنا زائداً مذهب الفقهاء ، وكونه شرطاً لإجراء الأحكام مذهب المتكلمين .**

وذكر **ابن الهمام** أنَّ أهل القول الأول اتفقوا على أنَّه يلزم أن يعتقدوا أنه متى طلب منه الإقرار أتى به ، فإن طولب و لم يُقرّ فهو كفر وعناد ، فمن شَرَطَ القولَ لتمام الإيمان يقول : هذا مات قبل الإيمان ، وهوفاسد ، إذ قال ﷺ : " **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان** " وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد في النار ، و لم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلاَّ التصديق بالله تعالى وملائكته واليوم الآخر كما سبق .

الدرجة الخامسة: أن يصدق بالقلب ويُسلّم ويُساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعَلِم وجوبها ولكنه لم ينطق بها (و لم يجحدبها) فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ، ونقول : هومؤمن غير مخلَّد في النار، والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان ، فلابد أن يكون الإيمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان، وهذا هوالأظهر إذ لامستند إلاَّ اتباع موجب الألفاظ، ووضع اللسان أن الإيمان هوعبارة عن التصديق بالقلب ، وقد قال ﷺ : " **يخرج من**

النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من إيمان " ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب .

وقال القائلون : القول ركنٌ إذ ليست كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر ، وابتداء شهادة والتزام ، والأول أظهر، وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا : هذا لا يدخل النار أصلاً . وقالوا : إنّ المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنُبطل ذلك عليهم.

حكم المعرفة والاستيقان مع الجحود والكتمان في باب الكفر والإيمان :

أمّا العلم والمعرفة والاستيقان مع الجحود والكتمان فليس من الإيمان في شيء؛

قال السفاريني في شرح عقيدته:

وكذلك من قام بقلبه علمٌ وتصديق وهويجحد الرسول وما جاء به ويعاديه كاليهود وغيرهم ممن سمّاهم الله كفاراً و لم يسمهم مؤمنين قط ، ولادخلوا في شيء من أحكام الإيمان، فهم كفار خلافاً للجهمية في زعمهم أنّهم إذا كان العلم في قلوبهم فهم مؤمنون كامل الإيمان حتى قالوا : إنّ إيمانهم كإيمان النبيين والصديقين. وفي الآيات القرآنية -مما يردُّ هذا - ما لا يُحصى إلاّ بكلفة كقوله : ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً**﴾ الآية[1] ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ [2] ﴿**لما جاءهم ما عرفوا كفروا به**﴾ [3] وقوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام خطاباً لفرعون ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلاّ رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً**﴾.[4]

---

[1](سورة النمل) ١٤

[2](سورة البقرة) ١٤٦

[3](سورة البقرة) ٨٩

[4](سورة الإسراء)١٠٢

قال الحافظ ابن تيمية : والأصل الثاني الذي غلطوا فيه ظنّهم أنّ كل من حكم الشارع بأنّه كافر مخلّد في النار ، فإنّما ذاك لأنّه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق ، وهذا أمر خالفوا فيه الحسّ والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار. فإن الإنسان قد يعرف الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه أولطلب علوه عليه ، أوبهوى النفس ، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهوفي قلبه يعلم أن الحق معه، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون ، لكن الحسد وإرادة العلو والرياسة وحبّهم لماهُم عليه ، وإلفهم لما ارتكبوا، أوجب لهم التكذيب والمعاداة لهم. وجميع من كذب الرسل لم يأت بحجة صحيحة تقدح في صدقهم ، وإنّما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح عليه السلام : ﴿ ***أنؤمن لك واتبعك الأرذلون*** ﴾[١] وقول فرعون : ﴿ ***أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون*** ﴾[٢] وقوله لموسى ﴿ ***ألم نربّك فينا وليدا*** ﴾ الآيتين [٣]، وقول مشركي العرب لنبينا محمد ﷺ : ﴿ ***إن نتبع الهدى معك نُتخطّف من أرضنا*** ﴾[٤]، قال الله تعالى راداً عليهم ﴿ ***أولم نمكن لهم حرمًا آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء*** ﴾[٥]بل أبوطالب وغيره مع محبتهم للنبي ﷺ، ومحبتهم لعلو كلمته من عدم حسدهم له وعلمهم بصدقه وإقرارهم به ، حملهم إلفهم لدين قومهم ، وكراهتهم لفراقه ،وذمّ قريش لهم على عدم اتباعه على دينه القديم وهديه المستقيم ، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم ، بل لهوى الأنفس، فكيف يقال مع هذا أنّ كل كافر إنّما كفر لعدم علمه بالله .اهـ

---

[١](سورة الشعراء) ١١١
[٢](سورة المؤمنون) ٤٧
[٣](سورة الشعراء) ١٨
[٤](سورة القصص) ٥٧
[٥](سورة القصص) ٥٧

وعلى هذا فالكفر أنواع: كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر عناد ، وكفر نفاق ، يعني إن كان التكذيب أي عدم التسليم، بالقلب وباللسان جميعاً فهوالأول ، وإن كان باللسان فقط مع حصول المعرفة والاستيقان بالقلب ، فهو الثاني ، وإن كان مع حصول المعرفة والإقرار باللسان لمحض العناد فهوالثالث، وإن كان بالقلب فقط مع التسليم والانقياد باللسان فهوالرابع .

حكم من أقرّ باللسان ولم يصدّق بالجنان .

الدرجة السادسة: أن يقول بلسانه: لا إله إلاّ الله محمدرسول الله، ولكن لم يصدّق بقلبه فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار، وأنه مخلّد في النار، ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين ؛ لأنّ قلبه لا يُطّلع عليه، وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوٍ عليه في قلبه .

وإنّما نشك في أمر ثالث ، وهوالحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ، ثم يستفتي ويقول : كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت ، والميراث الآن في يدي ، فهل يحلّ لي بيني وبين الله تعالى ، أوينكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر .

فيحتمل أن يقال : أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً ، ويحتمل أن يقال: تناط بالظاهر في حق غيره لأنّ باطنه غير ظاهر لغيره ، وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى، والأظهر - والعلم عند الله تعالى - أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح، ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين ، وكان عمر رضي الله عنه يراعي ذلك منه ، فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة .(١)

(انتهى كلام الغزالي بحذف وزيادة)

---

(١)(فتح الملهم) ١/١٥٢-١٥٨ - بحذف واختصار وتقديم وتاخير وراجع (فيض الباري) ١/٤٦-٥٩

زيادة الإيمان ونقصه

قال الشيخ شبير أحمد العثماني :

ظاهر الكتاب والسنة – وهومذهب الأشاعرة والمعتزلة ، والمحكي عن الشـافعي وكثير من العلماء – أن الإيمان يزيد وينقص ، وعند أبي حنيفة وأصحابه وكثير مـن العلماء – وهواختيار إمام الحرمين– انه لا يزيد ولا ينقص ، لأنّه اسم للتصديق البـالغ حدّ الجزم والإذعان، ولايتصورفيه الزيادة والنقصان، والمصدّق إذا ضمّ الطاعات إليه أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغير أصلاً، وإنّما يتفاوت، إذا كان اسماًللطاعـات المتفاوتة، قلة وكثرة،ولهذا قال الإمام الرازي وغيره: إنّ هذا الخلاف فرع تفسيرالإيمان.

فإن قلنا : هوالتصديق فلا يتفاوت ، وإن قلنا : هوالأعمال ، فمتفاوت ، ثم قال في وجه التوفيق بين القولين: إنّ ما يدل على أن الإيمان لا يتفاوت مصروف إلى أصله وما يدل على أنه يتفاوت مصروفٌ إلى الكامل منه .اهـ

وقال شارح الحاجبية : الإيمان قد يطلق على ما هوالأساس في النجـاة وعلـى الكامل المنجي بلا خوف اهـ. وبخطّ بعض المحصلين قال العلامـة الشـمس محمـد البكري: حيث أطلق أصحابنا أنّ الإيمان لايزيد ولاينقص فمرادهـم القـدر الـذي هوالأصل في النجاة ومن قال : يزيد وينقص ، أراد به الكامل .

قلت : وهوحسنٌ لكن ما أعجبني تسمية القسم الأخـير بالكـامل ، فإنّـه يستدعي أن يكون مقابله ناقصاً ، وهو وإن كان صحيحا في نفس الأمرلكن التعبير غيرحسن، والأولى أن يعبّر عنه بالإيمان الشرعي ، كما وقـع في عبـارات بعـض

المحقّقين وكونه يزيد وينقص ، قوة وضعفاً ، إجمالاً وتفصيلاً ، وتعداداً بحسب تعداد المؤمن به، هوقول المحققين من الأشاعرة، وارتضاه النووي وعزاه السعد التفتازاني في شرح العقائد لبعض المحققين، وقال في المواقف إنه الحق ....

وقال أبومحمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري في كتابه " الفصل" :

" التصديق بالشيء ، أي شيء كان ، لا يمكن البتة أن يقع فيه زيادة ولا نقص، وكذلك التصديق بالتوحيد والنبوة لايمكن البتة أن يكون فيه زيادة ونقص ، لأنّه لايخلو كل معتقد بقلبه أومقرٌ بلسانه بأي شيء أقرّ، أو أي شيء اعتقد ، من أحد ثلاثة أوجه، لارابع لها ، إمّا أن يصدّق بما اعتقد وأقرّ، وإمّا ان يكذّب به ، وإمّا منزلة بينهما وهي الشك ، فمن المحال أن يكون إنسان مكذّباً بما يصدّق به . ومن المحال أن يشك أحدٌ فيما يصدّق فلم يبق إلاّ أنه مصدّق بما اعتقد بلا شك .ولا يجوز أن يكون تصديق واحد أكثر من تصديق آخر ، لأنَّ أحدَ التصديقين إذا دخلته داخلة فبالضرورة يدري كل ذى حسٌ سليم أنه قد خرج عن التصديق ولابد، وحصل في الشك لأنَّ معنى التصديق إنّما هوأن يقطع ويوقن بصحة وجود ما صدق به ، ولاسبيل إلى التفاضل في هذه الصفة ، فإن لم يقطع ، ولا أيقن بصحته فقدشك فيه فليس مصدقاً به، وإذا لم يكن مصدقًا به فليس مؤمنا به، فصح أن الزيادة التي ذكرالله عزوجل في الإيمان ليست في التصديق أصلا ولا في الاعتقاد البتة ، فهي ضرورة في غير التصديق وليس ههنا إلاّ الأعمال فقط .

قال العبد الضعيف – عفا الله عنه – ملتقطاً من بعض كلمات الشيخ أنور الكشميري – إنَّ الإيمان الشرعي هو التزام طاعة النبي ﷺ في كل شيء ، وقبول كل ماجاء به. وهذا أمر واحد ينسحب على الشريعة بأسرها بحسب المؤمن به لا يزيد ولا ينقص ، أي لا يتصوّر الإيمان الشرعي بتسليم بعض ما جاء به دون بعض كما

نبّه عليه في قوله تعالى : ﴿ *أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض* ﴾[١] وقوله: ﴿ *ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض* ﴾ [٢]، نعم يتفاوت بحسب الإجمال والتفصيل، وهذا معنى قول الإمام أبي حنيفة : آمنوا بالجملة ، ثم بالتفصيل، كما حكى عنه الكردري في مناقبه، وهذا لا يستلزم نفي الزيادة ولا النقصان من وجوه غير ذلك الوجه الذي أشرنا إليه . قال الكردري : ويجوز أن يراد بالزيادة (في بعض الآيات والأحاديث) الزيادة في نور الإيمان، فإنّه ما من عمل إلاّ وله نور قال تعالى :﴿ *أفمن شرح الله صدره للإسلام فهوعلى نور من ربّه* ﴾[٣]، وقال :﴿ *أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس* ﴾[٤]، وشرح الصدر عبارة عن التوفيق ومنح الألطاف فضلاً منه تعالى. وكلمة "من" عامة تناول كل مؤمن فلا يجوز قصره على عليٍّ وعمار رضي الله عنهما، فذلك النور يقبل الزيادة والنقصان في الدارين

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: فإن قلت : قد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعصية، فإذا كان التصديق هوالإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان .

. فأقول: السلف هم الشهود العدول، ما لأحدٍ عن قولهم عدول، فما ذكروه حقٌ، وإنّما الشأن في فهمه ، وفيه دليل على أنّ العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به ، والزائد موجود ، والناقص موجود ، والشيء لايزيد بذاته، فلا يجوز أن يقال : الإنسان يزيد برأسه ، بل يقال : يزيد بلحيته وسِمَته ،

---

[١](سورة البقرة) ٨٥

[٢] سورة النساء :١٥٠

[٣] سورة الزمر: ٢٢

[٤] سورة الأنعام:١٢٢

ولايجوز أن يقال : الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن ، فهذا تصريح بأنّ الإيمان له وجود ، ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان .

فإن قلت : فالإشكال قائم في أنّ التصديق كيف يزيد وينقص، وهوخصلة واحدة . فأقول : إذا تركنا المداهنة ، ولم نكترث بتشغيب من تشغّب ، وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال، فنقول : الإيمان اسم مشترك ، يطلق من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه يُطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدرٍ ، وهوإيمان العوام، بل إيمان الخلق كلهم إلاّ الخواص، وهذا الاعتقاد عُقدة على القلب، تارةً تشتد وتقوى، وتارة تضعف وتسترْخى كالعقدة على الخيط مثلاً ، ولا تستبعد هذا ، واعتبِرْه باليهودي وصلابته في عقيدته التي لايمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير، ولا تنجيل ووعظ ، ولا تحقيق وبرهان، وكذلك النصراني والمبتدعة، وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام، ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أوتخويف، مع أنه غير شاكٍّ في عقده كالأول، ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً، والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته، كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار، ولذلك قال تعالى: ﴿فزادتهم ايمانا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم﴾ [٢] ، وذلك بتأثير الطاعات في القلب ، وهذا لايدركه إلاّ من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة ، والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور ، وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء من يريد حلّه بالتشكيك – بل من يعتقد في اليتيم معنى

---

[١](سورة التوبة) ١٢٤

[٢](سورة الفتح) ٤

الرحمة وتضاعُفَها بسبب العمل، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أوساجداً لغيره أحس من قلبه التواضع عند إقدامه على الخدمة .

وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها ، فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق. ولهذا **قال عليٌّ كرم الله وجهه** : إنَّ الإيمان ليبدو لمعة بيضاء ، فإذا عمل العبد بالصالحات نَمَتْ فزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة، فإذا انتُهِك الحرمات نمت وزادت حتى يسودَّ القلب كله فيُطْبع عليه فذلك هوالختم، وتلا قوله تعالى: ﴿*كلا بل ران على قلوبهم*﴾ الآية (١)...

ويروى بوجه آخر قال : إنَّ الإيمان يبدو لُمْظة (وهومثل النكتة من البياض كما في النهاية) بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيضَّ القلب كلُّه . وإنَّ النفاق يبدولُمظة سوداء، فكلما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسودَّ القلب كله، وأيم الله لوشققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ، ولوشققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود .

قال السيوطي في الجامع الكبير: هكذا أخرجه ابن مبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف وأبوعبيد في الغريب ، ورُسته في الإيمان ، والبيهقي واللالكائي في السنة والأصبهاني في الحجة .

وقال شيخ الإسلام : والآثار في هذا كثيرة جداً، رواها المصنفون في هذا الباب فآثار الصحابة والتابعين في كتب كثيرة ، والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات.

---

(١)(سورة المطففين) ١٤

وقال العلامة المحقق ابن خلدون في مقدمة تاريخه:

ثم إنّ المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هوتصديق حكمي فإنّ ذلك من حديث النفس ، وإنّما الكمال فيه حصول صفة منه ، تتكيف بها النفس كما أنّ المطلوب من الأعمال والعبادات أيضاً حصول ملكة الطاعة والانقياد، وتفريغ القلب عن شواغل ماسوى المعبود، حتى ينقلب المريد السابق ربّانياً ، والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرقُ ما بين القول والاتصاف .

وشرحه أنّ كثيرا من الناس يعلم أن رحمة اليتيم والمسكين قربة إلى الله تعالى مندوب إليها ، ويقول بذلك ويعترف به ، ويذكر مأخذه من الشريعة ، وهو لورأى يتيماً أومسكيناً من أبناء المستضعفين لفرّ عنه واستنكف أن يباشره ، فضلاً من التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة ، فهذا إنّما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ، و لم يحصل له مقام الحال والاتصاف.

ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بأنّ رحمة المسكين قربة إلى الله تعالى مقام آخر أعلى من الأول، وهوالاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها، فمتى رأى يتيماً أو مسكيناً بادر إليه - ومسح عليه ، والتمس الثواب في الشفقة عليه، لايكاد يصبر عن ذلك، ولودُفع عنه ، ثم يتصدق عليه بماحضره من ذات يده. وكذا علمك بالتوحيد مع اتصافك به، والعلم الحاصل عن الاتصاف ضرورة ، وهوأوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف، وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مراراً غيرمنحصرة ، فترسخ الملكة ، ويحصل الاتصاف والتحقيق ، ويجيء العلم الثاني النافع في الآخرة ، فإن العلم الأول المجرّد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم أكثر النظّار ، والمطلوب إنّما هوالعلم الحالي الناشئ عن العادة .

واعلم أنّ الكمال عند الشارع في كل ما كلّف به ، إنّما هو في هذا، فما طلب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف، وماطلب عمله من

العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقق بها. ثم إنّ الإقبال على العبادات والمواظبة عليها هوالمُحَصِّل لهذه الثمرة الشريفة ، قال ﷺ في رأس العبادات : "جُعلت قرّة عيني في الصلوة " فإنّ الصلاة صارت له صفة وحالاً ، يجد فيها منتهى لذاته وقرة عينه ، وأين هذا من صلاة الناس ؟ ومن لهم بها ؟ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . اللهم وفّقنا واهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فقد تبين لك من جميع ما قرّرناه أنّ المطلوب في التكاليف كلّها ، حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراريٌ للنفس هوالتوحيد، وهو العقيدة الإيمانية وهوالذي تحصل به السعادة ، وأنّ ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية ، ويتفهم منه أنّ الإيمان الذي هو أصل التكاليفوينبوعُها، هوبهذه المثابة ذومراتب، أولها التصديق القلبي الموافق للسان، وأعلاهاحصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي ، وما يتبعه من العمل مستولية على القلب ، فيستتبع الجوارح، وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلّها في طاعة ذلك التصديق الإيماني، وهذا أرفع المراتب، وهو الإيمان الكامل الذي لا يقارب المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة ، إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين ، قال ﷺ : "لايزني الزاني حين يزني وهومؤمن".

وفي حديث هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن النبي ﷺ وأحواله فقال في أصحابه: هل يرتد أحدٌ منهم سخطة لدينه ؟ قال: لا، قال: وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشتة القلوب ، ومعناه أنّ ملكة الإيمان إذا استقرت عسُر على النفس مخالفتها شأن الملكات إذا استقرت، فإنّها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة، وهذه من المرتبة العالية من الإيمان، وهي في المرتبة الثانية من العصمة لأنّ العصمة واجبة للأنبياء وجوباً سابقاً،

وهذه حاصلة للمؤمنين حصولاً تابعاً لأعمالهم وتصديقهم، وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الإيمان كالذي يتلى عليك من أقاويل السلف .

وفي تراجم البخاري رحمه الله في باب الإيمان كثير منه ، مثل إنّ الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، وإنّ الصلاة والصيام من الإيمان، وإنّ تطوع رمضان من الإيمان، والحياء من الإيمان ، والمراد بهذا كلّه الإيمان الكامل الذي أشرنا إليه وإلى ملكته وهوفعلي .

وأمّا التصديق الذي هو أول مراتبه فلا تفاوت فيه، فمن اعتبر أوائل الأسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال أئمة المتكلمين، ومن اعتبر أواخرالأسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الإيمان الكامل ظهر له التفاوت، وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الأولى التي هي التصديق، إذ التصديق موجود في جميع رتبه ،لأنّه أقل ما يطلق عليه اسم الإيمان، وهوالمخلص من عهدة الكفر والفيصل بين الكافر والمسلم فلايجزئ أقل منه ، وهوفي نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت ، وإنّما التفاوت في الحال الحاصلة عن الأعمال كما قلناه فافهم .

الإطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً ، كما قال ﷺ : **"الإيمان بضع وسبعون بابا "** وكما قال ﷺ : **"لايزني الزاني حين يزني وهومؤمن"** وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه .

الإطلاق الثالث : أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة ، وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة .

لكني أقول : الأمر اليقيني الذي لاشك فيه، تختلف طمأنينة النفس إليه ، فليس طمأنينة النفس إلى أنّ الاثنين أكثرمن الواحد كطمأنينتها إلى أنّ العالم مصنوع حادث، وإن كان لاشك في واحد منهما ، فإنّ اليقينيات تختلف في درجة الإيضاح ودرجة طمأنينة النفس إليها.

قال العلامة الزبيدي الحنفي في شرح الإحياء :

"ومنع الحنفية هذا وقالوا : هوتفاوت بأمور زائدة على نفس اليقين وعليه رُوِيَ قول أبي حنيفة إنّه قال: أقول : إيماني كإيمان جبريل ولاأقول مثل إيمان جبريل، لأنّ المثلية تقتضى المساواة في كل الصفات، والتشبيه لايقتضيه، فلا أحد يسوّي بين إيمان آحاد الناس وإيمان الملائكة والأنبياء، بل يتفاوت بأمور زائدة، وقال : ما يظن من أنّ القطع يتفاوت قوة إنّما هوراجع إلى جلائه وظهوره وانكشافه، فإذا ظهر القطع بحدوث العالم بعد ترتيب مقدّماته المؤدية إليه ، كان الجزم الكائن فيه كالجزم في حكمنا : الواحد نصف الاثنين، وإنّما تفاوتهما باعتبار أنّه إذا لوحظ هذا كان سرعة الجزم فيه ليس كالسُّرعة التي في الآخر، وهوالواحد نصف الاثنين، خصوصاً مع غيبة النظر عن ترتيب مقدمات حدوث العالم عن الذهن ، فيُخيل أن الجزم بأن الواحد نصف الاثنين أقوى . وليس كذلك إنّما هوأجلى عند العقل .

وأمّا قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام :﴿ *ولكن ليطمئن قلبي*﴾ (١) فمثّله ابن الهمام بمن قطع بوجود دمشق ، وما فيها من بساتين وأنهار، فنازعته نفسه في رؤيتها، والابتهاج بمشاهدتها ، فإنّها لا تسكن ولا تطمئن حتى يحصل معناها، وكذا شأنها في كل مطلوب مع العلم بوجود دمشق ، والغرض القطع بثبوته (بقدرالحاجة من مواضع).

وقال الحافظ ابن تيمية: زيادة الإيمان الذي أمر الله به ، والذي يكون من عباده المؤمنين، من وجوه :

(أحدها) الإجمال والتفصيل فيما أمروا، فإنّه وإن وجب على جميع الخلق الإيمان بالله ورسوله، ووجب على كلّ أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملاً، فمعلوم أنه لايجب

---

(١)سورة البقرة : ٢٦٠

في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله ، ولا يجب على كلّ عبد من الإيمان المفصّل ما أخبربه الرسول ما يجب على من بلغه خبره ، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيهما لزمه من الإيمان المفصّل بذلك ما لم يلزم غيره ولوآمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ، ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الإيمان ، وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها ، بل إيمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً ، فإنّ ما وجب عليه من الإيمان أكمل، وما وقع منه أكمل، وقوله تعالى: ﴿*اليوم أكملت لكم دينكم*﴾(١)، أي في التشريع بالأمر والنهي ؛ لأنّ كلّ واحدٍ من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة، وانه فعل ذلك ، بل الناس متفاضلون في الإيمان أعظم تفاضل .

(الثاني) الإجمال والتفصيل في ماوقع منهم فمن طلب علم التفصيل ، وعمل به فإيمانه أكمل ممّن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقرّبه ، و لم يعمل بذلك كله ، وهذا المقر المقصّر في العمل إن اعترف بذنبه، وكان خائفا من عقوبة ربّه على ترك العمل، أكمل إيمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ، ولا عمل بذلك ، ولاهوخائف أن يعاقب، بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول، مع أنّه مقرٌّ بنبوته باطناً وظاهراً ، فكلما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدّقه، وما أمر به فالتزمه ، كان ذلك زيادةً في إيمانه على من لم يحصل له ذلك ، وإن كان معه إقرار عامّ والتزامّ، وكذلك من عرف أسماء الله تعالى ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممّن لم يعرف تلك الأسماء ، بل آمن بها إيماناً مجملاً ، أوعرف بعضها، وكلما ازداد الإنسان معرفةً بأسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان إيمانه أكمل.

---

(١)(سورة المائدة) ٣

(الثالث) إنَّ العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب ، وهذا أمرٌ يشهده كلّ واحد من نفسه كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وإن اشتركوا فيها ، فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض ، وكذلك سماع الصوت ، وشمّ الرائحة الواحدة ، وذوق النوع الواحد من الطعام ، فكذلك معرفة القلب وتصديقه، يتفاضل أعظم من ذلك- من وجوه متعددة - للمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الله تعالى وكلامه، بتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها .

(الرابع) إنَّ التصديق المستلزم لعمل القلب، أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به . وإذا كان شخصان يعلمان أنَّ الله حق، والرسول حقٌ، والجنة حقٌ، والنار حقٌ، وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة، والهرب من النار، والآخر علمه لم يوجب له ذلك، فعلم الأول أكمل، فإنَّ قوة المسبَّب تدل على قوة السبب، وقد نشأت هذه الأمور عن العلم، فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه، والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه، فإذا لم يحصل اللازم دلّ على ضعف الملزوم ، ولهذا قال النبي ﷺ: **"ليس الخبر كالمعاينة"**، فإنَّ موسى عليه السلام لما أخبره ربه أنَّ قومه عبدوا العجل لم يُلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخبَر وإن جزم بصدق المُخبِر فقد لايتصور المخبربه في نفسه كما يتصوره إذا عاينه. بل قد يكون قلبه مشغولاً عن تصور المخبر به وإن كان مُصدّقا به ، ومعلوم أنه عند المعاينة يحصل له من تصوّر المخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق.

(الخامس) أنَّ أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه، ونحوذلك، هي كلها من الإيمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً ظاهراً .

(السادس) الأعمال الظاهرة مع الباطنة، هي أيضاً من الإيمان والناس يتفاضلون فيها.

(السابع) ذكر الإنسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لايكون غافلاً عنه أكمل ممن صدّق به وغفل عنه ، فإنّ الغفلة تنقصه ، وكمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يُكَمِّل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه :إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه ، فتلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا فتلك نقصانه .

(الثامن) قد يكون الإنسان مكذباً ومنكراً لأمور لايعلم أنّ الرسول أخبربها وأمربها، ولوعلم ذلك لم يكذب و لم ينكر، بل قلبه جازم بأنّه لا يخبر إلاّ بصدق ولأيامر إلاّ بحق، ثم يسمع الآية والحديث أويتدبر ذلك ، أويفسر له معناه ، أويظهر له ذلك بوجه من الوجوه ، فيُصدق بما كان مكذباً به ، ويعرف به ما كان منكراً له، وهذا تصديق جديد ، وإيمان جديد ، ازداد به إيمانه ، و لم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً، وهذا وإن أشبه المجمل والمفصل ، لكنّ صاحب المجمل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق شيء من التفاصيل ، وعن معرفة وإنكار شيء من ذلك ، فيأتيه التفصيل بعد الإجمال على قلب سا ذج .

وأمّا كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم من التفصيل وأمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول ﷺ، وهم لا يعرفون أنها تخالف، فإذا عرفوا رجعوا. وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهومؤمن بالرسول ﷺ، أوعمل عملاً أخطأ فيه وهومؤمن بالرسول ﷺ، أوعرف ما قاله وآمن به و لم يعدل عنه هو من هذا الباب. وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب ، فمن علم ماجاء به الرسول ﷺ وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك. ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك فهذه وجوه زيادة الإيمان ونقصه، وقد علمت محمل كلام من أنكرهما والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. [١]

---

[١](فتح الملهم) ١/١٥٨ وما بعد – بحذف و(راجع فيض الباري) ١/ ٥٩ –٦٧ وص ٩٨

الإيمان ذو شعب كثيرة متفاوتة وكذا الكفر

ووجودُ بعضِها أو نفيُه لايستلزم الحكمَ به على الإطلاق

قد جاء في "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" للعلامة المحدث شبير أحمد العثماني تلخيصاً لكلام ابن القيم عليه الرحمة في كتابه (*كتاب الصلاة وأحكام تاركها*):

"معرفة الصواب في هذه المسألة مبنيٌّ على معرفة حقيقة الإيمان والكفر ثم يصح النفي والإثبات بعد ذلك ، فالكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما خلَفَه الآخر، ولما كان الإيمان أصلاً، له شعبٌ متعددة ، وكل شعبة منها تسمى إيماناً فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنّه شعبة من شعب الإيمان ، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لايزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، بينهما شعبٌ متفاوتة تفاوتاً عظيماً، فمنها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذوأصلٍ وشعبٍ ، فكما أنّ شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان وقلة الحياء شعبة من الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلُّها من شعب الكفر كما أنّ الطاعات كلَّها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان : قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية، ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالُها زوالَ الإيمان، فكذلك من شُعَبه الفعليةِ ما يوجب زوالُها زوالَ الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية . فكما يُكفَّر بإتيان كلمة الكفر اختياراً ، وهي شعبة من شعب الكفر ، فكذلك يُكفَّر بفعل شعبةٍ من شُعَبِه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف فهذا أصل.

وههنا أصل آخر وهوأنَّ حقيقة الإيمان مركّبة من قول وعمل ، والقول قسمان: قول القلب وهوالاعتقاد ، وقول اللسان وهوالتكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب وهونيته وإخلاصه، وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ؛ فإن تصديق القلب شرطٌ في اعتقادها وكونها نافعة. **وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع معركة بين المرجئة وأهل السنة ، فأهل السنة مُجْمعون على زوالِ الإيمان وأنّه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهومحبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس، وفرعون وقومَه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل كانوا يُقرّون به سرّاً وجهراً، ويقولون: إنّه ليس بكاذبٍ ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.**

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ، ولاسيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده، الذي هوملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدّم تقريره، فإنّه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب ، إذ لو أطاع القلبُ وانقاد ، أطاعت الجوارحُ وانقادت ، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهوحقيقة الإيمان ، فإنّ الإيمان ليس مجرّد التصديق كما تقدم بيانه، وإنّما هوالتصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهُدى ليس هو مجردِ معرفة الحق وتبيّنه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه ،

وإن سُمّي الأول هدًى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أنّ اعتقاد التصديق وإن سُمّي تصديقاً فليس هو التصديق المستلزم للإيمان، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته.

وههنا أصل آخر: وهو أنّ الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أنّ الرسول جاء به من عند الله –من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه –جحوداً أوعناداً. وهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه.

وأمّا كفر العمل فينقسم إلى ما يُضاد الإيمان وإلى مالا يضادّه، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان. وأمّا الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهومن الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه. فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنصّ رسول الله ﷺ ولكنه كفر عمل لا كفر اعتقاد. ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً ، ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لايأمن جارُه بوائقَه ، وإذا نفي عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل ، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد.

وكذلك قوله ﷺ : "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" فهذا كفر عمل، وكذلك قوله ﷺ: "من أتى كاهناً فصدّقه أوأتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد"، وقوله ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه ياكافر، فقد باء بها أحدهما".

وقد سمّى الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه ، مؤمناً فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(١) فأخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه ، وهذا يدل على تصديقهم به أنّهم لايقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم ، ثم أخبر أنّهم عصوا أمره ، وقتل فريق منهم فريقاً وأخرجوهم من ديارهم، فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب، ثم أخبر أنهم يفدون من أُسر من ذلك الفريق ، وهذا إيمانٌ منهم بما أخذ عليهم في الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق، كافرين بما تركوه منه، فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي ، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي ، وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله - في الحديث الصحيح - "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" ففرّق بين قتاله وسبابه، وجعل أحدهما فسوقا لا يكفّر به ، والآخر كفراً، ومعلوم أنه إنّما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي، وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية والملة بالكلية كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة ، وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل هوقول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما ، فلا تُتلقى هذه المسائل إلاّ عنهم ، فإنّ المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين، فريقا أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان ، فهؤلاء غلوا وهؤلاء جفوا ،

---

(١)(سورة البقرة) ٨٤-٨٥

وهدى الله أهلَ السنة للطريقة المُثلى، والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل، فههنا كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشركٌ دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم .

قال سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١)، ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمرعن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال هو بهم كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال في رواية أخرى عنه : "كفرٌ لاينقل عن الملة" . وقال طاوس: "ليس بكفر ينقل عن الملة". وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء: "كفرٌ دون كفر وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق". وهذا الذي قاله عطاء بيِّنٌ في القرآن لِمَن فهِمَه ، فإن الله سبحانه سمّى الحاكم بغير ما أنزله كافراً، ويُسمي جاحد ما أنزله على رسوله كافراً، وليس الكافران على حد سواء، ويسمي الكافرظالماً كما في قوله تعالى : ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٢)،وسَمَّى متعديَ حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالماً ، فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (٣)، وقال نبيُّه يونس : ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٤)، وقال صفيُّه آدم : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾(٥)، وقال كليمُه موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (٦)، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم .

---

(١) سورة المائدة : ٤٤

(٢) سورة البقرة : ٢٥٤

(٣) سورة الطلاق : ١

(٤) سورة الأنبياء : ٨٧

(٥)(سورة الأعراف)٢٣

ويسمي الكافر فاسقاً كمافي قوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ الآية(١)، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ﴾(٢)، وهذا كثير في القرآن، ويُسمي المؤمن العاصي فاسقاً كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(٣) نزلت في الحكم بن أبي العاص وليس الفاسق كالفاسق . وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) وقال عن إبليس: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (٥) وقال: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ﴾(٦) وليس الفسوق كالفسوق، والكفر كفران، والظلم ظلمان، والفسق فسقان، وكذا الجهل جهلان ، جهل كفرٍ كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٧)، وجهل غير كفرٍ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾(٨)،

---

(١)(سورة القصص) ١٦
(١)(سورة البقرة) ٢٦-٢٧
(٢)(سورة البقرة) ٩٩
(٣)(سورة الحجرات) ٦
(٤) (سورة النور) ٤
(٥)(سورة الكهف) ٥٠
(٦)(سورة البقرة) ١٩٧
(٧)(سورة الأعراف) ١٩٩
(٨)(سورة النساء) ١٧

كذلك الشرك شركان، شرك ينقل عن الملة وهوالشرك الأكبر، وشركٌ لا ينقل عن الملة وهوالشرك الأصغر، وهو شرك العمل كالرياء، وقال تعالى في الشرك الأكبر: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (١)، وقال ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٢)، وفي شرك الرياء ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٣)، ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ : **"من حلف بغير الله فقد أشرك"** رواه أبوداود وغيره ، ومعلوم أنَّ حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ، ولا يوجب له حكم الكفار، ومن هذا قوله ﷺ : **"الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل".**

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل إلى ما هو كفر ينقل عن الملة، وإلى ما لاينقل عنها، *وكذا النفاق نفاقان : نفاق اعتقاد ونفاق عمل*، فنفاق الاعتقاد ، وهوالذي أنكره الله على المنافقين في القرآن ، وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار . ونفاق العمل كقوله ﷺ - في الحديث الصحيح - **"آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان".** وفي الصحيح أيضاً **" أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصًا . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعها، إذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان".** فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية وإن صلّى وصام، وزعم أنه مسلم ،

(١) سورة المائدة : ٧٢
(٢) سورة الحج : ٣١
(٣) سورة الكهف: ١١٠

فإنّ الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال ، فإذا كملت في العبد و لم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهذا لا يكون إلاّمنافقاً خالصاً.

وكلام الإمام أحمد يدلُّ على هذا فإنّ إسماعيل بن سعيد السالح قال: سألت أحمد بن حنبل عن المصرّ على الكبائر يطلبها بجهده إلاّ أنّه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصراً من كانت هذه حاله ؟قال: هو مصرٌ، مثل قوله: " لايزني الزاني حين يزني وهومؤمن"، يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام. ونحوقوله: "لا يشرب الخمر حين يشربها وهومؤمن ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن".ونحوقول ابن عبّاس في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١)، قال إسماعيل: فقلت له: ما هذا الكفر ؟ قال:كفر لاينقل عن الملة مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفرحتى يجئ من ذلك أمرٌ لايختلف فيه.

وههنا أصل آخر وهو أنّ الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان ، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان ، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية. ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنيّة على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة.

قال الله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(٢) فأثبت لهم إيماناً به -سبحانه - مع الشرك، وقال تعالى:

---

(١) سورة المائدة : ٤٤

(٢) يوسف : ١٠٦

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾(١)، فأثبت لهم إسلاماً وطاعةً لله ورسوله مع نفي الإيمان، وهو الإيمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢)، وهؤلاء ليسوا بمنافقين في أصح القولين ، بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله ، وليسوا مؤمنين ، وإن كان معهم جزء من الإيمان أخرجهم من الكفر.

قال الإمام أحمد: من أتى هذه الأربعة أومثلهن أوفوقهن- يريد الزنا والسرقة وشرب الخمر والانتهاب - فهو مسلمٌ ولا أُسَمّيه مؤمناً ، ومن أتى دون ذلك - يريد دون الكبائر- سميته مؤمناً ناقص الإيمان، فقد دل على هذا قوله ﷺ "**من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق**". فدل على أنه يجتمع في الرجل نفاق وإسلام . وكذلك الرياء شرك فإذا رأى الرجل في شيء من عمله اجتمع فيه الشرك والإسلام، وإذا حكم بغير ما أنزل الله ، أوفعل ما سمّاه رسول الله ﷺ كفراً وهوملتزم للإسلام وشرائعه فقد قام به كفرٌ وإسلامٌ ، وقد بيّنا أنّ المعاصي كلها شعب من شعب الكفر كما أنّ الطاعات كلها شعب من شعب الإيمان، فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الإيمان ، وقد يسمّى بتلك الشعبة مؤمناً ، وقد لا يسمى، كما أنه قد يسمى بشعب الكفر كافراً ، وقد لايطلق عليه هذا الاسم.

---

(١)(سورة الحجرات) ١٤

(٢)(سورة الحجرات) ١٥

فههنا أمران ، أمر اسمي لفظيّ وأمر معنويّ حكميّ ، **فالمعنوي**: هل هذه الخصلة كفر ، أم لا ؟ **واللفظي**: هل يسمى- من قامت به هذه الخصلة - كافراً أم لا ؟ فالأمر الأول شرعيّ محضٌ ، والثاني لغويّ وشرعي .

وههنا أصل آخر وهو أنّه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً وإن كان ما قام به إيماناً ، ولامن قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما أنّه لا يلزم من قيام جزءٍ من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً ، ولامن معرفة بعض مسائل الفقه والطب ، أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمتنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيماناً وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً، وقد يطلق عليه الفعل كقوله : **"فمن تركها فقد كفر"**، و**"من حلف بغير الله فقد كفر"**، وقوله: **"من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر ، ومن حلف بغير الله فقد كفر"** رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ.

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم الكافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرّما أنه فعل فسوقاً، وأنه فسق بذلك المحرم ، ولا يلزمه اسم فاسق إلاّ بغلبة ذلك عليه . وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لايسمى مؤمناً، وإن كان معه إيمان ، كما أنّه لا يسمى كافراً وإن كان ما أتى به من خصال الكفر وشُعَبه ، إذ المعاصي كلّها من شعب الكفر، كما أنّ الطاعات كلها من شعب الإيمان، والمقصود أنّ سلب الإيمان عن تارك الصلاة أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر، وسلب اسم الإسلام عنه أولى من سلبه ممن لم يَسلم المسلمون من لسانه ويده، فلا يسمى تارك الصلاة مسلماً ولامؤمناً، وإن كان معه شعبة من شعب الإسلام والإيمان.

نعم يبقى أن يقال : فهل ينفعه ما معه من الإيمان في عدم الخلود في النار؟

فيقال: ينفعه إن لم يكن المتروك شرطاً في صحة الباقي واعتباره، وإن كان المتروك شرطاً في اعتبار الباقي لم ينفعه ، ***ولهذا لم ينفع الإيمان بالله ووحدانيته، وأنّه لا إله إلاّ هو، من أنكر رسالة محمد ﷺ. ولا تنفع الصلاة من صلاها عمداً بغير وضوء،***

فشعب الإيمان قد يتعلق بعضها ببعض تعلق المشروط بشرطه ، وقد لا يكون كذلك، فيبقى النظر في الصلاة هل هي شرط لصحة الإيمان ؟

هذا سرّ المسئلة والأدلة التي ذكرناها وغيرها تدل على أنه لا يقبل من العبد شيء من أعماله إلاّ بفعل الصلاة ، فهي مفتاح ديوانه ورأس مال ربحه ، ومحال بقاء الربح بلا رأس مال، فإذا خسرها خسر أعماله وإن أتى بها صورة ، وقد أشار إلى هذا في قوله : **"وإن ضيعها فهولما سواها أضيع"**. وفي قوله : **"إنّ أول ما ينظر في أعماله الصلاة فإن جازت له نظر في سائر أعماله ، وإن لم تجز له لم يُنظر في شيء من أعماله بعد"**.اهـ

قلت: إلاّ أنّ حديث عبادة رضي الله عنه في "المسند"- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **"خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، من أتى بهن كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذبه وإن شاء غفرله"**.

وحديث عائشة رضي الله عنها في المسند أيضاً قالت: قال رسول الله ﷺ : **"الدواوين عند الله ثلاث، ديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفر الله، فأمّا الديوان الذي لا يغفر الله فالشرك قال الله عزوجل﴿*إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ*﴾(١)، وأمّا الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضا للقصاص"**. لا محالة يدل على بقاء نفس الإيمان المانع من تخليد النار، ولعل المرادَ من عدم قبول شيء من أعمال تارك الصلاة الأعمال القلبية التي تلتحق بالإيمان - لا العمل القلبي مع الإقرار اللساني الذي يسمى إيماناً والله أعلم.(٢)

---

(١)سورة المائدة:٧٢

(٢)(فتح الملهم) ١/٢٤٥-٢٤٨

مسألة

أنا مؤمن إن شاء الله

قال الشيخ **شبير أحمد العثماني** – في "**فتح الملهم**" :

قال الشارح رحمه الله (يريد به الإمام النووي) : اختلف العلماء من السلف وغيرهم في إطلاق الإنسان قوله : "**أنا مؤمن**" ، فقالت طائفة : لايقول أنا مؤمن، مقتصرًا عليه، بل يقول : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى . وحكى هذا المذهب بعضُ أصحابنا عن أكثر أصحابنا المتكلمين، وذهب آخرون إلى جواز الإطلاق ، وأنّه لايقول: إن شاء الله، وهذا هوالمختار، وقول أهل التحقيق. **وذهب الأوزاعي** وغيره إلى جواز الأمرين، والكل صحيح باعتبارات مختلفة فمن أطلق نظر إلى الحال، وأحكام الإيمان جارية عليه في الحال. ومن قال : إن شاء الله. فقالوا فيه إمّا للتبرك ، وإمّا لاعتبار العاقبة، وما قدر الله تعالى، فلايدرى أيثْبت على الإيمان أم يُصرف عنه ، والقول بالتخيير حسنٌ صحيح؛ نظراً إلى مأخذ القولين الأوّلين ورفعاً لحقيقة الخلاف.أهـ

وقد فصل **الغزالي** هذا المبحث في الإحياء كالمباحث السابقة بما لا مزيد عليه، ومن شاء فليراجع . **قال الكمالان ابن الهمام وابن أبي شريف** : لا خلاف بين القائلين بدخول الاستثناء، والمانعين في أنّه لايقال : أنا مؤمن إن شاء الله ، للشك في ثبوت الإيمان حال التكلم بالاستثناء المذكور، وإلاّ كان الإيمان منفياً ؛ لأنّ الشك في ثبوته في الحال كفرٌ ، بل ثبوته في الحال مجزوم به دون شك ، غير أن بقاءه إلى الوفاة عليه –وهو المسمى بإيمان الموافاة الذي يوافى العبد عليه متصفاً به آخرحياته –

غير معلوم له ، ولما كان ذلك هوالمعتبر في النجاة كان هوالملحوظ عند المتكلم بـــه في ربطه بالمشيئة وهوأمر مستقبل ، فالاستثناء منه اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾(١) فلاوجه لوجوب تركه، إلاَّ أنه لمـــا كـــان ظاهر التركيب أمرين ، الإخبار بقيام الإيمان به في الحـــال ، وإنّ الاســـتثناء ينـــاقض الإخبار بقيام الإيمان به في الحال، كان تركه أبعدَ عن التهمة بعدم الجـــزم بالإيمـــان في الحال الذي هو كفر ، فكان تركه واجباً لذلك .

وأمَّا من عُلم قصده بأنَّه إنَّما استثنى تبركاً خوفاً من سوء الخاتمة، فربمـــا تعتـــاد النفس التردّد في الإيمان في الحال لكثرة إشعارها بترددها في ثبوت الإيمان واســـتمراره، وهذه مفسدة ؛ إذ قد تجر إلى وجود التردد آخر الحياة للاعتياد به ، خصوصاً والشيطان مجرِّدٌ نفسه في هلاك ابن آدم ، لاشغل له سواه فيجب حينئذ تركه .أهـ

ولمن جوَّز الاستثناء بل استحسنه ملحظٌ آخر ذكره **الحافظ ابن تيمية** حيث قال: ومذهب أصحاب الحديث، كابن مسعود وأصحابه، والثوري وابن عيينـــة، وأكـــثر علماء الكوفة ، ويحيى ين سعيد القطّان فيما يرويه عن علماء البصرة ، والإمام أحمـــد ابن حنبل وغيره من أئمة السنة، كانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال: إنَّما استثنى لأجل الموافاة وإنَّ الإيمان إنَّما هواسم لمايوافى به ، بـــل صرَّح الأئمة هؤلاء بأنَّ الاستثناء إنَّما هو لأنَّ الإيمان يتضمن فعل جميـــع الواجبـــات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لايشهدون لها بالبرّ والتقوى ، فـــإنَّ ذلـــك ممّـــا لا يعلمونه وهوتزكية لأنفسهم بلا علم.

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** – أيضاً– : وأكثر الناس يقولون بل هو إذا كـــان كافراً فهوعدوالله ، ثم إذا آمن واتّقى صار وليّا لله، فمأخذ سلف الأمة في الاستثناء أنَّ الإيمان المطلق فعل جميع المأمورات وترك جميـــع المحظـــورات، فـــإذا قـــال الرجـــل:

---

(١) سورة الكهف : ٢٣- ٢٤

أنا مؤمن بهذا الاعتبار ، فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كلّ ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله تعالى، وهذا تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لها بما لا يعلم، ولوكانت هذه الشهادة صحيحة لساغ أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذا الحال، ولا أحدَ يسوغ له بذلك، فهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء ، فلكل من المجوزين والمانعين وجهة هو موليها، وربهم أعلم بمن هوأهدى سبيلا .

قال الزبيدي: ولعلمائنا الحنفية في هذا المبحث كلام طويل، تركتُه لما في أكثره من نسبة التكفير والتضليل والتحريم إلى قائله ، فلم أستحسن إيراده ، إذقد أطبق السلف على التكلم به فكيف ينسبون إلى شيء لما ذكر، وهم وسائطنا إلى الله ورسوله ﷺ ، ومن غلوهم وتشديداتهم سمّوهم : مستثنية ، شكية ، وبنوا على ذلك أنّه لايصلى خلف شاكٍ في إيمانه، وأرادوا بذلك هذا الكلام، والله يغفر لقائله ، إنّما صدر من المتأخرين منهم، إذا حقّق البحث معه رجع إلى أمر لفظي، وما أراده به من هذه المسئلة يرجع إلى ما اعتقدوه بمن يقول هذه المقالة وهوبريء ممّا أرادوا به، والأئمة المتقدمون من أصحابنا لم يبلغنا عنهم ذلك، وإمامنا الأعظم رحمه الله وإن كان قد نُقِل عنه الإنكارُ في هذه المقولة لم يُنْقَلْ عنه مثل ما قاله هؤلاء المتأخرون من أصحابه.

ولئن سلمنا قولهم من التكفير والتضليل فكيف يفعلون في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإبراهيم النخعي وعلقمة ، وهؤلاء أصول المذهب، وقد ذهبوا إلى ما ذهب إليه غيرهم من السلف، فالأولى كفّ اللسان عن الكلام في ذلك إلاّ عند الضرورة مع كمال مراعاة الأدب والاحترام للمشايخ القائلين بهذه القولة، وعدم نسبتهم إلى شيء من الضلال والابتداع فضلا عن الكفر، فهذا الخلاف لفظي أومعنويٌّ لا يترتب عليه كفرٌ ولا بدعة ، نعوذ بالله من ذلك ، وبالله التوفيق (١).

---

(١)(فتح الملهم) أواخر المباحث المتعلقة بالإيمان الجلد الأول الصفحة قبل ١٦٠

باب
التوحيد
التوحيد والشرك
الأسماء والصفات
كلام الله تعالى
ومسألة خلق القرآن الكريم
الاستواء على العرش
النزول إلى السماء الدنيا
المعية الإلهية
العلم بالغيب

أجلّ علمٍ أخذ عن الأنبياء

"إن أجلّ علم أخذ عن الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه- معرفة الله تعالى، وعلم ذاته وصفاته، وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء - عليهم السلام - إذ هو علم : ليست له وسائل وآلات، ومعلومات أولية وتجارب عند البشر، ولايتناوله القياس، ولايفيد فيه الذكاء والفطنة ؛ لفقدان أساس القياس، وتعالي الله تعالى عن الأشباه والنظائر ، وسموه وتقدسه وتنزهه عن التشبه والتمثل ، ولبعده عن كل ماعرفه البشر وألفه وجرّبه في عالم الحس والمادة؛ لأنّه ليس حلبة تجري فيها جياد القول، وتتسابق فيها عتاق العلم والتجربة.

وكان أجلّ علم تتوقف عليه سعادة البشر إذ هو الأساس للعقائد والأعمال ، والأخلاق والمدنية ، وهو الذي يعرف به الإنسان نفسه، ويفك لغزة الكون ويكشف عن سرّ الحياة، وبه يعيّن الإنسان مركزه في هذا العالم، وينظّم علاقاته واتصالاته ببني جنسه، ويضع منهاج حياته، ويحدّد غاياته، في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين.

لذلك عظم الاعتناء به في كل أمة وجيل، وفي كل عصر وطبقة، وحرص عليه وأولع به كل جادٍ مخلصٍ ناصحٍ لنفسه، مشفقٍ على حياته ومصيره؛ لأنّ جهله - أو تجاهله - يؤدي إلى الشقاء الذي ليس بعده شقاء، ووقوع في الهاوية التي ليس لها قرار.

العلامة الندوي

في تقديمه لرسالة: العقيدة السنية

التوحيد

قال الإمام الهمام الشيخ *محمد قاسم النانوتوي* مؤسس **"دارالعلوم ديوبند"** وشيخ مشايخها:

أيها السادة استمعوا وبلّغوا الغائبين أنّ وجودنا ليس له ثبات، لم يكن من الأزل، ولا يستمر إلى الأبد، فقد سلف زمانٌ كان كلٌّ منا فيه مستوراً في عالم الغيب، مُختبئاً وراء ستار العدم، وأنّه سيأتي زمان نكون قد هجرنا فيه هذا العالم، وتكون آثارنا قد انطمست، وعلائمنا قد اندرست من صفحة الوجود نهائياً. فزوال وجودنا وانفصاله وعدم خلوده يدل دلالة واضحة ويَنطق نطقا صريحاً بأن وجودنا ليس ذاتياً، وإنّما هومستمدٌّ، مثل حرارة الماء ونور الأرض العارضَين المستمَدّين من حرارة النار ونور الشمس.

ولمّا تقرّر أنّ نور الأرض قد جاءت به الشمس، وحرارة الماء قد فاضت بها النارُ، استلزم ذلك أن يكون وجودنا أيضاً مستفاداً من تلك الذات التى تستقل بوجودها، ولا يكون وجودها مستعاراً ومستفاداً. وأيضا نستنتج من ذلك أن أمر الوجود ينتهي إلى ذلك الموجود الذي جاد علينا بالوجود، وذلك مثل نور الأرض وحرارة الماء تماماً، فكما أن نور الأرض ينتهي أمره إلى الشمس، وحرارة الماء ينتهي أمرها إلى النار، ولا يمكننا أن نقول في هذا العالم - عالم الأسباب - إن هناك شيئاً فوق الشمس استنارت به الأرض، أوشيئاً فوق النار استفاد منه الماءُ الحرارة، فذلك الموجود المستقلّ الذي أفاض علينا الوجود والذي ليس وراءه وجود هوالذي نسمّيه بـ **"الرب"** و **"الخالق"** و **"مالك الملك"**.

وإذا كان وجوده ذاتياً مستقلاً ليس مستفاداً ، ولا مستمداً من الغير، كان ذلك الوجود ملازماً لذاته ملازمة النور للشمس ، وملازمة الحرارة للنـــار ، فكمـا أنـه لا يُمكن أن توجد النار بلاحرارة، وتكون الشمس طالعـــةً دون أن يكـــون النهـــار والضياء، كذلك لا يمكن أن توجد ذات الله تعالى ولا يكون معها الوجود، بـــل إن تصور ذات الله تعالى بغير الوجود أيضاً يكون خطأً ناشئاً عن الجهل، فإنّ ذاته لا يمكن تحقُّقُها ولاتصورها بغير الوجود. إذ الوجود والموجودية هوالذي نسميه: الله، ولهـــذا تكون النسبة بين ذاته ووجوده كالنسبة بين عدد الاثنين والاثنينية التي هي صفة ملازمة للاثنين ، فكما أنّ الاثنينية لاتنفك من عدد الاثنين في حال من الأحوال وفي وقـــت مـــن الأوقات ، لاذهناً ولاخارجاً ، كذلك يستحيل انفكاك وجود الله عزوجل مـــن ذاته تعالى .

وإنّما لا ينفك وجوده من ذاته لأن اثنينية عدد الاثنين ليست كاثنينية معـــدوده (وهومصداق عدد الاثنين) كذلك ليس وجود الله كوجود مخلوقاته . والحاصل أن كلاً من اثنينية المعدودات ووجود المخلوقات، مستعارٌ قابل للزوال والفناء . وأمّا اثنينية عدد الاثنين ووجود الله سبحانه وتعالى فكلٌ منهما ذاتي دائمٌ خالدٌ لا يـــزول ولايفنـــى، ولا يعتريه الانفكاك ولا الانفصال . فالاثنينية تلازم عدد الاثنين، ووجود الله يـــلازم ذاته فلا يفارقه أبداً .

فبما أنّ الله سبحانه وتعالى وجودُه ذاتيٌّ أصليٌّ ، ووجود غيره منحة وعطاء منـــه فمن أجل ذلك يكون الله سبحانه وتعالى أزلياً أبدياً لم يك معدوماً قط، ولن يكـــون معدوماً أبداً. كما يجب لذلك التسليم بأن الله تعالى لا يحتاج إلى أحدفي ذاته، والخلـــق كله محتاج إليه؛ ولهذا تكون جلالته وقدرته أزليةً، ويكون عجز ما سواه من المخلوقات ذاتياً حقيقياً، فوجودنا ليس بمستقل ذاتي ولكنه ظلٌّ وفيض من الله الذي هو مستغنٍ في وجوده الذاتي المستقل عن الجميع، فلنأخذ الآن بالبحث حديث الوحدانية.

وحدة الذات

إنّ موجودات العالم بأسرها تختلف حقائقها ، بعضها عن الأخرى، والوجود الذي يسري فيها سريان الجزء في الكل ، متحدٌ لا اختلاف فيه. وهي (أي الموجودات) في ذلك تشبه تلك المنافذ المتنوعة الأشكال والهيئات التى تضيء منها أشعة النور الساطعة. فكما أن المنافذ تتسم بأمرين أحدهما الأشكال المتنوعة ، والثاني النور الذي تضيء أشعته من بين تلك المنافذ، في حين أن النور نفسه ليس فيه أمران يتقوم بهما. كذلك الموجودات بأسرها لها أمران تتصف بهما ، وهما الحقائق المختلفة والوجود المشترك .

وأمّا الثاني وهوالوجود المشترك فليس فيه أمران يتقوم بهما بل إنه بسيط لاتركيب فيه .

وبعد العلم بأن الوجود بسيط ليس فيه أمران ، نقول عن دليل وبرهان : إن الاثنينية في الموجود الأصلي - أوذاته تعالى - لما لا يستسيغه العقل، وذلك لأنّ الوجود الذي تنشأ الموجودات عن تركيبه مع الحقائق المختلفة ماهوإلامنحة ومُقتبَسة من الموجود الأصلي. فلا بد لصحة بساطة هذا الوجود المُقتَبس من وحدة الموجود الأصلي بالضرورة والبداهة . لأن اثنينية الموجود الأصلي تستلزم اثنينية الوجود استلزام اثنينية المقتبس منه (التي تقتضي المغايرة فيما تصدق عليه من الفردين) لاثنينية المقتبس لأنّ الشيء المتوحّد البسيط لا يُقتبس من شيئين متغايرين أومتضادين ، كالحرارة مثلاً لا يمكن استخراجها من شيءٍ حارٍّ وغير حارٍّ ، وكذلك لا تُستْخرج البرودة من شيء بارد وغير بارد، فكما أنّ المصدر الأصلي للحرارة والبرودة لا مجال فيه لوجود تلك الاثنينية التى تخالف وحدة الحرارة والبرودة وبساطتها، كذلك لا يمكن اقتباس ذلك الوجود المشترك من مصدرين متغايرين، وهما الموجود الأصلي والموجود الغير الأصلي؛

لأنّه يناهض بساطة ذلك الوجود المشترك ووحدته ، فلا مُسوّغ ولا مُبرّر للقول باثنينية الموجود الأصلي التي تتنافى مع الوحدة والبساطة لوجوده .

والقول بأنّ الوجود بسيط ليس فيه تركيب يدعمه أيضاً أنّ كل مركب من المركبات ينتهي بجزء ليس فيه تركيب ، كذلك الحال في كل كائن من الكائنات، ينتهي بالوجود ، فالوجود آخر جزء لكل كائن من الكائنات ليس من الممكن أن يكون بعده جزءٌ وهوليس مما فيه تركيب. فيلزم لا محالة أن الوجود المشترك بسيط غير مركب .

وبهذا البحث المقتضب تبينت الوحدة لذات الله سبحانه وتعالى متأكدة، وثبت عقليًا أنّها بسيطة بريئة من أي تركيب وتأليف .

وحدانية الذات

الدليل الأوّل : لا يخفى على أحد أنّ المكان الذي يشغله وجود أحدنا أو وجود كائنٍ من الكائنات لايسمح لوجود غيره بالحلول فيه. فإذا كان شأن وجودنا أن لايسمح لغيره بالحلول في المكان الذي يشغله على ضعفه ومهانته، فكيف يُتوهم أن يسمح وجود الموجود الأصلي القوى للآخر بالنزول والحلول في مكان إحاطته ؟ ومن البين المعلوم أيضاً أنّ دائرة الوجود المكتسب أوسع الدوائر كلها إحاطة ، سواء كانت دائرة الإنسانية أم دائرة الحيوانية ، أم دائرة الجسمية ، أم دائرة الجوهرية . فمن أجل ذلك نقول عن كلٍ من الإنسان والحيوان والجسم والجوهر إنه موجود في حين أن عكسه لا يجوز إذ لا يصح أن نقول إن كل فرد من الموجودات إنسان أوحيوان ، أوجسمٌ أوجوهر ، فهذا يدل دلالة واضحة على أنّ دائرة الوجود كبرى الدوائر كلّها إحاطةً وشمولاً . فهي فوق سائر الدوائر ، وليس وراءه شيء يشمل الوجود وغير الوجود .

ومن ذلك يجب علينا أن نعرف أنَّ الوجود الكونيَّ الضعيف إذا كان في المنافحة والذود عن حيِّزه بحيث عرفناه، لزم أن يكون الموجود الأصلي أيضاً بحيث لايسع مكان إحاطة وجوده العظيم الشامل لوجود غيره من باب أولى. فكما أنَّ المكان الذي تشغله سفينة لا يسع لسفينة أخرى ولا لحركتها ،كذلك الموجود الأصلي الذي هوبمثابة حركة السفينة المتحركة (افتراضاً) والوجود الوهبي العالمي الذي هوبمثابة حركة السفينة إذا ملأ مكاناً امتنع ذلك المكان عن الاتساع لأيِّ موجود أصلي آخر ووجود وهبي آخر.

الدليل الثاني : ثم إذا كان هناك موجودانِ أصليانِ فأكثر فقد كان لابد من التمايز بينهما بأن توجد الاثنينية بينهما، غير أنَّ الوجود على الرغم من ذلك لايكون إلاَّ واحداً ،لأنَّ تسمية كل واحد منهما بـ "**الموجود**" دليل ناطقٌ بأنَّ هناك شيئاً يشترك بينهما، إذ لو لم يكونا مشاركين فيه لم يصح إطلاق كلمة واحدة على كليهما من حيث معنى واحد، وذلك لايستلزم أن يكون ما نشأ عنه التمايز بينهما غير الوجود المشترك بينهما .

وبالجملة إذا كان التعدد هناك، لزم وجود ماينشأ عنه الامتياز ، ولا يحصل ذلك إلاَّ إذا كان هناك شيئان مختلفان سوى الوجود المشترك (بينهما) يختص كل واحد منهما بكل واحد من الموجودين، ولا يمكن أن يستأثر بالوجود أحدهما من الآخر؛ لأنَّ الوجود إنَّما هوصفة ، والصفة لا يمكن تحققها بغير تحقق الموصوف ، ولوفرضنا الوجود في أحدهما لوجب أن يكون في الآخر فيض نفس ذلك الوجود ، وذلك ظاهر في استلزامه للوحدة والوحدانية ، وإلاَّ لزم تعدد الوجود الذي هوبديهي البطلان، إذ لا يكون المعنى والمضمون لكلا الموجودين إلاَّ واحداً، فلافائدة إذن من التسليم بوجودين اثنين.

على أنّ هذين الشيئين اللذين يجب تحققهما بصورة التسليم بالموجودين ليحصل بهما التمايز بينهما لايكونان علةً لشيءٍ واحد ؛ لأنّ المعلول إنّما هوأثرٌ للعلة، والشئ الواحد لايكون أثراً لشيئين مختلفين .

وزبدة القول إنّ هذين الشيئين كما يتميز بعضهما عن الآخر كذلك يتميز كلاهما من الوجود المشترك فلا تكون بين الوجود وشيء من الشيئين -رابطة ذاتية تمنع انفصال الوجود منه ، ومن ذلك يلزم إمكان الانفصال بينهما مثل ما بينهما من الاتصال تماماً، فلا يبقى معنى للموجود الأصلي فإنّ ذلك الإنفصال يتنافى مع الموجودية الأصلية . وعند ذلك نضطر إلى التسليم بموجود آخر فوقه يكون وجوده أصلياً غير موهوب .

والنتيجة التى تخلّص بها ممّا مرّ هي أنّ الوجود مضمون واحد ، ولابد أن يكون مصدره - وهوالموجود الأصلي - واحداً وليس له ثانٍ لاداخل إحاطة وجوده ولاخارجها.

أمّا حصول الغير داخل إحاطة وجوده - أي الموجود الأصلي فيكفى لدحضه أن نقول إنّ ذلك مما لا يحصل داخل إحاطة وجودنا أيضاً، في حين أنّ وجودنا أضعف من وجوده . والنسبة بينهما في الضعف كالنسبة بين نور الشمس المنعكس على الأرض والضوء الذي في ذاتها .وأمّا عدم إمكان غيره خارج إحاطة وجوده فلأنّ إحاطة الوجود أ وسع الإحاطات شمولاً ليس فوقها إحاطة فأين يكون ذلك الغير إذن ؟

وإنّ نظرة الإنصاف والتبصّر تؤدي إلى أنّ الوجود غير محدود وغير متناهٍ ؛ لأنّ المحدود ليس معناه إلاّ أن يكون له حد لا يجاوزه ، وذلك لايتصور إلاّ إذا اعتبر أن يكون وراء ذلك الحد شيء لايكون فيه مثل ذلك الحدّ ، واعتُبِر فوق ذلك مطلق لايكون فيه هذا القيد، وبما أنّ الواقع أنّه ليس فوق الموجود مطلق غير محدود، لذلك يجب التسليم بأنّ الموجود الذي نسميه مطلقًا وغيرَ محدود ليس فوقه مطلقٌ وغيرمحدود،

ومن ذلك يلزم لامحالة أنّ الوجود مطلق وغيرمتناهٍ وغير محدود بجميع الوجـــوه ، إذن فليس وراءه مجال لأحدٍ سواه - لأنّ اللامتناهي لايكون وراء مكان، ومن أجل ذلـــك لايكون الفياض المنعم بالوجود إلاّ واحداً لايشاركه في ذلك أحـــد ويكـــون وجـــود ماسواه فيضاً وعطاءً منه. (١)

ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني في " فتح الملهم":

"**التوحيد** - هورأس الطاعات ، ولب الاعتقادات ، وأُسُّ القربـــات ، والمِلَـــلُ -معظمها - وإن اتفقت على إقرار نوع من التوحيد إلاّ أنّ التوحيد الصحيح الخالص العام التام المشتمل على توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الصفات، لايوجد في شيءٍ من المذاهب غير الإسلام ، فالدين عند الله الإسلام ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْـــلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(٢)

والدليل العقلي على إثبات التوحيد هوبرهان التمانع المصرّح في القـــرآن ...... وقد قرّر شيخ شيخنا قاسم العلوم والخيرات (يريد الشيخ محمد قاسم النـــانوتوي) في كتابه الهندي "**تقرير دلبذير**" هذا البرهان بأحسن تقرير وأسهله ، ولخصناه في فوائـــد القرآن ، فليراجع. (٣)

---

(١) من (عقيدة التوحيد في الإسلام) للامام الشيخ محمد قاسم النانوتوى

(٢) (سورة آل عمران) ٨٥

(٣) (فتح الملهم) ١/ ١٧٩ بحذف واختصار

الشرك والإشراك والمشرك

قال الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** وهو يتكلم في حصول علم الغيب لغيره تعالى وفي أنّ من يثبته لغيره تعالى فهومشرك وكافر :

"إنّما المشرك من يشرك أحداً من المخلوق مع الله تعالى في شيء من أوصافه الذاتية من العلم والقدرة والعبادة، لأنّ الإشراك في الذات وتعدد الآلهة لم يقل بها إلاّ أقل قليل من الناس (١).

ويقول أيضاً : **وتقبيل القبر والسجود عليه، ووضع الرأس عليه كل ذلك حرام وممنوع** (٢).

وأيضا : "**الطواف بالقبرحرام فلوفعله استحباباً يكفر**"، ففي **شرح المناسك للقاري**: ولايطوف أي يدور حول البقعة الشريفة لأنّ الطواف من مختصات الكعبة المنيفة فيحرم حول قبور الأنبياء والأولياء، ولاعبرة بما يفعله العامة الجهلة. (٣)

وسئل رحمه الله تعالى عن رجل متبع للشريعة والسنة ، يقول : ياشيخ عبد القادر شيئاً لله ، على حبات السبحة ، أويسجد للقبور أوللمشايخ ، أويذبح الحيوانات لتعظيم المشايخ ، أويطوف بالقبور، أويصنع صور القبور والمقابر ويقدم عليهارقعات بحاجات، أوينذر لغير الله تعالى ويستعين به عند ما تعرض له

---

(١) الفتاوى الرشيدية ص ٢٣

(٢) المصدر السابق ص ١٣٠

(٣) المصدر السابق ص ١٣٠

حاجة، ويقول : إنّي أستحسن هذه الأفعال وأظنُّها مقربة إلى الله وزلفى عنده وسعادة في الدارين، وأظن أنَّ الشيخ عبد القادر حاضر وناظر، ومتصرف في الأمور ومعين في الحاجات والمشكلات، فأعتقد دائماً أنّه يسمعني حينما أدعوه لحاجتي فيعينني بل أنّـــه يسمع كل من يدعوه ويناديه وهويقدر على أن يعينه ، واعتقادي أنَّ كل ذلك يصـــل للشيخ بعطاء من الله تعالى - فما حكم هذا الرجل هل هومؤمن أم كافر ؟

وهنا رجال وقعوا في مثل هذه الأعمال إلاَّ أنهم لايذكرون اعتقادهم كذلـــك، أويؤوِّلون فما حكمهم ؟

فأجاب الشيخ بقوله: **أمَّا الفريق الأوَّل فهوكافر إن لم يكن عنده تأويل ســـائغ. وأمّا الفريق الثاني فممكن تأويل أفعاله وحركاته فهو فاسق دون كافر.**(١)

وقال التهانوي في تفسيره تحت قوله تعالى ﴿ *قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًـــا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ* ﴾ (٢) :

إنَّما حقيقة الشرك أن يثبت خواص الواجب للممكن ويعتقد وجودها فيه، لكن اشتبه عليهم (أي على النصارى) ذلك بأنَّهم كانوا يفرقون بالذات، وبالعرض، مع أنَّ هذا الفرق صحيح في الصفات غير المختصة ، أمَّا الصفات المختصة فهذا الفرق فيهـــا غير صحيح وغير دافع للشرك. (٣)

---

(١) الفتاوى الرشيدية ص ٥٦ ، ٥٧

(٢)سورة آل عمران : الآية ٦٤

(٣) بيان القرآن ٢/ ٣٨

وقال أيضاً : إنّ الصفات التي ثبت وتحقّق اختصاصها بالله تعالى وخلوصها لذاته تعالى مثل العلم والقدرة العامة ونحوهما فاعتقادها لأحدٍ هو شرك. (١)

وقال أيضاً في رسالة له أَلّفها في الموضوع بعنوان (**نهايـــة الإدراك في أقســام الإشراك**) : إنّما الشرك الذي يترتب عليه عدم النجاة والخلود في النار، تعريفه كمــا جاء في **حاشية الخيالي نقلا عن شرح المقاصد** :

"إن الكافر إن أظهر الإيمان فهوالمنافق ، وان طرأ كفره بعد الإيمان فهوالمرتــد، وإن قال بالشريك في الألوهية فهوالمشرك .

وشرك عباد القبور والتعزيات (٢) إنّما هوشرك عمليٌّ ما داموا يقولون في أنفسهم إنّهم مسلمون موحّدون، وأمّا شرك الهندوكيين فهومركب من الشـــرك الاعتقــادي والعملي.

وليعلم أنّ السجود لغير الله تعالى ليس بشركٍ مطلقاً أي في كل حال ، بل هو من أمارات الشرك في بعض الصور، وإلاّ فالحقيقة هوما تقدم ذكره أي القول بالشريك في الألوهية قلباً أولساناً ، قال في شرح العقائد : ولا نزاع في أنّ من المعاصي ما جعلــه الشارع أمارةً للتكذيب، وعلم كونه كذلك بالأدلة الشرعية كسجود الصنم وإلقــاء المصحف في القاذورات والتلفظ بألفاظ الكفر.

لكنّ السجود للقبور والتعزيات ليس بعلامة للتكذيب بالشـــرع ؛ لأنّ عبادتهــا لاتوجد في الكفار ، وما راجت وشــــاعت عبادتهـــا في الكفـــار فالســـجود لهــا يستلزم الحكمَ بالكفر قضاءً .

---

(١) بيان القرآن ص٢/ ١١٧

(٢) "التعزية" في عرف الهند ضريح مصنوع من القصب والقرطاس ونحوه يصنعه الشيعة وينسبونه إلى سيدنا حسين بن علي ﷺ

وأمّا ديانةً فيكون مؤمناً عند الله تعالى إذا لم يقع ويوجد خلل في التصديق والإيمان القلبي، راجع كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" للعلامة ابن تيمية فإنّه شدّد الكلام في التهديد على تعظيم القبور والسجود لها، ولكنّه لم يحكم بالكفر على من ابتلي بمثل هذه الأعمال مع أنه قال إنّهم يشابهون الكفرة في ذلك. (١)

وقال - بعد أن أورد نقولاً عن بعض السابقين:

"دلت العبارات : على أنّ تعظيم الله تعالى بالنذر له والحلف والسجدة بين يديه، إن كان مقروناً باعتقاد تأثيره مع الله تعالى فهو من الشرك وصاحبه مشركٌ عملاً واعتقاداً. قال العلامة العارف ابن القيم في شرح منازل السائرين : والعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع .

وقال محشّيه : العبادة تتضمن غاية الحب والخضوع كما قال ، ولكن ليس هذا كل معناها ، فإن العاشق قد يجمع هذين المعنيين ولايكون عابداً لمعشوقه، وإنّما العبادة عبارة عن الاعتقاد والشعور بأنّ للمعبود سلطةً غيبية فوق الأسباب يقدرها على النفع والضرر، فكل دعاء أوثناء أوتعظيم يصاحبه هذا الاعتقاد والشعور فهوعبادة (٢).

... فمقتضى هذه العبارات أنّ من اعتقد التأثير الذاتي - من عباد القبور والتعزيات لأهل القبور والتعزيات- فهومشرك، ومن لم يعتقد بذلك وإنّما يسجد لها تعظيماً فقط فهوفاسق وفاجرٌ لاكافرٌ؛ لأنّ شركه عملي، والفاصل في اعتقاد التأثير وعدم اعتقاده أن المرء إذا اعتقد لشيء قدرةً مستقلة على أمر بحيث لا تحتاج إلى مشيئة الله تعالى فيه مستأنفة ، فهذه العقيدة اعتقاد التأثير ، وإن اعتقد القدرة له تابعةً

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم . راجع فصل النوع الثاني من الأمكنة وما يتصل به قبل وبعد

(٢) مدارج السالكين شرح منازل السائدين ١/ ٤٠

لأمر الله تعالى ومشيئته مستأنفة . فهذه العقيدة من غير اعتقاد التأثير مع أنّ المرء يعتقد أنّ كلتي القدرتين إنّما أعطاهما الله تعالى .

وهذه العقيدة الثانية أيضاً بدون دليل شرعي - بل خلاف أدلة الشرع - معصية اعتقادية ، والمعاملة مع صاحب هذه القدرة الثانية معاملة مشابهة للعبادة معصية عملية، فلذا يقال له إنّه مشرك في الإطلاقات الشرعية .

أقول : ومن ههنا لم يكفّر مشايخُنا وأكابرُنا عابدي القبور وساجدين لها وأمثالهم؛ لحملهم حالتَهم على الصورة الثانية دون الأولى ، وقرينته دعوى هؤلاء الإسلام والتوحيد، والتبرؤ من الشرك بخلاف مشركي العرب والهند ، فإنّهم يتوحشون من التوحيد ومن نفي القدرة المستقلة عن آلهتهم ، وقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً.(١)

وقال الشيخ **محمد** أنور شاه الكشميري :

اعلم أنّ الإشراك بالله على عدة أقسام : الإشراك في الذات، والإشراك في الصفات ، والإشراك في العبادة ، والرابع الإشراك في الطاعة .

أمّا الأولان فظاهران. وأمّا الثالث فيسلم أن تكون عبادة الغير مع زعم كونه معبوداً أولا، كبعض مشركي العرب حيث قالوا: ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى.

وأمّا الرابع فنبّه عليه الشاه عبد القادر رحمه الله، وه وأن يتبع في تحليل الحرام وتحريم الحلال غير الله سبحانه وتعالى، كما كان النصارى يتخذون أرباباً من دون الله، فهذا أيضاً نوع من الشرك، **وسماه الشاه عبد القادر رحمه الله : الشرك في الطاعة.**(٢)

---

(١)رسالة نهاية الإدراك في أقسام الإشراك من إمداد الفتاوى ٨١/٦ -٨٥ مع الاختصار وتعريب بعض الأجزاء

(٢) فيض الباري ٣٨/١

ذاته سبحانه وتعالى وأسماؤه وصفاته

يقول محقِّقُ جماعة *علماء ديوبند* ومحدِّثها – الشيخ **محمد أنور شاه الكشميري** كما جاء في **أماليه على صحيح البخاري** :

"باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله تعالى" قدتردَّد بعضهم في إطلاق الذات على الله تعالى؛ لكونها مؤنث ذو، فأزاحه المصنف وجوّزه، سواء قلت: إنَّها مؤنث ذو، أوقلت: إنها اسم مستقلٌ، وعلى الأوَّل تكون مُنسلخة عن معنى التأنيث ، وتكون للجزء المعين فقط .

ثم لفظ **"النعت"** أولى من لفظ الصفة ؛ وذلك لأنَّ المتكلمين قسموها إلى قسمين: عقلية وسمعية ، وأرادوا من العقلية الصفات السبع ، ومن السمعية نحو: يد ووجه وغيرهما من المتشابهات، وإنَّما سموها صفات سمعية ؛ لكونها لايدرك إلاَّ من جهة السمع ، وعبَّر المصنف عن تلك الصفات بالنعوت وهو الأقرب ، فإنَّ لفظ الصفة على مصطلح أهل العرف يدل على كونها معانٍ خارجة عن الذات ، فتسميتها بالنعت أولى ؛ لأنَّ النعت هو وصف حليةٍ لأحد ليفيد معرفته كما في حديث مسلم في حديث ذى الخويصرة : فإذا هوعلى النعت الذي نعته النبي ﷺ، وقد سماها الشاه **عبد العزيز** حقائق إلهية. [1]

---

[1] فيض الباري ٤/ ٥١٧و٥١٨

وقال أيضاً : والأسماء الحسنى عند الأشاعرة عبارة عن الإضافات وأما عند الماتريدية فكلها مندرجة في صفة التكوين. (١)

وقال أيضاً في أماليه : باب قوله : "وكان الله سميعاً بصيراً" : قد أشكل عليهم إثبات السمع والبصر لله تعالى من حيث إنّ علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء، فلم يبق شيء مّا إلاّ وقد دخل في حيطته مبصراً كان أومسموعاً، فليس شيء إلاّ وقد علمه الله تعالى من علمه المحيط ، وحينئذ لوأثبتنا له السمع والبصر لا تكون فيه فائدة ، وإنّما كان السمع والبصر في الممكنات ؛ لأنّ علم البشر ناقص جداً لايشمل غير الكليات، أوبعض الجزئيات المجرّدة ، أمّا المسموعات والمبصرات، وكذلك سائر ما يدرك بالحواس ، فلا علم لهم بها أصلاً ، فكانت تلك الصفات لتكميل علمهم، فذهب الغزالي إلى أنّهما عبارتان عن حصتين من العلم ، فالعلم بالمسموعات هوالمعبر عنه بالسمع ، وكذلك البصر، فكأنّه أرجعهما إلى العلم و لم يجعل لهما مصداقاً غيره ، وهذا هوالمنسوب إلى الأشاعرة ، وذهب الماتريدى إلى كونهما غير العلم، غير أنّ علماءنا لم يذكروا لإيضاحه شيئا ....

والذي أرى هو أنّه لابد من هاتين الصفتين في ذاته تعالى فإنّهما أيضاً من الصفات الكمالية، وليس من الكمالات شيء إلاّ والله تعالى سبحانه جامع له. ومحصل الكلام أنّ العالم قبل وجوده كان في حيطة علمه تعالى بكشف تفصيلي، فلما خرج إلى ساحة الوجود تعلق به السمع والبصر أيضاً، لابمعنى زيادة شيء في الكشف والانجلاء بعده ، بل بمعنى تكرّر العلم بهذين النحوين أيضاً ، فهذان نحوان للانكشاف، وإن اتحدا مع العلم في الثمرة ، إلاّ أنّ الانكشاف في العلم بنحوآخر، وفي هاتين بنحو آخر،

---

(١) (المصدر السابق) ٤/ ٥١٧.

وكلا النحوين يغني أحدهما عن الآخر من حيث إنْ الانكشاف تام فيهمـا، فحينئـذ لايفيدان إلاّ تكرّر العلم بهذين الطريقين أيضاً. (١)

وقد تكلم الشيخ في الصفات بنوع تفصيل بموضع آخر من أماليه وقال:

اعلم أنّ المصنف أشار في تلك الترجمة (التى جاءت بقوله: **باب ماجاء في تخليـق السموات والأرض وغيرها من الخلائق** الخـ) إلى أمرين:

الأوّل : إلى إثبات صفة التكوين، القائل بها علماؤنا الماتريدية حتى صـرّح بـه الحافظ .... وأنكر ها الأشاعرة ، فالتفصيل أن الصفات عند الأشاعرة سبع والله تعالى مع صفاته السبع قديم ، وقالوا في نحوصفة الإحياء والإماتة ، والترزيق ، أنها عبارة عن تعلق القدرة بها . فالإحياء عندهم عبارة عن تعلق القدرة والإرادة مع حيـاة أحـد، وكذلك أمثالها، فاستغنوا عن صفة التكوين، ورأوا أن لهم بمجموع القـدرة والإرادة غُنية عن التكوين، ثم قالوا : إنّ تلك الصفـات وإن كـانت قديمـة إلاّ أنّ تعلقهـا بالمرزوقات ونحوها حادث.

وزاد الماتريدية على هذه السبع صفةً ثامنة سموها بالتكوين، وقالوا : إنّ القدرة تكون على الجانبين ، أمّا الإرادة فأيضا تتعلق بالجانبين ، وإن كان بدلا، فتارة تتعلّـق بوجود الشيء، وأخرى بعدمه، بخلاف التكوين فإنّه يتعلق بوجـود الشـيء فقـط، ولايتعلق بالعدم أصلاً، قلت : ولعلهم أخذوها من قوله تعالى ﴿***إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ***﴾ (٢) والمشيئة عندى ما به تحصل الشيئية في الشـيء .

فإذا أراد الله أن يُلْبسه لباس الوجود جاء التكوين وقال له كُنْ، ففى الآية ما يشير إلى أنّ الشيئية في الشيء تكون مقدمةً على تكوينه، وبالجملة القدرة والإرادة إذا تعلقتـا

(١)(فيض الباري) ٤/ ٥١٦و٥١٧

(٢)سورة يس: ٨٢

بمبادي الشيء ، و لم تبدأ فعلية وجوده احتاج إلى صفة تكون منشأ للفعلية ، وهي التكوين، فإذا أراد الفعلية قال له :كن، أي جاء التكوين فأوجده .

ثم إنّ تلك مراتب عقلية، إلاّ أنه يتخلّل بين ذلك زمان، ولكنه إذا أراد شيئاً لم يتخلّف عنه مراده طرفة عين .

فالصفات عند علمائنا - كما في "الدر المختار - في باب الأيمان" على نحوين: صفات ذاتية وصفات فعلية .

والأولى: ما تكون هي صفة لله تعالى دون ضدّها كالعلم فإنّه صفة الله تعالى وليس ضده - أعني الجهل - صفةً له تعالى ، وكذلك الحياة فليس الموت من صفاته تعالى . وهكذا فليقس عليه سائر الصفات.

والثانية: ما هي صفة لله تعالى وكذلك أضدادها، كالإحياء فإنّ ضده الإماتة وهو أيضاً صفة له تعالى .

والصفات بنحويها قديمة ، ذاتيةً كانت أوفعليةً ، نعم تعلقاتها حادثة، فهناك ثلاثة أمور عند الأشاعرة ، وأربعة عند الماتريدية: الذات ، وصفاتها السبع ، وهاتان بالاتفاق ، أمّا الصفات الفعلية فقال بها الماتريدية فقط واستغنى عنها الأشاعرة، فقالوا: إنّها ليست إلاّ تعلقات القدرة ، وذلك التعلقات حادثة عندهم، فالاثنان من الثلاث قديمان عندهم ، والواحدحادث . أمّا عندنا فالصفات الفعلية أيضاً قديمة كالصفات الذاتية ، نعم تعلقاتها حادثة فالمراتب أربع : الثلاث منها قديمة والرابعة حادثة .

ثم إنّ صفة التكوين هل هي مبادئ الصفات الفعلية أوالقدر المشترك بينها؟ ففيه اختلاف لأصحابنا ، فبعضهم ذهب إلى أنّه اسم للقدر المشترك ، وآخرون إلى أنّها مبادئ تلك الصفات ، قلت : وقد أحسن الماتريدية حيث جعلوهاصفةً برأسها مستقلة، فإنّ القرآن يُشعر باستقلالها ، فإنّه سمّى الله تعالى مُميتا ومُحْيِيًا ، وإرجاع تلك كلها إلى القدرة والإرادة بعيد ، فالأولى أن تسمى تلك أيضاً باسم وهوصفة التكوين.

بقي الأفعال الجزئية المسندة إلى الله تعالى كالنزول والاستواء وأمثالهما، فاختلفوا فيها بأنها قائمة بالباري تعالى أومنفصلة عنه مع الاتفاق على حدوثها، فذهب الجمهور إلى أنها منفصلة. وذهب الحافظ ابن تيمية إلى كونها قائمة بالباري تعالى، وأنكر استحالة قيام الحوادث بالباري تعالى ، وأصرّ على أن كون الشيء محلا للحوادث لايوجب حدوثه ، واستبشعه الآخرون لأن قيام الحوادث به يستلزم كونه محلاً لها وهذا يستتبع حدوثه ، والعياذ بالله .

قلت : أمّا كون الباري عزوجل محلا للحوادث فأكره هذا التعبير ، غير أن السمع ورد بنسبتها إليه تعالى ، ويرى المتكلمون كافة أن تلك الأفعال كلها مخلوقة حادثة .

والحافظ ابن تيمية مع قوله بحدوثها لايقول : إنها مخلوقة، ففرق بين الحدوث والخلق. وإليه مال المصنف (أي البخاري) فجعل الأفعال حادثةً قائمة بالباري تعالى على ما يليق بشأنه، غير مخلوقة.[1]

ويقول الشيخ محمد طيب القاسمي – في شرح "العقيدة الطحاوية" قوله: ما زال بصفاته قديماً– لقوله تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ﴾ [2] وبيانه أنّ معنى كلمة " الله" في القرآن الذات المستجمع لجميع صفات الكمال المسماة بـ " الأسماء الحسنى" فلما حملها على اسم الجلالة وأثبتها لذاته الكريمة ثبت من ذلك أن معنى كلمة " الله " في اصطلاح القرآن هومجموع الذات والصفات، لاالذات الخالية عن الصفات ، ولا الصفات المنفكة عن الذات ، فلاح منه أن الصفات ذاتية له ، لاحادثةٌ فيه تعالى وتقدس، فلا يمكن أن تنفك عن الذات في أي حين وشأن ، فإذا كانت ذاته تعالى قديماً وهو مُجمع عليه عند جميع

---

(١) (فيض الباري) ٤/ ٥٢١-٥٢٣

(٢) سورة الحشر:٢٢

الأمم والأقوام، فصفاته تعالى أيضاً تكون قديمة قائمة بذاته؛ لأنها ذاتية له غيرمنفكة عنه فثبت أنه قديم بذاته ، قديم بصفاته كما هوأبديٌ بذاته ، أبديٌ بصفاته بدلالة هذه الآية الكريمة (١).

وقال أيضاً – في شرح قول الطحاوي : ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢) كما مرّ تفصيله فبهذه الآية الكريمة يجرى عدم المماثلة في جميع صفاته تعالى بنفى التشبيه بأن معاني هذه الصفات ليست كمعاني صفات البشر، فتشبيه ذاته وصفاته بخلقه كفرٌ ؛ لأنّه إنكار لقوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ فإن الله يقول بنفي التشبيه وهذا المنكر يدّعى إثبات التشبيه وهذا صريح المعارضة وهوكفر ظاهر .

وأيضاً: إنكار الصفات أيضاً كفر؛ لأنّ الله يقول مُثْبتا للصفات ﴿وهوالسميع البصير﴾ وكذا يقول في مواضع أخر ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٣) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٤)، وغير ذلك من الأسماء الحسنى والمنكر يدّعي نافيا لصفاته أنه ليس بسميع ولا بصير ولاحكيم ولا خبير، ولا عليٌ ولا كبير، وهذه المعارضة أشد من المعارضة السابقة فأي كفر أشد منه.(٥)

ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني في " فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" :
وأمّا إثبات الصفات الكمالية له تعالى ، وتنزيهه عن كل نقص وعيب فقال

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٣٦و٣٨

(٢)(سورة الشورى) ١١

(٣)(سورة السبأ)١

(٤) سورة سبأ : ٢٣

(٥)(شرح العقيدة الطحاوية) ص ٥٥و٥٦

شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : كل كمال في الممكنات التى هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعُه عاريا منه ، بل هوأحق بـــه والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى، لايستوى هو والمخلوق، في قياس شمول ولا في قيـــاس تمثيل ، بل كلما ثبت لمخلوق من كمال فالخالق تعالى أحق به . وكل نقص تنزّه عنـــه مخلوق ما ، فتنزيه الخالق عنه أولى. قال: ولهذا كان المستعمل في الكتـــاب والسـنة وكلام السلف في حقّه تعالى هوالقياس الأولى، مثل أن يعلم أن ما ثبت لغيره من كمال مطلق لا نقص فيه ، فهوأحق بأن يثبت له من ذلك الكمال ما هوأحق به مما ســـواه، فإذا كان الحياة والعلم والقدرة كمالاً، لانقص فيه وقد اتصف به المخلوق فالخـــالق تعالى أحق أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة - وما يُنزه عـــن غـــيره مـــن العيـــوب فهوسبحانه أحق بتنزيهه عنه كما في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. (1) ملخصا

قال شيخ شيخنا قاسم العلوم والخيرات نور الله ضريحـــه ونفعنـــا بعلومـــه : إنّ الكمالات والخيرات كلها وجودية تابعة للوجود ، وهوأصلها ومصدرها ، ولـــذا لا يتصف المعدوم بشيء من الكمال ، كما أن الشرور والنقـــائص بأســـرها عدميـــة لا تخلوعن عدم وهومنشأها ومأخذها ، فالبصر مثلا كمال وهوأمر وجودي ، والعمـــى نقصٌ وهوعدم البصر ، والسمع كمال وجوديٌّ والصمم أي عدم السمع نقص ، وهذا ظاهر لمن تفحص حقيقة كل كمال ونقص ، وراجع كتب الشيخ فإنه أثبته وأزاح كل شبهة بأشبع بيان وأتمه.

فعلى هذا لا يمكن أن يوجد نقص وقصور في ذاته سبحانه وتعالى لأنها منزهة من شوائب العدم مطلقاً، وما من كمال إلاّ يجب أن يكون موجوداً فيه سبحانه وتعـــالى على وجه التمام لأنه منبع الوجود ومخزنه، والممكنات لما كانت حقائقها حدوداً فاصلة

---

(1)سورة النحل : ٦٠

بين الوجود والعدم لاموجوداً بحتاً ولامعدوماً محضاً ، فقد خلط فيها الأمران : الخير والشر ، والكمال والنقص ، والحُسن والقبح ، اقتضاءً من جانبيه الوجود والعدم ووفاءً لِحَقَّيهما ، فالموجود مع توابعه من الكمالات والخيرات - صادرٌ وفائضٌ من جناب الحق سبحانه وتعالى على كلّ جزء من أجزاء العالم قضّه وقضيضه، ونقيره وقطميره، حسب تفاوت درجاتها، كما أن نور الشمس مع صفاته اللازمة من الحرارة والتنوير وغيرهما فائض على السموات والأرض ومافيها من السيّارات العلوية والمواليد السلفية مع اختلافات استعداد قوابله ، فالمرآة الصقيلة مثلاً إذا حاذتها الشمس تتلألأ كأنها في البريق واللمعان هي الشمس بعينها ، وأنى هذا الشأن لغيرها من الأشجار والأحجار في الاستفادة منها . وكذا الماء الصافي في وقت مقابلته مع الشمس له شأن ليس للهواء وغيره .

فكما أن النور الصادر من الشمس الواقع على الأرض أوالمرآة أوأينما كان إذا سئل عنه هل هونور الشمس أوغيرها ؟ فمع غاية قربه من الأرض والمرآة والتصاقه بهما، وبعده من الشمس بألف الآف فراسخ في بادئ النظر ، يجاب بأنه نور الشمس السابحة في فلكها لا غير ، نعم هوفي درجة متنزلة من النور الذي في جرم الشمس بكثير. وهو وإن نُسب إلى الأرض بأدنى تلبّس إلاّ أن زمام أمره بيد الشمس لابيد الأرض المستضيئة به،ولذا يبقى تعلقه بالأرض مادامت الشمس باقية على محاذاتها فكأنه يجئ بمجيئها، ويذهب بذهابها ، كذلك الوجود ونواشيه من الكمالات والخيرات في أي ممكن وُجد ، وفي أي مرتبة تحقق، هووجود الباري عزاسمه، وكمالاته هي كمالاته، ليس للممكن منها نصيبٌ إلاّ القدر الذي للأرض من نور الشمس، ولعلّ إلى هذه الدقيقة أشارسبحانه وتعالى حيث قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1]

---

(١)سورة النحل :٥٣

وقال ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (١) وقال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾(٢) وقال النبي ﷺ :"الخير كله في يديك والشر ليس إليك". فلله الحمد ربّ العالمين لاشريك له ، وكل شيء ما خلا الله باطل .

وإن فرضت كرة الشمس بمنزلة ذات الحق -سبحانه وتعالى عن تمثيلنا- والنور العظيم الذي في جرمها بمنزلة وجود الحق ، والأشعة اللازمة لها الصادرة منها بمنزلة صفات الحق ، ووقوع الأشعة على الأعيان الخارجية بمنزلة تعلق الصفات والأسماء بالمخلوقات، وهذه الأعيان المستنيرة بضوء الشمس بمنزلة حقائق الممكنات التى يقال لها الأعيان الثابتة، وضوء الشمس العارضُ للأشياء، وحرارتها العارضة لها بمنزلة وجود الممكنات، وصفاتها الوجودية الكمالية ، ينجلى لك ربط المحدثِ بالقديم، وينحلّ كثير من الإشكالات العويصة التى استصعب التفصّى عنها وبالله التوفيق .

ويظهرلك أيضاً أن صفات الحق سبحانه وتعالى لايقال لها عين الذات ولا غيرها، ألا ترى أن شعاع الشمس الواحد من أشعة الشمس، ولايمكن أن يقال في حقّه إنه عين النور العظيم الموجود في جرم الشمس أي في مرتبته ، ولا أنه غيره مغايرة السواد والبياض للثوب. وسائر صفات الممكن لذاته (٣). بل الشعاع هوتنزّل النور الموجود في جرم الشمس، فكذا ذات الحق سبحانه وتعالى هي مبدأ جميع صفاته ، ووجود الصفات نازل عن وجود الذات ، لاعين ولا غير بخلاف الممكن، فإنه بنفس ذاته وحقيقته يكون عارياً عن الوجود والكمالات الوجوديه كلها ، وإنّما حصل له الوجود وسائر كمالاته من خارج كحصول النور للأرض من الشمس ، كما قرّرناه قريباً.

---

(١) سورة النساء : ٧٩

(٢)سورة الأنفال : ١٧

(٣) لعل الصواب : كذلك

وأمّا الشرور والنقائص التى في الممكن فإنّما نشأت من إحاطة عدمه بوجـــوده الخاص ، كما ينشأ شكل التربيع والتثليث والاستدارة والمخروطيـــة وغيرهـــا مـــن التقطيعات في نور الشمس على الأرض وغيرها من إحاطة ظلال الأشياء الحائلة بذلك النور الواحد المنبسط الممتدّ المنتشر في الآفاق فيشكل التربيع أوالتثليث مثـــلا، وإن لم يكن موجودا في نفس نور الشمس إلاّ أنه ظهر بسبب هذا النور في المحلّ بلا ريـــب، لأنه أحاط به الظلّ ، وهوعدم النور، ولولاه لما وُجد محيطاً ولا محاطاً ،و لم يظهر هـــذا الشكل قطعاً، فكذا الشرور والنقائص في العالم وإن لم يمكن اتصاف ذاته ســبحانه وتعالى بها أصلاً، إلاّ أنه تعالى هوالموجد لهذه القبائح أيضاً في محالها ، فالشرور كلهـــا مخلوقة لله وهومنزّه عنها ، والخيرات كلها صادرة منه وموجودة فيه سبحانه وتعالى بأتم وجه وأكمل طريق ، وما مـــن حســـنة جليلـــة أودقيقـــة إلاّ هوآخـــذٌ بناصيتهـــا إنّ ربى حميد مجيد.

فافهم وكن على بصيرة من ربك حتى يتضح لك الحق الصراح مـــن الظنـــون والأوهام الفاسدة، ولا تكن محبوساً في سجن الألفاظ ودوائر الأمثلة، وارتق منهـــا إلى المقصود الذي يضيق عنه نطاق البيان ، فإن الرب جلّ جلاله ليـــس كمثلـــه شـــيء وهوالسميع البصير(١).

---

(١)(فتح الملهم) ١/١٦٣ و١٦٤

المتشابهات

من لفظ اليد ونحوها إذا نسب شيء منها إلى الله تعالى

قال التهانوي في رسالته "التواجه بما يتعلق بالتشابه" :

تعريف النص المتشابه: هوما لايعلم مراده جزماً وقطعياً إلاّ الله تبارك وتعالى، وعلى قول البعض إلاّ الله ورسوله، فماعُرف مراده لأجل شيوع المجاز أوالكناية فيه ليس بمتشابهٍ وإن استلزم معناه الحقيقي محالاً.

ثم هذا المتشابه على قسمين :

أحدهما: مالا يعلم مدلولَه اللغويَّ أيضاً أحدٌ كالمقطعات (أي فواتح السور).

والآخر: ما عُرف مدلولُه اللغوي، لكن لايمكن إرادته في المقام لاستلزامه محذوراً عقلياً أونقلياً .

ثم هذا الآخر الثاني له نوعان :

النوع الأوّل: مايكون مدلوله اللغوي واحداً كالسمع والبصر والكلام.

والنوع الثاني: ما تعدد مدلوله لغوياً، أي يكون مشتركاً ومحتملاً لوجوه متعددة.

ثم هذا الثاني أيضاً له قسمان : أحدهما: ما لم يترجح أحدُ معانيه ووجوهه بدليل، والثاني: ما رجح أحد معانيه سواء كان ذلك بدليل قطعي أوظني .

فالمقطعات : مذهب الجمهور فيه أن التفويض واجب . وجاز تفسير السمع والبصر والكلام عند الجميع لكن بقيد أن نقول : لاكسمعنا ولا كبصرنا ، ولا ككلامنا، والذي يحمل معاني عديدة فالسكوت فيه واجب إذا لم يترجح أحد معانيه لا مطلقاً ولاظناً ... وما رجح أحد معانيه فله حالان، الحالة الأولى : أن يُعَبَّرَ عنه

باللفظ المنصوص فلاخلاف فيه أيضاً، كالاستواء إذا لم نترجمه و لم يؤخذ منه لفظ مشتق . والاحتياط فيه أيضاً أن يزاد قيد بأن نقول: استواء يليق به، كما هو دأب جمهور المفسرين . وذلك لدفع إيهام إرادة المعنى المتعارف المستحيل . وهذا هو محمل قول الأئمة : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

ولو فُسِّرَ هذا اللفظ (أي المحتمل لمعاني متعددة مع الترجح لأحدِ معانيه) بغير المنصوص ففيه مذهبان: الأوّل مذهب السلف : وهو أن يحمل على معناه الحقيقي سواء تعين ذلك المعنى بدليل قطعي أو ظني ، مثل لفظ الاستواء فإنه فسره البعض بالاستقرار، والبعض بالعلو، والبعض الثالث بالاستيلاء، والبعض بالإقبال ، وجميع هذه المعاني حقيقية لغوية، كما يظهر من كتب اللغة وتفسير الطبري في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾.(١)

وجميع هذه التفاسير منطبقة على مسلك السلف ومع أنّ التعين ظني لكن المحمل في كل قول هو المعنى الحقيقي ، وهذا هو حاصل مسلك السلف ومذهبهم ، وحكم كل تفسير من هذه التفاسير مثل حكم تفسير السمع والبصر، فالاعتبار بالقيد واجب في كل منها بأن يقال: لا كاستقرارنا المستلزم للمعادية، ولا كعلونا المقتضي للجهة، ولا كاستيلائنا المسبوق بالعجز ، ولا كإقبالنا المسبوق بالإدبار.

وذليل انطباق جميع هذه التفاسير على مسلك السلف أن التبليغ العام للقرآن الكريم ومحتوياته مأمور به، والتبليغ إلى العجم لايمكن بدون الترجمة كما هو الظاهر.

فلو لم تكن الترجمة قائمة مقام أصل الكلمة لزم أن لا يمكن تبليغ المتشابهات ومثل هذه الأجزاء من القرآن الكريم – على مسلك السلف – مع أنّ ذلك أصل المذهب والمسلك (لأهل السنة)، فالقول بأنّ الترجمة قائمة مقام الأصل لازم ، وترجمة لفظ

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٩

الاستواء (إلى أي لغة كانت) لاتكون إلاَّ بأحد هذه المعاني الحقيقية اللغوية، فالتعبير عنه بهذه المعاني، يكون مثل التعبير بلفظ الاستواء والقول بـ (إنّه استوى لا كاستوائنا) مسلك السلف اتفاقاً، وكذلك التفاسير الأخرى أيضاً إذا قيدت بهذا القيد، إلاَّ أنَّ حفظ لفظ الاستواء خاصةً أسلم وأحكم إذا لم يحتج إليه المخاطب .

وبالجملة أن المترادفات كلها في حكم واحد، واللازم لايكون في حكم المرادف؛ لأنّه يمكن أن يكون اللزوم في الحادث دون القديم كالحركة لايجوز إطلاقها لثبوت الإتيان .

والمسلك الثاني مذهب الخلف وهوأنَّ الأصل مسلك السلف لكن هذه الألفاظ تحمل على المجاز أوالكناية لمصلحة تحمل ضعفاء العقول ودفع تشويشهم، ثم المجاز والكناية يحتمل وجوهاً .

ولأختم هذا البحث بثلاث تنبيهات:

الأول: إنّه قد يقع الاختلاف في كون بعض الكلمات و(العبارات) من المتشابهات .

الثاني: إنَّ المتشابهات الأخر أيضاً في حكم الاستواء لأجل التفصيل، أمَّا كثرة وقوع ذكر الاستواء والكلام فيه في كلام السلف خاصةً فذلك - عندي والحقيقة عند الله تعالى - لأجل أنَّ أهل البدعة لم يشوش العامة في ذلك الزمن إلاَّ في هذه المسألة لوجه مّا .

والتنبيه الثالث: إنَّ بعض الظاهرية اليوم يفسرون المتشابهات فيذكرون ويختارون مذهب السلف في درجة الإجمال ، ثم إنهم لا يتوقفون على هذا فيقعون في الغلط بأحد الوجوه الأربعة:

الأوّل: يدعون القطعية للتفسير الظني .

والثاني: عند التفصيل يأتون بعبارات وتعبيرات توهم التكييف والتجسيم.

والثالث : يذهبون إلى بطلان مذهب التأويل إطلاقاً، وهكذا يضلّلون ألوفا من أهل الحق ، مع أنّ أهل الحق عندهم دلائل من الأحاديث والقواعد الشرعية على صحة مسلكهم .

أمّا القاعدة فقد تقدم ذكرها ، وأمّا الروايات فجاء ذكرها في رسالتي **تمهيد الفرش**.

والرابع: إنهم يظنون أن التفسير بالاستقرار هوعلى مذهب السلف وما سواه من التفاسير اللغوية فذلك عندهم من تأويل الخلف، وقد تقدم وثبت تساوي كل منها، نعم يوجد له نوع مرجح وهوورود لفظ الاستواء بمعنى الاستقرار كثيراً في آيات أخر.[1]

ونورد فيما يأتي ما كتبه الشيخ **محمد تقي العثماني** في إجابته عن ردود واعتراضات، أورِدتْ على **التفسير العثماني** – بخصوص مسئلة الصفات المتشابهات – على رأي السلف وأهل السنة والجماعة خاصة، وعلى رأي غيرهم عموماً ، والشيخ **محمد تقي** – كما هو معروف – من كبار ***علماء ديوبند*** المعاصرين، يقول حفظه الله :

"إنّ ما ورد في القرآن الكريم والسنة من إثبات اليد ، أوالعين ، أوالاستواء على العرش وغير ذلك قد افترق الناس فيها على أقوال :

الأوّل: مذهب المشبّهة والمُجَسّمة وهو أنّهم يفسرون هذه الآيات والأحاديث على معناها المتبادر الذي يستلزم أن يكون لله تعالى أعضاء كأعضاء الحوادث والمخلوقات، والعياذ بالله، فهم قائلون بكون الله تعالى مثل المخلوقات في ثبوت هذه الأعضاء والجوارح وبلوازمها الظاهرة .

والثاني: مذهب الجهمية والمعطلة : وهم ينفون صفات الله تعالى مطلقاً، وينكرون أن تكون له تعالى صفات أزلية قديمة.

---

[1] الفتاوى الإمدادية ٦/١٠٩-١١١

وهذان المذهبان باطلان باتفاق علماء الأمة وإجماعهم، والقول بأحدِ هذين القولين ضلال مبين، وقد أنكر عليهما علماء الأمة قديماً وحديثاً .

ثم لعلماء أهل السنة في تفسير هذه النصوص طرق متعددة :

١- فمذهب جمهور السلف أن هذه النصوص من المتشابهات التى لا يعلم معناها إلاَّ الله تعالى، فيجب فيها التوقف والسكوت، ولاحاجة إلى الخوض في تأويلها، ونؤمن بها إجمالاً، ولا نجزم بأنه أريد بها معناها الحقيقي أوالمجازى، بل نَكِل علمها إلى الله تعالى ونترك الخوض في معناها

٢- ذهب جماعة من السلف إلى أننا نعتقد بأنَّ الله تعالى أراد بها معناها الحقيقي، ولكن المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ- المنسوبة إلى الله تعالى- يغاير المعنى الحقيقي الذي يراد بها عند نسبتها إلى المخلوقات والحوادث، فلله تعالى يدٌ بالمعنى الحقيقي،كما يليق بشأنه، ولكنها ليست كيد المخلوقات الحوادث لأنه تعالى ليس كمثله شيء.أمَّا كنه يده تعالى وكيفيتها فلا سبيل إلى معرفتها فنفوِّض الكيفية إلى الله تعالى.

والفرق بين المذهب الأوَّل والثانى أنَّ الأوَّل لايعيِّن كونها حقيقة أومجازاً، بل يختار التوقف والتفويض منذ أوَّل الأمر، في حين أنَّ المذهب الثاني يعتقد أنَّ هذه الألفاظ أريد بها معناها الحقيقي، ثم يُفوِّض كنه ذلك المعنى إلى الله تعالى .

٣- ذهب بعض العلماء من السلف وجماعة من الخلف إلى أن هذه النصوص مؤوَّلةٌ بما يصرفها عن شبهة التشبيه والتجسيم، فهم يحملونها على المجاز، فيريدون باليد القوة مثلاً، وبالاستواء الاستيلاء أوالقدرة مثلاً .

٤- وهناك جماعة من العلماء يجمع بين الأمرين، فيختار طريقة التأويل في النصوص التى تقبل التأويل بلا تكلف جرياً على محاورات العرب، وتختار المذهب الأوّل أوالثاني فيما لا يقبل تأويلا مستساغا.

والواقع أنّ هذه المذاهب الأربعة، بعد الإيمان بتنزيه الله تعالى عن التشبيه والتعطيل، وكلُّها محتملة ، ليس في القرآن والسنة ما يحكم ببطلان واحدٍ منها إطلاقاً ، والاختلاف بينها في الحقيقة ليس اختلاف عقيدة - فإنّ العقيدة هي التنزيه عن التشبيه والتعطيل- وإنّما هواختلاف رأي في التعبير عن تلك العقيدة وتطبيقها على النصوص، فليس شيء من هذه المذاهب باطلاً محضاً أوضلالاً صرفاً ، وإن كانت المناظرات والمجادلات النظرية التي لم تزل جاريةً بينها منذ قرون ربما وقع فيها التهويل والغلو والإفراط من الجوانب المختلفة، وربما أدى ذلك بعضهم إلى التجاوز عن الاعتدال، ولكن الحق أنّ أصل الخلاف ليس إلاّ خلافا اجتهاديّاً، نظيرَ اختلاف الفقهاء في المسائل الفقهية المجتهد فيها . فإنّ لكل واحد من أصحاب هذه المذاهب أدلة محتملة ومدارك في تفسير النصوص لا يمكن رفضها بتاتاً. ولذلك ذهب إلى كل رأي من هذه الآراء الأربعة فحولٌ من علماء الأمة المتمسكين بالكتاب والسنة، الذين لا شك في كونهم من أهل الحق ومن أهل السنة والجماعة.

فأمّا المذهب الأوّل فهومرويٌ عن عددٍ كبير من المحدثين وعلماء السلف ، ولنذكر على سبيل المثال قول **الإمام الترمذى** رحمه الله تعالى في جامعه:

"قد روي عن النبى ﷺ رواياتٌ كثيرة مثل هذا ، ما يُذكر فيه أمر الرؤية أنّ الناس يرون ربّهم، وذكر القدم ، وما أشبه هذه الأشياء ، والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل **سفيان الثوري ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع** وغيرهم، أنّهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ويؤمَنُ بها، ولايقال: كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كماجاءت،

ويؤمن بها ولا تفسّر، ولاتتوهم ، ولايقال : كيف ، وهذا أمر أهـل العلـم الـذي اختاروه وذهبوا إليه(١) .

وقد روى البيهقي رحمه الله تعالى بسنده عن سفيان بن عيينة قال:

"ما وصف الله تبارك وتعالى بنفسه في كتابه ، فقرأت تفسيره ، ليس لأحـد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية." (٢)

وقد سئل وكيع بن الجراح عن مثل هذه الأحاديث فقال :

"أدركت إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرا يُحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئاً." (٣)

والواقع أنَّ هذا المذهب هوالأقوى والأسلم والأحـوط ، وهوأوفـق المذاهب بقوله تعالى :﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِـي الْعِلْـمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (٤) ولذلك اختاره كثيرٌ مـن محققـي السلف، ولعل أصحاب هذا المذهب أكثر عـدداً مـن أصحـاب بقيـة المذاهب، ولذلك يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

---

(١) جامع الترمذي ٤: ٦٢٣ كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النارحديث ٣٥٥٧) أقول : ونحوه من كلامه في كتابه الجامع كثيرٌ ،راجع باب ما جاء في فضل الصدقة في كتاب الزكاة، وتفسير سورة المائدة وتفسيرسورة الحديد في كتاب التفسير ، وباب ما جـاء في فضل التكبير والتهليل من أبواب الدعوات وربما يذهب في ذلك إلى التوحيه أيضاً.

(٢) (كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣١٤).

(٣) (التمهيد لابن عبدالبر ٧: ١٤٩).

(٤) سورة آل عمران: ٧

وأكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا، ويُمِرُّونَه كما جاء ، وينبغي أن يراعى في مثل هذا الإمرار؛ اعتقاداً أنه لا تشبه صفات الله صفات الخلق ، ومعنى الإمرار عدم العلم بالمراد منه مع اعتقاد التنزيه. (١)

وأمّا المذهب الثاني : فقد ذهب إليه جماعة من السلف أيضاً ، **وهوقول الحافظ ابن تيمية وتليمذه الحافظ ابن القيم** رحمهما الله تعالى، ولهما في ذلك سلف في أقوال جماعةٍ من المحدثين رحمهم الله تعالى . ومذهبهم في ذلك مشهور لا يحتاج إلى نقل نصوصهم . وبما أنّ الفرق بين المذهبين الأوّل والثاني دقيق . فإنه قد يلتبس الأمر بينهما ، وقد تكون عبارات بعض السلف محتملة لكل واحدٍ منهما ، فيجرها أهل كل من المذهبين إلى نفسه، والحق أنّ كلاً من الوجهين محتمل في كلام بعضهم.

وأمّا المذهب الثالث : وهوالتأويل بحمل هذه النصوص على المجاز، فقد ثبت عن بعض السلف وكثيرٍ من العلماء والمتأخرين ، وتأويل بعض هذه النصوص مرويٌّ عن بعض الصحابة مثل ابن عباس رضي الله عنهما، قال الحافظ **ابن حجر** رحمه الله: وأمّا الساق، فقد ورد عن **ابن عباس** في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾(٢) قال: عن شدة من الأمر. والعرب تقول: قامت الحرب على ساق: إذا اشتدت ...وجاء عن **أبي موسى الأشعري** في تفسيرها: "**عن نور عظيم.**" قال ابن فورك: معناه ما يتجدّد للمؤمنين من الفوائد والألطاف ... ومعنى قول ابن عباس: إنّ الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند **البيهقي** الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن.(٣)

---

(١)(فتح الباري ٦:٤٠ كتاب الجهاد رقم ٢٨٢٦.)

(٢) سورة القلم: ٤٢

(٣)(فتح الباري ١٣:٤٢٨، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الخ)

وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه فسّر قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١) بقوله: " اي منته وإحسانه."(٢) وكذلك رُوِيَ عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه أوّل قوله سبحانه: "وَجَاءَ رَبُّكَ" (٣) بأنّ المراد: جاء ثوابه ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

روى البيهقي عن الحاكم عن ابي عمرو بن السماك ، عن حنبل ان احمد بن حنبل تأوّل قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ إنّه جاء ثوابه . ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لاغبار عليه (٤).

وقد أخرج الإمام ابن عبدالبر رحمه الله بسنده، عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث: ان الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا فقال: "مالك يتنزل أمره".

ثم قال ابن عبدالبر رحمه الله :

وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه (٥).

وكذلك رُوِيَ عن الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- أنه فسر الضحك المنسوب إلى الله تعالى بالرحمة ، فنقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي أنه قال :

"وقد تأوّل البخاري الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة ، وهوقريب وتأويله على معنى الرضا أقرب.(٦)

---

(١) سورة الفتح: ١٠

(٢) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ١١

(٣) سورة الفجر: ٢٢

(٤)(البداية والنهاية ١٠: ٣٢٧ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل)

(٥)(التمهيد لابن عبدالبر ٧: ١٤٣و١٤٤)

(٦) فتح الباري ٦: ٤٠ كتاب الجهاد ، باب الكافر يقتل المسلم الخ رقم ٢٨٢٦

وقد عقد الإمام **ابن حبان** رحمه الله في صحيحه باباً ترجمه بقوله :

"ذكر الخبر الدال على أنّ هذه الألفاظ من هذا النوع أطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم دون الحكم على ظواهرها."

ثم عقد ترجمة أخرى بقوله :

"ذكر الخبر الدال على أنّ هذه الأخبارأطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناس بينهم دون كيفيتها أو وجود حقائقها."

وأورد تحت هذه الترجمة حديث أبي هريرة المعروف **"ما تصدق عبد بصدقة .... إلاّ كأنما يضعها في يد الرحمن..."**

وقال في آخره :

قوله ﷺ " **إلاّ كأنما يضعها في يد الرحمن**" يبين لك أنّ هذه الأخبار أطلقت بألفاظ التمثيل دون وجود حقائقها ، أوالوقوف على كيفيتها ، إذ لم يتهيأ معرفة المخاطب بهذه الأشياء ، إلاّ بالألفاظ التي أطلقت بها.(١)

وقد أورد قبل ذلك حديث أنس : **"حتى يضع الرب جل وعلا قدمه فيها، فتقول: قط قط."** فأول لفظ **"القدم"** بمعنى الموضع وقال :**" لا أنّ الله جل وعلا يضع قدمه في النار"** جل ربنا وتعالى عن مثل هذه وأشباهه.

وقد ألف العلامة **ابن الجوزي** رحمه الله تعالى كتاباً مستقلًا باسم**"دفع شبه التشبيه"** رد فيه على القائلين بترك التأويل على الإطلاق. (٢)

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان ١:٢٤٣،٢٤٤و٤٤٤

(٢) أقول ومن ذلك قول الترمذي – في تفسير سورة الحديد في معنى قوله ﷺ " **لهبط على الله** " وقول الترمذي أيضاً – في باب فضل التسبيح والتهليل – في معنى قوله ﷺ : **وهو بينكم وبين رؤوس رواحلكم إنّما يعني علمه وقدرته.**

فهذه نماذج قليلة من تأويل بعض المحدثين من السلف في مثل هذه النصوص، وإنها تدل دلالة واضحة على أن التأويل كان عند السلف أحد الطرق المحتملة - بعد الإيمان بتنزيهه تعالى عن التشبيه والتعطيل- ولم يكونوا يحكمون على قائله بالتضليل إلاّ إذا كان التأويل ناشئاً عن عقيدة التعطيل وإنكار الصفات برأسها، كما هومذهب الجهمية وكيف يحكم بتخطئة التأويل على الإطلاق مع أن وجود المجاز في القرآن الكريم شائع مُسلّم به وقدلجأ أصحاب المذهب الثاني إلى تأويل في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (١)وفي قوله تعالى :﴿ ألا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾، (٢) وفي قوله تعالى :﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ (٣)وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(٤)

وأمّا المذهب الرابع: فما ذكره الحافظ ابن حجر عن العلامة ابن دقيق العيد -رحمهما الله تعالى- ونصه:

"نقول في الصفات المشكلة : إنها حق وصدق على المعنىالذي أراده الله ، ومن تأوّلها نظرنا ، فإن كان تأويله قريبا على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه . وإن كان بعيداً توقّفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه. وما كان منها معناه ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب حملناه عليه كقوله تعالى : ﴿ **يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾(٥) فإنَّ المراد به في استعمالهم الشائع حق الله، فلا يُتوقف في حمله عليه،

(١) سورة الحديد: ٤

(٢) سورة فصلت: ٥٤

(٣) سورة القصص: ٨٨

(٤) سورة الأنعام :٣

(٥) سورة الزمر :٥٦

وكذا قوله "إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن". فإنّ المراد به إرادته قلب ابن آدم مصرّفة بقدرة الله وما يوقعه فيه. وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ (١) معناه خرّب الله بنيانهم، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾(٢) معناه لأجل الله، وقس على ذلك، وهوتفصيل بالغ قلّ من ينيقظ له."(٣)

ويظهر أن جماعة كبيرة من السلف قد سلك هذا المسلك، ولذلك يُروى عن كثيرٍ منهم أنهم توقّفوا في تفسير هذه النصوص على المذهب الأوّل أوالثاني، ثم رُوِيَ عنهم التأويل في بعض النصوص كما أسلفنا عن الإمام مالك بن أنس، وعن الإمام أحمد بن حنبل – رحمهما الله– أنّهم تأوّلوا في بعض النصوص، وهذا الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في كتابه "الأسماء والصفات" يختار في بعض النصوص طريقة التفويض، وفي بعضها طريقة التأويل، وكذا الشأن في كثيرٍ من أقوال العلماء التى ينقلها في ذلك الكتاب، وكذلك العلامة ابن فورك رحمه الله – وهوأستاذ للبيهقي – يحمل قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (٤) على معناه الحقيقي، فيقول:

"إنّ إطلاق وصف الله عزوجل بأنّ له يدين صفتين، لا جارحتين ولا نعمتين مما ورد به نص الكتاب والسنة."

ثم يقول بعد أسطر وهويتكلم عن الحديث " إنّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار":

" اعلم انه ليس يُنكر استعمال لفظ اليد على معنى النعمة، وكذلك استعماله على معنى الملك والقدرة ... وليس إذا استعملت لفظة اليد في النعمة والملك والقدرة وجب

---

(١) سورة النحل :٢٦

(٢) سورة الإنسان: ٩

(٣) فتح الباري ١٣:٣٨٣، وكتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت

(٤) سورة ص : ٧٥

أن يكون محملاً إلى ذلك في كل موضع أطلق فيه، وكذلك إذا قلنا إنَّ معنى اليد في هذا الخبر معنى النعمة لم يمتنع . ولم يمتنع أن يكون ما ذكر في قوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ معنى النعمة والقدرة . وإذا كان كذلك ، فلوتأوّل متأوّل هذا ههنا على معنى النعمة لم ينكر ذلك عليه."(١)

فتبيّن بما ذكرنا أنّ المهم في العقيدة عند السلف هوالابتعاد عن ضلالة التشبيه والتعطيل.

أمّا المذاهب الأربعة التي ذكرناها في نصوص الصفات المتشابهات ، فالأمر فيها عندهم واسع ، وليس في القرآن والسنة ما يحكم ببطلان واحدٍ من هذه المذاهب الأربعة، وقد ذهب إلى كل واحد منها الفحول العباقرة الذين تفتخر بهم أمتنا الإسلامية، وكل واحد منهم معدودٌ في عداد أهل السنة والجماعة، ولكنّ المناظرات والمجادلات في مثل هذه الأمور النظرية ربما تحول الأمر وتجعل الخردلة جبلاً، والقطرة بحراً فظهر المفرطون في كل جانب ورمى بعضهم البعض بالتشبيه أوالتعطيل، والحق أنّ العلماء المتمكّنين من هذه المذاهب أبرياء من هذه الوصمات، نعم! قد ظهر من بعضهم غلو وإفراط في صورة المناظرة والجدال، فالواجب الاحتراز عن مثل هذا الغلو، وأن لا يُنسب ذلك إلى جميع أهل مذهبه.

---

(١) مشكل الحديث لابن فورك ١٤٣:١

ومن جملة هؤلاء الرجال

— الذين يزخر بهم التاريخ الإسلامي عبر القرون —

العلماء الذين قاموا في شبه القارة (الهند وباكستان) بتبليغ الدين الحنيف، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله من خلال جامعة دار العلوم بديوبند، التي تعتبر في هذه الديار أكبر جامعة للعلوم الإسلامية والعربية، أقيمت في عهد الاستعمار الإنكليزي الغاشم لمواجهة مكايده في مجال التربية والتعليم، التي أرادت أن تطمس عن هذه البلاد مآثر الدين الحنيف، وتحرم مواطنيها من تعاليم الإسلام النيّرة، وإرشاداته الخالدة. وإنّ العلماء الذين تخرّجوا من هذه الجامعة يُسَمّون "علماء ديوبند" وهم الذين صمدوا – في جانب – في مواجهة المؤامرات الإنكليزية المشار إليها، وقاموا في جانب آخر بمكافحة الشرك والبدع والخرافات التي تطرّقت إلى المسلمين بسبب طول صحبتهم مع الهنود وعبدة الأصنام.

وإنّ هؤلاء العلماء أناروا في أنحاء البلاد معالم السنّة وحاربوا الفتن الزائغة، والأفكار المنحرفة شفاهاً، وكتابة وتعليماً، وتبليغاً، وتثقيفاً، كما أنّهم أثروا المكتبة الإسلاميةَ بمؤلّفاتهم القيّمة على كلّ موضوعٍ يحتاج إليه المسلم المعاصر، في اللغات: الأردية والعربية، والفارسية وغيرها.

فضيلة الشيخ القاضي

محمد تقي العثماني

كلام الله تعالى
ومسألة خلق القرآن

قال الشيخ محمد أنور الكشميري في أماليه على صحيح البخاري:

باب "كلام الرب" شرع في صفة الكلام ، وتراجمه فيه على نحوين، الأولى في إثبات قِدَم كلام الله تعالى، والثانية في إثبات حدوث فعله الوارد عليه، فاعلم أنّ الكلام إمّا كلام نفسي أو لفظي ، والأول أقرّ به الأشعريُّ وأنكره الحافظ ابن تيمية، قلت : أمّا إنكار الحافظ ابن تيمية ، فتطاولٌ فإنّه ثابت بلا مرية ، وتفصيله أنّ في الكلام ثلاث مراتب :

الأولى: عبارة عن حالة بسيطة إجمالية غير متجزئة، من شأنها الإفادة، فلا تقدم فيها ولاتأخر ، كالقرآن في ذهن من حفظه فإنّه يحضر في ذهنه جملة حتى أنه يُدركه أيضاً، إلاّ أنه لا تفصيل في تلك المرتبة، وهي مبدأ التفصيل .

والثانية: عبارة عن الصورة المخيّلة المنفعلة في الذهن ، تعرّض إليها بحر العلوم في شرح مُسلّم الثبوت، وفي تلك المرتبة يحضره تفصيله نحو أن تقرأ القرآن في نفسك ، ففيها انكشاف تامّ، وتفصيل كامل، وإن لم يشعر به المخاطب.

والثالثة: عبارة عن إجراء تلك الكلمات على اللسان.

فالكلام مادام دائراً في النفس بسيطٌ، فإذا نزل في الخيال صار عبارة عن كلمات مخيلة ، ثم إذا نزل على اللسان صار كلمات ملفوظةً، فالكلام النفسي ثابت عقلاً.نعم كلام المصنف (أي البخاري) ليس إلاّ في اللفظي.

ومع ذلك تلك الحوادث القائمة ليست مخلوقة، واستبعده الحافظ (أي ابن حجر) فقال: إن في إثبات حدوثها ونفي كونها مخلوقة تناقضاً لأنه لا فرق بين الحادث والمخلوق.

قلت: وهذا إنّما نشأ من عدم اطلاعه على اصطلاح القدماء، فإنّ المخلوق عندهم هو المحدث المنفصل، أمّا إذا كان قائماً بفاعله فلا يقال له: إنه مخلوق، وهذا عين اللغة، فإنك تقول: قام زيد وقعد عمرو، ولا تقول: خلق زيد القيامَ، وخلق عمرو القعودَ، وذلك لأن القيام والقعود وإن كانا حادثين، إلاّ أنهما ليسا بمنفصلَين عن زيد وعمرو، فالشيء إذا قام بفاعله فهو حادث غير مخلوق، والعجب من الحافظ حيث خفي عليه هذا الإصطلاح الجليُّ، فإنّ بين اللفظين بونا بعيداً.

ألا ترى أن المُحدَثَ - قد أطلقه القرآن بنفسه فقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾(١)، وأمّا المخلوق فقد نقلَ عن **أبي حنيفة وصاحبيه** أنّ من قال بخلق القرآن فقد كفر، هكذا نقله البيهقي في "**كتاب الأسماء والصفات**" فالمحدث ورد في القرآن، وإطلاق المخلوق أفضى إلى الكفر، وإذا دريت الفرق بينهما هان عليك إطلاق الحادث على القرآن مع نفي المخلوق عنه، ولم يبق بينهما تناقض.

وأمّا الكلام اللفظي في دائرة البشر فهو حادث ومخلوق. ومعنى قول المصنف: "**لفظي بالقرآن مخلوق**"، أي إنّ المورد الذي هو صفةٌ لله تعالى وإن كان قديما لكن تلفُّظُنا الوارد عليه فعلُنا وصفتُنا، وهو مخلوق. ومن لم يدرك مراده ظنّ أنه جعل القرآن مخلوقاً، ومعلوم أنّ المورد الذي هو قائم بالباري تعالى كيف يكون مخلوقا.(٢)

وقال في موضع آخر: اعلم أنّه لم يذهب أحد من أئمة الدين إلى أنّ القرآن مخلوق، وامتنعوا عن إطلاق المخلوق عليه، كيف وإنّه صفةٌ للرب، والصفات ليست مخلوقةً وإلاّ كانت حادثة، وإذ ليست فليست ....

ولنمهد لك مقدمة تعينك في فهم المراد وهي أنّ المفعول المطلق أصل سائر المفاعيل، ولذا قدّموه في الذكر، وذلك لكونه فعل الفاعل حقيقة نحو ضربت ضرباً،

---

(١) سورة الأنبياء: ٢، وفي سورة الشعراء: ٥ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾.

(٢) فيض الباري ٤/ ٥٢٩-٥٣١

فلا شك أنّ ماهوفعلك هوالضرب لا غير. أمّا المفعول به فليس من فعلك أصلاً، ولكن هوالذي يقع عليه فعلك، فنحوضربت زيداً معناه : أن ضربك الذي هوفعلك وقع على زيد الذي ليس من فعلك . فالمفعول به ليس من فعل الفـــاعل ولا تأثـــير لـــه فيـــه، فهومستغنٍ عنه باعتبار ذاته وإن كان موردًا لفعله ، نعم أثر فعله هوالمفعول المطلق .... فالضرب لا يتحقق إلاّ بضرب زيدٍ، وكذلك الأفعال الجزئية الخاصة لاتتحقق إلاّ مـــن جهة فاعلها، وأنت تعلم أنّ كل فاعل لا يحتاج في فعله إلى مادة ، ولكـــن الاحتيـــاج إليها إنّما تكون إذا كانت المادة مورد الفعل، فالضارب لا يحتاج في ضربه إلى مـــادة، ولكنه يحدثه من كتم العدم ......وبعد اللتيا واللتي أن المفعول المطلق غير المفعول به . وهدر الفرق بين فعل الفاعل وموردِ فعله غباوةٌ ، والخلط بين فعل العبد ومورد فعلـــه شقاوة وسيأتي تفصيله.

إذا علمت هذا فاعلم أنّ **البخاريّ** لم يقل : إن القرآن مخلوق، كيف ؟ وهوصفة الرب عزوجل، ولكنه قال: "**لفظي بالقرآن مخلوق**". فهناك شيئان التلفظ وهوفعلـــه، والقرآن وهو الذي ورد عليه فعله . فالحكم بالخلق علـــى "**لفظـــي**" دون "القـــرآن" والأول نائب مناب المفعول المطلق، والثانى مناب المفعول به، وقد علمت أنّ المفعـــول به يكون مفروغاً عن تأثر فعل المتكلم، ولا يكون لإيجاده دخل إلاّ في فعله وهوالمفعول المطلق، وليس هوفي المثال المذكور غير التلفظ .

وحاصل معنى كلامه أن التلفظ الذي هومن فعل العبد مخلوق ، وهـــذا التلفـــظ تعلّق بالقرآن الذي هوغير مخلوق وصفةٌ للرب جلِ مجده ، ومن لا يميِّز بين فعل العبـــد وصفة الرب جلّ مجده يقع في الخبط.

فهذا أصل جوابه (أي الإمام البخاري في صحيحه) أومأ إليه في هذه الترجمـــة حيث قال : إنّ الرب بصفاته، وأمره، وفعله، وكلامه، هوالخالق المُكوِّنُ، فكلام الله من حيث كونه صفةً له تعالى في جانب الخالق ، ومن يجترئ أن يقول : إنّه مخلوق من هذه

الجهة . وأمّا تلفظُنا به فذلك ليس من صفته تعالى بل من صفاتنا، ونحن بما فينا من الصفات مخلوقون لله تعالى.

وجملته أنّ الوارد مخلوق ، والمورِد غير مخلوق، وهاك أجلى نظير له فإنّك إذا تقرأ كتابا فيكون هناك أولاً قراءتك ، ولا يمترى أحد أنه فعلك، وثانياً الذي تقرؤه، ولا يشك أحد أيضاً أنه ليس من فعلك، بل هومن الشيخ السعدى (مثلا) فهكذا القرآن وقراءتنا به.(١)

وقال الشيخ **محمد طيب القاسمي** في شرح **"العقيدة الطحاوية"** في شرح قول الإمام الطحاوي: **"وليس بمخلوق ككلام البرية"** :

"لأنّ الله تعالى قال : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾(٢) و لم يقل : إنّ الله خلق كلامه لموسى . وقال عزاسمه ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٣) و لم يقل وخلق كلامه ربُه - فكلامه صفة صادرة منه لا مخلوق منه.

وأيضا يقال في العرف : إنّ فلانا يتكلم ، ولايقال : إنه يخلق كلامه، وهذا بديهيّ واضح، لا يحتاج إلى إمعان النظر إذا كانت الفطرة سليمة. ولذا قال إمامنا الأعظم **أبوحنيفة** رحمه الله في **"الفقه الأكبر"** : القرآن في المصاحف مكتوب ، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبى منزّلٌ، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق. وأحسن ماقال في هذا الباب الشيخ الإمام **عبدالعزيز المكّي** في **"كتاب الحيدة"** - حين ناظر وخاطب بشر المريسى -الخ (٤)

---

(١) فيض الباري ٤/ ٥٢٣-٥٢٦ تلخيصا

(٢)سورة النساء :١٦٤

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣

(٤)شرح العقيدة الطحاوية للشيخ محمد طيب ص ٥٣و٥٤

قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

قولنا في أمثال تلك الآيات أنا نؤمن بها ولا يقال كيف ؟ ونؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى متعالٍ ومنزّه عن صفات المخلوقين وعن سمات النقص والحدوث ، كما هو رأي قدمائنا.

وأمّا ما قال المتأخرون من أئمتنا في تلك الآيات، يؤوّلونها بتأويلات صحيحة سائغة في اللغة والشرع بأنّه يمكن أن يكون المراد من الاستواء الاستيلاء، ومن اليد القدرة إلى غير ذلك، تقريباً إلى أفهام القاصرين فحقٌ أيضاً عندنا.

وأمّا الجهة والمكان فلانجوز إثباتهما له تعالى ونقول : إنّه تعالى منزّهٌ ومتعالٍ عنهما وعن جميع سمات الحدوث.([1])

وقال الشيخ التهانوي في تفسيره "بيان القرآن " بعد أن فسّر قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾([2]):

"ثم تعلق (وتجلى) بالعرش (الذي يشبه سرير الحاكم والملك بحيث يليق شأنه، وبسماع هذا يخطر ببال السامعين أمران للزوم العرفي، أحدهما الرفعة والعلو، والآخر صدورالأوامر الملكية، لأنه يلزم الأمران للجلوس والتمكن من العرش الملكي والسرير الحكومي)

([1]) المهند على المفند ص :١٥

([2]) سورة الأعراف : الآية : ٥٤

[وقوله هذا بالأردية - ثم قال في هامش التفسير بالعربية] : هذا هوالذي عليه جمهور السلف، من حمل الاستواء على الحقيقة ثم تفويضها إلى الله تعالى والمنع عن الخوض فيها.

وهذا المنع معقول لأنّ إدراكنا قاصر عنه، كما يمنع من الخوض في كنه اللون بعين هذه العلة، وإياك أن تقيس استواءه على استوائك ، لأنّ الصفة تختلف حقيقتها باختلاف الموصوف،كما أنّ استقرار زيد على شيء يغاير بكنهه استقرارَ الرأي على أمرٍ، وكما أنّ طول الخشب يغائر بكنهه طول الليل، مع كون كل من الاستواء والطول حقيقياً، وإذا كان المستوي غيرمعلوم الكنه فكان الاستواء لامحالة غير معلوم الكنه، فأي وجه لقياس مجهول الكنه على معلوم الكنه ، كيف ومثل استوائك يستحيل عليه تعالى للدلائل العقلية عند الخواص، وهي مذكورة في الكتب الكلامية، وعند العوام لأنّ استواء أعظم الجبال بل أصغرها على الجزء الذي لا يتجزى ليس باستواء في لغة نزل القرآن بها مع كونهما متناهيين، فكيف إذا كان أحد الشيئين متناهياً والآخر غيرمتناه.(١)

ويقول في رسالة له :

"تحقيق المقام أن في الاستواء وأمثاله اتفق أهل الحق على أنّ اتصافه تعالى بها ليس مثل اتصاف المخلوق، وهذه المسألة قد ثبتت بالعقل أيضاً، وهي بديهية عند العقلاء، وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢) دليل النقل عليه ... ثم بعد نفي المماثلة لهم طريقان.

الأولى: طريقة السلف ، وهي أنهم يحملونها على الحقيقة، ويفوضون كنهها إلى علم الله تعالى ولا يذكرون لها كيفية.

---

(١) بوادر النوادر ص : ٦٢٤ وبيان القرآن ١٩/٤

(٢) سورة الشورى : آية : ١١

والطريقة الأخرى للخلف، وإنهم يؤوّلون بتأويلات مناسبة، وذلك لئلايفسد الفرقُ الضالةُ - مثل المشبهة والمجسمة - العوامَ، ولا يوقعونهم في الغلط بأن يقولوا - ونعوذ بالله من ذلك - إنَّ الله تعالى مستقر على العرش، والاستقرار معناه معلوم وهوالعكوف والجلوس، فثبت أنَّه تعالى جالس على عرشه كما أنَّنا جالسون على السرائر، فهوجسماني مثلنا، وكذلك أن يقولوا : قد ورد ذكر اليد لله تعالى في القرآن، وجاء في الحديث: وضع قدمه في النار، واليد والقدم من الأعضاء الجسمانية ، فثبت له الأعضاء والجسم والجسمانية.

والجواب الصحيح عن هذه الشبهات على طريقة السلف أن كل ذلك ثابت له، ولكن ليس كمثلنا إلاَّ أن العوام لايدركون هذا . ولا تنقل أذهانهم في مثل هذا إلاَّ إلى التجسيم والتشبيه، ولابد من حفظهم وصونهم عن هذه العقيدة؛ فلذلك ذهب الخلف إلى أن فسَّروا هذه الحقائق بما لا يترك به، وفيه، القرآن والحديث ولا يقع العوام به في عقدة التجسيم والتشبيه، فمثلاً قالوا : إنَّ الاستواء على العرش كناية عن تنفيذ الأحكام، واليد عبارة عن قدرته، ووضع القدم أريد به القهر.

وإنَّما السلف لم يحتاجوا إليه لأنَّ خواصهم كانوا عاملين بقول النبي ﷺ (**تفكروا في آلآء الله ولا تفكروا في الله**) [1]، فكانوا لا يخوضون في هذه الأشياء، ويدفعون الوساوس عن أنفسهم، وأمَّا العوام فكانوا محفوظين عن ذلك لأجل أنَّ هؤلاء المبتدعة والمضلِّلين لم يكونوا في ذلك الزمن، فكانت أذهانهم خاليةً من هذه الشبهات، وكانوا يؤمنون بمعانيها إجمالاً، ولا يتفكرون في البحث والخوض ... كما

---

[1] رواه البيهقي والطبراني عن ابن عمر مرفوعا، وروى أبونعيم وغيره عن ابن عباس :" **تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله**" وأسانيدها ضعيفة لكن احتماعها يكسبه قوة ومعناه صحيح. [كشف الخفاء ٣١١/١]

نرى اليوم أيضاً بعض العوام أنهم على هذه السذاجة لخصوص ظروفهم ... فيبقى فريق متوسط وهو غير محقق ولو كان عربياً ، وليس بعامي محض بل أنهم ينظرون في الكتب ويخوضون في معانيها، فتعتريهم شبهات لأجل مايقرؤون ولأجل خوضهم أيضاً، فهؤلاء هم الذين يُبقى دينهم ويصان بهذه التأويلات ، ومن أجلهم اختار العلماء المتأخرون طريق التأويل . ورعايةُ تحمُّل عقول المخاطبين وأهليتها في التعليم مطلوبةٌ في الدين. (١)

وقال أخيراً - بعد أن ذكر الحكمتين لنسبة الاستواء إليه تعالى:

وهذا كله كان على مذهب السلف، واختار الخلف مسلك التأويل لمصلحة سهولة فهمه للعوام، ولهذا التأويل وجوه أقربها إلى العربية وأوفقها بقوله تعالى ﴿يدبر الأمر﴾ ونحوه، حمله على التدبير، فقوله تعالى ﴿يدبر الأمر﴾ تفسير للاستواء عند الخلف وبيان للحكمة عند السلف كما قررته آنفاً.

ولا يرد على الخلف أنَّ الملك لم يزل لله تعالى فما معنى تأخره عن خلق العالم؛ لأنّي أقول : إنّ المراد التدبير الخاص في السموات والأرض ، وظاهر أنه يتأخر عن خلقهما، ولا يلزم منه حدوث الصفة بل حدوث الفعل، ولا محذور فيه فافهم.

وقد كنت كتبت قبل هذا (أي في التفسير) مذهب الخلف في المتن بصورة التفسير ومذهب السلف في الحاشية مع التصريح برجحانه، وغيّرتُ الآن إلى العكس بإشارة بعض أهل العلم.(٢)

---

(١) تمهيد الفرش في تحديد العرش ، رسالة الشيخ التهانوي في بوادر النوادر من ص ٦٠٢ - ٦٠٤ مختصرا ومترجما من الأردية إلى العربية ، وفي إمداد الفتاوى ٦/٢٧-٢٩

(٢) تمهيد الفرش في تحديد العرش ص ٦٢٧ - من بوادر النوادر و(إمداد الفتاوى) ٦/٥٢

ويقول الشيخ محمد أنور الكشميري :

" ذهب الحافظ ابن تيمية إلى قدم العرش قدماً نوعياً، وذلك لأنه إذا أخذ الاستواءُ بالمعنى المعروف اضطر إلى قدم العرش لامحالة، مع حديثٍ صريح عند الترمذي في حدوثه، ففيه:

"ثم خلق عرشه على الماء." (١)

وبقي الأشعري فلاحقيقة له عنده غير تعلق صفة من صفات الله تعالى به.

قلت: أمّا الاستواء بمعنى جلوسه تعالى عليه فهو باطل، لايذهب إليه إلاّ غبيٌّ أو غويٌّ ، كيف وأنّ العرش قد مرت عليه أحقاب من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، فهل يتعقل الآن الاستواء عليه بذلك المعنى؟

نعم أقول إنّ هناك حقيقة معهودةً عُبِّر عنها بهذا اللفظ فليس الاستواء عندي محمولاً على الاستعارة، ولا على الحسّيّ الذي نتعقله بل هو نحو من التجلي، وقد كشفنا عنه من قبل". (٢)

---

(١) جامع الترمذي: كتاب التفسير سورة هود، وسنن ابن ماجه: المقدمة، فيما أنكرت الجهمية، وفي جامع الأصول: وفي سنده وكيع بن عدس او حدس، لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، ومع ذلك فقد حسّنه الترمذي وغيره.[هامش جامع الأصول ١٦/٤]

(٢) فيض الباري ٤/ ٥١٩

اختصاصه تعالى
بعرشه وأثبات الجهة والمكان له

قال *التهانوي* في اختصاصه تعالى وتعلقه بالعرش :

"أنا في هذه العقيدة على مسلك السلف بأنّ النصوص فيها محمولة على الحقيقة، لكن لا يُعرف الكنه ، ولا أرى مذهب الصوفية خلافاً للسلف فإنّهم لم ينكروا الحقيقة بل أنكروا الجهة ، ونفي الجهة ثابت نقلاً وعقلاً :أمّا النقل فقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ، وأمّا العقل فلأنّ الجهة مخلوقةٌ حادثة والله تعالى منزّه عن الاتصاف بالحادث؛ لأنّ محل الحادث حادث ، والحكم بالاستواء والعلو، لايستلزم الجهة، فلوحكمنا بالجهة (وأثبتناها) لتعيّن كنه العلو والاستواء ، وذلك خلاف قول السلف فانهم يصرّحون بأنه غير معلوم.

فالحاصل أنّ في الاستواء والعلو حيثيتين، إحداهما مَع الحكم بالجهة، والآخـــرى مع عدم الحكم بالجهة بل مع الحكم بعدم الجهة ، **والأول مذهب المجسّمة، والثـــاني مذهب أهل السنة وفيهم المحدّثون والصوفية.** (١)

وقال في قول القائل : "إنّه تعالى في كل مكان بدون كيف"؟ و قول الآخر: إنّه مستوعلى عرشه، المسألة مُعْضَلة عجز عن تحقيقها العقول المتوسطة، **فلايجوز فيـــه** البحث والجدال، ولاسيما لايكفي فيه التحرير، ومع عدم التبحر في العلوم المتداولة ... والأسلم عدم الخوض فيه، وتفويض الحقيقة إلى الله تعالى (٢).

---

(١) إمداد الفتاوى ٢٥/٦

(٢) المصدر السابق ٢٢/٦-٢٣

وقال أيضاً في رسالته "تأييد الحقيقة بالآيات العتيقة" :

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(١) وقال في آيات أخر ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾(٢) و﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(٣) و﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾(٤) و﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾(٥) .

وهذه الآيات كلها دالة على صحة قول من يقول من العلماء الصوفية: إنّ الله تعالى بكل مكان، غير أنهم لا يعلمون كيفية كون مكان الله (أي يقولون بالإحاطة الذاتية لا محض الإحاطة الصفاتية كأهل الظاهر) وليس من ضرورة الإحاطة أن يكون المحيط والمحاط عليه جسماً، وأن يفسّر الإحاطة أن لايكون المحاط عليه بعيداً من المحيط ولا المحيط بعيداً منه.

ثم إنّ ذلك مشهور بين المشايخ الصوفية جنيد والشبلي وابن عطاء وغيرهم.

رُوِيَ عن جنيد أنّه تكلم عنده رجل فأشار إلى السماء، فقال : لا تشر إلى السماء فإنّه معك، فهذا دليلٌ على أنّه لا خصص مكان الله تعالى بالعرش ولا بجهة دون جهة فافهم ...

وورد في الحديث إطلاق المكان حيث قال : وارتفاع مكاني(٦)، قلت : ليس المراد عدم صحة القول الآخر كما توهّم البعض، بل المراد نفي البطلان عن هذا القول كما ادّعى أهل الظاهر، فلكلٍ من القولين وجهة هومو ليها، وليس معنى قولهم : إنّ الله تعالى بكل مكان، أنه متمكّن بكل مكان ، حاشاه عن ذلك بل المراد أنّه لا مكان له

(١) سورة البقرة الآية :١٩

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٦

(٣) سورة هود الآية : ٩٢

(٤) سورة الإسراء الآية : ٦٠

(٥) سورة الجن الآية : ٢٨

(٦) في حديث طويل رواه البيهقي في شعب الإيمان مشكاة المصابيح كتاب الصوم ، باب ليلة القدر

خاصاً كسائر المتمكنات بقرينة قوله فيما بعد : انه لا خصص مكـــان الله تعـــالى الخ فأطلق الملزوم وأراد اللازم مجازاً ، فإنّ كون شيء في كل مكان يستلزم عدم كونه في مكان خاص. (١)

وقال في جواب سؤالٍ وُجّه إليه في تصور ذاته تعالى :

"إنّ الشريعة أمرت تصوراً بلاكيفٍ وبلا مكانٍ ، فلا يكون خلافه حجة من قول أحد ولا فعله ، ولوأثر ذلك وروي عن صوفي مقبولٍ محقق فينبغي تأويله بما يناســـب المقام. نعم لوحصل لأحدٍ تصوره بوجه خاص، لكن بدون قصد واختيارٍ، ففيه العـــذر لقوله عليه السلام للجارية:"أين الله" قالت في السماء، قـــال عليـــه الســـلام "انهـــا مؤمنة."(٢)

قال المحدث الكشميري -: قال الحافظ ابن تيمية : من أنكر الجهـــة لله تعـــالى فهوكمن أنكر وجوده عزّ برهانه ، فإنّ وجود الممكن كما لا يكـــون إلاّ في جهـــة، وإنكار الجهة له يؤوْلُ إلى إنكار وجوده، كذلك الله سبحانه لا يكـــون إلاّ في جهـــة وهوالعلو، وإنكارها ينجرّ إلى إنكار وجوده.

قلت : وياللعجب ، وياللأسف ، كيف سوّى أمر الممكن والواجب ؟ أما كـــان له أن ينظر أنّ من أخرج العالم كله من كتم العدم إلى بقعة الوجود كيف تكون ملاقته معه كعلاقة سائر المخلوقات ؟ فإنّ الله تعالى كان و لم يكن معه شـــيء ، فهوخـــالق للجهات، وإذن كيف يكون استواؤه في جهة كاستواء المخلوقـــات ؟ بـــل اســـتواؤه كمعيته تعالى بالممكنات وكأقربيته، والغلو في هذا الباب يشبه القـــول بالتجســـيم، والعياذ بالله أن تتعدى حدود الشرع. (٣)

---

(١) إمداد الفتاوى ٤٦/٦

(٢) إمداد الفتاوى ٢٢٠/٥

(٣)فيض الباري ٥١٩/٤

نزول الرب تبارك وتعالى

إلى السماء الدنيا

يقول الشيخ أنور الكشميري :

"اعلم أنَّ نزول الرب تبارك وتعالى مسألة اعتقادية لافقهية، يكفى فيها الاعتقاد الإجمالي دون التفصيلي، وإنَّما يفوض التفصيل في مثلها إلى الله سبحانه. .. ومسألة حديث الباب من المتشابهات فالمنقول عن جمهور السلف والأئمة الأربعة في النزول والمجيء والاستواء وثبوت الوجه واليد واليمين وغيرها، هوالإيمان بها كما ورد على طريق الإجمال، منزّهاً الله تعالى عن التشبيه والتكييف من غير تعطيل وتأويل.

وبالجملة فمذهب المتكلمين هوالتأويل بالعقل على ما يوافق الشرع، وقالوا: إنَّ مذهب السلف أسلم ومذهبنا أحكم، أي أنَّ أصل مذهب أهل السنة كلهم التفويض.

فأمّا التأويل فإنّما يصار إليه عند الحاجة عند البحث والمناظرة مع فِرَقِ الضلال من المشبّهة والمجسّمة ، ثم هم يؤوّلون بما لايخالف الشرع والعقل، وأمّا المبتدعة فتأويلاتهم تخالف الشرع، ومذهب المشبهة أن الله جسم من الأجسام.

... ثم إنّ تفويض السلف وعدم التاويل له معنيان:

الأوّل: التفويض إلى الله تعالى والإقرار بعدم عملهم، وعدم الإنكار على من تأوّل.

والثاني: تفويض تفصيلها وكيفيتها إلى الله، والإنكار على من تأوّل برأيه وعقله، وهم أرادوا هذا المعنى الثاني.

ثم المؤوّلة من أهل الحق ثلاث فرق:

فرقة هم أهل اللغة: فتأوّلوا بالاستعارة أوالتشبيه، ***وفرقة هم الصوفية:*** تأوّلوها بالتجلي وهوظهورالشيء في المرتبة الثانية، فالنزول هوتجلي صوري عندهم لانزول حقيقي، ***وفرقة هم المتكلمون:*** تأوّلوا النزول بنزول الملائكة أورحمة الله بعباده. (١)

---

(١)معارف السنن أمالي الشيخ الكشميري على جامع الترمذي ٤/١٣٥، ١٣٦، ١٤١ ولشيخ الإسلام ابن تيمية عليه الرحمة في المسألة رأي - يوافق رأي أهل السنة ويخالفهم أيضاً راجع أمالي الشيخ محمد تقي العثماني على جامع الترمذي ٢/٢٠٢- ٢٠٥

المعية الإلهية

سئل الشيخ التهانوي عن ذلك فأجاب بما يأتي مع السؤال:

قال الله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(١) وقال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾(٢) فمن الناس من يقول : إنّ القرب باعتبار الذات والوصف، ويقول بعض الناس: إنّ القرب بحسب الوصف فقط. فأي الحزبين على الصواب، وأي الفريقين على الحق، وإن كان الله قريباً بالذات، فهل يقرب مع كون استوائه على العرش أم لا؟ ثم الذين يقولون بالقرب الوصفي يدّعون أنّ القائلين بالقرب الذاتي كفروا بقولهم بالقرب الذاتي، فهل يجوز نسبة الكفر إلى من قال: إنّ القرب ذاتيّ أم لا ؟.

الجواب: لما كان المتبادر عند العامة من المعية الذاتية هي المعية الجسمانية، أنكرها العلماء، وكفّر بعضهم القائلين بها، ولوأريد بها المعية الغير المتكيفة، فلا محذور في القول بها والامتناع في اجتماعها بالاستواء، لأنّ الذات ليست بمتناهية والمعية ليست بمتكيفة ، ومن لم يقدرعلى اعتقادها بلاكيفية فالأسلم له أن يقول بالمعية الوصفية فقط، وبهذا التقرير خرج الجواب من كل سؤال وارتفع كل إشكال، والحمد لله الكبير المتعال، عن كل مقال وخيال.(٣)

---

(١) سورة ق : ١٦

(٢) سورة الحديد : ٤

(٣) إمداد الفتاوى ٦/٢٠و٢١

العلم بالغيب والمغيبات

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري:

لايجوز إطلاقه (أي إطلاق لفظ عالم الغيب عليه ﷺ) وإن كان بتأويلٍ لكونه موهِماً بالشرك، كما منع من إطلاق قولهم: "راعنا" في القرآن (١)، ومن قولهم: "عبدي وأمتي"، في الحديث أخرجه مسلم في صحيحه.(٢)

فإنَّ الغيب المطلق في الإطلاقات الشرعية ما لم يقم عليه دليل ولا إلى دركه وسيلة وسبيل، فعلى هذا قال الله تعالى ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ** ﴾ (٣) ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ** ﴾ الآية (٤)، وغير ذلك من الآيات. ولوجوَّز ذلك بتأويلٍ يلزم أن يجوز إطلاق الخالق والرازق والمالك والمعبود وغيرها من صفات الله تعالى المختصة بذاته تعالى وتقدّس على المخلوق بذلك التأويل، وأيضًا يلزم عليه أن يصح نفي إطلاق لفظ عالم الغيب عن الله تعالى بالتأويل الآخر، فإنَّه تعالى ليس عالم الغيب بالواسطة والعرض، فهل يأذن في نفيه عاقلٌ متديّنٌ؟ حاشا وكلا.(٥)

---

(١) سورة البقرة: ١٠٤

(٢) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ، باب إطلاق لفظة العبد والأمة الخ ورواه البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق

(٣) سورة النمل: ٦٥

(٤) سورة الأعراف: ١٨٨

(٥) المهند على المفند ص: ٢٥و٢٦ نقلا من كلام التهانوي مترجما إلى العربية

وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

"عقيدة كافة العلماء ومذهبهم في علم الغيب أنه لا يعلمه إلاَّ الله تعالى، وذلك لقوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾(١) فإثبات علم الغيب لغيره تعالى شرك صريح .. فإذا تبيَّن أنَّ الرسول ﷺ لايعلم من الغيب إلاَّ ما أوتي منه، وتدل عليه آيات كثيرة وأحاديث، فتجاه هذا الثابت الاعتقاد بأنَّ الأنبياء يعلمون جميع المغيبات شرك قبيح جلي."(٢)

وقال أيضاً:

"من يعتقد بأنَّ الرسول ﷺ عالم الغيب فهومشرك وكافر قطعاً عند السادات الحنفية .. وما يقوله البعض : إنَّ علمه المحيط بالغيب عطائيٌّ ليس بذاتيٍّ فهوباطلٌ محضٌ ومن الخرافات".(٣)

ويقول أيضاً : "إنَّ علم الغيب من خواصه تعالى، فإطلاقه على غيره ولوبتأويلٍ لايخلوعن إيهام الشرك." (٤)

وقال الشيخ **أشرف على التهانوي:**

الغيب له معنيان : الحقيقي والإضافي. *فالغيب الحقيقي:* ما لا طريق ولاسبيل إلى معرفته، وهذا مخصوص به تعالى وحصوله للعبد محال شرعاً وعقلاً.

والغيب الإضافي: هوما يعطى الإنسان بأحد الوسائل، لكنَّه يعطى البعض فقط ويخفى عن بعض، فهذا ما يحصل للعبد بإعلام من الله تعالى." (٥)

---

(١) سورة الأنعام : ٥٩

(٢) الفتاوى الرشيدية ص : ٦٥

(٣) المصدر السابق ص: ٧٣

(٤) المصدر السابق ص: ٩٣

(٥) إمداد الفتاوى ١٤٤/٥

جامعة عريقة
لها تاريخ مشرق

"..فلما رأيته وجدته - ولله الحمد - يجمع إلى فخامة المبنى، جزالة المعنى، فهو - ولله الحمد - جامعةٌ عريقةٌ ثّبت الله تعالى بها الإسلام، وجعل فيها من البركات مالايعلمه إلاهو، فإنّها جامعة مباركة، لها تاريخٌ مشرق في تخريج أفواجٍ من ورثة النبي ﷺ من أمته في تبليغ دينه ودعوته، أفواج نفع الله تعالى بهم، وانتشروا في شتى أقطار القارة الهندية وفي أقطار أخرى من الأرض، فكانوا ولله الحمد يدعون إلى الصراط المستقيم والنهج القويم، وكانوا سبباً في ثبات المسلمين على دينهم وردّ عاديات أعدائهم، وهذا - ولله الحمد - من توفيق الله وفضله، فإنه لاحول ولاقوة إلا بالله.

فضيلة الشيخ
عبد الله بن صالح الصقير

باب

النبوة والأنبياء

ونبينا

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

- عصمة الأنبياء
- سيدنا محمد ﷺ،
- أصالة نبوته ﷺ وفضله
- ختم نبوته ﷺ
- فضل ذكر أحواله الشريفة ﷺ.
- علمه ﷺ ومبلغ علمه
- بشرية النبي ﷺ
- تفوق أي امرئ من الأمة على النبي ﷺ
- رؤية النبي ﷺ مناماً ويقظة
- نداء النبي ﷺ بلفظ الخطاب
- التوسل بالنبي ﷺ
- معجزات النبي ﷺ
- حياته ﷺ بعد وفاته
- أرض القبر الشريف
- السفر لزيارة القبر الشريف
- الدعاء عند قبره ﷺ

ضرورة النبوة

سئل الشيخ أشرف علي التهانوي أنّ الله تعالى قادر على أن يكلم كل واحد من عباده ، ويبلغ أوامـــره إليـــه بدون واسطة من إنسان ، فما الحاجة إلى الرسول، وإنمـــا النائب يذهب إلى مكان لايوجد فيه الأصـــل وهـــو- أي الله- موجود في كل مكان، فأجاب:

"(إنما الحاجة إليه) لأنّ كلّ إنسان لايوجـــد فيـــه استعداد يتلقى به و يكتسب الفيض الإلهـــي الربانـــي بدون واسطة ، كما أنّ الملوك يبلّغون أوامرهم إلى حضار مجالسهم (وإلى رعاياهم) بواسطة وزرائهم." [1]

---

[1] إمداد الفتاوى : ١٤٤/٦

الأنبياء

يقول الشيخ محمد طيب القاسمي :

إنّ مسلك *علماء ديوبند* المعتدل - غير المفرط ولا المُفرِّط - في الأنبياء أنّ هؤلاء المقدسين كانوا أمناء الرسالة الإلهية إلى الخلق، فبلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة إلى أهلها بكمال الديانة والأمانة ، وبتمام الحزم والاحتياط ، ومرتبة النبوة هي أعلى مراتب البشرية. وكانوا مع ذلك عارفي أسرار هذا المنصب الشريف ومعلّمي الخلق ، فكانوا يربون الخلق الإلهي ويحسنون إليهم في ضوء ما أوتوه.

ولهذا فكما أنهم رسل الله الصادقون ، وهذا يدل على قبولهم لدى ربّنا تبارك وتعالى وأمانتهم وصدقهم الكامل ، كذلك إنهم - بجانب آخر - معلّموا العالم ومربوه، ومن هذا يتبين ويتجلى كونهم محسنين إلى العالم.

ومع هذا إنّهم شيوخ الإنسانية ، علموا الناس الأخلاق الإنسانية، وبهذا يظهر كونهم محبوبين لدى العالم .

فلذلك إنهم يستحقون كل تكريم وعظمة ، ويستوجبون كل أدب واحترام ، ويستأهلون لكل محبة وطاعة.

ومع هذه الغاية والنهاية لهم في مسلك *علماء ديوبند*، إنّهم بشر بدون ريب وشبهة ، لكن أطهر أفراد البشر كالياقوت في الحجر ، فهم ليسوا من جنس غير جنس البشر ، وإن لم يعتقد فيهم البشرية والإنسانية -والبشر أشرف الخلق وأفضله- فهذا يعنى بمطوياته إيصالهم إلى حدود الألوهية ، وهوشرك جلي غير خفي.

فكما أن الإساءة في حقّهم وإليهم كفر ، وعظمتهم عين الإيمان ، كذلك خلط ماهو من الشرك بعظمتهم كفر فوق كفر.(١)

---

(١) علماء ديوبند ص: ١١٦، لايخفى على البال أنّ الكلام موجّه لأهل شبه القارة الهندية وفيها من طوائف أهل البدع من يبالغ في تعظيم الرسول ﷺ بحيث يوصله إلى الألوهية -والعياذ بالله- وينكرون بشريته ﷺ .

عصمة الأنبياء

قال الشيخ أشرف علي التهانوي في فتوى له :

من القواعد العقلية والنقلية، القطعية المسلمة أن الظاهر إذا عارض المحكم يؤوَّل الظاهر فيصرف إلى المحكم وبعد هذه المقدمة .

فاعلم أن الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محكمة ، وأما الأدلة خلافها فالأكثر منها ليس من الظاهر (أي المصطلح)، فمثلاً أنَّ معني الظلم لغة : وضع الشيء في غير محله ، أي كل عمل يوجد في غير محله ظلم . ولو لم يحكم عليه الشرع بالحرمة أوالكراهة . وكذلك لفظ الضلال ، معناه العدول عن الطريق ، ولوكان هذا العدول قبل العلم بالطريق ، وهوليس بمذموم ، وهذا المعنى هوالمراد في قوله تعالى ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ أوكان هذا العدول بعد العلم بالطريق، وهومذموم، وهذا المعنى الذي أريد في قوله تعالى﴿ **غيرالمغضوب عليهم ولاالضالين**﴾ وتحقق المقسم (أي في حق أحد) لا يستلزم تحقق قسم خاص ..

وكذلك (قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام) : ﴿**بل فعله كبيرهم هـذا** ﴾[١] لايحتمل الإسناد المجازي أيضاً ؛لأن المشاهدة تكذبه، ولأنَّ ﴿ **إن كانوا ينطقون**﴾ بعده دليل صريح لانتفاء هذا الاحتمال .

فبالجملة إنَّ دلالة هذه الكلمات ... غير ظاهرة ، ولوسلم ظهورها في كل منها تصرف عن ظاهرها لأجل معارضتها المحكم في الباب ، فيقال : إنه أطلقت هذه الألفاظ مجازاً على صور العصيان والغواية، والظلم والضلال، والذنب والفتنة ، وكذلك يحمل لفظ " **فعله كبيرهم** " على الإسناد المجازي . كيف وقد عمت وشاعت وذاعت هذه الإطلاقات في المحاورات والمحادثات بلا نكير وإنكارٍ اتفاقاً. [٢]

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٦٣
(٢) إمداد الفتاوى ٦/١١٦ و١١٧

نبينا محمد ﷺ

قال الشيخ محمد طيب :

إن *علماء ديوبند* يعتقدون أنّ نبينا محمداً ﷺ كان يجمع جميع ما امتاز به الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – من صفات الكمال والخصائص، من الخلة والاصطفاء، والتكلم ، والروحية، والصدق، والمخلصية، والصديقية وغيرها، بل يعتقدون أنه مبدأ نبوة الأنبياء ومنشأ ولاية الأولياء ، وأنه تنتهي إليه رئاسة جميع المختارات الإلهية ومع ذلك يعتقدون أنّ أعظم كمالاته وأعلى صفاته هي العبدية، ولإثبات كمالات النبوة وعلو الدرجات له ، لايستمدّون ولا يجوّزون – بأن يجاوزوا حدود العبدية ويهدمونها فيوصلونه إلى حدود المعبودية والألوهية .

إنّهم يعتقدون أن طاعته المطلقة فرض عين، لكن لايجوّزون عبادته . ويعتقدون أنه هوالفرد الأكمل من خلق الله، فلانظير له ولامثيل في العالمين، لكن لايثبتون له خصائص الألوهية وصفاتها، من الرزق والفتح، والإحياء والإماتة، والعلم المحيط والقدرة المحيطة، ولا يصح عندهم في ذلك الفرق والتفريق بالذاتي وبالعرضى ، إنهم يعتقدون أنّ ذكره المبارك ومدحه وثناءه عين العبادة لكن لايجوزون فيه إطراء النصارى بأن يوصلوا حدود البشرية بحدود الألوهية .

إنّهم يعتقدون أنه في البرزخ حي جسمانيا، لكن لايرون له – فيه – المعاشرة الدنيوية، وإنهم يعترفون بأنّ حفظ إيمان الأمة منوط بالمنبع الإيماني من القبة الخضراء، لكن لا يعتقدون أنّه حاضر وناظر فإنّ ذلك من خصائص الألوهية .

إنهم يعتقدون أنّ علمه العظيم أعظم وأكثر بمراتب ودرجات لاتعد ولا تحصى من علم غيره من جميع العالم من الملائكة والأنبياء والأولياء، لكنهم لايقولون بأنّ علمه ذاتي ومحيط.

وبالجملة إنهم يعتقدون ويستيقنون بأنهﷺ في جميع كمالاته - الظاهرة والباطنة - وصفاته بين خلائق العالم درٌ يتيم بلا نظير وبلا مثيل.(١)

فمعتقدهم فيه ما جاء في فتاوى شيخ الإسلام من قوله:

"محمدﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ملوكهم وزهادهم، الأولياء منهم وغير الأولياء، فليس لأحد الخروج من متابعته باطنا وظاهراً، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة، في دقيق ولا جليل، لا في العلوم ولا الأعمال، وليس لأحد يقول له كما قال الخضر لموسى."(٢)

---

(١) علماء ديوبند ص ١١٧ : ١١٨

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣٤/٢

أصالة نبوة سيدنا محمد ﷺ

وأولوية وجوده وأوّليته من بعض الوجوه

ذكر الشيخ خليل أحمد السهارنفوري نقلاً عن الشيخ محمد قاسم النانوتوي :

كان نبوته ﷺ بالذات ونبوة سائر الأنبياء بالعرض؛ لأنّ نبوتهم عليهم السلام بواسطة نبوته ﷺ وهوالفرد الأكمل الأوحد الأبجلْ، قطب دائرة النبوة والرسالة وواسطة عقدها.(١)

أقول : ومعتقدهم هذا بناءً على ما ورد من الروايات في فضائله ﷺ وهي لاتعد ولا تحصى، ومنها ما جاء فيها ذكر أولية الخلق لنوره ﷺ، وأنّه هوخلاصة الخلق ومقصده، وأصالتُه في الخلق والنبوة، وأنّه لم يزل الأنبياء كانوا يذكرونه من آدم إلى عيسى. وكثير من هذه الروايات ولو أنّها ليست في الصحاح وتكلموا فيها كثيراً بل حكموا عليها بالوضع أيضاً - لكنّ لها نوع اعتبار واعتداد عند جماعة من المحدّثين والمحقّقين - وهم من المتوسطين المعتدلين لامتشددين ولامتساهلين- نظراً إلى مجموع ما ورد في فضله ومناقبه، ولذا قالوا في بعضها : إنها صحيحة معنى.(٢)

ولعل من أهم ما يدل على أولويته وأوليته من بعض الوجوه - وأحسنها حالاً ومن الممكن أن نقول : أصحّها - رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يارسول الله متى وجبت لك النبوة ، قال : " وآدم بين الروح والجسد ".(٣)

---

(١) المهنّد على المفنّد : ص ١٧ ، ١٨

(٢) كشف الخفاء ١/١٦٤ ، وملفوظات محدث كشميري ص: ٢١١

(٣) رواه الترمذي وأحمد والطبراني - قال الترمذي : حسن صحيح . وقال الهيثمي : رجالهما (أي

قال الشيخ التهانوي : وظاهر أنّ بدنه لم يكن حينذاك (لأنه لم يكن و لم يخلق بعد) فصفة النبوة كانت أعطيت لروحه، والنور المحمدي - (الذي جاء أوّلية خلقه في رواية جابر عند البعض) هي عبارة عن هذا الروح المحمدي . فإن قال أحد : لعل المراد كتبت خاتم النبيين وقدر لي ذلك فلم يثبت به تقدمه على آدم. (١) فالجواب : لوكان المراد هذا فما وجه تخصيصه بهذا، فإنّ تقدير جميع الخلائق مقدّم على وجود آدم. فهذا التخصيص بنفسه دليل على أنه لم يرد به التقدير، بل ثبوت هذه الصفة، وظاهر أن ثبوت صفة فرع ثبوت مثبت له ، فثبت بهذا تقدم وجوده. ولما لم يكن تحقق وجوده بمرتبة البدن (وصورته) فتعيّن (أن المراد به) مرتبة النور والروح.

فإن قال أحد : ما معنى ثبوت ختم النبوة بل نفس النبوة حينذاك وقد نُبّئ في أربعين سنة من عمره. ولما كانﷺ بعث أخيراً فحكم على نبوته بخاتمية النبوة فهذا الوصف نفسه يقتضي التأخر ، فالجواب: أن هذا التأخر في مرتبة الظهور لا بمرتبة الثبوت كما عين شخص لمنصب ووظيفة ، فوظيفته تجري من يوم ما عُيّنَ لذلك فيه، لكن لا تظهر للناس إلا بعد ذهابه إلى محل عمله.(٢)

وقال الكشميري في شرح الحديث :

أي كان النبيﷺ نبياً وجرت عليه أحكام النبوة من ذلك الحين، بخلاف الأنبياء السابقين فإن الأحكام جرت عليهم بعد البعثة.(٣)

رجال أحمد والطبراني) رجال الصحيح (هامش جامع الأصول ٥٤٤/٨) وراجع لمزيد من التفصيل تعليقات الشيخ عبد الفتاح أبي غدة على كتاب " المصنوع " لعلي القاري ص : ١٤٢و١٤٣

(١) وبه فسّر الحديثَ شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى) ١٤٦/٢و١٤٧

(٢) نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب : ص ٦

(٣) العرف الشذي ٢٠٢/٢ .

قال **الإمام الدهلوي** : سألته ﷺ سؤالاً روحانياً عن معنى قوله (المذكور) ففاض على روحي من روحه الكريمه ، الصورة المثالية التي كانت قبل أن يوجد في عالم الأجسام ، وأن فيضانها في الحضرة المثالية كان عند كون آدم منجدلاً بين الماء والطين وأنه لهﷺ ظهوراً تاماً في تلك الحضرة، وهوالمعبر عنه بالنبوة في هذا الحديث ، ولذلك لما وجد في العالم الجسماني انتقل معه القوى المثالية إلى العالم الجسماني فظهر من العلوم ما لم يكن بحساب(الدر الثمين، ٥٣-٥٤).

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** : فأخبر ﷺ أنه كان نبياً أي كتب نبياً وآدم بين الروح والجسد ، وهذا - والله أعلم - لأن هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة الخلق، فيقدر لهم ويظهر لهم .... فأخبرﷺ أنه كتب نبياً حينئذ، وكتابة نبوته هومعنى كون نبوته ، فإنه كون في التقدير الكتابي ، ليس كوناً في الوجود العيني ، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس اربعين سنة من عمرهﷺ ......

ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإنّ آدم لمنجدل في طينته**) (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٤٩/٢) . لكن قول شيخ الإسلام هذا قد تقدم جوابه في قول الشيخ التهانوي، وعليه يحمل قوله ﷺ : مكتوب ، أيضاً لما تقدم من التفصيل والتوجيه.

وأشهر هذه الأحاديث ذات الأولية حديث (**أول ما خلق الله نوري**) رواه بعض أئمة الحديث بلفظ (**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**) وبهذا اللفظ ذكره في (كشف الخفاء) وغيره . نقله صاحب الكشف و لم يتكلم فيه بشيء ، بل نقل معه بعض ما يتعلق بشرحه من المواهب وغيره . ومنه قول المواهب : اختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا ؟ (وذلك لأن الأولية وردت لغيره أيضاً من بعض الأشياء مثل: القلم والعقل) ... ثم قال : "فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش." انتهى . وقيل الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري، وكذا باقيها ... .

قال الشبراملسي: ليس المراد بقوله : من نوره، ظاهره من أن الله تعالى نوره قائم بذاته لاستحالته عليه تعالى؛ لأن النور لا يقوم إلا بالأجسام ، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد ، وأضافه إليه تعالى لكونه تولى خلقه، ثم قال : ويحتمل أن الإضافة بيانية أي خلق نور نبيه من نور هوذاته تعالى، لكن لا بمعنى أنّها مادة خلق نور نبيه منها، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلاتوسط شئ في وجوده، قال: وهذا أولى الأجوبة، نظير ما ذكره البيضاوي في قوله تعالى ﴿ **ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه** ﴾ حيث قال : أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنّه خلق عجيب ، وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية . انتهى ملخصا (كشف الخفاء ١/٢٦٥و٢٦٦) .

وقال **التهانوي**: ثبت بحديث جابر أن النور المحمدي هوأول الخلق حقيقة؛ لأن ما ورد له الأولية لغيره من الأشياء في الروايات ، جاء ذكر تأخرها عن النور المحمدي مصرّحاً ومنصوصاً في هذا الحديث (نشر الطيب ص ٦)

وقال أيضاً : إن النور المحمدي عبارة عن الروح المحمدي في الظاهر، وحقيقة الروح عند أكثر المحققين مجردة عن المادة ، ولا يمكن أن يكون المجرد مادة للماديات، فالظاهر أنه خلق من فيض نورهﷺ مادة قسمت إلى أربع حصص ، ثم خَلَقَ مجرد من تلك المادة ممكن بحيث أن لاتكون تلك المادة جزءاً ، بل تكون سبباً محضاً خارجاً عن الذات بوجه من الوجوه.

(نشر الطيب ص: ٥ هامش الكتاب)

وقال أيضاً في شرح الحديث : إن خلق نورهﷺ من نوره تعالى معناه خلق من فيض نوره، لا أنّ نوره تعالى مادة لنورهﷺ (نشر الطيب ص ٥) .

وقد ذكر **شيخ الإسلام ابن تيمية** أيضاً روايات تذكر في بيان هذه الأولية والأولوية، فقد قال في بعض فتاواه :

"وقد روي أن الله كتب اسمه على العرش وعلى ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق. وروى في ذلك آثار توافق هذه الأحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره حينئذ .... منها رواية ميسرة الفجر، أخرجها ابن الجوزى في (الوفاء بفضائل المصطفى)=

فضل نبينا محمد ﷺ

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

اعتقادنا واعتقاد مشايخنا أنّ سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمداً رسول الله ﷺ أفضل الخلائق كافة، وخيرهم عند الله تعالى ، لا يساويه أحدٌ ، بل ولا يدانيه ﷺ في القرب من الله تعالى والمنزلة الرفيعة عنده . وهوسيد الأنبياء والمرسلين ، وخاتم الأصفياء والنبيين، كما ثبت بالنصوص ، وهوالذي نعتقده وندين الله تعالى به ، وقد صرح به مشايخنا في غير ما تصنيف.(١)

ﷺ قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال: **"لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات، وخلق العرش، كتب على ساق العرش " محمد رسول الله ، خاتم الأنبياء "، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقُباب والخيام، وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك ، فلما غرّهما الشيطان تابا واستشفعا إليه باسمي"** .

ومنها رواية عمر بن الخطاب ، أخرجها أبونعيم في كتاب **"دلائل النبوة"**، قال : قال رسول الله ﷺ: **"لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يا رب بحق محمد إلاّ غفرت لي، فأوحي إليه : ومامحمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يا رب إنك لماأتممت خلقي رفعتُ رأسي إلى عرشك، فإذا عليه مكتوب :"لا إله إلا الله محمد رسول الله "، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، إذ قرنتَ اسمه مع اسمك فقال : نعم ، قد غفرت لك ، وهوآخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك"**. فهذا الحديث يويد الذى قبله وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة.

(مجموع الفتاوى ٢/ ١٥٠و١٥١)

(١) المهنّد على المفنّد ص ١٧

قال الشيخ محمد طيب :

إنَّ الحلقة الأخيرة من سلسلة النبوة والأنبياء ، واللبنة الأخيرة من بنيان النبـوة، وأفضلهم فضلاً، نبيُّنا ﷺ . عظمته ورفعته فوق عظمة كل عظيم وعلو كـل علـيٍّ، بمراتب لا تحصى، فله من درجات التعظيم والتوقير وحقوقه أزيد وأكثر مما لغيره ..وهم يعتقدون من أعماق قلوبهم أن سيد الكونين محمداً المصطفى ﷺ أفضـل الكائنـات، وأفضل البشر وأفضل الأنبياء ويقرون مع ذلك علانية ببشريته. (١)

وقال السهارنفوري إجابة عن سؤال فضله عليه الصلاة والسلام علينا كفضـل الأخ الأكبر على الأصغر لاغير:

"ليس أحدٌ منا ولا من أسلافنا الكرام معتقداً بهذا ألبتة ، ولانظن شـخصاً مـن ضعفاء الإيمان أيضاً يتفوه بمثل هذه الخرافات ، ومن يقول إنَّ النبي ﷺ ليس له فضـل علينا إلا كما يفضل الأخ الأكبر على الأصغر فنعتقد في حقه أنه خارج عـن دائـرة الإيمان، وقد صرحت تصانيف جميع الأكابر من أسلافنا بخلاف ذلك ، وقـد بيَّنـوا وصرَّحوا وحرَّروا وجوه فضائله وإحساناته عليه السلام علينا معشر الأمـة بوجـوه عديدة، بحيث لا يمكن إثبات مثل بعض تلك الوجوه لشخص من الخلائق فضلا عـن جملتها ... إن كونه عليه السلام أفضل البشر قاطبة، وأشرف الخلق كافة، وسـيادته عليه السلام على المرسلين جميعا ، وإمامته للنبيين من الأمور القطعية التي لا يمكن لأدنى مسلمٍ أن يتردد فيه أصلاً. (٢)

---

(١) علماء ديوبند : ص ١١٦ و١١٧

(٢) المهنَّد على المفنَّد : ص ١٩، ٢٠

نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

اعتقادنا واعتقاد مشايخنا أن سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمدا رسول الله ﷺ خاتم النبيين لا نبيّ بعده ، كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ *وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ* ﴾[١]وثبت ذلك بأحاديث كثيرة متواترة المعنى ، وبإجماع الأمة. وحاشا أن يقول أحد منا خلاف ذلك [٢]. فإنّه من أنكر ذلك فهوعندنا كافر لأنّه منكر للنص القطعي الصريح. [٣]

ويقول الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** -وهوالمؤسس الأول الأصل **لجامعة ديوبند** وينتسب إليه المتخرجون من هذه الجامعة-وإليه الرئاسةوالإمامة عندهم في الكلاميات:

لما كان نبوته ﷺ بالذات ، ونبوة سائر الأنبياء بالعرض ، لأن نبوتهم عليهم السلام بواسطة نبوته ﷺ، وهوالفرد الأكمل الأوحد الأبجل ، قطب دائرة النبوة والرسالة وواسطة عقدها، فهوخاتم النبيين ذاتاً وزماناً . وليست خاتميته ﷺ منحصرة في الخاتمية الزمانية، فإنّه ليس كبير فضل ولازيادة رفعة أن يكون زمانه ﷺ متأخراً من زمان الأنبياء قبله، بل السيادة الكاملة والرفعة البالغة والمجد الباهر والفخر الزاهر تبلغ غايتها إذا كان خاتميته ﷺ ذاتاً وزماناً. [٤]

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٠

(٢) إنما ذكر ذلك لأن طوائف من المنسوبين إلى الإسلام من أهل الهند يرمون الشيخ محمد قاسم بذلك.

(٣) المهنّد على المفنّد ص ١٧

(٤) المهنّد على المفنّد ص ١٧ و١٨، من رسالة النانوتوي المسماة بـ (تحذير الناس) . وليلاحظ أنّ

فضل ذكر أحواله الشريفة السامية

من ذاته وولادته ونحوها

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إجابةً عن سؤال استقباح ذكر ولادته وعده من البدعات السيئة المحرمة :

"حاشا أن يقول أحد من المسلمين فضلاً أن نقول نحن إن ذكر ولادته الشريفة عليه الصلاة والسلام بل وذكر غبار نعاله وبول حماره ﷺ مستقبح من البدعات السيئة المحرمة . فالأحوال التي لها أدنى تعلق برسول الله ﷺ ، ذكرها من أحب المندوبات وأعلى المستحبات عندنا، سواء كان ذكر ولادته الشريفة أوذكر بوله وبرازه وقيامه وقعوده ، ونومه ونبهته ...

إنّ ذكر الولادة الشريفة لسيدنا رسول الله ﷺ بروايات صحيحة – في أوقات خالية عن وظائف العبادات الواجبة – وبكيفيات لم تكن مخالفةً عن طريقة الصحابة وأهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، وباعتقادات لم تكن موهمة بالشرك والبدعة، وبالآداب التي لاتكون مخالفة عن سيرة الصحابة التي هي مصداق قوله عليه السلام : "**ما أنا عليه وأصحابي**" وفي مجالس خالية عن المنكرات الشرعية ، موجب للخير

من أول من قام – لدفع فتنة المتنبي القادياني – وشمر وشد المئزر حتى رد الله تعالى كيده على نحره ، علماء ديوبند – ولا يزالون متحمسين لذلك ويبذلون جهودهم في سبيل دفع هذه الفتنة وغيرها من الفتن المعادية للإسلام والمسلمين.

والبركة بشرط أن يكون مقروناً بصدق النية والإخلاص ، واعتقاد كونه داخلاً في جملة الأذكار الحسنة المندوبات غير مقيّدٍ بوقت من الأوقات .

فإذا كان كذلك لا نعلم أحداً من المسلمين أن يحكم عليه بكونه غير مشـــروع أوبدعة ...

إنا لا ننكر ذكر ولادته الشريفة بل ننكر على الأمور المنكـــرة الـــتي انضمـــت إليها. (١)

إنَّ من اعتقد قدوم روحه الشريفة من عالم الأرواح إلى عالم الشـــهادة، وتيقـــن بنفس الولادة المنيفة في المجالس المولدية، فعامل ما كان واجباً في ساعة الولادة الماضيـــة الحقيقية، فهومخطئ متشبّهٌ بالمجوس في اعتقادهم تولُّدَ معبودهم كل سنة ، ومعاملتهم في ذلك اليوم ما عومل به وقت ولادته الحقيقية ، أومتشبّهٌ بروافض الهنـــد في معـــاملتهم لسيدنا الحسين وأتباعه من شهداء كربلاء رضي الله عنهم أجمعين.(٢)

---

(١) المهنّد على المفنّد ص ٢٧ ، ٢٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٠

علمه ﷺ و مبلغ علمه

وهل يجوز إطلاق لفظ عالم الغيب عليه ؟

يقول الشيخ خليل أحمد :

نقول باللسان ، ونعتقد بالجنان ، أنَّ سيدنا رسول الله ﷺ أعلم الخلق قاطبة بالعلوم المتعلقة بالذات والصفات والتشريعات من الأحكام العملية والحكم النظرية، والحقائق الحقة ، والأسرار الخفية ، وغيرها من العلوم ، ما لم يصل إلى سرادقات ساحته أحد من الخلائق ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . ولقد أعطي علم الأولين والآخرين، وكان فضل الله عليه عظيما.

ولكن لايلزم من ذلك علم كل جزئيٍّ وجزئيٍّ من الأمور الحادثة في كل آن من آونة الزمان ، حتى تضر غيبوبة بعضها عن مشاهدته الشريفة ، ومعرفتِه المنيفة بأعلميته عليه السلام وسعته في العلوم، وفضله في المعارف على كافة الأنام، وإن اطّلع عليها بعض من سواه من الخلائق والعباد، كما لم يضر بأعلمية سليمان عليه السلام غيبوبة ما اطّلع عليه الهدهد من عجائب الحوادث حيث يقول ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1] [2].

---

[1] سورة النمل- ٢٢
[2] المهنّد على المفنّد ص ٢٠-٢١

وقال أيضاً : إنّ النبي ﷺ أعلم الخلق على الإطلاق بالعلوم والحكم والأسرار وغيرها من ملكوت الأفاق، ونتيقن أنّ من قال : إنّ فلانا أعلم من النبي عليه السلام فقد كفر(١).

وقال أيضاً : حاشا أن يدّعي أحد من المسلمين المساواة بين علم رسول الله ﷺ وعلم زيد وبكر وبهائم ... ونتيقن بأن معتقدِ مساواة علم النبي- عليه السلام -مع علم زيد وبكر وبهائم ومجانين كافر قطعاً .(٢)

وقال الشيخ محمد طيب :

إنّ *علماء ديوبند* يعتقدون أنّ علمه العظيم أعظم وأكثر بمراتب ودرجات لاتعد ولا تحصى - من علم غيره من جميع العالم من الملائكة والأنبياء والأولياء لكنهم لا يقولون بأنّ علمه ذاتي ومحيط.(٣)

ومع اعتقادهم بهذا في علمه الشريف وسعته إنهم يقولون - كما ذكر الشيخ التهانوي : لا يجوز إطلاق لفظ « **عالم الغيب** » على سيدنا رسول الله ﷺ وإن كان بتأويلٍ لكونه موهماً بالشرك، كما منع من إطلاق قولهم : « **راعنا** » في القرآن . ومن قولهم : «**عبدي وأمتي** » في الحديث ، أخرجه مسلم في صحيحه . فإن الغيب المطلق في الإطلاقات الشرعية ما لم يقم عليه دليل ولا إلى دركه وسيلة وسبيل.(٤)

---

(١)المصدر السابق ص ٢٢

(٢) المهنّد على المفنّد ص ٢٦ و٢٧

(٣) علماء ديوبند ص ١١٨

(٤) المهنّد على المفنّد ص ٢٥

بشرية النبي ﷺ

يقول الشيخ محمد طيب القاسمي :

مسلكهم أنّ الأنبياء بشر، بدون ريب وشبهة ، لكن أطهر أفراد البشر كالياقوت في الحجر، فهم ليسوا من جنس غير جنس البشر، وإن لم يعتقد فيهم البشرية والإنسانية - والبشر أشرف الخلق وأفضله - فهذا يعني بمطوياته إيصالهم إلى حدود الألوهية وهوشرك جلي غير خفي ، فكما أن الإساءة في حقهم وإليهم كفر، وعظمتهم عين الإيمان، كذلك خلط ماهومن الشرك بعظمتهم كفر فوق كفر[١].

وقال أيضاً في نبيناﷺ :

إنّ *علماء ديوبند* يعتقدون من أعماق قلوبهم أن سيد الكونين محمداً المصطفىﷺ أفضل الكائنات ، وأفضل البشر ، وأفضل الأنبياء، وبجانب ذلك يقرون علانية ومجاهرة ببشريته أيضاً، فلا يجترؤون أبداً بنفي البشرية في غلوالعقيدة وإفراط المحبة، وكذلك بالقول بادعاء الربوبية أوبظهور الربوبية في حجاب المجاز ولباسه. [٢]

وأفتى **التهانوي** فيمن يقول بأنّه ﷺ كان بشراً في ظاهره وصورته وفي الحقيقة إنه لم يكن من البشر :" **أن هذه الدعوى كفر**."[٣] ولذا فسّر الآيات التي جاء فيها

---

[١] علماء ديوبند ص ١١٩

[٢] المصدر السابق ص ١١٧

[٣] إمداد الفتاوى ٥/٢٢٥

ذكر بشرية الأنبياء ووصفهم بما فسر به الجمهور والسلف الصالح ، فقال في تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾(١) :

قال الأنبياء نعترف ونقر ببشريتنا وبأننا بشر مثلكم، لكن لا تنافي بين البشرية والنبوة ؛ لأنَّ النبوة منّة عظمى من الله تعالى ، وله تعالى الحق والاختيار أن يمن على من يشاء من عباده. (٢)

كما فسر الشيخ التهانوي لفظ النور في قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٣) بالقرآن العظيم، فقال في الترجمة والتفسير :

"قد جاءكم من الله تعالى شيء نوراني، وهو كتاب واضح يعني القرآن المجيد.." ثم قال في هامش تفسيره بالأردية موجّهاً لما اختاره : إشارةً إلى أن عطف الكتاب (على لفظ النور) للتفسير ، فهما متغايران بالصفة ، متحدان بالذات ، ولذا حسن إفراد الضمير في به، وبهذا التفسير حسن إسناد الهداية ههنا إلى الله تعالى ، وجعل الكتاب والنور سبباً ، وإسناد التبيين فيما قبل إلى رسول الله ﷺ، وأما إذا فسر النور بالرسول لا يحصل هذا الحسن. ومؤيد تفسيري هذا قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(٤) وأريد به الكتاب قطعاً."(٥)

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ١١

(٢) بيان القرآن ٦/٥

(٣) سورة المائدة : الآية ١٥

(٤) سورة النساء : الآية ١٧٤

(٥) بيان القرآن ٣/١٤

ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره تحت قوله تعالى ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ :

"قولكم ببشريتنا صحيح ، فإننا لسنا من الملائكة ، ولا نحن خلق آخر، بل إن نحن إلا مثلكم في البشرية، ولكن ألايوجد تفاوت بين أفراد النوع البشري في الأحوال والمدارج ؟ وقد تشاهدون أن الله تعالى فضّل بعضاً من البشر على بعضٍ آخرين من وجوهٍ وجهاتٍ جسماً، وذهناً ، وخلقاً، ومعيشةً ، فإن قيل : إنّ الله تعالى قد بلغ ببعض عباده - ورفعهم - لاستعدادهم الفطري وملكاتهم العليا - إلى مرتبة عليا وأسنى من الكمال الروحاني والقرب الباطني، يسمى بـ **(مقام النبوة)** و**(مرتبةالرسالة)** فما الاستبعاد فيه والإشكال ؟ وبالجملة فإنّ دعوى النبوة لا يلزمها أننا ندعي في حقنا وأنفسنا الانتساب إلى نوع آخر غير البشرية، بل غاية ما يثبت به هو أنّ الله تعالى يمن على بعض عباده منة لايشرف بها غيرهم من العباد. [1]

وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في فتاواه :

"إنهﷺ يساوي نفوسنا في نفس البشرية إلا أن بشريته أزكى وأطيب." [2]

---

[1] تفسير الشيخ شبير أحمد : ص ٣٤٠ هامش ٥

[2] الفتاوى الرشيدية ص ٨٥

تفوق أي امرئ من الأمة على النبي ﷺ

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري:

اعتقادنا واعتقاد مشايخنا أن سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد رسول الله ﷺ أفضل الخلائق كافة وخيرهم عند الله تعالى . لا يساويه أحدٌ، بل ولا يدانيه ﷺ في القرب من الله تعالى والمنزلة الرفيعة عنده.(١)

ويقول الشيخ أشرف علي التهانوي :

(ما يقوله الصوفية) إنَّ الولاية أفضل من النبوة، ليس معناه: أنَّ الولي أفضل من النبي ، وإنما معناه أن منصب الرسالة مركبة من مرتبتين ، إحداهما الولاية ، والثانية النبوة.

فولاية النبي تكون أفضل من مرتبة النبوة له؛ وذلك لأن توجهه إلى إفادة الخلق من جهة نبوته وحيثية نبوته، وتوجهه إلى الحق من حيث الولاية، فالمطلوب الأصلي للنبي أيضاً هوالتوجه إلى الله تعالى، وأما التوجه إلى الإفادة (أي التوجه إلى الخلق لإفادتهم الخير) فذلك مطلوب بالغير.(٢)

---

(١) المهنَّد على المفنَّد ص ١٦

(٢) أنفاس عيسى ص ٤١١

وقول الشيخ مثل ما قال المفسّرون في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾(١) فيه إشارة إلى شرف مقام العبودية حتى قال الإمام في تفسيره:

"إنّ العبودية أفضل من الرسالة لأنّ بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق فهي مقام الجمع. وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق ، فهي مقام الفرق. والعبودية أن يكل أموره إلى سيده، فيكون هو المتكفل بإصلاح مهامه ، والرسالة التكفل بمهام الأمة، وشتان ما بينهما.(٢)

ولما كان معتقد *علماء ديوبند* في الصحابة أنّه لايفوقهم أحد من الأمة فضلا وكمالاً(٣)، كما سيأتي ، ومعتقدهم في النبيﷺ ما ذكر الشيخ **خليل أحمد** ، فليس من معتقدهم – ولم يصح ذلك ولم يثبت – أنّ أحداً من الأمة يفوق الأنبياء أونبينا عليهم الصلاة والسلام . وغاية ما جاء وثبت عنهم في ذلك هو زيادة بعض أفراد الأمة عليهم في بعض الأعمال كمّا لا كيفاً، وصورة لاحقيقة، وهذا مما لا يستنكر، ولا وجوده وثبوته ينكر، كما أنه لا يستلزم ولايوجب فضل الزائد والمستزيد ولا كماله عليهم، عليهم الصلاة والسلام .

وقد ثبت عن غير واحدٍ من الصحابة ختم القرآن في ليلةٍ واحدة (٤)، وعن بعضهم إحياء الليالي كلها في القيام والتهجد(٥)، وعن بعضهم سرد الصوم(٦)، ووصاله، ثبت بعض ذلك بدون إنكارٍ منهﷺ بل بإذنه.

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١

(٢) روح البيان ١٠٣/٥

(٣) علماء ديوبند ص ١١٧

(٤) جامع الترمذي ، أواخر أبواب القراءات روي ذلك عن عثمان ، ورواه الطحاوي عن =

أقول : وهذا مثل ما يوجد ويقال بالنسبة إلينا مع الصحابة ، فإنّ فضل الصحابة على جميع أفراد الأمة - بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، وراجع لذلك أبواب الفضائل والمناقب من كتب الحديث وشروحه، ومن كتب الكلام أيضاً .

ومعتقد *علماء ديوبند* في ذلك - إنّ الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية خير من أويس القرني ، وعمر ابن عبد العزيز المرواني. ذكره الشيخ التهانوي(١)، وهومن قول ابن المبارك.(٢)

فإذا كا ن حال القرني والمروالي كذلك، فكيف بغيره أن يصل إلى مرتبتهم أويفوقهم فضلاً ، لكن لا يلزم ذلك نفي ازديادهم في قدر الأعمال، بل يدل عليه بعض المروي إشارةً مثل قوله ﷺ : **"لاتسبوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"** (٣).

تميم الداري وابن الزبير (شرح معاني الآثار ١/ ٢٤١)

(*) إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة ص ٦٠ - ١٠٣

(٦) جامع الترمذي ، أبواب الصوم ، باب ما جاء من الرخصة في الصوم في السفر وباب ما جاء في كراهية الوصال في الصيام.

(١) إمداد الفتاوى ٤/٦٠٤

(٢) الفتاوى الحديثية ص ٣٠٥

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذا خليلا .. الخ، وليلاحظ أنه جاء في رواية أنه ﷺ قال: **"إنّ من ورائكم أياماً الصبرُ فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم"**، قيل يارسول الله: أجر خمسين -

فإنَّ ألوفاً من غير الصحابة أنفقوا ملايين في سبيل الله ومصارف الخير ، فهذا ازديادهم في قدر الإنفاق والأعمال، لكن هذه الملايين لاتساوي درهماً من دراهم الصحابة، بل ولا عُشراً عشيراً من مدهم، كما يدل عليه قوله ﷺ المذكور آنفاً.(١)

رجلا منا أومنهم ؟ قال :"لا بل أجر خمسين رجلاً منكم". رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب (جامع الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة المائدة) .

قال الشيخ **عبد الحق المحدث الدهلوي** : وقد جاء أمثال هذا الحديث أخر ، توجيهه كما ذكروا: أن الفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي . وقد تكلم ابن عبد البر في هذه المسئلة وقال: يمكن أن يجئ بعد الصحابة من هوفي درجة بعض منهم أوأفضل ، ومختار العلماء خلافه (هامش جامع الترمذي ١٣٦/٢) .

فظهر من هذا أنَّ البعض ذهب إلى ثبوت الأفضلية أوالمساواة في الفضيلة لمن بعد الصحابة، فذكروا الوجوه في شرح الحديث وتفسيره، إلا أن الجمهور أومعظم العلماء على خلاف ذلك ويوجّهون الحديث بالفضل الجزئي لا الفضل الكلي. أي هذا الفضل لمن بعدهم من بعض الوجوه لا مطلقاً.

وأقول – والله أعلم – إنّ الفضل المسلّم المتفق عليه هوفضل الطبقة أي طبقة الصحابة أفضل وأعلى من جميع طبقات الأمة ، أما الفضل الفردي الانفرادي الحاصل لبعض أفراد بعض الطبقات فلعل هذا الذي أراده ابن عبد البر ومن وافقه ، وفي الموضوع روايات استدل بها ابن عبد البر وموافقوه ، ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح. (راجع فتح الباري ٦/٧ و ٧)

(١) وقد جاء ذكر هذه الزيادة – أي زيادة الأعمال – لبعض الرجال من غير الصحابة عليهم في كلام **ابن تيمية** عليه الرحمة أيضاً بنوع اعتراف وتأييد بل بتصويب وتحسين.

(مجموع الفتاوى ١٣/١١و١٤و١٧و١٨)

رؤية النبي ﷺ مناما ويقظة

لاعجب ولاإنكار من أن يرى أحدٌ النبيﷺ - بعد وفاته- في المنام ، وقد ورد في ذلك روايات صحيحة وعرفت واشتهرت .

أما رؤيته يقظة بعد ذلك، فيقول فيه الشيخ التهانوي في كتابه نشر الطيب :

"وقد جاء في الآثار والأخبار كلامه مع بعض خواص الأمـــة ، وإرشـادهم إلى بعض الأمور يقظة أحياناً ، وأما في حال الرؤيا والكشف فلا عدٌ ولا إحصاء لمثل هذه الوقائع(١).

---

(١) نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب ص ٢١٠ .

قال المناوي في شرح الشمائل : وحكى عن المازري واليافعي والجيلي والشاذلي والمرسـي وعلى وفا والقطب القسطلاني وغيرهم أنهم رأوه يقظة . قال ابن أبي جمرة : ومنكرُ ذلـك إن كان ممن يكذب بكرامات الأولياء فلا كلام معه ، وإلا فهذه منها؛ إذيكشف لهم بخرق العـادة عن أشياء في العالم العلوي والسفلي .... وقال حجة الإسلام (الغزالي) : وهم- يعني أربـاب القلوب - في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسـون منهم فوائد، وقال القونوي : ... من ثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل من الأنبياء ، والأولياء اجتمع بهم ...

وأنكر ذلك طائفة، منهم القرطبي محتجين بأن القول به جنون ، لاستلزامه خروجـه -ﷺ- من قبره ، ومشيه بالسوق ، ومخاطبته للناس وخلوقبره عنه ورؤية اثنين معـاً لـه في اليقظـة في مكانين وغير ذلك .

ويبطله ما تقرر أن من كرامات الأولياء خرق الحجب، فلا مانع عقلاً، ولاشرعاً، ولا عـادةً، أن الولي البعيد عنه يكرمه الله تعالى بأن لا يجعل بينه وبين الذات الشـريفة سـاتراً ولا حاجبـاً، =

وقد جاء في الروح لابن القيم بعض ما يدل على رؤية الأحياء أمواتاً وسماع كلامهم حال اليقظة كأنهم أحياء، كما ثبت غير ذلك. (١)

وثبت وصح كلام زيد بن خارجة رضي الله عنه - بعد موته - مع جماعته ومن شهد جنازته قبل حملها ودفنها . روى ذلك عدد كبير من المحدثين ، وذكره أكثر من ألف في أحوال الصحابة وسيرهم وقبله أئمة الحديث والرواية(٢) ولفظه كما في الاستيعاب في أسماء الأصحاب:

عن سعيد بن المسيب أنَّ زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي في زمن عثمان بن عفان فسجي بثوب، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم

كالزجاج يجلى ما وراءه، وهوحي في قبره ، فلا مانع أن يكرم الله الولي بمحادثته ورؤيته بعين البصيرة فلا أثر للقرب والبعد .

وقول الحافظ ابن حجر : ما ذكر الأولون مشكل ، ولوحمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولبقيت الصحبة للقيامة، رُدَّ بان شرط الصحبة الرؤية في الحياة وهذا خوارق، والخوارق لا تنقض لأجلها القواعد الكلية .

ولا حجة للمانعين في أنَّ فاطمة اشتد حزنها عليه حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر، وبيتها مجاور لضريحه ، ولم ينقل أنها رأته ، لأنَّ عدم نقله لا يدل على عدم وقوعه، وقد يكرم الله المفضول بما لا يكرم به الفاضل(شرح المناوي للشمائل على هامش جمع الوسائل ٢/٢٣١-٢٣٢ ملخصاً ونحوه في جمع الوسائل٢/٢٣٧-٢٣٨، وذكره تفصيلاً ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية ص:٢٩٧-٢٩٨).

وإنما نقلت هذا من كلام المناوي استدلالاً على أن معتقد علماء ديوبند برؤيته ﷺ يقظة لم يتفردوا به ، وهم غير مخترعين ولا محدثين بمثل هذا ، بل لهم سلف من أكابر الأمة وأئمة الدين المقبولين الصالحين المشهود لهم بالصلاح والتقى من الأمة.

(١) الروح ص ٨ و٩

(٢) تذكرة الشيخ عبد الرحيم الدهلوي ص ١٧٢

فقال : أحمد أحمد في الكتاب الأول ، صدق صدق أبوبكر الصديق ، الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول. صدق صدق عثمان بن عفان، على منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان . أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس ، وما بئر أريس.(١)

قال يحيى بن سعيد : قال سعيد بن المسيب : ثم هلك رجل من بني خطمة فسُجّي بثوب فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال : إنّ أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق.(٢)

وفي الاستيعاب: وكانت وفاته في خلافة عثمان. وقد عرض مثل قصته لأخي ربعي بن خراش أيضاً.(٣) فهذه ثلاث قصص من تكلُّم الموتى ذكروها بأسانيد متصلة.

---

(١) الاستيعاب في ذكر الأصحاب ٥٦٢/١ و٥٦٣ . والإصابة ٥٦٥/١ ، ٢٤/٢ لكن فيه ذكر أنه تكلم بعد موته فقط و لم يذكر القصة .

قال في الاستيعاب ٥٦٢/١ وهوالذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك . وذلك أنه غشي عليه قبل موته ، وأسري بروحه فسجي عليه بثوبه ثم راجعته نفسه فتكلم بكلام حُفظ عنه في أبي بكر وعمر و عثمان رضي الله عنهم ثم مات من حينه . روى حديثه هذا ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير عن أبيه ، ورواه يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب ، وقال ابن الأثير في أسد الغابة ١٣١/٢ . وهذا زيد هوالذي تكلم بعد الموت في أكثر الروايات وهوالصحيح - وأما كلام زيد، فإنّه أغمي عليه قبل موته فظنوه ميتاً فسجوا عليه ثوبه ثم راجعته نفسه فتكلم - ثم مات.

(٢) الاستيعاب ٥٦٢/١

(٣) المصدر السابق

وكان الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي صاحب (حجة الله البالغة) ممـــن يذهبون إلى صحة ذلك ووقوعه، وهوالقدوة والحجة لجميع أهل الســـنة والجماعــة في الهند كماهو معروف، فذكر الإمامُ بعض الوقائع من هذا لأبيه الشيخ عبد الرحيـــم الفاروقي.(١)

وذكر عدة وقائع لنفسه أيضاً في كتابه " **فيوض الحرمين** " . ورســـالته "**الـــدر الثمين في مبشرات النبي الأمين** " وهذه الرسالة طبعت ملحقة برسالته في الأحـــاديث المسلسلة المسماة بـــ " **الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين**."(٢)

ومن أهم ما يصح به الاستدلال في هذه المسألة ما جـــاء في روايـــات الإســـراء والمعراج من رؤيته ﷺ الأنبياءَ السابقين مراراً وما اشتهر من ذلك، ولنا أن نقول بـــل تواتر وقوع ذلك حينما وصل ﷺ إلى بيت المقدس فدخل فيه وصلّى، ثـــم حينمـــا وصل ودخل إلى السموات العلى.(٣)

---

(١) تذكرة الشخ عبد الرحيم الدهلوي ص ١٠١ - ١٠٣ وأنفاس العارفين ص ٥ و٧ و٤٢ و٤٧

(٢) فيوض الحرمين ص ٢٧ -٢٩ و٤٠ و٤٤ . الفضل المبين والـــدر الثمـــين ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٠ ، ١٥٨

(٣) صحيح البخاري ، مناقب الأنصار باب المعراج وراجع جامع الأصـــول ٢٩٢/١١ - ٣١٠ . ومسلم . الإيمان ، باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات

نداء النبي ﷺ بلفظ الخطاب بعد وفاته

قال التهانوي في بعض فتاواه التي تتعلق بهذا الموضوع والسؤال :

قال الله تعالى ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ (١)،وقال رسول الله ﷺ : **"لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي ، ولا يقل العبد: ربي"**. رواه مسلم عن أبي هريرة(٢)، كذا في المشكاة(٣).

وقال ﷺ " **لا تقولا: ماشاء الله وشاء فلان.** " رواه أحمد وأبوداود(٤)وفي رواية: " **لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد.**" رواه في (شرح السنة) (٥)كذا في المشكاة(٦).

الألفاظ المذكورة في السؤالين (أي النداء لغير الله بلفظ الخطاب والتلقيب لبعض الناس بدافع القحط والوباء ، وكاشف الكرب وقاضي الحاجات، ونحوذلك). فوق الألفاظ المذكورة، المنهي عنها في الكتاب والسنة بدرجات في إيهام الشرك يقيناً، سواء كان النهي بأي درجة، وتعيين ذلك من عمل المجتهد ، لكن بكل حال مكروه وغير مرضي ، فلما كان الأخف منهياً عنه عند الشارع عليه السلام كان الأشدُّ ممنوعاً بالأولى .

---

(١) سورة البقرة : الآية: ١٠٤

(٢) صحيح مسلم ، الألفاظ ، باب إطلاق لفظة العبد والأمة الخ

(٣) مشكاة المصابيح . كتاب الآداب ، باب الأسامي

(٤) مسند أحمد ٣٨٤/٥ و٣٩٥ . وأبوداود ، الآداب . باب لايقول المملوك ربي وربتي

(٥) شرح السنة ٣٦٠/١٢ و٣٦١

(٦) مشكاة المصابيح . كتاب الآداب ، باب الأسامي

والوجه الثاني أنَّ الألفاظ المنهي عنها في الحديث إنمـا يتفـوَّه بهـا النـاس في محاوراتهم وعاداتهم في الكلام، ولايوجد فيها شيء من معنى التعبد، لكن هذه الألفاظ - المسؤولة عنها- تصحب الاعتقاد بالتبرك والتقرب إلى الله أوإلى أوليائـه، حسب اختلاف معتقدات الناس فهذا نوعٌ من التعبد .

وقد علم فيما تقدم – المنع عن ذلك ، وعدم مشروعيتها ، وظاهر أنَّ التعبد بأمر ممنوع – ومعناه اعتقاد المعصيةِ طاعةً – أقبح وأشنع من استعمال الممنـوع في غير موضع التعبد ، لأنَّ الفاعل لا يعتقد المعصية في هذه الصورة سبباً لرضاء الحق تعـالى، وفي الأولى يعتقد المعصية والممنوع سبباً لرضائه .

ولما ثبت النهي وتقرَّر المنع – فلوثبت وصح ذلك عن شخص أُمِرنا بأن نُحسن الظن به أونحن نلتزم بذلك فيه – لا يجوز به التغير في الحكم الشـرعي ، ولا لأحد استعماله ، ولاالاستدلال به ، بل غاية الأمر أن نختار فيه تأويلاً يليق بذلك الشخص، ولا يستهدف هذا التأويل الإجازةَ والإذنَ، بل الغرض حفظ شـخصه عـن انتهـاك حرمته، وعن سوء الظن به، لأنَّ النهيَ عنه ثبت وتقرَّر بالحجج الشـرعية ، **وفعل المشايخ ليس بحجة شرعية لاسيما تجاه النص وخلافه** .

وإنما التأويل لأجل الضرورة ، ولاضرورة لارتكاب مثل هذه الأعمال، وتجويز التأويل لايسوغ تجويز الارتكاب، فلوكان التأويل المختار ضعيفاً ، نلجـأ إلى آخر مناسبٍ، ولا نجوزه ونسوغه بدون تأويل لأجل ضعف التأويل .

أما القول بعدم خوف تعدي الضرر فالجواب **أوّلاً**: أنه مردود لأجل ثبوت الضرر اللازمي، فلاحاجة إلى نفي ومراعاة الضرر المتعدي .

وثانيا: إنَّ ما صدر ووُجد من بعض الأكابر (أي المقبولين) قد وصـل إلينـا، ونقل إلينا ، فكذلك إذا فعلنا نحن هذا، فلا محالة فعلنا يؤثر وينقل إلى غيرنـا فكيف يصح دعوى انتفاء الضرر المتعدي .

... وأما استعمال الألقاب المذكورة، **فأولاً**: إنّ القائلين والداعين بها يتجاوزون الحدود يقيناً، **وثانيا**: ثبت عنها المنع أيضاً بما تقدم وتقرر.

وهذا الكلام في المسألة استدلالاً، وأما الكلام ذوقاً فأكتب حالفاً بالله تعالى أنّ من كان في قلبه نور السنة يجد ظلمة وكدرة في قلبه، إذا تكلم بمثل هذه الألفاظ، بل إذا سمعها من أحد غيره، فإنّه يتنفر عنه - مع الإذن أيضاً - مثل ما يتنفر المرء عن طعام يتسبب للقيء - وايضا إنّ الذين يذكر لهم جواز مثل هذا، لا تخلوقلوبهم عن مرضٍ خفيٍّ في هذه الأمور.(١)

وقال في موضع آخر - إن هذه الخطابات لها ثلاث مراتب :

الأولى: أن يعتقد أصحاب الخطابات متصرفين في الأمور بالاستقلال، فهذا شرك صريح .

والثانية: أن يعتقدهم متصرفين بالإذن ومطّلعين على هذه الخطابات - بمشيئة الله تعالى - وهذا ليس بشيءٍ من الشرك ، لكنّ وقوعه مختلَف فيه بين أكابر الأمة ، فمنهم المثبت ومنهم النافي ، والمثبتون لا يجيزون النداء من بعيد، ولا يوجد دليل يدل على السماع من البعد دواماً. ومثل هذا الاعتقاد بدون دليلٍ شرعيٍّ -مع أنه ليس بشرك حقيقةً صريحاً - لكنه معصية وكذب حقيقةً، وشركٌ صورةً.

دليل المعصية قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٢) ودليل الكذب صدق تعريفه عليه . وأما الشرك صورةً فلأجل التشبه في عادة من يعتقد بالمرتبة الأولى، ولوثبت ونُقل عن أحدٍ من الأولياء كرامةً ، فذاك خرق للعادة ، وخرق العادة لا يستلزم دوام العادة ، إلا أنه جاز نداء الأولياء للاستمداد على قبورهم مجازاً عند المثبتين إذا لم يستلزم ذلك مفسدةً أخرى وإلاّ فلا.

---

(١) إمداد الفتاوى : ٣٦٩/٥ - ٣٧١

(٢) سورة الإسراء : الاية ٣٦

والثالثة: أن لايعتقد التصرف ولا السماع بل يخاطبهم (ويناديهم) بمثل هذه الخطابات في غلبة الحب وشدة الحنين إليهم ، كما يخاطب الشعراء في كلامهم الرياح التي تجري إلى جهة الحجاز والحرمين، فهذا ليس بشرك ولا بمعصية. وهذا يجوز في نفسه بشرط أن لايتعدى حدود الشرع في الألفاظ والخطابات. وأيضا لايستلزم فساد عقيدة العوام، لأنَّ المرء كما يجب عليه أن يجتنب عن المعصية يلزم عليه أيضاً أن يصون غيره من المسلمين لاسيما العوام، فإذا استلزم هذا العمل فساد عقيدتهم لايجوزأبداً (١).

ويقول شيخ مشايخ علماء ديوبند رشيد أحمد الكنكوهي في بعض فتاواه :

إنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس لهم علم بالغيب، فلا يجوز النداء بـ (يارسول الله) فلوقال أحد - على اعتقاد أنهم يسمعون من بُعدٍ لأجل علمهم بالغيب والمغيبات - فهذا كفرٌ ، ولوقاله بدون هذا الاعتقاد فهذه كلمة شبيهة كفر، وليس بكفر .

وجاز القول بها إذا قاله أحد ضمن الصلاة على الرسولﷺ على اعتقاد أن الملائكة يبلّغونه صلاتَه وسلامَه عليه؛ لأنَّه ورد في الحديث أنَّ الملائكة يعرضون صلاة المؤمنين على النبيﷺ وقد وكل به جماعة من الملائكة وصنف منهم.(٢)

وقال في موضع آخر من فتاواه وقد سئل عن بعض أشعار عظماء الأمة جاء فيها النداء بالخطاب وللاستمداد :

"أنت بنفسك تعرف أن النداء لغير الله تعالى من بُعدٍ شرك حقيقة إذا صدر ذلك من أحدٍ على اعتقاد أنَّه عالم سامع ، مستقل في ذلك بذاته، وإلا فليس بشرك،

---

(١) إمداد الفتاوى : ٥/٣٧٨ و٣٧٩

(٢) الفتاوى الرشيدية : ص ٦٦

مثل أن يعتقد أنَّ الله تعالى يُطلعهم على ذلك، أوينكشف ذلك لهم بإذنه تعالى، أويعرض عليهم الملائكة ذلك ويبلغونهم بإذنه تعالى ، كما ورد وثبت وصح في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك إذا فعله ذلك وقاله في غلبة الحب أولغرض وبيان تحسره وحرمانه، ففي مثل هذه المواضع لايقصدون الإسماع، ولا يعتقدونه باستعمال لفظ الخطاب والحاضر. فكلمات المناجات (الندائية الخطابية) وكذلك الواردة في الأشعار للعظماء والأولياء من هذا القبيل ، فإنَّها في ذاتها ليست بشرك، ولا بمعصية إلا أنه يكره التلفظ بها، والقولُ بها في مجامع الناس، لأنَّ في ذلك ضرر العوام ، ولأجل أنها لذاتها موهمة بالشرك. وعلى هذا لا يمنع من قراءة مثل هذه الأشعار، ولا طعن على من يؤلِّفها ويقولها ، وإنما ترتفع كراهتها لأجل الإيهام - بغلبة الحب والحنان، إلا أنّي لا أحب قراءتها وإنشادها بحيث أن يخشى لأجلها على العوام وعلى عقيدتهم، ومع أنني لا أقول إنَّها معصية (أي مطلقا) أراها خلاف مصلحة هذا الزمان.(١)

اعلم أنَّ حديث الأعمى المشهور في مسألة التوسل الذي رواه الإمام الترمذي وغيره وسيأتي ذكره مفصلاً، جاء فيه لفظ الخطاب والنداء للنبيﷺ حال الدعاء مع الله تعالى، ولما كان ذلك الرجل مشغولاً بالدعاء، فلم يكن حينذاك مخاطباً مع النبيﷺ أبداً ، فهذا يدل ويرشد إلى الجواز في الجملة، أي جواز استعمال لفظ الخطاب حال غيبة المخاطب عن المتكلم سواء كان حياً بعيداً عنه أوميّتاً ، ويؤيّده بعض ما يأتي ذكره في بيان مسألة التوسل بالنبيﷺ من مسائل باب النبوة . وقد جاء في الأخبار أنَّ رجلاً أتى قبر النبيﷺ فقال : يارسول الله استسق الله لأمتك.(٢) سنده صحيح

---

(١) المصدر السابق: ص ٦٨

(٢) فتح الباري ٤٩٥/٢ ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه وسنده صحيح . والبخاري في تاريخه ، والبيهقي وغيره - مقالات الكوثري ص ٣٨٨ و٣٨٩

لكن لا يخفى أنَّ ذلك أيضاً لا يخلو من الخطورة والخطرة إذا تُوُسِّعَ فيه، بحيث أن يؤذن للناس في استعمال هذا الثابت إطلاقاً بناءً على أنه منقول ومأثور؛ لأنه يستلزم فساد العوام في عقيدتهم وإيمانهم، وهذا ما ألجا البعض إلى التوجيه والتأويل، وسيأتي في المسألة السالف ذكرها آنفاً ، والبعض إلى تغيير لفظ الخطاب كما ورد ذلك في نداء تشهد الصلاة (السلام عليك أيها النبي) مروياً عن بعض الصحابة بأسانيدصحيحة.(١)

ولذا فإنَّ الشيخ **أشرف على التهانوي** غيَّر اللفظ في كتابه (مناجات مقبول) الذي جمع فيه الأدعية المأثورة ، الواردة في القرآن الكريم والأحاديث والآثار، مع شيء منه من غير المأثور، واختصره فذكر: من كانت له حاجة فليقل بعد الوضوء والصلاة : (اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيك محمدٍ نبي الرحمة في حاجتي هـذه لتقضى لي فشفِّعه فيَّ). (٢)

وكتب في الهامش : اختصرتُه لأنَّ النداء الوارد فيه لادليل على بقائه بعد حياته عليه السلام. فكتب إليه البعض معترضاً : إنَّك غيَّرت في رواية الأعمى: يا محمدﷺ فلعلك تلقِّن الناس بـ « **السلام على النبي**» في التشهد .

فأجاب الشيخ عن ذلك تفصيلاً وتحقيقاً بأسلوبٍ علمي حسب عادته ولخَّص جوابه في الألفاظ التالية :

"إني لا ألقن في التشهد بـ « **السلام على النبي** » إلا أنه قاله وفعله بعض أجلة الصحابة. رواه البخاري في كتاب الاستئذان باب الأخذ باليدين من قول ابن مسعود.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان وفتح الباري ٣١٤/٢ كتاب الاذان باب التشهد في الاخرة

(٢) مناجات مقبول كريمي . تتمة ص ٢٥٦

وأما عدم عمل عامة الأئمة بذاك فلأنّ هذا الخطاب يبلغ إلى النبي ﷺ بواسطة الملائكة ؛ لأجل اقترانه بالسلام ، فلا احتمال فيه للمفسدة. بخلاف قصة الأعمى فإنّه لايوجد فيها دليل البلاغ والإبلاغ ، وكـــان النـــبي ﷺ موجوداً إمامه ، وفيما بعد ذلك من الزمن (أي زمن الصحابة والتـــابعين) كان العوام صالحي العقيدة فكانوا يحملون هذا الخطاب علـــى الحكايـــة ، لكن الآن فإنّ فساد عقيدة أكثر العوام مشاهد، فلوكان أحد من العـــوام -في هذه الأيام - على عقيدة صحيحة ، باليقين ، فله الآن أيضاً اتبـــاع المنقول والمأثور أولى.[1]

---

(1) بوادر النوادر ، من هامشه ص ٧١١

التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء

في حياته وبعد مماته

يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء والصديقين في حياتهم وبعد وفاتهم بأن يقول في دعائه: اللهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي، وتقضي حاجتي ، كما صرح به شيخنا ومولانا **محمد إسحق الدهلوي** ثم المهاجر المكي ثم بيّنه في فتاواه شيخنا ومولانا **رشيد أحمد الكنكوهي** رحمة الله عليهما.(١)

وقال **التهانوي** في بعض فتاواه وقد سئل رحمه الله تعالى عن توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب دون النبي ﷺ ،كما روى البخاري في صحيحه بلفظ : **"عن أنس أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قُحِطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا. قال فيسقون"** (٢). فأجاب بقوله :

"التوسل بالحي والميت يجوز كلاهما. أما التوسل المذكور في هذا الحديث فكان ذلك بدعاء العباس ، وتوسل عمر رضي الله عنه بدعائه ، وكان لا يمكن ذلك بالنبي ﷺ لأنّ طلب الدعاء منه كان خارجاً عن العلم والاختيار . فلم يلزم بذلك عدم جواز

(١)المهنّد على المفنّد ص: ٧ و٨

(٢)صحيح البخاري . أبواب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا

التوسل بالميت مطلقاً . وقد ثبت عن الصحابةرضي الله عنهم تعليم التوسل بالنبيﷺ ، وقد عرف واشتهر في ذلك قصة الأعمى(١).

والحديث الذي أشار إليه الشيخ **التهانوي** قد رواه الترمذي بلفظ : أنّ رجلا ضريرالبصر أتى النبيﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . فقال : " إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ فهوخير لك." قال : فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء - اللهم إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي فشفّعْه فيَّ." (٢)

وقال **التهانوي** في رسالته « **الإدراك والتوصل إلى حقيقة الإشراك والتوسل**» بعد أن ذكر حديث : " **هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم.** "(٣):

"دلّ على أمرين، الأول .... **والثاني** : ثبوت التوسل بالمقبولين ذواتهم وأعمالهم الظاهرة وأعمالهم الباطنة، كما تدل عليه بضعفائها ، ودعوتهم وإخلاصهم.

والتفصيل في المسألة أن التوسل بالمخلوق له تفاسير ثلاثة .... .

والثالث: دعاء الله ببركة هذا المخلوق المقبول، وهذا قدجوّزه الجمهور، ومنعه **ابن تيمية** وأتباعه، زعماً منهم أنه لم يذكر أحدٌ من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي ، والصالح بعد موته ، ولا في مغيبه ، كما في رسالته **زيارة القبور**، والعجب منه أنه بنفسه قد ذكر في رسالته المذكورة قول المجوِّزين ودليلهم بما نصه:

---

(١) إمداد الفتاوى ٨٥/٥

(٢) جامع الترمذي ، أبواب الدعوات، الحديث رقم: ٣٥٧٣ ، وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن ماجه ، أبواب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الحاجة

(٣) صحيح البخاري . الجهاد ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب

"قالوا : وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق، لكـــن فيــه سؤال بجاهه كما في (ابن ماجه) (١) : "**بحق السائلين عليك** " و" **بحق ممشاي** "، هذا والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً..." - إلى آخر ما قال وأطال، وســرد الآيــات والأحاديث ، و لم يجب عن هذه الدلائل لكن مع هذا ثبت على المنع .

وحقيقة هذا المعنى الثالث : اللهم إنّ العبد الفلاني ، أوالعمــل الفلانــي ، لنــا أولفلان، مقبول ومرضي عندك، ولنا تلبس وتعلق به ، إمّا مباشرة له في العمل، وإمــا محبة له في العبد أوعمله، وأنت وعدت الرحمة بمن له هذا التلبس فنسألك هذه الرحمة.

فياليت شعري أي محذور فيه نقلاً أوعقلاً . نعم لومنع عنه لمصلحة العــوام لمــا خالفناه، لكنّ الكلام في تحقيق المسألة، فالحق فيه معنا إن شاء الله تعالى ، فاغتنم هـــذا التحرير الكاشف بحقيقة التوسل وحقيقة الشرك اللتين يتحير فيهما كثير من الفضــلاء والعقلاء. (٢)

ويقول الشيخ **التهانوي** أيضاً في كتابه في السيرة النبوية العجيب الغريب المسمى بــ «**نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب**» في الفصل الثامن والثلاثين الذي عقـــده في هذا الموضوع :

"إنّ التوسل وإن لم يكن قربةً مقصودة مثل الصلاة على النبيﷺ، لكنه مثلها في الفائدة والتأثير ، وهوأن كلاً منهما يقرب الدعاء إلى الإجابة ... وقد اختلــف فيــه البعض بنوع اختلاف ، لكن الجمهور فيه على الجواز بشرط أن يراعي المرء الحـــدود الشرعية، ولذا فإنّه مذهب منصور(٣)" ثم ذكر الروايات واستدل بها على الموضوع.

---

(١) السنن لابن ماجه ، أبواب المساجد ، باب المشي إلى الصلاة

(٢) بوادر النوادر ص: ٧٠٦ -٧٠٩ مختصرا وملخصا

(٣)نشر الطيب ص: ٢٤٧ ، ٢٤٨

وليلاحظ أنَّ ما يستدل به المجوزون من الروايات (١) لعل أقواهـــا وأصرحهـــا حديث الترمذي " اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة" - كما أنه أشهرها لأنَّه ذكره أكثرُ من تكلم في المسألة ، إثباتاً أونفياً ، تجويزاً أومنعاً ، وقوته وصراحتـــه هي التيَ لفتت أنظار المانعين إليه بحيـــث إنَّهـــم التجـــأوا إلى الجـــواب عنـــه لكـــن لابالتضعيف والترديد، بل بالتوجيه والتأويل بما جعل المجوّزين في نوع مســـاغ وســـعة للاستدلال به على ما ذهبوا إليه؛ لأنَّ المانعين لم يجيبوا عنه بمايشفي العليل ويلي الغليل.

قال الشيخ **ابن تيمية** عليه الرحمة في فتاواه :

"إنَّ هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبيﷺ في حياته وبعد مماته، قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق، وإنَّمـــا هودعـــاء واستغاثة بالله لكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن ماجه ...

وقالت طائفةٌ : ليس في هذا جواز التوسل به بعد مماته وفي مغيبه، بل إنَّما فيـــه التوسل في حياته بحضوره ... وذلك التوسل به أنَّهم كانوا يسألونه أن يدعوالله لهـــم فيدعولهم ، ويدعون معه ، ويتوسَّلون بشفاعته ودعائه الخ . .. (٢)

وقال الشيخ **عبد الله بن الشيخ محمد بن عبـــد الوهـــاب** رحمهـــم الله تعـــالى وهويتكلم في هذه المسألة واحتجاج البعض بالحديث المذكور:

"وهوقد احتج بحديث الأعمى الذي قال : « **اللهم إني أسألك وأتوجّه إليـــك بنبيك محمد نبي الرحمة** » - وهذا الحديث لاحجة فيه لوجهين: **أحدهما**: أنه ليس هو استغاثةً بل توجهاً به .

---

(١) وللوقوف على أحاديث الموضوع راجع كتاب شفاء السقام - للتقي السبكي، وكتاب التوصل إلى حقيقة التوسل - لمحمد نسيب الرفاعي ، ومقالات الكوثري - وغير ذلك

(٢)مجموع الفتاوى ٨٣/٢٧ - ٨٥ بحذف

والثاني : أنه إنما توجه بدعائه وشفاعته فإنه طلب من النبيﷺ الدعاء وقال في آخره "اللهم فشفّعه فيّ" ، فعلم أنه شفع له . فتوسّل بشفاعته لا بذاته، كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء، وكما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته. ولذلك أول الحديث أنه طلب من النبيﷺ أن يدعوله، فيدل الحديث على أن النبيﷺ شفع له ودعا له ، وأنّ النبيﷺ أمره أن يدعوالله تعالى وأن يسأله قبول شفاعته .

وقوله : "يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى"، خطاب لحاضر في قلبه كما نقول في صلاتنا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، كما يستحضر الإنسان من يحبه ويبغضه في قلبه ويخاطبه وهذا كثير.(١)

وقال الشيخ عبد العزيز الأول ابن الإمام محمد بن سعود في رسالته:

"هذا خطاب لحاضر كقولنا في صلاتنا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وكاستحضار الإنسان محبه أومُبغضه في قلبه، فيخاطبه بما يهواه لسانه ومعناه: أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته التي معناها في هذه الدار الدعاء، ولهذا قال في تمام الحديث : اللهم شفعه فيّ . أي استَجبْ دعاءه." (٢)

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله:

"وأما توسل الأعمى به في حياتهﷺ فهوتوسل بهﷺ ؛ليدعوله ويشفع إلى الله في إعادة بصره إليه، وليس توسُّلاً بالذات أوالجاه أوالحق، كما يعلم ذلك من سياق الحديث."(٣)

---

(١) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ص: ٣٢٨

(٢) الهدية السنية ص: ٢٨

(٣) مجلة البحوث الإسلامية العدد ٤١ ص: ١١٧ و١١٨

فهكذا أنهم لم ينكروا الرواية ولا ردوها ، وأوّلوها بما لاح لهم، ومعظمهم قالوا إنّ التوسل المذكور كان بالدعاء - بناءً على أنه هو المعروف عملاً في الروايات ، وبناءً على أنّ الأعمى كان طلب منه الدعاء .

لكن المتبادر من معناه هوالتوسُّل المتنازع فيه - أي التوسل بالذات - ويؤيده حديث ابن ماجه كما ذكره الشيخ **التهانوي** ونقله الشيخ **ابن تيمية** ، ولم يرد في قصة الأعمى بأي طريق ولا كتاب، دعاؤه ﷺ بل دعاء الأعمى فقط بما لقّنه النبيﷺ واقرؤوا نص الحديث مرة أخرى :

"إنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني. قال : " إن شئت أخّرتُ لك وهوخير وإن شئتَ دعوتُ " قال : ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء « **اللهم إني أسألك وأتوجّه إليك بمحمد نبي الرحمة . يامحمد إني قد توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى. اللهم شفعه فيّ**»" (١).

فإنّه ليس فيه إلا دعاء الأعمى إياه تعالى - بأمرهﷺ وبلفظ لقّنه النبي ﷺ إياه. وقد ورد عند **الإمام أحمد** في آخر الحديث - **"ففعل الرجل فبرء"** - كما جاء في طريق عند الحاكم : أنّ الأعمى قال لهﷺ - علّمني دعاءً أدعوبه يرد الله عليّ بصري، أي أنه طلب منه تعليم الدعاء لاالدعاء منهﷺ .

---

(١) جامع الترمذي ، أبواب الدعوات - وسنن ابن ماجه ، أبواب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الحاجة - ومسند أحمد ١٣٨/٤ - ومستدرك الحاكم ٥٢٦/١ ، وعند الإمام أحمد والحاكم زيادة بعض الكلمات مثل : "شفعه فيّ وشفعني في نفسي" (الحاكم) و: "تشفعني فيه وتشفعني فيّ" . وروى الحديث المذكور غيرهم أيضاً وقد استوعب طرقه وألفاظه الشيخ ابن تيمية في كتابه (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)

ويؤيد القائلين بالجواز ويؤيد هذا المتبادر من معناه الذي ذكرته- ولنا أن نقول: من أقوى ما يستدل به للجواز- ويدل على أن ذلك الدعاء لم يكن مخصوصا بذلك الأعمى ولا بزمانه ﷺ أمران :

الأول: تعليم راوي الحديث وهوعثمان بن حنيف رضي الله عنه لصاحب حاجة هذا الدعاء بعد أن كان أيس من قضائها، وكانت حاجته عند أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما عمل بذلك ودعا بهذا الدعاء دعاه عثمان وقضى حاجته، وبعد ذلك روى عثمان بن حنيف لذلك الرجل قصة الأعمى وهذا الدعاء الذي علّمه، وروى القصة الطبرانيُّ والنسائيُّ وذكر الطبراني أنّ سنده صحيح. (١) وذكرها المنذري في الترغيب.

والأمر الثاني ما ذهب إليه أئمة المحدثين من هذا الحديث من العمل به، وذلك بأن ذكروه بصدد بيان أعمال السُّنّة من الليالي وأيام السنة، وبصدد بيان ما ثبت لنا من التعاليم النبوية فيما يعرض لنا من الأمور، فقد رواه **الإمام النسائي** في كتابه **"عمل اليوم والليلة"**، وكذا **ابن السني** في كتابه **"عمل اليوم والليلة"** . ونقله وذكره **المنذري** في ترغيبه ، **والنووي** في أذكاره . وهذه الكتب الأربعة وُضِعت لبيان ما ثبت من السنة وأعمالها في مجاري أمورنا.

ورواه غيرهم أيضاً في كتبهم كذلك بأن وضعوا له تراجم تدلّنا وترشدنا إلى ذلك، فإنّ **ابن ماجه** رواه في "باب ما جاء في صلاة الحاجة" **والحاكم** في باب "دعاء رد البصر"، **والهيثمي** في باب "صلاة الحاجة" من كتابه "المجمع الزوائد ومنبع الفوائد"

---

(١)مجمع الزوائد ٢٨٢/٢ وعمل اليوم والليلة للنسائي ص: ٢٠٤ ، ٢٠٥ والترغيب والترهيب ص: ٤٧٤/١ ، ٤٧٦

وترجم له ابن السني "باب ما يقول لمن ذهب بصره"، وابن خزيمة "بـــاب صـــلاة الترغيب والترهيب".

وذكره المنذري في "باب الترغيب في صلاة الحاجة ودعائها" والنووي في "بـــاب أذكار صلاة الحاجة". (١)

وهذا يدل على نوع ثبوت وقوة لزيادة وردت في بعض الطرق بلفـــظ: "فـــإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك"، ذكرها الشوكاني في رسالته، والشيخ ابن تيميـــة أيضاً ونسبها إلى ابن أبي خيثمة. (٢)

وأريد هنا وقفة للنظر في كلمات وردت في هذا الحديث والدعاء المذكورفإنّ فيه: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك" - فما هذا التوجه غير التوسل وإن كان ذلك في حياته؟ وفيه: "يامحمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى."

وفيه مع ذكر التوجه بهﷺ خطاب الأعمى إياه ﷺ، واستعماله لفظ الخطـــاب حال الدعاء والخطاب من الله تعالى، فأهم ذلك بعضهم فقال: خطاب لحاضر في قلبه.

وفيه أخيراً : "اللهم شفّعه فيّ." وليس التوسل إلا نوع من الشفاعة مـــع الفـــرق بينهما بأنّ الشفاعة يكون الكلام فيها من الشفيع بذكر حاجة الطالب وعلاقتـــه مـــع الشفيع ومن يشفع عنده له. وأما التوسل فالمتكلم فيه يكون ذوالحاجة بنفسه، فإنّه هو

---

(١) عمل اليوم والليلة للنسائي ص: ٢٠٤ ، ٢٠٥ - ولابـــن الســـني ص: ٥٨١ - والـــترغيب والترهيب ٤٧٣/١ -٤٧٦ - والأذكار ص: ١٥٢ - وسنن ابن ماجه ، باب ما جاء في صـــلاة الحاجة من أبواب إقامة الصلاة - والمســـتدرك ٥١٩/١ ، ٥٢٦ ، ٣١٣ - ومجمـــع الزوائـــد ٢٨٢/٢ - وصحيح ابن خزيمة ٢٢٥/٢ ، ٢٢٦

(٢)قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: ٩٤

يذكر بلسانه علاقته مع المتوسل به والمتوسل إليه ، ولا يكون غرضه إلا الاستشفاع إلى الله تعالى بذكر الذات التي يتوسل بها إليه.

وأقول أيضاً : إنّ لفظ الخطاب في الدعاء المذكور ذو خطورة وأهمية من جهتين:

الأولى: إنّه يعطينا فكرة أنّ استعمال كلمات الخطاب للبعيد والميت لا يحكم عليه بالكفر إطلاقاً كما ذهب إليه البعض(١). بل له مواضع منها ما يجوز فيه في نفسه ومنها ما يمنع فيه عنه بتاتاً.

والثانية : وهي الأهم من الأولى – أنّ التوسع فيه يفضي ويؤدي إلى فساد العقيدة، ومنه إلى الشرك وهذا ما حمل العلماء على ما حمل من المنع عن ذلك بتاتاً، أوالتأويل بما تقدم ، أوالتغيير لمن يريد أن يستفيد بالدعاء المذكور.(٢)

---

(١) الهدية السنية ص: ٣٧

(٢) وممن ذهب إلى جواز التوسل المذكور العلامة الشوكاني أيضاً ، الذي يُعَدُّ من أئمة السلفية من العلماء المتأخرين وله في الموضوع رسالة خاصة باسم (الدر النضيد)

معجزات النبي عليه الصلاة والسلام

وقصة الإسراء والمعراج

قال الشيخ التهانوي في كتابه "نشر الطيب" وقد عقد فيـــه فصـــلاً في ذكـــر المعجزات :

قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١) وفي صحيح الإمام مسلم جاء من قوله ﷺ : **" لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله." (٢)**

وظاهر أن القائل بـــ (الله الله) هومن يؤمن به ﷺ. فرسالته بقاء للعالمين وأمنة لها ، ولم ينتفع به النوع الإنساني فقط بل انتفع برسالته جميع أقسام العـــالم وأنواعـــه، ولذا أكرمه الله تعالى بالمعجزات من جميع أنواع العالم.

والمعجزة تكون دليل ثبوت النبوة (لصاحبها) والدليل يكون شاهداً (لما يدل عليه) فثبت بهذا أنَّ جميع أقسام العالم- من جهة تعلقها بالمعجزات وتعلق المعجزات بهـــا - أدلة على نبوته، وشواهد لها، فياله من شأن، فإنَّ جميع العالم - كما يشهد للتوحيـــد ويدل عليه - يشهد على نبوته ورسالته، صلوات الله وسلامه عليه.

وبيان ذلك أنَّ العالم على نوعين : عالم المعاني وعالم الأعيان ، وعالم المعـــاني: عبارة عما لايوجد قائماً بذاته ، ومستقلاً بوجوده من أشياء العالم ، بل قيامه وثبوتـــه ووجوده متعلق ومنوط بوجود الغير ويقال له: العرض أيضاً، مثل الكلام والعلم واللون والرائحة .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٢) صحيح مسلم . الإيمان ، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان

وعالم الأعيان عبارة عن أشياء تقوم بذاتها ويسمى بـ : الجوهر أيضاً، مثل الأرض والسماء والإنسان والشجرة .

ثم عالم الأعيان على قسمين، عالم ذوي العقول أي المخلوق الذي له عقل، مثل الإنسان والجن ، وعالم غير ذوي العقول وهومن المخلوق مالاعقل له مثل الجمادات والحيوانات.

وعالم ذوي العقول على ثلاثة أنواع ، عالم الملائكة وعالم الإنسان، وعالم الجن، وأما عالم غير ذوي العقول إما علويٌ كالسماء والنجوم، وإما سفلي، والمراد به كل ما هوتحت السماء، وله قسمان: عالم البسائط وعالم المركّبات، والمراد بعالم البسائط العناصر الأربعة من الماء والنار والريح والتراب، وعالم المركبات على ثلاثة أنحاء: الجمادات والنباتات والحيوانات، وتسمى بـ "المواليد الثلاثة"، **فهكذا أقسام العالم التفصيلية تسعة ... وقد ظهرت معجزاته ﷺ من كل نوع.**(١)

وواقعة المعراج أيضاً من معجزاته الباهرة ﷺ قال التهانوي: إنَّ من كمالاته النبوية العظيمة الشأن هذه الواقعة(٢). وقد عقد لذلك فصلاً خاصاً في كتابه في السيرة النبوية وبسط فيه وتوسّع بحيث صار الجزء المشتمل عليه من الكتاب رسالةً مستقلةً سماها" **تنوير السراج في ليلة المعراج**"، ذكر فيها أوّلاً ستة وعشرين شخصاً من الصحابة، الذين رويت عنهم قصة المعراج ، ثم ذكر ما وقع له فيها وما شاهده، آخذاً من الروايات، مع بيان بعض الفوائد المستنبطة من كل رواية، وواقعة، وحالة، ثم -ثالثا - ذكر فوائد عديدة استقلالاً ووزّعها على قسمين: فوائد حُكْمية، وفوائد حِكَمية، والفوائدالحكمية ذكرها ضمن تفسيرآية الإسراء. (٣)

---

(١) نشر الطيب ص: ١٧٠ و١٧١

(٢) المصدر السابق ص: ٣٥

(٣) المصدر السابق ص: ٣٥ ، ٨٣

قال فيها: إنّ مذهب جمهور أهل السنة والجماعة أنّ المعراج كان جسمانياً حال اليقظة ودليله الإجماع. (١)

وقال أيضاً : بعض الناس يقول : كيف يمكن هذا السير السريع (أي غير العادي والمعقول) فالجواب : أنّ بعض الكواكب والسيارات – مع غاية عظمها ونهاية جسامتها – سريعة جداً جداً والسرعة لانهاية لها ولا غاية عقلاً. (٢)

وقال في كتابه بوادر النوادر:

"ووجه هذه السرعة بعضهم بسرعة السير مع كون المكان والزمان باقيين على حالهما كما في الروح،والظاهر أنّ المسافة التي قطعها عليه الصلاة والسلام في مسيره كانت باقية على امتدادها،وكانت المسافة في غاية الطول ... وبعضهم بطيّ المسافة مع كون الزمان على حاله، ويُثبته – كما في الروح – الصوفية وبعض الفقهاء للأولياء كرامة، والكتب ملأى من حكايات الثقات هذه الكرامةَ لكثير من الصالحين ...قلت : وبجوازه قال بعض الحكماء وسموه "طفرة" ، وهوالوصول من مكان إلى مكان آخر بحيث لا يمس المسافة التي بينهما ولا يحاذيها . وبعضهم بنشر الزمان مع بقاء المكان على حاله ... قلت وأطلت فيما نقلت تنبيهاً على مسألة طي المكان ونشر الزمان ومثلها نشر المكان وطي الزمان، وبجميعها قالت الصوفية، ولِمّا كان مقام خبر المعراج مناسباً لهذا التحقيق لاحتمال تنزيلها على المسألتين منها كما أوردته في هذا المقام.(٣)

---

(١)المصدر السابق ص: ٨٠

(٢)المصدر السابق ص: ٨٢

(٣)بوادر النوادر ص: ٤٤٧ و٤٤٨

وبهاتين العبارتين للشيخ لاسيما بالأولى - التي جاءت في رسالته المؤلفة في ذكر وقعة المعراج - يظهر لنا أنه يرجح في ذلك ويميل إلى أن سفرهﷺ وسيره في المعراج كان بسرعة السير مع الإمكان والاحتمال لما يقوله الصوفية (١).

وقال في **نشر الطيب**، وهويتكلم في لقائهﷺ مع بعض الأنبياء في السموات بعد أن لقيهم في بيت المقدس:

"حقيقته أنّ الأنبياء موجودون في قبورهم مع أجسامهم الأصلية، وإنّما ظهر في مواضع أخر أرواحُهم متمثلةً بأجساد غير عنصرية، ويسميها الصوفية "**الجسم المثالي**" **وهذا الجسد المثالي يحتمل التعدد ويمكن للروح ظهور التعلق بهذا المتعدد في زمان واحد بمحض قدرة الله تعالى ومشيئته، لاباختيارهم**، والظاهر أنّ الجسم المثالي في كلا الموضعين كان مختلفاً، ولذا لم يعرف من لقيهم في السماء بعد لقائه إيّاهم ببيت المقدس. إلا أنّ عيسى عليه السلام موجود في السموات مع جسمه الأصلي فرؤيته في السماء كان مع الجسد: وأما ببيت المقدس فكان بالمثال لأنّ تعلق الروح بالجسد المثالي يمكن قبل الموت أيضاً على خرق العادة. (٢)

---

(١) أقول: لنا أن نستأنس للقول بطي الزمان والمكان- الذي يرده وينكره البعض - بما ورد من قوله: "**إنّ الأرض تطوى بالليل** " (رواه أبوداود انظرمشكاة المصابيح ص: ٣٣٩) وقوله في داود عليه السلام: "**خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه**" (رواه البخاري -مشكاة المصابيح ص: ٥٠٨) و بما ورد بما وقع له حينما سأله قريش عن بيت المقدس -كما جاء في الصحيحين، انظر مشكاة المصابيح ص: ٥٢٩و٥٣٠)

(٢) وفي مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣٢٨/٤): أما رؤية موسى ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء كما رأى آدم في السماء الدنيا ... فهذا رأى أرواحهم مصوّرةً في صور أبدانهم، وقد قال بعض الناس لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء؛

وأما ما رآه من الصور على يمين سيدنا آدم عليه السلام وعلى شماله فذاك أيضاً كان من الصور المثالية للأرواح، ويظهر من التأمل في رواية البزار أنّ تلك الأرواح لم تكن حينئذ مستقرة بالسماء ولاموجودة فيها، بل إنّها كانت في مقرها وكان بين مقرها وبين مقام آدم باب . فلعل عكوس الأرواح كانت تظهر في ذلك المقام من ذلك الباب، أوالريح التي كانت تأتي إليه من ذلك الباب كانت متصفةً بصفة الانطباع والانعكاس لأنّها أيضاً من الأجسام، والرياح قد تكون قابلةً للرؤية إذا تكيّفت بالأشعة، وأقول ذلك لأنّه جاء في هذه الرواية ذكر الباب فهذا - بظاهره - قرينة أنّ ذلك الباب كانت واسطة لوصول أثر تلك الصور والأرواح إلى ذلك المقام والله أعلم. وحيئنذ فلم يبق إشكال بأنّ النص القرآني ﴿ *إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ* ﴾(١)، يدل على أنّ أرواح الكفار لاتصل إلى السموات فكيف وجدت في السماء الدنيا (عند آدم عليه السلام). (٢)

لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده وكذلك قد قيل في إدريس ... .

(١)سورة الأعراف : الآية ٤٠

(٢)نشر الطيب ص: ٥٠ و٥١ .

وليلاحظ أنّ عالم المثال والأجسام المثالية لم يتفرد بذكرها **علماء ديوبند**- ولا الصوفية- بل ذهب إليها جماعة من العلماء المحقّقين ومنهم مسند الهند وسند أهل السنة والجماعة في الهند من الحنفية وغيرهم **الإمام ولي الله الدهلوي** في كتابه الفرد الفذ (حجة الله البالغة) فإنه وضع في بيانه بابا مستقلا وعنونه بـ (باب ذكر عالم المثال) راجع حجة الله البالغة ١٣/١و١٤

ويدل على وجود الأمثلة وثبوتها وظهور الأشياء متمثلةً بأشكالٍ مرئية في غير محالها ومواضعها بعض الروايات مثل رواية **النسائي** التي جاء فيها تمثل الجنة والنار لهﷺ حال صلاة الكسوف(سنن النسائي، كتاب الصلاة ، باب كيف صلاة الكسوف) .

وقال في فتوى له إجابةً عن السؤال فيما رآه النبيﷺ من أهل الجنة وأهل النار في المعراج: كان ذلك كشفاً، وفي الكشف ترى الحوادث الواقعة في الزمان الآتي واقعة في الحال مثل المكبرة يرى به البعيد قريباً، ومثل أن يملأ إناءً ماءً ثم يلقى فيه فلس أونحوه فهويرى قريبا من سطح الماء الأعلى مع أنه يكون في قعره. (١)

وقال أيضاً وقد سئل عن الحاجة إلى المعراج بناءً على أنَّ لقاءه تعالى لا يحتاج إلى مثل هذا السفر:

أنهﷺ لم يكن ذهب للقائه تعالى بل ذهب ليرى هناك آياته العظمى كما قال الله تعالى في ذلك ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾(٢) (٣).

وكذلك رواية لأم هانئ عند ابن سعد في قصة سؤال كفار مكة إيّاه عن عمارة بيت المقدس وبنائه، ففيها "فخيل إليّ بيت المقدس" (انظر الطبقات الكبرى ١/ص: ٢١٥، باب ليلة أسري برسول اللهﷺ إلى بيت المقدس.)

قال التهانوي : وبالحمل على المثال يزول الإشكال بأنّه لوكان بناؤه نقل من مكانه إلى مكة لكان غائباً عن مكانه لتلك المدة والوقفة ولنُقل وحفظ ذلك في التاريخ؛ لأنّه أمر عجيب ولكن لم يؤثر ذلك عن أحد ولا في التاريخ. (نشر الطيب ص: ٧١ ونحوه في فيض الباري ١٨٢/١)

(١) إمداد الفتاوى ١٤٥/٦

(٢) سورة الإسراء : الآية ١

(٣) إمداد الفتاوى ١٤٥/٦

حياة النبي ﷺ بعد الوفاة

أي في البرزخ

يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إجابة عن سؤال في ذلك :

عندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة ﷺ حيٌ في قبره الشريف ، وحيوته ﷺ دنيوية من غير تكليف- وهي مختصة به ﷺ وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم ، والشهداء- لابرزخية، كما هي حاصلة لسائر المؤمنين بل لجميع الناس كما نص عليه العلامة **السيوطي** في رسالته: (**إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء**) حيث قال: قال الشيخ **تقي الدين السبكي**: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فإنَّ الصلاة تستدعي جسداً حياً - إلى آخر ما قال(١). فثبت بهذا أن حياته دنيوية برزخية لكونها في عالم البرزخ، ولشيخنا شمس الإسلام والدين محمد قاسم العلوم على المستفيدين- قدس الله سره العزيز -في هذا المبحث رسالةٌ مستقلة دقيقة المأخذ بديعة المسلك، لم ير مثلها ، قد طبعت وانتشرت بين الناس بعنوان: "**آب حيات**" أي ماء الحياة (٢).

ويقول الشيخ **محمد طيب** : إنَّ ***علماء ديوبند*** يقولون بحياته الجسمانية في البرزخ لكن لا يقولون فيه له بالمعاشرة الدنيوية. (٣)

---

(١) الحاوي للفتاوي ، مجموع فتاوى السيوطي ١٥٢/٢

(٢) المهنّد على المفنّد ص: ٨ - ٩ . والرسالة المذكورة هي بالأردية وتعد من أهم مؤلفاته وإفاداته.

(٣) علماء ديوبند: ص: ١١٧

وعقد الشيخ التهانوي في كتابه "**نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب**" فصلاً لهذا الموضوع ، وقال فيه بعد أن أورد بعض الروايات وفوائدها :

"ثبت من مجموع هذه الروايات مع فضل حياته وإكرام الملائكة له – في البرزخ أشغال وهي : النظر في أعمال الأمة ، والصلاة ، والتغذي بما يناسب ذلك العالم، واستماع السلام – إذا سلّم عليه أحدٌ من قريب فبنفسه ، وإذا سلّم البعيد فبواسطة الملائكة- ورده . هذا ما ثبت له دواماً واستمراراً ، وقد جاء في الآثار والأخبار كلامه مع بعض خواص الأمة وإرشادهم إلى بعض الأمور يقظة أحياناً ، وأما في حال الرؤيا والكشف فلاعد ولا إحصاء لمثل هذه الوقائع. ولا يقع أحد في وسوسة التزاحم لاجتماع هذه المشاغل في وقتٍ واحدٍ لأنَّ الروح في البرزخ، ولاسيما روحه المباركة المقدسة تمتاز بسعة كثيرة، لكن لا يجوز – بناءً على هذه السعة – أن يعتقد ثبوت ما لم يثبت بالدليل الصحيح ، منفياً كان أومسكوتاً عنه، وكذا لا يجوز اعتقاد الدوام لما ثبت وقوعه أحياناً." (١)

ويقول الشيخ **التهانوي** أيضاً في تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ (٢): إنَّ هذا المقتول – أي الذي قتل في سبيل الله تعالى – يقال له (شهيد) وجاز في حقه القول بأنّه مات ، لكن نهي في هذه الآية عن أن يعتقد موته مثل أموات الموتى الآخرين . وذلك لأنَّ الحياة البرزخية بعد الموت وإن كانت حاصلةً لروح كل شخص (أي بدون قيد واستثناء) وبه يدرك الجزاء والعقاب (الذي يواجه الميت في البرزخ قبل الحشر) لكن الشهيد له نوع امتياز في هذه الحياة بالنسبة إلى غيره من الأموات، وتلك الميزة هي أنَّ حياته هذه تكون قويةً

---

(١) نشر الطيب في ذكر الحبيب: ص: ٢٠٩ و٢١٠

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٥٤

في الآثار بالنسبة إلى غيره ، كما نرى أنّ ذكاء الحس- الذي من آثار الحياة - يوجد في الأنملة أكثر وأقوى بالنسبة إلى العقب طباً وحساً. فحياة الشهيد البرزخية تمتاز، بحيث إنّ أثر قوتها يصل إلى جسده الظاهري خلافاً لغيره من الموتى، وذلك بأنّ جسده لا يتأثر بالتراب والأرض مع أنّه أيضاً مجموع من اللحم والجلد كغيره، بل يكون صحيحاً محفوظاً وسالماً مثل جسد الحي . كما شهدت بذلك الأحاديث والمشاهدات، فلهذا الامتياز قيل فيهم: إنهم أحياء ، ونهي أن يقال فيهم: أموات،كما يقال لغيرهم من الموتى .

وهذه الحياة هي التي يمتاز فيها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام -بالنسبة إلى الشهداء أيضاً- بزيادة وقوة ، بحيث إنّه يثبت لهم بعض الأحكام مثل أحكام الأحياء تماماً مع موتهم الظاهري وسلامة أجسادهم مثل الشهداء، منها أنّه لا يجوز أن ينكح أحد أزواجَه كما لا يجوز ذلك في أزواج الأحياء، وكذلك لايقسّم ما يتركون من الأموال ميراثاً.

ففي هذه الحياة (الخاصة) أقواهم الأنبياء ، ثم الشهداء ، ثم عامة الموتى من المؤمنين . وقد ثبت في بعض الأحاديث أنّ بعض الأولياء والصالحين يشاركون الشهداء في هده الفضيلة، فالوجه أن يُعدّ الموت في حال مجاهدة النفس من الشهادة معنى، فمن هذه الجهة هم أيضاً شهداء، أويقال إنّ تخصيص الشهداء بالنسبة إلى غيرهم من الموتى إضافي وليس بحقيقي باعتبار هذه الخواص.(١)

يقول المحدث أنور شاه الكشميري:

"اعلم أنه قد تكلمنا مرة في معنى حياة الشهداء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وحاصله أنّ الحياة بمعنى أفعال الحياة ، وإلّا فالأرواح كلها أحياء، ولو كانت أرواح

---

(١) بيان القرآن ١/٨٨

الكفار، ولكنها معطلة عن أفعال الحياة، ولذا ترى القرآن والحديث لا يذكران الحياة إلا ويذكران معه فعلاً من أفعال الحياة أيضاً كما رأيت في الآية المذكورة حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(١) فذكر أنهم مرزوقون وهي من أفعال الحي، والمعنى أنَّ غيرهم وإن كانوا أحياء أيضاً لكنَّ هؤلاء يُرزقون ويَفعلون أفعال الحياة فأولى بأن يُسمَّوا أحياء بخلاف غيرهم ... والحاصل أنَّ محط الآية بيان كونهم أحياء فقط ونبهت على أن المحط فيها قوله: (يرزقون) لا كونهم أحياء فقط . فإنَّ حياة الأرواح معلومة وعليها جرى الحديث فقال: "يعلق في الجنة " وكذا "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون"، فتعرض إلى آثار الحياة من العلق والصلاة ... وحيئنذ علمت معنى حياتهم ماهو أعني أنهم يفعلون أفعال الحي وليسوا بمعطلين.(٢)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩

(٢) فيض الباري ٤٢٥/٣ ومن المناسب المفيد ذكر ما نقله ابن القيم في كتابه (الروح) من قول أبي عبد الله القرطبي نقلاً عن شيخه أحمد بن عمرو: أنَّ الموت ليس بعدم محض ، وأنه هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أنَّ الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء ، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى، مع أنه قد صح عن النبيﷺ أن الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء ، وأنهﷺ احتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصاً بموسى، وقد أخبر ﷺ بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا ردالله عليه روحه حتى يرد عليه السلام، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأنَّ موت الأنبياء إنَّما هوراجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لاندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة، فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم .(كتاب الروح ص: ٣٦)

والمسألة معروفة تعرض بها ولها المفسرون والشراح من كتب الحديث وكتب السيرة النبوية، حسب اختلاف مواقع الكلام ، واختلاف مذاق العلماء ومداركهم ومشاربهم .

راجع كتاب **الروح** لابن القيم ، وكتاب (**الروح والنفس**) لابن منده، و(**فتح الباري**) أبواب مناقب أبي بكر، و(**الشفاء**) للقاضي عياض، و(**شرحه**) للقاري، و(**التفسير المظهري**) للقاضي ثناء الله الباني بتي الهندي، وللبيهقي وللسيوطي **رسالتان** في الموضوع وغير ذلك من الكتب وكذا (جمع الوسائل ٢/٢٢٨ وشرح المناوى ٢/٢٣٠)

ولنذكر كلاماً آخر محققا مفصلا **لابن قيم الجوزية** من كتابه **الروح** ، فقد قال فيه بعد ذكر أقوال الناس في مستقر الأرواح ومأخذهم وذكر السؤال عما هوالراجح منها :

" الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم ، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء ... ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ... ومنهم من يكون محبوساً في قبره ... ومنه من يكون مقرُه باب الجنة ... ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم يصل روحه إلى الملأ الأعلى .. ثم قال أخيراً : وأنت إذا تأملت السنن والآثارفي هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ، ولا تظن أنّ بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً، فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً ، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها ، وإنّ لها شأنها غير شأن البدن، وإنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه ، وهى أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم، وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهنالك الحبس ، والألم والعذاب، والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة، والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال هوفي بطن أمه ، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار. (الروح: ص: ١١٤ - ١١٦ ملخصا)

وقال أيضاً : إذا كان النائم روحه في جسده وهوحي وحياته غير حياة المستيقظ، فإنّ النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده، كان له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسط بين الحي والميت فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة . (الروح ص: ٤٤)

وقد جاء في فتوى صادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية:

"إنَّ نبينا محمداً ﷺ حيٌّ في قبره حياةً برزخية، يحصل بها التنعم في قبره بما أعده الله له من النعيم جزاءً له على أعماله العظيمة الطيبة التي قام بها في دنياه، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، ولم تعد إليه روحه ليصير حياً كما كان في دنياه، ولم تتصل به وهو في قبره اتصالاً يجعله حيا كحياته يوم القيامة، بل هي حياة برزخية وسط بين حياته في الدنيا وحياته في الآخرة. (١)

فتصريح الشيخ **محمد طيب القاسمي** بأنَّ مشايخنا لايقولون بالمعاشرة الدنيوية مع أنهم يقولون بأنَّ حياته في البرزخ جسمانية -أي جسمه محفوظ مصون عن التغيير مثل أجسام الأحياء- وكذا تفصيل الشيخ **االتهانوي** يدل على أن الشيخ **خليل أحمد السهارنفوري** - وكذا من وافقه في اللفظ في هذه المسألة من أعلام هذه الجماعة - أراد بقوله الحياة الدنيوية له ﷺ هذه الحياة التى ذكرها وفصَّلها **الشيخان** - القاسمي والتهانوي- والدليل على ذلك.

ألف- إنَّ الشيخ **خليل أحمد** إنَّما أجاب عن السؤال بأنَّ حياته ﷺ في قبره هل هوأمر مخصوص به أم مثل سائر المؤمنين حياة برزخية.

ب- فأجاب بأنَّها ليست ببرزخية - أي محضة- كما هى ثابتة وحاصلة لجميع المؤمنين بل لجيمع الموتى، وإنَّ حياته هذه حياة مخصوصة، خُصَّ به هووجميع الأنبياء والشهداء، ومعلوم أنَّ حياة الشهداء بعد شهادتهم ليست كحياتهم قبلها وهومعتقد هؤلاء العلماء أيضاً .

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٦٨/٣ - ١٦٩

ج- ولم يقل ولم يصرّح الشيخ - أوأحدُ مشايخه ولا أحد رفقائه وعلماء جماعته الذين هم على مذهبهم ومعتقداتهم- في أيّ موضع من أي كتاب ورسالة وخطاب، بأنه ﷺ - أومن هو حياته بعد الموت خاصة - بعد طريان الموت أيضاً يتناول أمور الحياة الدنيوية الثابتة قبل الموت مثل ما كان يتناولها قبل طريان الموت، فكأنه لم يمت بالموت المعروف أبداً، وإنّما غاب عن أعيننا وخفى في بطن الأرض، بل قوله : "حياته دنيوية من غير تكليف"، وكذا قوله: "حياته دنيوية برزخية" يرد ذلك .

د- وأيضا أنّ الشيخ السهارنفوري قد شرح سنن أبيداود باسم "بذل المجهود" وشرحُه هذا معروف متداول ، وقد جاء في الكتاب عدة روايات تتعلق بالموضوع يذكرها العلماء، منها قوله ﷺ: "إن الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء"(١) في موضعين، ومنها قوله:"ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه".(٢)

فالشيخ حينما تعرض لشرح هذه الأحاديث في كتابه المذكور لم يأتِ بما يدل على أنه في ذلك يذهب إلى ما يخالف فيه الجمهور بل اكتفى بقوله:

"قال رسول الله ﷺ : "إن الله عزوجل حرّم على الأرض أي منعها أجساد الأنبياء" أي من أن تأكلها فإنّ الأنبياء في قبورهم أحياء.

قال الطيبي: فإن قلت : ما وجه الجواب بقوله : إن الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء ، فإنّ المانع من العرض والسماع هوالموت وهوقائم، قلت: لاشك أنّ حفظ أجسادهم من أن ترم خرق للعادة المستمرة ، فكما أنّ الله تعالى يحفظها منه فكذلك يمكن من العرض عليهم ومن الاستماع منهم صلوات الأمة. (٣)

---

(١)(سنن أبي داود) تفريع أبواب الجمعة ، والحديث الثانى ، وباب في الاستغفار في أواخر كتاب الصلاة قبل باب النهى أن يدعو الإنسان على أهله وماله.

(٢) ، سنن أبي داود) كتاب الحج ، باب زيارة القبور

(٣) بذل المجهود) ٦/١١و١٢ و٧/٣٨٧

و لم يقل في موضع آخر -بشيء -، أما الحديث الثاني فذكر فيه الوجه والتوجيه لقوله : "رد الله عليّ روحي". (١)

هـ -فلم يريدوا في ذلك إلاّ ما جاء وثبت في كلام السلف، وفي كلام من تبعهم من الخلف مثل **ابن القيم** عليه الرحمة وغيره أيضاً من العلماء، مع خلافٍ يسيرٍ فيما بينهم، يرجع إلى ثبوت بعض الروايات في الموضوع ومقتضياته، ومع الاتفاق على أنّ هذه الحياة ليست كلاممات.

وجملة القول في هذه الحياة التى اختص بها الأنبياء والشهداء، ولاسيما نبينا محمد ﷺ هي حياة متوسطة بين الحياتين: حياة الأحياء في الدنيا، وحياة عامة الأموات سيما الكفار في البرزخ، فهذه الحياة تختلف عن حياة أرواح الكفار الموتى التي تتعطل وتكون محبوسة ومقيّدة في مكان مخصوص، بل تكون هذه الحياة بدون تعطل وتقيُّد.

وكذلك تختلف هذه الحياة عن حياة الأحياء في الدنيا ، فإن الأحياء مكلَّفون محتاجون إلى كثير من الأمور ينوط بها بقاء حياتهم الدنيوية ، أما هذه الحياة فلا تكليف فيها ولا احتياج إلى تلك الأمور، وإنّما يتعطى أصحابها بعض الأمور إكرامًا لهم من ربّهم، منها التنعُّم برزقٍ يُرزقون به هناك حسب أحوالهم ووفق مقامهم ، ومنها التلذذ بالاشتغال ببعض الأعمال المرضية عند الله تعالى، من تلاوة كتاب الله والصلاة ونحوها، وقد ورد ذلك في بعض الروايات كالأذان والإقامة عند **الدارمي** ، وقراءة القرآن عند **الترمذي** كما ذكر الشيخ **أنور الكشميري**، وذكر الحج أيضاً عند **البخاري**، وقال أيضاً : وراجع له شرح الصدور للسيوطي (٢)، واشتهر بل تواترذكرالصلاة للأنبياء في قصة الإسراء تواتر القصة.

---

(١) بذل المجهود ٣٩٦/٩

(٢) (فيض الباري)١٨٣/١

أرض القبر الشريف

والبقعة المتصلة منها ببدنه المنيف

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

إنَّ البقعة الشريفة والرحبة المنيفة التي ضمت أعضاءه ﷺ أفضل مطلقاً حتى من الكعبة ومن العرش والكرسي كما صرح به فقهاؤنا رضي الله عنهم (١).

وقال التهانوي : لما كان جسده الأطهر محفوظاً (في قبره) اتفاقاً بين الموافقين والمخالفين وهو (فيه) مع روحه كما ذكر، فظاهرٌ - وقد صرَّح بذلك العلماء أيضاً - أن البقعة التي اتصل بها خصوص جسمه المبارك أفضل من العرش . لأنَّ العرش (المختص بذاته تعالى) إنَّ الله تعالى - ليس بجالسٍ عليه - ونعوذ بالله من ذلك - فلو كان تعالى جالساً عليه لكان هذا أفضل من كل شيء. (٢)

---

(١) المهنّد على المفنّد ص: ٦

(٢) إمداد الفتاوى ١١٣/٦ .

قال المحدث أنور شاه الكشميري في أماليه على جامع الترمذي بعد أن ذكر قول الإمام مالك في ذلك: "اعلم أن تفضيل البقعة المباركة التي دفن فيها النبي ﷺ فقد حكى القاضي عياض الإجماع على أنها أفضل بقاع الأرض كما هو في كتابه (الشفاء) في فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي عليه السلام من الأدب ، وحكاه قبله أبوالوليد الباجي وغيره ، وبعده القرافي وغيره من المالكية ، ثم حكاه ابن عساكر والسبكي الكبير والصغير والحافظ ابن حجر وغيرهم من الشافعية . ومثله قال ابن عقيل من قدماء الحنابلة، حكاه ابن القيم في الجزء الثالث من بدائع -

الفوائد ولم يرده بل حكاه فائدةً في كتابه وكذلك يحكيه أرباب التأليف من الحنفية كالحافظ **البدر العيني** في العمدة في الجزء الثالث، **وعلي القاري** في (المرقاة) وصاحب (**الدر المختار**) وصاحب (رد المختار) وقال **الخفاجي** : وفي كلام شيخنا **ابن القاسم** ما يقتضي ماتقدم أن فضل البقعة التي ضمت أعضاءه ثابت قبل دفنه فيها ، وقبل موته ، بل وقبل هجرته، نعم قد يقال : تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي إنّما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله ...

وقال تلميذ الكشميري الشيخ **محمد يوسف البنوري** : وإن شئت أن تستأنس في ذلك بدليل من السنة فلاحظ إلى حديث رسول الله ﷺ (أنّ كل نفس تدفن في التربة التي خلقت منها) رواه الحاكم في مستدركه . (معارف السنن ٣/٣٢٣ و٣٢٤ ملخصاً) .

وفيه أيضاً : *فما يقوله ابن تيمية في فتاواه : ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض فعد ذلك إجماعا ، وهوقول لم يسبقه إليه أحد فيما علمناه، خطأ بين* (٣/٣٢٥) .

وقد فصل في الموضوع من *علماء ديوبند* الشيخ المحدث شبير **أحمد العثماني** صاحب "فتح الملهم " في شرح الصحيح للإمام مسلم : وكلامه نفيس وثمين ، فلذا أستحسن نقله هنا،قال الشيخ بعد ذكر الأقوال :

"قال العبد الضعيف عفا الله عنه قد نقلت خلاصة ما وجدت في كتب القوم مما انتهى إليه علمي في هذه المسألة الخطيرة ، وليس لمثلي أن يجترئ على التكلم في أمثال هذه المضايق ، فإنّ الكلام في مثل هذا يحتاج إلى العلم بحقائق الأمور ومقادير الفضائل والمزايات التي لا تعرف إلا بالوحي الإلهي ، ولا يجوز لأحدٍ أن يتكلم فيها بلا علم وبصيرة .

ولكني أنبّهك على أنّ سبب المفاضلة بين الأزمنة والأمكنة والبقاع عند الشرع ليس منحصراً في الأعمال والأحوال التي تقع فيها كما زعمه ابن عبد السلام وغيره، بل قد تكون هذه المفاضلة بينها لتفاوتها في صفاتها النفسية في العلم الإلهي المحيط، كما أفاده شيخ شيخنا قاسم العلوم والخيرات قدس الله روحه في مصنفاته ، وقد بسط الكلام على هذه المسألة الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله وأطال النفس فيه جدا .

وحاصله أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات قال الله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص : الآية ٦٨] وليس المراد ههنا بالاختيار الإرادة التي يشير إليها المتكلمون بأنه الفاعل المختار وهو سبحانه كذلك . ولكن ليس المراد بالاختيار هنا هذا المعنى ، وهذا الاختيار داخل في قوله ﴿يخلق ما يشاء﴾ فإن المشيئة هي الاختيار . وإنما المراد بالاختيار ههنا الاجتباء والاصطفاء فهو اختيار بعد الخلق ، والاختيار العام اختيار قبل الخلق، فهو أعم وأسبق وهذا أخص وهو متأخر، فهو اختيار من الخلق والأول اختيار للخلق ، وأصح القولين أنّ الوقف التام على قوله تعالى ﴿ ويختار ﴾، ويكون ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ نفياً أي ليس هذا الاختيار إليهم بل هو إلى الخالق وحده ، فكما هو المتفرد بالخلق فهو المتفرد بالاختيار منه، فليس لأحد أن يخلق، ولا يختار سواه ؛ فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ومحال رضاه وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه .

وذهب بعض من لا تحقيق عنده ولا تحصيل إلى أن "ما" في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ موصولة وهي مفعول ﴿ ويختار ﴾ أي ويختار الذي لهم الخيرة، وهذا باطل من وجوه.

ثم قال بعدما فصّل الكلام : ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها ، وهي البلد الحرام، فإنه سبحانه اختاره لنبيه وجعله مناسك لعباده ، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق فلا يدخلونه إلا متواضعين ، متخشعين، متذللين، كاشفي رؤوسهم ، ومتجردين عن لباس أهل الدنيا . وجعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ، ولا تعضد به شجرة ، ولا ينفر له صيد ، ولا يختلى خلاه ، ولا يلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا، وجعل قصده مكفراً لما سلف من الذنوب ماحياً للأوزار حاطاً للخطايا .

قال : فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده وأحلها إليه ويختاره من البلاد لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام وأقسم [به] في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [سورة التين: الآية ٣] وقال تعالى ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [سورة البلد : الآية١]

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها ، والطواف بالبيت الذي =

فيها - غيرها - ولذلك كان شد الرحال إليه فرضاً، ولغيره مما يستحب ولايجب، ومن خصائصها كونها قبلة لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها. ومن خواصها أيضاً ، أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض ، ومن خصائصها أنها لايجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة إلا بإحرام ، وهذه خاصية لا يشاركها فيها شيء من البلاد.

قال : وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين ، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فهو الأولى بقول القائل :

محاسنه هيولي كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس، أي يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولايقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا له زيارةً ازدادوا له اشتياقاً .

ثم قال : فكل ما أضافه الرب تعالى إلى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء ، ثم يكسوه بهذه الإضافة تفضيلاً آخر ، وتخصيصاً وجلالةً، زيادةً على ماله قبل الإضافة، ولم يوفق لفهم هذا المعنى من سوّى بين الأعيان والأفعال والأزمان والأماكن، وزعم أنه لا مزية لشيء منها على شيء ، وإنما هو مجرد الترجيح بلا مرجح ، وهذا القول باطل بأكثر من أربعين وجهاً ، قد ذكرت في غير هذا الموضع ، ويكفي تصور هذا المذهب الباطل في فساده، فإنّ مذهباً يقتضي أن يكون ذوات الرسل كذوات أعدائهم في الحقيقة، وإنّما التفضيل بأمرٍ لايرجع إلى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لاتكون لغيرها، وكذلك نفس البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة على بقعة مزية البتة، وإنّما هولما يقع فيها من الأعمال الصالحة فلامزية لبقعة البيت والمسجد الحرام ومنى وعرفة والمشاعر على أي بقعة سميتَها من الأرض، وإنّما التفضيل باعتبار أمرٍ خارج عن البقعة لايعود إليها ولا إلى وصف قائم بها، والله سبحانه وتعالى قد ردّ هذا القول الباطل ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٤] قال الله تعالى رداً على هؤلاء: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٤] أي ليس كل أحد أهلا ولا صالحاً لتحمل رسالته

بل لها محال مخصوصة لاتليق إلا بها، ولا تصلح إلا لها، والله أعلم بهذه المحال منكم. ولو كانت الذات متساوية كما قال هؤلاء، لم يكن في ذلك رد عليهم. وكذلك قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٦] أي هو سبحانه أعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله، ويمن عليه ممن لايشكره، فليس كل محل يصلح لشكره، واحتمال منّته، والتخصيص بكرامته.

فذوات ما اختاره واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست في غيرها، ولأجلها اصطفاها، وهو سبحانه الذي فضّلها بتلك الصفات، وخصها بالاختيار، فهذا خلقه وهذا اختياره، **وربك يخلق ما يشاء ويختار**.

وما أبين بطلان رأي يقتضي بأنّ مكان البيت الحرام مساوٍ لسائر الأمكنة، وذات الحجر الأسود مساويةٌ لسائر حجارة الأرض، وذات النبي ﷺ مساوية لذات غيره، وإنّما التفضيل في ذلك بأمور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها. **وهذه الأقاويل وأمثالها من الجنايات التي جناها المتكلّمون على الشريعة ونسبوها إليها وهي بريئة منها**، وليس معهم أكثر من اشتراك الذوات في أمرٍ عام، وذلك لايوجب تساويها في الحقيقة؛ لأنّ المختلفات قد تشترك في أمر عام مع اختلافها في الصفات النفسية، وما سوّى الله تعالى بين ذات المسك وذات البول أبداً، ولابين ذات الماء وذات النار أبداً، والتفاوت البيّنُ بين الأمكنة الشريفة وأضدادها، والذوات الفاضلة وأضدادها، أعظمُ من هذا التفاوت بكثيرٍ، فبين ذات موسى عليه السلام وفرعون من التفاوت أعظم مما بين المسك والرجيع، وكذلك التفاوت بين نفس الكعبة وبين بيت السلطان أعظم من هذا التفاوت أيضاً بكثيرٍ، فكيف يجعل البقعتان سواء في الحقيقة. والتفضيل باعتبار ما يقع هناك من العبادات والأذكار والدعوات، ولم نقصد استيفاء الرد على هذا المذهب المردود والمرذول، وإنّما قصدنا تصويره، وإلى اللبيب العادل العاقل التحاكم، ولا يعبأ الله وعباده بغيره شيئاً، والله سبحانه لا يخصّص شيئا ولا يفضّله ولايرجّحه إلا لمعنى يقتضي تخصيصه وتفضيله، نعم هو معطي ذلك المرجح وواهبه، فهو الذي خلقه ثم اختاره بعد خلقه، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾. (انتهى ملخصاً).

وإذا تمهّد هذا فنقول: إنّ الكعبة الشريفة هي أشرف بقاع الأرض وأفضلها على الإطلاق

بحسب صفاتها النفسية كما ذكرنا، وهذا لا يمنع أن يكون بقعة أخرى من الأرض أفضل منهـا من حيث ما يعرض لها من أمورٍ وأحوالٍ خارجة عن نفس ذاتها كحلول أفضـل المخلوقـات ونزول أشرف الكائنات -أعني رسول الله ﷺ- بها، فإنّ الأنوار والتجليات التي يتجلى بهـا الحق سبحانه وتعالى لأشرف خليقته على الإطلاق ، أعظم وأعلى من سائر التجليات التي يتجلى بها لغيره كائناً ما كان. وهذا يستلزم أن يكون كل محل حل بهﷺ في حياته أشرف وأفضـل من سائر البقاع من هذه الجهة إلى أن يفارقه. وأما بعد وفاته فروحه المقدسة ﷺ قد استقرت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولايتوهم من هذا إنكار حياته في قبره الشريف فإنّ لروحهﷺ إشرافاً على البدن المبارك الطيب، وإشراقاً وتعلقاً به، وبدنه في ضريحـه غير مفقود، وإذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام كما ورد في الحديث، ولم يفارق الملأ الأعلى .

ومن كثف إدراكه وغلظت طباعه عن هذا الإدراك فلينظر إلى الشـمس في علومحلهـا وتعلقها وتأثيرها في الأرض وحياة النبات والحيوان بها ، هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شـأنٌ وللأبدان شأنٌ . فشأن الروح ولاسيما روح الأرواح أعلى من ذلك وألطف، والحـاصل أنّ الله سبحانه وتعالى إقبالاً خاصاً عظيماً على روحه الكريمة المشرفة على بدنه المبارك الحـالّ بقـبره الشريف لايشاركه فيه غيره .

فأما المزية التي تحصل لموضع قبرهﷺ بذلك الإقبال الإلهي بتلك الوسائط هل هي أزيـد وأعظم مما يحصل للعرش الكريم من التجلي الرحماني بلا واسطة فإني لا أجزم بنفيه ولا إثباتـه، والله سبحانه وتعالى أعلم بمقادير الفضل وتفاوت مابين أنواع التجليات وآثارها.

نعم لوكان العرش مستوى الرحمن بمعنى أنّ ذاته سبحانه وتعالى قدحل به حلول المكـين بالمكان (تعالى الله عن ذلك وتقدّس) لقطعنا بأنّ العرش أفضل من سائر بقاع الأرض والسـماء حتى ضريحهﷺ ، لظهور أن شرف المكان على قدر شرف المكين ولكنّ الأمر ليـس كذلـك والاستواء بالمعنى المذكور محال على الله تعالى . (فتح الملهم بشرح صحيـح مسـلم - ٣/٤٢٠ و٤٢١)

السفر لزيارة القبر النبوي الشريف

وشد الرحال إليه

بناءً على فضائل نبينا وسيدنا محمدﷺ ومناقبه التي تقدّم ذكرها من معتقدات علماء ديوبند، جاء معتقدهم في هذا الموضوع بما ذكره الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في هذه الألفاظ- إجابةً عن سؤالٍ وُجِّه إليهم - وهو أول سؤال من مجموع السؤالات:

"عندنا وعند مشايخنا زيارة قبر سيد المرسلين (روحي فداه) من أعظم القربات، وأهم المندوبات، وأنجح لنيل الدرجات، بل قريبة من الواجبات ، وإن كان حصوله بشد الرحال ، وبذل المهج والأموال . وينوي وقت الارتحال زيارته عليه ألف ألف تحية وسلام، وينوي معها زيارة مسجدهﷺ وغيره من البقاع والمشاهد الشريفة.

بل الأولى ما قال العلامة الهمام ابن الهمام : أن يجرد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ثم يحصل له إذا قدم زيارةُ المسجد لأنّ في ذلك زيادة تعظيمه وإجلالهﷺ، ويوافقه قولهﷺ : "من جاء زائراً لاتحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة"... وهو أقرب إلى مذهب المحبين .

وأما ما قالت الوهابية من أنّ المسافر إلى المدينة المنورة على ساكنها ألف ألف تحية لاينوي إلا المسجد الشريف، استدلالاً بقوله عليه الصلاة والسلام: " لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" فمردود .

لأنّ الحديث لايدل على المنع أصلاً ، بل لو تأمّل ذوفهمٍ ثاقب لعَلِم أنه بدلالة النص يدل على الجواز، فإنّ العلة التي استثنى بها المساجد الثلاثة من عموم المساجد،

أوالبقاع ، هوفضلها المختص بها، وهومع الزيادة موجود في البقعة الشريفة، فإنّ البقعة الشريفة والرحبة المنيفة التي ضمت أعضاءه ﷺ أفضل مطلقاً حتى من الكعبة ومن العرش والكرسي كما صرّح به فقهاؤنا رضي الله عنهم.

ولما استثنى المساجد لذلك الفضل الخاص، فأولى ثم أولى أن يستثنى البقعة المباركة لذلك الفضل العام .

وقد صرّح بالمسألة كما ذكرنا ، بل بأبسط منها شيخنا العلامة شمس العلماء العاملين مولانا **رشيد أحمد الكنكوهي** – قدس الله سره العزيز – في رسالته "**زبدة المناسك**" في فصل زيارة المدينة المنورة، وقد طبعت مراراً، وأيضاً في هذا المبحث الشريف رسالةٌ لشيخ مشايخنا مولانا المفتي **صدر الدين الدهلوي**– قدس الله سره العزيز– أقام فيها الطامة الكبرى على الوهابية ومن وافقهم، وأتى ببراهين قاطعة وحجج ساطعة سماها، "**أحسن المقال في شرح حديث لا تشد الرحال.**" (١)

وقال **التهانوي** في بعض فتاواه: وفي رسالة "**منتهى المقال**" ذكر رواية لأبي سعيد الخدري نقلاً من مسند **الإمام أحمد** ، ولفظها : "**لاينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا.**" فأوّلاً إنّ هذا الحديث يمكن لنا أن نقول إنّه يفسر الحديث المشهور ، وثانياً لو لم يكن تفسيراً فهومحتمل لهذا المعنى– وهذا على الأقل– ولا نص على تعلقه بالقبور، وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

وأما شرح الشراح ، ومنها كتاب **حجة الله البالغة** (للإمام الدهلوي) أيضاً فهوليس بنصٍ بل أحد الوجوه المحتملة ، إلا أنّ السفر إلى المقابر لواستلزمت مفسدةً فيمنع عن ذلك لأجل تلك المفسدة مع أنه ليس بمدلولٍ لهذا الحديث.

---

(١) المهنّد على المفنّد ص: ٥– ٧

وأما النهي عن الذهاب إلى الطور (الذي ورد عن بعض الصحابة) فمحله أيضاً أن يسافر إليه بنية التقرب، وهذه النيةُ والسفر بناءً عليها ، دعوى أمر غير ثابت بالشرع ، فهوغير مشروع، وداخل تحت الحديث المشهور لأنّ علة النهي فيه موجودة، وذلك أنّه لا يجوز قياس المشاهد -غير المساجد الثلاثة- عليها في السفر بنية التقرب لأجل الفارق، والفارق أنّ تضاعف الثواب والأجر في الصلاة في هذه المساجد موعود، وهذا الموعود والتضاعف إذا لم يمكن للمرء حصوله بدون السفر جاز السفر أيضاً وصح، بخلاف غيرها من المشاهد؛ فإنّه لا دليل على الثواب (أي الخاص والمضاعفة) فيه فالسفر إليها بهذه النية اعتقادٌ بما هوغير ثابت شرعاً فافترقا. (١)

وقال الشيخ المحدث أنور شاه الكشميري في أماليه على جامع الترمذي:

"ذهب جمهرة الأمة إلى أنّ زيارة قبره ﷺ من أعظم القربات والسفر إليها جائز بل مندوب، وفي الوفاء : والحنفية قالوا : إنّ زيارة قبر النبيﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات، وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة، وأوضح السبكي نقولهم وسردها في كتابه في الزيارة ، ولا حاجة إلى تتبع ذلك مع العلم بالإجماع عليه ... ويظهر بعد البحث أن ابن تيمية ومن تبعه تفردوا بذلك ، وإن كان لهم موافقون في بعض مقالهم على خلاف جمهرة وجميع الأئمة . ولوفرضنا ذهاب طائفة قليلة إلى ما يقوله ابن تيمية فليكن.... وحقق ابن حجر وغير واحد من المحقّقين أنّ مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع كما في "فتح الباري"........ وممن نقل الإجماع فيه القاضي عياض من المالكية ، والنوويُ من الشافعية وابنُ الهمام من الحنفية .

وأجاب الجمهور عنه (أي لاتشد الرحال...) بأجوبة أحسنها ما ذكره العيني عن شيخه العراقي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني بأن المراد فيه حكم المساجد فقط وأنه

---

(١) إمداد الفتاوى ٥/٨١ و٨٢

لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة. ... واستدلاً لذلك برواية عند أحمد في مسنده (لاينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)... وهومن طريق شهربن حوشب عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. قال البدر العيني : "وشهر بن حوشب وثّقه جماعة من الأئمة" ، وقال الحافظ: "وشهر حسَنُ الحديث وإن كان فيه بعض الضعف" ، وقال الحافظ الهيثمي في الزوائد : "وشهر فيه كلام وحديثه حسن" ....

ولم يقدر ابن تيمية وأتباعه أن يجيبوا عنه بجوابٍ شافٍ، وما يُتأوّل بأنّه كان قصدهم المسجد دون قبره المقدس ﷺ فقول مصنوع مخترع، فإنّه لوكان قصدهم السفر لمسجده ثبت عنهم السفر مثله إلى المسجد الأقصى كذلك، وأنى يثبت ذلك، وبالجملة فعندهم تمحلات عنه وليس عندهم ما يشفي. (١)

وقال الشيخ محمد يوسف البنوري جامع أمالي الكشميري :

"ومن ذا الذي يتحمل متاعب الرحلة ، ومكابدة السفر نحوسبع مائة ميل إياباً وذهاباً، إلى تحصيل أجر ألف صلاة، في حين أنه يتمكن بدله أجر مائة ألف صلاة في المسجد الحرام من غير أية مكابدة وعناء ، فأيّةُ نفس تسمح بهذه التفدية العظيمة والتضحية الجليلة في نقص أجوره الغزيرة من غير ما تعب وعناء ؟ كلا ثم كلا، وإنّما تستحث النجب والركائب إلى تلك البقعة المقدسة التي ثوى فيها حبيب رب العالمين ورحمة للعالمين وإمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين. (٢)

وأقول : إنّ هذه المسألة المهمة التي أنشأت جدالاً كبيراً ونقاشاً طويلاً ، منذ عهد الشيخ ابن تيمية -عليه الرحمة- خاصةً، وكثُر فيه الشغب والبحث في هذين القرنين

---

(١) معارف السنن ٣/٣٢٩ -٣٣٣ مختصرا

(٢) معارف السنن ٣/٣٣٣

المتأخرين - فهذه المسألة من جهة معتقد علماء ديوبند- إن لم تكن إجماعية - فهي مسألة أكثرية، عليها الغالبية الساحقة من علماء الأمة، ومخالفوهم في ذلك لم يكونوا إلا أقل قليل إلى زمان ظهور مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشيوع آرائه، وإنما نجاءت وظهرت كثرة القائلين بالمنع بعد الشيخ ، فلا شناعة على من يذهب إليها في هذه الأزمنة اتباعاً لأكثر السلف والخلف، واقتداءً بأغلب المتقدمين والمتأخرين، كيف ؟ وعندهم في ذلك دلائل مقنعة ، وبراهين مفحمة ، من الحجج الشرعية، وأهمها ما جاء في كلام الإمام الكشميري بلفظ:

"وأما حجة الجمهور في جواز السفر هوتعامل السلف المتوارث فيهم على السفر إلى زيارة روضته المقدّسة ﷺ، وتواترت بذلك أخبارهم، كما تجد تفصيل ذلك في كتاب تقي الدين السبكي: "شفاء السقام" ، وكتاب التقي الحصنى: "دفع الشبه"، وكتاب السمهودي: "وفاء الوفاء" ما لسنا في حاجة إلى نقله بعد ثبوت الإجماع القولي والعملي جميعاً. (١)

وفي كتاب "الهدية السنية" من رسائل الإمام عبد العزيز الأول ابن الإمام محمد بن سعود:

"وإذا جاز السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعاً ؛ لأنّها غير مقصودة استقلالاً ، وحينئذ فالزيارة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر كما تقدم عن مالك.

وما حكاه الغزالي- رحمه الله- ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر (أي السفر لزيارة قبره الشريف) فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من

---

(١)معارف السنن ٣٣٢/٣

الصلاة والدعاء عنده ، بل يصلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة، ثم يسلم على أبي بكر ثم عمر ولا يقصد الصلاة عند القبر." (١)

وكتاب " **الهدية السنية** " ألّف في الدفاع والتوضيح عما يقول الإمام **محمد بن عبد الوهاب** وأولاده وأتباعه ، وهذا ما جاء فيه فهويوافق معتقد ***علماء ديوبند*** في الجملة فإنّ ***علماء ديوبند*** لم يقولوا بالسفر لقصد عبادة عند القبر من الصلاة ونحوها، بل إنهم لا يجوّزون ذلك في غير هذا الموضع أيضاً، بل يقولون بالزيارة للقبر الشريف والسفرلها، حسب ما عرف ويذكره الفقهاء وعلماء الأمة.

وأما الدعاء من الله تعالى عند الزيارة بعد الفراغ من الصلاة والسلام عليه ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله تعالى عنهما، فليس من العبادة بشيء إذا كان المرء يدعو الله تعالى ويقصده ويطلب منه، رعايةً ونظراً لخصوص محل يرجى فيه القبول . وسيأتي المزيد من التفصيل .

---

(١) الهدية السنية، ص: ١٩

الدعاء عند قبره الشريف

الدعاء عند قبره الشريف - بعد الفراغ من الصلاة والسلام عليه ﷺ ، وعلى صاحبيه رضي الله عنهما - جائز لأنّ الدعاء - عند قبر النبي ﷺ - ليس من العبادة بشيء ولا من الأمور المحظورة الممنوعة عند القبور، إذا كان المرء الداعي يدعو الله تعالى ويقصده بدعائه ، ويطلب منه- سبحانه- حاجته، رعايةً ونظراً لخصوص محل تنزل فيه رحمته تعالى، فيرجى فيه قبول الدعاء .

كيف وقد اتفق عليه عامة الفقهاء والكتب من المذاهب الأربعة (١) ، وقد ورد بعض الآثار أيضاً بذكر الدعاء(٢)، والدعاءُ بعد الزيارة المشروعة لقبره ﷺ

---

(١) رد المحتار :٦٢٨/٢ ، وبلغة السالك لأقرب المسالك: ٢٨٤/١، وشرح المهذب ٢٧٤/٨، والمغني ٥٥٨/٣

(٢) رواه الإمام محمد في الموطأ - باب قبر النبي وما يستحب من ذلك قال أخبرنا مالك، أخبرنا عبد الله بن دينار أن ابن عمر كان إذا أراد سفراً أوقدم من سفر جاء قبر النبي ﷺ فصلى عليه ودعا ثم انصرف . وقال في إعلاء السنن ٥٠٧/١٠ : سنده صحيح .

وأما ما يذكر من كراهة الإمام مالك في باب الزيارة فذلك في إكثار المقيمين بالمدينة لذلك، لاللمسافر والزائر كما ذكر ونقل في كتاب : الفقه الإسلامي وأدلته ٣٤٢/٣ .

وجاء في إعلاء السنن ٥٠٦/١٠ - قال عبد الحق : عن أبي عمران المالكي قال : إنما كره مالك أن يقال :زرنا قبر النبي ﷺ؛ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها ، وزيارة قبر النبي ﷺ واجبة، قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة . انتهى .

واختار عياض أنّ كراهة مالك لذلك لإضافة الزيارة إلى القبر، وإنّه لوقال : زرنا النبي ﷺ

ولقبريْ صاحبيه، ذكره الشيخ ابن تيمية وبعض أخلاف الشيخ محمد بن عبدالوهاب أيضاً. (١)

أمّا التوجه حال الدعاء - فهل يكون إلى القبر المنيف أم إلى القبلة ؟ - فقال فيه الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

"اختلف الفقهاء في ذلك ، كما ذكره الملا علي القاري رحمه الله تعالى في "المسلك المتقسط" فقال : ثم اعلم أنه ذكر بعض مشايخنا كأبي الليث ومن تبعه كالكرماني والسروجي أنه يقف الزائر مستقبل القبلة، كذا رواه الحسن عن أبي حنيفة رضي الله عنهما.

ثم نقل عن ابن الهمام(٢)بأنّ ما نُقِل عن أبي الليث مردود بما روى أبوحنيفة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال : "من السنة أن تأتي قبر رسول الله ﷺ فتستقبل القبربوجهك ثم تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته." (٣)

لم يكره ؛ لحديث: "**اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد**". فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر قطعاً للذريعة، قال **ابن رشد**: ما كره مالك ذلك إلا من وجه أنّ كلمة أعلى من كلمة. فلما كانت الزيارة تستعمل في الموتى وقد وقع من الكراهة ما وقع كره أن يذكر مثل ذلك في النبيﷺ [نقلا عن وفاء الوفاء]

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: ٧١٤ و٧١٥ و٧٢٠ ، والكلمات النافعة في المكفّرات الواقعة من مشمول الجامع الفريد ص: ٣٣٢ و٣٣٣، ومجموع الفتاوى ٣٠/٢٧

(٢)(فتح القدير ٩٥/٣

(٣) أخرجه الحافظ طلحة بن محمد في مسند أبي حنيفة عن صالح بن أحمد عن عثمان بن سعيد بن أبي عبد الرحمن المقرئ . (إعلاء السنن ٥٠٤/١٠) وهوفي مسند الحصكفي أيضاً برواية الإمام =

ثم أيده برواية أخرى أخرجها المجد اللغوي عن ابن المبارك – الخ فظهر من هذا أنه يجوز كلا الأمرين لكن المختار أن يستقبل وقت الزيارة مما يلي وجهه الشريف .

وهو المأخوذ به عندنا، وعليه عملنا وعمل مشايخنا. وهكذا الحكم في الدعاء كما روي عن مالك(١) لمّا سأله بعض الخلفاء. (٢)

عن نافع عن ابن عمر ولفظه : "من السنة أن تأتي قبر النبي ﷺ من قِبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك" . (مسند الحصكفي بشرح القاري ص: ٢٠١،٢٠٢ وتنسيق النظام ص: ١٢٢).

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٤١/٢ – وسنده صحيح كما نقله صاحب إعلاء السنن (٥٠٦/١٠) عن وفاء الوفاء.

(٢) المهنّد على المفنّد ص: ٩ و ١٠

يقول الإمام النووي في "الأذكار" -ص: ١٧٥- ثم (أي بعد السلام على صاحبيه) يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ، فيتوسّل به في حق نفسه ويتشفّع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ويدعولنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه، ومن أحسن إليه وسائر المسلمين.

وقد صرّح الشيخ ابن تيمية -عليه الرحمة- في فتاواه مراراً بأنّ الفقهاء اتفقوا على استقبال القبلة عند الدعاء، وإنّما اختلفوا في ذلك في السلام، فالأكثر على أن المسلّم يستقبل قبره الشريف وأبوحنيفة يقول باستقبال القبلة . (مجموع الفتاوى ١٤٦/٢٦ و١٤٧ و١١٧/٢٧)

فكل ما ذكرت ونقلت هنا – وهوقليل من كثير في الموضوع-يدل على خلاف قوله.

باب
التصوف والسلوك
و
الولاية والصوفية

- ❑ حقيقة التصوف
- ❑ الولاية واتباع السنة والشريعة
- ❑ الولاية والنبوة
- ❑ التصرف في الكون
- ❑ كشف القبور والوقوف بما في الصدور
- ❑ الاستفادة من المقبولين بروحانيتهم من صدورهم أو قبورهم
- ❑ الاستعانة بالأرواح والاستغاثة بالموتى
- ❑ حياة الأولياء البرزخية
- ❑ المنامات وصلتها بالخارج
- ❑ مايؤثر من الأولياء الصادقين مما يخالف ظاهر الشريعة
- ❑ وحدة الوجود
- ❑ تصور الشيخ
- ❑ الذكر بكلمة لاإله إلا الله
- ❑ التوسل بالأولياء والصالحين
- ❑ الورد بـ: ياشيخ عبد القادر ونحوه

"هذه البيعة (بيعة المشايخ) لادليل على كونها فرضا،أوواجباً، أو سنة مؤكدة ، إلا أنها ثبتت وصحت من حضرة النبوة فهي مستحبة ، ومن قال إنها فرض أو واجب، استدلالاً بقوله تعالى ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ فذلك قول بلا دليل ، وتفسير بالراي ، والصحيح تفسيره بـ : وابتغوا إليه القرب بالطاعات."

العلامة المصلح الشيخ أشرف علي التهانوي

أنفاس عيسى ، ص :٤٣٧

"وإذا عرف أن منشأ "التصوف" كان من البصرة ، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد، مما له فيه اجتهاد، كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم، ما له فيه اجتهاد ، وهؤلاء نُسِبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم: "صوفي" وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علّقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال." .

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى ١١/١٦

" كل ما لايجوز في الشرع فهو خطأ عند الصوفية أيضاً فإنّ الصوفية لايخرجون عن جادة الشريعة وحدودها، ومن خرج منهم من حدود الشريعة يفوته التصوف."

العلامة المصلح أشرف علي التهانوي

إمداد الفتاوى: ٥/١٥٠

"وقد انتسب إليه طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحقِّقين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلاً؛ فإنَّ أكثر مشايخ الطريق أنكروه، وأخرجوه عن الطريق، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ ابوعبدالرحمن السلمي في "طبقات الصوفية"، وذكره الحافظ ابوبكر الخطيب في "تاريخ بغداد"."

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى: ١١/١٨

التصوف والسلوك

والاشتغال بأشغال الصوفية

يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري:

"يستحب عندنا إذا فرغ الإنسان من تصحيح العقائد وتحصيل المسائل الضرورية من الشرع ، أن يبايع شيخاً راسخ القدم في الشريعة، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، قد قطع عقبات النفس، وتمرّن في المنجيات، وتبتّل عن المهلكات، كاملاً مكملا، ويضع يده في يده ، ويحبس نظره في نظره ، ويشتغل بأشغال الصوفية من الذكر والفكر والفناء الكلي فيه، ويكتسب النسبة التي هي النعمة العظمى والغنيمة الكبرى، وهي المعبّر عنها في لسان الشرع "**بالإحسان**".

وأما من لم يتيسر له ذلك و لم يقدر له ما هنالك فيكفيه الانسلاك بسلكهم والانخراط في حزبهم، فقد قال رسول الله ﷺ : "**المرء مع من أحب**" أولئك قوم لايشقي جليسهم.

وبحمدالله تعالى وحسن إنعامه، نحن ومشايخنا قد دخلوا في بيعتهم، واشتغلوا بأشغالهم وتصدّوا للإرشاد والتلقين، والحمد لله على ذلك." [١]

وقال الشيخ **محمد** طيب القاسمي:

"إنّ كثيرا من الجزئيات والتدابير، لتهذيب النفس، قد اعتبرت واختيرت اعتماداً على أفكار المحقّقين والأئمة من فن الإحسان ونظرهم ، وبناءً على حذاقتهم وممارستهم في الأحوال الباطنية، فيقول بها ويختارها ***علماء ديوبند*** بشرط أن تكون مأثورةً

---

[١] المهنّد على المفنّد ، ص: ١٢ ، ١٣

ومنقولةً من أئمة الفن ومحقّقيه، وذلك لأنّ الأخذ والاهتمام بقول كلّ واحد، وبكل احتمالات وخيالات، يفضي إلى عدم اعتبارالجزئيات الفقهيــة، وإسقاط المسائل الكلامية.

فبناءً على هذا الأساس والفرق، جاء من اعتدال هذه الطائفة - *علماء ديوبند-* أنهم لايسوّغون صرف النظر والإعراض والإضراب عن هذا الفن - فن الإحسان والتصوف - بأن يقولوا : إنه كالأفيون يُفسد العقول ويخرّب الأذهان، ولا أنهم يحبون ويجيزون إظهار الأحوال الباطنية والمواجيد أمام الناس وعلى منـاص الحيـاة العامـة ليُروهم تصوفَهم ومعرفتَهم بالله، بل إنّهم يرون أنّ هذا جزءٌ من الشريعة غير ظـاهر (مثل غيره من الأحكام الفقهية) فمن الضروري استعماله لإصلاح الباطن، وتهذيبه بطريق الباطن والإخفاء (لابطريق الإظهار والعلن) ، إنّ قلوبهم مملوءة بنهاية الإجلال والإكرام لأهل الباطن أهل الله المذكورين، وهم يتبرؤون عن المتصوفـة، ولايعتنـون بالصوفية بالتكلف والتصنع، وهم الذين لايعني عندهم التصوف إلا الثياب الممشـقة، وحكاية بعض الرسوم المتعينة والتزامها، والرياء بالوثوب والحركات المتنوعة، ولايوجد لديهم أثر من كيفيةٍ باطنيةٍ أوتأثيرٍصادق، وانفعال صحيح.(١)

وقال الشيخ **أشرف علي التهانوي:**

البيعة والمبايعة لها حقيقة ولها صورة، فالحقيقة عقد بين المرشد والمسترشد ، فمن المرشد للتعليم ومن المسترشد للاتباع. فلوكان بينهما علاقة النبوة والأمة فهذا العقـد من النبي للتبليغ، ومن الأمة للإيمان، حاصله التزام جميع أحكام الإسلام. وهذا القـدر كاف في تحقيق هذا، وعليه يحمل قول من قال - لوصح وثبت - من لاشيخ له فشيخه الشيطان، وإلا فليس أحد من المسلمين مصداقه وهذه البيعة فرض.

---

(١) *علماء ديوبند* ، ص: ١٢٩

ثم بعد هذه البيعة بيعة الإيمان، إذا بويع أحد على يد آخر لأمر من الأمور، فذلك تجديد لهذا العقد والعهد كما في حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ ــ وحوله عصابة من أصحابه ــ "بايعوني..." إلى قوله فبايعناه على ذلك(١).

وإن كان المرشد والمسترشد كلاهما من الأمة -كما هوالحال بعد زمن النبوة- فالعقد بينهما هي البيعة التي تعرف الآن بالمشيخة والإرادة، وهذه البيعة أيضاً مثل الصورة الثانية المذكورة (أعلاه) تقوية للعهد الإسلامي والإيماني واتباع للسنة التي ذكرناها بعنوان تجديد العهد.

وهذه البيعة لا دليل على كونها فرضاً أوواجباً أوسنةً مؤكدةً، إلا أنها ثبتت وصحت من حضرة النبوة فهي مستحبة ، ومن قال: إنّها فرض أوواجب، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(٢)**، فذلك قولٌ بلا دليلٍ وتفسيرٌ بالرأي،**

---

(١)ولفظ الحديث كما في البخاري: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ:" **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ."** فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.(متفق عليه- صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، وصحيح مسلم الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، وفي رواية له عند مسلم وغيره -" **ألا تبايعون رسول الله؟**" فقلنا قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال:" **ألا تبايعون رسول الله؟**" قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: "**أن تعبدوا الله الخ**" (عن عوف بن مالك صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس)

(٢)سورة المائدة : الآية ٣٥

والصحيح تفسيره بـ " وابتغوا إليه القرب بالطاعات". وأيضاً لايقال: إنها سنة مؤكدة لأنه لم يثبت منه ﷺ المداومة على هذه البيعة (التي قيل فيها إنها تجديد) وقد كان في زمنه ﷺ ألوف من المسلمين و لم يبايعوه بهذه البيعة الخاصة.

هذا الكلام في بيان حقيقة هذه البيعة، وأما الصورة والمراد بها وضع يد أحدهما على يد الآخر أوالأخذ بالثوب ونحوه وإعطاؤه، فهذا من المباح وليس بدرجة من درجات المأمور به حتى لا يحكم عليه بأنه مستحب ، وذلك لأنّ ما روى في ذلك عن النبي ﷺ فكان من قبيل العادة لامن جهة العبادة والدين، فإنّ العرب كانت عادتهم كذلك عند عقد من العقود بينهم أومعاهدة...

والجملة في هذه البيعة التي اعتادها الصلحاء أنّها لا تفوق المستحب باعتبار حقيقتها ، وهيئتُها الخاصة لا تفوق المباح. فالإفراط بدرجتها ومرتبتها علماً أوعملاً بأن يقال إنها شرط النجاة أويلام تاركُها، كل ذلك غلوٌّ في الدين واعتداء من حدوده . فلوأنّ أحداً لم يبايع شيخاً طيل عمره على طريق هذا القوم وعرفهم، واهتم بالدين والعمل به مع الصدق والإخلاص بعد أن يحصل له معرفة بالدين تعلماً أوسؤالاً واستفساراً من العلماء فذلك ناجٍ ومقبولٌ ومقرَّبٌ بإذن الله تعالى.

إلا أنّه ثبت بالتجربة والمشاهدة ـــ كلياً أوأغلبياً ـــ أنّ المطلوب من العمل والصلاح- بدون خطر وضرر- لا يحصل عادةً إلا باتباع شيخ كامل وتربية منه، ويكفيه الالتزام فقط ولايشترط البيعة المتعارفة لذلك.(١)

وسئل الشيخ التهانوي عن الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة فأجاب:

"إنّ الشريعة اسم لمجموع الأحكام التكليفية دخلت فيها جميع الأعمال الظاهرة والباطنة. وفي مصطلح المتقدمين كان لفظ الفقه مرادفاً له (أي لفظ الشريعة) ولذا

---

(١) أنفاس عيسى ، ص: ٤٣٧ - ٤٣٨

اشتهر عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعريف الفقه بقوله: "**إنّه معرفة النفس ما لها وما عليها**". وفي اصطلاح المتأخرين تقرر"**الفقه**" عنواناً لما يتعلق بالأعمال الظاهرة ـــ من أحكام الشريعة وأجزائها، والجزء المتعلق بالأعمال الباطنة عنوانه "**التصوف**".

والطرق للأعمال الباطنية (أي الطرق التيّ قرّروها لإصلاح الباطن وللوصول إلى هذه الأعمال) يسمونها "**طـــريقة**".

فإذا صلُح العبد باطنُه وأعمالُه، حصل لقلبه بذلـــك جـــلاء وصفـــاء يتســـبب لانكشاف بعض الحقائق الكونية لقلبه وعلى قلبه، تتعلق تلـــك الحقـــائق بالأعيـــان والأعراض وعلىالأخص بالأعمال الحسنة والسيئة، وكـــذا يتســـبب ذلـــك الجـــلاء لانكشاف الحقائق الإلهية وتجليها على قلبه، صفاتية وفعلية، ولاسيما ما يتعلق بما يجري بين الله وبين العبد من المعاملات (في السر والباطن).

فهذه المكشوفات تسمى بـ "**الحقيقة** " والانكشاف يســـمى بـــ"**المعرفـــة**" وصاحب هذا الانكشاف والمكشوفات يلقبونه بـــ "**العارف**" و"**المحقق**" .

فهذه الأمور(الأربعة) جملة متعلقة بالشريعة نفسها. وأما ما اشـــتهر وشـــاع في العوام بأنهم يسمون الجزء المتعلق بالأعمال الظاهرة فقط بالشـــريعة (ويعتقـــدون أنّ الباطن لاعلاقة له بالشريعة وهو شيء آخر يخالفها ويعارضها) فهذا اصطلاح لم يؤثر عن أحد من العلماء، ولايصح منشأ هذا التفريق ومبناه بالنسبة إلى العوام لأنّ منشـــأه عندهم هوالاعتقاد بتنافي الظاهر والباطن [١] وهذا غلط محض.

---

(١) إمداد الفتاوى ١٦٥/٥

و في فتاوى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي : "المراد بالبيعة تحصيل الإخلاص وتحلية نورالإسلام (أي في باطن المريد وقلبه)، وهذا يحصل بدون شيخ ومرشد أيضاً لكنَّ الأكثر والأغلب أنّه يحتاج لأجله إلى واسطة وتوسل."(١)

وقال في بعض فتاواه :

" إنّما علم الشريعة وعلم الطريقة شيء واحدٌ، وكذلك الشريعة والطريقة واحدة. فإذا حصل للمرء الوقوف بحكم الشريعة حصل له علم الشريعة، وإذا وقف على كنه ذلك الحكم فهذا علم الطريقة. والعمل لتأدية الفرائض والواجبات (لغرض إبراء الذمة عن مطالبتها) بالتكلف ومشقة النفس يسمى عملاً بالشريعة، فإذا دخل الإخلاص وحب الله تعالى في قلب المرء فهذا عمل بالطريقة. فإذا وُجِد تجاذبٌ بين العلم والعمل فهذه شريعة. فإذا اطمأنَّ المرء فهذه طريقة. فالفرق بينهما ابتداءً وانتهاءً. فمن نظر إلى أنَّ أصل الشيء واحدٌ قال إنّهما متحدان. فهذا أيضاً صحيح ، ومن فرَّق بين أول الأمر وآخره ذهب إلى أنّهما شيئان وهذا أيضاً صحيح ومعناهما واحد.

وكان الأئمة المجتهدون أيضاً من أصحاب الطريقة لكنهم لم يشتغلوا بتحقيق هذا الفن، لأنَّ العمل بظاهر الشريعة فرض، فرأوا أنَّ شرحه أشد احتياجاً، وكانوا حذاقاً في الطريقة لأنَّ الطريقة إنّما هي مأخوذة ومستنبطة من الأحاديث، وكان أكثر أئمة الطريقة علماءَ لكنهم لم يخوضوا في تحقيق ظاهر الشريعة، لأنَّ جماعةً من العلماء كانوا مشتغلين به فرأوهم كافين في ذلك عن غيرهم، وكتبوا حقائق الشرع الباطني .

---

(١) الفتاوى الرشيدية ، ص: ١٩٩

وهكذا أخذ كل جماعة منهم فناً وفناً. وكان بعض الأولياء عارفين بعلم الشريعة قدر الضرورة وماهرين ومحقّقين في دقائق الطريقة، ومع ذلك لم يكتبوا شيئاً في أيٍّ منهما.

وبالجملة كان من العلماء من هومحقق ومتبحر في العلمين أوفي أحدهما، والبعض فيهما لم يكونوا كذلك.... لكن كانوا جميعا متحلِّين بما لابد منه من علم الشـــرع؛ لأنَّه لايقبل عمل إلابامتثال حكم الشرع (أي ظاهره) فلا تحصل الولاية بدون قبـــول العمل (١).

وجاء في كلام الشيخ – الكنكوهي– لبعض أصحابه وأخلائه:

" لم يصب الدينَ من الضرر بأي فرقة مثل ما أصابه من أجل الصوفية منذ بدايـــة الأمر إلى الآن، وذلك من جهة الرواية، ومن جهة العقائد والأعمال والأفكار جميعـــاً، ... وكان قوة روحانية نبينا عليه الصلوة والسلام قوية بحيث إنَّ أعاظم الكفار كانت تحصل لهم مرتبة الإحسان بمحض قولهم: لا إله إلا الله (أي بين يديهﷺ). ومن ثمراته أنَّ الصحابة قالوا له: كيف نتخلى للحوائج؟ ونكون عراةً أمام الله تعالى ؟ فهذه غايـــة تلك الروحانية ، فلذا لم يكونوا يحتاجون إلى المجاهدات والرياضات ، وكانت هذه القوة في الصحابة أيضاً بفضل صحبة النبي ﷺ، لكن أقل مما كانت لحضرتـــه صلـــوات الله وسلامه عليه ، وفي التابعين دونهم أيضاً، وضعفت كثيراً في أتباع التـــابعين. وهكـــذا حتى قرّروا المجاهدات والرياضات مكافأةً لهذا الضعف والنقصان في هذه القوة ، وهذه المجاهدات والرياضات كانت تُعَدُّ من الوسائل ومن غير المقاصد إلى زمنٍ لكن لم تزل تحصل المقصدية كلما بعُد الزمن عن خير القرون، وقد زيدت فيها الأشياء أيضاً (أحيانا وأخرى) حتى دخلت في الدين كثيرمن البدع العلمية والعملية والاعتقادية، وقد قـــام

---

(١)الفتاوى الرشيدية ٢٠٣ وراجع لما هوالحق من باب التصوف والسلوك وبيان حقيقته والصوفية ومصطلحات التصوف واستعماله عند الحق — مجموع فتاوى شيخ الإسلام المجلد (١١)

المحقّقون من الصوفية بإصلاحها لكن جهودهم لم تُفِد إلا تقليلها فقط و لم تقلعها من أصولها تماماً. (١)

ومن كلام الشيخ التهانوي في الباب:

"إنَّ حقيقة التصوف هي معرفة الكتاب والسنة، وانصباغ الظاهر والباطن بهما (أوتحلي الظاهر والباطن بهما) وحصول الكمال في الورع والتقوى. أما الأحوال والكيفيات والكشفيات، والإلهامات، فهذه كلها ليست من التصوف الإسلامي ولاهي مطلوبة في الطريق، وإنّها تحصل لكل أحدٍ حسب صلاحه ومعداته، واستعداده للمجاهدات والرياضات، وكثرة الذكر والفكر والمراقبات.

فما كان من هذه الأحوال والكيفيات موافقةً للسنة فهوأفضل، ومالايوافقها، فليس بمستحسن، إلا أنّه لالوم ولاملامة علىصاحب الحال؛ لأنّه في ذلك معذور. وكذا ما كان من الكشف والإلهام لايخالف نصوص الشريعة فهومقبول وإلا فهومردود."(٢)

ومن كلام الشيخ الكنكوهي- في بيان حقيقة التصوف وآدابه- ماكتبه في وُريقة عنده:

"علم الصوفية علمُ الدين ظاهراً وباطناً، وقوةُ اليقين، وهوالعلم الأعلى، حالهم إصلاح الأخلاق ودوام الافتقار إلى الله سبحانه."

---

(١) أرواح ثلاثة ، ص: ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٢) أنفاس عيسى ، ص:٦٦١

حقيقة التصوف التخلُّق بأخلاق الله تعالى، وسلب الإرادة، وكون العبد في رضاء الله تعالى، أخلاق الصوفية ما هوخُلقه عليه السلام بقوله جلَّ وعلى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)وما ورد به الحديث " كان خلقه القرآن."

وتفصيل أخلاقهم كالآتي :

١. التواضع، وضده الكبر.
٢. المداراة وتحمل الأذى عن الخلق.
٣. المعاملة برفق وخُلقٍ حسن ، وتركُ غضب وغيظ.
٤. المواساة والإيثار بفرط الشفقة على الخَلْق، وهوتقديم حقوق الخلق على حظُوظه.
٥. السخاء.
٦. التجاوز والعفو.
٧. طلاقة الوجه والبشرة.
٨. السهولة ولين الجانب.
٩. ترك التعسُّف والتكلف.
١٠.الإنفاق بلا اقتار وادّخار.
١١.التوكل.
١٢.القناعة بيسيرٍ من الدنيا.
١٣.الورع.
١٤.ترك المِراء والجِدال والعتب إلاَّ بحق.
١٥.ترك الغِلّ والحقد والحسد.
١٦.ترك المال والجاه.
١٧.وفاء الوعد.
١٨.الحلم.
١٩.الأناة.
٢٠.التوادّ والتوافق مع الإخوان، والعزلة عن الأغيار.
٢١.شكر المُنعم.
٢٢.بذل الجاه للمسلمين

---

(١) (سورة القلم) : ٤

الصوفي يهذب الظاهر والباطن في الأخلاق، والتصوف أدب كله. آداب الحضرة الإلهية، الإعراض عمن سواه حياءً وإجلالاً وهيبةً لله تعالى، أسوأ المعاصي حديث النفس، وهوسبب الظلمة (١).

ولما قال الشيخ محمد إسماعيل الكاندهلوي (والد الشيخ محمد إلياس-مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ) للإمام الرباني الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

"إنّ لي شغفاً باتباع السنة وقراءة الأذكار والأدعية التي جاءت عن النبي ﷺ في الأوقات المختلفة، ولي اهتمام بالغٌ في قراءتها على محالّها، وأريد أن تُعلّمني شيئاً من أعمال مشايخ السلوك. قال الشيخ **الكنكوهي** : هل مرتبة الإحسان حاصلة لك أم لا؟ فقال له: نعم. هي حاصلة. فقال الشيخ :

"فلا تحتاج إلى شغل من أشغال الصوفية، والاشتغالُ بها بعد حصول مرتبة الإحسان تضييع للأوقات ومعصية." (٢)

وليلاحظ أن **بيت الإمام الدهلوي** ــ الإمام نفسه وأسرته الكاملة من أنجاله وأحفاده ومنهم الإمام الشهيد **إسماعيل بن عبد الغني** أيضاً-كلهم من أهل التصوف، ومن الذين ينتمون إلى سلاسل الأولياء والصوفية، بل إنّهم من أئمة هذا الشأن أيضاً، كما تشهد بذلك أحوالهم ومؤلفاتُهم، ولهم في التصوف ومسائله ومتعلقاته مؤلّفاتٌ مستقلة، يعرفها كل من له إلمام ومعرفة بأحوالهم، وإنكار ذلك والجحودبه مكابرة وعناد لاغير. ومن المعروف والمعلوم أن هذا البيت هوالقدوة والحجة في الدين ***لعلماء ديوبند*** خاصةً ولأهل السنة من مسلمي شبه القارة عموماً.

---

(١) (العناقيد الغالية) ، ص: ٢٩٥ و٢٩٦ نقلاً عن (تذكرة الرشيد)

(٢) (العناقيد الغالية) ، ص: ٢٩٧، وراجع للاستزادة من المعرفة بموقفهم من التصوف المصطلح، الرائج والحقّ منه والباطل، كتاب (المنهج الإسلامي لتربية النفس) للشيخ عبد الباري النّدْوي - والشيخ قد رتّبه وجمعه من إفادات الشيخ أشرف علي التهانوي الذي كان إماماً من أئمة هذا الشأن.

وأنا

تائبٌ مقلِعٌ

" أيها الناس من عرفني فقد عرفني،
ومن لم يعرفني فانا أعرِّفـــه بنفسي،
أنا فـلان بن فـلان ، كنت أقــول
بخلق القرآن، وأنّ الله تعالى لايُرى بالأبصار،
وأنّ أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائبٌ، مُقلــعٌ،
متصدٍ للــرد على المعتزلة ، مخرّجٌ لفضائحهــم.
معاشرَ الناس!
إنّما تغيّبتُ عنكــم هذه المدة لأنــي نظــرت
فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجّح عندي شيء،
فاستهديتُ الله تعالى فهدانــي، إلى اعتقـــاد
ما أودعتُه كتبي هذه، وانخلعت من جميــع
ما كنت أعتقدُ، كما انخلعتُ من ثوبي هذا"
...

الإمام أبو الحسن الأشعري

مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للإمام الأشعري
للدكتورة فوقية حسين
ص: ١٧

سر عظمة الأشعري

"ليس سرُّ عظمة الأشعري في التاريخ ، وجلالة العمل الذي قام بـه ، في أنـه دافع عن السنة دفاعاً قوياً ، ورد على المعتزلة ، فالذين تولوا ذلك كثير ، إنّ سرّ عظمته هوعبقريته في أنّه اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدّثين ، فلم يذهب كما ذهب المعتزلة إلى تمجيد العقل ، والإيمان بأنّ له سلطة لا تحد ، وأنّ له الحكم على ما يتصل بـالذات والصفات وما وراء الطبعيات، وأنّ له الكلمة الأخيرةَ النافذة في كل موضوع ، ولم يـر كذلك – كما رأى كثير من أهل عصره – أنّ الانتصار للدين والدفاع عـن العقيـدة الإسلامية يستلزمان إنكار العقل وقوته – إلى حد ما – وازدراءه، وأنّ السكوت عـن هذه المباحث التي يثيرها المعتزلة وأضرابهم ، التي نشأت بحكم تطور العصر والاحتكـاك بالأمم والديانات أولى وأفضل ، بالعكس من ذلك ، هو عني بهذه المباحث ، لأنها كانت تزلزل العقيدة الإسلامية ، وتُضعف الثقة بالدين ، وبـاحثَ المعتزلـة والمتفلسـفين ، وناقشهم في مصطلحاتهم ولغتهم العلمية ، وعمل بالكلمة الحكيمة المـأثورة «كلّمـوا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله؟» وكأنه كان يعتقد أنّ العالِم إذا كلّم عامياً كلاماً فوق مستواه العلمي والعقلي ، كان ذلك باعثـا علـى الإنكـار وتكذيب الله ورسوله ، كذلك إذا كلّم عالماً أو ذكياً أو متشكّكاً دون مستواه العلمـي والعقلي ، كان مثيراً للشكوك ، وداعياً إلى الجحود والإنكار ، فكان فهمه لهذه الوصية الحكيمة فهماً أوسع ، وتطبيقه لها تطبيقاً أشمل ، وبذلك خدم أبو الحسـن هـذا الدينَ في عصره خدمةً باهرةً ، وأعاد إلى نفوسٍ وعقولٍ كثـيرة لا يعلـم عددَها إلا الله ، الثقةَ بهذا الدين ، والإيمانَ به من جديد".

أبوالحسن علي الحسني الندوي

[رجال الفكر والدعوة في الإسلام ١/١٢٢]

"أقول حالفا بالله تعالى إنّ من كان في قلبه نور السـنة يجـد ظلمة وكدرة في قلبه إذا تكلم بمثل هذه الألفاظ (أي يارسـول الله،وياشيخ عبد القادر الجيلاني مستغيثاًبهما) بل إذا سمعها مـن احد غيره فإنّه يتنفّرُ عنه .... مثل ما يتنفر المرء مـن طعـام يتسبب للقيء."

العلامة الشيخ أشرف علي التهانوي

إمداد الفتاوى : ٣٧١/٥

"هذه البيعة (بيعة المشايخ) لا دليل على كونهـا فرضـا،أوواجبـاً، او سنةً مؤكدة ، إلا أنّها ثبتت وصحت من حضرة النبوة فهي مسـتحبة ، ومـن قـال إنهـا فـرض أو واجـب، اسـتدلالاً بقولـه تعـالى ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ فذلك قول بـلا دليـل ، وتفسـير بـالراي ، والصحيح تفسيره بـ : وابتغوا إليه القرب بالطاعات."

العلامة المصلح الشيخ أشرف علي التهانوي

أنفاس عيسى ، ص :٤٣٧

"ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم أيضاً مجتهدون، يصيبون تارةً، ويُخطئون تارةً، وكثير من الناس إذا علم من الرجل ما يحبه، أحب الرجلَ مطلقاً، وأعرض عن سيئاته، وإذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً، وأعرض عن حسناته، محاط (؟) وحال من يقول بالتحافظ (؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة.

وإذا عرف أن منشأ "التصوف" كان من البصرة، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد، مما له فيه اجتهاد، كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد، وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم: "صوفي" وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علّقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال.

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى ١١/١٦

النبوة هي الوسيلة الوحيدة..

"يلح القرآن على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية، وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة، التي لايشوبها جهل ولا ضلال، ولاسوء فهم ولا سوء تعبير، ولاسبيل إلى معرفة الله تعالى الصحيحة إلا ماكان عن طريقهم، لايستقل بها العقل ولا يغني فيها الذكاء، ولاتكفي سلامة الفطرة، وحدّة الذهن، والإغراق في القياس، والغنى في التجارب، وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة، وهم أهل الصدق وأهل التجربة، وقد أعلنوا ذلك في مقام صدق كذلك ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ وقرنوا هذا الاعتراف والتقرير بقولهم:﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾، فدلّ على أنّ الرسل وبعثتهم هي التي تمكنوا به من الدخول في الجنة والوصول إلى دار النعيم.

... إذن فقد ضلّ وتعب وجاهد في غير جهادٍ من أراد معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة وصفاته وأسمائه الحسنى، وما بينه وبين هذا العالم من صلة، وكيفية إحاطته به، وقدرته عليه ونفوذ أحكامه فيه، عن غير طريق الأنبياء والمرسلين، واعتمد في ذلك على عقله وعلمه وذكائه وإلمامه ببعض العلوم والصنائع، ونجاحه في بعض المحاولات العلمية، وإنتاجه الضعيف المتواضع أو العظيم الضخم في بعض مجالات علمية، وحق عليهم قوله تعالى:﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيمالكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾

العلامة النّدوي

مأثرة شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الكبرى: التركيز على أنّ النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة[ص: ١١-١٤]

ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه ، تنازع الناس في طريقهم : فطائفة ذمت "الصوفية والتصوف" ، وقالوا : إنهم مبتدعون ، خارجون عن السنة ، ونُقل عن طائفةٍ من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف ، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام .

وطائفة غلت فيهم ، وادّعوا أنهم أفضل الخلق ، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم .

و"الصواب" أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هومن أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هوظالم لنفسه ، عاصٍ لربه .

شيخ الإسلام ابن تيمية

مجموع الفتاوى ١١/١٧-١٨

الرجوع إلى الحق

" ويحكي – الأشعري– عن مبدأ رجوعه أنّه كان نائماً في رمضان، فرأى النبي ﷺ فقال له: *"يا علي! انصر المذاهب المروية عني فإنّها الحق"*.

فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم، ولم يزل مفكراً مهموماً من ذلك، وكانت هذه الرؤيا في العشر الأول، فلما كان من العشر الأوسط رأى النبيﷺ ثانيــاً في المنام فقال له: *"مافعلت؟"*، فقال يارسول الله! وما عسى أن أفعل وقد خرجــت المذاهب المروية عنك كاملةً صحيحةً؟ فقال لي: *"انصر المذاهب المرويــة عنــي فإنّها الحق"*.

فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن، وأجمع على ترك الكلام واتباع الحديث، وملازمة تلاوة القرآن، فلما كانت ليلة سبع وعشرين، وكان من عادته سهر تلك الليلة، أخذه من النعاس مالم يتمالك معه السهر، فنام وهو متأسف على ترك القيام فيها، فرأى النبي ﷺ ثالثاً فقال له: *"ماذا صنعت فيما أمرتك به؟"* فقال: قــد تركت الكلام يار سول الله، ولزمت كتاب الله وسنتك، فقال له: *"أنا ما أمرتــك بترك الكلام، وإنّما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنّها الحق، ولــولا أني أعلم أنّ الله سيمُدُّك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبيّــن لــك وجوهَها، فجدّ فيها فإنّ الله سيمُدُّك بمدد من عنده."*

فاستيقظ وقال مابعد الحق إلا الضلال،وأخذ في نصرة الأحاديث في: الرؤيــة، والشفاعة، وغير ذلك، وكان يفتح عليه من المباحث والبراهين بما لم يســمعَه مــن شيخ قط، ولااعترض به خصم، ولارآه في كتاب." (١)

---

(١) السبكــي في الطبقــات ٢٤٦/٢

أجلُّ علمٍ أُخذ عن الأنبياء

"إنَّ أجلَّ علم أخذ عن الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه- معرفة الله تعالى، وعلم ذاته وصفاته، وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء - عليهم السلام - إذ هو علم: ليست له وسائل وآلات، ومعلومات أولية وتجارب عند البشر، ولايتناوله القياس، ولايفيد فيه الذكاء والفطنة ؛ لفقدان أساس القياس، وتعالي الله تعالى عن الأشباه والنظائر ، وسموه وتقدسه وتنزهه عن التشبه والتمثل ، ولبعده عن كل ماعرفه البشر وألفه وجرّبه في عالم الحس والمادة؛ لأنّه ليس حلبة تجري فيها جياد القول، وتتسابق فيها عتاق العلم والتجربة.

وكان أجلّ علم تتوقف عليه سعادة البشر إذ هو الأساس للعقائد والأعمال ، والأخلاق والمدنية ، وهو الذي يعرف به الإنسان نفسه، ويفك لغزة الكون ويكشف عن سرّ الحياة، وبه يعيّن الإنسان مركزه في هذا العالم، وينظّم علاقاته واتصالاته ببني جنسه، ويضع منهاج حياته، ويحدّد غاياته، في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين.

لذلك عظم الاعتناء به في كل أمة وجيل، وفي كل عصر وطبقة، وحرص عليه وأولع به كل جادٍ مخلصٍ ناصحٍ لنفسه، مشفقٍ على حياته ومصيره؛ لأنّ جهله - أو تجاهله - يؤدي إلى الشقاء الذي ليس بعده شقاء، ووقوع في الهاوية التي ليس لها قرار.

العلامة الندوي

في تقديمه لرسالة: العقيدة السنية

الولاية
واتباع السنة والشريعة

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري:

"يستحب عندنا إذا فرغ الإنسان من تصحيح العقائد وتحصيل المسائل الضرورية من الشرع أن يبايع شيخاً راسخ القدم في الشريعة، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، قد قطع عقبات النفس وتمرّن في المنجيات وتبتّل عن المهلكات."[١]

فهذا يدل على أنّ الأولياء لابد لهم ــ عند **علماء ديوبند** ــ من أن يكونوا متبعي السنة لأنّ رسوخ القدم في الشريعة، والزهدَ في الدنيا، والرغبة في الآخرة ونحوها، كل ذلك لايتأتى ولايحصل للمرء إلاّ باتباع السنة، واقتفاء آثار النبوة. وقد تقدّم من معنى التصوف وحقيقته عندهم أنّه من الشريعة وعين الشريعة، لايفارقها ولايخالفها. هذا مع ما جاء من تصريحات في كلامهم بأنّ الولاية والتصوف، والوليّ والصوفيّ،لابد له من اتباع السنة، ولا معنى لكل ذلك بدون هذا الاتباع.

قال الشيخ *محمد طيب القاسمي:*

"وعلى كل حال فإنّ اتباع السنة أصل في مسلك **علماء ديوبند**، يرون إقامة السنة ضرورياً في كل حال. فما كان من الأمور خلافاً للسنة، لايوجد لها أصل في الكتاب والسنة أوفي تعامل الصحابة، أوليس لها مأخذ في نطاق العمل والذوق من العارفين، أوما كان من العادات الفاشية تُقَرَّر بأنّها من الدين، مع أنّه لاأصل لها ولاأساس في الدين والذوق الديني ، فكل ذلك عندهم يستحق الرد والإنكار.....

---

[١] المهنّد على المفنّد ، ص:١٢

إنّ من الناس من يرد أعمال الأولياء ومعمولاتهم محقّراً إياها، وذلك بادّعاء العمل بالسنة . ومنهم من يعرض عن السنة ويردها بما يجد من أعمال الأولياء وشيوخ الطريقة . لكنّ علماء ديوبند، في هذا الباب أيضاً على مسلكهم من الاعتدال، فالأصل عندهم اتباعُ السنة. وأما أعمال المشايخ ومعمولاتهم فأيضاً ليست مما لايعتنى به ولايلتفت إليه- إذا لم تكن صادرةً منهم في حال الغلبة أوالسكر- بل تلك الأعمال إنّما هي ثمرات ونتائج من الممارسة العملية للسنن النبوية ، أوهي مبادئ وأسباب للعمل بها، فإنّ بها -أي باختيار تلك الأسباب- يتأتى للمرء العمل بالسنة ويتقوى عمله بها." (١)

ويقول الشيخ التهانوي في بعض فتاواه:

"كل ما لايجوز في الشرع فهوخطأ عند الصوفية أيضاً، فإنّ الصوفية لايخرجون عن جادة الشريعة وحدودها. ومن خرج منهم من ذلك يفوته التصوف." (٢).

وقال أيضاً:

"إنّ جهلة الصوفية في هذا الزمن لايحافظون على الصلوات فضلاً عن أن يهتموا بأدائها جماعةً. لاأدري ما هوالتصوف عندهم الذي يجتمع مع مخالفة السنة (٣).

---

(١) علماء ديوبند ، ص: ١٣٤ ، ١٣٦

(٢) إمداد الفتاوى ١٥٠/٥

(٣) أنفاس عيسى ، ص: ٦٤٣

هل للولاية فضل على النبوة

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وقد سئل: هل ترون أحداً أفضل من النبي ﷺ من الكائنات؟ فأجاب بالآتي، وجوابه عن هذا السئوال يدل صراحةً أنَّ مرتبة النبوة أعلى وأفضل من جميع مراتب القرب والقبول عند الله تعالى، فلا محالة هي أفضل من الولاية عندهم:

"اعتقادنا واعتقاد مشايخنا أنَّ سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمداً رسولُ الله ﷺ أفضل الخلائق كافةً، وخيرهم عندالله تعالى، لايساويه أحدٌ ولايدانيه في القرب من الله تعالى والمنزلة الرفيعة عنده." (١)

وقد سئل **التهانوي** عن علم خضر وعلم موسى -عليهما السلام- وبعض ما ينبني عليه فأجاب بكلام جاء فيه:

"إنَّ علم موسى كان متعلقاً بالتشريع الذي فيه جميع الشريعة والطريقة، وفيه علوم تُعَدُّ من أعلى علوم الولاية"......

وذُكر في السئوال هل الولاية تلزم لكل نبي؟ فأجاب:

"هذا ثابت يقيناً، ولايعتقد خلاف ذلك أحدٌ من المقبولين."(٢)

---

(١) المهنّد على المفنّد، ص: ١٦

(٢) إمداد الفتاوي، ص: ١٤٧/٥

وقال أيضاً:

(ما يقوله الصوفية) "**إنّ الولاية أفضل من النبوة**" ليس معناه أنّ الوليّ أفضل من النبيّ. وإنّما معناه أنّ منصب الرسالة مركّبة من مرتبتين. **إحداهما الولايــة، والثانيــة النبوة ، فولاية النبي تكون أفضل من مرتبة النبوة** . وذلك لأنّ توجهه إلى إفادة الخلق من جهة نبوته وحيثية نبوته، وتوجُّهه إلى الحق من حيث الولاية. فالمطلوب الأصلــي للنبي أيضاً هوالتوجُّه إلى الله تعالى، وأما التوجُّه إلى الإفادة فذلك مطلوب بالغير." (١)

---

(١) أنفاس عيسى ، ص: ٤١١

التصرف في الكون

وشفاء المرضى والمصابين وإحياء الموتى ونحو ذلك من الأمور الخارقة للعادة الصادرة من الأولياء السادة

إنَّ العالم جميعه، ونظامه كله، تحت قدرة الله تعالى، وبيده، ولايخرج شيء منه صغير أو كبير عن قدرته ويده، كما أنَّه لا يعزُب عن علمه شيءٌ لا أصغر ولا أكبر.

إلا أنَّ الله تعالى أجرى نظام العالم على طريقين: **طريق العادة**، وهو طريق الأسباب بأن تترتَّب عليها المسبَّبات إذا وجدت الأسباب المناسبة لها -وذلك في الغالب وليس دائماً- فإنَّ كثيراً من الأسباب تتخلف عن تحصيل مسبَّباتها.

والطريق الثاني طريق يخالف العادة والأسباب العادية، ولذا يقال له: إنَّه طريق خارق للعادة، وهذا الطريق أيضاً لا يخرج عن القدرة، لكن لا علاقة له بالأسباب العادية الظاهرة ، يتأتى به ما لايترتب على الأسباب العادية، بل ما يُعدُّ من المحال عادة، كما يتحصَّل بها ما يترتب على الاسباب العادية أيضاً ،لكن بدون أسبابها المعروفة المعتادة.

فطريق العادة مفتوح لكل أحدٍ حسب مؤهّلاته وقواه. وأما الطريق الثاني فلا سبيل إليه لكل أحد، مع أنَّه أيضاً لا يختص بمسلم ولا مطيع.[1]

---

[1] قال بعض المحققين : إنَّ الخارق إن صدر من النبي- عليه السلام- فما كان قبل النبوة فهو"**إرهاص**"، وماكان بعد النبوة -فإن كان بلا تحدٍّ فـ"**كرامة**"، وإن كان مقروناً بالتحدي فـ"**معجزة**"، وإن صدر من غير النبي فإن كان من العارف التقي فـ"**كرامة**"، وإن كان من

وإنما يرافق هذا، الخواص من المؤمنين في أغلب الأحوال، وهوالمهم المقصود في هذه العجالة، والخواص هم الأنبياء والصلحاء الذين نسميهم ونلقبهم بالأولياء.

والخارق المنسوب إلى الأنبياء - الصادر منهم - يعرف بـ"**المعجزة** "، والمنسوب إلى الأولياء بـ"**الكرامة**". فكل أمر خارق للعادة ، منسوب إلى أحد من الأنبياء أوالأولياء يُعَدُّ من هذا القبيل- إذا ثبت وصح نسبته إليهم- ويكون دليل قبولهم عند الله تعالى .

فالمعجزة للأنبياء تصديقاً لدعواهم النبوة وتأييداً لهم ــ والكرامة يعطاها الأولياء تقويةً لما هم عليه من الصلاح والدين، وجلباً إليه - أي الدين- غيرهم من المؤمنين والكافرين.

وقد يسمى كل ذلك معجزة لأنَّ كرامة الأولياء من آثار اتباعهم للأنبياء، فلذا يُعدُّكل ذلك من قبيلٍ واحدٍ وجنسٍ واحد.(١)

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كلها حق وثابت. وكتب القوم مشحونة بتصريح ذلك وبيانه، لايخلوكتاب من الكلام والفقه بل من التفسير والحديث وشرحه عن ذلك. وهومذهب ***علماء ديوبند*** لأنهم من أهل السنة والجماعة.

العامي المؤمن فـ"**معونة**" ،وإن كان من الكافر فلووافق غرضه فـ"استدراج" ولوخالفه فـ"**إهانة**". (هامش شرح العقائد النسفية للشيخ محمد حسن السنبهلي ، ص: ٢٢١)

(١) قال القاري : إنَّه تمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة، وعدم اشتراطها في الكرامة، بل في الحقيقة كرامةُ كل ولي معجزة لنبيِّه لدلالتها على حقية متبوعه. (مرقاة المفاتيح ٢٢٦/١١)

وهذه الخوارق يتأتى معظمها بدون اختيارٍ من صاحبها لكن قد يبدو بعضها باختيارٍ وبصنعٍ من صاحبها، وكل ذلك حسب الحاجة والضرورة .

وإنها لا تختص بأشكال وصورلاتتعداها، بل تكون من أبوابٍ وأنواعٍ كثيرة ، من جنس ما يقع في العالم عادةً، ومالا يقع ولا يتصور، من الطير في الهواء، والمشي على الماء ، والدخول في النار، والوقوف والمشي عليها ، والوصول من مكان إلى مكان بطي الزمان وبطي المكان، والوقوف والإخبار بما لا يعلمه الإنسان عادةً وعامةً من وقت نزول الأمطار، ووقت الأموات والآجال، وبما في صدور الناس، وأرحام النساء، وسماع ما لا يسمعه آخر، وكذا رؤية ما لم يره غيره ، والتصرف في أمورالناس والعالم ومجاريه بما لم ترها عين، و لم تسمعها أذن ، بإراحة المصابين العاجزين، وشفاء المرضى، وإحياء الموتى، والنصر على الأعداء ، والمعونة في الضراء ، وبالجملة يرجع إليه كل ما أثر من أولياء الأمة وصلحائها من هذا القبيل.

ولما كانت هذه الخوارق، تظهر حسب المقتضيات والظروف، فخوارق الأولياء -أي الكرامات- قد تكون من جنس ما أعطي بعض الأنبياء من المعجزات، وقد تكون من غير جنسها أيضاً، فلا قدح إذا ثبت خارقٌ لوليٍّ بدلائل صحيحة، و لم يثبت عن ذلك ومثله للأنبياء.

وقد صرح بذلك علماء أهل السنة والجماعة من المتقدمين والمتأخرين. (١)

---

(١)ونجد في ذلك تفصيلاً في كلام الشيخ ابن تيمية — رحمه الله — في فتاواه لاسيما ما جاء تحت "قاعدة المعجزات والكرامات" راجع المجلد (١١) من فتاواه. ومما ورد في فتاواه : "كثير من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحدٍ بغير الطريق الذي يعرفه حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غير حجة على ذلك ، وكذلك الأمور الكشفية التي للأولياء ، من أهل الكلام من ينكرها، ومن أصحابنا من يغلوفيها وخيار الأمور أوساطها". (١١/٣٣٨)

يقول الشيخ التهانوي في بعض فتاواه :

" الصحيح أنّه يصدر من الأنبياء والأولياء نوعان من الأمور، الأول المعجزات والكرامات والثاني التصرفات، فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء غير اختيارية، وأما التصرفات فتكون اختياريةً ولا تسمى هذه بالمعجزة أوالكرامةإلاّ مجازاً."

وقال أيضاً:

" الغيب له معنيان: (الغيب) الحقيقي و(الغيب) الإضافي ، فالحقيقي مالا سبيل إلى معرفته والوقوف عليه، وهوخاص بذاته تعالى، وحصولُه للعبد محال شرعاً وعقلاً.

والإضافي ما يوقف عليه البعض ببعض الطرق ويخفي عن البعض الآخرين، وهذا ما يحصل للعبد أيضاً بإعلام من الله تعالى (أي بوجه ما) [١]

وقال تحت تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية: [٢]

فإن قيل: ربما يُعرف أحوال الجنين ببعض العلامة، وكذا يُعرف وقت المطر ونزوله، فما معنى هذا الاختصاص ؟ فالجواب: أنّ الإختصاص هنا ليس بمطلق العلم

وفيها أيضاً (١١/٢٩٨): إنّ الخوارق منها ما هومن جنس العلم كالمكاشفات ..... ومنها ماهومن جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادة. ومنها ما هومن جنس ما يعطاه الإنسان في الظاهر من العلم والسلطان والمال.

وفيها أيضاً (١١/٣١٨): أما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم فمثل قول عمر رضي الله عنه في قصة سارية، واخبار أبي بكر رضي الله عنه بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر رضي الله عنه بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً ..... والقدرة مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب وقصة أهل الكهف، وقصة مريم ـ عليها السلام ـ وقصة خالد بن وليد رضي الله عنه وسفينة مولى رسول الله عليه وسلم، وأبي مسلم الخولاني .... وراجع ، ص: ٣٢٢ ـ إلى ـ ٣٣٥ تجد في ذلك كلاماً قيماً نافعاً وقد تقدم كلامه مفصلاً في القسم الثاني من هذا الكتاب.

(١) إمداد الفتاوى ٥/١٤٤

(٢) سورة لقمان : الآية ٣٤

بل المراد اختصاص علم الغيب به (وقد تقدّم أن الغيب الحقيقي ما هو؟) سواء نفـــي مطلق العلم أيضاً، بدليل آخر كعلم الساعة فإنّه منفي مطلقاً أومطلق العلم يثبت كالمحل المسئول عنه (أي معرفة أحوال الجنين ومعرفة نزول المطر) فإنّه علم بالواسطة فليـــس ذلك من علم الغيب (أي الحقيقي)." (١)

وأوضح من ذلك قول تلميذ الشيخ - وشارح أقواله ومؤلّفاته - الشيخ المفـــتي **محمد شفيع العثماني** - رحمه الله - رئيس قسم الإفتاء ***بجامعة ديوبند*** سابقاً والمفـــتي الأعظم لبلاد باكستان:

"إنّما علم الغيب هوعلم يحصل للمرء بلا واسطة وبدون سببٍ طبعي من أسباب حصوله ، وإذا حصل من باب علم الغيب شيء للأنبياء بالوحي، وللأولياء بالإلهـــام، وللمنجمين ونحوهم بحساباتهم وأسباب طبيعية فذاك من أنباء الغيب لاعلم الغيـــب. ولاينافي حصوله هكذا جزئياً وشخصياً- أي ما يتعلق ببعض الأشـــخاص والأحـــوال - للآية لأنّ مراد الآية أنّ العلم الكلي لهذه الأمور الخمسة - المحيط بـــأحوال جميـــع المخلوقات والحالات - لم يُظهِر الله تعالى عليه أحداً بالوحي ولابالإلهام ، والعلم الجزئي ومعرفة بعض الوقائع بالإلهام لاينافي ذلك.

وأيضاً إنّ مراد الآية العلم القطعي (بهذه الأمور) وليس ذلـــك إلاّ لله تعـــالى (أولأنبيائه لأنّ علمهم يحصل بالوحي) . وأما ما يحصل للأولياء من ذلـــك فلايكـــون قطعياً ويحتمل وجوهاً من المغالطات. وحال علم غيرهم من المنجمين أظهـــر مـــن أن يقال فيه شيء. فليس كل ذلك من القطع بمرتبة."(٢)

---

(١)بيان القرآن ٩/٢٦

(٢)معارف القرآن ٧/٥٤

وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في بعض فتاواه :

"أما قبول الله تعالى أدعية أوليائه في أغلب الأحوال لأجل أنهم مقبولون عنده فذاك من كرامتهم، وكذا إحياء الميت (منهم) خرقاً للعادة وكرامةً. إنّما يفعله الله تعالى فقط، ولكن في الظاهر يوجد فيه توسط نبيٍّ أووليٍّ ، وتوسل، فيقال إنّه كرامة أومعجزة." (١).

وقال الشيخ التهانوي :

"إنّ رتبة الكرامة أدنى وأدون من الذكر اللساني أيضاً، ووجه ذلك ظاهر، وهوأنّ الذكر يتحصل به نوع قرب وتقرب إلى الله تعالى ولو لم يكن مع التوجُّه (أي توجه القلب إلى الذكر والمذكور).

وأما الكرامة فلا يحصل بها قرب مّا، بل إنّها نفسها تنشأ من القرب، والقرب غير ناشئٍ منها. فغاية ما في الباب أنّها علامة للقرب بشرط كونها كرامةً (أي حقيقة)." (٢)

---

(١) الفتاوى الرشيدية : ، ص: ٨٧ وقد جاء فيها نوع من التفصيل في بيان الخوارق : المعجزة والكرامة (ص: ١٧٠ — ١٧٧) وللشيخ التهانوي فيه رسالة لطيفة فيها شتات مسائلها باختصار (بوادر النوادر ، ص: ٧٨— ٨٠) .

ومن كلام الشيخ **الحافظ ابن تيمية** — رحمه الله — في الموضوع من بيان الخوارق :

وأما **القسم الثاني** فمثل من يعلم بما جاء به الرسول خبراً وأمراً، ويعمل به ويأمر به الناس، ويعلم بوقت نزول المطر ، وتغييرالسعر، وشفاء المريض ، وقدوم الغائب ، ولقاء العدو، وله تأثير إما في الأناسي، واما في غيرهم بإصحاح وإسقام وإهلاك، أوولادة أوولاية أوعزل ، وجماع التأثير إما جلب منفعة كالمال والرئاسة، وإما دفع مضرة كالعدووالمرض ، أولا واحد منهما مثل ركوب الأسد بلا فائدة، أوإطفاء نار ونحوذلك. (مجموع الفتاوى ١١/٣٢٤).

(٢) أنفاس عيسى ، ص: ١٥٢ و١٥٣ ،وراجع للوقوف على سبب كثرة الكرامات لمن جاء بعد الصحابة الفتاوى الحديثية ، ص: ٣٠٦

كشف القبور والوقوف بما في الصدور

إنَّ معرفة الأحياء -من الأولياء- بأحوال القبور والمقبورين، ووقوفهم بما هو مكنون في صدور الناس، وفهمهم بما ينطق ويريد الحيوانات، هذا ما يعتقد ***علماء ديوبند*** صحته وثبوته، بناءً على أنَّ ذلك أيضاً جزء من العلم الذي يكرم الله تعالى به عباده الخواص من الأنبياء والأولياء، خرقاً للعادة - إعجازاً أو كرامةً- وقد قال به علماء أهل السنة والجماعة من قبلهم. (١)

وهذا الكشف سواء كان لما في القبور - أولما في الصدورعلى نوعين: باختيارٍ من صاحبه ، وبدون اختيارٍ منه . ولذلك - أي لكونه مع اختيارٍ وقصدٍ أيضاً - لايلزم أن يحصل به العلم لمن أراد ذلك بما يريد ، فإنَّ جهده في ذلك ربما لايفيد. وقد سُئل الشيخ **التهانوي** عما يقال في أولياء الله بأنَّ الشخص الفلاني منهم صاحب الكشف فما المراد به ؟ هل يقف ذلك الشخص على أمورٍ مخفية بإرادةٍ من عند نفسه ، أويُظهره الله تعالى على شيءٍ من ذلك تفضلاً منه ، بدون إرادةٍ وقصدٍ من ذلك الشخص ، وسُئل عن الفرق بين علم الغيب والكشف فأجاب :

---

(١) راجع لذكر " **الكشف**" وبيانه (مجموع فتاوى شيخ إسلام) ١١/٣١٣،٣١٤ وجاء فيه في موضع: أنَّ المكاشفات التي تكون لأهل الصفا جزءٌ من جزءٍ من جزء من علم الأمور الكونية "(١١/ ٣٩٧) وفيه أيضاً : "وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب أقوام بما كشف الله لهم " (١١/٦٥)

١- الغيب له معنيان: الحقيقي والأضافي. فالغيب الحقيقي هو ما لا سبيل إلى معرفته وهو خاص بذاته تعالى، وحصوله للعبد محال شرعاً وعقلاً. وأما الغيب الإضافي فهو ما يوقف عليه البعض بطريق وبوسيلة، ويخفى عن البعض الآخرين.

وهذا يحصل للعبد أيضاً بإعلام من الله تعالى. فالغيب بمعناه الأول يباين الكشف ولا تباين بينهما بالنسبة إلى المعنى الثاني.

٢- الكشف قد يحصل بالتوجه، وربما يكون حصوله بدون توجه، وأحياناً لا يحصل بالتوجه والقصد أيضاً، فبالجملة أنه ليس بأمر اختياري إلا أنه قد يترتب على القصد. وهذا التقرير والتفصيل يجري في كشف القبور أيضاً.

ثم انكشاف القبور يكون على نوعين، فأحياناً يقدر حال الميت بنسبة المرء نفسه، وأخرى تنكشف حاله عياناً." (١)

---

(١) إمداد الفتاوى ١٤٤/٥

الاستفادة من المقبولين بروحانيتهم

من صدورهم أوقبورهم

قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري:

وأما الاستفادة من روحانية المشايخ الأجلّة، وحصول الفيوض الباطنة من صدورهم أوقبورهم فيصح على الطريقة المعروفة في أهلها وخواصها، لابما هوشائع في العوام. (١)

وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في بعض فتاواه:

" الكاملون يستفيدون ويستفيضون بقبور الأولياء، لكن لايجوز الإذن بذلك للعوام أبداً. وليس لحصول هذا الفيض طريق متعين ، وإنّما الأمر أنّ الجائي إلى هذه القبور إن كان أهلاً لذلك فيصل إليه الفيض حسب استعداده وصلاحه، وذكرُ هذه الأمور أمام العوام وبينهم، فتحٌ لباب الكفر والشرك." (٢)

وجاء في فتاوى الشيخ أشرف علي التهانوي في الجواب عن هذا السؤال:

(المقدمة الأولى) إنّ مطلق الإدراك للميت ثابت بأحاديث سوال النكيرين بإجماع أهل الحق. وأما إدراك المسموعات فهو أيضاً منطوق بعض الأحاديث مع اختلاف بين أهل الحق فيه، فإنّ الخلاف في روايات سماع الموتى ، وتوجيهها معروف. وإدراك غير المسموعات والتوجه إليها وقصدها مسكوت عنه في النصوص إثباتاً ونفياً.

---

(١) المهنّد على المفنّد ، ص: ١٣

(٢) الفتاوى الرشيدية ، ص: ١٠٠

(المقدمة الثانية) إذا قام على المسكوت عنه في النصوص دليلٌ صحيح-قطعياً كان أو ظنياً- جاز القول بثبوته بمرتبة الدليل (من الظن او القطع).

(المقدمة الثالثة) كشف الصلحاء دليل صحيح ظني.

(المقدمة الرابعة) وقد ثبت بهذا الكشف علم بعض الموتى بالمستفيض (أي بمن يريد أن يستفيض ويستفيد منهم) وقصد الإفاضة منهم ، فجاز القول بهذه الإفاضة بمرتبة الظن.

ولما كان الدليل الظني بحيث إنّه لايكون حجةً على الغير، فجاز إنكار هذا الفيض أيضاً مطلقاً. وجاز في هذه الإفاضة والاستفاضة التوجيه بالتخييل أيضاً (أي بأنْ هذا من خيال المستفيض فقط لامن الحقيقة). وكذلك جاز التوجيه بوصول الفيض من الحق تعالى بلا واسطة الميت أيضاً، بناءً على حديث " أنا عند ظن عبدي بي.." وهذه الصور هي التي توجد فيه الاستفادة من الأحياء أيضاً، فإنّها أحياناً تكون مع العلم والقصد، وأخرى بدون تدخل من ذلك. (١)

---

(١) إمداد الفتاوى ٤١٧/٥

الاستعانة بالأرواح والاستغاثة بالموتى

من الصلحاء والأولياء

يقول الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

"إنَّ الاستعانة بأهل القبور لها ثلاثة معان:

الأول : أن يدعوالإنسان الله تعالى ويقول : اللهم افعل لي كذا بحرمة فلان. فهذا جائزٌ اتفاقاً (أي عند ***علماء ديوبند*** ومن سبقهم من العلماء الذين يقتدونهم) سواءً كان ذلك عند القبر أوفي مكان غيره ، ولا كلام فيه.

والثاني : أن يقول لصاحب القبر : افعل لي كذا، فهذا شركٌ، سواء قاله عند القبر، أوبعيداً عنه.

والثالث : أن يقول عند القبر: يا فلان ! ادع لي أن يفعل الله تعالى كذا . فهذا فيه خلاف العلماء، فمن جوز سماع الموتى قال بجوازه، وأما من يمنعه فمنع."[١]

وقال الشيخ أشرف علي التهانوي إجابةً عن سؤالٍ في ذلك :

١- إذا كانت الاستعانة بالمخلوق والاستمداد به مع اعتقاد من المستعين بعلمه وقدرته، استقلالاً، بدون إعطاءٍ من الله تعالى فهوشرك.

٢- وإذا كانت مع الاعتقاد بعلمه وقدرته لكن إعطاءً من الله تعالى، فذلك معصية، إن لم يثبت ذلك العلم والقدرة لذلك المخلوق بدليل صحيح.

---

(١) الفتاوى الرشيدية ، ص: ٩٤ ، ١١٢

٣- فإن ثبت ذلك بدليل صحيح فهذا جائز، سواء كان المستمد منه ميتاً أوحياً.

٤- وأما الاستمداد بدون الاعتقاد المذكور فجائزٌ إذا كان طريقه صحيحاً ومفيداً، مثل الاستمداد بالنار والماء .

٥- فإذا لم يكن الطريق صحيحاً فهولغو.

هذه أقسام خمسة لذلك. فالاستمداد بأرواح المشايخ يجوز لصاحب كشف الأرواح (أي فقط) لكن بالقسم الثالث (منها فقط). وأما غير صاحب الكشف فله القسم الرابع بأن يتصورأصحاب الأرواح ويتذكر ، فإنّ تصوُّرَ الصلحاء وتذكُّرَهم يشجّع على اتباعهم. [1](أما الأقسام البقية فليس لأحدٍ منها شيء) .

وفيما يلي نص ما كتبه علماء *دارالعلوم* -في هذه المسئلة قبل أيام وذلك رداً على اعتراضات أوردت على الفوائد التفسيرية للشيخ **محمود الحسن *الديوبندي*** والشيخ **شبير أحمد العثماني** وهذا التفسير يُعدُّ من مصادر بيان **مذهب *علماء ديوبند*** ومعتقداتهم :

"أما مسألة الاستعانة بغير الله فلها أهمية، وأيضاً لها أنواع متعددة، فمنها ما هوحرام وشرك ومنها ما هوجائز في ضوء الكتاب والسنة، فلذا أقدّم إليكم قليلاً من التفصيل، يتضح به ما اختاره المفسِّر العلام رحمه الله ، ومن سواه من ***علماء ديوبند***.

أنواع الاستعانة وأحكامها :

(١) مما لا يخفى أنّ الاستعانة بغير الله معتقداً بأنه مختار مستقل وقادرٌ بالذات لاتجوز بلاشك، ولا اختلافَ فيه بل هوشركٌ عند الجميع.

---

(١) إمداد الفتاوى : ٥/٣٦٤ ، ٣٦٥ ـــ وقد تقدم -في باب النبوة- من الموضوع بعض تفصيل في مسئلة نداء النبي عليه السلام بلفظ الخطاب بعد وفاته.

(٢) ومن لا يعتقد غير الله بأنه قادر بالذات، لكن يزعمه أنه بموهبة الله عزوجل أعطاه خبرةً وقدرةً يتصرف بهما في جميع الأمور كما يشاء، فالاستعانة بغير الله بهـــذا الزعم أيضاً حرامٌ وشركٌ بلا خلاف.

(٣) ومن لا يعتقد غير الله مستقلاً بالذات ولا بالعرض، ولكن يعامله معاملة المستقل بالذات كما هويسجد لقبره عند الاستعانة، أوينذر باسمه، فهومحرّم وشرك عملي بلا ريب.

(٤) الاستعانة بأشياء يتوهم منها بأنّ تلك الأشياء مستقلة وقادرة بالذات كالاستعانة بالأرواح، أوبروحية فلكية أوعنصرية، فهذا النوع حرام وشرك أيضاً.

(٥) ومن يتوكل على الله عزوجل مطلقاً ويظن غير الله سبباً ومظهراً من مظـــاهرعون الله، ويستعين بغير الله في الأمور العادية كالاستعانة بـــالطبيب لدفـــع المـــرض، أوالاستعانة في الأمور الشرعية ، مثلاً يستعين في الحاجات الدينية أوالدنيوية برجلٍ صالح مخلص مقبول لدى الله ، فاستعانته هذه جائزة ومشروعة، لأنّها في المعنـــى الاستعانةُ بالله عزوجل ، وغير الله سببٌ لها ووسيلة فحسب، ويفهم من ﴿إيـــاك نستعين﴾ أن لاتصح الاستعانة إلابالله ، مع أنّها قد ذكرت في الآيات والأحاديث بأن تعاونوا فيما بينهم، فلدفع ما هوظاهر من التعارض نقل المفسِّر العلام رحمـــه الله النوع الخامس المذكور.

ففي قوله تعالى : ﴿*استعينوا بالصبر والصلاة*﴾ أمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، على أنّه يثبت مثل هذه الاستعانة بغير الله من الأحاديث المذكورة فيما يلي :

ألف: "والله في عون المرأ ما كان في عون أخيه."(١)

ب : في حديث مخارق جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال : الرجل يأتيني فيريد مالي، قال : "ذكّره بالله"، *قال فإن لم يذكر قال* : "فاستعن مـــن حولـــك مـــن

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ج ٢ ، ص: ١٢٤

المسلمين"، قال فإن لم يكن حولي من المسلمين، قال : "فاستعن عليه بالسلطان"، قال فإن نأى السلطان عني ، قال : "قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة أوتمنع مالك." (١).

ج : عن ربيعة بن كعب، قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، قال لي :"سل"، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال:" أوغير ذلك"؟ قلت: هوذلك ، قال:" فأعني على نفسك بكثرة السجود".

د : عن مصعب بن سعد قال رأى سعد أنّ له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم." (٢).

هـ : عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: "يأتي زمان يغزو فيه فئام من الناس فيقال : فيكم من صحب النبي فيقال نعم فيفتح عليهم، ثم يأتي زمان فيقال فيكم من صحب أصحاب النبي فيقال نعم فيفتح، ثم يأتي زمان فيقال فيكم من صحب صاحب أصحاب النبي فيقال نعم فيفتح." (أيضاً)

و: قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همّ وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.(٣)

فبهذه الأحاديث المذكورة تبين أنّ الاستعانة بغير الله في الأمور العادية والشرعية ثابتة مشروعةٌ واضحاً، فلا ينبغي أن يرتاب في تعليق المفسّر العلام وتفسيره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين(٤).

---

(١) سنن النسائي، ج ٢، ، ص: ١٢٢، ومسند الإمام أحمد ج ٥ ، ص٢٩٤

(٢) صحيح البخاري، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ج ١، ، ص: ٤٠٦/طبع الهند

(٣) صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص: ٦٣٤/طبع الهند

(٤) مجلة " الداعي" السنة ٨ العدد ١٤١٢/١٢/٢٣ و١٤١٣/١/٢٣هـ

حياة الأولياء البرزخية

وتمثل أرواحهم والتصرفات بعد الممات

قد تقدم بعض ماله صلة بالموضوع في "باب النبوة والأنبياء" عند الكلام حول "نداء النبي بلفظ الخطاب بعد وفاته ﷺ "وكذا عند الكلام حول "حياة النبي ﷺ بعد الوفاة" أي في البرزخ. والمقصود هنا بيان ما ذكروا في الموضوع صراحة.

سئل الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي عن الأولياء هل هم بمرتبة الشهداء وداخلون تحت الآية : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أم لا ؟ فأجاب قائلاً:

"إن الأولياء الكرام أيضاً في حكم الشهداء ومن مشمول الآية ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾" (١).

وقال الشيخ أشرف علي التهانوي في تفسيره :

"ففي هذه الحياة أقواهم الأنبياء ثم الشهداء ثم عامة الموتى من المؤمنين . وقد ثبت ببعض الأحاديث أن بعض الأولياء والصالحين يشاركون الشهداء في هذه الفضيلة."(٢)

---

(١) الفتاوى الرشيدية ص ٨٧

(٢) بيان القرآن ١/٨٨ قال الشيخ ابن تيمية: والذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة والجماعة ، أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد (مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٣٢/٥ / ٥٢٦)

وقال الشيخ أنور الكشميري :

"إنّما ذكر الإمام الترمذي الرواية لأرواح الشهداء فقط بأنها تتمتع بااللذات الحسية، وأخذ الإمام أحمد في مسنده روايات "نسمة المؤمن" و"أرواح الشهداء". وفي الموطأ للإمام مالك رواية بـ"نسمة المؤمن" في جامع الجنائز، وتوافقها روايات النسائي وابن ماجة أيضاً، فثبت منها أن عامة المؤمنين أيضاً يرزقون برزق الجنة."(١)

وقال الشيخ أشرف علي أيضاً في فتاواه :

"إن تصرف الأرواح بعد الموت ليس بمنصوص، لكنه من الممكن استنباطه إشارة، وأيضاً ذلك ليس بمنفيٍ في نص، ويكفي لإثبات ذلك مشاهدة أهل الكشف والذوق، فلذا يجوزالقول به إلاّ أنّ ذلك لا يستلزم الدوام واللزوم." (٢)

وقال أيضاً: "إن تصرفات أرواح الأولياء تحتمل وجوها. منها احتمال ضعيف للثبوت، ولاينافي ذلك استقرارها بعالم البرزخ، فإنّ عالم البرزخ هومستقرها الأصلي العادي ، ويجوز خرق هذه العادة لحكمةٍ بإذن الله تعالى، ووقوعه بين حين لآخر متواتر المعنى (٣).

---

(١) ملفوظات المحدث الكشميري ص ٢٤٣ . وحديث نسمة المؤمن الذي ذكره الشيخ رواه عبدالرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أن أباه كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال : " **إنّما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه.**" موطأ الإمام مالك: الجنائز باب جامع الجنائز الحديث ٥ . والنسائي: الجنائز باب أرواح المؤمنين، وابن ماجة:الزهد، باب ذكر القبر والبلى

(٢) إمداد الفتاوى ١٤٥/٥

(٣) المصدر السابق ٤ / ٥٠٩ وراجع حجة الله البالغة: ١ / ١٦ , ١١٩ والفتاوى الحديثية: ص: ٢١٢ / ٢٩٩روح المعاني: ٤ /٥٨٨ ، ٥٨٩ التفسير الكبير : ٥ / ٤٥٠

أما قول الشيخ إنّ وقوعه متواتر المعنى، فدليله ما جاء في" كتاب الروح" لابن القيم من ذكر وقائع لاتعد ولاتحصى من هذا الباب ، ثبت منها من تصرفات الأموات والأرواح: اتيانُها إلى الأحياء، وكلامُها معهم في المنام، وتلاقيها مع أرواح الأحياء ، ووقوفُها على أعمالهم ، وإخبارُها الأحياءَ بما سيحدث لهم ، أوفي الناس، ومعاقبتُها بعض الأحياء بالإضرار بصورة ما لبعض الأمورالشنيعة التي صدرت منهم، ونصرُها للأحياء في بعض أمورهم حتى في الحرب مع أعدائهم ونحوذلك (١).

والمهم من ذلك أنه ثبت وصح كلام زيد بن خارجة - من الصحابة رضي الله عنهم - بعد موته وتجهيز جنازته قبل أن يصلُّوا عليه، (٢)وثبت من الوصية من الصعب بن جثامة وثابت بن قيس بن شماس بعد الموت لبعض الأمور التي لايعرفها غيرهما من أهلها والمسلمين ، واعتمدوا هذه الوصايا منهما حتى عملوا بها ونفَّذوها (٣).

قال الشيخ ابن القيم في قصة وصية الصعب:

"هذا من فقه عوف رحمه الله تعالى وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب ابن الجثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن."

ويقول : "وقد تواترت الرؤيا في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لاتقدرعلى مثله حال اتصالها بالبدن، من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ، ونحوذلك ، وقد رُئِيَ النبيُّ ﷺ ومعه أبوبكروعمر- رضي الله عنهما- في النوم، قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم وضعف المؤمنين وقلتهم." (٤)

---

(١) قال الشيخ ابن تيمية :ـ إن ما وصفت به الملائكة وأرواح الآدميين من جنس الحركة والصعود والنزول وغيرذلك لا يماثل حركة أجسام الآدميين وغيرها مما نشهده بالأبصار في الدنيا وإنه يمكن فيها ما لا يمكن في أجسام الآدميين(مجموع الفتاوى ٥/٥٢٧)

(٢) الاستيعاب ٥٦٢/١ و٥٦٣

(٣) الروح ص ١٤ و١٥

(٤) كتاب الروح ص ١٠٣

وقال أيضاً :

"وقد دل على التقاء أرواح الأولياء والأموات أن الحي يـــرى الميـــت في منامـــه فيستخبره، ويخبره الميت بما لايعلمه الحي فيصادف خبره كما أخبرني الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبر بدين عليه.

وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين. وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا، فيكون كما أخبر . وربما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره. وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقوله لعـــوف ابن مالك ما قال له . وذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس وإخباره لمن رآه بدرعـــه وما عليه من الدين."(١)

ومما قال أيضاً: "وأعجب من هذا أن روح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبـــح يراها على البدن عيانا وهي من تأثير الروح في الروح."(٢)

فلما ثبت للأرواح من التصرفات التي ذكرها **ابن القيم** ـــ رحمه الله ـــ والتمثـــل أيضاً من جملة التصرفات ، فلامحالة أن يثبت تمثل الأرواح بأجساد يراها معها الأحياء ، أيضاً وقد وقع ذلك للنبي ﷺ ليلة الإسراء كما هومعروف . وقد أورد **ابـــن القيـــم** ـرحمه الله – شواهد على ذلك في كتابه (٣)، كما ذكرهاغيره أيضاً.

---

(١) المصدر السابق ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ١٨٨

(٣) الروح : ص ٨ . قال شيخ الإسلام : "وما ذكرنا من أن الموتى يسمعون الخطاب ويصل إليهم الثواب ..... وغير ذلك فقد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناما، ويعلمـــون ذلـــك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة ... هذه المسائل فيها من الدلائل والاعتبارات العقلية والشواهد الحسية الكشفية ما ينتفع به من وجد ذلك. وقياس بني آدم وكشفهم تابع لما جاءت

المنامات

وصلتها بالخارج من الوقائع والأحكام

قال الشيخ التهانوي :

"إن المنامات ليست بحجة شرعية ، ولاهي قطعية ، يناظر بها المرء ويجادل أحدا، إلاّ أنّ الرؤيا الصالحة من المبشرات بنص الحديث، أثرها الطبعي التسلي والسرور (فإذا وافقت الدلائلَ الشرعيةَ يترجح جانب صدقها) (١).

وقال أيضاً : ان المنامات لا يجوز الاعتماد عليها في المسائل.(٢)

به الرسل عن الله تعالى، فالحق في ذلك موافق لما جاءت به الرسل عن الله تعالى ، لا مخالف له . ومع كونه حقا فلا يفصل الخلاف بين الناس، ولايجب على من لم يحصل له ذلك التصديق به .... لكن من حصل له في هذه الأمور بصيرة أوقياس أوبرهان ، كان ذلك نورا على نور (مجموع الفتاوى ٤٧٦/٢٤ , ٤٧٧) . ويوجد في ذلك شيء من التفصيل في مواضع آخر أيضاً من مجموع الفتاوى وراجع مثلا (٦٣٦/١١-٦٤٠) وأول كلامه هناك :

"قد كتبتُ فيما تقدم:الكلام في المكاشفات والمشاهدات ، وأنها على ثلاثة أقسام . في الظاهر والباطن. وكذلك السماع والمخاطبات والمحادثات ، ثلاثة أقسام في الباطن والظاهر" مجموع الفتاوى(١١/ ٦٣٦)

(١) أنفاس عيسى ص ١٥٩

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢

إنما ذكرت المنامات هنا وأنا بصدد بيان المسائل من باب التصوف ــ لأنها لها نوع اهتمام عند المتصوفين- أغلبهم ومعظمهم - ما لا يوجد مثله لغيره من الأمور، ولأنها قد أثيرت مسائل ونزاعات - بناء عليها- من بعض الناس والفرق . ومما لابد من ذكره هنا ومعرفته في هذا الباب :

إنّ المنامات - كما ثبت بالأخبار الصحيحة - نوعان ، صحيحة صادقة لها حقائق في الخارج، لأنها تكون من الله تعالى ومن الملأ الأعلى . والنوع الآخر منها كاذبة ، خيالات محضة وأفكار خالصة، تنبعث من النفس أوالشيطان ، هذا القدر لا يحتاج إلى الإثبات والدلائل (١) وقد تكلم في ذلك، وتوسّع الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه " الروح " وذكر فيه أن للرؤيا الصادقة أسباباً. (٢)

ومن المعروف عند كل من له إلمام ومعرفة بباب الرؤيا أن المنامات الصادقة التي لها حقائق واقعة في الخارج لاتكون مثل ما يشار إليه بها من الحقائق والوقائع تماماً، أي صورة وشكلا ، بل الواقع أن القليل منها تكون في الصورة عين ما يقع للرائي في الخارج ، وفي الأغلب لا تكون كذلك ، فتكون ذات أشارات ودلالات لا يفهمها ولايدرك المشارَ بها إليه إلاّ الراسخون في العلم.

قد تكون في الصورة مفزعة ، مدهشة ، بل منكرة بحيث إنه لا يحب رائيها أن يذكرها لأحد ولكن تعبيراتها ومصداقها تكون سارة ، مفرحة مسعدة.

وعلى العكس تكون مبشرة ، معجبة في الصورة ، ومفزعة مدهشة في التعبير والمصداق. (٣)

---

(١) راجع (كتاب الرؤيا) من مشكاة المصابيح وشروح الحديث من مرقاة المفاتيح ونحوه

(٢) الروح ص ٢٩ و ٣٠

(٣) راجع كتب تعبير الرؤيا أمثال كتاب الإمام محمد بن سيرين وكتاب السيد عبد الغني النابلسي المعروف بـ"تعطير الأنام في تعبير الأحلام".

والمهم في الباب أن المنامات ليست باختيار العبد، ولذا يرى فيها المرء ما لا يريد ويتصور أبدا، وكذا ما لا قدرة له عليه في اليقظة ، ولذا اتفقوا أنه لا يتنى عليها أحكام الشرع ، ولا عبرة بها في المسائل ، كما تقدم عن الشيخ التهانوي ، إلاّ أنّ فيه نوع مساغ للاستشهاد أوالاستبشار والاطمئنان، أوالامتثال أيضاً في بعض الأحيان إذا وافقته الدلائل والقرائن (¹).

(¹) أنفاس عيسى ص ١٥٩- وقال الشيخ ابن تيمية في فتاواه : الرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : "الرؤيا ثلاثة... الحديث" (مجموع الفتاوى ٢٧/٤٥٨).

وقال أيضاً : وما ذكرنا في أن الموتى يسمعون الخطابَ ويصل إليهم الثواب، ويعذبون بالنياحة، بل وما لم يسأل عنه السائل من عقابهم في قبورهم وغير ذلك، فقد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناما، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة، لكن الجواب في المسائل العلمية يعتمد فيه على ما جاء به الكتاب والسنة فإنه يجب على الخلق التصديق به، وما كشف للإنسان من ذلك أوأخبره به من هوصادق عنده فهذا ينتفع به مَنْ علِمَه ويكون ذلك مما يزيده إيمانا وتصديقا بما جاءت به النصوص (مجموع الفتاوى ٤/٣٧٦)

وقال :- لا يعتمد أهل العلم والإيمان في مثل مسائل العلم والدين إلاّ على نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإن كان عندهم في بعض ذلك شواهد وبينات مما شاهدوه ووجدوه ومما عقلوه وعلموه، وذلك ينتفعون به هم في أنفسهم، وأما حجة الله تعالى على عباده فهم رسله، وإلاّ فهذه المسائل فيها من الدلائل والاعتبارات العقلية والشواهد الحسية الكشفية ما ينتفع به من وجد ذلك (المصدر السابق ٣٧٧ و٣٧٨)

وقال ابن القيم في كتابه "الروح" - بعد ذكر تنفيذ وصايا الصعب بن جثامة وثابت بن قيس بن شماس من الصحابة -وقد أوصيا بما أوصيابه في المنام بعد الموت والشهادة - وبعد ذكر بعض مسائل الأئمة ووقائع الأنبياء :

"المقصود أن القرائن التي قامت في رؤيا عوف بن مالك وقصة ثابت بن قيس لا تقصر عن كثير من هذه القرائن، بل هي اقوى من مجرد وجود الآجر، ومعاقد القمط، وصلاحية المتاع للمدعي دون الآخر في مسألة الزوجين والصانعين، وهذا ظاهر لا خفاء به وفطرة الناس =

وحينئذ فلا قدح ولا لوم على من رأى في المنام مثل المذكور آنفاً ، ولا إذا ذكره لأحد اهتماما واغتماما .فمن ذلك أنه يرى الأحياء أمواتا ، ويرى قضاء شهوته من غير محلها ، ويرى ويرى ... وأعظم من كل ذلك أنه يرى ذاته تعالى بصورة ما، وقد اتفقت الأمة أن رؤيته لم تقع ولا تقع لأحد في هذا العالم ، أما الرؤيا والمنام فقد ذكروا صحة رؤيته تعالى فيها. (١)

وعقولهم تشهد بصحته." (الروح – ص ١٦)

وقال بعض المحققين المعاصرين في موضوع "موقف الصوفية من الرؤيا" : إن رؤيا غير الأنبياء لا يعتمد عليها إلاّ إذا وافقت ما دل عليه بنصوصه المعصومة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . يقول ابن القيم رحمه الله : وأما رؤيا غيرهم (أي الأنبياء) فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته عمل بها وإلا لم يعمل بها (مدارج السالكين ٥١/١) هذا إذا كان الأمر متعلقا بأمر شرعي دينيٍ أوأمر كونيٍ قدريٍ. وأما إذا كان الأمر لا يخالف شرعاً ولا سنة قدرية فإن الرؤيا الصادقة الصالحة تكون من المرجّحات فيستأنس بها (مجلة البعوث الإسلامية -العدد ٤١- ص ١٩٧).

(١)جمع الوسائل ٢٣٣/٢ ومرقاة المفاتيح ٢٥/٩ و٢٦ ومن المناسب ان الفت النظر إلى قضية أثيرت ونوقشت في حق الشيخ أشرف علي **التهانوي** بناء على رؤيا رآها أحد أصحابه من مسترشديه ومريديه ، فانه رأى أن جرى على لسانه كلمة التوحيد " لا إله إلاّ الله محمد رسول الله " لكنه قال "أشرف علي رسول الله" مكان اللفظ المعروف ، فانتبه فزعا ، وأراد أن يطهر لسانه مما جرى عليه باللفظ الصحيح ، ولكن لسانه لم يجر إلاّ بما سبق به حال النوم و لم ينجح في إرادته، مع أنه سعى واجتهد مرات ، و لم يكن انتباهه وجهده بعد ذلك إلاّ لشعوره بشناعة ما جرى له ، وصدر منه كل مرة ، فكتب ذلك إلى شيخه ، وأجابه الشيخ بما يتسلى به خاطره ويزول عن قلبه ما غشيه من الهم والحزن بناءً على ما وقع منه ، و لم يزد الشيخ على ذلك. فلما وقف عليه بعض الناس ، أثاروا الفتنة بناءً على أن الشيخ لِمَ لم يُكفّر هذا الرجل واكتفى بما كتب فقط، و لم يزل بعضهم إلى الآن يخوضون فيه ويقولون ما بدا لهم ولا يرون في ذلك عذرا للرجل ولا للشيخ ، مع أنّ كبار المفتين من ذلك الزمن لم يفتوا بالكفر لما ظهر

ما يؤثر من الأولياء الصادقين

من أقوال وأعمال خلاف الشريعة في ظاهرها

سئل الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي عن وقائع وقصص نسبت إلى الأولياء المقبولين -والمعروفين بالصدق والصلاح- وهي تخالف ظاهر الشرع أصولها وفروعها فأجاب:

"إنَّ الجهال قد غلطوا في أكثر حكايات الأولياء (بالمبالغة والكذب) فما كان منها صحيحاً لكن لا يدرك معناه يسمى بـ" **الشطحيات** " وهي ما لا يتأتى معناها في مفهوم الناس ، وحكمها أن لايقبلها ولا يردها بل يسكت (١).

لم من حقيقة الحال . والحق معهم، وذلك لأنَّ مسلوب الاختيار بسبب غير اختياري لا يحكم عليه بشيء، سيما بالنسبة إلى الإيمان والكفر. ولسلب الاختيار أسباب غير ما ذكره عامة الفقهاء ، منها فرط شيء وأخذه بمجامع قلب الرجل ، بحيث أن لا يبقى معه شعوره أواختياره وتمييزه، سواء في ذلك الغضب والفرح ، والحزن والخوف ونحوذلك وقد ورد من ذلك في الآثار بعض ما يقتضي ظاهرها الحكم بالكفر ولكنه لم يروذلك ،.و لم يرد بل ذكره الشارع عليه السلام بدون نكير وإنكار.

وحال الرجل المذكور ــ من سلب اختياره وعدم قصده فيما صدر ووقع منه ، ظاهر حال النوم أيضاً وبعده أيضاً ، فإنَّ حاله تدل على أنه كان تحت ضغط شديد من أثر باطني بحيث أنه لم يبق لسانه في اختياره مع قصده وحده واجتهاده ، لادراكه شناعة أمره وعلى الأقل فإنَّه كان مخطئا حال اليقظة ، أراد أن يتكلم بشيء فجرى لسانه بما لم يرد ويقصد، بل كان قصده الاحتراز والاجتناب منه . والمخطئ في مثل هذه الأمور معذور (راجع للتفصيل إمداد الفتاوى ٤ / ٣٩٥ ــــ ٤٤٣)

(١) الفتاوي الرشيدية ص ٨٦

وقال الشيخ **محمد طيب القاسمي** :

"إنّ مسلك *علماء ديوبند* في شطحيات أولياء الله ، وفيما صدر منهم من أقوال وأعمال حال الغلبة أيضاً على نقطة اعتدالهم في الدين . فإنّهم لا يجوّزون أدنى شيء من إساءة الأدب معهم لأجل هذه الأقوال والأفعال التي يخالف ظاهر سطحها السنة والشريعة ، بأن ينكروا ولايتهم ، أويشكّوا فيها، أويطعنوا فيهم.....

ولا أنهم بلغوا من محبتهم في الغلووالإفراط بأن يروا هذه الكلمات والأفعال المبهمة أوالموهمة أصلا في الطريقة والدين ، فيدعوا الناسَ إليه ، ويحكموا بالخروج من الإسلام على من لم يتوجه إليه.

لايرون أن يرد كل ذلك إطلاقا ، بأن يجعل مما لايعبأ به أصلا ، إذا كان من أحوال صاحب حال . وعلى العكس لا يعتقدون أن هذا من المقامات المطلوبة في الطريق فلا يجوز فيه نوع من الكلام بل ذلك خلاف الطريق .

وإنهم يتسامحون في مثل هذه الأحوال والأقوال لأرباب القلوب فيرونها من باب الوقائع والحقائق مع مخالفتها لقواعد الشريعة في ظاهرها، **بشرط أن يكون قائلُها وصاحبُها متبعا للسنة ، ومتقيدًا بالشريعة في عامة أحواله.** [١]

وقد تناول الشيخ **أشرف علي التهانوي** - في عدة كتبه - هذا الموضوع بتفصيل وتحقيق لايوجد عند غيره ، [٢] من ذلك قوله - ملخّصا مماجاء من التفصيل في الموضوع في بعض رسائله -:

---

(١) *علماء ديوبند* ص ١٣٢

(٢) (بوادر النوادر) ص ٤٣٩،٤٣٣ـــ ٤٤٢ و(أنفاس عيسى) ص ٦٥٩ وله كتاب بعنوان التنبيه الطربي في تنزيه ابن العربي ـــــ عقد فيه فصلا خاصا بهذا الموضوع كما أن له رسالة لطيفة باسم " **المعاملة مع البهاليل والمجاذيب والبله** " - ألّفها- بناءً على التفصيل المذكور

تلخص من هذا حكم المعاملة مع كتب التصوف وعلمائه ، بأنْ من ظهر فيه منهم علامات القبول - ومن جملة تلك العلامات إحسان العلماء المحققين الظنّ بهم - فليحسن فيهم المرء اعتقاده. وإن جد في كلامهم شيئاً يخالف السواد الأعظم في ظاهره فلا يعتقد به ولا يذكره ولا ينقله لأحد،وكذا لا يطالع ولا ينظر في مثل هذه الكتب، إلاّ أن يدرسها ويقرأها على شيخ (أي كامل موثوق فيه)؛ لأنهم لم يقصدوا التدوين للعامة بل انهم بأنفسهم كانوا يخفون مثل هذا الكلام عن العوام.

فليكن اعتقاده مثل اعتقاد السواد الأعظم ، وأما مثل هذا الكلام فليؤوّله إن أمكن فيه تأويل وإلاّ فليحمله على غالبة الحال عليهم ، أوعلى أن الأعداء لهم دسوه في كلامهم وألحقوه به ، أويُعرض عنه مفوّضا إياه إلى الله تعالى مثل المتشابهات (من الآيات والصفات) .

ولا يعترض عليه ، ولايطعن فيه بسوء القول قبل أن يتدبر فيه ويفهم حكمه وحقيقته، وذلك لأنهم لم يكونوا من المعصومين ولكنهم كانوا أشد اتباعا للشريعة ، ولذا فقد ورد عنهم وأُثِرالإنكار لمثل هذا على غير المعذور . وأيضاً فلذلك لم ينقل عنهم شيء من مثل هذا في الأحكام. وجل ما رُوى عنهم وحُفظ من مثل ذلك من الأسرار، مبناها على الذوق والكشف، جاء بيانها بلسانهم في مصطلحات خاصة لا يعرفها العوام، ولأهل الظاهر ، فلايستطيعون ولا يحق لهم أن يحكموا عليه بالمعارضة للشريعة ومخالفتها ، مع أنهم قد يكونون أعلى رتبة ودرجة منهم . فعليهم أن يسلموها إجمالاً وإلا يخشى عليهم بسوء الخاتمة والموت لأجل الإساءة في حقهم .(هذا الحكم للعوام وعامة علماء الظاهر) .

وأما من كان من المحققين في هذا الشأن (سواء كان من علماء الشرع أومن الأولياء والصوفية الصادقين) فله الحق أن يقوم لهم ويرد عليهم أقوالهم تفصيلا (حسبما عنّ لهم وبدا) في حدود الأمور الاجتهادية أو إبطالا وتفنيدا. (١)

وجاء من كلامه في رسالته " **المعاملة مع البهاليل والمجاذيب والبله** " - بعد أن ذكر المعاملة معهم مثل ما تقدم آنفاً -:

وفي هذه المعاملة قيودٌ . أحدُها أن يدرك كونهم عارفين بالدليل الإجمالي .. وذلك الدليل الإجمالي هوان يدرك فيهم أهل القلوب السليمة بذوقهم ووجدانهم ، نورَ القبول ، ويكونون منهم بحيث إنهم لا يسيئون إليهم الأدب ، ولا يشدّدون النكير عليهم في أقوالهم وأفعالهم.

وإن لم يدرك ويعرف فيهم ذلك (أي كونهم من أهل المعرفة) بالدليل الإجمالي أيضاً فحكمهم ليس كذلك بل الحكم فيهم أن يشدد النكير على أقوالهم وأفعالهم ، ويحكم على القائل والفاعل لمثل هذا منهم بالضلال واسحقاق النار، ولا يؤوّل فيها بشيء.

والقيد الثاني عدم المعرفة بكونهم من العارفين بالدليل التفصيلي. والدليل التفصيلي هو أن يظن فيهم القبول من العلماء والشيوخ الذين يجمعون بين علوم الظاهر والباطن. والا فحكمهم أن يفتى فيهم بالقبول- واستحقاق الجنة بإذن الله -أي إذا علم كونهم من العارفين بالدليل التفصيلي فيؤوّل أقوالهم وأفعالهم، وقيد آخر لا يظهر لهم في ذلك عذر شرعي مثل اختلال العقل . وإلا فالحكم فيهم برفع القلم عنهم ، ويفتى فيهم بالعدالة أوالفسق ، نظرا إلى حالهم قبل اعتراء العذرلهم، فالمنع عن الإفتاء بشيء في حق شخص يوجد فيهم الاحتمالان ، فلايفتى فيه بالمردودية لاحتمال الصلاح ولا بالقبول على احتمال الفساد بل الحكم فيه السكوت.

---

(١) برادر النوادر ص ٤٣٣

وقد يقع في إدراك العذر ، بيِّنا وغير بين ــ غلط ــ وذلك لكون الحواس سليمة مع اختلال العقل ..... فيعتبر بعض أهل الظاهر بسلامة الحواس بأنهم سليموالعقل فيرون أنهم غير معذورين فإنهم ضُلاَّل ــ فلابد في هذا الباب من الاحتياط الشديد.

وبجانب ذلك يقع البعض (الآخر) في غلط آخر وهوأنَّهم يعتقدون في مثل هؤلاء المخالفين للشرع – مع انتفاء كل احتمال الصلاح والعذر فيهم – فيتبعونهم في هذه الأقوال والأفعال ، وهكذا يُفسِدون إيمانَهم.

والمعيار السهل في هذا الباب ان ينظر المرء إلى ما يعامل بمثل هؤلاء، أهلُ زمنه من أولي الفهم، وأربابِ التقوى وأصحابِ التحقيق والاحتياط، فيعمل هوبذلك. [1]

وكلام *علماء ديوبند* هذا! لا يخالف كلام غيرهم من المحققين في الموضوع؛ سواء كانوا من علماء الشريعة أوالصوفية فإنَّ غلبة الحال واستيلاء كيفيةٍ على أهل الصدق والإخلاص من العلماء ، ولاسيما الصوفية والأولياء ، مما لا مجال فيه للإنكار ولا للاستكار . ومن المناسب المفيد أن أذكر هنا عبارة من كلام **الشيخ ابن تيمية** – رحمه الله – اكتفاءً بها من ذكر الكثير الموجود في فتاواه فإنَّه يقول :

"للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين ما لا تكاد تحيط به العبارة ، ولايعرفه حق المعرفة إلاَّ من أدركه وناله، والرب رب والعبد عبد، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولافي مخلوقاته شيء من ذاته.

وليس أحد من أهل المعرفة بالله ، يعتقد حلول الرب تعالى به أوبغيره من المخلوقات ولا اتحاده به.

---

[1] بوادر النوادر ص ٤٣٩ و ٤٤٠

وإن سمع شيء من ذلك منقولاً عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منـــه مكـــذوب اختلقه الأفاكون من الاتحادية المباحية الذين أضلّهم الشـــيطان وألحقهـــم بالطائفـــة النصرانية.

والذي يصح منه عن الشيوخ له معان صحيحة، ومنه ما صدر عن بعضهـــم في حال استيلاء حال عليه، ألحقه تلك الساعة بالسكران الذي لايميز ما يخرج منـــه مـــن القول. ثم إذا ثاب عليه عقله وتمييزه ينكر ذلك القول ويكفر من يقوله.

وما يخرج من القول في حال غيبة عقل الإنسان لايتخذه هوولا غيره عقيدة، ولا حكم له ، بل القلم مرفوع عن النائم والمجنون والمغمي عليه، والسكران.

وقد يشاهد كثير من المؤمنين من جلال الله وعظمته وجمالـــه أمـــورا عظيمـــة، تصادف قلوباً رقيقة، فتحدث غشيا وإغماءً. ومنها ما يوجب الموت. ومنها ما يخل العقل. وإن كان الكاملون منهم لا يعتريهم هذا كما لايعتري الناقصين عنهم، لكـــن يعتريهم عند قوة الوارد على قلوبهم ، وضعف المحل المورود عليه . فمـــن اغترّ بمـــا يقولونه أويفعلونه في تلك الحال كان ضالا مضلا." (١)

وإليكم قطعة أخرى من كلامه فقد قال وهوبصدد بيان التوحيد وتحقيقه :

" فهذا التوحيد هوالذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، وإليه تشير مشايخ الطريقة وعلماء الدين. لكن بعض ذوي الأحوال قد يحصل له في حال الفناء القـــاصر سكر وغيبة عن السويّ ، والسكر وجد بلاتمييز ."(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٤/١١ - ٧٥

(٢) مجموع الفتاوى ٢ /٤٦١ وراجع ايضاً من المجلد المذكور ص ٣٦٩، ٣٩٦، ٤٨٢، وعلى مـــا ذهب إليه الشيخ في كلمات أبي يزيد ونحوها حمل مشايخنا نحوها من الكلمات المنقولة عـــن غير أبي يزيد أيضاً مثل الحلاج ونحوه ولذا لم يكفروهم. (راجع أنفـــاس عيســـى ص ٦٥٩

ومن كلامه أيضاً:

فقد يقول في تلك الحال : سبحاني ، أوما في الجبة إلاَّ الله ، أونحوذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي أوغيره من الأصحاء . وكلمات السكران تُطوى ولا تروى ولاتؤدى ، إذا لم يكن سكره بسبب محظور عن عبادة أووجه ينهى عنه، فأما إذا كان السبب محظورا لم يكن السكران معذوراً .

لا فرق في ذلك بين السكر الجسماني والروحاني ، فسكر الأجسام بالطعام والشراب وسكر النفوس بالصور ، وسكر الأرواح بالأصوات.

وفي مثل هذا الحال غلط من غلط بدعوى الاتحاد والحلول العيني. (١)

وبوادر النوادر وغيرهما)

(١) ومن كلام البعض من المحققين والمحدثين ما جاء في شرح الجامع الصغير للعزيزي عن المناوي: ويظهر أن المراد بهم (أي في قوله ﷺ) ذروا العارفين المحدثين من أمتي لا تنزلوهم الجنة ولا النار... الحديث ") المجاذيب ونحوهم الذين يبدومنهم ما ظاهره يخالف الشرع ، فلا نتعرض لهم بشيء ونسلم أمرهم إلى الله تعالى ، وقال الحفني : اتركوا مخالطة المجاذيب والتكلم فيهم أي لاتحكموا بأنهم من أهل الجنة لاعتقادكم فيهم الولاية ولاتحكموا بأنهم من أهل النار نظرا لعملهم المعاصي ظاهرا بل فوضوا أمرهم لمولاهم . (السراج المنير ٢٩٨/٢ وهامشه أيضاً وفيض القدير للمناوي ٥٦٢/٣) وراجع "الفتاوى الحديثية" لابن حجر المكي (ص ١٣١ و٣١٣-٣٢١) لمثل هذه الصوادر والكلمات من الأولياء فإنه جمع شيئاً كثيراً ففصّل ووجّه.

وحدة الوجود

يقول الشيخ أشرف علي التهانوي :

إنّما حقيقة "وحدة الوجود" هي أن يشاهد المرء ذاته تعالى بعد أن يفني ذاته – ونفسه – لا أن يشاهد نفسه وذاته مُفْنياً ذاته تعالى."(١)

ويقول أيضاً: إنّما "وحدة الوجود " هي أن يغيب وجود الممكنات عن بصر المرء لا أن يعتقد أنها ـــ أي الممكنات ـــ هي الإله والمعبود ."(٢)

ويقول أيضاً: إنّ مسئلة وحدة الوجود ليست من مقاصد التصوف ولا من مقامات السلوك ولذا لايوجد ذكرها صراحة في كلام السلف، لا تحريرا ولا تقريرا، إنّما كان يوجد عندهم بعض آثاره ، إبهاماً وإجمالاً، وأحيانا فأحيانا ـــ أي كان المعنون عندهم لكن بدون هذا العنوان، حتى جاء الخلف فظهر فيهم عنوانه وذكره بعبارات مختلفة وتعبيرات شتى.

فوحدة الوجود إنّما هي حالة وكيفية لما تعترّيهم من الحالات والكيفيات لأجل غلبة الحب الإلهي عليهم وغشيان عشقه تعالى ذواتهم ، وذلك مثل ما نرى لبعض العشاق المجازيين، فإنّهم ربما يصلون من ذلك إلى حيث إنهم لا ينظرون ولا يلتفتون إلى شيء سوى عشيقهم ومحبوبهم فيكون هو أمامَهم وفي أعينهم في جميع أحوالهم وأوانهم، نوما ويقظة وقياما وقعوداً.

---

(١) أنفاس عيسى ص ٣٦١

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٩

فكذلك السادات الصوفية لما غلب عليهم هذه المحبة والعشـــق ، والاستحضار لمحبوبهم الوحيد، فلا ينظرون إلى وجود شيء سواه تعالى، ولايظهر لهم وجود غـيره، يأخذ بقلوبهم ويقبض عليها سلطانُ الحق وتصورُه بحيث يرون كل شيء سواه تعـالى معدوما غير موجود حتى ذواتهم أيضاً . (١)

وقال الشيخ أيضاً : إنَّ المرء إذا جد واجتهد وخاض في الرياضات والمجـاهدات ليطلبه تعالى ويصل إليه ، ودائما يكون في ذكره وفكره ، فلا محالة أن تغلب ويتغلـب عليه هذه الكيفية المسماة بوحدة الوجود ، والشعور بفناء كل شيء وعدمه أمام ذاتـه تعالى ووجوده حتى نفس ذلك المرء وذاته أيضاً.

ولاغروولاعجب ، فإنَّ هذه الكيفية قد تعتري المرء وتـأخذ بمجـامع قلبـه إذا انغمس في حب المحبوب المجازي، وغلب ذلك عليه كما قيل: إنَّ المجنون بلغ في حـب ليلى مقام الفناء ، ثم تقدم من ذلك وترقى إلى مقام فوق ذلك بأن اعترته وحصلت له هذه الكيفية (التي نسميها وحدة الوجود) فجعل يقول : إنَّما أنا ليلى- حينما يسأله أحد عن ليلى ويقول له : أين ليلى؟ (٢).

---

(١) أنفاس عيسى ص ٦٥٣ ، ٦٥٤

(٢) أنفاس عيسى ص ٦٦١

إنَّ مسئلة وحدة الوجود -من مسائل التصوف والصوفية- من أهم المسائل الخلافية بـين العلماء والمتصوفة بل بين الصوفية أيضاً وأشهرها نزاعاً والذي تولى كبر هذه المسئلة واشـتهر بها هوالشيخ محي الدين ابن العربي وراجع لتحقيق المسئلة مختصرا ومقنعا ، الجزء الثالث مـن كتاب "**رجال الفكر والدعوة في الإسلام**" - الخاص بحياة الإمام أحمد السرهندي المعـروف بمجددالألف الثاني- للشيخ الداعية أبي الحسن علي النَّدْوي - حفظه الله - وما أشار إليـه الشيخ من أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع.

وخلاصة القول في ذلك ان الناس فيها بين مفرط ومفرّط ، والحق بين بين كما حقق بعض =

الفحول ، ولما خفيت حقيقة المسئلة على كثير من العلماء و لم يصل إليهم من ذلك إلاّ ما تفوه به المفرطون جهلاً منهم بأصل المسئلة، أوراَواها مظنة الفساد والضلال ، فاضطروا الى الحكم بالكفر والضلال على هذه المسئلة والعقيدة لأصحابها ، صونا لاعتقاد الأمة ودين العامـــة . وإلاّ فقد جاء وثبت عن بعض من اشتهر بهذه المسئلة ما ألجأ العلماء البارزين المحتـــاطين إلى عدم الحكم بالكفر على رائد هذه المسئلة أيضاً.[انظر رجال الفكر والدعوة ٣/٢٤٤،٢٥٨]

والعذر المعقول المقبول في المسئلة أنها من صوادر غلبة الحال على بعض الأولياء الصادقين كما ذكرت من تحقيق الشيخ **التهانوي** وقد ذكره بعض غيره أيضاً من المتكلمين والمحققين في المسئلة.

وقد اعترف بهذه الغلبة على بعض الناس والأولياء – والعذر والصفح لذلك– شيخ الإسلام **ابن تيمية** أيضاً. (راجع مجموع الفتاوى ١١/٧٤،٧٥، ٢/٣٦٩ ، ٣٩٦, ٤٦١،٤٨٢) وقد قال الشيخ في بعض فتاواه: بعض ذوي الأحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوي، والسكر وجد بلا تمييز ، فقد يقول سبحاني ، أوماني الجبة إلاّ الله، أونحوذلك من الكلمات التي تؤثرعن أبي يزيد البسطامي أوغيره من الأصحاء، وكلمات السكران تطوى، ولاتروى ، ولاتؤدى ، إذا لم يكن سكره بسبب محظور من عبادة أووجه منهي عنه (٢ / ٤٦١) وقد عبر شيخ الإسلام عن وحدةالوجود – بلفظ – " **الفناء عن وجود السوي** " وإنه فصّل الكلام في الفناء وجعله ثلاثة أقسام:

١– فناء عن وجود السوي،وقال:هوفناء أهل الوحدة الملاحدة، وهوأن يجعل الوجود وجودا واحدا

٢– فناء عن شهود السوي ، وقال: هذا هوالذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبـــي يزيد وأمثاله ، وقال أيضاً: وهوفناء القاصرين

٣– فناء عن عبادة السوي، وقال: هذا حال النبيين وأتباعهم. وهوأن يفني بعبادة الله عن عبادة مـــا سواه ، وبحبه عن حب ما سواه ، وبخشيته عن خشية ما سواه.مجمـــوع الفتـــاوى ٢/ ٣١٣ ،٣١٤، ٤٥٩ — ٤٦١).

ويقول الشيخ **محمد أنور شاه الكشميري** في أماليه على البخاري: عند قوله ﷺ:

"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم".

"فالحديث لم يشدد فيه تشديد القرآن ، وعد قولهم من باب الإطراء فقط لإمكان التأويل فيه بادعاء وحدة الوجود أوغيره .

فائدة : واعلم أنه لاحجر في وحدة الوجود فيمكن أن يكون كذلك . أما كونه من باب العقائد التى يجب بها الإيمان، فذلك جهل لأنَّ غاية ما في الباب أنه شيء ثبت من مكاشفات الأولياء فقد ثبت خلافه أيضاً ، وإنَّما الأحق بالإيمان هوالوحي المنزَّل لا غير ."[1]

---

[1] فيض البارى ٤/٤٢

تصور الشيخ

يقول الشيخ التهانوي:

"إنّ تصور الشيخ أعم معنى من معنى "شغل الرابطة" لأن الرابطة هي شغل خاص عندهم ، وهوأن يُحضِر المرءُ صورةَ الشيخ في ذهنه فينظرإليه بنظر القلب معرِضاً عن خيال غيره ، ومُخلِيا إياه عن كل شيء.

فيفرض كأنه حاضر ناظر ، لكن تصورا فقط لا اعتقادا؛ فإنه شرك ، ولذا يُمنع منه العوام، وهذا هوالمراد في كلام بعض الأكابر حيث أدخل هذا في عموم قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾(١).

فهذه حقيقته . وفائدته شغف المرء بشيخه بحيث يسوغ له اتباع الشيخ في الأخلاق والأعمال بدون تكلف. ولما كانت الأحوال ثمرات الأعمال، فإذا خاض المرء في الأعمال تحصل له الأحوال. لكن لما كان مضرة العوام أكثر من هذا النفع المذكور لم يعتبر هذا النفع في منعهم عنه.

أما تصوُّر الشيخ فليس بشغل خاص بل حقيقته الاصطلاحية عين حقيقته اللغوية . ومحله أن الذاكر عندما تهجم عليه الهموم الفاسدة والخطرات الكاسدة ، وتغلب عليه بحيث لا تندفع عنه بوجه ما، فيضطر إلى حيلة أقوى ، وتلك الحيلة أن يزيد المنتهي في توجهه إلى ذاته تعالى وتصوره، ويتوجه المتوسط إلى الذكر وألفاظه، فإنّ هذا التوجه العام الكامل إلى المذكور والذكر يفيد المرءَ عدم توجه نفسه إلى غير ذلك حسب القاعدة : إنّ النفس لاتتوجه إلى شيئين في آن واحد.

---

(١) سورة الأنبياء : ٥٢

فأما المبتدئ فإنه ليس بمتعوّد بالتوجه إلى ذاته تعالى ، ولا له ميلان وانجـــذاب إلى نفس الذكر ، مع انه أمر حسي مسموع مشاهد ، لا يصعب التوجه إليه ، لكـــن لا يحصل له ذلك لعدم الانجذاب الطبعي، فذهبوا إلى أن النافع له هوتصور شيخه .وذلك يحصل له بسهولة لكونه محسوسا ومحبوبا (مرغوبا فيه) معاً، فتندفــع عنــه بذلــك الخطراتُ ، ولما كان الغرض هودفع الخطرات فبعد اندفاعها لا يؤمرون بذلـــك؛ لأنّ الاشتغال بغيرالمقصود يخل بالاشتغال بالمقصود وهذا غير مقصود. (١)

ويقول أيضاً : لوحصل لأحد تصور شيخه بدون اختيار منه وقصد ، فلاحـــرج فيه بل هذا ينفع ، وإلا فعليه أن يتصوره تعالى لأنه هوالمطلوب الحقيقـــي والمقصـــود الأصلي . وبه كان يوصي شيخنا (٢).

ويقول الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

"إنّ نفس تصور الشيخ جائز بشرط أن لايصحب معه أمراً ممنوعاً كما يتصـــور الإنسان جميع الأشياء . فإذا صحبه تعظيم المتصوّر أواعتقادُ تصرف الشيخ في بـــاطن المريد ، يصير موجبا للشرك ... ولذا فقد كان القدماء يذكرونه ويجوّزونه لأنه لم يكن معه خلط معصية ، وذهب المتأخرون إلى حرمته . وهذا الخـــلاف لأجـــل اختـــلاف أهل الزمانين." (٣)

وقال أيضاً : "قد غلا فيه الصوفية المتأخرون حتى بلغ أمره إلى الشرك ولذا منـــع عنه العلماء المتأخرون. والعمل الآن على قولهم هوالمناسب ولاحاجة إلى هذا الشـــغل، و لم يكن في الصحابة أثرٌ من هذا الشغل."(٤)

---

(١) إمداد الفتاوى ٥ / ١٧٧ ، ١٧٨

(٢) أنفاس عيسى ص ٥٠٧

(٣) الفتاوى الرشيدية ص ٢٠٠

(٤) المصدر السابق ص ٥٠٦

الذكر بكلمة لا إله إلاّ الله

جملة وقطعة

سئل **الشيخ التهانوي** عن الذكر بكلمة **لا إله إلاّ الله** ـــ تقطيعا أي بـــ "**إلاّ الله**" أوبـــ " **الله**" أي بلفظ الجلالة فقط ، ودليلِ جوازه فأجاب بقوله:

أما الاستدلال على مشروعية هذا الذكر فإنه وإن لم يوجد فيه نقل جزئـــي، ولا يسلم في بيانه - الحديث - "**لا تقوم الساعة حتى يقال في الأرض الله الله** " [١] فلنـــا فيه مساغ لادعاء وجود النقل الكلي أوالاستنباط ، كما نقل عن كثير من الأكـــابر في السؤال[٢].

---

(١) صحيح مسلم ، الإيمان ، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان

(٢) ذكر السائل في سواله عبارة طويلة من كتاب" **نسيم الرياض** " (لشهاب الدين الخفاجي) في شرح شفاء القاضي عياض ، وهي كما يلي: "ههنا بحث وهوأنه قيل : إن ذكر الله بتكريـــر الجلالة بدعة، لا ثواب فيها . قال الخطاب في شرح مختصر الخليل : سئل العز بن عبدالسلام عمن يقول: الله، مقتصرا على ذلك ، هل هومثل سبحان الله والله أكبر ونحوه .فاجاب بانـــه بدعة لم ينقل مثله عن أحد من السلف ، وإنما يفعله الجهلة ، والذكر المشروع لابد مـــن ان يكون جملةً مفيدةً والاتباع خير من الابتداع . ونحوه ما أفتى به البلقيني في قـــوم لايزالـــون يقولون : محمد محمد ، كثيرا ، ثم يقولون في آخره : مكرم معظم ، فأجاب بانه تـــرك أدب وبدعة، لم تنقل ، ولايثاب فيها وكذا قولهم : على محمد. وتابعه عليه كثير من العلماء .

أقول (والقائل الشهاب الخفاجي): ما ذكره في اسم النبي ﷺ مكررا من كونه بدعـــة، ظاهر ، لأنه مع كونه لم يتعبد بمثله ، داخل في ما نهي عنه بقوله تعالى: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَـــاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ (سورة النور : ٦٣) كما سـيأتي مثلـــه، ولم يـــرد تعظيمهم النبي ﷺ إلاّ بالدعاء له ، والصلاة والسلام عليه، فلوعظم بمثل ذلـــك ، كـــان مراغما للسنة . ولوذكر أحد سلطانا باسمه زجروه وأهانوه فمـــا بـــالك بأشـــرف الخلـــق =

ولا يضر في هذه الدعوى خلاف مخالف كشأن سائر الاجتهادات. والاستنباط فرد من أفراد الثبوت بالنص فإن القياس مظهر لا مثبت ، وفي هذه الصورة يحكم بأن هذا النوع من الذكر مفضول بالنسبة إلى الطريق المأثور فيه ، لكن قد يرجح هذا - عملا - على المأثور لعارض النفع الخاص في حق البعض وذلك النفع هودفع الوساوس وجمع الخواطر كما هوالمشاهد، كما رجحوا - لمثل هذه المصالح - الذكر الجلي على الذكر الخفي الذي ثبت فضله بالدلائل، وكذا ذكر الفقهاء فضل إعلان الصدقة على إخفائها للبعض عملاً.

وأعظمهم

وأما ذكرالله تعالى فقد ورد الأمر به ، ووعد ذاكره بالثواب في آيات وأحاديث لا تحصى كقوله تعالى : ﴿ *الذاكرين الله كثيرا والذاكرات* ﴾ وفي الحديث القدسي: **"من شغله ذكرى عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين "** إلى غير ذلك مما لا يحصى. و لم يقيد بقيد.

على أن الذاكر قصده التعظيم والتوحيد فهوإذا قال : الله ، ملاحظا لمعناه فكأنه قال: معبودي واجب الوجود ، مستحق لجميع المحامد ، و لم يزل أهل الله من العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير. وكان الأستاذ البكري يفعله ويقول: أستغفر الله مما سوى الله ، وكل شيء يقول: الله . وفي مجلسه أجلة العلماء والمشايخ .

وهذا هوالحق وقد صنف في رد مقالة ابن عبدالسلام هذه ، عدة رسائل ، ورأيناها . وممن صنف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله المرصفي ، والشيخ عبدالكريم الخلوتي وبه أفتى من عاصرناه اللهم أحشرنا في جملة الذاكرين ولاتجعلنا من الغافلين" (نسيم الرياض ٢٣٨،٢٣٧/١ من إمداد الفتاوى ٢٢٠/٥، ٢٢١) .

وقول الشهاب الخفاجي هذا دليل على أن هذه المسئلة فيها سلف ***لعلماء ديوبند*** ممن سبقهم من العلماء والمشايخ من أهل السنة والجماعة، وليسوا في ذلك محدثين وإنما هم من المتبعين لسلف الأمة - مع خلاف بعضهم في ذلك - فهذا شأن كثير من المسائل فلا قدح ولا حرج ولاطعن ولاشين.

ولو لم يسلم كونه مستنبطا ، كما هورأي ابن عبدالسلام ، فليس من المنهي عنه (أي صريحا ونصا) وقد ثبت بالمشاهدة إعانته في جمع الخواطر ، وهومطلوب ومأمور به فيكون هذا أيضاً مطلوبا مثل غيره من التدابير للأمور المطلوبة الشرعية ولوكان طلبه لغيره (لا لذاته). (١)

وقال في موضع آخر: "الذكر بلفظ " إلاّ الله " جائز لأن غاية ما فيه هوحذف المستثنى منه وحذف العامل وقد ثبت وجاء ذلك - عندوجود القرينة - في كلام أفصح العرب والعجم ﷺ مثل حذف المستثنى . فأما حذف المستثنى فما أخرج ابن ماجة : عن ابن عباس — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : **"كذلك لايجتنى من قربهم إلاّ."** قال محمد ابن الصباح : كأنه يعني الخطايا." (٢) كذا في المشكاة .(٣) وقع كلامه ﷺ بلا ذكر المستثني لكمال ظهوره فألحقه محمد كما في المرقاة(٤).

وأما حذف المستثنى منه ، فما أخرج الشيخان عن ابن عباس "... فقال العباس: يا رسول الله إلاّ الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم . فقال : " **إلاّ الإذخر** "... الحديث.

وفي المبحوث القرينة ظاهرة أحيانا قولا، وذلك حينما يذكر المرء كلمة لاإله إلاّ الله كاملة (قبل الذكر بـ "إلاّ الله" فقط)، وأخرى حالا لدلالة حالة المسلم على اعتقاد نفي ألوهية الغير.(٥)

---

(١) إمداد الفتاوى ٢٢٣/٥

(٢) سنن ابن ماجة ولفظ الحديث : عن النبي ﷺ قال : **"إن ناساً من امتي سيتفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن، ويقولون : نأتي الأمراء فنُصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا، ولا يكون كذلك، كما لا يجتنى من القَتاد إلاّ الشّوك، كذلك لا يجتني من قربهم إلاّ "** - قال محمد بن الصباح : كأنه يعني الخطايا. (ابن ماجة/ المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به).

(٣) مشكاة المصابيح كتاب العلم

(٤) مرقاة المفاتيح ٣١٠/١.

(٥) إمداد الفتاوى ٢٢٣/٥ ، ٢٢٤

التوسل بالأولياء والصالحين

قال الشيخ **خليل أحمد السهارنفوري:**

عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء والصديقين ، في حياتهم وبعد وفاتهم ، بأن يقول في دعائه : اللهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي ، إلى غير ذلك كما صرح به شيخنا ومولانا الشاه محمد إسحق الدهلوي ثم المهاجر المكي [١] ثم بيّنه في فتواه شيخنا ومولانا **رشيد أحمد الكنكوهي** رحمه الله [٢] وقد تقدم في ذلك نوع من التفصيل في مسائل باب النبوة.

ويقول الشيخ التهانوي في بعض مقالاته: **إن الشيخ ابن تيمية يجيز التوسل بالأعمال، فلوكنتُ في زمنه أوكان هوفي هذا الزمن لقلتُ متأدّباً أمامه** : يا شيخنا ما حقيقة هذا التوسل بالأعمال ؟ فأما أنا فأرى حقيقة ذلك أن أحداً إذا خاطب الله تعالى للتوسل ويقول: اللهم افعل لي كذا بفضل العمل الفلاني ، فمعنى ذلك: اللهم إنّ هذا العمل محبوب عندك، ومقبول لديك، وقد وعدتَ بنزول رحمتك الخاصة على من له تلبسٌ بعمل تحبه فلنا أيضاً تلبس الكسب والصدور بهذا العمل فنطلب منك رحمتك التي وعدتَها على التلبس بهذا، فنظراً إلى هذه الحقيقة لوتوسّل أحد بالأعيان فما هوالفارق بين التوسلين ؟ التوسل بالأعيان والتوسل بالأعمال ؟ وسواءً كان

---

[١] وهومن سلالة الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله.

[٢] المهند على المفند ص ٧ ، ٨

الأعيان أحياءً أوأمواتاً . لأن محصل هذا التوسل بالأعيان- بعد التوجيه المذكور - اللهم إن هذا الرجل الصالح -حيا أوميتا- محبوب عندك. وقد وعدت بنزول الرحمة على من له تلبس بأحبائك ولنا تلبس حسن الاعتقاد والحب بهذا الرجل الصالح ، فنطلب منك رحمتك الموعودة. فقل لي: ما الفرق في هذا بين الحي والميّت. وإني على يقين بأن الشيخ لو كان حيّاً اليوم لرجع عن المنع عن التوسل بالأعيان الموتى إطلاقا بعد اتضاح حقيقة التوسل .

ولذا فإني مع ذلك أرى أن الشيخ أراد بالتوسل الممنوع هوالتوسل بطريق الاستعانة والاستغاثة (بالأموات) لا أنه يمنعه مطلقا . أويوجه قوله بالمنع بأن الممنوع من التوسل هوالمذكور آنفاً إلاّ أنه أطلق المنع سدا للباب، لئلا يتسبب ذلك لوقوع العامة من المسلمين في الحرام الممنوع من التوسل بتجويز واختيار الجائز منه . لأن التوسل (الذي نسوغه ونجيزه) هومباح وجائز فقط وليس من الواجبات والمقاصد وكل مباحٍ يخشى به الافتتان والضلال لومنع عنه العلماء فلا بأس به.

وبالجملة فإن التوسل بالموتى ليس بمنهيٍّ عنه مطلقا ، كما ذهب إليه **ابنُ تيمية** في ظاهر قوله ، ولا أنه مباح وجائز بحيث أن يطلب منهم الحاجات أوالدعاء لقضائها، بل الأمر بين بين ، وهوما ذكرتُه من أن يختار الدعاء بفضل حبهم ، وحقيقة ذلك طلب الرحمة الموعودة على التلبس، سواءً كان التلبس تلبس الصدور كما في الأعمال، أوتلبس الحب كما في الأعيان . ويجب الاجتناب عن الإفراط والتفريط بالتزام الاعتدال في الباب." (١)

---

(١) أسعدالأبرار ص ٢٩٠، ٢٩١

الورد بـ" يا شيخ عبدالقادر" ونحوها

والنداء والدعاء بلفظ الخطاب للأولياء

قد أكثر الناس السؤال على *أهل الإفتاء من علماء ديوبند* عن النداء والورد بلفظ " يا شيخ عبدالقادر شيئاً لله " وبنحوها ، فاتفقت كلمتهم على عدم الجواز إجمالاً أو اختصارا.

فقد قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري : "إن الورد المروج بلفظ يا شيخ عبدالقادر شيئاً لله ـ لا يجوز بوجه ما." (١).

وقال الشيخ التهانوي: "إن عدم الجواز وعدم نقله عن الأئمة ظاهر . والدليل أيضاً ظاهر ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (٢).

وقد فصل الكلامَ والوجوهَ فيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي فقال في إحدى فتاواه:

"لا يجوز عندي الورد بهذا اللفظ . مع أنه (إطلاقا) ليس بشرك، لكنه يشبه الشرك، وبعض الأفعال مع أنه يشبه الشرك يكون من الصغائر، لأن الشرك كلي

---

(١) الفتاوى الرشيدية ص ٥٣

(٢) سورة الأحقاف : الآية ٥ . إمداد الفتاوى ٤/٤٩٢. وفيه نوع من التفصيل أيضاً راجع ٤/٣٥٢

مشكك، يتفاوت أفراده في خفة المعصية وشدتها . فمثلا جاء في الحديث : "إن الحلف بغير الله شرك." مع ذلك إنه صغيرة.

فالورد بهذا اللفظ يشبه الشرك لأنه طلب الحاجات من غير الله تعالى. فمن قاله معتقدا بأن هذه الكلمة لها تأثير فهوليس بكافر ولا مشرك، وإن لم يكن هذا الفعل خالياً عن المعصية.

ومن قاله معتقدا بأن الشيخ (عبدالقادر أوغيره) متصرف لذاته وعالم بالمغيبات بذاته فهو مشرك .

وإذا اعتقد قائله بأن الله تعالى يُطلع الشيخ على هذا فيقضي الشيخ الحاجات بإذنه تعالى فهوليس بمشرك (١).

وقال في فتوى أخرى: إذا لم يعتقد القائل بتصرف الشيخ وعلمه بالغيب فلا يجوز أيضاً؛ لأن النداء في هذه الصورة مع أنه ليس بشرك . لكنه يشبه الشرك ولايجوز التلفظ بما يوهم معنى الشرك. لقوله تعالى : ﴿ *لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا* ﴾(٢) ولقوله عليه السلام : "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان." (٣) فقد مُنعت هذه الألفاظ لأجل المشابهة ، ولإيهام معنى القبيح ، مع أن نيات الصحابة كانت متجردةً عن المعنى القبيح ولأجل أن العوام يقعون بمثل هذا في ورطة الشرك والمعصية (٤).

---

(١) الفتاوى الرشدية ص ٥٠

(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٤

(٣) مسند أحمد – ٥/٣٨٤ و ٣٩٥

(٤) الفتاوى الرشيدية ص ٥١

موقفهم من

مجمل القول في رجال الدين
الصحابة والتابعون
مشاهير الأمة بعد الصحابة والتابعين
شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أعلام من الهند

مجمل القول في

رجال الدين

الصحابة والتابعين، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين

يقول الشيخ محمد طيب القاسمي :

"لاعبرة في مذهب *علماء ديوبند* ومسلكهم بالأصول والقواعد بدون الذوات، ولاثقة بالذوات بدون الأصول والقواعد ، كيف ؟ ولم تبلغنا هذه الأصول والقواعد إلا بهذه الذوات ، وهذه الذوات أيضاً لم تعرف إلاّ بهذه الأصول والقواعد، وبها صارت واجبة الاعتبار.(١)

وقال– أيضاً – وهوبصدد تحقيق وبيان معنى قوله ﷺ " **ما أنا عليه وأصحابى** " وشرح عنوان أهل الحق ولقبهم المعروف " **أهل السنة والجماعة** ": إنَّ كلمة " ما " إشارة إلى الطريقة النبوية والدستور النبوي ، والأسوة النبوية، التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه ، وظاهر أنَّ هذه الطريقة والأسوة هي التي سميت بـ " السنة " والتي – سلك عليها هوبنفسه وبأصحابه فخرج من كلمة " ما " عنوان " السنة " الذي هوالجزء الأول من لقب الفرقة الحقة .

---

(١) *علماء ديوبند* اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي

وأما كلمة " أنا وأصحابي "، فظاهرٌ أنَّ مصداقه إنَّما هي الذوات القدسية، وفي مقدمة هذه الذوات ذات النبي ﷺ وذوات أصحابه القدسية، وفي القرون ما بعدهم، هي ذوات التابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدين ، فليس معنى كلمة " أنا وأصحابي" إلاّ – "الجماعة" الذي هوالجزء الثاني من لقب هذه الفرقة والملة، ومجموع الجزئين هو "أهل السنة والجماعة". (١)

وسرُّ ذلك أنَّ الدين والشريعة عبارة عن مجموع أمرين: الكتاب والرسول الذي جاء بالكتاب ، الكتاب وصاحب الكتاب الذي أنزل عليه الكتاب، الكتاب وشارح الكتاب، الذي يشرح الكتاب بقوله وفعله، فالكتاب هوالقرآن المجيد ، والرسول وصاحب الكتاب هونبيُّنا محمد ﷺ وسنته، وبعد ما توفي رسول الله ﷺ أخذ مقامه من الكتاب علماءُ أمته وحاملوا شريعته من الصحابة والتابعين، وكل من تبعهم بإحسانٍ من أولي العلم والعمل، إلى يوم الدين.

فلا غنى لمن يريد دين الله وشريعته بأحدهما عن الآخر، هما ثانى اثنين، لا يفارق ولن يفارق أحدهما الآخر ، فلا الكتاب وحده كافٍ له ، ولا صاحب الكتاب يغنيه عن الكتاب.

وهذا ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، كما فصَّل ذلك وحقَّقه المحققون، ومنهم إمامُنا وقدوتنا الإمام الدهلوي ولي الله بن عبدالرحيم، ومنهم- أيضاً_ الشيخ محمد طيب القاسمي -رحمهما الله تعالى- فإنَّه فصَّل الموضوع وحقق ودقَّق (٢).

لكن ذلك لايعني اعتقادهم بالعصمة في رجال الدين ، علماءَ كانوا أم أولياءَ ، لأن العصمة -عندهم أيضاً – مختصة بالأنبياء ، كما هومذهب أهل السنة والجماعة

---

(١) *علماء ديوبند* ، ص: ٣٢

(٢) راجع حجة الله البالغة ١/٨٢-٨٤ وكتاب (*علماء ديوبند* اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي)

قاطبةً ، كيف ولايعتقدون بها ولايقولون في الصحابة الذين شـــهد بمرتبتهـــم العليــا الكتاب والسنة، ولا في الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمـــه الله تعـــالى الـــذي يتبعونـــه ويقلدونه، ومن سواه من الأئمة الأربعة ، ولا فيمن كان بعدهؤلاء الأئمة من أساتذتهم ومشايخهم .

بل لما كان مبنى اعتقادهم في رجال الدين هوالدين ، فلا يقولون فيهم إلاّ بماثبت بالدين ، ولا يأخذون منهم إلاّ ما هومن الدين ،ولايقبلون منهم إلاّ ما يجدون عليـــه الدليل من أدلة الشرع المتين- لا كل ما يؤثر عنهم ويُروى- تأسيًا بما عرف من حكم الشريعة، وبما اشتهر من قول الإمام مالك : كلّ واحد يؤخذ من قوله ويُرد عليـــه إلاّ صاحب هذا القبر ﷺ (١).

ولنعم ما قال أحد أعلام الهند الشيخ صديق حسن البوفالي - بعد الثنـــاء علـــى الشيخين ابن تيمية وابن القيم والدفاع عنهما - لم يتعبّد أحد من الخلق باتباعهما ولا بالعمل بأقوالهما وأفعالهما، ولا غيرهما ممن قبلهما أوبعدهما وإنّما المتعبّدبه ما جاء عن خاتم النبيين من وحيٌ متلوٌ أوغيرمتلوٌ من قول أوفعل أوتقرير، وفي ذلك ما يكفى المتّبع ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾(٢)ولم يحوج الله الخلق إلى أحد بعـــد الكتـــاب والسنة (٣).

فكل ما هوسوى ما ذكرنا فيعرض عنه *علماء ديوبند* بالدليل والتأويل أحيانـــاً، وأخرى بالتغامض والتسامح في الحدود الشرعية، وليس ذلك تساهلاً منهم في الديـــن،

---

(١) الأحكام لابن حزم ١٤٥/٦ و(شرح كتاب التوحيد) للشيخ عبدالرحمـــن آل الشـــيخ ، ص: ٣٤٣ و ٣٤٦و٣٤٧

(٢) الأنعام :٣٨

(٣)الحطة في ذكر الصحاح الستة ، ص: ١٥١

بل إنّما ذلك لغرض صيانة الدين، وتحفظ رجال الدين عما يسمهم ويشينهم ، لأنّ في خلاف ذلك ضياع الدين لارتفاع الثقة عنهم، وإنّما الدين بالإسناد والاستناد ، ولا استناد بدون اعتبار واعتماد.

قال الشيخ ابن تيمية -عليه الرحمة- في بعض فتاواه :

"اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس : يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ ، وإن كانوا متفاضلين في الهدى والنور والإصابة." (١)

وقال نجل الإمام محمد بن عبدالوهاب الشيخ عبدالله رحمهما الله تعالى :

"وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حقٍّ من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعزّ الكتب، إلاّ أنّا غير مقلّدين لهم في كل مسئلة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلاّ نبينا محمد ﷺ ."(٢)

وهذا ما اضطرهم وألجأهم إلى التأويل -*فيما يؤثر عن بعض رجال الدين مما يخالف ظاهره الشريعة*- أوإلى الإعراض والسكوت - *عمّا يؤثر عن بعض الأعلام أئمة الإسلام من المسائل* - بالدليل والاستدلال .

وليلاحظ ربما يوجد الخلاف والاختلاف ، والإعراض والاستدلال لعدم المعرفة الصحيحة بما يؤثر ويُنسب إلى بعض رجال الدين، فيتكلم المرء فيه بما عرف ويعرف فيؤيّده ، أويردّ عليه، مع أن حقيقة الأمر تكون خلاف ذلك .

بل ما قام أحد لله ولدينه ، دفاعاً وحفاظاً ، ونشراً وإحياءً إلاّ تصدّت له جماعة تفسد له الجو، وتكدّر له الهواء ، وتثير عوائق وعراقيل ، بنقل الهفوات عنه وذكر الافتراءات .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٧/٢

(٢) الهدية السنية ، ص: ٤٩ والدرر السنية ١١٩/١

وليس ذلك من حوادث هذا الزمان فقط، بل يوجد لذلك نظائر أيضاً في القديم من الزمان ، وهذا مالا يبقى معه وفيه الخلاف بعد انكشاف الغبار وارتفاع الأستار (١).

فعليه يحمل ما ورد ورُوي عن *علماء ديوبند* في بعض الأعلام وأئمة الإسلام من القرون المتأخرة وسيأتي في ذلك مزيد تفصيل .

---

(١) مثل ما وقع للامام الأوزاعى إمام الشام مع الإمام أبى حنيفة قديما وما وقع بين المجدد للألف الثانى الشيخ أحمد السرهندي وبين الشيخ عبدالحق الدهلوي من علماء الهند قريباً ، راجع الخيرات الحسان ، ص: ٣٣ وتاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص: ١٩٩

الصحابة والتابعون

يقول الشيخ **محمد طيب القاسمي** :

إن مجمل عظمة الصحابة - عند *علماء ديوبند* - يظهر في الفقرات التالية:

١- إن جماعة الصحابة أفضل طبقات هذه الأمة وأقدسها ، أتقياء القلوب ، راضين مرضيين عند الله ، فلذا إنهم أجمعون ، بلا استثناء أحد منهم - متقنون عدول، طاهري الباطن ، لم يبلغ ولن يبلغ مقامَهم أحد من أعاظم الأولياء وأعالي الربانيين.

٢- إنهم معيار وميزان للحق والباطل من الفرق، ولذا فإنهم في حق الأمة ناقدون لامنقودون ومُنتَقَدون ... فهم بالنسبة إلى دينهم أعلى من أن ينتقد عليهم، **"بأيهم اقتديتم اهتديتم "**.

٣- أول كل شيء من علامات هذه المعيارية الميزانية لهم - هوحبهم واعتقادهم بلا استثناء ، لأن علاقة الأمة بهم ليست بعلاقة تاريخية ولارواية فقط بل علاقة العشق والغرام وهوالمطلوب بالحديث فيهم .

٤- إشاعة ما كان فيهم من الخلافات ، والخوض فيها بالطعن ونحوه علامة زيغ الباطن .

٥- التقابل في خلافاتهم ليس من تقابل الحق والباطل ، بل هوتقابل الخطأ والصواب ، ومن المعلوم أن المرء يثاب في الأمور الاجتهادية على خطأه أيضاً ، فلا يجوز إطلاق المعصية عليه .

ولا يوجد بعد الصحابة طبقةٌ يقال فيها إنها من حيث الطبقة طاهرة الباطن وذات إتقان وعدالة، ومع ذلك لم يخلُ قرن من قرون هذه الأمة ولا زمن من

أزمانها - سيما قرن التابعين وأتباع التابعين - من المصلحين والهادين والمجددين . وكذلك لم تكن أئمة العلوم وأئمة الهداية ولا أئمة الكمال من أرباب الظاهر والباطن في القلة (١).

أمّا تقدم بعض المتأخرين وزيادتهم في بعض الأمور ومن بعض الجهات - بدون أن يكونوا ويُعدوا بذلك أفضل منهم- فضلاً ، طبقة وقرنًا ، فنعم ، فإن ذلك من الممكن بل من الواقع بحيث لا يُردّه شاهد الوجود ، وقد تقدّم من الموضوع شيء من التفصيل تحت مسئلة " **تفوق أحد من الأمة على النبي ﷺ** " في باب النبوة والأنبياء (٢).

---

(١) *علماء ديوبند* ، ص: ١٢٣ و١٢٤

(٢)ويوجد من ذلك ذكر شيء - في كلام الشيخ **ابن تيمية** (٣٧٠/١١)- وقال الحافظ **ابن حجر** : إن حديث " **للعامل منهم أجر خمسين منكم** " لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة ، وأيضا فالأجر إنّما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد . (فتح الباري) ٦/٧)

مشاهير الأمة

بعد الصحابة وأتباعهم الذين هم خير الأمة

قال الشيخ **محمد طيب القاسمي** :

إن عظمة أكابر عرفاء الطريقة وأفاضلهم - سواء كانوا من سالكي الأعمال أومغلوبي الأحوال - في مسلك *علماء ديوبند* ومعتقدهم - مثل عظمة علماء الشريعة مع تفاوت الدرجات وفرق المراتب .

ولذا فعظمة الشيخ **محي الدين ابن العربي** عندهم مثل عظمة المحدث الجليل الحافظ **ابن تيمية** ، والمنزلة التي لديهم **للشيخ المجدد** (أحمد بن عبدالأحد السرهندي) الذي كان متغلبًا على أحواله هي التي للشيخ **عبدالحق الردولوي والشيخ صابر الكليري** - الذين مضت عليهما أعوام حال الإغماء من أجل سكر أحوالهم .

وعظمة الشيخ **جنيد** والشيخ **شبلي** والشيخ **بايزيد السبطامي** والشيخ **المعروف الكرخي** من أئمة الطريقة عندهم مثل عظمة أئمة الشريعة وجلالتهم **أبي حنيفة ومالك والشافعي و أحمد** [١]، وهذا هو معتقد *علماء ديوبند* في مشاهير الأمة وأعيانها، وبتعبير آخر في رجال الأمة - من بعد الصحابة - الذين هم رجال الدين.

---

(١) *علماء ديوبند* ، ص: ١٣٥

حامل لواء رد البدعة

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية

وتلميذه النابغ

أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

قال الشيخ ولي الله الدهلوي في إحدى رسائله إلى بعض إخوانه وأصفيائه: الذي أعتقد أنا ، وأحب أن يعتقده جميع المسلمين، في علماء الإسلام حملة الكتاب والسنة والفقه، الذابين عن عقيدة أهل السنة والحديث، وإنهم عدول بتعديل النبي ﷺ حيث قال : " **حمل هذا الدين من كل طبقٍ عدوله** " وإن قال بعضهم بما لا يرتضيه هذا المعتقد .

وهذا إذا كان قوله ذلك غير مردود بالكتاب والسنة والإجماع ، وكان قوله ذلك محتملاً ، وكان مجال ومساغ للخوض فيه ، سواء كان قوله ذلك في أصول الدين أوفي المباحث الفقهية ، أوفي الحقائق الوحدانية .

وعلى هذا الأصل اعتقدنا في الشيخ الأجل **محي الدين بن علي بن العربي** وفي الشيخ المجدد **أحمد بن عبدالأحد السرهندي** ، أنهما من صفوة عباد الله و لم نلتفت إلى ما قيل فيهما .

فكذلك **ابن تيمية** ، فإنا تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله، ومعانيه اللغوية والشرعية ، وحافظ لسنة رسول الله ﷺ وآثار السلف ، عارف بمعانيهما اللغوية والشرعية ، أستاذ في النحو واللغة ، محرّر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله ، فائق في الذكاء ، ذولسن وبلاغة، ذابٌ عن عقيدة أهل السنة ، لم يؤثر عنه فسق ولا بدعة ، اللهم إلاّ هذه الأمور التي ضيّق عليه لأجلها .

وليس شيء منها إلاّ ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف فمثـــل هـــذا الشيخ عزيز الوجود في العالم، ومن يطيق أن يبلغ شأوه في تحريره وتقريـــره، والذيـــن ضيّقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى، وإن كان تضييقهم ناشئاً من اجتهـــاد . ومشاجرةُ العلماء في مثل ذلك ما هي إلاّ كمشاجرة الصحابة بينهـــم، والواجـــب في ذلك كفّ اللسان إلاّ بخير .

وقد ذكر أنه قال : إن الله تعالى فوق العرش ، والتحقيق أنّ في هذه المسئلة ثلاث مقامات .

أحدها: البحث عمّا يصح إثباته للحق توقيفاً ، وعمّا لا يصح إثباته توقيفاً، والحقُّ أن الله تعالى أثبت لنفسه جهة الفوق ، وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك . وقد نقـــل الترمذى ذلك عن الإمام مالك ونظائره .

وثانيها: أن العقل هل يجوّز كون مثل هذا الكلام حقيقة، أويوجب حمله علـــى المجاز ؟ والحق في هذا المقام أن العقل يوجب أنه ليس على ظاهره في نفس الأمر .

وثالثها: أنه هل يجب تأويله أويجوز وقفه على ظاهره من غير تعين المراد ؟ والحق في هذا المقام أن العقل يُوجب أنه لم يثبت في حديث صحيح أوضعيف أنه يجب تأويله، ولا أنه لا يجوز استعمال مثل تلك العبارات في الأمة .

أخبرنى أبوالطاهر[١]عن أبيه قا ل: قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : لم يُنقل عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة من طريق صحيح التصريحُ بوجوب تأويل شـــيء مـــن

---

(١) هوأبوطاهر محمد بن إبراهيم المدني الكردى أشهر مشايخ الشاه ولي الله الذيـــن اخـــذ عنهـــم الحديث في الحرمين الشريفين توفى بالمدينة المنورة ١١٥٤هـــ - وأبوه مسند القرن الحادى عشر وعلامته إبراهيم بن الحسن – له " **الأمم لإيقاظ الهمم** " ساق فيها كثيراً مـــن أوائـــل الكتـــب الحديثية ، وعنها أخذ من ألّف في الأوائل ، توفي الشيخ إبراهيم سنة ١١٠٢هـــ .

ذلك يعنى المتشابهات ، ولا المنع من ذكره . ومن المحال أن يأمر الله تعالى نبيّه بتبليغ ما أنزله إليه، وينّزل عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١] ثم ترك هذا الباب فلا يُميز ما يجوز نسبته إليه تعالى مما لا يجوز، مع حثه على تبليغ الشاهد الغائب ، حتى نقلوا أقواله وأحواله ، وما فعل بحضرته ، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان به على الوجه الذي أراد الله تعالى منها ، وأوجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٢]فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم . انتهى .

هذا الذي حقّقناه هومذهب **أبي الحسن الأشعري** عند التحقيق أقرأني أبوطاهر المدني رضي الله عنه بخط أبيه أن الشيخ **أبا الحسن** قال في كتابه: إني على مذهب **أحمد** في الصفات، وأن الله فوق العرش، وكلام **ابن تيمية** محمول على الأول والثالث.

وإذا رجعنا إلى الوجدان فلا شك أن لله تعالى خصوصية مع العرش ليست مع غيره من مخلوقاته، ولا نجد عبارةً في ذلك أفصح وأقرب من االاستواء على العرش، كما لا نجد عبارة في انكشاف المسموعات والمبصرات أفصح من السمع والبصر، والله أعلم بحقائق الأمور .

وقد ذكر عنه أنه منع السفر لزيارة النبي ﷺ ، ولا يُردُّ كلامه ذلك بدليلٍ صريح صحيح ، فإنّه لم يمنع الزيارة مطلقا بل منع السفر للزيارة بحديث " **لا تشد الرحال** " وبحديث " **لا تتخذوا قبري عيدًا** " فإذا كان لقوله مساغ اجتهاد لاينبغى أن يشدَّد عليه ذلك التشديد .

وقد ذكر انهٔ أنكر وجود القطب والغوث والخضر، والذي يدعيه الشيعة أنه مهدي . وحق له ذلك النفي مادام على شرط من اعتقاد ما ثبت بالكتاب والسنة

= (من تعليقات الشيخ عاشق الهى البرنى على كتاب الفضل المبين)

[١]من سورة المائدة : الآية ٣

[٢]من سورة الشورى : الآية ١١

والإجماع ، والسكوت عمالا يثبت بها ، ويجوز له أن لا يعتقد ذلك ومن أثبت من الصوفية فإنّه لم يُثبت من كتاب وسنة، اللهم إلاّ الكشف وليس من أدلّة الشرع ، والذي أفهم من كلامه أن هذا قول مبتدَعٌ ، باطلٌ اعتقاده من حيث الشرع؛ لقوله عليه السلام " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهوردٌّ** ".

ولوكان قطع بالإنكار لم يستحق التكفير ولا التفسيق أيضاً .

وههنا دقيقة : وهي أنه كم من مسئلة لم يدل عليه الشرع ، لانفياً ولا إثباتاً ، ودل عليه العقلُ كقول يحصل من ضرب العشرة في العشرة المائة ، أوالكشفُ والوجدانُ كقولنا :المحبة الذاتية ثابتة للكل من عبادالله ، وهي ميل الوجود الخاص إلى أصله المطلق من القيود كمثل ميل كل عنصر إلى مقرّه .

وهذه المسائل حقة في الحقيقة ، ولواعتقد إنسان أنها من الشرع كان اعتقاده ذلك خطأً ولو أحلّها محلّ الثابت بالشرع، فأنكر على من لم يقل بها ، أوحاول إثباتها على منكريها كإثبات الشرعيات كان خطأً أيضاً الخ." (١)

هذا هومعتقد الإمام **الدهلوي** في الشيخ، وهومعتقد ***علماء ديوبند*** أيضاً في حقّه وفي أمثاله كما تقدّم عن الشيخ **محمد طيب القاسمي**، وذلك لأن **الإمام الدهلوي** هوقدوتُهم في الدين وعمدتُهم في العلم، وإليه تنتهى سلسلتهم العلمية والعملية، وهو **إمام أهل السنة والجماعة** في شبه القارة الهندية .

والدليل على ذلك ذكر ***علماء ديوبند*** - في مؤلفاتهم وتحقيقاتهم - **الشيخ ابن تيمية** حامل لواء ردّ البدعة ، وتلميذه النابغ الشيخ **ابن قيم الجوزية** بكلمات الإجلال والإكرام مما يليق بشأنهما وعظمتهما ، وهم الأوائل الأفاضل، و الأساطين الأسانيد من هذه الجماعة والطبقة ، وهم لا يزالون يستفيدون بكتب **الشيخين** وتحقيقاتهما، بل يستندون في كلامهم ويحيلون إلى ما كتبا وحقّقا في الموضوع .

---

(١) من مجلة الفرقان الشهرية الأردية الصادرة من لكهنؤ سبتمبر ١٩٧٢م

قال الشيخ **أشرف علي التهانوي:**

"**إنّ ابن القيم وابن تيمية - الأستاذ والتلميذ كليهما - قدتفرّدا بكثير من المسائل، ولذا فإن جماهير العلماء عنهم غير راضين ، ولكن مع هذا إنهم يعظمون علمهم وفضلهم جدّاً** .([1])

وقد ذكر هما **الشيخ** في فتاواه وفي كتبه، واستفاد ونقل من كتبهما وتحقيقاتهما، بألفاظ التكريم والإجلال ففى رسالته " **نهاية الإدراك في أقسام الإشراك** " أورد نقولاً من كتبهما وذكر كلاً منهما بلفظ "**العلامة** "، وقال في موضع : **قال العلامة العارف ابن القيم.** ([2])

وكذا تكرّر ذكرهما في كتاب **إعلاء السنن** - الذي ألف في ضوء ما أفاده **الشيخ التهانوي**، كما هوالمكتوب على لوحة الكتاب، إن لم نقل إنه من تأليف الشيخ **التهانوي** نفسه ومن كتبه- بمثل هذه الكلمات ، كلمات الإكرام والإجلال. ([3])

بل جاء في " **إعلاء السنن** " من ذكر مكانة **ابن القيم** في العلم والدين والتكريم والتبجيل ما لا يتصور فوقه قال الشيخ **ظفر أحمد التهانوي** - بعد أن تكلم في بعض آرائه في التقليد مع التنقيد والتأييد في الجملة :

" وهذا ولم أرد بهذا الكلام الردّ على ابن القيم رحمه الله تعالى حاشا لله فهوأجل وأعظم من أن يتكلم فيه أحد من أمثالنا، فوالله لأن نصير تراب نعليه أرفع لرتبتنا،

([1])الفصل للوصل ، ص: ٢٩

([2])إمداد الفتاوى ، ص: ٨٢/٦ و٨٤ و٨٩

([3]) إعلاء السنن مقدمته المسماة بـ " **قواعد في علوم الحديث** " ، ص: ٣٣ و٦١ ،١١٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦

بل إنما أردت الرد على الذين يحتجون بأجوبته في ذم التقليد، فليفتحوا أعينهم ولينظروا ماذا يفيد كلام زعيمهم." (١)

وقد أكثر ذكرهما – ولا سيما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، حافظ هذه الجماعة المحدث الجليل أنور شاه الكشميري في مصنفاته وأماليه. (٢)

وكذا متكلم هذه الجماعة الشيخ شبير أحمد العثماني سيما في " فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم" (٣).

كما ذكره الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في "بذل المجهود في شرح أبي داود" (٤)، وكثيرا ما يذكرون شيخ الإسلام بلفظ " الحافظ ابن تيمية " ولو كان الكلام في معرض الردّ والنقد عليه بل الإنكار عليه أشد الإنكار، ويذكرونه مع دعاء الرحمة له – ولتلميذه ، وكان المحدث الكشميرى يقول فيه " إنه جبل العلم " و" بحر لا ساحل له "، وقد جاء في بعض أماليه في بيان المصنفات في ردّ البدعة: "ومن تصانيف الحنابلة تصانيف ابن تيمية الذي حمل لواء رد البدعة."(٥)

وجاء من كلام الشيخ خليل أحمد في بعض رسائله: "إن هذين الشيخين عند علمائنا أيضاً من أعاظم العلماء."(٦)

---

(١) قواعد في علوم الحديث – وهي المقدمة الأولى من المقدمات الثلاث للكتاب إعلاء السنن ، ص: ٨٤

(٢) معارف السنن ٢٣٢/١ و١٤٧/٤ و٣٧٢ وفيض الباري ٥٩/١ ، ٦٤ و٤٤٧/٤ وعقيدة الإسلام ، ص: ٩٢ و١٨٤ ، ١٩٨ ، ٣٨٥

(٣) فتح الملهم كتاب الإيمان

(٤)بذل المجهود ٢٣٠/٢ و٧٢/٣ و١٢٥/٥ و١٣٧

(٥) العرف الشذى ٩٦/٢

(٦) الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشيخ محمد منظور النعماني ، ص: ٤٣

ويقول الشيخ **محمد يوسف البنوري** – وهومن أخص تلاميذ الكشميري، وأصحابه وجامع أماليه على الجامع للإمام الترمذي:

"شذوذ **ابن تيمية** في مسائل الطلاق نظير شذوذه في مسائل أخرى ، أصولاً وفروعًا ، وهي كثيرة جدًا ، ومشايخنا مع اعترافه لسعة علمه واستبحاره المدهش، يردّون عليه في شذوذه ، ولا يسايرون معه في شيء." [١]

فأما ما أثر ووُجد عن أحد من هذه الجماعة خلاف ذلك ، فهوإما أن يكون ممن لا يُعد عالما متثبتا ، فلذلك لا عبرة به [٢]، بل هومن الهفوات والهويات، وإن كان قائله عالماً ، محققا متثبتا من هذه الجماعة وأعلامها فلا محالة أن يكون له فيما قاله عذر، وبابه وسيع وله فرد عديد ، وإلاّ فهو زلة مستنكرة ، لم يصدر ممن صدر إلاّ غيرة له على الله تعالى ودينه ، لا عداوةً لأوليائه ومغالبة لخدام دينه، ودليل ذلك ما تقدّم من إجلالهم لهما وما ورد من أنّ القائل بذاك اعتذر لما تنبّه أونبّه .

من ذلك ما ذكره الشيخ عبدالفتاح أبوغدة في تعليقاته على كتاب **"قواعد في علوم الحديث"** للشيخ **ظفر أحمد التهانوي**:- من أنه كتب إلى المؤلف في كلمة جاءت منه في بعض تعليقاته على الكتاب ، في الشيخ **ابن تيمية** ، فكتب إليه: قد كنت أمرت بعض أصحابي أن يضربوا على هذه العبارة في حق **الإمام ابن تيمية** رحمه الله، ولكنه نسي وأنساني الشيطان أن أذكره ، فاضربوه أنتم على هذه العبارة واكتبوا في الهامش :

إن المؤلف قد رجع عن تلك العبارة ، وكانت من هفوات القلم ، وهويستغفرالله ويتوب إليه من سوء الأدب في حق أئمة الإسلام ومنهم الإمام ابن تيمية الحرّاني شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وأدخله وإيانا دارالسلام [٣].

---

[١] معارف السنن ٤٧٣/٥

[٢] مثل ما جاء في كتاب " الفوائد البهية في شرح العقائد النسفية "

[٣]قواعد في علوم الحديث المقدمة الأولى ، ص: ٢٧٢ و٢٢٧٣

أما العذر لهم فمن ذلك ما ذكره الشيخ **محمد يوسف البنوري** وغيره وهوالكلام في المسائل الشاذّة المروية والمشهورة عن الشيخ والرد عليها، ومن الطبيعي أن المرء يذهب وينجرّ إلى التشدّد في مثل ذلك الموقف تحريراً وتقريراً ، ولسانًا وقلماً، ومشافهةً ومغايبة ، وقلّ من كان كلامه خالياً عن هذا في مثل هذه الأمور والمسائل ، بل المتكلم بهذا كثيراً ما يبتلى بالافراط والتفريط ، فيبالغ في الترديد والتثبيت ، ولا يمكن لأحد أن ينكر عن وجود مثل هذا الأسلوب في كلام **الشيخين ابن تيمية وابن القيم** -عليهما الرحمة- (١) أيضاً، فهذا هوالعذر الغالب .

والثاني من ذلك سوء الصيت لهما والاشتهار - في الأنام بين كثير من العوام والخواص بما أساء سمعتهما - منذ زمنهما إلى الآن - وزاد الطين بلةً عدم الإلمام بكتبهم مباشرة فساءت فيهما الظنون وزلت الأقلام، والحال أنه لم يتيسّر الوقوف بمؤلفاتهما لكل أحد إلاّ منذ زمن قريب.

قال الشيخ **مسعود عالم النَدْوي** -أحد العلماء النابغين من الهند في كتابه القيم- **"تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند"** وهو يتحدث حول موضوع **" نصيب السلفية في الهند"**:

"إنّ علماء الهند قديماً وحديثاً - إلا من رحم ربك - ما كانوا يعرفون شيئاً من مصنفات الأئمة الأعلام المحققين أمثال **الإمام ابن تيمية** (ت ٧٢٨هـ) وتلميذه **ابن القيم** (ت ٧٥١هـ) ومن نحا نحوهما من علماء السلف **كمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني** (ت ١١٨٣هـ) **ومحمد بن على الشوكانى** (ت ١٢٥٠هـ) في المتأخرين .

---

(١)راجع لبعض الأمثلة المصدر المذكور، ص: ٢٣٩ و٢٣٦

وكل ما جاءهم من خبر ابن تيمية وآرائه وأفكاره، إنما جاءهم بواسطة الشيخ **أحمد بن حجر المكي** (ت٩٧٤هـ) الذي ما اطّلع على كتب الشيخ بنفسه، وإنما كتب عنها حسب ما رُوي له ، كما قال بعض العلماء والأمر أشهر من قفانبك .

فكان من دأب علمائنا وديدنهم أن يطيلوا لسان القدح في **ابن تيمية** ومن على شاكلته من الأئمة الأعلام، ولم يخل من هذه المعرّة إلاّ نَزْرٌ قليل ممن اغترفوا من بحر علوم **الإمام ولي الله** ، وهذه مصنفات مشايخنا وفقهائنا مشحونة بمطاعن في **شيخ الإسلام**، تنم على قلة علمهم وعدم الاطلاع على مصنفات الشيخ وتلاميذه. [1]

ولم يكن حال غير الهند من البلاد الإسلامية وعلمائها أيضاً مختلفة عما ذكره من سوء الظن بالشيخين وسوء صيتهما – إلى قريب من الزمان بل كانت متقاربة في الجملة ، ومن الأسف نجد بعض الآثار من ذلك إلى الآن حتى اضطر إلى الدفاع عنهما كل عالم محقق وامام مدقق جاء من بعدهما ، وأكثرهم صرّحوا بتفردهما ببعض المسائل، فخالفوهما فيها مع كل إجلال وإكرام لهما ، ومع قولهم بأن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك [2]، وعلى هذا وجدنا أئمة السلفية من السعودية أيضاً مثل الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** وأولاده فقد قال نجل الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** ، **الشيخ عبدالله** في بعض رسائله:

---

[1] تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص: ٢٠٩ و ٢١٠

[2] وقد صرح بذلك الشيخ **ابن تيمية** أيضاً –: ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلاّ رسول الله ، وان كانوا متفاضلين في الهدى ، والنور والإصابة ، ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث لأن الصديق يأخذ من مشكاة النبوة فلا يأخذ إلاّ شيئاً معصوماً محفوظاً، وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطأه. (مجموع الفتاوى ٢/٢٢٧)

"وعندنا أنَّ الإمام ابن القيم وشيخه إماما حقٍّ من أهل السنة ، وكتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلاَّ أنا غير مقلدين لهم في كل مسئلة، فإن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ نبينا محمدا ﷺ ، ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل، منها طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس ، فإنّا نقول به تبعاً للائمة الأربعة ، ونرى الوقف صحيحاً، والنذر جائزاً، ويجب الوفاء به في غير المعصية. [1]

[1] الهدية السنية ، ص: ٤٩ والدرر السنية ١/١١٩

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

وأتباعه

قال الشيخ المحدث عبدالعزيز الدهلوي: وهونجل الإمام الدهلوي الأكبر وكان خليفة أبيه ووارث علومه ، وهوالإمام والقدوة بعد أبيه من هذه السلسلة الكريمة ولهذه الطائفة:

"كان الشيخ عبدالوهاب (١) مسلماً كاملاً صادقاً ، ومتبعاً للسنة ، وكذا ابن تيمية وابن القيم أيضاً كانا مسلمين صادقين كاملين، إلا أنهم كانوا من البشر فمن الممكن منهم الخطأ والغلط، ولن يجوز لنا أن نسيء فيهم القول." (٢)

قاله الشيخ حينما سمع بعض أصحابه يطعنون فيهم، ويطلقون ألسنتهم فتأثر الشيخ بذلك، بحيث أن منعهم عن ذلك أولاً بوضع أصابعه على فمه، وقال : ها ، ها، ومكث على هذا الحال ملياً ثم قال مقالته المذكورة ، وأراد الشيخ بما فعل قبل قوله المنعَ اهتماماً والدلالة على شناعة هذا الفعل .

وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وقد سئل عن حال الشيخ النجدي فأجاب:

---

(١) أراد الشيخ عبدالعزيز – محمد بن عبدالوهاب ، الابن لا الأب ، وإنّما ذكره باسم أبيه لأن كثيرا من الناس كانوا – ولايزالون – يظنون أن اسم الشيخ النجدى عبدالوهاب ، ولذا يذكرون هذا الاسم بصدد الكلام في الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى استعملوا إليه النسبة فقالوا : فلان وهابي، وكذا الوهابية.

(٢) أرواح ثلاثة ، ص: ٤٦

إنّ الناس يقولون في **محمد بن عبدالوهاب** : إنه كان وهابياً ، **كان رجلاً صالحاً،** **وقد سمعت أنه كان على المذهب الحنبلي وعاملاً بالحديث ، وكان يمنع عن البدعة** **والشرك،** إلاّ أنه كان في طبيعته الشدة. (١)

وقال أيضاً :

"إن من يقتدى بمحمد بن عبدالوهاب يُسمى وهابياً ، **كانت عقائدهم صالحة حسنةً ، ومذهبهم في الفقه الحنبلية ،** إلاّ أنه كان في طبيعته التشدّد، والذين يقتدونه صالحون إلاّ المعتدين منهم ففيهم الفساد ، وعقائد الجميع متحدة وإنّما الفرق بينهم في الأعمال بالنسبة إلى المذاهب: الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي.(٢)

وسئل **الشيخ** عن الوهابي وعقيدته وفرقته **ونحوذلك فأجاب بقوله:**

"الوهابي – في هذا الزمن وهذه النواحي يقال لكل متبع للسنة ومتدّين ."(٣)

وقال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

إن في أصل اصطلاح بلاد الهند كان إطلاق الوهابيّ على من ترك تقليد الأئمة رضي الله عنهم، وذلك لأنّهم بلغهم أن الوهابية يخالفون التقليد ويحرّمونه، ثم اتّسع فيه وغلب استعماله في من عمل بالسنة السنية، وترك الأمور المستحدثة الشنيعة والرسوم القبيحة،حتى شاع في بمبائى (أكبر مدن الهند) ونواحيها أن من منع عن سجدة قبور الأولياء وطوافها فهو وهابي ، وإن كان من أكابر أهل الإسلام وعظمائهم.

ثم اتسع فيه حتى صار سبّاً فعلى هذا لوقال أحد من أهل الهند لرجل إنه وهابي، فهو لايدل على أنه فاسدالعقيدة، بل يدل على أنه سنّيّ حنفي عاملٌ بالسنة ، مجتنب عن البدعة ، خائف من الله تعالى في ارتكاب المعصية .

---

(١) الفتاوى الرشيدية ، ص: ٢٣٧

(٢) نفس المصدر ، ص: ٢٣٥

(٣) الفتاوى ، ص: ٩٦

ولما كان مشايخنا رضى الله تعالى عنهم يسعون في إحياء السنة ويُشمرون في اخماد نيران البدعة ، غضب جند إبليس عليهم، وحرّفوا كلامهم وبهتوهم، وافتروا عليهم الافتراءات ورموهم بالوهابية .... تلك سنة الله التي سنّها في خواص أوليائه. (١)

وقال الشيخ أشرف علي التهانوي وقد سئل عن تلقيب أحد بالوهابي فأجاب: "إنّ هذا يوصَف به من يتّبع ابن عبدالوهاب أويوافقه في مسلكه، فلوكان هذا الاتباع أوالموافقة ، مطابقاً للواقع يجوز هذا اللقب وإلاّ فهوكذبٌ ، ومخالفة لقوله تعالى ﴿*ولاتنابزوا بالألقاب*﴾ (٢)

وأيضا قال فيهم : ان النجديين لبسوا كمقلّدي هذه البلاد ولا مثل تاركي التقليد منها بل حالتهم بين بين. (٣)

كل هذا يدل ويبين لنا موقف ***علماء ديوبند*** من الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** وأتباعه ، والتلقب بالوهابي ، كيف ؟ وقد لقبوهم واشتهروا بين المبتدعين من مسلمي شبه القارة بهذا اللقب حتى صار بحيث إنه يوازى ويماثل لفظ "*الدْيُوبَنْدي*" في تعريفهم، فصار اللفظان مترادفين أوكالمترادفين يطلق أحدهما على الآخر ، ويُعرف أحدهما بالآخر .

وما أُثِر عنهم مما يشين **الشيخ وأتباعه** ، الوهابية النجدية من البلاد السعودية، ومما طعنوا به في دينهم وعقيدتهم ، فذلك وما أُثِر عنهم - كذلك - في **الشيخين ابن تيمية وابن القيم** من ذلك ، كله سواء فيما ذكرت لهم من الأعذار .

---

(١) المهنّد على المفنّد ٤،٣

(٢) إمداد الفتاوى ٤/٤٩٥

(٣) أسعد الأبرار ، ص: ٢٩٣

فإن القائل بمثل ذلك إما هو غير متثبت ، أو غير مطلع على عقيدة الشيخ وفكرته بنفسه من كتبه، أو من لقائه ولقاء أتباعه الصادقين وأصحابه الكاملين أو هو متكلم في المسائل الخلافية بين الشيخ وأخلافه وبين العلماء سواهم، وحينئذ فالعذر له الدفاع عما هو الحق عنده وعند جماعته ، بل عند أهل السنة والجماعة حسبما يراه ويعتقد ، بأقصى الوسائل وأكمل الأساليب حتى لم يملك نفسه فشدّد فيه اللسان والكلام، غفر الله تعالى لهم في مثل هذه المسائل .

أما عدم اطلاعهم على عقائد الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** مباشرة بأنفسهم فذلك أنه لم يكن العالم حينذاك مثل ما نراه ونجده اليوم فلم تكن الصلات بين بُلدان العالم- بل بين البلاد العربية والبلاد السعودية أيضاً ، بعضها ببعض - قويةً قريبةً متصلةً مستمرةً بحيث تصل الأخبار من إحداها إلى الأخرى في أقرب أوقات وأصدق أحوال ، فكانت الأخبار تأتي الناس وتصل إليهم في مدة مديدة، وتمر عليها الأحوال في هذه المدة بحيث تتغير حقيقتها أحياناً .

وأكبر وسيلة وأكثرها للوقوف على أحوال البلاد العربية والسعودية ، كانت قوافل الحجاج إلاّ الشاذ والنادر .

ولم يكن جو البلدان العربية والسعودية - حتى الحرمين المكرمين - أيضاً صافياً نقياً ، مُلائماً وموافقًا للوهابية- الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه- بل كان مبتلى بسوء الظنون، ومصاباً بأنواع من الطعون ، فلم يكن الوارد إليها والصادر يرجع إلاّ بسهام مسمومة بذلك في حقّهم وعقيدتهم.

ولم تكن الأسفار سهلةً معتادةً ، ولا الكتب مطبوعةً ميسرةً ، فلم تكن كتب ابن **عبد الوهاب** -ولا كتب **ابن تيمية وابن القيم** رحمهم الله تعالى - قد انتشرت وعمّت، بل المطبوع المتيسر المتداول منها كان معظمها في المخالفة، والردّ عليهم ، مثل

كتب الشيخ ابن دحلان ونحوه ، ومنها حاشية **ابن عابدين الشامي** على الدر المختار أيضاً التي لا تزال متداولة منذ قرنين - تقريباً - بين علماء الهند .

وفي هذه الظروف والأحوال سافر ***علماء ديوبند*** للحج ، وأقاموا هناك لمدة قصيرة -سنة أوسنتين- أوطويلة، أووصل إليهم الوافدون أوالكتب-ضد الشيخ محمد- من الحرمين والبلاد العربية ، وكذا بعض الأسئلة والاستفتاءات وُجّهت إليهم من الحرمين بذكر مساوى ومطاعن في الوهابيين، فلم يقفوا من حقيقة الأمر على شيء رأسا وأصلاً ، أوزمنا طويلاً .

ومن الغريب - أن عدداً من الكتب المؤلفة والمطبوعة من قريب الزمان بأيدى بعض علماء العرب- لم يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه إلاّ بلقبهم المعروف بـ**"الوهابية"**، لا بنسبتهم إلى أهل السنة والجماعة ، بل كفرقة حادثة الزمان تمتاز في إجراء أحكام الدين بالطغيان والعدوان ، ولا تزال مثل هذه الكتب تطبع إلى الآن، وربما لا يقف الرجل الصالح والعالم المتقن أيضاً إلاّ على مثل هذه الكتب .

وسوء التأثر بهم هذا وسوء التصور فيهم لم يكن مختصاً بالمقلّدين ***الدّيوبنديين*** ونحوهم، بل كان فيه كل الناس سواء فإن الذين يرفضون التقليد ويخالفونه من الهند كانوا أيضاً يتبرؤون من الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** وجماعته، ولو كان ذلك في بعض الأمور حتى شنع وشدّد عليه في القول والنكير أعلامهم[1]مثل الشيخ الأمير **صديق حسن البوفالي** في عدة كتبه ، إلاّ أنه حسن ظنه فيه فيما بعد فوصفه بالجميل - مثل ما حصل مع علماء ديوبند تماماً- لكنه لم يذكره و لم يعدّه فيمن قال فيهم: إنهم من مجدّدي القرون الحاضرة المتأخرة [2]، وقد ذكره وذكر دعوته وحركته مرارا في تراجم

---

[1]راجع وقفة مع اللامذهبية ، ص: ٤٢-٦٧ و٣٥٧

[2]التاج المكلل ، ص: ٣٠٠-٣١٠ و٣٢٩ -٣٤٠ (ترجمان وهابية) ، ص: ٣١ (الحطة في ذكر

الأمراء السعوديين من كتابه "التاج المكلل" وغالبه منقول من كتاب " البدر الطالع " للعلامة الشوكاني بكل ما فيه من مثالبه ومن مناقبه أيضاً .

وهذان الأمران - أي عدم المعرفة لعقائد الشيوخ الثلاثة ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى حق المعرفة ، والدفاعُ عما هوالحق عندهم وعند أهل السنة والجماعة في رأيهم- سوَّغا لهم ماسلكوا في هذا الباب من السبيل وانتهجوه من المنهج وأهمهما الأول .

ولذا نرى قد تغير الحال والمقال في حق هؤلاء من علماء هذه الجماعة وأعلامها مع مرور الزمان، وتأخره عما مضى منه ، بعد أن عمت كتبهم في جميع البلاد ، وشاعت في أطراف العالم فوصلت إلى أيديهم أيضاً، واطّلعوا على مافيها فوجدوا الكثير منها يوافق المقبول لديهم، فتراجعوا عن رأيهم السابق المبني على معلومات خاطئة، وأعلنوا التراجع عن الموقف السابق في رسائلهم الخاصة وفي الجرائد. ونورد فيما يأتي رسالتين للعلامة المحدث خليل أحمد السهارنفوري (صاحب بذل المجهود) بعثهما من المدينة المنورة، وبياناً للعلامة المحدث الشيخ حسين أحمد المدني نُشر في جريدة زميندارالاردية.

يقول الشيخ السهارنفوري في رسالةٍ له إلىالأستاذ ظفر علي خان رئيس تحرير صحيفة زميندار وقد نشرت فيها:

" إنه تكثر اللقاءات والمحادثات، وتبادل الآراء والأفكار فيما يتصل بالمسائل الدينية، بيني وبين الشيخ عبد الله بن بلهيد رئيس القضاء الذي يجاور بيته بيتي،

الصحاح الستة) ، ص: ١٥٠ و١٥١ و١٥٣ وراجع لمزيد التفصيل في الموضوع بالنسبة إلى علماء ديوبند وعلماء الهند مقال الشيخ منظور النعماني وقد طبع بالأردية والعربية في مجلة الفرقان ومجلة الداعي ، واستقلالا أيضاً

والرجل عالم ديني كبير، على مذهب أهل السنة والجماعة، يعمل بظاهر الحديث، ذاهبا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، مشغوف بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، كثير الرجوع إليها -وكلا الإمامين من أجلة العلماء عند علمائنا أيضا- شديد الكراهية للبدع والمحدثات، قد جعل عقيدة التوحيد والنبوة أساس إيمانه وأصل عقيدته، وبالجملة فإني لم ألمس -إلى حد تتبعي- أي شذوذ عن عقائد أهل السنة، ومعظم أهل نجد يعرفون تلاوة القرآن، ويكثر فيهم عدد حفاظ القرآن الكريم[1]، يحافظون على الصلاة بالجماعة، وهذه الأيام أيام برد قارس في المدينة المنورة، ولكنهم يواظبون على الحضور حتى في صلاة الفجرمع الجماعة... وعلى كل فإن وضعهم الديني جيد جدا فيما رأيت وعلمت."[2]

أما رسالته الثانية فكان وجّهها إلى الشيخ محمد يعقوب سبط العلامة الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي، وقد نشرتهامجلة النور الشهرية في عددها الصادر في رجب ١٣٤٥هـ، يقول فيها:

"أعتقد أن هذه الحكومة "الحكومة السعودية" ميالة إلى الدين بالنسبة إلى هذا الزمان، وأنها مخلصة في منجزاتها وأعمالها، وما تم من المنجزات الكبيرة ليس فيه ما لايمت -فيما أرى- إلى الدين بصلة ما، وما صدر منها من بعض الزلات الصغيرة، فإنّ ذلك -فيما لمست- يرجع إلى أن الحكومة ينقصها رجال صالحون من أولي الكفاءات الإدارية، مما يسبب تقصيرا في بعض الجوانب الإدارية والتنفيذية، أما السلطان ابن سعود فإنه في ذاته رجل متدين يتصف بغاية من الحكمة والحلم، ولكن الرجل الوحيد لا يستطيع أن يصنع شيئا مالم تكن عنده أيد عاملة ورجال

(١) يشير هذا التعبير من الشيخ -رحمه الله- إلى ما أذيع من الشائعات المكذوبة ضد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وجماعته في الهند، وانظر للتفصيل: "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب"

(٢)" دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص: ٦٢-٦٣

وأعوان، وقد بلغ الأمن إلى أن راحلة أو راحلتين تختلف وحدها فيما بين مكة والمدينة المنورة والينبوع وجدة، ولا يشكو أحد خوفا أو غائلة، أما الشكوى التي تدور فيما بين الجماهير فإنّ مثارها هو تحطيم القباب على القبور والضرائح التي جعلها الجهال -بالإضافة إلى الروافض- أساس دينهم وعقيدتهم، ولكني أرى أن هدمها كان واجبا، ولم تقم الحكومة بهذه الخطوة الجريئة إلا بعد الاستفتاء من علماء المدينة المنورة، وإفتائهم بجواز هذه العملية....“

المدينة المنورة خليل أحمد[السهارنفوري]

تحريرا في ١٢/ ربيع الثاني ١٣٤٥هـ“ (١)

وأما بيان الشيخ حسين أحمد المدني فقد نُشِر في صحيفة: "زميندار" الأردية الصادرة من لاهور في ١٧/ مايو١٩٢٥م، يقول رحمه الله:

"أريد أن أعلن صريحاً دون تلعثم أن الرأي الذي كنت قد أبديته ضد أهل نجد في [كتابي] "رجوم المذنبين" وفي " الشهاب الثاقب" لم يكن يستند إلى كتاباتهم ومؤلفاتهم، بل إنّما كان يستند إلى الشائعات وإلى أقوال مخالفيهم، لكن مؤلفاتهم الموثوق بها - وقد تناولتها بالدراسة - تدل دلالة صارخة على أنهم لايختلفون مع أهل السنة والجماعة ذلك الاختلاف الكبير الذي يتحدث به الناس، بل الاختلاف يقتصر فيما يتعلق ببعض القضايا الفرعية، مما لا يُجيزُ أبدا تكفيرهم، أوتضليلهم، أوتفسيقهم، والله أعلم" (٢).

---

(١)دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ٦٤-٦٥

(٢) فتاوى شيخ الإسلام المدني، ص : ١٧٧و١٧٨. وانظر كتاب: "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب"، ص: ١٢٥

ومن الجدير بالذكر هنا أن أشهر كتب الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** وأعمها نفعاً وتداولاً والذي يعد ترجماناً وبيانًا لعقيدته وفكرته في التوحيد والكلام، " كتاب التوحيد " له وفيه عكس قوي لما جاء في كتاب " **تقوية الإيمان**" للشيخ **إسماعيل بن عبدالغني الشهيد** ، إن لم نقل إنه مثله ، وقد ترجمه الداعية الكبير **الشيخ أبوالحسن على الحسنى النَدْوي** إلى العربية فطبع باسم " **رسالة التوحيد** "، والدواعي والظروف التي اقتضت تأليف الكتابين -" **كتاب التوحيد ورسالة التوحيد** " - وحرضت الشيخين **محمد بن عبدالوهاب النجدي وإسماعيل بن عبدالغني الهندي** على القيام بهذا العمل الجليل الفريد ، متحدة متوافقة ، لا تخفى على من له إلمام بأحوال مسلمي العالم حينذاك، وسيما مسلمي الهند ومسلمي الجزيرة.

وأستحسن هنا أن أقدّم تلخيصاً موجزاً لماورد في كتاب **"دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب"** للعلامة المحدث المناظر **محمد منظور النعماني** رحمه الله مما يصوّر لنا أوضاع البلاد في تلك الفترة، والخلفية الكاملة **لموقف علماء ديوبند من** حركة الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله. (١) يقول الشيخ النعماني:

---

(١) الكتاب المذكور ألفه الشيخ النعماني بالأردية، ثم نقله إلى العربية الأستاذ نور عالم الأميني الندوي،(رئيس تحرير مجلة الداعي حالاً) ويقول الأميني في مقدمة الكتاب: "فإن موضوع هذا الكتاب يرجع إلى مآسي مؤلمة ومهازل مخزية ومبكية، سيجد القراء الكرام تفاصيلها في طي الكتاب، إنها كشف لمؤامرة دقيقة نسجت في غاية من اللباقة والمهارة على يد أعداء الدين، أعداء الله ورسوله ، ودعايات خبيثة كاذبة نالت كل نصيبها من الذيوع والانتشار ، على يد أعداء العقول والأفهام ، من سذج من يدعون أنفسهم مسلمين، وأثرت تأثيرها المطلوب في قلوب المخلصين أيضا فضلاً عن غير المخلصين، ضد حركة عملاقة برزت في جزء من أجزاء أرض الدعوة الإسلامية الأولى: نجد، على يد مؤسسها وقائدها العظيم الشيخ **محمد بن عبد الوهاب النجدي**، تهدف إلى الدعوة إلى التوحيد الخالص النقي، والتمسك بما ثبت بالكتاب والسنة، وإفراد الله بالعبودية والعبادة،

"فإنّ كاتب هذه السطور قد وُلد أواخر ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ومنذ أن جعلت

والعقيدة الإبراهيمية الصافية البيضاء ، ورفض السلطان الكاذب الذي خلعه الجهال والسفهاء ممن ينتمون إلى الإسلام على الأولياء و الصالحين ، والحرب على الخرافات والأوهام ، والبدع والأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا دعا إليها رسوله العظيم، وليس لها قيمة حبة خردل في الميزان ، من عبادة القبور، والعكوف على الأضرحة، والتبرك والاستعانة بها، واللجوء إليها، والنذر والذبح لها، وتقديم القرابين إليها، والطواف حولها ، والتأدب معها، وما إلى ذلك.. وأول من تولوا كبر هذه الدعايات السوداء هم المستعمرون، وعلى رأسهم الإنجليز، وجعلوا الخرافيين في كل مكان أبواقاً لهم وطبولاً، وقد اعتاد الإنجليز أن يطلقوا على كل حركة إصلاحية تستند إلى الكتاب والسنة ، وتنبع من أصل التوحيد الخالص، كلمة "**الوهابية**" وأن يصفوا القائمين عليها بالوهابيين، والمؤسف جدا أن الكلمة قد اكتنفها بفعل الدعايات الهائلة أوضاع خاصة ومفاهيم مدلسة -بفتح اللام- مما جعلها "**سبابا**" أو كلمة عار يعير بها أولو العقيدة الصحيحة..

وقد تأثر بهذه الدعايات الكاذبة، قطاع عريض من المخلصين المؤمنين، والعلماء الصالحين، الذين لا ترتقي إليهم شبهة، فقالوا في كتبهم ومؤلفاتهم - في ضوء معلوماتهم التي ظنوها حقيقة بفعل كثرة التناقل والترداد، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها - في شأن الشيخ النجدي ودعوته وحركته وأتباعه مالا يتفق والواقع ، **ولكن معظمهم تراجعوا عن رأيهم لما علموا أن الصدق والحق في خلاف مابلغهم ، ولكن بعضهم لم تتوفر لهم فرصة الاطلاع على الحقيقة ، كما أن الذين تغيروا عن آرائهم الأولى لا تزال تحمل بعض كتاباتهم بعض ما يحتاج إلى البيان والكشف، مما استغله في يومنا هذا بعض الناس في تقليل شأنهم والحط من مكانهم -وبالتالي من الذين ينتمون إليهم في العلم والفكر والمنهج العلمي، ولا سيما في شبه القارة الهندية - في أعين أتباع الشيخ النجدي في العالم العربي، لإرضاء مطامع وأغراض تافهة، أو تضخيم شخصيتهم، أو رفع قيمة العمل الذي يقومون به في مجال من مجالات الدعوة الإسلامية ، فرأوا أن قيمته سوف لاتتأكد في أذهان الناس مالم ترتسخ في قلوبهم تفاهة أولئك المخلصين، وضآلتهم وخرافيتهم.... وما إلى ذلك من** الأغراض الخسيسة التي لا يقبل عليها المؤمن المخلص الذي يخاف مقام ربه وينهى نفسه عن الهوى.

[دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: تقديم المترجم ص: ٣-٥]

أعي وأعقل، لا حظت في البيئة التي كنت أعيش فيها -ولا سيما في طفولتي- أن الناس يذكرون، "الوهابيين" بأسوء ما يكون من الكلمات، ويتناولونهم بأبشع الصفات، فكنت أفهم من كلامهم أنّ "الوهابيين" أقبح خلق الله سيرةً وسلوكاً، ولايحبون النبي ﷺ ولا عباد الله الصالحين وأولياءه المتقين، بل يُسيئون معهم الأدب، ولا يتحرجون من ممارسة الوقاحة وسوء الاحترام وانتقاص شأنهم.

...وتخرَّجتُ في الكتاب، ودخلت في مدرسة إسلامية في مدينتي، كان مدرّسوها من خريجي دار العلوم ديوبند، وكان الناس يدعونهم "وهابيين".. غير أني ما رأيت في هؤلاء المدرّسين شيئا من الأوصاف الخسيسة، أو التهم الشنيعة التي كان القوم يوجهها إليهم، بل رأيتهم يؤكّدون على طاعة الله ورسوله، وعلى امتثال الشريعة الإسلامية وتطبيقهاعلى الحياة والمجتمع، وبجانب ذلك كانوا يرفضون -بكل شدة – عبادةَ القبور والأولياء، واتخاذَ الأضرحة، والأعياد والمهرجانات التي يقيمها المبتدعة على القبور والأضرحة ، وما إلى ذلك من البدع والخرافات، وإني أحمد الله على أن عشرتي فيهم وجلوسي إليهم. ودراستي لحياتهم واطّلاعي على أحوالهم كل ذلك أكّد لي أن ما اشتهر في الناس عنهم من صفات السوء والنذالة، شيء لا يقوم على أساس.

ثم أُرسلتُ -خارج مدينتي- إلى "دار العلوم" بمؤ، بمديرية أعظم جراه، حيث سعدت بالتلمذة على سيدي الأستاذ الشيخ المربى، مولانا كريم بخش السنبهلي – رحمه الله- ولازمتُه فترةً طويلةً من الزمان ، وكان الرجل من كبار العلماء الراسخين في العلم، والحاذقين في التدريس وقوة التفهيم والإقناع، من تلامذة العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف بـ"شيخ الهند" وكان شديد الغيرة فيما يتصل بالشرك والتوحيد والسنة والبدعة ...

وهو أول رجل -فيما أذكر- وجدتُه يبدى آراء تنم عن الإعجاب بالشيخ

محمد بن عبد الوهاب النجدي وبكتابه **"كتاب التوحيد"** ولعله هو الذي دلني على أنَّ الشخص الذي قام بالدور الفعال المثالي في الدعوة إلى التوحيد وإنقاذ الشعب المسلم من البدع والخرافات، والذي جاهد جهاداً كبيراً ضد عبادة القبور وغيرها -مما يمت بصلة ما إلى الشرك- هو **"محمد بن عبد الوهاب"**وليس **"عبد الوهاب"** كما يظنه الناس عندنا من سوء الفهم ومن الجهل....

وكان ينوّه بـ**"كتاب التوحيد"** ويثنى عليه كثيرا، وبأسلوبٍ كان يدل على أنه باشر قراءته.. وما سمعت أحداً غيره من أساتذتي شيئا عن الكتاب مما يجعلني أعتقد أنهم لم يطالعوه ، ولاغرو ، فإنّه ربما يمكن هؤلاء العلماء قد تأثرو بتلك الدعاية الشنيعة التي قام بها أولئك الذين كانوا يعاندون الشيخ **محمد بن عبد الوهاب النجدي** رحمه الله فكرياً وسياسياً، عبر العالم الإسلامي.. لكن ما سمعتُه من أستاذي الشيخ كريم بخش من الثناء العاطر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتابه **"كتاب التوحيد"** جعلني أحسِنُ به الظن وأعتبره داعية إلى التوحيد والسنة ومجاهداً في سبيل هذه الدعوة كمثل الشيخ **إسماعيل الشهيد** الذي مضى ذكره آنفا. [١]

ثم بقيت فترةً طويلة على ماكنت أعرفه عن الشيخ **محمد**، ولم يحصل لي من المعلومات الجديدة عنه شيء مذكور حتى ظهر كتاب في الموضوع في اللغة الأردية باسم" **محمد بن عبد الوهاب المصلح المفترى عليه**" لمؤلفه الأستاذ **مسعود عالم النَّدْوي** ... والكتاب حصيلة دراسية لمآت من الكتب...

ثم أتيح لي من حين لآخر أن أقرأ كتباً كثيرةً صغيرةً وكبيرةً للشيخ ولبعض رجال أسرته ولتلاميذه وأتباعه وأنصاره، تتحدث عن شخصيته ودعوته في وضوح وتفصيل، كما قرأت في ترجمته مؤلفات لبعض المتحمسين والمناصرين له ولبعض شديدي المناوئين له، وتوصّلْتُ من هذه الدراسة الموسعة إلى أنه ينحو -في فكرته

---

(١) "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص: ١٥-٢٥

ومسلكه- منحى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه كالحافظ ابن القيم وغيره ، إلى حد كبير، وأنه يقف من الرد على الشرك ومحاربته، والدعوة إلى التوحيد الخالص -بفرق يسير- نفس الموقف الذي يقفه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني **الشهيد** في كتابه **"تقوية الإيمان"**.

وأكّدت لي دراستي هذه أن الشيخ **محمد بن عبد الوهاب النجدي** رحمه الله قد واجه نفس الموقف -من الافتراء واختلاق أنواع الأكاذيب والأراجيف- الذي واجهه الشيخ **إسماعيل الشهيد** من المبتدعين والخرافيين والقبوريين ومقدسي الأضرحة (التي يتخذها الشيعة من القصب ومن الأوراق في ذكرى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما).

إنّ دراسة مؤلفات الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** وعلماء جماعته تجلي الحقيقة ولا تدع مجالاً للشك في أنّ دعوة **الشيخ محمد** كانت تهدف -أصلاً إلى إخلاص التوحيد، والعض على السنة بالنواجذ، والجهاد بكل طريق ممكن ضد الشرك والبدع بأنواعهما، وعرض الإسلام في صورته الأصلية نقياً خالصاً صافياً.. *وبالجملة كانت رسالته مبدئياً هي نفس الرسالة التي تقدّم بها الشيخ محمد إسماعيل إلى الطبقة المنحرفة من المسلمين الهنود من خلال كتابه "تقوية الإيمان" وقد حمل لواءها من بعده علماء ديوبند من أمثال الشيخ الإمام محمد قاسم مؤسس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، وزميله العظيم العلامة الإمام رشيد أحمد الكنكوهي، وتلاميذهما ومن خلفهما في الدعوة والمهمة من ألوف العلماء والأفاضل.*

ومن هنالك رماهم - أي علماء ديوبند- علماء "بدايون" و"بريلي" [١]- من الدعاة المتحمسين إلى البدع والخرافات والواقفين من ورائها بكل وسائل وإمكانيات-

(١) مدينتان كبيرتان في ولاية أترابراديش - الهند- من مراكز البدع والخرافات.

"بالوهابية" ودعاهم "وهابيين"(١)؛ لكي يثيروا سخط الجماهير الجهلاء ضدهم ويكسبوا ودهم وولاءهم - وذلك لأنَّ دولاً عديدة كانت تستشعر من "حركة الوهابية" و"الوهابيين" -أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه - خطراً كبيراً على كيانها ؛ إذا أنها رأت أنهم في ازدياد مستمر، وقوة نفوذ، وروح جهاد، وثقلاً سياسياً -وبجانبها طوابير أنصار البدع والخرافات وعباد القبور والأضرحة وأشياعهم من علماء السوء، قد ركزتْ كلَّ إمكانياتها ووسائلها المتاحة على القيام بالدعايات الكثيفة ضد "الوهابيين" "والحركة الوهابية" على حد تعبيرهم في العالم الإسلامي كله من شرقه إلى غربه، *حتى صار المسلمون في كل مكان -بل وبعض الخواص من العلماء المخلصين أيضا الذين لم يكن لهم اطلاع على الموقف- يرون "الوهابيين" أسوأ من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس.*(٢)

وكل ذلك جعل المخلصين من المسلمين من أولي العقيدة الصحيحة أيضا يقعون فريسة سوء الفهم ويتبرأون من الشيخ **محمد** وأتباعه بل ويبدون الكراهية والتقزز منهم، ظناً منهم أنَّ ذلك من متطلبات الإيمان والإسلام والحب لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام.(٣)

دور الإنجليز في مهمة الدعاية ضد الشيخ محمد:

ولابد أن أسجل بهذه المناسبة أن الإنجليز كان لهم دور بارز في هذه الدعاية، وقد استغلوا الوضع المعاكس في الهند للشيخ **محمد**، ورموا كل من عارضهم ووقف في

---

(١) وإن كان هذا الانتماء الكريم لاغضاضة فيه، لكني إنما ذكرت دلالة على أن الخرافيين اتخذوا كلمة "الوهابي" و"الوهابية" كلمة سبة وعار يرمون بها من يعارضونهم ويخالفونهم في الرأي والعقيدة.

(٢) " دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص : ١٥-٢٥ و١٠١-١٠٣

(٣)دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ١٠١-١٠٣

طريقهم ورأوه خطراً على كيانهم بـ"الوهابية" ودعوهم "وها بيين" فقد أشهروا المحاكمة التي أجرؤوها منذ أكثر من قرن و عشرة أعوام ضد علماء "صادق بور" الذين كانوا ينتمون إلى جماعة الإمام **أحمد بن عرفان الشهيد**، والشيخ **إسماعيل الشهيد**، بمحاكمة **"الوهابيين"** وقد درج الكتاب الإنجليز على ذكر هذه المرافعة بهذا العنوان، وكذلك دعا الإنجليز **علماءنا علماء ديوبند** بـ**"الوهابيين"** من أجل معارضتهم السافرة للإنجليز وتضييقهم الخناق عليهم..

وبالجملة فإنَّ الدعاية الشيطانية العالمية التي قام بها أعداء **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** في مجال السياسة والدين والعقيدة والفكر والرأي، قد أثّرت تأثيرها المطلوب على القطاعات الدينية والأوساط الإسلامية التي احتضنت دعوة الشيخ **إسماعيل الشهيد** -من خلال كتابه **"تقوية الإيمان"**- إلى التوحيد الخالص النقي، واتباع السنة المحضة.(١)

ثم وقع هناك حادثٌ مؤلم مضحك ومبكٍ معا زاد الطين بلةً، وهو أن إمام الطائفة المبتدعة الخرافية القبورية في الهند **أحمد رضا خان البريلوي** قد بيت مؤامرة خبيثة في كل لباقة لتكفير أجلة العلماء وكبار المحدثين والفقهاء في الهند،من الحاملين للواء التوحيد والسنة من **"علماء ديوبند"** وغيرهم أمثال **العلامة الكبير الإمام محمد قاسم النانوتوي**، **والمحدث الكبير العلامة رشيد أحمد الكنكوهي**، **والعلامة المحدث خليل أحمد السهارنفوري** صاحب "بذل المجهود في حل أبي داؤد" **والعلامة الشيخ الكبير أشرف علي التهانوي** المعروف بـ"حكيم الأمة"

وقد أعد الرجل -أي أحمد رضا خان- لذلك "فتوى" باللغة العربية، وعزا إلى هؤلاء العلماء عقائد كافرة باطلة، بتحريف في بعض عباراتهم باللغة الأردية،

---

(١) دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ١٠٥-١٠٧

وتحميلها ماشاء من المعاني والمفاهيم باللغة العربية [1] في لباقة ماكرة لا يحسنها إلا من نسي ربه، وفقد كل ذرة من الحياء وتقوى الله، والمروءة والشهامة، زعم في استفتائه - على أساس المعاني التي حمّلها -عباراتهم الأردية - بالعربية حسب ما شاء من تحقيق غرضه وشفاء غيظه، والانتصار لنفسه وبالتالي للشيطان- أن هؤلاء كافرون، وكل من يشك في كفرهم وارتدادهم فهو كافر ومرتد كذلك.

قد أعد هذه "الفتوى" بالعربية، ولرفع قيمتها لدى الشعب المسلم الهندي أراد أن يحصل عليها التوقيع من علماء **الحرمين الشريفين** -زادهم الله تشريفاً- وقد كان متأكداً أن هؤلاء سيوقعون عليها ويصدقونها، لأنهم لا يعرفون اللغة الأردية وليس لهم علم بالموقف.

وتحقيقاً لهذا الغرض الخبيث قام في ١٣٢٣هـ برحلة إلى الحرمين الشريفين، وكان يعرف مدى كراهية علماء الحرمين **"للوهابيين"** -في تلك الفترة- فأكّد لهم -ضربا على وترهم الحساس، بالإضافة إلى الحيل الماكرة الأخرى الكثيرة التي قام بها- **أنّ هؤلاء العلماء الديوبنديين الذين أصدرنا الفتوى بكفرهم، هم من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنهم يحملون لواء "الوهابية" في شبه القارة الهندية.**

---

(١) وها هو ذا يعيد التاريخ نفسه فقام بهذه العملية نفسها جماعة أهل الحديث [المتزعمون للسلفية كذباً وزوراً] في الهند وباكستان، فأثاروا نزاعاً شائكاً حول **دارالعلوم ديوبند وعلمائها والمتخرجين منها والمنتمين إليها**، وما أرادوا بذلك- حسب علمنا والله يتولى السرائر- إلا كسب زيادة التبرعات والعطاءات من دول الخليج لجمعياتهم، التي لم تزل تعادي -في بلادهم- المذاهب الفقهية المعتبرة - وبالأخص المذهب الحنفي- ومؤسساتها التعليمية والتربوية، فالله المستعان على مايصفون. ولولا المصلحة المادية هذه لجهروا بهذا العداء في مؤلفاتهم ومجلاتهم العربية أيضاً، ومن يشك فيما نقول فليجمع مجلاتهم الصادرة بالأردية في كل من الهند وباكستان ، فسيجد فيها مايكفي برهاناً على ما أشرنا إليه.

ولا شك أن حيلة أحمد رضا خان البريلوي بل في التعبير القرآني الإلهي البليغ الدقيق "كيده" و"مكره" قد نجحت كل النجاح، حيث إن علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة قد وافقوا ووقّعوا على فتوى التكفير هذه في كل حماس، وأشادوا بجهوده في سبيل هذا "**الجهاد التكفيري**" ضد "**الوهابيين الهنود**".(١)

وتلك هي الفتوى التي طبعها المبتدعون في الهند في اللغة الأردية باسم "حسام الحرمين" ووزّعوها في أرجاء الهند، وصرخوا وهتفوا بأن علماء الحرمين الشريفين أيضا قد كفروا **علماء ديوبند** العلامة محمد قاسم النانوتوي، والعلامة رشيد أحمد الكنكوهي، والعلامة خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ أشرف علي التهانوي، واعتبروهم مرتدين، ومن لم يكفرهم، أو يشك في كفرهم فهو أيضا كافر يستحق النار.

إن هذه المؤامرة الخبيثة، والدعاية الشيطانية قد أوقعت الشعب المسلم الهندي -الذي لم يكن يعرف الحقيقة- في فتنة عمياء، مما حتم على **علماء ديوبند** أن يفنّدوا التهم التي وجّهها إليهم أحمد رضا خان البريلوي، وأن يجلو موقفهم، ويكشفوا الغبار عن مذهبهم حفاظاً على عقيدة الشعب، وتفادياً به من التورط في الضلال وسوء

---

(١) وربما كان من نتيجة ذلك أنّه عندما أنشأ أحد علمائنا الشيخ **أحمد الفيض آبادي** (وهو أخو الشيخ حسين أحمد المدني) **مدرسة العلوم الشرعية** في المدينة المنورة تصدى لها بعض وجهاء المدينة بحجة أنّها "**مدرسة وهابية**".

يقول الأستاذ عبد الحق النقشبندي: *"السيد أحمد الفيض آبادي أسّس مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٤١هـ زمن خلافة الأشراف فتصدى له الشيخ عبد القادر الشلبي مدير المعارف معترضاً بأنّها مدرسة وهابية، فأغلقت بأمر الحكومة، وبعد التحقيق ظهر أنّ الدروس التي تُلقى فيها كلها هي كتب السنة والفقه على المذاهب الأربعة، وتحفيظ القرآن الكريم، فأذن له بفتحها ثانية.."* [مجلة المنهل- ذو القعدة ١٣٩١هـ ص: ١١٤٨]

العاقبة والمآل، فقاموا بهذا العمل المقدس، وألفوا في ذلك مؤلفات، وأصدروا نشرات وكتابات[1] تكشف اللثام عن التلبيس والتزوير، والتدليس والتدجيل، الذي هو لحمة "حسام الحرمين" وسداه، فاتضحت الحقيقة، وتعرى الواقع، وأشرق الشمس وفرت خفافيش الظلام "**وجاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا**".

وكذلك ألف في الرد على "حسام الحرمين" الشيخ **حسين أحمد المدني**- الذي كان نزيلا حينذاك بالمدينة المنورة [٢] - كتاباً أسماه "**الشهاب الثاقب**"وقد قام فيه بالرد القاطع على تهم أحمد رضاخان وافتراءاته في بسط وتفصيل...

استيلاء ابن سعود على الحرمين الشريفين وقيامه بالإجراءات الإصلاحية:

ولما تم استيلاء ابن سعود على الحرمين الشريفين في ١٩٢٤م، بدأ ينفذ خططه الإصلاحية حسب عقيدته . فهدم القباب على الضرائح، وعاقب الذين كانوا يعكفون على القبور ويتجرون بها، وعمل على القضاء على جميع البدع والمنكرات بقوة الساعد والبنان، ووحد المسلمين على الصلاة بالجماعة خلف إمام واحد بدلاً عن الأئمة الأربعة في المسجد الحرام، فاتحد القبوريون والخرافيون وجميع طبقات المبتدعين في الهند، وأشعلوا من جديد نار الحرب "**بين الوهابيين**" و"**المبتدعين**" التي قد انطفأت بضربات عواصف حركة الخلافة الإسلامية الجبارة ، التي برزت كأكبر حركة إسلامية في الهند والتي وحدت المسلمين في الهند وجعلتهم على رصيف واحد على اختلاف

---

(١)من بين هذه الكتب ''**بسط البنان**'' للشيخ أشرف علي التهانوي، ''**والتصديقات لدفع التلبيسات**'' للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، و''**قطع الوتين**'' و''**الختم على لسان الخصم**'' و''**السحاب المدرار**'' للشيخ مرتضى حسين و''**معركة القلم**'' لكاتب هذه السطور (أي العلامة النعماني)

(٢) دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ص١٠٩-١١٣

الطبقات والمذاهب والمدارس، فلم يكن يهمهم إلا مطاردة الإنجليز من الهند، والجهاد ضدهم بكل طريق ممكن ، فتكاتفا علماء "بدايون" -وهم معروفون بميلهم إلى البدعة وإيمانهم بالخرافية- وعلماء "فرنكي محل" [١]، وأتباع الشيخ أحمد رضا خان إمام الطائفة المبتدعة في الهند، مع أبي الكلام آزاد، وزير المعارف الهندي الأسبق، وعلماء "ديوبند" وندوة العلماء، وطائفة أهل الحديث، وضربوا خلافاتهم عرض الحائط، وتلاشت الصراعات القائمة بين "**الوهابيين**" و "**المبتدعين**" وبين "**الأحناف**" و"**طائفة أهل الحديث**"، فكلهم أصبحوا صفاً واحداً ضد الإنجليز، يذوقون مرارة الحبس والتشريد والاعتقال من الحكومة الإنجليزية على السواء، وعاشوا في جو من الود والوئام نحو أربع سنوات.

لكن اشتعلت الحرب في الهند بين "**الوهابيين**" و"**المبتدعين**" بعدما اتخذت الحكومة النجدية إجراءاتٍ إصلاحيةً في الحجاز على عقيدتها، واتحدت فئات المبتدعين المنتشرة في أرجاء الهند، وضربوا خلافاتهم عرض الحائط، وكوّنوا جبهة موحدة ضد "**الوهابيين**" وتكاتف معهم الشيعة.

وهذه الجبهة الموحدة كانت تقوم ضد الوهابيين بنشر الكتابات والنشرات والإعلانات المثيرة للعواطف، وتنشر في الصحف والمجلات مقالات حماسية مثيرة،

---

(١) "فرنكي محل" هو قصر عظيم ضخم واسع في مدينة لكهنو وهبه عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند المغولي الصالح لأبناء الشيخ قطب الدين الأنصاري وقد نبغ في أبناء الشيخ قطب الدين الأنصاري ابنه العظيم العلامة نظام الدين اللكهنوي، "المتوفي ١١٦١هـ" الذي انتهت إليه رئاسة العلم في الديار الهندية في العهد الأخير، ولا تزال المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية تعض بالنواجذ على المنهج الدراسي الذي أعده الشيخ نظام الدين.. ويعرف بالدرس النظامي أو المنهج النظامي وعلماء كثيرون كالشيخ العلامة الفقيه عبد الحي الفرنكي محلي المتوفي "١٣٠٤هـ"

وتقوم بعقد الحفلات والندوات في كل قرية ومدينة في أرجاء الهند، وكانت تصور الإجراءات التي اتخذتها الحكومة السعودية الوهابية النجدية تصويراً مشوّهاً مفزعاً مؤلماً، فتقول: إن الحكومة السعودية الوهابية قد هدمت ضرائح أهل بيت النبي ﷺ وأساءت الأدب مع قبور الصحابة رضي الله عنهم، وكانوا يلقون خطابات مسعورة مسمومة في الموضوع، مما جعل الهند تقوم وتقعد، وكانت صحيفة "السياسة" الصادرة من لاهور لسان حال هذه الجبهة الموحدة، **كما كانت صحيفة "زميندار" الصادرة من "لاهور" لصاحبها الأستاذ ظفر علي خان، لسان حال "الوهابيين"** [(١)]..

هذه هي قصة الصراع بين المبتدعة وبين علماء ديوبند الوهابيين، وهذه هي الظروف التي ألجأتهم إلى التبرؤ من حركة الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** أول الأمر، ولكنهم متى ما تأكدوا من سلامة أحوال " **الوهابيين النجديين**" وصحة عقيدتهم، واستقامة أمرهم تراجعوا عن التبرؤ، وأعلنوا موقفهم -من الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه - بكل جرأة ووضوح، وقد سبق ما كتبه **العلامة السهارنفوري** إلى علماء الهند، وكذا بيان **العلامة المدني** بتراجعه عن رأيه السابق في الشيخ **محمد بن عبد الوهاب**.

وجملة الكلام أن موقف ***علماء ديوبند*** بالنسبة إلى المشاهير وإلى السلف والعامة من المسلمين واضح، - وهو موقف النصر والتأييد، والحب والتقدير- كما تقدم ذكره ونقله من كلام الشيخ **محمد طيب القاسمي**، وما ذكره الشيخ **خليل أحمد السهارنفوري** فإنّه يقول :

أما تكفير السلف من المسلمين فحاشا أن نكفر أحداً منهم ، بل هوعندنا رفض وابتداع في الدين - وتكفير أهل القبلة من المتبدعين فلا نكفّر هم ما لم يُنكروا حكماً

---

(١)دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص: ١١٨-١٢٢

ضرورياً من ضروريات الدين ، فإذا ثبت إنكار أمر ضروريٍّ من الدين نكفّرهم ونحتاط فيهم، وهذا دأبنا ودأب مشايخنا رحمهم الله تعالى.[1]

كيف وإنهم – لشدة ورعهم ، وغاية احتياطهم في الدين ، وفي المعاملة مع المسلمين – لم يكفّروا و لم يفسّقوا من كفّرهم بل شنّع عليهم الغارة وحمل ضدهم لواء التكفير، وأثار فتنة شديدة ، وأقام معركة حاسمة ضدهم ، لم تُقمع إلى الآن، بل لا تزال هبوبُها تلفح ونارها تحرق جهوداً خالصةً مستقيمةً في سبيل نشر الدين وإشاعته وإحياء السنة وإقامتها .

لا يخفى ذلك على من له معرفة بتاريخ الدعوة الإسلامية والمسلمين في الهند في هذه القرون المتأخرة ، وأن ***علماء ديوبند*** لم يزالوا –ولايزالون بحول الله – الذابين عن الكتاب والسنة، والمدافعين عن الدين والحق، فواجهوا في سبيل ذلك ما واجهه أولياء الله في كل زمان ومكان .

ومع كل ذلك إنهم لم يُكفّروا و لم يُفسّقوا بل رأوا لهم فيما رموهم به مساغاً ومجالاً فلم يُسيئوا فيهم القول ، و لم يفتحوا ألسنتهم فيهم بالشر بل لم يستحسنوه ذلك من أصحابهم فأنكروا عليهم ومنعوهم .

ذكرالشيخ محمد يحيى وكان من أخص خلّص أخوان الشيخ رشيدأحمد وأصفيائه، أنّ الشيخ **رشيد أحمد** قال له مرة: إنّ أحمد رضا خان لايزال يرد عليّ من أمد بعيد فأسمعْني ما يكتب، فقال له : لا أستطيع ذلك قال الشيخ : ولِمَ ؟ قال : فيه السباب .

فقال: الشيخ رشيد أحمد :ولوكان فيه ذلك لا أبالي، فأسمعني من ذلك، فأرى دلائله، لعله قال فيها شيئاً معقولًا فنقبله ونرجع نحن ، لكن الشيخ يحيى اعتذر إليه لشدة أسلوب أحمد رضا. [2]

---

[1] المهنّد على المفنّد ، ص: ١٤ و١٥

[2] أرواح ثلاثة ، ص: ٢٨١

وليلاحظ أن أحمد رضا المذكور هوالذى تولى كبر الحرب بين الحنفية *الديوبندية* والحنفية البريلوية القبورية .

وروي أن أحد العلماء المبتدعين كان اسمه " **فضل رسول** " وكان من كبرائهم فذكره أحد أصفياء الشيخ **محمد قاسم النانوتوي** فغيّر اسمه فقال " **فصل رسول** " (فصل بالصاد المهملة بعد الفاء مكان " فضل" بالضاد المعجمة بعد الفاء) فتوجه إليه الشيخ غاضباً وقال له : الناس ما يسمونه ؟ قال : فضل رسول ، فقال الشيخ : فلم تقول أنت فصل رسول. (١)

وجاء من أقوال الشيخ **التهانوي** في الموضوع -: نحن لا نكفّرهم (أي البريلوية) مع أنهم يكفّروننا، فإن مذهبنا شدة الاحتياط في الحكم بالكفرعلى أحد، وذلك لأنّه لوكان أحد كافرًا حقيقة وفي الواقع ولم نقُل فيه إنه كافر، فما الحرج فيه ؟ ولوقلنا في أحد: إنه كافرٌ ، وكانت الحقيقة خلاف ذلك فهذا أمر خطير.

ولذا فإننا لم نكن نحكم بالكفر على القاديانية وكانوا يكفروننا ، ولكن لمّا تجلّى الحال وانكشف الحقيقة لنا بأنهم يقولون بنبوة المرزا فأفتينا فيهم بالكفر ، لأن هذا كفر صريح ، وما كان قبل ذلك مما سواه فكنّا نؤوّله ولوكان التأويل بعيدًا .

فالبريلوية عندنا من أهل الأهواء ، وأهل الأهواء ليسوا بكفرة .(٢)

تكلم الشيخ بهذا وبمثله عند السؤال عن تكفيرهم ، وردًا على من أصرّ على ذلك من أصحابه، كما رُوى عنه وحُفظ: "نعذرهم فيما يرمونا به نظرًا إلى أن ذلك منهم لا يصدر إلاّ لشدة حبهم وغرامهم بالنبي ﷺ ." (٣)

---

(١)أرواح ثلثة ، ص: ٢٢٩

(٢) ملفوظات كمالات أشرفية ، ص:٣٨٤

(٣) مجلة هدى الشهرية الصادرة من دلهى نوفمبر ١٩٩٥م

أعلام من الهند

المجدد للألف الثاني الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي، والإمام الدهلـــوي الشيخ أحمد بن عبدالرحيم المعروف بولي الله، وأنجاله الكرام وأحفاده العظام ســـيّما الشيخ الشهيد **إسماعيل بن عبدالغني .**

حينما كان العالم يدخل في الألف الثاني من البعثة المحمدية والهجرة النبوية علـــى صاحبها ألف ألف سلام وتحية، وكان فجر الألف الثاني يبدو ويطلع –كانت الهند في أسوء الحال وأفسدهامن جهة العلم والدين، ومن جهة المعرفة بالكتاب والسنة، وبلـــغ الأمر في ذلك بحيث أن كاد أمر الإسلام أن ينقضي منها ، وقضي عليه وعلى المسلمين حقًا فيها .

إذ قيّض الله تعالى للهند ولغربة الإسلام والغرباء المسلمين فيها ، رجـــالاً أفـــذاذاً عباقرةً قلّ أن رُئِي وعُرف نظراؤهم وأمثالهم – في هذه القرون المتـــأخرة– في العـــالم الإسلامي، فتصدوا – بتوفيق الله وعونه–لحفظ الدين ولحماية الكتاب والسنة، وصيانة الإسلام والمسلمين فيها حتى غيّروا تيارات الطغيان والفساد، فانقلب الأمر، و لم تـــزل تتحسّن الأحوال حتى صارت الهند ومسلموها ، وخدماتهم للعلم والدين غبطة لغيرهم من مسلمي بلدان العالم .

وعلى رأس هؤلاء الرجال ثلاثة أئمة ، هداة قادة ، سادة ، بلاريب وإنكار، وهم الإمام الرباني ، المجدد للألف الثاني ، الشيخ **أحمد بن عبدالأحد السرهندي** ، والمحدث الحقّاني الشيخ **عبدالحق الدهلوي** ، والإمام الدهلوي الشيخ **أحمد بـــن عبدالرحيـــم المعروف بولي الله الدهلوي** ، ثم أتباعهم ولاسيما أنجالهم وأحفادهم، وبالأحص **أنجال**

الإمام الدهلوي الثلاثة وحفيده النابغ مثيل جده في موهباته،وهم: الشيخ عبدالعزيز وهوأكبر أولاد الإمام الدهلوي وكان خليفته ونائبه بحق وجدارة، والشيخ عبدالقادر والشيخ رفيع الدين ، أما حفيد الإمام -وابن أخي هؤلاء الثلاثة - فهوالشيخ الداعية المجاهد الشهيدإسماعيل بن عبدالغني ، ومعهم سبطا الشيخ عبدالعزيز الدهلوي الشيخ محمد إسحاق والشيخ محمد يعقوب، وسيما الشيخ إسحاق الذي خلف عن -جدّه لأمه- الشيخ عبدالعزيز لمكانته العلمية ومدرسته .

وعلماء ديوبند لما كانوا يَعدون أنفسهم - ويَعدهم كذلك غيرهم أيضاً - من أتباع هؤلاء الرجال الأئمة رجال العلم والدين من مسلمي الهند وعلمائها ، فهؤلاء الذين هم القدوة لهم ، والأسوة والعمدة ، والسند والمستند ، والعبرة والمعتمد ، ينتسبون إليهم ، ويستندون ويطمئنون إلى آرائهم وأقوالهم ، اكتسبوا من فيوضهم وتعلّموا من بحر علومهم ، إليهم تنتهى سلسلتهم العلمية والعملية ، الاعتقادية والفقهية، وإليهم يوصلون نسبهم العلمى وكسْبهم الروحانى، لا يخالفونهم في منهجهم ومشربهم ومسلكهم قيْد شبر ولا قدر شَعر، ولا يعارضونهم في آرائهم وأقوالهم الأصولية والفروعية، إلاّ في نزر يسير وليس ذلك إلاّ على دأب العلماء المحقّقين الذين يوافقون فيتبعون ويقلدون ، وإذا وجدوا الأدلة - في بعض المسائل - على خلاف ماذهب إليه الإمام فيختلفون .

ولذا كانت علوم هؤلاء ومعارفهم وتعاليمهم جلّ ثرواتهم العلمية ، وكلّ حصيلتهم المعرفية، اعتنقوها بل عضوا عليها بالنواجذ، فخدموا وشرّحوا - اختصروا وفصّلوا - دافعوا وحققوا ، ولم يزل الأمر كذلك إلى الآن ، فيُنسبون إلى ما نُسب أولئك الأئمة أوأحد منهم ، ويُرمَون بما رُمي به هؤلاء، كما شاهد العالم ويشاهده وخاصة مسلموا هذه الديار شبه القارة منذ قرن ونصف، بالنسبة إلى الشيخ الشهيد إسماعيل الدهلوي ، فإن المبتدعة لا يزالون منذ زمنه يسبّون *علماء ديوبند* سخطاً عليهم بمالهم من علاقة وثيقة - كماذكرناها - بالشيخ الشهيد وأسرته، فيرمونهم بما

الإمام الدهلوي الثلاثة وحفيده النابغ مثيل جده في موهباته،وهم: الشيخ عبدالعزيز وهوأكبر أولاد الإمام الدهلوي وكان خليفته ونائبه بحق وجدارة، والشيخ عبدالقادر والشيخ رفيع الدين ، أما حفيد الإمام -وابن أخي هؤلاء الثلاثة - فهوالشيخ الداعية المجاهد الشهيدإسماعيل بن عبدالغني ، ومعهم سبطا الشيخ عبدالعزيز الدهلوي الشيخ محمد إسحاق والشيخ محمد يعقوب، وسيما الشيخ إسحاق الذي خلف عن -جدّه لأمه- الشيخ عبدالعزيز لمكانته العلمية ومدرسته .

وعلماء ديوبند لما كانوا يَعدون أنفسهم - ويَعدهم كذلك غيرهم أيضاً - من أتباع هؤلاء الرجال الأئمة رجال العلم والدين من مسلمي الهند وعلمائها ، فهؤلاء الذين هم القدوة لهم ، والأسوة والعمدة ، والسند والمستند ، والعبرة والمعتمد ، ينتسبون إليهم ، ويستندون ويطمئنون إلى آرائهم وأقوالهم ، اكتسبوا من فيوضهم وتعلّموا من بحر علومهم ، إليهم تنتهى سلسلتهم العلمية والعملية ، الاعتقادية والفقهية، وإليهم يوصلون نسبهم العلمى وكسْبهم الروحانى، لا يخالفونهم في منهجهم ومشربهم ومسلكهم قيْد شبر ولا قدر شَعرٍ، ولا يعارضونهم في آرائهم وأقوالهم الأصولية والفروعية، إلاّ في نزر يسير وليس ذلك إلاّ على دأب العلماء المحقّقين الذين يوافقون فيتبعون ويقلدون ، وإذا وجدوا الأدلة - في بعض المسائل - على خلاف ماذهب إليه الإمام فيختلفون .

ولذا كانت علوم هؤلاء ومعارفهم وتعاليمهم جلّ ثرواتهم العلمية ، وكلّ حصيلتهم المعرفية، اعتنقوها بل عضوا عليها بالنواجذ، فخدموا وشرّحوا - اختصروا وفصّلوا - دافعوا وحققوا ، ولم يزل الأمر كذلك إلى الآن ، فيُنْسبون إلى ما نُسب أولئك الأئمة أوأحد منهم ، ويُرمَون بما رُمي به هؤلاء، كما شاهد العالم ويشاهده وخاصة مسلموا هذه الديار شبه القارة منذ قرن ونصف، بالنسبة إلى الشيخ الشهيد إسماعيل الدهلوي ، فإن المبتدعة لا يزالون منذ زمنه يسبّون علماء ديوبند سخطاً عليهم بمالهم من علاقة وثيقة - كماذكرناها - بالشيخ الشهيد وأسرته، فيرمونهم بما

رمَوا به الشيخ ويذكرون أن الشيخ الشهيد هوإمام هذه الطائفة فهو- ونعوذ بالله من ذلك - رأس الكفر والضلال ورئيس هؤلاء الضلاّل، ولهذا كثُر السؤال منهم والقيل والقال لديهم ، بهتاناً وافتراءً كذباً وزوراً ، ومن جانبنا شرحاً وتأييداً و ذباً ودفاعاً عن الشيخ الشهيد **إسماعيل بن عبدالغني** وكتابه " **تقوية الإيمان** ".

فحاشاهم وحاشا أن يعتقد *علماء ديوبند* في هؤلاء الأئمة أوفي أحدٍ منهم بسوء أويسيئون القول، واللسان والقلم فيهم ، سواء في ذلك الإمام الدهلوي ،وحفيده الشهيد، كيف وقد ذكرت أنهم هم العمدة *لعلماء ديوبند* في العلم والدين ، وهم الوصلة والوسيلة لهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فهذه كتبهم ومؤلفاتهم ، رسائلهم وفتاواهم، مقالاتهم ومقولاتهم حافلة بذكرهم وثنائهم ، وببيان علاقتهم معهم، وبكلام الذبّ والدفاع عنهم، من شاء الاطلاع إليه فليراجع ما كتبوا وحرّروا.

نعم إنهم لم يأخذوا -كما هودأب علماء المحققين وشأنهم - بكل صغير وكبير وقليل وكثير ، مما جاء في كلام هؤلاء الأئمة ،، فأخذوا وتركوا معاً ، إلاّ أن الأخذ أكثر ، ولذا نُسبوا ويَنسبون أنفسهم إليهم ، وما تركوه فلم يكن ذلك من غير دليلٍ أوعلى سبيل العناد والمخالفة، بل إنّما لم يحصل لذلك عندهم استناد واعتماد ، وهذا ما سلك عليه وساربهم هؤلاء الأئمة من سبيل العلم والتحقيق ، فهم في ذلك أيضاً متبعون ومقتدون لامخترعون ومبتدِعون .

ومما يجب التنبه له والتنبيه عليه هو- أن غير هؤلاء العلماء وهذه الجماعة أي *جماعة ديوبند* -ممن ينسبون نفوسهم إلى **الإمام الدهلوي** وأسرته ويدّعون أنهم على سيره وطريقه، بل ويزعمون أنهم أشد موافقة له وأكثر متابعة من نجله الأكبر وأبنائه وأحفاده خلاحفيده الشهيد محمد إسماعيل، فإن هؤلاء- حسب زعمهم هم- لم يكونوا على غرار أبيهم. (١).

---

(١)انظر تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص: ١٩٠ - ١٩٢و ١٦١

إنّ نصيب *علماء ديوبند* - بفضل الله وحمده - من اتباع هذا الإمام وأسرته واقتفاء سَيْرهم وسِيَرِهم ومذهبهم ومشربهم ومسلكهم ، أكثر من هؤلاء المدّعين والمتحلين هذه النسبة الكريمة كما تقدم ، وسيأتي أيضاً ، فمن ذلك أن أسرة الإمام كانت معروفةً بالتصوف والسلوك وكذا بيته كان بيت اتباع المذاهب الفقهية والانتماء إلى **الإمام أبي حنيفة** ، فهذان الأمران لم يجمع بينهما - من جميع من ينتسب إلى **الإمام الدهلوي**- إلاّ جماعة *علماء ديوبند* .

وقال الشيخ **محمد طيب القاسمي** وهوبصدد بيان مراد لفظ "*الدِيْوبَنْدي*" ومصداق "*علماء ديوبند*":

إنّما المراد منهم جميع العلماء الذين ينبع فكرهم من فكر الشيخ مجدد الألف الثاني - أحمد بن عبدالأحد السرهندي (م ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ثم فكر الإمام ولي الله أحمد بن عبدالرحيم (م١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م) ويتصل بفكر مؤسّسي جامعة *دارالعلوم ديوبند*.(١)

وقال الشيخ **أنور شاه الكشميري** في الحفلة الترحيبية المنعقدة بجامعة *دارالعلوم ديوبند* بمناسبة قدوم الشيخ السيد رشيد رضا بها:

"إن عصابتنا هذه عصابة على طريقة قديمة، ليست بحديثة، وإسناده في الدين متصل بالصدر الكبير، والبدر المنير، والإمام الشهير الشيخ الأجل ولي الله ابن عبدالرحيم الفاروقي، وحال الشيخ أظهرمن أن يذكر فقد شرقت تصانيفه وغرّبت.(٢)

وقال الشيخ مسعود عالم النَدْوي :

"*الحنفية الدِيْوبَنْدية* ينتسبون إلى الإمام ولي الله الدهلوي بطريق الشيخ محمد قاسم النانوتوي عن الشيخ عبدالغني المجددي عن الشاه عبدالعزيز الدهلوي."(٣)

---

(١) *علماء ديوبند* - اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي

(٢) حالات *جامعة ديوبند* ١٣٣٠ هـ ، ص: ٤٠

وقال الشيخ **أنور** أيضاً – بعد أن ذكر الشيخ الإمام ولي الله وعرّفه إلى الشيخ **السيد رشيد رضا** :

" ثم تبعه على ذلك أولاده وأحفاده ، فمن أولاده الشيخ الأجل الصدر الأكمل الشيخ **عبدالعزيز** ..... ثم خلف الشيخ عبدالعزيز حفيده مفيد العصر ومسنده ، المشتهر في الآفاق الشيخ **محمد إسحاق** وابن أخيه محي السنة العلامة الجليل الشيخ **محمد إسماعيل**، والشيخ عبد العزيز كثيراً مّاكان يتلو ﴿ *الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق* ﴾ نفع الله بهما هذه البلاد .

درس الشيخ **محمد إسحاق** حديث النبي ﷺ فصار رحلة الأقطار، وصنّف الشيخ **محمد إسماعيل** كتباً في الفرق بين السنة والبدعة الظلماء، فأحيى السنة حيث كانت أميتتْ ، ومات شهيداً. (١)

وقال المحدث البارع النابغ من هذه الطبقة والطائفة الشيخ **محمد زكريا** الكاندهلوي في بيان أسانيده وذكر رجال هذا البيت منها:

أما الشيخ الشهير في الآفاق الشاه **محمد إسحاق** بن الشيخ محمد أفضل – فهوالمحدث الأكبر الأجل أبوسليمان ابن بنت المحدث الأجل الرحلة الشاه **عبدالعزيز** الدهلوي ... معروف بالعلم والورع وغير ذلك من الفضائل الجليلة، وانتهت إليه رئاسة الحديث في عصره .

---

(٣)تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص: ١٩١ وليلاحظ أن الشيخ عبدالغني لم يكن تلميذ الشيخ عبدالعزيز مباشرة بل بينهما أبوه والشيخ محمد إسحاق أيضاً

(١) حالات جامعة ديوبند ١٣٣٠هـ، ص :٤٠

وقال: أما مرجع الأسانيد الشاه **عبدالعزيز** فهوأمير المؤمنين في الحديث، الرحلة الإمام ابن الإمام الهمام سيد العارفين، سند الكاملين الشاه ولي الله بن الشاه عبدالرحيم العمرى الدهلوي -فخر المحدثين زينُ المفسرين الملقب بـ **"سراج الهند"**.

وذكر الشيخ الشهيد في صدد بيان تلاميذ الشيخ عبدالعزيز فقال:

منهم ابن أخيه الشاه **محمد إسماعيل** بن الشاه عبدالغني كان من أشد الناس في دين الله وأحفظهم للسنة، يغضب لها ويندب إليها ، ويشنع على البدع وأهلها.(١)

وقد جاء في **"مجموع الفتاوى"** للشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** عدة فتاوى في حق الشيخ الشهيد وكتابه " **تقوية الإيمان** " ، أوفي بعض محتوياته ومندرجاته (٢)، قال فيها: كتاب "**تقوية الإيمان**" كتاب في غاية الجودة والصدق، وموجب لقوة الإيمان وإصلاحه، وماجاء فيه فكله من معاني القرآن والحديث، وكان مؤلفه عبدا (من عبادالله) مقبولاً، وكان مولانا محمد إسحاق الدهلوي ولياً كاملًا محدثًا فقيهاً من خيار المقبولين لدى الله تعالى.

فمن يعتقد فيهما بالكفر أوالفسق فهوبنفسه شيطان وملعون من الله تعالى. (٣)

وقال أيضاً : كان المولوي **محمد إسماعيل** عالمًا ، تقياً قامعاً للبدعة ،محيياً للسنة ، عاملاً كاملاً بالقرآن والسنة، وهادياً للخلق، وكان على هذا الحال طيل حياته حتى استشهد في سبيل الله بأيدى الكفار، فمن كان ظاهر حاله كذلك فهو ولي الله وشهيدٌ، فإنه وليٌّ من الأولياء حسب قوله تعالى ﴿*إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ*﴾(٤)، ومن

---

(١) أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك ١/ ٧٠-٧٢

(٢) الفتاوى الرشيدية ، ص: ٣٩، ٤٤،و٩٣، ٢٣٦، ١٨٤

(٣) نفس المصدر ، ص: ٤١

(٤) سورة الأنفال الآية : ٣٤

أهل الجنة حسب فحوى الحديث "**من قاتل في سبيل الله فواق ناقته فقد وجبت له الجنة**".

فمن كان هكذا في ظاهر حاله متصفاً بالتقوى ثم استشهد في سبيل الله فهو من أهل الجنةوالأولياء المخلصين البتة، فالقول فيه بأنه مردود سبب اللعن في حق القائل، وكذا القول في هذا المقبول بالكفر، قول بكفرِ نفسه....

والحق إنّما عاداه المبتدعة وأهل البدعة؛ لأنّه قلع البدع واستأصلها ببيانها شرحًا وتفصيلاً فخرب أسواقهم ، فسخطوا على صاحب السنة هذا ، وجعلوا يسبّونه ويشتمونه، مثل الروافض؛ فإنّهم يطعنون في أهل السنة والشيخين لأجل العداوة .

وبالجملة أن هؤلاء الطاعنين في حق المولوي **إسماعيل** ملعونون ، لأنّه ورد في الحديث "**إنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**"(١)، وقد علم أنه كان شهيداً، ولياً ، مهبطاً لرحمة الحق تعالى، فبالضرورة أن اللعنة تعود إليهم، فصاروا هم ملعونين مطرودين من الرحمة. فقط والله تعالى أعلم .

وأما كتاب **تقوية الإيمان** فهوكتاب في غاية الجودة ، وبدون مثل ومثال في ردّ الشرك والبدعة ،جلّ استدلاله فيه بالكتاب والأحاديث ، فوضع المرء إياه عنده، وقراءته والعمل به عين الإسلام ، موجب للأجر .

فمن يقول فيه إن وضع المرء ايّاه عنده كفر فهوكافر بنفسه أوفاسقٌ مبتدعٌ ، ومن لم يُدرك محاسنه فذاك من سوء فهمه ونقصه، لامن نقص الكتاب والمؤلف، وقد استحسنه كبار العلماء من أهل الحق وبه يقولون ؛ فلو طعن فيه ضالٌ فهو بنفسه ضالٌ ومضِلٌّ. (٢)

---

(١) مشكاة المصابيح ، ص: ٤١٣ رواه الترمذى وأبوداود

(٢)الفتاوى الرشيدية ، ص: ٤٢

وروي عنه أيضاً أنه قال : كثر به الانتفاع ، وصلح به نحو مائتي ألف وخمسين ألفا من الناس في حياة الشيخ الشهيد ، ولا يدرك قدره فيما انتفع به بعده. (١)

وأقول أكبر وثيقة وأعظم بينة ، وأوثق دليل، على حسن اعتقاد **علماء ديوبند** في هذا البيت بجميع رجاله ، صغيراً وكبيراً من الإمام الدهلوي إلى حفيده الشهيد، مع كمال العظمة والتوقير ونهاية الإجلال والتبجيل ، كتاب " **أرواح ثلاثة** " .

وهو كتاب عجيب ، قلما يوجد له نظير في جمع قصص وحكايات لرجال الدين من العلماء والأعيان، فإنّه جاء من تأليف عدة علماء من هذه الطائفة، جمعًا وزيادةً وتحشيةً ، ويمتاز بأمرين.

الأول: يجمع قصص وحكايات لستين رجلاً ، أكثرهم من أوائل رجال هذه الطائفة وأفاضل نفوسها ، الذين يستند إليهم ويطمئن إليهم ***علماء ديوبند*** وأتباعهم .

والأمر الثاني : إن معظم ما جاء في الكتاب من القصص ذكر برواية ثقات الطائفة والسلسلة وبالسند المتصل إلى صاحب القصة، وهذا أعظم وأهم .

ثم زاده إفادةً وإفاضةً تزينه وتحليه بالحواشي المناسبة- والضرورية في بعض المواضع- من الشيخ **أشرف علي التهانوي** .

فالذى يجدر ذكره هنا وأريد التوجيه والتوجه إليه هوأن ثلث هذا الكتاب مختص بحكايات رجال هذا البيت وثلث الثلث في قصص الشيخ الشهيد، يدل كل قصة منها على علومقامه في الدين، وعلى غاية عظمته ومكانته عند ***علماء ديوبند*** .

فبالجملة كل هذا - مظهر - أويظهر معتقد ***علماء ديوبند*** في هؤلاء الأئمة ، ولم يخالفهم في ذلك أحد منهم ، فأما ما نجد قول حافظ هذه الطائفة الشيخ المحدث **أنور شاه الكشميري:**

---

(١)أرواح ثلاثة ، ص: ٨٢

"في محق الرسومات كتاب للشاه إسماعيل رحمه الله تعالى سماه " **إيضاح الحق الصريح** " وهوأجود من كتابه " **تقوية الإيمان**" فإنّه يحتوي على مضامين علمية ، وكتابه " **تقوية الإيمان** " فيه شدة فقلّ نفعه ، حتى أن بعض الجهلة رموه بالكفر من أجل هذا الكتاب. (١)

فذلك ليس من الازدراء به وبشأنه وتنقيص أمره بشيء ، كيف وقد تقدّم قوله فيه وثناؤه عليه، ولم يفته ذلك هنا أيضاً ، فإنّه لم يذكر ولم يأت بلفظ لايليق بشأنه، وإنّما أراد بيان مكانة الكتابين من العلم والإفادة فقط، بأنه لواختلف أسلوبه لازداد نفعه فوق ما كان وظهر، فإن شدة الأسلوب دائمًا تضرّ المنفعة والانتفاع ، سواء كان في التحرير أوالتقرير[الخطبة]، ويوضح قصد الشيخ نوع إيضاح ، سياقُ قوله هذا في موضع آخر ، ولا يخفى على الناظر هذه الوجهة من الكتاب ، وكان الشيخ الشهيد أيضاً لا يخفى عليه ذلك، فكان يخشى منه إثارة النزاع والقضايا، مع أنه لم يكن يريد ظاهره ، ولا الحكم به على أحد، فإنما أراد ردع الخلق ومنعه عما كانوا عليه من البدع والخرافات، وأعمال الشرك والكفر، واستعمل لذلك أقصى إمكانياته، وانتهى الأمر من ذلك إلى أن بذل روحه في سبيل ذلك بمشهد بالاكوت.

فلم يكن يذهب إلىالحكم بالشرك والكفربكل من هذه الأعمال علىالإطلاق، لأنّه لم يذهب إليه أحدٌ من مشايخه من السلف والخلف، وقد اتفق علماء أهل السنة والجماعة على تأويل آيات وأحاديث وصرفها عن ظاهرها، تدل على إطلاق ذلك بالنسبة إلى مثل هذه الأعمال، ولذا لم يكن يفتي هو ولاشيخه وعمُّه عبدالعزيز - رحمهما الله تعالى- بالكفر والشرك حقيقته فيمن كان مبتلىً بمثل هذه الأعمال فقد

---

(١)فيض الباري ١/ ١٧٠

سُئلا عنه بل وُجّه إلى الشيخ الشهيد أسئلة في ذلك بناءً على ما قال وذكر في كتابه "تقوية الإيمان" فنفى عن المبتلى الشرك، وعندي لكل ذلك شواهد موثوقة لا ترد. (١)

---

(١)وقد حقق هذا – من علماء ديوبند – الشيخ **أشرف علي التهانوي** في رسالته "**نهاية الإدراك في أقسام الإشراك**" استفاد فيها من كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية "اقتضاء الصراط المستقيم" أيضاً فإن الشيخ أيضاً فصّل وحقق في هذا بدون أن يحكم بالكفر في كل عمل، ولأذكر هنا الشواهد التي أشرت إليها في الكتاب – وقبل ذلك أحب أن أذكر ما قاله الشيخ **أنور** في كتاب "**تقوية الإيمان**" – كما جاء في مجموع أقواله – جمعه أحد تلامذته الخلص الشيخ أحمد رضا البجنورى باسم "ملفوظات محدث كشميري" :

وقال الشيخ : إن رسالة مولانا الشاه محمد إسماعيل الشهيد "إيضاح الحق الصريح" رسالته جيدةجدا في رد البدع، ولكن لا أحب كتاب "تقوية الإيمان" كثيراً، فإنّه كتب غالبارعاية لضرورة الوقت ، (ثم ذكر قصة عرضه على جماعة من علماء سأذكرها نقلاً من كتاب "أرواح ثلاثة") ثم قال : وإني لا أرضاه لأنّه وقع كثير من النزاعات لأجل عباراته، وكتابه "منصب إمامت" ورسالته في أصول الفقه أيضاً جيد جداً ، وقد بلغني هذا أي عدم ارتضاء هذا الكتاب من مولانا النانوتوى أيضاً مع أنه كان هالكاً متفانياً في حبه ، وأما أنا فأكثرهم إليّ محبة مولانا الشاه عبدالعزيز ثم الشاه عبدالقادر. (ملفوظات محدث كشميري ، ص: ٢٠٤ و٢٠٥)

وجاء في كتاب "أرواح ثلاثة" في حكاية ٩٥ : قال الراوي : إن المولوي إسماعيل أول ما ألّف كتاب "تقوية الإيمان" كتبه بالعربية، فكانت نسخة منه عندي ونسخة ثانية عند مولانا **الكنكوهي**، وأخرى في مكتبة المولوي نصر الله خان الخورجوي .

ثم كتبه مولانا (إسماعيل) بالأردية، وبعد أن فرغ من كتابته جمع خواص أحبابه فكان منهم السيد **أحمد الشهيد** ، والمولوي **عبدالحي** ، والشاه **إسحاق** ، والمولوي **محمد يعقوب** ، والمولوي **فريد الدين** مرادآبادى، **ومومن خان** (الشاعر الشهير) **وعبدالله خان العلوي**(أستاذ إمام بخش الصهباني والمولوي مملوك علي) فعرض الكتاب عليهم وقال :

قد كتبتُ هذا الكتاب، وأنا أعلم أنه قد جاء فيه نوع من الشدة في الألفاظ في بعض

المواضع ، وفي بعض المواضع وقع (مني) التشدد، وذلك مثلاً أني كتبت من الشرك الجلي ما هو من الشرك الخفي فلذاك أخشى أن طبعه ونشره يثير فتنة وفوضى لا محالة، فلو كنت أقمت هنا (لمدة في الزمان الآتي) لذكرت للناس هذه المضامين تدريجاً وشيئاً فشيئاً في مدة ثمان سنين أوعشر سنين ، لكني الآن أريد الحج وبعد الرجوع من الحج أنا على عزم الجهاد فإني معذور، وأرى أن أحداً غيري لا يحمل ويتحمل هذه المسئولية .

فكتبت هذا الكتاب وسيقع من أجله الفتنة والاختلاف، لكن من المتوقع أنهم يهدؤون ويطمئنون بعد القيل والقال وكثرة الجدال، فهذا ما أرى، فلوأنتم ترون طبعه وإشاعته يطبع ، وإلاّ فيمزق .

فقا ل أحدهم : طبعه ضروري لكن لا بد من التغيير في كذا وكذا ، لكن خالف هذا الرأي المولوي عبدالحي، والشاه إسحاق، وعبدالله خان العلوي ، ومومن خان، وقالوا : لا حاجة فيه إلى تغيير، فتذاكروا في الأمر فيما بينهم، وبعد ذلك اتفقوا على أنه لا حاجة إلى التغيير فليطبع بهيئته الموجودة ، فطبع هذا الكتاب وسافر الشيخ للحج ، وبعد رجوعه من الحج مكث لمدة ستة أشهر حتى ذهب للجهاد ، سمعتُ هذه القصة من المولوي عبدالقيوم وغيره .

(أرواح ثلاثة ، ص: ٨٠ و٨١)

وقال الشيخ **أنور الكشميري:** بلغتني هذه القصة بواسطة موثوقة من أسرة الشيخ الشهيد في نهاية الثقة لا يتصور ولا يمكن فوقها (ملفوظات محدث كشميري ، ص: ٢٠٩)

وفي الفتاوى الرشيدية – مجموع فتاوى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي سوالٌ وُجّه إلى الشيخ الشهيد **محمد إسماعيل** فكتب عليه الجواب إفتاءً، وقُدّم هذا السوال والجواب فيما بعد إلى الشيخ الكنكوهي فصادق عليه وصوّب ، ونصّ السوال والجواب بالفارسية ، أنقله هنا بالترجمة –

السؤال : بعض الأفعال الشركية التي ذكرت في رسالة " **تقوية الإيمان** " مثل النذر لغير الله وتقبيل القبر وإلباس الغلاف القبور، والحلف بغير الله ونحوها – إذا صدرت عن زيد فهل يجوز أن يقال فيه إنه كافر ، وكذا استباحة دمه وماله ، وغير ذلك مما يعامَل به الكفار، أم لا ؟

الجواب : بمجرد صدور ما ذُكر في السوال لا يجوز اعتبار زيد كافراً محضاً ، وكذا المعاملة معه =

مثل الكفار ، فمن يعامل معه كذلك بمجرد صدور الأفعال المذكورة يأثم .

وأما ما جاء في رسالة " **تقوية الإيمان** " فبيانه ما جاء في الحديث الشريف " **إن الإيمان بضع وسبعون شعبة ،أفضلها كلمة لا إله الا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** " وكذا في رواية أخرى "**الحياء شعبة من الإيمان** "، وقد جاء في روايات عديدة مثل ذلك ، بأن الصبر والسماحة وحسن الخلق من شعب الإيمان ، مع أنه كثيراً ما يُرى أن بعض هذه الأمور يوجد في بعض الكفار ، فمثلاً كثير من الكفار يكون صاحب حياء وكثير منهم يكونون ذووا خلق حسن أيضاً ، فإنه لا يجوز لذلك أن يقال لكافر يوجد فيه الحياء مثلا : إنه مؤمن ، ولا يجوز أيضاً أن يعامل معاملة المسلمين (أي لأجل الحياء فيه) إلاّ أنه يُعلم من هذه الأحاديث - البتة - أن الحياء شعبة من الإيمان، وشيء في غاية الرضا عندالحق جلّ وعلا، ومع أن الشخص المذكور غير مرضي لأجل كفره لكن خلقه هذا مرضي عنده ومحبوب لديه.

ولما كان الشرك يقابل الإيمان وهومقابله فلا بد أن يكون له أيضاً شعب مثل شعب الإيمان، فكما أنه لا يجوز أن يقال في زيد : إنه مؤمن ، لأجل مجرّد وجود الحياء فيه، مع أنه ينبغي أن يحسن الخلق والحياء ، فكذلك لا يجوز أن يقال فيه إنه مشرك بمجرد حلفه بغير الله تعالى، مع أنه يُعد فعله هذا من الأفعال الشركية ، ويلزم عليه الإنكار أكثر ما يمكن ، وإهانة هذا الفعل، وإهانة الفاعل خصوصاً.

وذلك لأنه من الممكن وجود شعب كثيرة من الإيمان أيضاً فيه مع هذه الشعبة الشركية، فبهذه الشعب الإيمانية يكون الشخص المذكور مقبولاً عندالله تعالى، إلاّ أن فعله هذا (أي الحلف بغير الله) مردود .

وليلاحظ أن هذا التفصيل ما دام فاعل هذه الأشياء لا يجاهر بها مخالفاً للشرع الشريف ، فإذا أظهر ردّ الشريعة المحمدية ومخالفتها - على صاحبها أفضل الصلوات وأكمل التحيات والتسليمات الزاكيات - مثل أن يقول: لاحاجة لي بالشريعة، أويقول : إني أفعل كذا لامحالة، سواء رضي به محمد ﷺ أم لا؟ أويقول : إن هذا الفعل ممنوع في الشريعة لكن الشريعة ليست لي بل إنّما هي للآخرين، مذهبي الطريقة لا الشريعة، فإذا كان كذلك فحينئذ يصير كافراً

مطلقاً، ويحبط عنه كل ما كان فيه من شعب الإيمان ، وينزل عليه غضب الله تعالى أعاذنا الله وسائر المسلمين من غضب الله وغضب رسوله ﷺ، كتبه **محمد إسماعيل** مصنف " **تقوية الإيمان** » – عفي عنه ـ في شاهجهان آباد (أي دلهي) كتبه في ١٢/جمادى الأول ١٢٤٠هـ انتهى .

(الفتاوى الرشيدية ، ص: ٤٤ -٤٦)

وجاء في " **الفتاوى العزيزية** " مجموع فتاوى الشيخ **عبدالعزيز الدهلوي** سؤال وجواب يؤيد ما أجاب به الشيخ الشهيد .

السؤال : هل يُكفر من يطوف بالقبور أم لا ؟

الجواب : إن الطواف بقبور الصلحاء والأولياء بدعة بلا شبهة ، لأنه لم يكن في الزمان السابق ، إلا أنه اختلف فيه هل هوحرام أم مباح ؟ فذكر البعض في كتب الفقه أنه مباح ، والحق أنه لايباح ؛ لأنه يلزم فيه مشابهة الكفار فإنهم يطوفون بالأصنام ، وأيضاً إن الطواف لم يُعهد في الشرع إلاّ للكعبة ، فتشبيه قبر الصالح بها غير مستحسن – لكن القول بكفر من يعمله، وإخراجه من دائرة الإسلام شنيع وقبيح جداً، وكذلك التكفير في حق المكفّر قبيح جدًا فقط .

(الفتاوى العزيزية ٢/١٠٤)

أقول : وبه صرّح الشيخ **محمد إسماعيل** في كتابه النبيل ، القيم النافع الممتع في بيان السنة والبدعة وتحقيقهما" **إيضاح الحق الصريح في أحكام الميّت والضريح** " والكتاب بالفارسية .

(راجع ، ص: ٥٤ و٥٥ – من الكتاب المذكور)

وليلاحظ أنه كما أن كتابه " **تقوية الإيمان** " أشهر مؤلفاته ، اشتهر به بين الأنام ، ويعد ترجمانًا عن فكره ومشربه ، كذلك كتاب الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** " **كتاب التوحيد** " أشهر مؤلفاته ويُعد أساساً لدعوته ومبنى حركته، وكتاب الشيخ **إسماعيل** مسبوق بكتاب الشيخ **محمد ابن عبدالوهاب** بمائة سنة تقريباً، ووضعه الشيخ أصلاً وأوّلاً بالعربية ثم نقل الباب الأول منه إلى الأردية وسمّى الأصل " **رد الإشراك** " وما ترجمه إلى الأردية هوما طُبع واشتهر وراج بل نال القبول باسم " **تقوية الإيمان** " ولما كان أصله العربي مفقوداً غير مطبوع ـ لايسمع له ذكر ولا يدرى له خبر، فنقله إلى العربية الشيخ أبوالحسن علي الحسني النَدْوي وسماه "**رسالة التوحيد**"

هذا هوالمعروف من أمر هذا الكتاب بالنسبة إلى أصله العربي ، لكن أخيرًا قد عثر بعض العلماء ببعض نسخ من الأصل العربي فاعتنوا به تحقيقاً وإخراجاً حتى طُبع ذلك الأصل العربي أيضــاً بباكستان سنة ١٩٨٣ م وذلك باسمه الذي سماه مؤلفه أي " **ردّ الإشراك** "

والكتابان – تقوية الإيمان وكتاب التوحيد – من منوال واحــد في الهــدف والنزعــات والعواطف، التي تسببت للتأليف في هذا الموضوع الخطير بالأسلوب المريــر – مــع اختــلاف أساليبهما في بيان المحتويات – وكل واحد منهما نظير الآخر، كما أنهما نظـــيرا أنفســهما في الموضوع، مع أنه لم يؤخذ أحدهما من الآخر لا كلاً ولا بعضًا .

ثم رأينا أن الشيخ محمد إسماعيل لم يذهب إلى تكفير المسلمين إطلاقًا بابتلائهم بما ذكر من المكفِّرات في كتبه، بل مذهبه في ذلك ما ذكره في فتواه وفي كتابه " **إيضاح الحق الصريــح في أحكام الميت والضريح** ".

والمهم الذي أقصد ذكره هنا أن **ذلك هومذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده في هــذه المسئلة ، فإنّهم أيضاً لايذهبون إلى تكفير المسلمين وتكفير من ينسب إلى الإســـلام إطلاقــا بابتلائهم بالأعمال المكفِّرة، وبارتكابهم ما نُسب إلى الكفر وأطلق عليه لفظ الكفر أوالشرك في الآيات والروايات**، وقد جاء ذلك واضحًا وصريحًا في رسالة الشيخ **عبدالله بن محمد**- ابــن شيخ الإسلام ونجله التي ألّفها في ردّ المفتريات فقد قال فيها :

فإن قلت : ما تقول في الحلف بغير الله والتوسل به ؟ قلت : نــظر إلى حـــال المقســم إن قصد به التعظيم كتعظيم الله أوأشد كما يقع لبعض غلاة المشركين من زماننا إذا اســـتحلفه بشيخه أي معبوده الذي يعتمد في جميع أموره عليه لا يرضى أن يحلف إذا كان كاذباً أوشاكاً وإذا استحلف بالله فقد رضي، فهوكافر من أقبح المشركين وأجهلهم إجماعاً، وإن لم يقصــد التعظيم بل سبق لسانه عليه ، فهذا ليس بشرك أكبر فينهى عنه ويُزجر ، ويؤمـــر صاحبــه بالاستغفار من تلك الهفوة .

وأما التوسل: وهو أن يقول القائل : اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد ﷺ ، أوبحق نبيك، أوبجاه عبادك الصالحين ، أوبحق عبدك فلان، فهذا من أقسام البدعة المذمومة ، ولم يرد بذلك نص ، كرفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ

(الهدية السنية ، ص: ٤٢ و٤٣ والدرر السنية ٢٢٤/١)

وقال أيضاً: فإن قال قائل منفر عن قبول الحق والإذعان له : يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال : يا رسول الله أسألك الشفاعة أنه مشرك مهدر الدم - أن يقال بكفر غالب الأمة، ولا سيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعتبرين أن ذلك مندوب وشنّوا الغارة على من خالف ذلك .

قلت :لا يلزم ذلك؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما هومقرّر ، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسّمة، وإن قلنا بجهة العلو كما ورد الحديث بذلك ، ونحن نقول فيمن مات ﴿تلك أمة قدخلت﴾ ولا نكفر إلاّ من بلغتْه دعوتنا للحق ، ووضحت له المحجة ، ووقعت عليه الحجة وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم ، يصرّون على ذلك الإشراك ، يمتنعون من فعل الواجبات ، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات الخ.

فإن قلت : هذا فيمن ذهل فلما نبّه انتبه ، فما القول فيمن حرّر الأدلة واطلع على كلام الأئمة القدوة ، واستمر مصراً على ذلك حتى مات ؟

قلت : ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر ، ولا نقول :إنّه كافر ولا لما تقدم أنه مخطئ وإن استمرّ على خطأه ؛لعدم من يناضل في هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة ، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً، ومن اطّلع عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن في قلبه الخ .

(الهدية السنية (، ص: ٤٤-٤٦)

وقال الإمام عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود في رسالته:

"والشرك شركان، أكبر: وله أنواع ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً . وشرك أصغر: كالرياء والسمعة، ومنه الحلف بغير الله . والشرك الأصغر لا يُخْرِجُ عن الملة ، وتجب التوبة منه ومن كل ذنب. (الهدية السنية ، ص: ٢٥)

الحب العميق للنبي المصطفى

علیه أفضل الصلوات والتسليم

وقد عُرف الشعب المسلم الهندي في تاريخه الطويل -ولا أزكّي على الله أحدا، إنّما هو تحديث بالنعمة، وتقرير الواقع التاريخي- بقوة عاطفته الدينية، وحبه العميق، المتغلغل في الأحشاء لرسول الله ﷺ، وارتباطه بمهد الإسلام ومركزه، وذلك الذي حماه من أن يذوب ويُفقد شخصيتَه، كما كان الشأن مع الشعوب التي دخلت في هذه البلاد في فترات مختلفة، وأبدى اهتمامه الشديد بقضايا الإسلام والمسلمين في الزمن الأخير، قد تبنى قضية الدفاع عن الخلافة العثمانية بحماس منقطع النظير، ولا تزال "حركة الخلافة" التي كان لها فضل كبير في إثارة الوعي السياسي والوطني في شبه القارة الهندية، كبرى حركات الهند الشعبية، وموضع دهشة المستعمرين، وموضوع المؤرخين والمؤلفين، وكذلك أبدى اهتمامه الشديد بقضية فلسطين، والمسجد الأقصى المبارك، وكان مرهف الحس، رقيق الشعور، شديد الانفعالية في كل ما يقلق المسلمين في مشاررق الأرض ومغاربها.

الندوي

[المسلمون في الهند، ص: ٢٢٣-٢٢٤]

المتفرقات

فقد تكفّل حركةَ نشر العقيدة الصحيحة في التوحيــد واتبـاع السنّة والتجنّب عن الأعمال الشركية، والغلو والمبالغة في التعظيم، مدرسةٌ عقائديـةٌ، تعليميّةٌ، تربويّةٌ ، قياديّةٌ، تُعرف-بشكلٍ عامٍ وإطارٍ واسعٍ- بـــ "مدرسة ديوبند"، قد قاد هذه الحركةَ الإيجابيةَ، الإصلاحيةَ، والبنّائيـةَ، والتربويـةَ ، والنشريةَ، على مستوىً شعبيٍّ، توجيهيٍّ، واستدلاليٍّ، علميٍّ، قويٍّ وواسـع "معهدُ ديوبند" ،مؤسّسوه و منشئوه والمتخرّجون منه، والمنتمون إليه ، وقـد أمدّتهم - في الانتصار والانتماء إليهم و الاعتزاز بهم - قيـادةُ المنتمين إلى ديوبند وقادة حركتها وإدارتها، لحركة تحرير البلاد، ومحاربة السلطة الإنجليزية والاستعمار، ثم استقامتُهم في الدين، وتجرُّدُهم عن المطامع والشهوات بصفـة غالبة ، وصلاحُهم واستقامتُهم على السُّنة، ونفورُهم عن البدعِ والمحدثـات، وإنكارُهم الصريحُ القويُّ على ما شاع في شبه القارة الهنديـة من تقليـد غير المسلمين في إطار المهرجانات، والأعيـادِ والمواسـمِ، وزيـارةِ المشـاهد وتقديسِها، ولُقّبوا بـ "الوهابية"، وقوطع كثيرٌ منهـم ، وحـورِب حربـاً شعواء، ولكن لم يُضعِف كلُّ ذلك من صمودهم ، واستقامتهم وصراحتِهـم، واعتزازهم بعقيدتهم، والثباتِ على موقفهم.

العلامة النّدوي

من مقدمة الكتاب

قراءة الفاتحة والقرآن على القبور

قال الشيخ محمد بن عبدالرحمن الدمشقي العثماني الشافعي في كتابه "**رحمة الأمة في اختلاف الأئمة**".

وأجمعوا على أنَّ الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت ويصل إليه ثوابه، وقراءة القرآن عند القبر مستحبة. (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاواه:

"وأمّا القراءة الدائمة على القبور فلم تكن معروفة عند السلف ، وقـد تـنـازع الناس في القراءة على القبر ، فكرهها **أبوحنيفة ومالك وأحمد** في أكثر الروايات عنـه، **ورخّص فيها في الرواية المتأخرة ؛ لمابلغه أنَّ عبدالله بن عمر أوصى أن يُقرأ عند دفنه بفواتح البقرة وخواتمها**. (٢)

وأمّا مذهب **الحنفية في ذلك فقد جاء في رد المحتار**:

"لايكره الجلوس للقراءة على القبر في المختار لتأدية القراءة على الوجه المطلـوب بالسكينة والتدبّر والاتعاظ." (٣)

وفي الفتاوى الهندية : "قراءة القرآن على القبور عند محمد لا يُكره ، ومشـايخنا رحمهم الله تعالى أخذوا بقوله. " (٤)

---

(١) رحمة الأمة ، ص: ٩٢

(٢)مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣١٧/٢٤

(٣)ردّ المحتار ٢٤٦/٢

(٤)الفتاوى الهندية ١٦٦/١

وهذا المذكور هو موقف *علماء ديوبند* ومذهبهم في باب القراءة عند القبور كما حكاه ذلك مصرّحاً في فتاواهم. (١)

---

(١)الفتاوى الرشيدية ، ص: ٢٢٧ و٢٢٨ و٢٣٣، وإمداد الفتاوى:١٩٣/٦ وقال العلامة ابن القيم في كتابه " الروح " وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن: قال عبدالحق يُروى أن عبدالله بن عمر أمر أن يُقرأ عند قبره سورة البقرة ، وممن رأى ذلك المعلى بن عبدالرحمن، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ، ثم رجع عن ذلك. **وقال أيضاً**: وذكر الخلال عن الشعبي قال : **كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن**. (الروح : ١٠و١١)

وفيه روايات وردت مرفوعة عن ابن عمر، ومعقل بن يسار وعلي وأبي هريرة وأنس وأبي بكر رضي الله عنهم، استوعبها الإمام السيوطي في (شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور) وذكرها البيهقي وابن القيم في (الروح)وصاحب التحفة أيضاً وغيرهم .

وفيه روي موقوفا أيضاً عن ابن عمر وغيره .

وهي كلها- أوغالبها ضعيف- لكن الأمر والحكم كما قال الحافظ شمس الدين بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي والحافظ جلال الدين السيوطي " **هذه الأحاديث وإن كانت ضعيفةً فمجموعها يدل على أنّ لذلك أصلاً** ." (انظر تحفة الأحوذي ٣٤٠/٣)

وأشهر هذه الروايات والآثار وأحسنها ، رواية ابن عمر أخرجها البيهقي في الشعب مرفوعاً وفي " السنن " موقوفاً وصحّحه ، ورواه ابن أبي شيبة ، والمروزي في الجنائز ، وأبوذر الهروي في الفضائل، ورواه الطبراني في المعجم الكبير وذكره ابن القيم في الروح والنووي في الأذكار وقال : إسناد حسن.وقال الهيثمي رجاله موثقون .

(انظر مشكاة المصابيح: ٨١/٤، والسنن الكبرى: ٥٦/٤، والدر المنثور :٥٤٠/١ ومجمع الزوائد: ٤٧/٣، والروح ، ص: ١٠ ، والأذكار ، ص: ١٣٧)

وقد اعتبره واعتمده الإمام أحمد فقد روي عنه أنه كان ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع عن ذلك – كما ذكره ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٣١٧/٢٤) وابن القيم في الروح،

رؤية الموتى يقظة

إنّ ظهور الميت بعد موته ورؤيته للأحياء ، ليس بمختص بالأنبياء ونبينا محمد ﷺ، وقد تقدم معتقد *علماء ديوبند* في مسئلة رؤية النبي ﷺ يقظةً ، وهومعتقدهم في غيره أيضاً لأنّ الأرواح أحوالها متجانسة مثل أحوال الأبدان. وهذا ما يحمل عليه ما جاء من ذكر وقائع وقصص لرؤية الأموات من **علماء هذه الجماعة** وغيرها في كتابات *الديوبنديين*، وهذا ما كان يقول به ويذهب إليه **الإمام ولي الله الدهلوي** وقد ذكر في كتبه وقائع من هذا القبيل. (١)

ص: ١٠، وابن قدامه: في المغني ٥٦٧/٢ وروى الخلال بسنده قصة رجوعه انظر الروح ص:١٠

أقول : فثبوت هذا الأمر - والخبر ولو موقوفاً مما يؤيد ويقتضي ثبوته مرفوعاً أيضاً، وكان عليه الأنصار كما روي عن الشعبي بألفاظ مختلفة - رواه الخلال وابن أبي شيبة والمروزي في الجنائز وأبوذر الهروي في الفضائل وابن أبي داود (كما في الروح ، ص: ١١ والدر المنثور ٥٤/١ والأذكار ، ص: ١٢٣) مع أنه من مراسيله وفيه مجالدٌ - لكن مع ذلك اعتمده الإمام النووي وابن القيم وغيرهما أيضاً .

وأثر ابن عمر، دليل حواز القراءة وثبوتها عندالقبور، وقال ابن القيم : قوله ﷺ "اقرأوا يس عند موتاكم" ، يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله " لقّنوا موتاكم لا إله إلاّ الله " ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبور. (الروح ص١١)

أقول : والاحتمال الثاني يؤيّده أثر ابن عمر وغيره من الأخبار

(١)فيوض الحرمين ، ص: ٢٧-٢٩ و٤٠و٤٤ ،و الفضل المبين والدر الثمين) ، ص: ١٥٢ و١٦٠ و أنفاس العارفين ، ص: ٥ و٧و٤٢ و٤٤

يقول الشيخ التهانوي بعد أن ذكر قصة ظهـور روح الشـيخ **محمـد قاسـم النانوتوي** مؤسس جامعة *ديوبند* لعميد الجامعة حينذاك وهوالشيخ **رفيع الدين** وذلك يقظة:

"إن ذلك تمثلاً للروح ، وهذا التمثل له صورتان ، الأولى أنّ الجسد كان مثاليـاً مشابها للجسد العنصري ، والثانية: أنّ الروح ركّب جسداً له من العناصر بعد تصرّفه فيها لكن هذا الجسد المركّب يحلل إلى ما تركب منها من العناصر." (١)

ولا شك أنّ رؤية الموتى بتمثل أرواحهم أجساداً خلافٌ للعادة وخرق لها، فذلك من باب الخوارق المعتبرة المسماة بالمعجزة أوالكرامة، وقد ذكر **الشيخ ابن تيميـة** في بيان الخوارق :

"ما كان من الخوارق من باب العلم ، فتارةً بأن يسمع العبد مالايسمع غيره، وتارة بأن يرى ما لايرى غيره يقظةً أومنامًا..." الخ (٢)

ولذلك ذكر المحدثون والمحقّقون رؤية الصحابة الملائكةَ يقظة في بعض الغـزوات، وغيرها من الكرامات (٣) لأنّ ذلك من جنس رؤية ما لا يراه الإنسان عادة.

---

(١) الأرواح الثلاثة ، ص: ٢٤٣

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣١٢/١١

(٣) مشكاة المصابيح كتاب الفتن باب المعجزات والكرامات ومرقاة المفاتيح ١٦٦/١١

العمل بالسنة

وتحقيق السنة والبدعة

قال الشيخ محمد طيب القاسمي :

إنَّ الأمر الأساسي في مسلك *علماء ديوبند* بالنسبة إلى السنة هوأنهم يعتقدون أنَّ السنة هي بيان للقرآن الكريم، والمصدر الأساسي الثاني للشريعة، فلا يرضون بترك حديث ولوكان ضعيفاً ، بشرط أن يكون صالحًا للاحتجاج (أي عند علماء الفن)، ولذا فأول جهودهم في الأحاديث المتعارضة هو التطبيق والتوفيق والجمع بين الروايات دون تركها والإعراض عنها، ليكون كل حديث معمولاً به قدر الإمكان ، ولا يكون متروكاً، لأن الأولى عندهم في باب الروايات هوالأعمال دون الإهمال.[1]

وقال الشيخ **أشرف علي التهانوي** وقد سئل عن البدعة وتقسيمها وبعض الأعمال المعتبرة في الشريعة والرائجة عند الصوفية فأجاب:

"إنَّ القاعدة الكلية في هذا الباب ما لايكون من الدين -كلياً أوجزئياً - فجعله من الدين واعتقاده كذلك، علماً وعملاً لاعتزاء شبهة، بدعةٌ لأجل مزاحمة الأحكام الشرعية.

ودليل ذلك الحديث الصحيح "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ** " ففي هذا الحديث كلمة "**من**" وكذا "**في**" تدلان على هذا المدعى صراحة.

---

[1] *علماء ديوبند* ، ص: ١٤٧

والبدعة الحقيقية لا تكون إلاّ سيئةً، فأمّا البدعة الحسنة فهي بدعة صورية ، وسنة حقيقية، لدخولها تحت كلية (وانضمامها إليها)؛ ولذا فإثبات تقسيم البدعة إلى الحسنة والسيئة ونفيه إنّما هومن النزاع اللفظي، فإن الإثبات نظرًا إلى الصورة ، ونفيهٗ بناءً على الحقيقة ولا مشاحة في الاصطلاح. (١)

وقال في رسالته **"إعداد الجنة للتوقي عن الشبهة في إعداد البدعة والسنة"**، بعد أن نقل عبارات للفقهاء تبين لنا منها عدة تعاريف للسنة،وكذا لما يقابلها وهي البدعة:

"وفي الحقيقة أنّ معنى السنة **"هي الطريقة المسلوكة في الدين"** - كما هومذكور بعد العبارة الأولى بأسطر - ومعنى البدعة **"اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول لا لمعاندة بل بنوع شبهة"**.

وبعبارة أخرى: ما أحدث على خلاف الحق المُتلقّى عن رسول الله ﷺ من علم، أوعمل أوحال الخ كذا في "الدر المختار ورد المحتار" في بحث الإمامة.

قلت : هذا التلقّي عامٌ ، كان بواسطة الأدلة الشرعية أم بلا واسطة ، كما هومعلوم من القواعد .

وهذا المعنى الحقيقي للبدعة مرادٌ في قوله ﷺ **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه.."** الحديث، أي أدخل في الدين ما ليس من الدين، والثابت بالأدلة داخل في الدين لا خارجٌ منه.(٢)

وقال أيضاً: إنّما حقيقة البدعة أن يفعل المرء شيئا ويختاره مُعتقداً أنّه من الدين، فلواختاره معالجة (تدبيرًا لأمرٍ من أمور الدين) فكيف لا يكون من الدين.

فههنا أمران : إحداثٌ للدين ، وإحداثٌ في الدين، فالإحداث للدين سنةٌ معنًى والإحداث في الدين بدعة. (٣)

---

(١)إمداد الفتاوى ٢٨٥/٥

(٢)بوادر النوادر ، ص: ٦٧٨

(٣)بوادر النوادر ، ص: ٧٧٨

ويوضح هذا الكلام المختصر أوالمجمل قوله :

"اعلم أنَّ ما حدث وأحدِث من الأمور بعد خير القرون على نوعين.

النوع الأول: ما يكون سببه وداعيه أيضاً جديداً مثله ، لكنّه يتوقف عليه شيء مأمور به من الشرع (وفي الدين) بحيث إنه لا يمكن الإتيان بذلك المأمور به إلاّ باختيار أمرٍ مُحدَثٍ (في أصله وذاته) مثل تصنيف الكتب الدينية، وتأليفها، وبناء المدارس وزوايا الصوفية، فإنّه لم يكن يوجد شيء منه في زمنه ﷺ ، فالسبب جديد وهذه الأشياء يتوقف عليها مأمور به (من الدين وهوحفظ الدين ونشره وإشاعته بعد تغير الأحوال والظروف بالنسبة إلى زمن النبي ﷺ) فسبب هذه الأشياء جديدٌ؛ لأنه لم يكن في خير القرون، وأمّا نفس هذه الأشياء فقد توقّف عليه حفظ الدين الآن (بعد تغير الزمان)، فالأعمال المذكورة (من تصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها) بدعة في الصورة لكنها في الحقيقة ليست كذلك، بل هي واجبة ، بناءً على قاعدة "**مقدمة الواجب واجبٌ** "

والنوع الثاني: من الأمور المحدثة هوما سببه قديم مثل الاحتفال بمولد النبي ﷺ، والثالثة والأربعينات، ونحوها من البدع ، فإنَّ أسبابَها قديمةٌ ، لأنَّ سبب المولد هوالفرح على الولادة النبوية، وكان هذا السبب موجوداً في زمنه ﷺ أيضاً لكن لم تنقل هذه المجالس والاجتماعات عن النبي ﷺ ولاعن أحدٍ من أصحابه..... فهذه الأشياء بدعة صورة ومعنى، وواجبة الرد لدخولها تحت حديث "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه**".

فأمّا النوع الأول فهومقبولٌ؛ لأنّه داخل في "ما منه"، فهذه قاعدة كلية لمعرفة البدعة والسنة من المُحدثات، وعليها يُخرج حكم جميع الجزئيات المحدثة. (١)

---

(١) وعظ السرور ، ص: ٢٧

وقال أيضاً : إنّ معنى العمل بالسنة هوأن لايخالف أمره ﷺ ، ولايلزم للسلوك وجود المطابقة - كليًا - في العمل بأن يأتي المرء بجميع عاداته وأعماله، مثال ذلك أنه ﷺ كان يأكل خبز الشعير بدون أن ينخل دقيقه، فلا يلزم للعمل بالسنة أن نأكل نحن كذلك".(١)

وقال الشيخ أنور الكشميري :

"البدعة ما لم يكن له أصل في الكتاب والسنة والإجماع والقياس ثم ترتكب على قصد أنها قربة، وما لم يُقصد بها القربة لاتسْمى بدعةً، فالأمور الرائجة في العرائس وحفلات الفرح، وعقود النكاح على خلاف السنة، لا تسمى بدعة ، فإنّها ليست على قصد القربة، نعم إنّها أمور إذا كان فيها سرف ولغو فتُمنع من جهة أخرى.

وأمّا العادات الرائجة في مراسم التعزية ومحافل المآتم فهي بدعة، لأنها تُفعل على قصد أنّها من الدين.(٢)

وقال البنوري بعد نقله ما فرّق به الشيخ بين عادات الأفراح ومحافل السرور ، وبين المآتم والتقاليد المتبعة عند الأموات:"

"وهذا متين جديدٌ ، لم أقف عليه صريحاً، وإن كان مفاد كلامهم في تعريف البدعة." (٣)

---

(١) أنفاس عيسى ، ص: ٣٦٤ و٣٦٥

(٢) معارف السنن ١٦٠/٤ ونحوه في العرف الشذى ٩٦/٢

(٣)معارف السنن ١٦٠/٤

أقول: وهذا الفرق بين الأمرين، هومذهب ***علماء ديوبند*** ومعتقدهم كما تـــدل عليه عباراتهم وصراحاتهم . وهذا مثل ما فرّقوا بين " **الإحداث للدين والإحداث في الدين**"، إلاّ أنّه لايقصد بهذا الفرق بين النوعين من التقاليد جـــواز أحدهمـــا علـــى الإطلاق، وعدم المنع منه، كما هوالحكم في الفرق الثاني أي الفرق بين الإحداثـــين . وقد صرّح الشيخ **الكشميري** نفسه بالمنع عن تقاليد الأفراح والأموات أيضاً في الجملة.

وقد تكرر مثل هذا التنصيص في كلام **التهانوي** مراراً [١]، بل قد ألّـــف كتابـــاً لطيفاً في بيان تقاليد الأفراح والأموات والمناسبات، لغرض الردّ والمنع عنها سماه بـــــ "**إصلاح الرسوم**" كما أنّه عرّف الرسم[٢]، وذكرالفرق بين ما هوالرسم وما لا يُعـــد منه مع الاشتراك في الصورة، ثم حكم على كل منها بما توافق الشريعة الإسلامية.[٣]

وهذا الفرق لم يخترعه و لم يُحدثه ***علماء ديوبند*** ، **بل ذهب إليه كثير من العلماء السالفين،المتقدمين منهم والمتأخرين** ، بل يبدولي -أنهم هم الأكثر - كماذكر ونقل الإمام **الشاطبي** في كتابه الفذّ الفريد في موضوعه ألا وهو "**الاعتصام**". [٤]

---

(١) إمداد الفتاوى ٥/٣٢٤-٣٢٦

(٢) يقولون في الأردية "**رسم ورواج**" ويقصدون بها العادات والتقاليد المتبعـــة عنـــد المناســـبات الاجتماعية- سواء كانت مناسبات الأفراح أم مناسبات المآتم-، وهي في الغالب تختلـــف مـــن منطقة إلى أخرى، وقد تتفق بعض المناطق على عادات معيّنة.

(٣) أصول الفقه الحنفي وضوابطه ، ص: ١٤٨

(٤) راجع الباب الأول والباب السابع من الكتاب

هذا هوالجانب العلمي لهذه المسئلة ، وأمّا من ناحية العمل فإنّ لمشايخ ديوبند اهتماماً بالغاً في ذلك ، يتتبعون السنن في كتب الحديث ويتبعونها في اللباس والطعام والشراب، والسفر والحضر، والمجلس والاجتماعات، وفي جميع شؤون الحياة.

ومن صاحبَهم ولازمَهم زماناً تأكّد أنّهم – بحمد الله – أشد الناس اتباعاً للسنن، واقتفاءً لهدي النبي ﷺ وسلوكه ﷺ، فمن أراد التحقيق والتفصيل فليأت إليهم – حفظهم الله تعالى – وليصاحبهم فترةً من الزمن، بدل أن يحكم عليهم من يعيد بناءً على الكلام الملفّق المكذوب المقدّم إليهم من أناس حسادٍ ضعاف النفوس والإيمان – أعاذنا الله من جميع أمراض القلب ويثبتنا على الحق – وليقرء المحفوظ المأثور عن من مضى منهم في كتبٍ أُلّفت في أحوالهم وسيرهم.

تقليد الأئمة الأربعة
والتقيّد بأحد المذاهب الفقهية

يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

"لابد للرجل في هذا الزمان أن يُقلّد أحداً من الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، بل يجب، فإنّا جرّبنا كثيرًا بأنّ مآل ترك تقليد الأئمة، واتباع رأي نفسه وهواها، هوالسقوط في حُفْرة الإلحاد والزندقة، أعاذنا الله منها .

ولأجل ذلك نحن ومشايخنا مقلّدون في الأصول والفروع لإمام المسلمين أبي حنيفة رضي الله عنه ، أماتنا الله عليه وحشرنا في زمرته، ولمشايخنا في ذلك تصانيف عديدة .[١]

وقال الشيخ محمد طيب القاسمي:

إنّ *علماء ديوبند* يرون من الواجب التقيد بالفقه المعين، والتَّمَذْهُب بمذهب إمام مجتهد في المسائل الاجتهادية، وذلك للاحتراز عن حرية النفس في باب الدين، وعن اللادينية ، وللاحتراز عن العمل برأي النفس ، ولصون الدين وحفظه عن التشتُّت والفوضى؛ ولذا فإنّهم والجماعة التي ربّوها حنفية المذهب في الفقهيات ، لكنّ تقليدهم لا يخلوعن روح الاعتدال والجامعية، من غير إفراطٍ ولاتفريط.

فليس عندهم حرية لايقولون لأجلها - بأصول التفقه التي وضعها السلف ولا بالمسائل التي استُنبطت منها وبها ، ويقومون مدّعين للاجتهاد المطلق، اعتماداً على قطع آرائهم .

---

(١) المهنّد على المفنّد ، ص: ١١و١٢

وعلى عكس هذا لايقولون بجمود في الفقهيات، بحيث يرون من الآثام والذنوب الاستدلال بالكتاب والسنة ومراجعتهما لتحقيق المسائل الفقهية، وللوقوف على مأخذها، ولايظنون من العمل بالرأي ومن حرية النفس ربطُ الاستنباطات الفقهية بالكتاب والسنة، وتوسيع الحجج لها بسعة علمهم. (١)

ويقول الشيخ **أشرف علي التهانوي** في تفسيره- وذلك تحت قوله تعالى ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٢):

"ثبت بهذه الآية إبطال التقليد الذي كان عليه أهل الكتاب، فأمّا التقليد الذي عليه جمهور المسلمين الآن ، فهومشروع وليس بداخلٍ تحت مدلول هذه الآية، ومحلُ هذا التقليد(المشروع) هي المسائل الظنية التي تحتمل الطرفين، ولا تخالف نصاً قطعياً، محكَماً مجمعاً عليه ، ولا إجماعاً ، وإلاّ فيقدم النصُ والإجماع. (٣)

قال الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** :

"إنّ مذهب هذا العبد وفق المسلك الحق لجميع أهل الحق والدين ، وهو أنّ ما اختلف فيه الصحابة والمجتهدون - عليهم الرحمة - من المسائل فليعمل المرء فيه بما ترجّح عنده من جهة تحقيق نفسه، أومن جهة التقليد لأحد المجتهدين من أهل الحق ، ولا يطعن في الجانب الآخر من تلك المسئلة، ولا يشنع عليه بل يعمل عليه إذا اقتضت الضرورة لذلك .

---

(١) علماء ديوبند ، ص: ١٤٢ و١٤٣

(٢) من سورة عمران الآية : ٦٤

(٣) بيان القرآن ٢/٢٨

ولذا فإنّ هذا العبد العاجز مع أنه حنفي المذهب، لايطعن في صاحب مذهب، ولا يشنع ولا يهتم بترجيح مذهبه بدون وجه يقتضي ذلك ، إلاّ أنّه يكتب في هذا الباب (أي باب التقليد والترجيح لمذهب الحنفية ونحوذلك) شيئاً إذا اقتضت " الضرورة" ذلك، ويرجى بذلك رفعُ فسادٍ أوإصلاحِ عقيدة. (١)

وقال أيضاً في بعض فتاواه :

"إنّ التقليد الشخصي وغيره (أي التقليد والاتباع بدون تقيُّد بمذهب) كلٌّ منهما مأمور من الله تعالى، فما عمل به المرء منهما يخرج عن عهدة الامتثال وإنّما هذا الحكم صحيحٌ، ولا عيب فيمن يعمل بأحدهما دون الآخر أصلاً، ويجوز العمل بأحدهما تعيينًا لمصلحة ، وهوالحكم في الواقع . فمن يقول: إنّ التقليد الشخصي شركٌ فهو آثم؛ لأنّه يحرِّم ما هومأمور من الله تعالى ، وعلى العكس من يحرم التقليد غير الشخصي بدون حكم من الشرع فهوأيضاً آثمٌ؛ لأنه يحرّم المأمور فكلٌّ منهما بمرتبة واحدة في أصل الحكم. وقول السائل : إنّ تقييد مطلق الشرع (وهوالأمر بمطلق الاتباع) بالرأي بدعةٌ ، صحيح لكن إذا كان التقييد بحكم الشرع -إشارةً كان أوصراحةً - فجائزٌ، ثُمَّ بعد ذلك اعلموا أنّ كون التقليد الشخصي مصلحةً ، ونظماً وجمعاً للعوام ورافعاً للفساد والافتنان، ظاهرٌ وقد اعترف السائل بذلك .

وهذا الاستحسان (المذكور سابقا لكل من نوعَي التقليد) وعدم وجوبه مقيَّد بعدم الفساد فإذا تسبَّب الاتباع بدون التقيد بالمذاهب ، للفساد والافتنان بأن يُجعل التقليد الشخصي شركاً، ويُسَبُّ الأئمة ويُطعن فيهم، وتُردُّ النصوص بالرأي الفاسد، كما هوالمشاهد الآن، فحينئذٍ يحرم هذا الاتباع والتقليد لمثل هؤلاء بل يجب عليهم

(١) الفتاوى الرشيدية ص: ٤، أول ما طبعوه من فتاواه في الكتاب وترجموا عليه " بيان مسلك صاحب الفتاوى من جانبه."

التقليد الشخصي. وهذه الحرمة والوجوب يقال له: إنّه لغيره ، في الأصل كان جـــائزاً ومباحًا وإنّما حرّم خلافه ووجب العمل به لأجل عارض (وهوالفساد).

فلزم لرفع الفساد المذكور التقليد الشخصي، وحرمةُ غيره لمثل هؤلاء الجهـــلاء، ومنعُ العامي، بوضع الحد والسدّ ، عن ذلك ، ونظيره موجود في الشرع ، فلم يكـــن هذا من تقييد المطلق بالرأي بل بالنص (والنظير المذكور هوالمنع عن قراءة القرآن بسبعة أحرف نزل بها القرآن، وجاز بها تلاوته وقرءاته لكنه لما تسبب ذلك للفساد والنزاع، اختاروا المنع بأن قيّدوا الحكم والجواز بلغة قريش فقط) [١].

وكان الشيخ يفتي بأنّ المقلّد وغيره - كلهم متحـــدون في العقـــائد (فكلهـــم معدودون من أهل السنة والجماعة) وإنّما خلافهم في الأعمال فقط[٢]، وذكر المحدث الكشميري أيضاً أنّ الظاهري من أهل السنة والجماعة[٣].

وبه كان يفتى الشيخ أشرف علي التهانوي بشرط أن لا يكون في عدم التقليـــد مفرطاً، وفي المنع عنه مفرّطا بأن يقول : إنّه شرك وحرام مطلقًا [٤]، وقال الشيخ في مثل هؤلاء أنهم من أهل الأهواء [٥]، كما صار حال هؤلاء الرافضين لتقليد الأئمة في أغلبهم منذ قرن وأكثر، ونشاهده - سيما في بلادنا- وذلك أن تبنّى الذاهبون إلى هذه النزعة - هذا الأمر كأنّ هذا هوالحق الوحيد، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، فقاموا لـــه

---

(١) الفتاوى الرشيدية ١٨٢ و١٨٣ بحذف واختصار

(٢) المصدر السابق ، ص: ١٨٥

(٣) العرف الشذى ٩٢/٢

(٤) إمداد الفتاوى ٤٩٣/٤ و٣٢٢/٥

(٥) مائة دروس الدرس الخامس والتسعون - وهومن مشمولات كتاب التلخيصات العشر

وتحمسوا بكل كثير وقليل عندهم - كدعوة إلى الإسلام وحركة لدمغ الباطل - وليراجع لذلك كلام هذه الطائفة في التقليد لافي ذمّه والمنع عنه فحسب بل في سب الأئمة، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن جعلوا يسبون الصحابة الذين يستندون إليهم ويروون عنهم الأئمة وأتباعهم - الذين تبغضهم هذه الطائفة أشد البغض.(١)

وقال الشيخ التهانوي وهوبصدد بيان حقيقة التقليد وحكمه:

الأحكام على نوعين: منصوصٌ وغير منصوصٍ، والمنصوص منه قسمان: متعارض وغير متعارض، والمتعارض له صورتان: معلوم التقديم والتأخير وغيره.

فالأحكام المنصوصة غير المتعارضة وكذا المتعارضة معلومة التقديم والتأخير، لا يجوز فيها لأحدٍ القياس ولا اتباع قياس أحدٍ لقوله تعالى ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ**﴾(٢) ولقوله تعالى ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ**﴾ (٣) المراد بالظن المذكور هوما يعارض النص ويقابله.

وأمّا الأحكام غير المنصوصة، أوالمنصوصة المتعارضة غيرمعلوم التقديم والتأخير، **فلها حالان:** إمّا أن لايُعمل بها أصلاً، أويعمل بها، فإن لم يُعمل بها لزم مخالفة النص من قوله تعالى ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ (٤) و﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾(٥)

---

(١) الكلام المفيد في إثبات التقليد ، ص: ٣١١ و٣١٢ نقلاً عن مصادرهم الموثوقة

(٢) البقرة ٧٨

(٣) الأنعام ١١٦

(٤) القيامة ٣٦

(٥) المومنون ١١٥

وإن أراد العمل فلا يمكنه ذلك إلاّ بالعلم وبعد تعيين أحد جانبيها، وهذا العلم أوالتعيين لا يحصل بالنص لعدم النص في الأول (وهوغير المنصوص)، وللتعارض من غير علم بالتقديم والتأخير في الثاني (أي المنصوص المتعارض غيرمعلوم التقديم والتأخير)، فلا محالة أنّ العلم بالتعيين يحصل بالقياس .

وإذا كان كذلك فإمّا أن يعتبر شرعًا قياس كل واحد، ولوبداله مابدا، أوالعبرة لقياس البعض، لالبعض آخر ولا لكل، لقوله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (١) فلما ثبت أنّ المعتبر من القياس هوقياس البعض ، فذلك البعض هوالذى يسمى "**المجتهد والمستنبط**" - و"**المقلد**" هو من لا يُعتبر قياسه، فهكذا لزم على المُقلد أن يُقلد ويتبع المجتهد لقوله تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾(٢)

ثم اعلم أنّه قد علم مع القطع واليقين بأحوال الأئمة الأربعة التاريخية أنهم داخلون - بإذن الله- تحت عموم ﴿مَن أنابَ إليَّ﴾ فلذا وجب اتباعهم .

فإن قيل : إنّ هنا كثيرًا من المجتهدين ، فلم لايتبع أحد غيرهم ؟ فالجواب أنّه لابد لاتباع السبيل من العلم بالسبيل ، ومن المعروف الظاهر أنّه لا علم لنا اليوم لسبيل مجتهد تفصيلاً للجزئيات والفروع من غير الأئمة الأربعة، فكيف يمكن اتباع أحد سواهم ؟ فثبت الانحصار في الأربعة مذاهب .

فإن قيل : لِمَ يقلد أحد منهم ؟ فالجواب أنّ المسائل على قسمين : متفق عليها ومُختلف فيها . فأمّا المتفق عليها ففيها الاتباع لكلّ واحد منهم . وأمّا المختلف فيها فلا يمكن فيها الاتباع لكل واحد ، بل بالبعض دون البعض، ولابد لهذا من وجه

---

(١) النساء ٨٣

(٢) سورة لقمان ١٥

للترجيح وهوزيادة الإنابة إلى الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى علّق هذا الاتباع على الإنابة إليه ؟، فمن تحقق لنا منهم إنابته إلى الله زائدة يُتبع ويقلّد .

ثم تحقيق هذه الإنابة إمّا أنّه يتحصل تفصيلاً وإمّا إجمالاً . فالتفصيل أن يُنظر في كل جزئيٍّ وفرع مختلف فيه أنّ الحق في أي جانب ؟ والإجمال أن تنظر جميع أحوال كلِّ إمام وصفاته ليُعلم من منهم على الحق في الأغلب؟ وإنابته إلى الله أزيد من غيره؟

ففي الصورة الأولى مع ما فيه من الحرج وتكليف ما لايطاق، لايبقى المقلّد مقلّداً بل هوالمتبِع لتحقيق نفسه لالسبيل غيره ، وهوخلاف المفروض . فتعينت الصورة الثانية (وهوالتحقيق إجمالاً) .

فمنهم من غلب ظنّه وترجّح اعتقاده في حق الإمام **أبي حنيفة**، نظرًا إلى مجموع أحواله – أنّه هوالمنيب والمصيب .ومنهم من حصل له ذلك في حق الإمام **الشافعي** أوالإمام **مالك** أوالإمام **أحمد**، ولذا فكلٌّ اتبع واحداً منهم .

وهكذا إذا التزم اتباع أحدٍ منهم للعلم بإنابته إجمالاً ، فإن خولف في بعض الجزئيات بدون وجه قوي أوضرورة شديدة ، يعود الشق الأول وقد ثبت بطلانه. [1]

وقال الشيخ في بعض فتاواه إنّ ترك المرجوح بعد النظر في الراجح والمرجوح، أيضاً من وظيفة المجتهد ولوكان مجتهداً مقيَّداً . نعم إذا تبيّن وتحقّق لمقلّد محضٍ أنه لادليل لمذهبه (في مسئلة معيّنة) يجب عليه أن يترك ذلك القول والمذهب.[2]

والشواهد على هذا المذكور من مسلكهم الفقهي بالتفصيل المسطور أكثر من أن تحصى، فإنّ مؤلفاتهم وفتاويهم مملوءة بها وبالأمثلة لهذا – أي التقليد مع التحقيق– من غير عنادٍ وتعصبٍ ، والترجيح بناءً على الدلائل ولوكانت في جانب الخصم

---

(١) إمداد الفتاوى ٥٦٤/٤ و٥٦٥

(٢) المصدر السابق ، ص: ٤٩٧

والمخالف، أوالإجازة والإفتاء بالعمل لمذهب غير الحنفية من الأئمة الأربعة عند الضرورة وخصوص الظروف والأحوال ، ويتبين لنا ذلك مما وضع الشيخ التهانوي من الدستور الذي بنى عليه هو وأصحابه تأليف أعظمِ كتاب، وأوسعه وأحسنه، في بيان مأخذ الحنفية من الأحاديث النبوية، وهوكتاب " إعلاء السنن " - فقد قال الشيخ ظفر أحمد التهانوي (وهو ابن أخت الشيخ التهانوي) الذي يُنسب إليه هذا الكتاب الجليل:

إنَّ الإمام الدهلوي الشيخ ولي الله ما روى عن رسول الله ﷺ كشفًا (١) فالحمد لله قد عُمِل بذلك في كتاب إعلاء السنن وهوأنه أُعتمِد فيه واختير ما وافق الحديث من أقوال الأئمة الثلاثة (من الحنفية) الإمام أبي حنيفة وصاحبيه.

بل رُجّح قول الإمام الشافعي على قول الحنفية في بعض المسائل ، وكتب في تلك المواضع أنّه لم يوجد حديث في تائيد الحنفية في كتاب من كتب الحديث الموجودة - ومن الممكن وجود حديث في ذلك عند أئمتنا لم نقدر عليه-ففي هذا الحال قول الإمام الشافعي هوالقوي وهوالذي اخترناه. (٢)

وقال الشيخ ظفر أحمد أيضاً - في كتابه "قواعد في علوم الحديث" وهوإحدى المقدمات الأصولية لكتاب إعلاء السنن- بعد أن ذكر نبذا من كلام ذامي التقليد والمانعين عنه :

ومن تدبّر كلامنا المارّ آنفا ، وطالَع كتابنا "إعلاء السنن" علم- إن شاء الله تعالى- أنّا لسنا من المقلدين الذين ذمّهم ابن القيم، بل نحن إنّما نقلّد إمامنا أبا حنيفة وأصحابه لعِلْمِنا بأنهم أتبع الناس للقرآن والسنة، وأنّ لهم في الحديث أصولاً كما أنّ

---

(١) فيوض الحرمين ، ص: ٦٢ و٦٣

(٢) تذكرة الظفر ، ص: ١٧٢

للمحدثين أصولاً، فلالوم علينا إن خالفناهم (أي المحدثين) في قبول بعض الأحاديث والعمل به، وترك العمل بغيره، لأنَّ مبنى أصول الطرفين على الاجتهاد، ولا مشاحة في الاجتهادات .

وعلماؤنا قد يتركون أقوال إمامهم إلى أقوال أصحابه إذاخالفت النصوص، ومثل ذلك كثير في المذاهب، يعرفه كل من له نظرٌ فيها، وربما أفتوا بقول الأئمة الذين فيهم نظير إمامنا أونظراء أصحابه، إذا رأوا قوة الدليل عندهم ونحوها .

ولسنا بحمد الله-جامدين على قول صاحب المذهب بمحض العصبية، بل نقلّده على بصيرة نحن ومن اتبعنا، وسبحان الله وما نحن من المشركين.[1]

وقد روي عن الشيخ **التهانوي** – وبواسطته عن مشايخه- التوسع وعدم التضييق في المسائل الخلافية [2]، كما روي عنه واشتهرعنه وعن الشيخ **الكنكوهي** الإذن بالإفتاء وفق مذهب أحد من الأئمة الأربعة في مسائل العقود والمعاملات التي يوجد فيها عموم البلوى، ونوع سعةٍ في بعض المذاهب لئلا تضيق صدور عامة المسلمين بها، فيتركون الشريعة رأساً.[3]

ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع فتاواهم وشروحهم للحديث، وما كتبوا وألفوا في الفقه ، وخير مثال لإفتائهم بالعمل بمذهب غير الحنفية كتاب "**الحيلة الناجزة في الحليلة العاجزة** " فقد ألفوه في مسألة "**زوجة المفقود**" واختاروا القول على مذهب الإمام **مالك** -لأنَّ لها سعةً في مذهبه - **خلافاً للحنفية** وغيرهم .

---

(١) قواعد في علوم الحديث ، ص: ٢٨٤

(٢) تذكرة الظفر ، ص: ١٧٢

(٣) آداب الإفتاء والإستفتاء ، ص: ٢٣-٢٥

وهذا الكتاب خيرمثال أيضاً لبيان ما كانوا عليه من النظر والتحقيق، مع كمـــال الورع والاحتياط في الإفتاء وبيان المسائل الشرعية.

واختيار قول غير الحنفية من المذاهب الأربعة ، وترجيحه ، والإفتاء بـــه، والإذن بالعمل بقول أحد من الأئمة غير الإمام **أبي حنيفة**، في مثل هذه الأحـــوال لايعـد عندهم خلافاً للمذهب ولا الخروج عنه ، وإنّما هو من العمل بالمذهب في الجملـــة، فمع ذلك أيضاً ينسب المرء إلى مذهبه الذي يتقيّد به ويقلّده.

وذلك لما روي في ذلك من أقوال أئمة المذاهب (١)، ولما اختاره المحقّقون مـــن العلماء والفقهاء من مختلف المذاهب والمسالك، وبناءً على ذلك إنهم نسبوا عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء إلى أحد هذه المذاهب مع أنّ له اختيارات وترجيحـــات خلافـاً للمذهب الذي ينسبون إليه- وينتسبون هم أيضاً- إليه. وعلى سبيل المثـــال العلامـة الأمير المحقّق **صديق حسن البوفالي** - أحد الأعلام من علماء الهند - نســب الشيخ **ابن تيمية** وتلميذه **ابن القيم** - رحمهما الله تعالى- إلى **الحنابلة**، وكذا قال الشـيخ في **محمد بن عبدالوهاب** أيضاً.(٢)

ونسب الإمام **ولي الله الدهلوي** وجميع علماء بيته وســـلالته إلى الحنفيـــة (٣)، وهوالذى صرّح به واختاره علماؤنا ***علماء ديوبند*** أيضاً.(٤)

---

(١) مجلة بحث ونظر الفصلية العدد ٢٩ ، ص: ٤٧،٤٨ - قال ابن الهمام : إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب، يعمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه ، ولا يخرج مقلّده عن كونـــه حنفيـــاً بالعمل به فقد صحّ عن أبي حنيفة أنّه قال : إذا صح الحديث فهومذهبي (شرح عقـــود رســم المفتى ، ص: ٦٧)

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة ، ص: ١٥٠ و١٥١

(٣) الحطة في ذكر الصاح الستة ، ص: ١٤٩ وإتحاف النبلاء ، ص: ٢٩٧

(٤) مجلة الفرقان الشهرية العددالخاص بالإمام **ولي الله الدهلوي**: حياته، وفكره واعمالـــه ، ، ص: ٣٦١ -٣٦٩ والفوائد البهية ، ص: ١٥٠، وللمؤلف مقالات في هذا الموضوع.

ومن المناسب المفيد - بل الواجب الأكيد أن ألفت الأنظار هنا إلى أن مسلك **علماء ديوبند** في الفقه والاجتهاد، ووجوب التقليد بالنسبة للعامي- وللعالم أيضاً مع النظر والتحقيق- والتقيُّد بأحد المذاهب الأربعة واستحسانه، واعتقاد أنَّ فيه المصلحة لعامة المسلمين في القرون المتأخرة، والتزام المذهب الحنفي من بين المذاهب الأربعة لخصوص أحوال هذه البلاد- ولكن مع التوسيع وعدم التضييق- هو ما أخذوه عن إمام هذه الطائفة، وعمدتِهم في الدين، وقُدوتهم في العمل، الإمام **ولي الله الدهلوي** بالسند المتصل منهم إليه بواسطة أخلافه من ابنه ومن بعده، ووجدوا عليه علماء هذه السلسلة الكريمة قرنا بعد قرن ، وطبقة عن طبقة .

وهذا ليس بادعاء محض بل ثبت ذلك بما يوجد الآن من كتبهم وكتاباتهم، وبما روي ويُروى عن ثقات هذه السلسلة وخواص هذه الطائفة بالأسانيد القوية المعتبرة لدينا، ولا يمكن لغيرنا أيضاً الإنكار عنه والجحود به.

فلذا اضطر إلى الاعتراف والتصريح بذلك عدد من الأعلام والمحققين من العلماء الذين لم يكونوا على مذهبهم ومنهجهم ، كيف وقد صرّح به - وأزال عن الصدور ما اغترّ به ، وغر كثير من أهل الشرور بذلك- الشيخ المصلح ، المجاهد الداعية الكبير السيد **أحمد بن عرفان الشهيد** أيضاً، الذي رافقه وقاتل معه وتحت لوائه الشيخ **إسماعيل الدهلوي** الشهيد مع أعداء الإسلام، نُسِب إليه ما يَنسِب رافضوا التقليد من مسلمي شبه القارة إلى هذا البيت الكريم من أنّهم لا يتقيدون بأحد المذاهب الأربعة ويتبرؤون عن الحنفية ، فكتب الشيخ السيد **أحمد الشهيد** -رحمه الله تعالى- إلى جماعة من العلماء رسالةً طويلةً صرّح فيها وأوضح مسلكه الفقهي، وقال فيها:

"إنّ هذا العبد وأسرته لم يكونوا من الخاملين في بلاد الهند، فإنّه يعرفهم ألوف آلاف من الأنام من بين الخواص والعوام، بأنّ مذهب هذا العبد أباً عن جدٍّ هو المذهب

الحنفي. وأيضاً جميع أقوال هذا الضعيف وأفعاله منطبقة وجارية على أصول الحنفية وقواعدهم بالفعل، فلا يوجد فيه شيء خارج عن ذلك، إلاّ ما شاء الله تعالى.(١)

ومن صرّح بذلك من العلماء المحققين وهم من أعلام المنابذين للتقليد في هذه البلاد ، الأمير العالم المحقق صديق حسن خان البوفالي، وذلك في عدة كتبه (٢) والشيخ **محسن بن يحيى الترهتي** في كتابه **"اليانع الجني في اسانيد عبدالغني"** (٣) والشيخ مسعود عالم النَدْوي في كتابه " تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند"، إلاّ أنّه لم ينسب إلى الحنفية إلاّ الشيخ **عبدالعزيز** نجل الإمام الأكبر ومعظم تلاميذه فقط، فأمّا **الإمام الدهلوي** نفسه وحفيده الشيخ **إسماعيل الشهيد** فقال فيهما **"إمام أهل الحديث في الهند وحامل لوائهم"**.(٤)

وليلاحظ أنّ هؤلاء الثلاثة ليسوا من العلماء الذين يُنسبون إلى ***ديوبند*** لأجل تعلمهم بجامعتها أولصلة خاصة منهم بها أوبعلمائها ، ولايعُدون منهم ليقال إنّهم وافقوا ***الديوبنديين*** في ذلك، أوخضعوا لهم لخصوص أحوالهم وظروفهم. بل الأوّلان

(١) مكاتيب سيد أحمد شهيد ، ص: ١١٥ و١١٦، وسوانح أحمدي ، ص: ٣٠٥-٣٠٧ ومسلك الشهيد

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة ، ص: ٧١و٧٤، وإتحاف النبلاء ، ص: ٢٩٧ وتنبيه السائل إلى أدلة المسائل وغيرها

(٣) اليانع الجني على هامش كشف الأستار عن رجال معاني الآثار ١٠

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص: ١٠٩

- أقصد الشيخ محسن والمحقق الأمير-كانا في زمنٍ لم يكن اشتهر فيه أمر ديوبند وعلمائها مثل ما اشتهر فيما بعد، وكانا أقرب إليهم منّا زمناً وأكثر معرفةً. (١)

---

(١)وأستحسن هنا ذكر بعض ما جاء في كلام الإمامين الشيخ ابن تيمية والشيخ ولي الله الدهلوي وبعض أصحاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب من بيان حكم التقليد والعمل بأحد المذاهب الأربعة.

وكذا ذكر عبارات جاءت وصدرت في بيان مذهب الإمام ولي الله الدهلوي وأخلافه، ولاسيما حفيده الشهيد.

قال شيخ الإسلام : والذي عليه جماهير الأمة أنّ الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد ، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرّمون الاجتهاد . وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد .

فأمّا القادر (أي على الاجتهاد) فهل يجوز له ؟ والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد ، إمّا لتكافؤ الأدلة، وإمّا لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإمّا لعدم ظهور دليل له، فإنّه حيث عجز ، سقط عنه وجوب ما عجز عنه، وانتقل إلى بدله وهوالتقليد ، وكذلك العامي... والقدرة على الاجتهاد لاتكون إلاّ بحصول علومٍ تفيد معرفة المطلوب. (مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٣ و٢٠٤ ونحوه ٢١٢ و٢٢٥ و١٩/٢٦٢)

وقال : تقليد العالم حيث يجوز فهو بمنزلة اتباع الأدلة المتغلبة على الظن كخبر الواحد والقياس، لأنّ المقلّد يغلب على ظنه إصابة العالم المجتهد، كما يغلب على ظنه صدق الخبر. (المصدر السابق ٢٠/١٧)

وقال: من كان عاجزاً عن معرفة حكم الله ورسوله وقد اتبع فيها من هومن أهل العلم والدين، ولم يتبيّن له أنّ قول غيره أرجح من قوله فهومحمود يُثاب، لايذم على ذلك ولا يعاقب. (المصدر السابق ٢٠/٢٢٥)

وقال أيضاً : التقليد الذي حرّمه الله ورسوله هوأن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول، وإنّ التقليد المحرم بالنص والإجماع أن يعارض قول الله ورسوله بما يخالف ذلك كائناً من كان. (المصدر السابق ٢٠/٢٢٥و١٩/٢٦ و٢٦٢ ونحوه في ٢٦٦)

وجاء في مختصر فتاواه: قال بعض أهل الكلام : يجب على كل أحدٍ أن يجتهد في كل مسئلة =

تنزل به ولايقلّد أحداً من الأئمة . وهذا قول ضعيف بل خطأ، والأئمة على خلافه؛ فإنّ أكثر آحاد العامة يعجز عن معرفة الاستدلال في كل مسئلة يحتاج إلى معرفتها، بل أكثر المشتغلين بالتفقه يعجز عن ذلك ، وهؤلاء المجتهدون المشهورون كان لهم من الاجتهاد في معرفة الأحكام، ولإظهار الدين للأمة ما فضّلهم الله تعالى به على غيرهم، ومن ظن أنّه يعرف الأحكام من الكتاب والسنة بدون معرفته بما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم ، فهوغالطٌ مخطئٌ ؛ فإن كان لا بد من معرفة الاجتماع والاختلاف، فلا بد من معرفة ما يستدل به المخالف واستخرجوه من أدلة الكتاب والسنة، وهذا ونحوه لا يعرف إلاّ بمعرفة أقوال أهل الاجتهاد، وأعلى هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم .

فمن ظنّ أنّه يأخذ من الكتاب والسنة وبدون أن يقتدي بالصحابة ويتبع غير سبيلهم، فهومن أهل البدع والضلال، ومن خالف ما أجمع عليه المؤمنون فهوضالٌ، ، وفي تكفيره نزاعٌ وتفصيل. (مختصر فتاوى ابن تيمية ، ص: ٥٥٦)

وقال الإمام الدهلوي : قول ابن حزم : التقليد حرامٌ ، ولايجوز لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله ﷺ بلا برهان لما ورد من الآيات... الخ - إنّما يتمّ فيمن له ضربٌ من الاجتهاد ، وفيمن ظهر عليه ظهوراً بيناً خلاف قول من يقلّده بوجه من الوجوه المعتبرة ، وفيمن يكون عامياً ويقلّد فقيها على اعتقاد عصمته وإصابته قطعاً، وعلى عزم ترك قوله مع ظهورخلافه ، وفي من يكون متعصّباً لمذهبه بحيث لا يجوز للحنفي مثلا أن يستفتي الشافعي أويقتدي به . وليس محله فيمن لا يدين إلاّ بقول النبي ﷺ ، ولا يعتقد حلالاً إلاّ ما أحلّه الله ورسوله ، ولا يعتقد حراماً إلاّ ما حرّمه الله ورسوله . لكن لما لم يكن له علمٌ بما قاله النبي ﷺ، ولا بطريق الجمع بين المختلفات من كلامه، ولا بطريق الاستنباط من كلامه، اتّبع عالماً راشداً على أنّه مُصيب فيما يقول ويُفتي ظاهراً مُتبع سنة رسول الله ﷺ، فإن ظهر خلاف ما يظنه أقلع من ساعته من غير جدال ولا إصرار، فهذا كيف ينكره أحد. فإن اقتدينا بواحدٍ منهم فذلك لعلمنا أنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (حجة الله البالغة ١/١٥٤-٥٦ وعقد الجيد ، ص: ٢٢-٢٦ والإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، ص: ٩٧-١٠٢ ملخصا)

وقال : قد اتفقت الأمة على صحته قرناً بعد قرن ، وأمارة هذا التقليد أن يكون عمله بقول المجتهد كالمشروط بكونه موافقاً للسنة. (عقد الجيد ، ص: ٤٢ و٤٣ بحذف واختصار)

وقال أيضاً: العامي يجب عليه تقليد العالم إذا كان يُعتمد على فتواه. (المصدر السابق ص٤٦)

وأيضاً: إنّ التقليد لإمام بعينه قد يكون واجباً ، وقد لايكون واجباً ، فإذا كان إنسان جاهلٌ في بلاد الهند أوفي بلاد ما وراء النهر، وليس هناك عالمٌ شافعي ، ولا مالكي، ولا حنبلي ولاكتاب من كتُب هذه المذاهب ، وجب عليه أن يقلّد لمذهب **أبي حنيفة** ، ويحرم عليه أن يخرج من مذهبه، لأنه حينئذ يخلع ربقة الشريعة ويَبقى سُدى مهملاً. (الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، ص: ٧٩)

وقد تكلم الإمام **الدهلوي** في وجوه استحسان التقيُّد بالمذاهب الأربعة المشهورة تفصيلاً. (راجع حجة الله البالغة، والإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، وعقد الجيد) ومن قوله في ذلك:

"لما لم يبق إلاّ هذه المذاهب كان اتباعُها اتباعاً للسواد الأعظم، والخروج عنها خروجاً عن السواد الأعظم . وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالتأكيد باتباع السواد الأعظم. (راجع أحاديث الإجماع ، منها قوله ﷺ **"عليكم بالسواد الأعظم"** [أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب السواد الأعظم] وقوله ﷺ **"عليكم بالجماعة "** [أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب لزوم الجماعة] وقوله ﷺ **"اتبعوا السواد الأعظم "** [مشكوة المصابيح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة] وقال الزركشي رواه **الحاكم**، وقال : قد روي هذا الحديث بإسناد يصح بمثلها الحديث، ولا بد من أن يكون له أصل بأحدها ثم وجدنا له شواهد. [المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر ، ص: ٦٠).

وقد صرح حاملوا لواء فكر الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** وقادة حركته الدعوية ، من أولاده وأبنائه وأحفاده أيضاً باستحسان التقيد بالمذاهب الأربعة، وبنسبتهم إلى مذهب الإمام **أحمد** تقليداً في الأصول والفروع تقليد المحقّقين.

فقد قال نجل شيخ الإسلام الشيخ **عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب** في رسالته التي ألفها في الرد والدفاع عن المفتريات التي كانت تنسب إلى الشيخ وأتباعه :

"نحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام **أحمد بن حنبل** ، ولا ننكر على من قلّد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغيركالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، لانقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة، بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة.

ولانستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحدٌ منا يدّعيها، إلاّ أنا في بعض المسائل إذا صح لنا نصٌ جليٌ من كتاب أوسنة غيرمنسوخ ، ولامخصَص ولامعارَض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة نأخذبه وتركنا المذهب كإرث الجد والإخوة، فإنّا نقدّم الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة.

ولا نفتش على أحد في مذهبه ولانعترض عليه، إلاّ إذا اطّلعنا على نصٍ جليٍّ مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسئلة مما يحصل بها شعائر ظاهرة، كإمام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالإسرار ، وشتّان ما بين المسألتين ، فإذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وإن خالف المذهب ، وذلك يكون نادراً جداً، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، ولامناقضة لعدم الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل للمذهب الملتزمين تقليدَ صاحبه. (الهدية السنية، ص: ٣٨ و٣٩)

وقال الشيخ **محمد بن عبداللطيف** بن عبدالرحمن بن حسن بن **شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب** في رسالة له أرسلها إلى بعض الجهات وموضوعُها موضوع رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب:

"وأمّا مذهبنا فمذهب الإمام **أحمد بن حنبل** إمام أهل السنة في الفروع والأحكام، ولاندّعي الاجتهاد، وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ ، عملنا بها ولا نقدّم عليها قول أحد كائناً من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم لأن سنة رسول الله ﷺ في صدورنا أجل وأعظم من أ ن نقدّم عليها قول أحد. (المصدر السابق ، ص: ١١٠)

أمّا حنفية بيت الإمام الدهلوي – فذلك أمرٌ معروف في *علماء ديوبند* ، لم يؤثر عن أحد منهم خلاف ذلك ، وذلك لما عرفوا منهم بواسطة أساتذتهم الثقات، وبما وقفوا عليه من فتاواهم وتحقيقاتهم ، وصرّحوا بذلك لما سُئلوا عن هذا الأمر، كما جاء في فتاوى الشيخ **رشيد أحمد** ، وكان أقرب هذه الطائفة إلى هذه السلالة والبيت .

المهم من ذلك أمر **الإمام** رحمه الله وأمر حفيده الشهيد وقد نسبهما البعض إلى ترك التقليد، إخراجاً إيّاهما من نسبة التقليد والحنفية، ولاأريد أن أذكر هنا من أقوال الإمام شيئاً ، أوأكثر من نقول *الديوبنديين*، فلي في تحقيق مذهب الإمام ومسلكه الفقهي مقال طويل (لم يطبع إلى الآن) وقد جاء في ذلك تفصيلٌ وقيع في العدد الخاص بأحوال الإمام وسيرته من مجلة الفرقان الشهرية [الصادرة من لكهنؤ] من الهند.**فأكتفي** هنا بما جاء في **مذهب الشيخ الشهيد** عن الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي**، وبما جاء في مذهب هذا البيت ومذهب الشهيدين عن بعض العلماء وبعض رفقاء السيد الشهيد وبما جاء في كتابات الشهيدين رحمهما الله.

قال الشيخ **رشيد أحمد** : "ما سمع هذا العبد من حال مولانا **إسماعيل** المرحوم هو أنه كــان يعمل بالحديث الصحيح غير المنسوخ إذا وجده في المسئلة ، وإلاّ فكان يقلّد الإمام أباحنيفة رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم . و لم يعاصره هذا العبد لأذكر وأكتب مشــاهدتي عنــه ، وماقلتــه هو الظاهر - غالبا -من تصانيفه.(الفتاوى الرشيدية، ص: ١٨٤ و٤٤ وأرواح ثلاثة،ص: ١٠٢)

ويؤيد قول الشيخ : "**وما قلته هوالظاهر غالبا من تصانيفه**"، أنّ الشيخ الشهيد لم يذهــب إلى مذهب **ابن حزم** ومن وافقه في التقليد وحرمته في الجزء الذي لم يطبع من تقوية الإيمان مع أصل الكتاب و لم يشتهر مثله، مع أنه شدّد النكير فيه على التقليد الأعمى وفصّل وحقّق أنّ الاتبــاع والانقياد إنّما هولله ولكتابه ولرسوله، ونحوذلك من أدلة الشرع بل ذكــر جــواز الاســتفتاء والاستخبار عن أحكام الشرع من علماء الشريعة، وعن أحكام الإحسان والتصوف من علمــاء الطريقة. (تذكير الأخوان بقية تقوية الإيمان ١١٩) وهوالذى صرح به - الشيخ الشهيد-مــراراً في كتابه: "**إيضاح الحق الصريح** " (إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريــح ، ص: ٧٦ و٧٧و٧٨)

وقال بعض العلماء : إنّ كتابه " **إيضاح الحق الصريح** " أُلّف وبُني على أصول المذهــب الحنفي وقواعده. (تنبيه المغترين ، ص: ٣٦ ، ومسلك السيد الشهيد ، ص: ٩٥)

أقول : هذا الذي بُني عليه وأُلّف كتاب "**حقيقة الصلوة** " من تأليف الشيخ السيد **أحمــد الشهيد** ، فإنّه اختار فيه ورجّح قول الحنفية على غيره في عدة مواضع .(سيد أحمد شهيد كــي أردوتصانيف [مؤلفات السيد أحمد الشهيد بالأردية] ، ص: ٦٩ و٧٠ و٧٢و٧٦)

الحاصل أن الشهيدين كانا على مسلك واحد من الفقه، ومذهبُهما غير مختلف كما ذكــر ذلك الشيخ **رشيد أحمد الكنكوهي** (أرواحٌ ثلاثة ، ص: ١٠٢) وأيضا قد اشتهر في ذكرهمــا وبيان أحوالهما انّ نجل الإمام الدهلوي الأكبر **وشيخ السيدين الشهيدين** ، الشيخ **عبدالعزيــز الدهلوي** كان يقول فيهما : "**إنهما بمنزلتي**" وكان يوافقهما فيما رأيا من مسائل الفقه (المصدر السابق وسيرت أحمد شهيد ٢٠٢/١) وقد تقرر أنّ الشيخ كان على المذهب الحنفي.

وقد صرّح بحنفية الشيخ السيد **أحمد الشهيد** بعض كبار خلفائه مراراً مثل الشيخ **كرامت علــي** الجونفوري (سيد أحمد شهيد كي أردوتصانيف ، ص: ٩٣و٩٤)

لامجال في ذلك للشك ولامساغ للتوجيه والتأويل-بعد ماكتبه الشيخ السيدأحمدالشهيدبنفسه صراحــةً في بعض رسائله، وقد نقلتُ في الكتاب قطعةً منه ضرورية،ومن المناسب ذكرها هنا بتمام نصّها:

"ومن جملة مفتريات أولئك المفترين أنهم ينسبون هذا الفقير بل زمرة المجاهدين إلى الإلحاد والزندقة، فيقولون إنّ جماعة المسافرين هذه لامذهب لهم ولايتقيدون بمسلك بل يعملون بأهوائهم ويتبعون اللذات الجسمانية بكل وجه، سواء وافق الكتاب أوخالفه. معاذ الله من ذلك.
فليعلم أنّ نسبتنا إلى هذا الأمر الشنيع افتراءٌ قبيحٌ وبهتانٌ صريحٌ، إنّ هذا العبد وأسرته ليسوا من الخاملين ببلاد الهند، يعرفهم ألوف آلاف من الأنام - من الخواص والعوام - بأنّ مذهب هذا العبد - أباً عن جد - هوالمذهب الحنفي ، وأيضا جميع أقوال هذا العبد وأفعاله منطبقة وجارية على أصول الحنفية وقواعدهم بالفعل، وليس شيء منها خارج عن تلك الأصول إلاّ ما شاء الله؛ لما يصدر عن جميع أفراد البشرية بسبب الغفلة والنسيان فيعترف به هذا العبد، ويرجع عنه إلى ما هوالصواب والحق إذا أُخبر بذلك.

نعم طريق المحقّقين من كل مذهب يختلف عن طريق غيرهم، فإنّه لم يزل من عمل أهل التدقيق والتحقيق ترجيحُ بعض الروايات على أخرى منها، والنظر في قوة الدليل، والتوجيه لبعض العبارات المنقولة عن السلف، وتطبيق المسائل المختلفة المدوّنة في الكتب وأمثالها، وبهذا العمل لا يخرجون عن المذهب، بل يجب أن يُعَدَّ أمثال هؤلاء العلماء لبَّ لباب أهل المذهب، فمن كان في شك من هذا فعليه أن يأتي إلى هذا العبد، ويحل هذا الإشكال مشافهةً ومواجهةً، فإمّا أن يقتنع هو بالموضوع، أو أن يقنع هذا العبد." (مكاتيب السيد أحمد الشهيد ، ص: ١١٥ - ١١٦ وسيد أحمد شهيد كي أردوتصانيف ، ص: ٩٠ - ٩٢ وسوانح أحمدي ، ص: ٣٠٦ و٣٠٧)

وقد فصّل في الموضوع وحقّق فَرَدَّ وأثبت أحد أعلام هؤلاء المدّعين العالم المحقق **الأميرصديق حسن البوفالي** في كتابه "**الحطة في ذكر الصحاح الستة** "، وقد ذكر ذلك أيضاً في غير كتاب له، فقال في الكتاب المذكور- بعد أن ذكر تاريخ الحديث والمحدثين في الهند، وذكر ما يرجع إلى هذا البيت من الفضل في خدمة الحديث نشراً وإحياء :

"لكن الناس اليوم قد غلوا في أمرهم وتفوّهوا في شأنهم بما لايليق بهم ، فلنذكر ههنا من طريقتهم ما تتضح به حقيقة الأمر وهوهذا.
أنّ الشاه **ولي الله المحدث الدهلوي** قد بنى طريقته على عرض المجتهدات على السنة والكتاب، وتطبيق الفقهيات بهما في كل باب، وقبول ما يوافقهما من ذلك ، ورد ما لايوافقهما، كائناً ما كان ، ومن كان، وهذا هوالحق الذي لا محيص عنه، ولا مصير إلاّ إليه.

وكذا ابنُ ابنه [حفيده] المولوي **محمد إسماعيل الشهيد** اقتفى أمر جدّه وقوله وفعله جميعاً، وتمم ما ابتدأه جدُّه وادّى ماكان عليه، وبقي ما كان له ، والله تعالى مجازيه على صوالح الأعمال وقواطع الأقوال ، وصالح الأحوال، و لم يكن ليخترع طريقاً جديداً في الإسلام كما يزعم الجهال ..... وطريقه هذا كله مذهب حنفي ، وشرعة حقّة ، مضى عليها السلف ، والخلف الصلحاء، من العجم والعرب العرباء، و لم يختلف فيه اثنان ممن قلبه مطمئن بالإيمان، كما لا يخفى على من مارس كتب الدين وصحب أهل الإتقان .

كيف وقد ثبت في محلّه أنّ الرجل العامل بظواهر الكتاب وواضحات السنة، أو بقول إمامٍ آخر غير إمامه الذي يقلّدهُ لا يخرج عن كونه مُتمذْهباً بمذهب إمامه، كما يعتقده جهلة المتفقهة ويتفوّه به الفقهاء المتقشفة من أهل الزمان، المحرومين عن حلاوة الإيمان. (الحطة في ذكر الصحاح الستة ، ص: ١٤٩)

وقال الشيخ **محسن بن يحيى الترهتي** في **"اليانع الجني"** بعد أن ذكر إسناده إلى **الإمام الدهلوي** [وذلك عنه عن الشيخ عبدالغني عن أبيه أبي سعيد عن الشيخ عبدالعزيز عن **الإمام الدهلوي**]: من لطائف هذا الإسناد أنّه اجتمع في أوله أربعة ، آخرهم ابوعبدالعزيز، اشتركوا في أربع خصائل ،وذلك أنّهم دهلويون سكناً ، وأنّهم عمريون صُلبية ، وأنّهم صوفية أصحاب الزهد والورع، وأنّهم حنفيُون على مذهب النعمان أبي حنيفة وصاحبيه رضي الله عنهم، فإنّ أبا عبدالعزيز وإن كان من أفراد العلماء لكنّه معدود منهم، كالمحمدين الأربعة يُعَدُّون من أصحاب **الشافعي** ، **وابن عبدالبر وابن العربي واللخمي** يُعَدُّون من أصحاب **مالك**، وقد تفردوا بأقوال لاتعدوجوها في المذهبين، حتى جرى خلاف **أبي الحسن** فيهم مجرى المثل.(اليانع الجني في مسانيدعبدالغني وهوعلى هامش كتاب"كشف الأستار في رجال معاني الآثار"،ص:١٠)

ويحسن بي أن أختم هذا الكلام – في بيان مذهب هؤلاء الأعلام بكلمات التقطتُها من رسالة **"أصول الفقه"** للشيخ الشهيد **إسماعيل بن عبدالغني**، فقد قال في أواخرها:

"السعي في إدراك الأحكام المتعلقة بأفاعيلها من أدلتها – وهوالاجتهاد- عزيمة، والاعتماد في ذلك على قول الثقات – وهوالتقليد- رخصة ، والاجتهاد مناطه على اطمئنان النفس بما فهمت من الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ... فمن حصل له هذا الاطمئنان فهوالمجتهد .... والاجتهاد قد يتجزأ ، بأن يحصل له الاطمئنان في بعض المواضع دون البعض، فهومجتهد في الأول مقلّد في الثاني .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، والعاقبة للمتقين.

وليس لمسلم أن يقلّد أحداً فيما حصل له بالاجتهاد، اختيارياً كان أواضطرارياً ، كيف وهل من شأنه إذا حصل له الاطمئنان بأنّ خالقه يرضى له الفعل الفلاني ويكره الفعل الفلاني، ثم يتبع مخلوقاً من المخلوقين؟ ثم السعي في تحصيل الاطمئنان ليس بواجب بل يكفي التقليد أيضاً عزيمة والتقليد ليس بواجب، لكن إذا نزل نازلة لأحد و لم يتحصل الاطمئنان سأل أي ثقة وحده، وهو ملته، يجزيه .

وتقليد المعيّن ليس بواجب بل يكفي العزيمة على اتباع ثقة من الثقات، نعم إذا ظنّ أن الوثوق منحصر في شخصٍ واحدٍ فحينئذ يجب التعيين به.

وتقليد الحي أولى من تقليد الميت إلاّ إذاشك في وثوق الأحياء، وتيسّر له المراجعة إلى أقوال الميت تفصيلاً فقط.

(رسالةأصول الفقه للشيخ إسماعيل الشهيد ص٣٢-٣٦)

مؤلف الكتاب **محمد عبيد الله الأسعدي**

- ولد بمدينة لكهنو عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م
- تلقى الدراسة الابتدائية في البيت، ثم في كُتّاب تابع لدارالعلوم لندوة العلماء بلكهنو.
- حفظ القرآن الكريم وتلقى التجويد - برواية حفص-في مدرسة التحفيظ بدار العلوم لندوة العلماء
- درس اللغة العربية والعلوم الشرعية في دارالعلوم لندوة العلماء.
- تخرج من دار العلوم ديوبند،حاصلا فيها على شهادة الفضيلةعام١٣٩٠هـ، ثم على شهادة تكميل دينيات(أصول الدين) عام٩١هـ،والتخصص في الفقه والإفتاء عام ١٣٩٢هـ.

حياته العملية

- بدأ حياته العملية مدرّساً للعلوم الشرعية بمدرسة جامع العلوم بمدينة كانبور، وبقي بها من عام١٣٩٣هـ إلى عام ١٣٩٧هـ
- انتقل إلى مدرسة الجامعة العربية في هتهورا ببلدة بانده — التي درس فيها فترة من الزمن قبل التوجه إلى دارالعلوم ديوبند — عام ١٣٩٧هـ، ولم يزل بها - ولله الحمد - يدرس ويربي، ويؤلف ويفتي، ويدعو ويرشد .(من مواد تدريسه بالجامعة:صحيح البخاري- المجلد الثاني- الترمذي،مشكوة المصابيح، موطأ الإمام محمد، وشرح معاني الآثار).

رحلاته:

- سافر للحج عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- حضر دورة تدريب معلمي اللغة العربية بجامعة الملك سعود عام١٤٠٧هـ،
- سافر إلى باكستان،والإمارات العربية المتحدة،والقاهرة، والسعودية عام ١٤٠٩هـ (تعرف فيها على المراكز العلمية والدعوية والتقى بعلمائها)
- له رحلات دعوية — فصلية — إلى بلاد نيبال حيث يشرف على مدرسة دينية.

جهوده الدعوية والتعليمية:

- عضو في المجمع الفقهي الإسلامي بدلهي.
- يشرف على بعض المدارس الإسلامية في الهند ونيبال.
- له رحلات دعوية ومشاركات علميةفي الندوات الفقهية، داخل الهند،وبالأخص في ندوات المجمع الفقهي الإسلامي بدلهي التي تعالج أهم المسائل الفقهية، والمشاكل المعاصرة، وتعقد سنويا في ولايات مختلفة من الهند، ويحضرها كبار الباحثين الشرعيين من داخل الهندومن خارجهامن العالم العربي والإسلامي.

أ- العربية

١- "الموجز في أصول الفقه": قدم له: سماحة الشيخ الندوي، فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة، وفضيلة الشيخ محمد الرابع النَدْوي؛ تولت طبعه دار السلام بالقاهرة، وصدرت الطبعة الثانية للكتاب

٢- " دارالعلوم ديوبند" مدرسة فكرية توجيهية، حركة جهادية دعوية، ومؤسسة تعليمية تربوية، قدم له: سماحة الشيخ الندوي، و فضيلة العلامة محمد تقي العثماني، و فضيلة الشيخ المفتي سعيدأحمد البالنبوري (تحت الطبع)

٣- " بين الضعيف والموضوع من الحديث": سلسلة مقالات نُشرت في مجلة البعث الإسلامي في عدة حلقات (والكتاب تحت الطبع)

ب - بالأردية:

١- "علوم الحديث" ،قدم له: محدث الهند العلامة حبيب الرحمن الأعظمي؛ (طبع في الهند وباكستان)

٢- "أصول الفقه"، قدم له العلامة محمد تقي العثماني.

(أصل كتاب الموجز في أصول الفقه) طبع في الهند وباكستان.

٣- "اسلام مكمل دين مستقل تهذيب" ، قدم له سماحة الشيخ النَدْوي.

٤- "الربا"، قدم له: فضيلة الشيخ المحدث الفقيه محمد إسحق السنديلوي رحمه الله

طبعه المجمع الفقهي الإسلامي بدلهي.

٥- "العشر والخراج في بلدان غير إسلامية" طبعه مجلس التحقيقات الشرعية في بريطانيا.

٦- "تحديد النسل"، قدم له فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي

٧- "تسهيل البلاغة"، طبع في الهند وباكستان.

٨- "إسعاد النحو"، طبع في الهند وباكستان.

٩- "علوم القرآن الكريم" (تحت الطبع)

١٠- خدمات علماء الهند في الفقه الإسلامي" سلسلة مقالات نشرت في مجلة البلاغ بكراتشي.

❑ عدا رسائل صغيرة وبحوث ومقالات فقهية ودعوية نشرت في مجلات الهند وباكستان

فهرس المراجع

القرآن الكريم

١.الإبانة أبوالحسن الأشعري
الشؤون الدينية ، قطر
٢. إتحاف النبلاء المتقين الأمير صديق حسن البوفالي
المطبع الشاهجاني، بوفال الهند
٣.الإحكام في اصول الأحكام الإمام أبي محمد علي بن حزم الظاهري
مطبعة العاصمة ، القاهرة
٤.آداب الإفتاء والاستفتاء محمد زيد المظاهري الندوي
إفادات أشرفية - باندة الهند --١٤١٩هـ
٥.الأذكار محي الدين يحيى بن شرف النووي
دارالملاح للطباعة ،دمشق ــــ١٣٩١هـ
٦.أرواح ثلاثة جماعة علماء ديوبند وعلى رأسهم الشيخ التهانوي
مكتبة إمداد الغرباء - سهارنفور-١٣٧٠هـ
٧.أسد الغابة أبوالحسن علي بن الجزري
دارالفكر بيروت
٨.أسعد الأبرار الشيخ أبرار الحق
دار الإشاعت ، دهلي الهند

٩. الاستقامة شيخ الإسلام ابن تيمية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ـــــ ١٤٠٣هـ

١٠. الإصابة الحافظ ابن حجر العسقلاني

١١. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة

محمد بن عبدالرحمن الخميس

دار الصميعي، الرياض ـــــ ١٤١٦هـ

١٢. أصول الفقه الحنفي وضوابطه

محمد زيد المظاهري الندوي

إفادات أشرفية، باندة الهند - ١٤١٠هـ

١٣. أضواء علي الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية،

ومدارسها الفكرية، ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند

الشيخ أبوالحسن علي الندوي

المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ الهند - ١٣٩٦ هـ

١٤. إعلاء السنن الشيخ ظفر أحمد التهانوي

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي

١٥. إعلام الموقعين الإمام ابن قيم الجوزية

دارالجيل، بيروت

١٦. إقامة الحجة على أنّ الإكثار في التعبد ليس ببدعة

أبوالحسنات عبدالحي اللكنوي

مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب- ١٤٠٤هـ

Scanned with CamSc

١٧. اقتضاء الصراط المستقيم

شيخ الإسلام ابن تيمية

شركة العبيكان للطباعة الرياض -١٤٠٤هـ

١٨. إكفار الملحدين — الشيخ أنور شاه الكشميري

المجلس العلمي دابيل (غجرات) الهند

١٩. إمداد الأحكام (المقدمة) — الشيخ محمد رفيع العثماني

مكتبة دارالعلوم كراتشي - ١٤١٢هـ

٢٠. إمداد الفتاوى — الشيخ أشرف علي التهانوي

إدارة تأليفات أولياء ديوبند- الهند

٢١. الإنصاف في بيان أسباب الإختلاف

الإمام ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوي

دارالنفائس- بيروت

٢٢. أنفاس العارفين — الإمام ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوي

المطبع المجتبائي- دلهي -١٣٣٥هـ

٢٣. أنفاس عيسى — الشيخ محمد عيسى الإله آبادي

إدارة تأليفات أولياء ،ديوبند - الهند

٢٤. أوجز المسالك في شرح الموطأ للإمام مالك

الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

دارالفكر -١٤١٠هـ

٢٥. إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح

الشيخ الشهيد إسماعيل بن عبدالغني

المطبع الفاروقي ، دلهي -١٢٩٧هـ

٢٦.البداية والنهاية ابن كثير الدمشقي

٢٧.بذل المجهود في شرح سنن أبي داود

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري

المكتبة اليحيوية سهارنفور- الهند، والمكتبة الإمدادية بمكة المكرمة.

٢٨.بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد بن محمد الصاوى المالكي

دارالمعرفة بيروت -١٣٩٨هـ

٢٩.بوادر النوادر الشيخ أشرف علي التهانوي

مكتبة أشرف العلوم ديوبند-١٣٦٥هـ

٣٠.بيان القرآن الشيخ أشرف علي التهانوي

أشرف المطابع تهانه بهون- الهند -١٣٥٣هـ

٣١.التاج المكلّل الأمير صديق حسن البوفالي

شرف الدين الكبتى وأولاده، بمبئى - ١٣٨٣هـ

٣٢.تاريخ دار العلوم ديوبند محبوب الرضوي

دارالعلوم ديوبند

٣٣.تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند

الشيخ مسعود عالم الندوي

دارالعربية ، بيروت

٣٤.تاريخ المذاهب الإسلامية الشيخ محمد أبوزهره

دارالفكر العربي ، القاهرة

٣٥ .تاليفات أشرفية — الشيخ عزيز الحسن مجذوب
تهانه بهون ، مظفر نجر

٣٦ .تبيين كذب المفتري — الإمام ابن عساكر
دارالكتاب العربي بيروت - ١٣٩٩هـ

٣٧ .تحذير الناس — الإمام محمد قاسم النانوتوي
مكتبة رحيمية - ديوبند

٣٨ .تحفة الأحوذي — الشيخ عبدالرحمن المباركفوري
دارالفكر بيروت -١٣٩٩هـ

٣٩ .تذكرة الظفر — - -

٤٠ .تذكرة الشيخ عبدالرحيم الدهلوي
المفتي نسيم أحمد الأمروهوي
مكتبة الفرقان لكهنؤ، الهند - ١٩٨٩هـ

٤١ .تذكير الإخوان بقية تقوية الإيمان
الشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي
المكتبة الرحيمية ديوبند

٤٢ .التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات (الجزء الرابع)
د/ عبدالرحمن صالح عبد الله
المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - عمان الأردن - ١٩٩٠م

٤٣ .ترجمان وهابية — الأمير صديق حسن البوفالي

المطبع الشاهجهاني، بوفال- الهند

٤٤. الترغيب والترهيب الإمام عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري

دارالفكر ، بيروت - ١٤٠٨هـ

٤٥ .تعطير الأنام في تعبير الحكام الشيخ عبدالغني النابلسي

مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة

٤٦ .التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني

د/ محمد عبد الرحمن الشامخ

دار العلوم – الرياض ١٤٠٥هـ

٤٧ .تفسير الشيخ شبير أحمد الشيخ شبير أحمد العثماني

مجمع الملك فهد المدينة المنورة

٤٨ .التفسير الكبير الإمام فخر الدين الرازي

٤٩ .تقوية الإيمان الشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

المكتبة التجارية ندوة العلماء لكهنؤ

٥٠ .تمهيد الفرش في تحديد العرش

الشيخ أشرف علي التهانوي

مكتبة أشرف العلوم، ديوبند-١٣٥٣هـ

٥١ .تنبيه المعترّين الشيخ عبدالحكيم

المطبع السلماني ، ويلمور – ١٢٨٤هـ

٥٢ .التوصل إلى حقيقة التوسّل محمد نسيب الرفاعي

دار لبنان ، بيروت – ١٣٩٩هـ

٥٣ .التيسير بشرح الجامع الصغير

الإمام عبدالرؤوف المناوي

مكتبة الإمام الشافعي – الرياض

٥٤. الثقافة الإسلامية في الهند

العلامة عبدالحي بن فخرالدين الحسني

المجمع العلمي العربي – دمشق

٥٥. جامع الأصول الإمام ابن أثير الجزري

مكتبة الحلواني – وغيرها – ١٣٩٢هـ

٥٦. الجامع الصحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري

٥٧. الجامع الصحيح الإمام أبوعيسى محمد بن سورة الترمذي

٥٨. الجامع الصحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري

٥٩. جمع الوسائل في شرح الشمائل

الشيخ علي بن سلطان القاري

إدارة تأليفات أشرفية ملتان– باكستان

٦٠. الجواهر البهية في شرح العقائد النسفية

شمس الدين الأفغاني

جامعة حسينية – غجرات (باكستان)

٦١. جواهر الفقه المفتي محمد شفيع الدّيوبنْدي

طبع ديوبند– الهند

٦٢. جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة

عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي

الجامعة السلفية، بنارس – الهند

٦٣. الحاوي للفتاوي		الإمام جلال الدين السيوطي

دارالكتاب العربي ، بيروت

٦٤. حالات جامعة ديوبند

جامعة دارالعلوم ديوبند – ١٣٣٠هـ

٦٥. حجة الله البالغة		الإمام ولي الله الدهلوي

المكتبة الرشيدية دلهي

٦٦. الحطة في ذكر الصحاح الستة

الأمير صديق حسن البوفالي

دارالكتب العلمية بيروت – ١٤٠٥هـ

٦٧. حقيقة الصلاة		الداعية المصلح السيد أحمد الشهيد

الرحيم أكيدمي –كراتشي – ١٩٨٦م

٦٨. خطاب العلامة بكر بن عبدالله ابوزيد حول كتاب ربيع بن هادي المدخلي "*أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره*"

د/ عبد الرزاق بن خليفة الشايجي		١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٦٩. الخيالي

٧٠. الخيرات الحسان		أحمد بن حجر الهيثمي المكي ،

٧١. دارالعلوم ديوبند احياء إسلام كى عظيم تحريك

الشيخ أسيرأدروي

دارالمؤلفين ،ديوبند – ١٤١١هـ

٧٢.دبستان ديوبند كي علمي خدمات

الشيخ أسير أدروي

دارالمؤلفين -ديوبند الهند - ١٩٩٥م

٧٣.درس ترمذي الشيخ محمد تقي العثماني

أنور بك تريدرس ديوبند- الهند

٧٤.الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين

الإمام الدهلوي ولي الله

المكتبة اليحيوية سهارنفور-١٤٢٠هـ

٧٥.الدرر السُنية في الأجوبة النجدية

جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي

مطبعة أم القرى - ١٣٥٢هـ

٧٦.الدر المنثور الإمام جلال الدين السيوطي

؟؟؟ مطبعةأم القرى - ١٣٥٢هـ

٧٧.الدر النضيد الإمام محمد بن علي الشوكاني

مطبع محمدي لاهور- ١٢٩٤هـ

٧٨. دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب

فضيلة الشيخ الداعية محمد منظور النعماني

مكتبة الفرقان، لكهنؤ - ١٤٠٠هـ

٧٩.رجال الفكر والدعوة في الإسلام

الشيخ أبوالحسن علي الندوي

دارالقلم بيروت

٨٠.رحمة الأمة في اختلاف الأئمة
محمد بن عبدالرحمن الدمشقي العثماني
إدارة الشؤون الدينية قطر - ١٤٠١هـ
٨١.ردّ الإشراك الشيخ إسماعيل الشهيد الدهلوي
المكتبة السلفية لاهور- ١٩٨٣م
٨٢.ردّ المحتار العلامة محمد بن عابدين الشامي
إيج. إيم. سعيد كمبني، كراتشي - ١٤٠٦هـ
٨٣.الروح الإمام ابن قيم الجوزية
دارالكتب العلمية بيروت- ١٣٩٥هـ
٨٤.روح البيان الشيخ إسماعيل الحقّيالبرسوي
دارالتراث العربي
٨٥.روح المعاني السيد محمود الألوسي البغدادي
المكتبة الإمدادية ملتان -باكستان
٨٦.السراج المنير علي الجامع الصغير
علي بن أحمد بن محمد العزيز الشافعي
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٣٧٧هـ
٨٧.السنن الإمام أبوعبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه
طبع مصطفى الأعظمي- الرياض - ١٤٠٤هـ
٨٨.السنن الإمام أبوداود سليمان بن أشعث السجستاني
دارالكتاب العربي بيروت
٨٩.السنن الكبرى الإمام أبوبكر البيهقي
بيروت

٩٠.سوانح احمدى الشيخ محمد ظفر التهانيسوي

المطبع الفاروقي، دلهي .

٩١.سوانح فتحية القاري محمد طاهر الرحيمي

إدارة كتب طاهرية ملتان باكستان-١٤٠٩هـ

٩٢.سيد أحمد شهيد كي أردوتصانيف

الدكتور محمد عبدالحليم الحسينى

الرحيم أكيندمي، كراتشي - ١٩٨٦م

٩٣.السيرة النبوية ابن هشام

٩٤.سيرت سيد أحمد شهيد الشيخ أبوالحسن علي الحسنى الندوي

إيج. إيم. سعيد كمبني، كراتشي - ١٩٧٥م

٩٥.سيرت محمد علي المونكيري الشيخ محمد الحسني الندوي

جامعة ندوة العلماء لكهنؤ- ١٩٧٥م

٩٦.شرح السنة الإمام حسين بن مسعود البغوي

المكتب الإسلامي، بيروت - ١٤٠٣هـ

٩٧.شرح العقائد النسفية الشيخ سعدالدين التفتاز اني

إيج. إيم. سعيد كمبني، كراتشي.

٩٨.شرح العقيدة الطحاوية الشيخ محمد طيب القاسمي

جامعة دارالعلوم ، ديوبند

٩٩.شرح كتاب التوحيد

الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب

مطبعة المدينة- الرياض

١٠٠. شرح معاني الآثار — الإمام أحمد بن محمد بن سلمة الطحاوي

١٠١. شرح المناوي على الشمائل
الشيخ المحدث عبدالرؤوف المناوي
إدارة تأليفات أشرفية ملتان

١٠٢. شرح منازل السائرين الموسوم بمدارج السالكين
الإمام ابن قيم الجوزية

١٠٣. شرح مشكاة المصابيح — العلامة الطيبي

١٠٤. شرح المهذب — الإمام النووي
دارالفكر– بيروت

١٠٥. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
القاضي أبوالفضل عياض اليحصبي
دارالفكر، بيروت –١٤٠٥هـ

١٠٦. صحيح ابن خزيمة — الإمام أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة
شركة الطباعة العربية، الرياض –١٤٠٤هـ

١٠٧. عقد الجيد — الإمام ولي الله الدهلوي
المطبعة السلفية – القاهرة

١٠٨. عقيدة الإسلام — الشيخ محمد أنور شاه الكشميري
المجلس العلمي– دابيل ،غجرات (الهند)

١٠٩. عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي
أبوالخير محمد أيوب علي
المؤسسة الإسلامية– بنغلاديش– ١٤٠٤هـ

١١٠. علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي
الشيخ محمد طيب القاسمي
جامعة ديوبند – ١٤١٥م

١١١. علماء ديوبند أور علمِ حديث
الشيخ حبيب الرحمن القاسمي
جامعة ديوبند-١٣٩٩هـ

١١٢. عمل اليوم والليلة الإمام أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي
مؤسسة الكتب والثقافة – ١٤٠٦هـ

١١٣. عمل اليوم والليلة الإمام أبوبكر أحمد بن محمد المعروف بابن السني
مؤسسة علوم القرآن، بيروت – ١٤١٠هـ

١١٤. غير مقلدين كے مسائل الشيخ أبوبكر – الغازيفوري
المكتبة الأثرية غازيفور، الهند – ١٤١٧هـ

١١٥. العناقيد الغالية الشيخ محمد عاشق إلهي البرني
المكتبة النعمانية ، ديوبند – ١٤٠٨هـ

١١٦. الفتاوى الحديثية الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي المكي
؟؟؟ دارالمعروف – بيروت

١١٧. فتاوى رشيدية الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي
المكتبة الرحيمية ديوبند

١١٨. فتاوى شيخ الإسلام الشيخ حسين احمد المدني
مكتبة دينية – ديوبند

١١٩. فتاوى عزيزية الشيخ المحدث عبدالعزيز الدهلوي

١٢٠ .فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض

١٢١ .الفتاوى الهندية لفيف من علماء الهند وفقهائها

بلوجستان بكدبو كوئته- باكستان – ١٤٠٥هـ

١٢٢ .فتح الباري الحافظ ابن حجر العسقلاني

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض

١٢٣ .فتح الملهم بشرح صحيح مسلم

الشيخ شبير أحمد العثماني

مطبعة هانده -جالندر، الهند – ١٣٥٧هـ

١٢٤ .الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

شيخ الإسلام ابن تيمية

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض

١٢٥ .الفرق بين الفِرق عبدالقاهر بن طاهر البغدادي

دارالمعرفة – بيروت

١٢٦ .الفصل للوصل وصل بلغرامي

دارالإشاعت- دلهي

١٢٧ .الفضل المبين في المسلسل من حديث النبى الأمين

الإمام الدهلوي ولي الله بن عبدالرحيم

المكتبة اليحيوية، سهارنفور- ١٤١٠هـ

١٢٨ .الفقه الإسلامي وأدلته الدكتور وهبه الزحيلي

دارالفكر- بيروت

١٢٩. الفوائد البهية في تراجم الحنفية

الشيخ الفقيه عبدالحي اللكنو ي

مكتبة ندوة المعارف- بنارس- ١٩٦٧م

١٣٠. فيض الباري الشيخ محمد أنور شاه الكشميري

المجلس العلمي - دابيل، غجرات (الهند)١٣٧٥هـ

١٣١. فيض القدير الشيخ عبدالرؤوف المناوي

دارالمعرفة -بيروت

١٣٢. فيوض الحرمين الإمام الدهلوي ولي الله

المطبع الأحمدي ، دلهي- ١٣٠٨هـ

١٣٣. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

شيخ الإسلام ابن تيمية

مطبعة المنار ، القاهرة - ١٣٤٥هـ

١٣٤. قواعد في علوم الحديث الشيخ ظفر أحمد التهانوي

إدارة علوم القرآن والعلوم الإسلامية- كراتشي

١٣٥. كشف الخفاء ومزيل الالباس

الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى

دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٣٥١هـ

١٣٦. الكلام المفيد في إثبات التقليد

الشيخ محمد سرفزاز خان صفدر

المكتبة القاسمية -جامع جمون، الهند - ١٤٠٤هـ

١٣٧. الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة

الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

مطبعة المدينة ، الرياض - ١٣٨٧هـ

١٣٨. لآلي منثورة الشيخ أشرف علي التهانوي .
تعريب الأستاذ نورعالم الأميني
أكادمية شيخ الهند، ديوبند- ١٤١٦هـ

١٣٩. مائة دروس مع التلخيصات العشر
الشيخ أشرف علي التهانوي
إيج.إيم. سعيد كمبني ، كراتشي - ١٤٠١هـ

١٤٠. مائة وسبعة عشر عاماً لدارالعلوم
مكتب الاحتفال المئوي دارالعلوم ديوبند - ١٤٠٠هـ

١٤١. الموطأ للإمام مالك رواية الإمام محمد بن الحسن
دارالقلم، دمشق - ١٤١٣هـ

١٤٢. الماتريدية دراسةً وتقويماً أحمد بن عوض الله الحربي
دارالعاصمة، الرياض - ١٤١٣هـ

١٤٣. محمد بن عبدالوهاب وعقيدته السلفية
أحمد بن حجر القاضى
القطر

١٤٤. مجلة "بحث ونظر" (الفصلية)
المجمع الفقهي ، دهلي

١٤٥. مجلة "الداعي" الشهرية
دارالعلوم ديوبند

١٤٦. مجلة "الفرقان" الشهرية
لكهنؤ

١٤٧. مجلة "الفيصل"
الرياض

١٤٨. مجلة "المنار"

القاهرة

١٤٩. مجلة "المنهل "

جدة

١٥٠. مجلة "هدى" الشهرية

دلهي

١٥١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الحافظ نورالدين الهيثمى

مؤسسة المعارف، بيروت - ١٤٠٦هـ

١٥٢. مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض

١٥٣. مختصر فتاوى ابن تيمية جمع: بدرالدين أبوعبدالله

دارالكتب العلمية -بيروت

١٥٤. المدخل إلى دراسة علم الكلام

الدكتور حسن محمود الشافعي

مكتبة وهبه، القاهرة - ١٤١١هـ

١٥٥. مرقاة المفاتيح الملا علي القاري

المكتبة الإمدادية- ملتان

١٥٦. المستدرك الإمام الحاكم النيسابوري

دارالمعرفة- بيروت

١٥٧. مسلك علماء ديوبند الشيخ القاري محمد طيب القاسمي

دارالإشاعت، كراتشي - ١٩٧٦م

١٥٨. المسلمون في الهند — الشيخ أبوالحسن علي الندوي
المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ- ١٤٠٧هـ

١٥٩. المسند — الإمام أحمد بن حنبل
دارالفكر، بيروت - ١٣٩٨هـ

١٦٠. مسند الإمام الأعظم بشرح القاري
صدرالدين موسى بن زكريا ......
دارالكتب العلمية ،بيروت - ١٤٠٥هـ

١٦١. مسند الإمام بشرح السنبلى
صدرالدين موسى بن زكريا ...
مير محمد - كراتشي

١٦٢. مشكاة المصابيح — ولي الدين الخطيب الترمذي
دلهي وديوبند

١٦٣. معارف السنن — الشيخ محمد يوسف البنوري
إيج. إيم. سعيد - كراتشي

١٦٤. معارف القرآن — الشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي
طبع ديوبند

١٦٥. المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر
الإمام بدرالدين الزركشى
دارالأرقم - أنقرة

١٦٦. المعجزة وكرامات الأولياء. شيخ الإسلام ابن تيمية
تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا
دارالباز - مكة المكرمة - ١٤٠٥هـ

١٦٧ .المعجزة والكرامات وخوارق العادات
شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد ابن إمام
مكتبة الصحابة، طنطا- ١٤٠٦هـ

١٦٨ .المغني في الفقه الحنبلي أبومحمد عبدالله ابن قدامه المقدسي
مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض - ١٤٠١هـ

١٦٩ .مقالات الكوثري شيخ الإسلام محمد زاهد الكوثري
مطبعة الأنوار، القاهرة - ١٣٧٢هـ

١٧٠ .مفتاح السعادة ومصباح السيادة
أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده
دارالكتب العلمية ، بيروت - ١٤٠٥هـ

١٧١ .موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية
الشيخ عبدالحفيظ بن ملك عبدالحق المكي
دارالسلام، القاهرة - ١٤٠٩هـ

١٧٢ .ملفوظات محدث كشميري
الشيخ أحمد رضا البجنوري
بيت الحكمة ، ديوبند - ١٤٠٩هـ

١٧٣ .ملفوظات كمالات أشرفية

١٧٤ .مناجات مقبول الشيخ أشرف علي التهانوي
مكتبة جامي، إله آباد- الهند

١٧٥ .منتخب الكلام في تعبير الأحلام
الإمام محمد بن سيرين
مطبعة البابي الحلبي- مصر

١٧٦ .المنهج الإسلامي لتربية النفس

الشيخ عبدالباري الندوي

باری ببلیکیشنز -لكهنو- ١٤١٥هـ

١٧٧ .المهنّد على المفنّد الشيخ خليل أحمد السهارنفوري

المكتبة اليحيوية -سهارنفور

١٧٨ .نشر الطيب في ذكر النبى الحبيب

الشيخ أشرف علي التهانوي

مكتبة إشاعت العلوم ،سهارنفور - ١٣٩٩هـ

١٧٩ .نسيم الرياض في شرح شفاء العياض

١٨٠ .نهاية الإدراك في أقسام الإشراك

الشيخ أشرف علي التهانوي

مكتبة أشرف العلوم، ديوبند - ١٣٥٣هـ

١٨١ .هامش على جامع الترمذي

الشيخ محمد علي السهارنفوري

مختار أيند كمبني - ديوبند

١٨٢ .هامش السراج المنير محمد بن سالم الحفنى [الحنفي]

١٨٣ .هامش شرح العقائد الشيخ محمد حسن السنبلى

إيج. إيم. سعيد - كراتشي

١٨٤ .هداية السائل إلى أدلة المسائل

الأمير صديق حسن البوفالي

المطبع الشاهجاني، بوفال - ١٢٩٢هـ

١٨٥ .الهدية السَّنِيَّة الشيخ سليمان بن سحمان النجدي

مطبعة المنار ، القاهرة - ١٣٤٤هـ

١٨٦ .وعظ السرور الشيخ أشرف علي التهانوي

١٨٧ .وقفة مع اللامذهبية في شبه القارة الهندية

الشيخ أبوبكر الغازيبوري

المكتبة الأثرية غازي بور، الهند - ١٤١٦هـ

١٨٨ .اليانع الجني في أسانيد عبدالغني

محمد بن يحيى المعروف بالمحسن الترهتي

دارالإشاعت، ديوبند - ١٣٤٩هـ

١٨٩ .يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن

الشيخ محمد يوسف البنوري

مجلس الدعوة والتحقيق، كراتشي - ١٣٩٦هـ

فهرس المحتويات

الدِّيوْبَنْدِية تعريف وبيان

القسم الأول

جامعة دارالعلوم ديوبند تأسيسها أهدافها أعمالها رجالها وحركتها وتأثيرها

٧١-٣٦٢

علماء ديوبند

جهودهم الدعوية والإصلاحية ومآثرهم العلمية

١٣١-٣٠٠

(٦) علماء ديوبند والتيارات المعادية والفرق المنحرفة

٢٢٩-٣٠٠

أزهر الهند - دارالعلوم ديوبند

كما يراها علماء الحرمين وبقية العالم الإسلامي

٣٣٣-٣٦٢

القسم الثاني

بعض المبادئ من عقائد أهل السنة وأفكارهم

٣٦٣-٤٤٠

السلوك والتصوف بين الواقع والتعبير

٣٩١-٤٠٠

القسم الثالث

منهب علماء ديوبند ، عقيدتهم ومنهجهم

٤٤١-٨٠٦

مقدمة في

مجمل بيان معتقدات علماء ديوبند ومنهجهم

٤٤٣ - ٤٧٤

باب مسائل الإيمان

٤٧٥ - ٥١٦

من باب التوحيد

٥١٧-٥٧٢

باب النبوة والأنبياء ونبينا محمد ﷺ

٥٧٣-٦٤٦

من باب التصوف والسلوك

٦٤٧-٧١٤

موقفهم من المشاهير ورجال الأمة

اعلام من الهند

من المتفرقات

هذا الكتاب ......

فقد تكفَّل حركةَ نشر العقيدة الصحيحة في التوحيد واتباع السنة والتجنب عن الأعمال الشركية، والغلو والمبالغة في التعظيم مدرسةٌ عقائديةٌ تعليميةٌ تربويةٌ قياديةٌ تُعرف - بشكلٍ عامٍ وإطارٍ واسعٍ - بـ مدرسة ديوبند، قد قاد هذه الحركةَ الإيجابيةَ، والإصلاحيةَ، والبنائيةَ والتربويةَ، والنشرية، على مستوى شعبي، توجيهي، واستدلالي، علمي، قوي وواسع "معهدُ ديوبند" مؤسسوه ومنشئوه والمتخرجون منه، والمنتمون إليه، وقد امدَّتهم - في الانتصار والانتماء اليهم والاعتزاز بهم قيادةُ المنتمين إلى ديوبند وقادة حركتها و دارتها لحركة تحرير البلاد، ومحاربة السلطة الإنجليزية والاستعمار، ثم استقامتهم في الدين، وتجرُّدهم عن المطامع والشهوات بصفة غالبة، وصلاحهم واستقامتهم على السنة، ونفورهم عن البدع والمحدثات، وإبكارُهم الصريحُ القويُّ على ماشاع في شبه القارة الهندية من تقليد غير المسلمين في إطار المهرجانات، والاعياد والمواسم، وزيارة المشاهد وتقديسها، ولقبوا - "الوهابية" وقوطع كثيرٌ منهم، وحورب حرباً شعواء، ولكن لم يُضعف كلَّ ذلك من صمودهم، واستقامتهم وصراحتهم، واعتزازهم بعقيدتهم، والثبات على موقفهم

...... والمتوقع المرجوُّ والمطلوب أن يطالع هذا الكتاب الذى أصبح موسوعةً في هذا الباب بتوسُّعٍ فكريٍّ، واتزانٍ هدفيٍّ ....

ابو الحسن علي الحسني الندوي

تصانیف استاذ الاساتذہ حضرت مولانا و مفتی عبید اللہ الاسعدی مدظلہ العالی قاضی و شیخ الحدیث و صدر مفتی جامعہ عربیہ ہتھورا ضلع باندہ جنرل سکریٹری آل انڈیا مسلم پرسنل لا بورڈ و رکن اسلامک فقہ اکیڈمی انڈیا

(۱) دار العلوم دیوبند (عربی)
(۲) الموجز //
(۳) سبق الغایات فی نسق الآیات //
(۴) الحدیث الضعیف و احکامہ //
(۵) تذکرۃ الصدیق
(۶) مآثر حضرت باندی۔ علیہ الرحمہ۔
(۷) مسائل نماز
(۸) احکام نماز احادیث و آثار کی روشنی
(۹) علوم الحدیث
(۱۰) حدیث ضعیف
(۱۱) ولی اللہی
(۱۲) اسلام مکمل دین اور مستقل تہذیب
(۱۳) حیات جعفر۔ سوانح حیات
(۱۴) اصول الفقہ
(۱۵) تسہیل اصول الفقہ
(۱۶) غیر مسلم ممالک میں عشر و خراج
(۱۷) سرگزشت سفر جہاد
(۱۸) اسعاد النحو۔
(۱۹) معراج رسول صلی اللہ علیہ وسلم
(۲۰) تحدید نسل اور اسلامی تعلیمات

(مسلسل جاری)۔

جمع کردہ۔ محمد بلال سلطان پوری۔
جامعہ عربیہ ہتھورا ضلع باندہ
9839892018

سبق الغايات في نسق الآيات

مؤلف وجيز يبحث عن ارتباط آيات القرآن وسورها بعضها ببعض

تأليف

المفسر النحرير الشيخ أشرف علي التهانوي

١٢٨٠هـ - ١٣٦٢ هـ

تحقيق

محمد عبيد الله الأسعدي

عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هتورا - باندة - الهند

مؤسسة إيفا للطبع والنشر - نيو دلهي